

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02 بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

المجلد 02 العدد 02 (09)

عدد خاص بالمؤتمر الدولي الثالث، العلمي المحكم بإسطنبول تركيا حول
العلوم الإنسانية والاجتماعية والتربوية والأدبية والإدارية والاقتصادية
"دراسات وأبحاث علمية في مختلف التخصصات" 2021/03/15 م من تنظيم

جامعة البصرة، كلية التربية بنات، العراق

وأكاديمية باشاك شهير للعلوم العربية والإسلامية، إسطنبول-تركيا

المحور الأول

إدارة المجلة

المشرف الشرفي: أ.د/ حاجي دوران -تركيا-

المشرف المباشر: أ.د/ عبد الواحد زيارة إسكندر المنصوري، جامعة البصرة، العراق

مدير المجلة: أ.د/رحيم حلو محمد البهادلي جامعة البصرة، العراق

رئيس التحرير: أ.د/ محمد قاسم نعمة الناصر جامعة البصرة، العراق

العنوان الإداري للمجلة:

مركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماح) شارع وصفي - عمان

الهاتف /الفاكس: 0096265153561 إيميل المجلة: researchre99@gmail.com

رابط الموقع الإلكتروني: <https://remahresearch.com>

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02 بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات
تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، عمان،
الأردن

التصنيف ضمن قواعد البيانات العالمية

القاعدة الأولى



المجلة مصنفة ضمن قاعدة بيانات ابيسكو EBSCO العالمية ومن ضمن فروعها
قاعدة ERIH مقرها بماساتشوستس الولايات المتحدة الأمريكية

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02 بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

القاعدة الثانية



مصنفة ضمن قاعدة بيانات أسك زاد ASK ZAd

مقرها بالولايات المتحدة الأمريكية، والامارات العربية المتحدة، وجمهورية مصر العربية
والمملكة الأردنية الهاشمية

القاعدة الثالثة



مصنفة ضمن قاعدة بيانات دار المنظومة

Dar Almandumah مقرها بمدينة الرياض، المملكة السعودية.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02 بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات
تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، عمان،
الأردن

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د/ عصام كاطع داود الشويلي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ تحرير علي حسين علوان، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ هاشم صالح مناع، جامعة الإسراء، عمان، الأردن
أ.د/ حميد سراج جابر الأسدي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ فالح صدام منشد الإمارة، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ فريد أمعششو، جامعة وجدة، المغرب
أ.د/ ماجد عبد الحميد عبد الكعبي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ خالد الجندي الجامعة اللبنانية لبنان
أ.د/ عمار محمد يونس الساعدي، جامعة كربلاء، العراق
أ.د/ زمان عبيد وناس المعموري، جامعة كربلاء، العراق
أ.د/ فاضل بيّات مركز إرسيكيا تركيا
أ.د/ حيدر عبد الرضا حسن التميمي، جامعة البصرة، العراق

أ.د/ رشيد محمد كهوس، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المغرب
أ. د/ وجدان فريق عناد العارضي، جامعة بغداد، العراق
أ.د/ سعد عبود سمار السوداني، جامعة واسط، العراق
أ.د/ شعيب مقنوني، جامعة تلمسان، الجزائر
د/ أسامة إسماعيل عطا الله، جامعة فلسطين
د/ بولرياح عثمان، جامعة الأغواط، الجزائر
د/ عبد الرحيم قصبواوي، جامعة القنيطرة، المغرب
د/ زينب دهيمي، جامعة ورقلة، الجزائر
د/ ليلي العبيدي، جامعة منوبة، تونس
د/ مهنا بن سعيد، جامعة الرباط، المغرب
د/ مومني بوزيد، جامعة جيجل، الجزائر
د/ علي حمزة عباس عثمان الصوفي، جامعة الموصل، العراق
د/ بلقايد عمارة، جامعة تلمسان، الجزائر
د/ بلحميتي أمال، جامعة مستغانم، الجزائر
د/ رسول بلاوي، جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران
د/ عصام محمد حسن كايد، جامعة الإسراء، الأردن
د/ عائشة عبد الحميد، جامعة الطارف، الجزائر
د/ أنوار جاسم مطلق، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العراق
د/ ميس عبد الكريم إسماعيل، جامعة دمشق، سوريا
د/ علي كشورود، جامعة الجزائر 2، الجزائر
د/ عبد الرؤوف أحمد عايش بني عيسى، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن

رئيس المؤتمر الدولي

الأستاذ الدكتور عبد الواحد زيارة إسكندر المنصوري، العراق

نائب رئيس المؤتمر

الأستاذ الدكتور رحيم حلو محمد البهادلي، العراق

رئيسة اللجنة العلمية

أ.م. د. آلاء عبد الامام عبد الزهرة، العراق

نائب رئيس اللجنة العلمية

الأستاذ الدكتور عصام كاطع داود، العراق

أعضاء اللجنة العلمية

أ.د محمد قاسم نعمة	العراق
أ.د تحرير علي حسين علوان	العراق
أ.د حيدر عبد الرضا التميمي	العراق
أ.د رشيد محمد كهوس	المغرب
أ.د عناد الدين الرشيد	تركيا
أ.د مصطفى قطب	تركيا
أ.د بلال شيخي	الجزائر
أ.د عبد الرزاق محمود إبراهيم	العراق
أ.د نادر الزبيدي	تركيا
أ.د عبد الرؤوف بني عيسى	الأردن

الأردن	أ.د. نضال يوسف
الأردن	أ.د. محمد أبو بكر
ليبيا	أ.د. وائل جبريل
فلسطين	أ.د. سهير شوملي
العراق	أ.د. هاشم داخل الدراجي

الجزائر	أ.د. الشريف ميهوبي
الأردن	أ.د. محمد فاضل محاسنة
فلسطين	أ.د. شاهر عبيد
الأردن	أ.د. راضي أبو هوش
الأردن	أ.د. محمد القاضي
العراق	أ.د. وجدان فريق عناد العارضي
مصر	أ.د. إبراهيم محمد علي مرجوجة
العراق	أ.د. أنس محمد جاسم
العراق	أ.د. فتحي سالم حميدي

أ.د. إيدير غنيات	الجزائر
أ.د. عدي سالم عبد الله	العراق
أ.د. غسان محمود وشاح	فلسطين
أ.م. د. مروان سالم نوري	العراق
أ.م. د. احمد محمود علو	العراق
أ.م. د. غفار جبار جاسم	العراق

أ.م. د. أنيس محمد جاسم	العراق
م. د. وئام عاصم اسماعيل	العراق
د. إيمان محمد عبيد	العراق
د. خالد ناصيف	تركيا
د. نبيل ونوغي	الجزائر
د. عليا عويدي العبادي	الأردن
د. سهام عباسي	الجزائر

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02 بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

العراق	د. علي الصوفي
الجزائر	د. سماح محمودي
تركيا	د. أحمد صوان
العراق	د. محمد جابر عناد
فلسطين	أ. علاء محمد مطر

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02 بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

رئيس اللجنة التحضيرية
الأستاذ الدكتور فهمي البلاونه – الأردن
نائب رئيس اللجنة التحضيرية
أ. أسعد الشمسي – تركيا
أعضاء اللجنة التحضيرية

الأردن	أ.د. عماد الصعيدي
العراق	د. أنير عبد الكريم صادق
تركيا	د. خالد ناصيف
تركيا	د. احمد صوان
تركيا	د. عمر عبد الله
الجزائر	د. خديجة السبخاوي
لبنان	د. نور عبيد
العراق	م.م عباس قاسم عطية

شروط النشر في المجلة

الأفكار والآراء التي يتضمنها البحث لا تعبر عن رأي المجلة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أن إدارة المجلة بفروعها وخاصة هيئة التحرير، غير مسؤولة عن أي سرقة علمية تتم في البحوث المقدمة لها.

1. تنشر مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات الأبحاث الأصيلة ذات المنهجية العلمية الرصينة والتي تلتزم بالموضوعية، وتتوافر فيها الدقة والجدية.

2. كل بحث لا يحترم شروط النشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.

3 - تخضع كل الأبحاث إلى التحكيم من قبل هيئة مختصة، ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يقوم الباحث بالتعديلات المقترحة.

4. للمجلة كل الحق في أن تطلب من الباحث أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلة.

5. لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءاً من كتاب منشور.

6. يعهد الباحث بعدم تقديم البحث للنشر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، إلا بعد الحصول على إذن كتابي بذلك من مدير المجلة.

7. لا تتجاوز صفحات البحث المقدم 25 إلى 30 صفحة.

8 - على الباحث احترام شروط الكتابة التالية:

*تحتوي الصفحة الأولى من البحث على؛ عنوان البحث، الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها باللغة العربية واللغة الانجليزية، البريد الالكتروني للباحث، ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة حجم 12 بلغة المقال وبلغة أجنبية (الإنجليزية)، الكلمات المفتاحية بعد الملخص.

*تقدّم الأبحاث مكتوبة ببرنامج Word بخط Traditionnel Arabic حجم 14، تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 14 مثلها مثل النصّ الرئيسي لكن مع تضخيم الخط. أما الأبحاث المكتوبة باللغة اللاتينية فتكتب بخط Time new Roman، بحجم 12 وتكون الحواشي 4 سم على جوانب الصفحة الأربعة، كما تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في المقال، وتكتب عناوينها والملاحظات التوضيحية أسفلها، أما الجداول ترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها أعلاها والملاحظات التوضيحية أسفلها.

*يلتزم الباحث بتهميش المعلومات آخر البحث.

*بالنسبة لعلامات الترقيم، توضع النقطة (.) بعد الكلمة مباشرة دون وجود فراغ بينهما، ويوضع فراغ واحد بين النقطة وبداية الجملة التالية. كما لا توضع النقطة (.) أبداً في العناوين، أما إذا كان العنوان يضمّ عنوانين أحدهما فرعي والآخر رئيسي فيفصل بينهما بنقطتين.

*تكتب واو العطف ملتصقة بالكلمة التي تليها ولا يترك فراغ بينهما.

* عدم الإكثار من الفقرات وجمعها في نصّ سياقي واحد، واللجوء الى الفقرات عند الضرورة النصية.

9 الأفكار والآراء التي يتضمنها البحث لا تعبر عن رأي المجلة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أنّ إدارة المجلة وفروعها خاصة هيئة تحرير، غير مسؤولة عن أيّ سرقة علمية تتم في البحوث المقدمة لها.

10 - يرفق صاحب البحث تعريفاً مختصراً بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي

ترسل الأبحاث إلى إيميل المجلة researchre99@gmail.com

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات
تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، عمان،
الأردن

الفهرس

ص18	تمثلات الطلبة تجاه العمل باحث دائم، د. زواوي بن كروم
ص39	الراسمال الاجتماعي والمقاولة المغربية خالد المكودي
ص57	الأمن الثقافي وإشكالية الهوية الثقافية العربية في ظل تحديات العولمة الثقافية د/طايب رتيبة
ص80	سوسيولوجيا المخيال عند ميشيل مافيزولي طالبة الدكتوراه: نبيلة بروحو
ص94	حوكمة المعلومات: الركائز ومستويات النضج الدكتورة بحوصي رقية الأستاذة بزاوية زهرة
ص112	ممارسات حفظ الثقافة على الويب د. فتيحة قوميدي ط.د مصطفى عمرون باحث دكتوراه
ص128	دور الأنشطة الجماعية في تحقيق التفاعل الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية اثناء حصة التربية البدنية و الرياضية ط.د بربوش طارق

ص149	النشر العلمي في الفضاء الافتراضي: إشكالية التداول والحماية حسنية زيان أستاذ مساعد أ الميلود صغيري أستاذ محاضر أ الخامسة رمضان أستاذ محاضر أ
ص160	واقع البحث العلمي ومتطلباته م.م. سعاد محمد جاسم.
ص179	"جائحة كورونا وتأثيراتها على الحياة الاجتماعية والممارسات الثقافية للأفراد - حالة المجتمع الجزائري" د. عواطف عطيل لمواليدي د. وسيلة مناعي
ص198	أساليب وقيم الحوار الذكوري والأنثوي في ثقافة المجتمع الكويتي د. محمد طالب الكندري د. أحمد الهولي أ. د. يعقوب يوسف الكندري
ص228	القيم الاجتماعية والأخلاقية في القرآن د. كاهية باية
ص242	مصطلح "الارهاب" في القرآن الكريم روباش عزالدين (أستاذ محاضر ب)
ص254	الاستنباطات المنهجية عند مفسري الغرب الإسلامي: المنهاج العقلي أنموذجا الباحث طارق أبدار
ص282	دور الأنشطة الفنية في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر المربين - دراسة ميدانية بالمدارس الخاصة لأطفال ذوي اضطراب التوحد لولاية عين الدفلى - د. أمال مقدم د. فوزية مصباح

ص303	سيكولوجية السعادة، مدخل لفهم علم النفس الايجابي عبد الكريم الحدادي - طالب دكتوراه، واستاذ جامعي عرضي خديجة وادي- أستاذة جامعية
ص318	الحاجات النفسية والاجتماعية لطيف التوحد الدكتور محمود الخزاعي
ص334	التنمُّر المدرسي وعلاقته بالأمن النفسي لدى التلاميذ الطالب بوهلالة أحمد
ص351	علاقة أساليب المعاملة الوالدية بظهور السلوك العدواني لدى المراهق المتمدرس (دراسة ميدانية بمنطقة تمنراست) فاطمة صادقي أستاذ التعليم العالي رحمة صادقي أستاذ محاضر أ
ص370	قياس الاكتئاب التفاعلي لدى المصابين بفايروس كورونا أ.د. سالم نوري صادق أ.م.د. مروة سالم نوري
ص388	دراسة الفئوزيا البصرية للأشكال لدى الأطفال المتمدرسين المصابين بعسر القراءة طالبة دكتوراه بديعة حاج عبد الحفيظ طالبة دكتوراه سامية لعجالي طالبة دكتوراه هاجر بن عاصم
ص402	تجليات الغضب في الشعر الأندلسي قراءة في نماذج مختارة م.د. محمد كاظم عجيل
ص429	الساباطات ودورها الاجتماعي والأمني بقصور الحكام العثمانيين بمدينتي الجزائر وقسنطينة د.مكي حياة

ص451	التغلغل البريطاني في الصين حروب الافيون انموذجاً (1860 – 1939) أ.م.د كفاح جمعة وجر الساعدي
ص468	اشكالية الطائفة اليهودية في الدراسات الأكاديمية الجزائرية د/ يسمينة سعودي
ص487	مقارنة بين طبقات الشعب في النظام الساساني والحيري م. م. محمد سلمان حمود عوده الصافي
ص497	بيتيليانوس الاسقف الدوناتي د. سعيدة اويحي
ص521	دور غولدا مائير في سياسة إسرائيل تجاه أفريقيا (1956-1974) م.د علي رزاق ظاهر
ص552	لوكيوس أبوليوس أشهر مفكري العالم القديم د. يفصح نادية
ص564	نور الدين زنكي بين مبادرة التحرير واغتنام ضرب الصليبيين حارم أنموذجاً م.م. وميض خالد كافي فليح المدلج
ص576	دور إسماعيل أنور باشا السياسي والعسكري المؤثر في الدولة العثمانية (1904-1922 م) م.د. ساهرة حسين محمود
ص592	المحدث علي بن عبد الله المديني البصري (161هـ - 234هـ) أ.د. إبراهيم محمد علي مرجونة أ.م.د. مروان سالم نوري م.د. وئام عاصم أسماعيل

ص 617	تثمين التراث المادي بجهة بني ملال-خنيفرة (المغرب) ورهان تنمية الجاذبية السياحية؛ المشاهد الطبيعية بمدينة بني ملال نموذجا د. محمد الزبير د. ونورالدين طاهير
ص 654	المخاطر التي يعاني منها التراث الأثري في ولاية قالمة وآليات مواجهتها طالبة الدكتوراه نادية بوكوسي
ص 670	فنون الرسم الرقمي، واستراتيجيات تطويرها على المستوى التقني ووسائل الارتقاء بها تطبيقاً في الجامعات العربية دراسة توضيحية وتحليلية فنية موسعة د. ريهام كرم
ص 792	تصميم التجربة كروية للتسويق الحضري ميزة تنافسية بين مؤسسات صناعة "أثاث الشارع" الأستاذة إيمان بنت عبد اللطيف الصكلي

تمثيلات الطلبة تجاه العمل

باحث دائم، د. زواوي بن كروم

المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بهران، الجزائر

Benkerroum_z@yahoo.com

ملخص:

عاجت دراستنا نظرة وتمثيلات الطلبة بقسم علم الاجتماع لجامعة وهران من خلال معرفة المفاهيم التي تعطيها هذه الفئة لمصطلح العمل. أردنا تسليط الضوء على هذه الشريحة الاجتماعية كونها تمثل العمود الفقري لكل مجتمع، والجزائر مؤخرا تشهد تغيرات من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والتي تحتاج العالم برمتها، ويبقى الطلبة الجامعين عرضة لكل هذه التغيرات، وبحكم الطاقات الشبانية والكفاءات الموجودة على الصعيد المحلي فإن فئة الطلبة دائما تحاول جاهدة أن تفرض نفسها من خلال إمكاناتها المتاحة، كما تحاول اقتحام عالم الشغل كونه عملية حتمية لأجل بناء المستقبل والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي. إن الفئة المبحوثة تختلف من حيث كفاءاتها وهي معروفة بعدم الاستقرار والديناميكية في حياتها لأنها في مرحلة البناء، ونحن نريد معالجة تمثل الطلبة وتصوراتهم للعمل والمعاني التي يحملونها ويعطونها لهذا المصطلح، بحيث وضعت الدولة عدة برامج كي تمتص ظاهرة البطالة وادماج مختلف الشباب في عالم الشغل، وتعتبر فئة الشباب الجامعي من الرأسمال البشري الذي يجدر بنا استثماره في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: العمل، الاقتصاد، تمثيلات الطلاب.

Representations of students to work

Permanent researcher, Zouaoui BENKERROUM, National Center for Research in Social and Cultural Anthropology, CRASC, Oran. Algeria
Benkerroum_z@yahoo.com

Abstract:

Our study addressed the representations of students at the Department of Sociology of the University of Oran through knowing the concepts that this category gives to the term work. We wanted to study this social category as it represents the base for every society, and Algeria has recently witnessed changes in socio-economic terms that are sweeping the entire world, and university students remain vulnerable to all these changes, and by virtue of the youth energies and competencies that exist at the local level, the group of students is always trying hard to impose itself. Through its available capabilities, it also tries to break into the world of work as it is an inevitable process for building the future and social

and economic stability. The surveyed category differs in terms of its competencies and it is known for its instability and dynamism in its life because it is in the construction phase, and we want to address the students' representation and their perceptions of work and the meanings that they carry and give to this term, so that the state has put in place several programs to absorb the phenomenon of unemployment and integrate different youth into the world of work. The university youth category is considered a human capital that we can invest in society.

Keywords: Work, economy, student representations

مقدمة:

نعلم أن سوسيولوجيا العمل دائما تكون في تداخل مع علم الاقتصاد، والبطالة لكونها ظاهرة عالمية لا تقتصر على مجتمع واحد وإنما هي مشكلة عالمية تعاني منها جميع الدول، خاصة الدول النامية وأصبحت مؤخرا الدول التي نطلق عليها تسمية الدول المتقدمة " الرأسمالية الغربية" من غير مأمّن تجاه ظاهرة البطالة من خلال الأزمة الاقتصادية التي أصبحت تحتاحها، ونحن من خلال دراستنا حاولنا معرفة تمثيلات الطلبة لمصطلح العمل ومختلف التصورات التي يعطونها له من خلال ممارساتهم اليومية، حيث استخدمنا تقنية الاستمارة والمقابلة في معالجتنا موضوع الدراسة، وكما يعلم الجميع أن الطلبة الشباب يكونون دوما ضحية مختلف التغيرات التي يشهدها أي مجتمع، والجزائر ليست بمعزل عن العالم خاصة ومع انتشار تكنولوجيا الاعلام والاتصال والعولمة والتي جعلت من العالم قرية صغيرة، حيث قربت المسافات وألغت الحدود بين المجتمعات، هذا من جهة ومن جهة أخرى حاولنا أن نفهم هؤلاء الشبان والتقرب منهم، ومعرفة آرائهم وتمثلاتهم تجاه ما يحدث في المجتمع والأوضاع التي يمرون بها.

إنّ عدد الطلبة في تزايد مستمر بحيث يخضعون إلى منطق التكيف مع المحيط من خلال الدور الذي تقدمه الجامعة نظرا لطبيعة¹ الطلب الاجتماعي، والملاحظ أن تكلفة التعليم والتكوين تفوق المردودية التعليمية لأن أعداد كبيرة من المتخرجين الجامعيين يضافون إلى معدل البطالة.

وإنّ الدور المنتظر من الجامعة هو تكوين² إطار ذات كفاءات عالية ومتنوعة وبأعداد كبيرة، وفي ظروف متدهورة وطائرة كانت تفتح تخصصات وذلك حسب اتجاه وإرادة وثقافة الأساتذة ومسؤولي المعاهد والجامعات، وتبقى العلاقة بين الجامعة والمحيط يطبعها جانب من القطيعة، وإن أفراد النخب السياسية و البيروقراطية فإنهم من حيث الأغلبية يجهلون مجال علم الاجتماع من حيث الكفاءات والمهارات التكوينية

التي تكون عند خريجي معاهد علم الاجتماع، بل هناك من المسؤولين من لديهم تصوّرات سلبية عن علم الاجتماع والباحثين المختصين في علم الاجتماع، بحيث يصنفونهم بصانعي التوترات والفوضى التي تقع في المجتمع. ويبقى طلبة علم الاجتماع يجهلون ما يحيط بهم في المجتمع مثلهم مثل الأفراد الموجودين خارج التعليم العالي، لأن الجامعة تكتفي فقط بتوفير التكوين الضروري والقاعدي³ لأجل تكوين الطلبة وحتى يتسنى لهم تحليل الواقع المجتمعي، وتبقى الجامعة تجهل تماما إن صحّ التعبير طبيعة الطلب الاجتماعي. إنّ الأستاذ جمال غريد (عالم اجتماع جزائري) رأى بأن هناك صنفين من الطلبة في الجامعة الجزائرية⁴، الصنف الأول يتمثل في الطالب الكلاسيكي الذي لديه ثقافة مدنية ومتعلقة بالحدثة إلى جانب تحكمه باللغة الفرنسية، والصنف الثاني تمثّل في طالب الأغلبية الذي أصبح يتواجد خلال سنوات السبعينات، بحيث يكون معرّب اللغة ولديه إيديولوجية متباينة مع الصنف الأول حول موضوع المشروع المستقبلي للمجتمع الجزائري.

لقد شهد المجتمع الجزائري تحولات بنيوية عميقة من خلال إعادة البنية الاقتصادية والنظر في أساليب التنظيم لأجل بناء اقتصاد السوق، وبما أن الجزائر عرفت التعددية السياسية فإن الجامعة اليوم أصبحت تواجه التحديات المجتمعية خاصة من الهيمنة السياسية، الثقافية والإيديولوجية⁵، ولم تعد السلطة السياسية هي التي تحدد علاقة الجامعة بالمحيط كما كان في العهد السابق بحيث أصبحت علاقة تفاوض تسعى من خلالها الجامعة والمحيط إلى تامين الأدوار والموارد، لكن يتضح أن المعرفة والكفاءة التي يتحصل عليها الخريجون الجامعيون لا تحظى بالاعتراف الاجتماعي إلا من خلال تحقيق منفعة اجتماعية.

الجدول رقم (01): الجنس الخاص بالطلبة

المتغيرات	التكرار	النسبة المئوية
الذكور	78	35.8
الاناث	140	64.2
المجموع	218	100

نلاحظ في الجدول رقم (01) أنه قد مثلت نسبة الاناث حوالي 64.2 بالمائة من العينة المبحوثة ، بينما قدرت نسبة الذكور بـ 35.8 بالمائة في دراستنا الميدانية الخاصة بالطلبة الجامعيين في قسم علم الاجتماع.

الجدول رقم (02): شهادة التكوين المهني والجامعي

الطلبة المتحصلين على شهادات على مستوى التكوين المهني والجامعي	التكرار	النسبة %
نعم	56	25.7
لا	162	74.3
المجموع	218	100

يتبين لنا من خلال الجدول رقم (2) أن نسبة الطلبة التي لديها شهادات تمثل 25.7 % بينما تبقى نسبة 74.3 % دون شهادات، مما يدل على أن أغلب الفئة الطلابية المدروسة لا تتمتع بتكوين.

الجدول رقم (03): النشاط الخاص بالطلبة

المتغيرات	التكرار	النسبة %
النشاط	50	23,1
بدون نشاط	166	76,9
دون إجابة	2	/
المجموع	218	100

نلاحظ من خلال الجدول رقم (03) أن نسبة 23.1 بالمائة التي تكون في حالة نشاط وتبقى نسبة 76.9 بالمائة من غير نشاط مما يدل على أن أغلب الفئة الطلابية لا تدخل في سوق العمل.

I- معنى العمل: (أهمية العمل)

إنّ للعمل أهمية كبيرة في حياة الإنسان خاصة في مجتمعنا الجزائري الذي عرف خلال سنوات الثمانينات عدة أزمات منها الأزمة البترولية 1986، لأن الجزائر كانت تعتمد بدرجة كبيرة على الريع البترولي مما كانت صدمة كبيرة للدولة الجزائرية، حيث كانت الصادرات بنسبة 98 بالمائة إلى جانب أزمة 1988،

والأزمة الأمنية (العشرية السوداء) التي عاشتها البلاد حيث أثر جدا على الاقتصاد الوطني، مما نتج عنه قلة في مناصب العمل وكثرة الطلب عليها، وإفلاس الشركات، ومن ثم تسريح العمال. إنّ المنظمة العالمية للشغل تؤكد على العمل اللائق سواء كان عمل في قطاع رسمي أو غير رسمي وذلك بالاعتماد على أربعة مؤشرات:⁶

القدرة على الولوج للشغل، مؤشر الضمان الاجتماعي، الحماية الاجتماعية التي تكون على مستوى الأسرة خاصة من طرف الأب بمعنى شكل من أشكال التضامن، ومؤشر الحوار الاجتماعي لأجل حل النزاعات العمل وفق قانون التشريع الجزائري. إن موضوع العمل يثير ردود أفعال⁷ وخطابات متناقضة وخاصة على الصعيد السياسي.

إنّ العمل قبل أثناء وبعد المرحلة الكولونيالية كان موضوع تبادل، بمعنى موضوع للاقتصاد النقدي، لكن الفرق بين المعايير⁸ قد تكون عند أندري قورز الذي يفرق بين معنى العمل ضمن المنطق الاجتماعي وبين التحول الذي حدث لهذا المعنى في القرن التاسع عشر عندما استقل الاقتصاد عن المجتمع وأصبح موضوع للنزاع عند الباحثين.

يقول عددي: "العمل قبل الفترة الكولونيالية كان نشاط ذو غاية إنتاجية أكثر مما كان له وظيفة اجتماعية للاندماج داخل الجماعة، لكن مع التبادل النقدي بدأ العمل يأخذ معنى آخر... هذا ما يفسر البحث عن منصب عمل الدائم أو الموسمي في حقول الكولون أو في المدن... العمل ليس وظيفة اجتماعية بل هو بداية من هذه الفترة مصدر دخل الذي سيساهم في عدم تنظيم المجتمع التقليدي"⁹. إنّ كلفة إعادة إنتاج قوة العمل¹⁰ هو عبارة عن العلاقة التي تكون بين مدة تعلم الحرفة ووقت تطبيق ذلك في الميدان.

ويشير برنار كان قلوب Bernard GANGLOFF إلى دراسة حول الشباب قام بها باتستيلي Battistelli أودواري Odoardi¹¹ سنة 1997 حيث خلصت إلى أن المحفزات التي تكون عند الشباب الذي يبحث عن عمل تكون في الأصل مجسدة في مشروع مبني سابقا، بينما يبقى هدف دراسة برنارد الحالية هو ضبط العلاقة التي تكون بين التحفيز المرتبطة بالتكوين والمشروع المهني، وخلصت إلى ثلاث نقاط:

مشروع متعلق بالمسار المهني، معنى الفعالية المهنية و الميزات الضرورية للعمل.

فالمقابلات التي قمنا بها مع الطلبة المبحوثين أكدت لنا أن العمل جد ضروري في حياتنا اليومية، ففي مقابلة ميدانية، صرحت لنا طالبة 22 سنة " العمل دراهم، الجانب المادي، تكوّن معارف مع ناس لا تعرفهم، هذا بالنسبة للميدان الذي أتواجد فيه وهو تجارة، يكون لديك استقرار مادي".

وجاء في تصريح طالب (23 سنة) "العمل يعني لي حاجة كبيرة، كل شيء يأتي به، راحة البال، خاصة واحد خدام في إدارة، مهني، في آخر الشهر يتحصل على أجرة، لا يبالي بمشاكل الآخرين، وتصبح له قيمة لدى العائلة، تصبح عندك مكانة، ليس مثل الشخص البطال، الخدمة هي المفتاح لكل شيء خاصة في بلادنا"، وهناك من يرى العمل أنه عبادة بالدرجة الأولى، ثم بعد ذلك تحقيق الأهداف المسطرة مثلما جاء على لسان مبحوث (21 سنة) " العمل أولا عبادة، ثانيا لتكوين الفرد، ولتكوين حياتي الشخصية، الاستقرار، بدون عمل لا تحصل على شيء، تكوين أسرة، فرصة لتحقيق أهداف وطموحات التي يسطرها الواحد طوال حياته، مثلا"، كما يضيف لنا نفس المبحوث أن السلك العسكري هو الأضمن لبلوغ حياة أفضل، " أنا أحب العمل العسكري، هذا يسمح لي بالحصول على صلاحيات تكون غير متوفرة لدى الأفراد المدنيين، الدخول في السلك العسكري تتمتع بامتيازات: المسكن، الدواء 100 بالمائة، وتختصر الطريق للاستقرار بدل انتظار 4 سنوات أو 5 سنوات، يلم نفسه لأجل الزواج مثلا أو الحصول على المسكن". كما يؤكد لنا أنه السبيل الوحيد لدخول الحياة الزوجية، وهذا ما أكدته الطالبة (39 سنة) حسب تصريحها "العمل هو أولا يسمح للفرد بالزواج، لأنه حسب اعتقادي فإن المجتمع اليوم يهتم فقط بالمرأة التي لها وظيفة تكون لديها أولوية في الزواج، وهذا حلم كل امرأة"، بمعنى أن العمل يعطي فرصة كبيرة للمرأة كي تتزوج، لأن مجتمعا أصبح يعطي أهمية للمرأة العاملة، بل الأفضلية لأنها تساهم في النشاط الاقتصادي، وبالتالي زيادة عن العمل المنزلي الذي تقوم به المرأة، فإن لها دور في الاقتصاد الوطني.

خلال المسار الاقتصادي الوطني أصبح منصب العمل له أهمية قصوى سواء من جانب الشباب أو لأجل فعالية النشاط الاقتصادي، والعمل أصبح يمثل تقريبا وبالإجماع من طرف الطلبة أنه مصدر لتحقيق اكتفاء مادي، وهذا ما أكدته الطالبة (21 سنة) " العمل يعني لي الدراهم"، وكذلك مصدر لتحقيق استقلالية وبناء المستقبل، ومفتاح لتحقيق الأحلام ولتحقيق التوازن النفسي لدى الشباب، وهذا ما لمسناه من خلال المقابلات التي أجريناها، فحسب تصريح الطالب 19 سنة " الوظيفة تمثل الدراهم والمستقبل، وتحل الطريق لكل شيء، وهو مفتاح للشخص كي يحقق حلمه ويبنى حياته ". كما أكد لنا نفس الشيء

المبحوث (20 سنة) " الوظيفة معناها المال والاستقرار المادي، يستطيع الفرد التحرك وتتولد له راحة نفسية ويكون هادئ الطباع".

وكذلك الطالبة (23 سنة) " العمل هو الاستقلالية المادية، دراهمك، أقوم بكل ما يلزمي وأشتري ما يخصني".

وهناك من يراه فرصة لتحقيق الذات وإثبات النفس ومصدر لتحقيق مكانة اجتماعية في المجتمع والأسرة والمحيط ككل، وهذا حسب تصريح الطالبة (21 سنة) " بالعمل أفرض ذاتي بدراهمي تصبح لدي قيمة وتكون عندي هبة، لا أتكلم على واحد، وأيضا العمل يسمح لي بمعاونة عائلتنا التي أنفقت الكثير من أجل تربيتنا".

وكذلك الطالب (24 سنة) " العمل يعطيني قيمة في محيطي وهو وتحقيق لذاتي ومكانتي في العائلة، ويتولد لدي شعور بأن دراستي الجامعية التي قمت بها لم تذهب سدى".

II- سياسات العمل: ¹²

اعتمدت الدولة الجزائرية على عدة منظمات مؤسساتية لسوق العمل وهي:

- الوكالة الوطنية للتشغيل (ANEM).
- الصندوق الوطني لتأمين البطالين (CNAC).
- وكالة التطوير الاجتماعي (L'ADS).
- الوكالة الوطنية لحماية تشغيل الشباب (L'ANSEJ).
- الوكالة الوطنية لتسيير القروض المصغرة (L'ANGEM).

كانت هذه المؤسسات تنضوي في السابق تحت وزارة العمل والحماية الاجتماعية ووزارة الشغل والتضامن الاجتماعي، ثم أصبحت اليوم تحمل اسم وزارة العمل والتشغيل والضمان الاجتماعي. كانت تهدف الدولة من خلال هذه البنيات المؤسساتية إلى تسيير العلاقة بين العرض والطلب، مراقبة تسيير اليد العاملة وإدماج ذوي الشهادات في سوق العمل. بلغ حجم البطالة حسب تعريف المكتب الدولي للعمل 1449000 شخصا، وقدرت نسبتها بـ 11.4٪ على المستوى الوطني حسب الإحصائيات الرسمية لسنة 2019.

إنّ عدد الطلبة في تزايد مستمر بحيث يخضعون إلى منطق التكيف مع المحيط من خلال الدور الذي تقدمه الجامعة نظرا لطبيعة¹³ الطلب الاجتماعي، والملاحظ أن تكلفة التعليم والتكوين تفوق المردودية التعليمية لأن أعداد كبيرة من المتخرجين الجامعيين يضافون إلى معدل البطالة.

وإنّ الدور المنتظر من الجامعة هو تكوين¹⁴ إطارات ذو كفاءات عالية ومتنوعة وبأعداد كبيرة، وفي ظروف متدهورة وطائرة كانت تفتح تخصصات وذلك حسب اتجاه وإرادة وثقافة الأساتذة ومسؤولي المعاهد والجامعات، وتبقى العلاقة بين الجامعة والمحيط يطبعها جانب من القطيعة، وإن أفراد النخب السياسية و البيروقراطية فإنهم من حيث الأغلبية يجهلون مجال علم الاجتماع من حيث الكفاءات والمهارات التكوينية التي تكون عند خريجي معاهد علم الاجتماع، بل هناك من المسؤولين من لديهم تصوّرات سلبية عن علم الاجتماع والباحثين المختصين في علم الاجتماع، بحيث يصنفونهم بصانعي التوترات والفوضى التي تقع في المجتمع. ويبقى طلبة علم الاجتماع يجهلون ما يحيط بهم في المجتمع مثلهم مثل الأفراد الموجودين خارج التعليم العالي، لأن الجامعة تكتفي فقط بتوفير التكوين الضروري والقاعدي¹⁵ لأجل تكوين الطلبة وحتى يتسنى لهم تحليل الواقع المجتمعي، وتبقى الجامعة تجهل تماما إن صحّ التعبير طبيعة الطلب الاجتماعي.

الجامعة الجزائرية هي موجودة بين الاتجاه المعرفي والوظيفي، بحيث من ناحية نبحثها مطالبة بالبحث العلمي والمعرفي من خلال ترقّيته¹⁶، ومن ناحية ثانية استجابة الجامعة لاحتياجاتها الذاتية بالاستخدام العقلاني لمواردها المادية والبشرية بمعنى تقوم بخدمة المجتمع وتكوين إطارات وكفاءات والتي تساهم بدورها في النمو الاجتماعي والاقتصادي.

كما أن الجامعة في الجزائر كانت منتوج عن الطعم الغربي والذي كان الوحيد والقابل للاستمرار خلال القرن العشرين، وقد تمّ هذا طعم من خلال سياق السير المجتمعي وسير الدولة الوطنية، كما يعاب على جامعاتنا انعدام التكيف مع الطلب الاجتماعي، وعجزها على محاربة المحيط السوسيو-اقتصادي¹⁷ بالرغم من أنها عامل فعّال في المجتمع لأنها تسير وفق المخطط السياسي. ليست الجامعة الجزائرية الوحيدة والخاضعة للسلطة السياسية في العالم، بحكم أن مصدر تمويلها يكون من طرف الدولة، ولما تصبح الجامعة غير قادرة على الانتاج المعرفي¹⁸ فإنها تفقد هدفها الأساسي الذي يتمثل في تلقين المعرفة والبحث العلمي.

III- دور الدولة في توفير مناصب الشغل للشباب:

يرى بعض الطلبة المبحوثين أن هناك تقصير من جانب الدولة في توفير مناصب الشغل للشباب، بمعنى قلة وفرة مناصب الشغل يؤدي إلى كثرة البطالة خاصة لدى فئة ذات الشهادات، وهذا على مستوى المؤسسات العمومية، وجود شروط تعجيزية وحواجز للحصول على عمل مثلاً: الخبرة لا تقل عن 4 أو 5 سنوات، والوكالة الوطنية لتشغيل الشباب ليست بجل نهائي بالنسبة لخريجي الجامعات، فيجب تدارك الأمر من طرف مؤسسات الدولة.

ويضيف مبحوث آخر في تصريحه (23 سنة) "الدولة صرفت علينا منذ طفولتنا من الابتدائية إلى غاية الجامعة، لكن لما ننتهي من الدراسة ماذا سوف نفعل بعدها؟ فالوكالة الوطنية للتشغيل ليست نزيهة بما فيه الكفاية".

يوجد بعض المبحوثين من لهم نظرة إيجابية عن الدولة مثلما جاء في تصريح طالبة (22 سنة) "الدولة قامت بمجهودات مثلاً إعطاء القروض، أنا أعرف بعض الأشخاص أعطتهم الدولة قروض لأجل العمل وتكوين خبرة فقاموا بشراء قوارب صيد لأجل المحرة الغير الشرعية نحو أوروبا".
وتضيف مبحوثة (39 سنة) "الدولة قدمت تسهيلات في مجال الزراعة، وفيه استثمارات كبيرة لكن أغلب الشباب لا يريدون العمل في المجال الفلاحي".

ومن خلال هذه التصريحات نرى أن هناك اختلاف في الرؤى بين من هو مقتنع بالمجهودات التي قامت ومازالت تقوم بها الدولة، ومن يرى أن كل الإجراءات المتخذة قصد خلق مناصب عمل تبقى غير كافية وغير فعالة.

وتضاربت الآراء حول اسهام الدولة ودورها في توفير مناصب مناصب الشغل والتقليص من حجم البطالة في المجتمع، فهناك من يرى أن الدولة لها تقصير في ذلك وهذا ما لمسناه من تصريحات المبحوثين، مثلاً طالب (26 سنة) يقول "نحن الجامعيين نشعر بالتهميش من طرف الدولة". وكذلك صرّح المبحوث (25 سنة) "الاجراءات الخاصة بالعمل تبقى قليلة بالمقارنة مع اليد العاملة المتوفرة، خاصة نحن المتحصلين على شهادات نكون دوما ضحايا في عمليات التوظيف". ، وكذلك حسب تصريح المبحوثة (29 سنة) "ما قامت به الوكالات الوطنية للتشغيل يبقى ضئيل جدا جدا، مقارنة مع الامكانيات المتوفرة لديها والتي تستغلها فقط لنفسها، وتطالب بشروط مثالية لمنصب العمل، وبالنسبة لهذه الوكالات فهي حل مؤقت،

والمشكل سيفرض نفسه من جديد، الحل هو خلق مناصب عمل دائمة تكون أحسن وأفضل". وكذلك صرح طالب (30 سنة) " لما يفتح موقع الاعلان الخاص بالوظيف العمومي يعلنون مثلاً ثمانية مناصب عمل مقابل 200 مترشح، يعني لا توجد عدالة في توزيع المناصب، لا توجد جهود". وهناك من يرى أن الدولة لها مجهود ودور في توفير مناصب الشغل، إلا أنه يبقى متوسط وهذا حسب تصريح الطالبة (22 سنة) " الدولة قامت بعدة مجهودات لكن تبقى متوسطة مع الإجراءات الأخيرة حول تقديم القروض والتسهيلات".

وكذلك المبحوثة (24 سنة) صرحت " الوكالات والوظيف العمومي قام بمجهودات معتبرة من خلال الاعلان عن وظائف، لكن مازال هناك بعض من المحسوبة ونقص في الشفافية". ويبقى العامل المشترك بين هذه الشريحة¹⁹ هو السعي وراء الاستقرار سواء في الحياة الاجتماعية أو العملية ولأجل بلوغ مكانة معتبرة. ويتفق أفراد العينة المبحوثة على أنهم مازالوا يشعرون بالتيه نظراً لبعض القوانين التي تقيد وضعيتهم، ففئة الطلبة لها تمثل سلبية²⁰ وقدرت نسبته بـ 84.9% فيما يخص الإجراءات الواجب اتباعها من أجل التوظيف وما مدى مصداقيتها على مستوى المؤسسات، بينما بقيت نسبة 15.1% لها تمثل إيجابي نحو العمل. والطلبة الذين يتابعون دراساتهم يزاولون في الآن نفسه أعمالاً موازية لتلبية متطلباتهم، كما تطمح غالبية هذه الفئة للعمل حتى في حالة الاختيار²¹ وقدرت نسبتها بـ 70.1%.

الجدول رقم (04): السماع بكلمة ANEM²²

المتغيرات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	201	92.2
لا	17	7.8
المجموع	218	100

يتبين لنا من خلال الجدول رقم (04) أنه توجد نسبة قليلة من لا تسمع حتى بكلمة ANEM على مستوى الطلبة حيث قدرت بـ 7.8 بالمئة من الفئة المبحوثة، مما يدل على وجود بعض الأفراد الذين لا

يسمعون حتى بكلمة ANEM (الوكالة الوطنية للتشغيل)، بينما الأغلبية الساحقة من المبحوثين تسمع بكلمة ANEM وقد مثلت نسبة 92.2 بالمائة.

الجدول رقم (05): معرفة الوكالة الوطنية للتشغيل ANEM²³

المتغيرات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	172	78.9
لا	46	21.1
المجموع	218	100

يتضح من خلال الجدول رقم (05) أن نسبة كبيرة من الطلبة يعرفون الوكالة الوطنية للتشغيل حيث قدرت بـ 78.8 بالمائة، بينما قدرت نسبة الطلبة الذين لا يعرفون الوكالة بـ 21.1 بالمائة.

الجدول رقم (06): تمثيلات العمل عند الطلبة

المتغيرات	التكرار	النسبة المئوية
المستقبل	57	49.1
واجب، التزام	9	7.8
دعم اجتماعي	6	5.2
مكانة اجتماعية	8	6.9
الجهد	2	1.7
المتغيرات	التكرار	النسبة المئوية
النجاح	2	1.7
لا شيء	4	3.4
عبادة	8	6.9
مصدر للدخل	16	13.8
لا أعرف	1	0.9
الزواج	1	0.9

إسهام اجتماعي	1	0.9
الكرامة	1	0.9
دون إجابة	102	/
المجموع	116	100
	218	

-تابع للجدول رقم (6)

يتبين من خلال الجدول رقم (06) أن نسبة 49.1 بالمائة من الطلبة²⁴ التي تعتبر أن العمل يمثل المستقبل، بينما نسبة قليلة منهم اعتبرت أن العمل هو مصدر للكرامة حيث قدرت بـ 0.9 بالمائة، وقدرت نسبة المبحوثين الذين اعتبروا أن العمل هو مصدر للدخل بـ 13.8 بالمائة، كما اعتبرت نسبة 7.8 بالمائة من هذه العينة أن العمل هو واجب والتزام، واعتبرت نسبة 6.9 بالمائة من هذه الفئة أن العمل يمثل العبادة والمكانة الاجتماعية وتنخفض النسبة عند الذين يعتبرون أن العمل هو دعم اجتماعي. كما نلاحظ أن عامل النجاح والجهد يتساوون عند الطلبة، بينما نجد تقارب في التمثلات بين عامل الواجب وعامل العبادة، ويبقى كل من عامل الاسهام الاجتماعي وعامل الكرامة وأيضاً عامل الزواج منخفض وفي نفس درجة التمثل لدى الطلبة، حيث حظيت هذه العوامل بفئة قليلة منهم.

الجدول رقم (07): اختيار العمل

المتغيرات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	82	70.1
لا	35	29.9
دون إجابة	101	/
المجموع	117	100
	218	

يتضح من خلال الجدول رقم (07) أن أغلب الطلبة يطمحون للعمل حيث مثلت نسبة 70.1 بالمائة من الذين يريدون مواصلة العمل حتى لو كان لديهم الاختيار، بينما تبقى نسبة 29.9 بالمائة من فئة الطلبة التي لا تريد العمل في حالة وجود الاختيار أو إن كان لديها بديل من خلال الجانب الاجتماعي²⁵.

IV- الهجرة خارج الوطن:

تصرّح لنا الطالبة (39 سنة) " لما يهجر المتخرجين بلادهم سوف لا يعملون مباشرة في تخصصاتهم لأنّها الغربة، ربما فيما بعد يتحصلون على وظائف تليق بشهادتهم"، وأضافت نفس المبحوثة أن العمل في الخارج يكون من أجل اقتناء التجربة، والرجوع للبلاد يكون أفضل من المكوث خارج الوطن لأنّ الجزائر علّمت أبنائها. وتضيف طالبة (22 سنة) " أنا ضد الهجرة خارج الوطن"، أنا رحت ورئيت الوضعية الصعبة التي يعيشها المهاجرين"، وبالتالي تطرح قضية المواطنة والتي هي امتلاك صفة المواطن المساهم، المتمتع بمجموع الحقوق المدنية ضمن مجتمع سياسي، فهي هيكليا ذات طابع قانوني تؤسس للفرد الحر المستقل العضو في الدولة (الدولة بالدلالة الحديثة)، لكن وبحكم طابعها الديناميكي لم تبقى في حدود المنطق القانوني، بل تجاوزته لتتخذ أبعادا حيوية سياسية، ثقافية، اجتماعية، إيديولوجية ورمزية، إنّها ارتباطا بهذه الحيوية تدل على انتماء، مكانة وتمتع في فضاء الحريات، باختصار أنّها تعبر عن ولادة الفرد الحر، المستقل وبدون تمييز، إنّها منتوج تاريخي غير مكتمل الانجاز (وفق تصورات هيرماس) فهو في سيرة التحقق يجد نفسه في ديمومة التحوّل. وهناك بعض المستجوبين من لديهم نظرة إيجابية عن الهجرة. وصرّح لنا طالب (23 سنة) " الهجرة هي الحل لأجل بناء المستقبل أفضل من انتظار الوعود التي لا تتحقق". أما البعض الآخر يرى أنه يجب بدل قصارى الجهود لأجل بلوغ غاية أفضل مثلما جاء في تصريح مبحوث (21 سنة) " أنا ضد الهجرة الغير شرعية، يجب توفير طاقاتنا وامكانياتنا لخدمة البلاد". كما يرى هذا الشاب أنه يجب القيام بكل المحاولات حسب قوله.

واجتمعت الآراء على أن الفئة المبحوثة تحاول إيجاد حل للأزمة التي يتخبط فيها الشباب نتيجة لنقص اهتمام الدولة بجانب البحث العلمي، والتهميش والبطالة التي يعاني منها الشباب والذي هو العمود الفقري لقوام المجتمع، وهذا حسب تصريح طالب (30 سنة) " الشباب الذين ذهبوا إلى خارج الوطن عندهم الحق، البحث العلمي آخر حاجة تفكر فيها البلاد، الواحد يروح لكي يطور علمه ربما يسعفنا الحظ في بلاد الغربة".

وحسب تصريح المبحوث (23 سنة) " تبقى الهجرة هي الحل السريع لكي يكون الفرد نفسه، لأن الطالب لم تبقى له قيمة في بلاده". وكذلك تصريح الطالبة (22 سنة) " الطلاب لم يجدوا الامكانيات والتسهيلات في البلاد، حتمية الظروف هي التي تدفعهم للهجرة وليس حبا في الغربة". وصرح طالب (32) سنة " دائما أصحاب الشهادات الجامعية يكونون ضحية المجتمع".

وهناك من يرى أن الهجرة ليست حل إلا في حالة اتمام الدراسة، والاستقرار بالخارج خيار مستبعد، فالهجرة لأجل اكتساب تجربة ومستوى عالي من التعليم والدراسة والعودة لاستثمار هذه الجهود لنفع البلاد و تنميتها، وهذا ما جاء في تصريح المبحوث (24 سنة) " أنا ضد هذه فكرة الهجرة إلا في حالة اتمام الدراسات العليا لأجل المساهمة في تطوير البلاد و نكون فعالين، لأنه واجب علينا، حيث استفدنا من مجانية التعليم، تبقى بلادنا أرحم من الخارج، وفي الدول الغربية يرى البعض منها أن عامل الهجرة يزيد من حدة البطالة فيها". وتضيف طالبة 23 سنة " الهجرة هي التي تساهم في تدهور البلاد".

V- التطلعات المستقبلية:

هناك من هو متفائل حسب تصريح الطالب (20 سنة) " أنا متفائل بالخير، مشاريع المستقبلية عادي كأني واحد لا أعيش بالغي بل متوسط أريد الحصول على منصب عمل وأكون أسرة، ، ثم فيما بعد إن سمحت لي الفرصة أسافر إلى الخارج لقضاء العطلة سواء في تونس أو المغرب". وصرحت طالبة (22 سنة) " هذا العام المشاريع إن شاء الله، نتخرج ومن بعد الخدمة وكل شيء بالمكتوب". وتضيف طالبة (31 سنة) " ربي يسهل الأمور إن شاء الله أتمم دراستي في الماستر وإذا جاءتني فرصة لأجل الزواج لا أضيعها، لأن هدي هو تكوين أسرة". نرى أن هؤلاء الشباب متفائلين بمستقبلهم لكن هناك من يرى العكس حيث يقول مبحوث (23 سنة) "أنا لا أرى المستقبل"، ويبقى المستقبل بالنسبة لهذا الطالب غامض.

VI- المشاريع المستقبلية للطلبة:

إن أغلبية الطلبة حصروا مشاريعهم المستقبلية في العمل وإتمام الدراسات ما بعد التدرج أو الاستقرار أي الزواج، وعلى سبيل المثال تصريح المبحوث (21 سنة) " الانسان يضع خطط مستقبلية وربما تصطدم بالأحلام، العمل والزواج ليسا بمحال"، وتصرح لنا طالبة (22 سنة) " الخدمة الخدمة الخدمة، إنشاء

الله"، وحسب المبحوث (23 سنة) "مستقبلي عبارة عن ملتقى الطرق، فيه طريقان، الأول العمل والثاني أتم دراستي، والزواج يأتي مع الوقت"، وكذلك صرّحت لنا طالبة (20 سنة) "أنهي دراستي ثم الاندماج في سوق العمل". وهناك من رأى الهجرة أنها حلم، والمشاريع المستقبلية حسب تعبير طالب (21 سنة) "الهجرة نحو الخارج". ومن خلال هذه العبارة التي جاءت على لسان المبحوث فإن بعض الطلبة يشعرون باليأس من الوضع الاجتماعي الذين يعيشونه، مما يحاولون إيجاد حلول من خلال الهجرة لأجل بناء مستقبلهم على حد تعبيرهم، ويبقى المستقبل عند فئة الطلبة مرتبط بالعمل والذي يعتبر عنصر مهم في الحياة المجتمعية.

بالنسبة للطلبة²⁶ تبقى رؤيتهم متشائمة بسبب الكيفيات التي تجرى بها مسابقات التوظيف. وهم يتساءلون عن ما مدى مصداقية ونزاهة التوظيف على مستوى المؤسسات، ما يخلق لديهم تمثّل سلبي اتجاه سياسة الدولة الرامية إلى إدراجهم في عالم الشغل.

فمصطلح الشباب²⁷ يترجم على مستويين الأول يكون في البناء المعنوي من خلال أحلام الشباب والثاني يكون في مشروع مجسد في الواقع مرتبط بالتطلعات الشبانية.

وما توصلنا إليه يكمن في أن أفراد العينة لا ينكرون المجهودات التي قامت بها الدولة منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، منها مجانية التعليم التي سمحت برفع المستوى التعليمي والالتحاق بالجامعة. كما قامت الجزائر بتوطيد البنيات التحتية بفضل مشاريع التنمية والتي أدت إلى استيعاب عدد هائل من الطلبة. وأصبحت البلاد زاخرة بهم تضم إطارات المستقبل المعول عليها من أجل بلوغ تقدم مجتمعي على جميع الأصعدة، ما يبرر اليوم إنشاء جامعات ومراكز جامعية في جميع الولايات. وتبيّن لنا في بحثنا أنّ العمل يبقى مطلباً أساسياً بل إجبارياً في الحياة المجتمعية عند المبحوثين، وهو يعتبر حقاً من الحقوق.

فإن الجوهري في نظرهم كامن في البحث عن الاستقرار وتحقيق الذات. ويظهر لنا هنا أن العمل يعطيهم هبة ومكانة تمكنهم من إثبات ذواتهم. وأجمع جلّ المبحوثين أنّ العمل يبقى مهماً، وهو بالنسبة للفئة الطلابية أساسي في حياتها لأجل بناء المستقبل ومنهم من يعتبره عبادة بالدرجة الأولى. وفيما يخص ترتيب الأولويات دائماً عند فئة الطلبة نجد الأسرة في الدرجة الأولى بنسبة 76.1 % نظراً لأهميتها الكبيرة في الوسط المجتمعي، والعمل في الدرجة الثانية وقدرت أهميته بـ 18.8 %، واحتل الزواج المرتبة الثالثة وقدر

بنسبة 3.7 بالمائة، وبقي المسكن في المرتبة الأخيرة وقدر بنسبة 1.4 بالمائة، مما يدل على أنّ الرابط العائلي مازال يحظى بمكانة جدّ مهمة في حياة الطلبة الجامعيين. وبالنسبة للذين يتعاملون مع الوكالة الوطنية للتشغيل، فقد تردد أغلبهم أكثر من مرة على الوكالة قصد الحصول على مناصب شغل فهم يعتبرونها هيئة مهمة تسهل الاندماج في عالم الشغل. وتحاول الفئة الشبانية جاهدة بسط هويتها وذاتها على الصعيد الاجتماعي، لما لها من أفكار وتمثلات اتجه الحياة التي نحن نعيشها.

خلاصة:

من خلال دراستنا لفئة الطلبة الجامعيين أنهم يقومون بأعمال موازية وهذا خارج أوقات الدراسة، وهناك البعض من الطلبة من تتكفل أسرهم بهم وهذا من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، ويعتبر أفراد عينة البحث أن العمل يبقى جدّ ضروري بل أساسي في الحياة اليومية من أجل المكانة الاجتماعية وبناء المستقبل، بناء علاقات مع أفراد، وهناك من الطلبة من يعتبر العمل على أنه عبادة بالدرجة الأولى، ثم تحقيق الأهداف المسطرة لأجل بناء الحياة المجتمعية للفرد، ويعتبر أغلب الطلبة أن العمل يمثل مصدرا للاكتفاء الذاتي، كما تؤكد لنا العينة المبحوثة أن العمل هو بمثابة المستقبل، لكن من خلال دراستنا الميدانية تبين لنا أن أغلب الطلبة لهم تمثل سلبي نحو العمل وهذا في إطار الاجراءات التي تتم فيها عملية التوظيف، وبالرغم من هذا التمثل إلا أن غالبية الطلبة يعتبرون أن الرباط الأسري يكون في الدرجة الأولى، من خلال تمثلاتهم ثم يليه بعد ذلك العمل والذي يكون في الدرجة الثانية، مما يدل على أن الطالب الجزائري مازال يعتبر المجال الأسري أنه عامل ضروري وأساسي في حياته المجتمعية.

أصبح التعليم العالي العمود الفقري في كل الاستراتيجيات والسياسات التي تتبعها مختلف الدول وهذا لأجل بلوغ مجتمع المعرفة والاقتصاد من خلال الاسهام في التنمية والاستثمار في الذكاء، بحيث حل الدراسات العلمية تثبت بأن التعليم العالي يساهم بدرجة كبيرة في النمو الاقتصادي للمجتمعات، من خلال ثلاث اتجاهات رئيسية وهي تكوين رأسمال بشري يتكيف ويستجيب مع متطلبات وحاجيات المجتمع، الاتجاه الثاني وهو البحث عن معارف جديدة لأجل تطور ورفي المجتمع، اتجاه ثالث تكمن في مدى القدرة على الولوج إلى المعارف ومختلف العلوم وتكييفها مع واقع المجتمع²⁸.

العمل ظاهرة تاريخية اجتماعية، هو شيء فطري، وهو أساس الحضارات والتقدم والرفق، ونحن في ديننا نعتبره عبادة وطاعة الله. فالعمل في مفهومه الواسع يهدف لخلق ثروة وتحقيق المنفعة العامة للمجتمعات. العمل هو تحقيق الذات وفرض الاعتراف الاجتماعي للفرد وسط جماعته ومحيطه، حيث انتقل العمل اليوم من تلبية الحاجات الأساسية إلى الحفاظ على المكانة والتقدير، العمل هو التزام أخلاقي وأساس الحضارة لأنه يعتبر قيمة في حد ذاته، فهو رمز للشرف ويساعد على الاندماج الاجتماعي. العمل مرتبط بالكفاءة والقدرة ويحقق الاستقلالية والفردية كما له وظيفة اقتصادية، نفسية، اجتماعية، وفي الأخير وبالعامل يعي الإنسان ذاته ويعي غيره.

الهوامش:

- ¹ عنصر العياشي، أي غدا لعلم الاجتماع، منشورات الكراسك 1998، ص 13.
- ² عنصر العياشي، نفس المرجع السابق، ص 14.
- ³ نفس المرجع السابق، ص 15-16.
- ⁴ مختار مروفيل، أطروحة دكتوراه حول الأحياء الجامعية، الفضاءات، المؤسسات، والممارسات، تحت إشراف الأستاذ الجنيد حجيج، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران 2012، ص 53-54.
- ⁵ عنصر العياشي، أي غدا لعلم الاجتماع، منشورات CRASC 1998، ص 12.
- ⁶ محمد صايب ميزات، (2012) مختص في علم الاجتماع، مركز البحث في الاقتصاد التطبيقي من أجل التنمية (CREAD)، الجزائر العاصمة، بانوراما سوق العمل في الجزائر: اتجاهات حديثة وتحديات جديدة، ترجمة فؤاد نوار، مجلة إنسانيات، العدد 55-56، ص 44.
- ⁷ Pierre Boisard, le nouvel age du travail, imprimé en France par CPI Bussière à Saint-Amand-Montrond, dépôt légal février 2009, page 69.
- ⁸ نوار فؤاد، أطروحة دكتوراه، المؤسسة في أزمة والثقافة العمالية، دراسة أنثروبولوجية حول العمال المسرّحين من ENTPL (1995-2000) وحول المستخدمين الحاليين في TREFILOR، تحت إشراف الأستاذ حسن رمعون، 2011-2012، ص 70.
- ⁹ هوارى عدي، السوسيولوجيا و الأنثروبولوجيا عند بيير بورديو، أحيل إليه من طرف فؤاد نوار، نفس المرجع السابق ص 70.
- ¹⁰ Ali El Kenz : entrepreneurs, entreprise, histoires d'une idée, textes choisis, presse universitaire de France, page 152.

¹¹ Sous la direction de Bernard GANGLOFF, Satisfaction et souffrances au travail, l'Harmattan Montréal, 2000 page 18-19.

¹² مولاي الحاج مراد، مشروع بحث حول الشباب والمجتمع في الجزائر: واقع وممارسات، تحت إشراف الأستاذ مولاي الحاج مراد، CRASC، 2007.

¹³ عنصر العياشي، نفس المرجع السابق، ص 13.

¹⁴ نفسه، ص 14.

¹⁵ نفسه، ص 15-16.

¹⁶ بن عيسى علّال، الجامعة الجزائرية في ظل التحولات السياسية والاقتصادية الوطنية والدولية، مجلة البحوث والدراسات الانسانية، عدد 3 جوان 2008، ص 115.

¹⁷ حسن رمعون، الجامعة نتاجا للتاريخ ورهانا مؤسساتيا حالة الجزائر والعالم العربي، إنسانيات عدد 6، سبتمبر-ديسمبر 1996، ص 51.

¹⁸ حسن رمعون، نفس المرجع السابق، ص 60-61.

¹⁹ أصبح العمل بمثابة مشكلة مستعصية تواجه الشباب والذين يعتبرون من بين الفاعلين الاجتماعيين في كل مجتمع، وهذه الفئة تحب الاكتشاف ومعرفة كل ما هو جديد والتطلع نحو المستقبل من خلال الفعالية والديناميكية التي تتسم بها، فشباب اليوم ليسوا شباب الماضي، إنما تبقى الظروف والأحداث التي يتواجد فيها جيل الشباب أكبر منهم لأنهم في مرحلة البناء.

²⁰ نقصد بالتمثل الإيجابي للعمل أن عملية التوظيف وكيفية الحصول على المناصب تتم بطريقة قانونية وحسب الكفاءات والمؤهلات، بينما نقصد بالتمثل السلبي للعمل أنه لا توجد شفافية في التوظيف وفي الحصول على مناصب العمل.

²¹ نقصد بحالة الاختيار وجود مورد آخر غير العمل مثل امتلاك عقار ذو طابع تجاري.

²² نقصد بسماع كلمة ANEM أن الطلبة لم يتعاملوا مسبقا مع هذه الكلمة في حياتهم اليومية، كما أنها لا تعني لهم شيئا.

²³ نقصد بكلمة معرفة ANEM الأفراد الذين يعرفون وكالة التشغيل من خلال تعاملهم معها لأجل الدخول في سوق العمل، بمعنى قاموا بزيارات متعددة إلى الوكالة لغرض العمل، أو لأجل اتمام ملف التشغيل، أو حتى الحصول على معلومات متعلقة بالوكالة.

²⁴ إن عدد الطلبة في تزايد مستمر لأنهم يخضعون إلى منطق التكييف مع المحيط من خلال الدور الذي تقدمه الجامعة نظرا لطبيعة الطلب الاجتماعي، بحيث تبقى تكلفة التكوين والتعليم تفوق المردودية التعليمية مما تضيق أعداد كبيرة من المتخرجين إلى معدل البطالة، وتبقى العلاقة بين الجامعة والمحيط يطبعها جانب من القطيعة: أنظر عنصر العياشي (1998)، أي غد لعلم الاجتماع، منشورات CRASC.

²⁵ نقصد بالاختيار أو البديل الدعم الأسري الذي قد يحظى به الطالب بمختلف أشكاله (مادي ومعنوي).

²⁶ إن شريحة الشباب كونها القوة الفاعلة في المجتمع الجزائري، فإنها تطمح لمستقبل أفضل بواسطة ولوج عالم الشغل وإبراز الكفاءات واقتناء التجارب. الفئة المبحوثة سواء الشباب دون المستوى الجامعي أو الشباب ذوي المستوى الجامعي لديهم الإرادة والمسؤولية، سواء في الوسط الأسري أو في المحيط الخارجي. نجد ذلك بالخصوص عند الطلبة الذين يزاولون دراساتهم الجامعية ساعين لإتمامها وبالتالي الالتحاق بالحياة العملية. وفي بعض الحالات يرغبون في الهجرة نظرا للظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة.

²⁷ Voir Karim Salhi (2012), entre un avenir de rêves et un futur rêvé : l'ambivalence des jeunes dans l'élaboration de leurs projets d'avenir, insaniyat n 55-56.

²⁸ عبد الكريم بن أعراب، أستاذ التعليم العالي، خبير استشاري دولي، جامعة قسنطينة، منشورات مجلس الأمة، التكوين والتشغيل في الجزائر، 2011، ص 35.

قائمة لأهم المراجع:

- 1- البدو، عبد الهادي. (2009). علم الاجتماع الصناعي. ط1. دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
- 2- إحسان، محسن الحسن. (2005). علم الاجتماع الاقتصادي. ط1. دار وائل للنشر. عمان، الأردن.
- 3- الساعاتي، سامية. (2003). الشباب العربي والتغير الاجتماعي الدار. ط1. المصرية اللبنانية.
- 4- العياشي، عنصر. (1998). أيّ غد لعلم الاجتماع. منشورات CRASC.
- 5- بنغبريط، نورية رمعون، ومحمد آكلي حديبي، ترجمة صورية مولوجي، قروحي. (2012). "الشباب بين الحياة اليومية والبحث عن الهوية". مجلة إنسانيات عدد 55-56.
- 6- بوشلوش، طاهر محمد. (2008). التحولات الاجتماعية والاقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائري (1967-1999). ط1. دار بن مرابط للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 7- جمال الدين الفقي، رفعت. (2008). علم الاقتصاد الأسس والمبادئ. دار الكتاب الحديث. القاهرة.
- 8- جودت سعيد. (1984). العمل قدرة وإرادة. ط2. مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري، دمشق.
- 9- حجازي، عزت (1990). الشباب العربي ومشكلاته. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- 10- صايب ميزات، محمد. (2012). "بانوراما سوق العمل في الجزائر: اتجاهات حديثة وتحديات جديدة". ترجمة فؤاد نوار. مجلة إنسانيات، العدد 55-56.
- 11- موسوعة علم الاجتماع. (2010). مفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة العامة. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.
- 12- مولاي الحاج، مراد. (2005). إشكالية القيادة والإشراف في المؤسسة الجزائرية في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية. دفتر المركز CRASC رقم 12.

- 13- راجعي، مصطفى. (2001). الشباب، الإسلام و القروض البنكية. إنسانيات عدد 14-15.
- 14- رادي، نور الدين. (2007-2008). "التكوين المهني في الجزائر وعلاقته بالاندماج في عالم الشغل"، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، الجزائر.
- 15- عزي، فريد (2008). "الشباب والقيم"، أطروحة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر.
- 16- لقجع، عبد القادر (1997) "العامل غير الرسمي". مجلة إنسانيات، العدد رقم 1.
- 17- نّوار، فؤاد. (2011-2012). "المؤسسة في أزمة والثقافة العمّالية دراسة أنثروبولوجية حول العمال المسرحين من ENTPL (1995-2000) وحول المستخدمين الحاليين في تريفيلور TREFILOR، أطروحة دكتوراه علوم. جامعة وهران، الجزائر.

المراجع باللغة الفرنسية:

- 1- Boisard, Pierre. (2009). Le nouvel âge du travail, imprimé en France par CPI Bussièrès à Saint-Amand-Montrond, dépôt légal février.
- 2- Boukhobza, M'hammed. (1989). Ruptures et transformations sociales en Algérie, volume 2, Publications Universitaires Alger.
- 3- BOURDIEU, Pierre. (1984-2002). question de sociologie. Les éditions de MINUIT, Paris.
- 4- Clot, Yves. (2012). Travail : l'adaptation au-delà de l'adaptation. Sous la coordination de Cyril Tarquinio et Elisabeth Spitz, imprimé en Belgique 1^{ère} édition.
- 5- Conseil National Economique et Social. (2002). rapport pour une politique de développement de la PME en Algérie. Édition CNES.
- 6- De Terssac, Gilbert, Corinne Saint-Martin et claire Thébault. (2008). La précarité : une relation entre travail, organisation et santé. OCTARES édition, 1^{ère} édition, Toulouse, France.
- 7- Dictionnaire de sociologie (1999). Sous la direction de André AKOUN et Pierre ANSART, le ROBERT/Seuil. France.
- 8- Erhel, Christinne. (2014). La politique d'emploi. Presse Universitaire de France.
- 9- GALLAND, Olivier. (1997). Sociologie de la jeunesse. Armand Colin/Masson, Paris.
- 10- Gorz, André. (2004). Métamorphoses du travail critique de la raison économique. Gallimard, France.
- 11- GUERID, Djamel. (1998). "L'université entre l'Etat et société". Edition CRASC, Algérie.
- 12- Rouban, Luc (2008). "La fonction publique". Édition la découverte Paris. 3^{ème} édition. Revue de sociologie du travail, octobre- décembre, vol 50-n4.

- 13- Taylor. W. Frederic, Amar, Belot, Lahy. (2003). Organisation du travail et économie des entreprises, textes choisis et présentés par François Vatin, les éditions d'organisation, Paris.
- 14- Thompson. P. Edward. (2004). Temps, discipline du travail et capitalisme industriel. La fabrique. édition France.
- 15- Vatin, François. (2008). Le travail et ses valeurs. Édition Albin Michel, Paris. France.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02. بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الراسمال الاجتماعي والمقاولة المغربية

خالد المكدودي

جامعة محمد الخامس أكادال الرباط

khalid.elmekkoudi@gmail.com

الملخص بالعربية:

إن العديد من الباحثين السوسيوولوجيين يعتبرون أن المقاولة كتنظيم لا يمكن تصورها بمعزل عن المحيط الذي تتشكل منه وتعيش داخله، هكذا فإن المقاولة بصفة عامة تواجه تحديا كبيرا، وهذا التحدي يضعها أمام مجموعة من الرهانات التي تجبرها على مواكبة التطور السريع الذي يعرفه الاقتصاد العالمي في إطار ظاهرة العولمة الذي أثر على العلاقات الاجتماعية بشكل كبير، هذا التطور السريع لا يترك أمام المقاولة أي خيار سوى ضرورة التكيف مع الواقع الجديد. الكلمات المفتاحية: الراسمال الاجتماعي، المقاولة-التنظيم

CAPITAL SOCIAL AND ENTREPRISE OF MOROCCO
KHALID ELMEKKOUDI
MOHAMED V UNIVERSITY IN RABAT FACULTY OF LETTERS
AND SCIENCES
khalid.elmekkoudi@gmail.com

Abstract:

SOCIAL CAPITAL IS KNOWN AS A NEW TERM IN SOCIAL SCIENCES, WE CAN SAY THAT MANY CONCEPTS REPLACE IT OR USED IN THE SAME GOAL. MANY ENTERPRISES DEPEND ON IT TO SOLVE MANY SOCIAL PROBLEMS

Keywords: SOCIAL CAPITAL – ENTREPRISE - ORGANISATION

مقدمة

للمقاولة المغربية أسسا تاريخية وسوسيوثقافية قامت عليها للوصول إلى ما هي عليه الآن، وما نراه حاليا من إصلاحات اقتصادية متسارعة ما هي إلا أحد الخصائص البارزة التي تنم عن الحراك المقاوالاتي المغربي الذي يتطور من حسن إلى أحسن خاصة مع بداية الألفية الثالثة. و حسب إيف لاكوسط إن

مغرب القرن التاسع عشر ما هو إلا امتداد واستمرار لمغرب القرنين الثالث عشر والرابع عشر، والذين توفى ابن خلدون في تحليلهما بتدقيق وتفصيل¹، حيث نجد أن مغرب القرنين الثالث عشر والرابع عشر كان مجتمعا قريبا وكان نشاطه الاقتصادي يقتصر على الرعي وبعض الأشكال البدائية من النشاط الفلاحي، ونظرا إلى قلة الموارد الاقتصادية مقارنة بالحاجيات، فإن القبائل كانت مرغمة على الدخول في سلسلة من الحروب لضبط وحماية المواقع المائية والمراعي الضرورية لعيشها واستمرارها².

في هذه الفترة كانت طبقة التجار السائدة والمتحكمة في زمام الأمور، لكن هذه الأخيرة كان يلفها الالتباس والغموض على امتداد تاريخ المغرب وإلى غاية أواخر القرن التاسع عشر، حيث كان من الصعب التمييز بين التجار الذين يتخذون من التجارة وظيفتهم الأساس، والتجار الموسمين أو اللذين يزاوجون بين التجارة وأنشطة أخرى، كالقرويين الذين كانوا يبيعون منتجاتهم بأنفسهم، والتجار الذين كانوا يستثمرون أموالهم في الزراعة، والمخزن الذي كان يفرض تدخلاته بوصفه فاعلا اقتصاديا.

والحاصل أنه بسبب الطابع التقليدي العام للمجتمع وطبيعة التعليم العائلية، وتكريس الأدوار الاجتماعية، تبرز إلى السطح، في ظل إجماع فكري كهذا توجهات وآفاق معينة وثيقة الصلة بالموث³، دون أن نغفل أن الحكام في الفترة الوسيطة لم يكن لهم الوعي الكافي بأهمية وقيمة هذه الفئة 'التجار' و الأدوار التي يمكن أن تلعبها ليس فقط في مجال تنشيط الحركة الاقتصادية بل يمكن استثمارها كذلك في مجال السياسة والثقافة، وخير دليل على هذا هو جعلهم لهذه الفئة كبقرة حلوب، خدمتها تتجلى في توفير السلع الكمالية التي تحتاجها الطبقة الحاكمة وتصريفها في حياة البذخ وعوائد الترف التي تميزت بها هذه الطبقة في تاريخ المغرب، فضلا عن ابتزازها كلما كانوا في حاجة إلى تمويل 'حركاتهم'⁴ وعملياتهم العسكرية خاصة ما يسمى 'بالحركة' آنذاك.

¹ - أفاية نور الدين، ادريس الكراوي، النخبة الاقتصادية المغربية، دراسة حول الجيل الجديد من المقاولين، تر، ع الهادي الادريسي، جمعية البحث في التواصل ما بين الثقافات، ط1، 2011.

² نفس المرجع، 21-22

³ - امعمري لحبيب، المقولة والثقافة، دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، كلية الآداب ظهر المهراز، 2006-2007.

⁴ - الحركة يقصد بها تلك الخرجات العسكرية التي كان يقوم بها السلطان لرد القبائل النائرة و تركيعها، أي تلك التي تكون خارج سيطرته و كانت تعرف هذه القبائل بعدم تقديمها للمكوس و الزكاة.

و في هذا الصدد نقف عند تعريف لاكوسط لهم حيث وصفهم بأنهم "لا يشكلون طبقة بورجوازية، و إنما يشكلون أرستقراطية تاجرة، وثيقة الارتباط بالأرستقراطية القبلية أو العسكرية"⁵. إذن ابتداء من القرن التاسع عشر بدأت تتغير الظروف والشروط التي اعتمدها ابن خلدون في تحليل مجتمع القرن الثالث عشر والرابع عشر، حيث ظهرت معطيات جديدة سواء على المستوى الداخلي حيث ظهرت تغيرات داخلية نتيجة الحراك الاجتماعي المرتبط بالعصبية القبلية كما سماها ابن خلدون أو تغيرات خارجية، حيث بدأت الإرهاصات الخفية والمضمرة التي تشير إلى بداية أفول الحضارة العربية الإسلامية وطردها المسلمون من الأندلس بسبب الهزائم المتتالية التي تلقوها.

نتيجة لهذه الأحداث اضطرت معظم المسلمون أن يهاجروا إلى الضفة الأخرى مما ساهم في بزوغ ظواهر جديدة في دولة أبو مرين أندالك ألا وهي المغرب، من هذا المنطلق نريد أن نشير على أن الحديث على المقابلة المغربية له جذورا تاريخية وروحية مستمدة من الموروث. فعلى الرغم من أن حديثنا يركز بالأساس على نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية الألفية الثالثة فإن ما هو ثقافي لازال إلى حد ما مرتبطا بالماضي أي الحضارة العربية الإسلامية التي سادت في القرن الثالث والرابع ميلادي.

1-سمات المقابلة المغربية

شكل نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين منعطفا حاسما في تاريخ المغرب حيث يمكن القول أن المغرب بدأ ينتقل من مرحلة والدخول في مرحلة جديدة تختلف كلياً عن المراحل السابقة عليها، هذه المرحلة تتميز بالاحتكاك مع الدول الغربية عبر مجموعة من الاتفاقيات وأشهرها اتفاقية الجزيرة الخضراء سنة 1905 التي يجمع الباحثين والمهتمون بتاريخ المغرب بأنها تشكل منعطفا حاسما في مصير المغرب على جميع المستويات سواء اقتصاديا أو سياسيا أو اجتماعيا أو ثقافيا. إن من بين الشروط الموضوعية التي أدت إلى هذه الاتفاقية هو أن المغرب قد مني بهزيمتين ثقيلتين وهما على التوالي أيسلي سنة 1844 وتطوان سنة 1860، ونتيجة لهذين الهزيمتين بدأ المغرب يتعرض لضغوط وإملاءات القوي على الضعيف والمنتصر على المنهزم، وظهرت هذه الشروط والإملاءات بشكل واضح في اتفاقية الجزيرة الخضراء التي جعلت المغرب منفتحا على الاقتصاد الأوروبي عنوة ورغما عنه نظرا للمصالح الاقتصادية الأوروبية في المغرب.

⁵ -بولقطيب الحسين، حفريات في تاريخ المغرب الوسيط، دراسة تاريخية، جذور للنشر، ط1، 2004.

ابتداء من هذا التاريخ كما يجمع العديد من المهتمين بدأت السلع والرساميل الأوروبية تغزو المغرب عبر مقاولاتها القوية وبامتيازات اقتصادية تفضيلية احتزاما للشروط المبرمة في اتفاقية الجزيرة الخضراء، وبالتالي بدأ الاحتكاك بين الاقتصاد المغربي المتخلف المحاصر بمنظومة تقليدية والاقتصاد الأوروبي المتقدم بمقاولاته العصرية المنفتحة على اقتصاد السوق والمدعم بشكل قوي من طرف الدولة وذو التجربة القوية في هذا المجال.

بعد خضوع المغرب لعهد الحماية 1912 من طرف فرنسا واسبانيا لم يكتفي الأوروبيون بالسيطرة على ما هو اقتصادي ولكن تجاوز ذلك إلى ما هو سياسي وثقافي عبر السماح للأوروبيين بوضع مجموعة من المغاربة تحت حمايتهم مخترقين بذلك جميع البنود التي وقعوا عليها مع المغرب التي اعتبرت في معظمها إصلاحية وليست استعمارية لكن كل هذا كان ظاهريا، وما خفي كان أعظم، حيث كان هناك استغلال بشع لكل الموارد وبكل الطرق. وانطلاقا مما سبق يمكن القول أن وضع المغرب تحت الحماية بقدر ما كانت له سلبيات كثيرة، لا ننكر بان إيجابيته تكمن في اكتشاف تخلف المغرب عبر الانفتاح على الآخر الأوروبي، والذي يسميه البعض بالصدمة التي ساهمت في وضع السؤال المحوري ليس فقط في تاريخ المغرب ولكن في تاريخ المجتمعات العربية جميعها ألا وهو لماذا تقدم الغرب و تخلف الشرق؟

للجواب على هذا السؤال الإشكالي إن صح التعبير بدأ المغرب منذ الاستقلال وإلى الآن في البحث على المخارج التي يمكن من خلالها نحت نموذج مجتمعي تنموي قادر على إخراج البلاد من الطريق المتعثر المملوء بالصعوبات والعراقيل ووضعها في الاتجاه الصحيح، لهذا بدأ يؤسس ويبنى ثقافة مقاولاتية حقيقية عبر سن مجموعة من القوانين والتشريعات التي تحث وتساعد الشباب على ركوب رهان المقاول، ولجأت الدولة الى التوعية في هذا المجال عبر القيام بمجموعة من الندوات والمؤتمرات لنشر الحس الوطني عند المقاولين وتحسيسهم بأنهم القلب النابض للاقتصاد الوطني إلى جانب مختلف الفاعلين الآخرين والعمل كذلك على خلق روح المقاوله القادرة على خلق الثروات ليس فقط المادية ولكن كذلك الثروات الرمزية. العديد من المهتمين يعتبرون أن المقاوله كتنظيم لا يمكن تصورها بمعزل عن المحيط الذي تتشكل منه وتعيش داخله، هكذا فإن المقاوله بصفة عامة تواجه تحديا كبيرا، وهذا التحدي يضعها أمام مجموعة من الرهانات التي تجبرها على مواكبة التطور السريع الذي يعرفه الاقتصاد العالمي في إطار ظاهرة العولمة

الذي أثر على العلاقات الاجتماعية بشكل كبير، وهذا التطور السريع لا يترك أمام المقاوله أي خيار سوى ضرورة التكيف مع الواقع الجديد.

فالتحولات التي عرفها ويعرفها هذا العصر تلقي بظلالها ليس فقط على العلاقات الاقتصادية بين مختلف الفاعلين ولكن كذلك على طابع المنافسة الحادة بين المقاولات والأمم والتجمعات الاقتصادية الكبرى، فالمقاولات تعمل اليوم في ظروف تستخدم فيها المنافسة بشكل كبير وأصبحت هذه المنافسة عبارة عن صراع لا يرحم ولا مكان فيه إلا للأقوياء مما فرض على المقاوله أن تحدث تغييرات في تنظيمها وأساليب عملها حتى تجعل من نفسها مواكبة للركب العالمي.

يمكن القول إذن بأن تأهيل المقاوله المغربية كان هو الشعار المهيمن والخطة المتبعة من طرف الحكومات المتعاقبة وهذا يظهر بشكل واضح في الخطط والبرامج التنموية المتبعة مما أدى إلى اتخاذ سلسلة من الإجراءات من بينها اعتماد برامج التقويم الهيكلي من سنة 1983 إلى 1992 وانخراط المغرب في المنظمة العالمية للتجارة OMC والتوقيع على اتفاقيات التبادل الحر مع المجموعة الأوربية سنة 1996، في ما يعرف باتفاقيات الشراكة مع الإتحاد الأوربي مما أدى الى حصول المغرب على الوضع المتقدم في منظومة الإتحاد الأوربي سنة 2008، كما أن المغرب قد دخل كذلك في مجموعة من اتفاقيات التبادل الحر مع البلدان العربية وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية وأيضاً الخيارات الإستراتيجية الوطنية والمبادرات الإصلاحية منذ حكومة التناوب سنة 1998.

دون أن نغفل بأن قبل هذه الإصلاحات اتخذ الحسن الثاني قرار مغربه المقاولات سنة 1973، والتي اعتبرت فرصة ضائعة حسب المتبعون للاقتصاد المغربي وكان هذا القرار إيذاناً بفشل السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي انتهجت في ستينيات القرن العشرين والغاية التي كانت وراء إصدار هذا القرار هو محاولة خلق طبقة جديدة من المقاولين تكون قادرة على الإسهام في تنمية الاقتصاد الوطني عبر خلق مناصب شغل بالانفتاح على التشكيلات الاجتماعية المختلفة. إن هذا الانفتاح على الاقتصاد العالمي جعل المسؤولين المغاربة القيام بمجموعة من الإصلاحات والتدابير التي تصب في مسار واحد ألا وهو تحديث الاقتصاد الوطني ومن تم تحديث المقاوله المغربية، ونجاح المقاوله وازدهارها رهين بالاهتمام برأس المال الاجتماعي وهذا ما سنتحدث حوله في النقطة القادمة.

2-الراس المال الاجتماعي ونشأة المفاولة في المغرب

يجمع أغلب المهتمون بالتنمية على أنه لا يمكن لأي بلد أن ينجح في الإقلاع التنموي إلا إذا اهتم بالعنصر البشري، لهذا ينبغي أن يكون الإنسان هدفا وغاية في نفس الوقت بالنسبة للفعل التنظيمي، يقول الدكتور لحبيب امعمري⁶ في هذا الصدد إن "التحديث بمعناه الواسع لا يتفاعل مع الإنسان ككائن مسخر لخدمة أغراضه، بل على العكس من ذلك يقوم على أساس أن التحديث هو الذي ينبغي أن يكون مسخرا لأغراض الإنسان"⁷. فالإنسان إذن يعتبر مركز المفاولة كتنظيم، فهو المنطلق والأساس لأي عملية تنموية كانت أو تحديثية، وهو الذي ينشأ المفاولة، التي يكون هدفها الأول هو خدمة الإنسان، ولا وجود لأية مفاولة دون وجود عنصر بشري، فالعلاقة هي علاقة تمفصلية بينهما ووجودهما وجودا محايثا. إن مفهوم رأس المال الاجتماعي يعرف تداخلا بين مجموعة من المفاهيم التي لها نفس المعنى أو معنى قريب منها حيث نجد مفهوم رأس المال الثقافي الذي استعمله بيير بورديو والذي يعتبر من أكثر العلماء الذين أعطوا زخما إضافيا لمفهوم رأس المال بصفة عامة والتمايزات المترتبة عليه من خلال رأس المال الثقافي والرمزي وكذلك نجد رأس المال المعرفي ورأس المال السياسي، فالخاصية الأساسية لرأس المال الاجتماعي هو قدرته على التحول حيث يمكن تحويله إلى أشكال أخرى من رأس المال. فالأفراد يتمكون من الحصول على رأس المال الاجتماعي عن طريق العضوية في شبكات العمل الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية ثم تحويله إلى أشكال أخرى من رأس المال لتحسين أو المحافظة على منصبهم في المجتمع (Colman, 1988. Bordieu, 1986).

وتجدر الإشارة إلى أنه مع تقدم العلم في مستويات عدة⁸ يأتي فيه مصطلح رأس المال الاجتماعي في عصر يعاد فيه ترتيب الأولويات البحثية والحياتية ويتوارى فيه كل ما هو اجتماعي حيث لا تقوم الشركات المتعددة الجنسيات بإقامة 'شركات اجتماعية'⁸ بل إنها تعتمد غالبا على ما هو مادي

⁶ -الدكتور لحبيب امعمري، استاذ جامعي بشعبة السوسولوجيا، جامعة سيدس محمد بن عبد الله، كلية الاداب ظهر

المهراز، فاس

⁷ -الدكتور لحبيب امعمري، مرجع سابق.

⁸ -هندي عثمان، رأس المال الاجتماعي، الاتجاهات النظرية و المنهجية الحديثة، دار الهدى للنشر و التوزيع، ط1، 2006.

اقتصادي. لكن ما يمكن ملاحظته هو أن المجتمعات ذات الإقتصاد القوي تهتم كذلك بما هو اجتماعي لأنها تأخذ برأي العلماء المهتمون بالدراسات الإستراتيجية والذين يرون بأن المجتمعات التي لها مستوى رأس المال الاجتماعي مرتفع من المحتمل أن تحظى على المدى البعيد بنجاح اقتصادي وسيتم حكمها بشكل أفضل، وأمن وأنظف، وحتى أسعد، من تلك التي ينخفض فيها مستوى رأس المال الاجتماعي، دون أن ننسى بأن السعادة أصبحت من المقاييس المهمة التي يمكن أن نميز بها بين مستويات وترتيب الدول في السلم العالمي من التقدم.

إن هذا المنظور جاء نتيجة لما كان سائدا في القرن التاسع عشر، حيث كانت الثروة يتم استخدامها لإنتاج ثروة أكبر، ثم أضاف ماركس بعد ذلك بعدا تاريخيا لمفهوم رأس المال الاجتماعي عندما حلل تحول كل من العلاقات الاجتماعية والتكنولوجيا المرتبطة بتراكم رأس المال. فبالنسبة إليه كان رأس المال الإقتصادي شكل من أشكال القوة للسيطرة على وسائل الإنتاج، هكذا بدأ المهتمون باستخدام هذا المفهوم ليشيروا به إلى القدرة العامة على تعبئة ليس فقط الموارد الاقتصادية والسياسية، لكن الموارد الاجتماعية والثقافية أيضا.

على الرغم من أننا على يقين تام نعرف على أن هناك من يخالف هذا الرأي بل هناك بعض الجوانب المشتركة في المعنى، فمع الاتفاق على أن رأس المال الاجتماعي مكون من شبكات عمل اجتماعية يمكن تنشيطها، هناك فهما ضمينا لرأس المال الاجتماعي سيكون مفيدا في تحسين بعض الملامح الأخرى، كالتعليم، والضمان الاجتماعي، والنمو الاقتصادي، والبروز السياسي، حيث نجد أنه عندما يضع رأس المال الاجتماعي لأي سبب يؤدي مباشرة إلى اختفاء الدخل القادم منه. ولرأس المال الاجتماعي عدة أشكال يمكن أن تظهر كغرس القيمة value introjection حسب سان سنت برتس Sensentbrenner protes وهو مفهوم يعكس أفكار كل من دوركايم وفيرير، فالأول يثير فكرة النظام الأخلاقي الذي يحدد التعاملات الاقتصادية، بينما يشير الثاني بكتابته عن المهنة إلى الإحساس بالواجب والالتزام الذي يشعر به الفرد نحو نشاطه المهني. وكذلك يتخذ شكل صفقات التبادل reciprocity transactions لدى زمل Simmel، ومنظري التبادل الذين يؤكدون على الطبيعة النفعية للتعاملات الاجتماعية، فعلى الرغم من أن هذه الصفقات قد تؤدي إلى ظروف اقتصادية حسنة، فإن هذه العلاقات هامة أيضا لزيادة الوضع الاجتماعي، بصرف النظر عن البعد الاقتصادي.

و يعد وصف ماركس وانجلز الطبقة لذاتها Class for itself أو الوعي الطبقي Class Consciousness كذلك شكل من أشكال رأس المال الاجتماعي⁹. أما الاستخدام المعاصر لهذا المفهوم فهو يتعلق بثلاث رواد أولهم بيير بورديو الذي يركز على طرق الحفاظ على الرأس مال الاجتماعي، أو تغيير موقع الفرد في البناء الطبقي، ويلاحظ أن إيجاد رأس المال الاجتماعي يعتمد على المشاركة في مجموعة اجتماعية، يكون أعضاؤها وممثلوها روابط مجموعة من خلال تبادل الأشياء والرموز. كما استخدم مفهوم الهابitus الذي يشير إلى الاتجاهات، ووجهات النظر، والنزعات التي يتقاسمها أفراد نفس الطبقة، وحسب بورديو دائما فهناك رأس مال اقتصادي وثقافي واجتماعي ورمزي، وهذه الأشكال قابلة للتغير لتلائم النشاط الاجتماعي ويمكن أن يتحول شكل رأس المال الى شكل آخر طبقا للقواعد المعمول بها في مجال معين، أما جيمس كولمان فهو يرى بأن هناك ارتباط ضمني بين العقلية الاقتصادية ورأس المال البشري، في حين يربط بوتنام بينه وبين المسؤولية المدنية.¹⁰

إن رأس المال الاجتماعي يحدد القدرة المستقبلية للفرد على أن يعبى ليس فقط رأس ماله الثقافي الخاص به ولكن الخاص بالآخرين أيضا. وأصبح يعرف في علم الاجتماع على أنه مجموع المعلومات والتقنيات وأنماط تبادل الامتيازات الملازمة للشبكة الاجتماعية للفرد والجماعة، فهو قوة دافعة لمجموع من القضايا المعاصرة التي تتضمن الأداء الدراسي للأفراد والمقومات المعرفية والديمقراطية والسياسية، يمكن القول بأنه مجموع الموارد الفعلية، والمحتملة، والمرتبطة بامتلاك شبكة قوية من العلاقات المنظمة وعلاقة المعرفة المتبادلة، والتقدير بين الأفراد يعطي العضوية في جماعة الفرد حق التمتع بما للجماعة من مكانة ومنزلة، وشبكة المكاسب الفردية والجماعية.

3-الرأسمال الاجتماعي والتنمية

إن العديد من المهتمين في مجال التنمية يربطون بين رأس المال الاجتماعي والتنمية، مما يعني أن هناك علاقة وطيدة بينهما، وكما لا يخفى على أحد على أن النظرة إلى رأس المال الاجتماعي والتنمية قد تطورت بشكل كبير منذ الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، ولتأكيد هذا المعطى تزايد اهتمام

⁹ - د.ر. بودون و ف. بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر. الدكتور سليم حداد، المؤسسة الجامعية، ط1، 1986.

¹⁰ - نفس المرجع السابق.

البنك الدولي بدراسة رأس المال الاجتماعي في العشر سنوات الأخيرة، لأن بواسطته يمكن معرفة وتفسير تفاوت الأداء الاقتصادي رغم تساوي مدخلات رأس المال المادي ورأس المال البشري من بلد لآخر. بل من إقليم إلى آخر في نفس البلد ومن حي إلى آخر في نفس المدينة. بل إن رأس المال الاجتماعي هذا هو الذي يفسر تفاوت معدلات الانحراف والجريمة والتفكك من بلد إلى آخر، ويشير البعض إلى أن مفهوم رأس المال الاجتماعي يمكن أن يكون هو المفهوم الحاكم في بلورة رسالة وأهداف الجهاز الاجتماعي للدولة. فإذا كان رأس المال المادي يعني قاعدة الموارد الطبيعية، وإذا كان رأس المال البشري يعني قاعدة البشر الأصحاء والمتعلمين، فإن رأس المال الاجتماعي يعني شبكة الجماعات والمنظمات الإنسانية القائمة على التفاعل المباشر والثقة المتبادلة، والتعاون والتكافل، لتحقيق مصلحة أو خدمة قضية، أو التعبير عن مشاعر مشتركة.

فالنظرة لمفهوم القدرات البشرية قد تغيرت ولم تبق محصورة في ما تشمله الشخصية، بل توسعت لتشمل أيضاً القدرات الاجتماعية والنظم التي تنبني عليها وتشتغل بها، وهذا ما يطلق عليه 'قدرات رأس المال الاجتماعي'، فالتنمية كيف ما كانت لا بد لها من أن تأخذ بعين الاعتبار الإنسان في جوهره على اعتبار أنه هو الذي يؤسسها لتنطلق منه وتتجه إليه، لهذا نجد أن رأس المال الاجتماعي يشير إلى النظام المؤسسي والعلاقات والعادات والتقاليد التي تؤثر على كافة الجوانب في المجتمع، كل هذا يكون له تأثير على التفاعلات الاجتماعية والاقتصادية والتي بدورها لها علاقة مباشرة بالتنمية واستمرارها. إذن يمكن القول على أن أصول مفهوم رأس المال الاجتماعي قد تكون آتية من مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع، لكنها اكتسبت حياة جديدة ونبتت في تربة جديدة كذلك ألا وهي مجال التنمية، حيث ارتبط هذا المفهوم بمفردات جديدة تنتمي إلى عالم التنمية حسب بول كالمسير.

إذن

يرتبط رأس المال الاجتماعي إيجابياً بالفاعلية والنتائج التوزيعية، ويسهل نقل المعرفة وبالتالي الثقة ويقلل فشل السوق في تلقي المعلومات ومن خلال المعايير والقواعد يمكن لرأس المال الاجتماعي الدخول إلى دائرة المنتج الاقتصادي وفي هذا الصدد إننا بطبيعة الحال نتكلم في مجال التنمية عبر المقابلة. يصعب على الباحثين في مجال التنمية والتي من بين أسسها نجد رأس المال الاجتماعي أن يضعوا قياساً أو مصدراً محدداً لرأس المال الاجتماعي حيث ترى أغلبيتهم أن العضوية في شبكة العلاقات والمشاركة في صناعة

القرار والتفاعل الاجتماعي الايجابي بين الأفراد تعتبر من بين المقاييس المفضلة لإدراك ومعرفة شدة أثر رأس المال الاجتماعي في ما هو تنموي.

هكذا تتباين محددات القياس حسب كل باحث وحسب كل دراسة، أي أن رأس المال الاجتماعي يظل صعبا إن لم يكن مستحيلا قياسه بصورة مباشرة ولا زال البحث مستمرا حتى الآن عن مؤشر أفضل، حيث نجد أن هناك القليل من الاهتمام بعلاقات النوع والأسرة كمصدر أساسي لرأس المال الاجتماعي على الرغم من أننا نجد شبكات العلاقات وأنظمة الثقة تعتبر استراتيجيات تحقق نتائج أفضل لحياة الفقراء وإدماجهم بشكل قوي في مجال التنمية دون أن نغفل اختلاف الرؤى التي نجدها في أمريكا وأوروبا حيث يتم في الأولى بحث رأس المال الاجتماعي من منظور فردي بمعنى ما يكسبه الفرد من المساهمة في المجتمع، و على النقيض من ذلك في الثانية يوجد إحساس بالالتزام بالفائدة العامة بمعنى مسؤولية الفرد في أن يعمل بصورة تعاونية.

و مما يستدعي الانتباه هو دخول مؤسسات التنمية على الخط لاهتمامها الكبير برأس المال الاجتماعي وهذه مسألة أخرى تستدعي التحليل والدراسة نظرا لاعتباره عصى سحرية لتقليل مستويات الفقر والمساهمة في التنمية، إذن وكما سبق وأن أوضحنا فمفهوم رأس المال الاجتماعي برز بشكل قوي في مناقشات التنمية وقد تناوله العديد من الدارسون والممارسون في مجال التنمية وأصبحا مفهومان متلازمان. على الرغم مما أشرنا إليه أعلاه فإن رأس المال الاجتماعي قد اكتسب قبولا واسعا كمدخل نظري هام يساعد في فهم وتنبؤ معايير العلاقات الاجتماعية المتضمنة في البنى الاجتماعية في المجتمعات، وتكمن هذه الأنماط في العلاقات الاجتماعية المتداخلة للأفراد في تنسيق الفعل لتحقيق الأفعال المرغوبة. وهناك خاصية داخلية لرأس المال الاجتماعي تتمثل في كونه علاقاتي، في حين أن رأس المال الاقتصادي نجده في البنوك أما رأس المال البشري يكون في رؤوس الأفراد. إن رأس المال الاجتماعي لا بد أن يربط الفرد بالآخرين، وهؤلاء الآخرين وليس هو المصدر الحقيقي لما يميزه أو يميزها حسب بورتس، أي أن رأس المال الاجتماعي يوجد فقط عندما يكون مشتركا مع غيره من صور رأس المال الأخرى، ومن ركائز رأس المال الاجتماعي نجد التعليم، الذي سنتحدث عنه في النقطة الموالية.

4-التعليم كرأس المال الاجتماعي

لا أحد ينكر على أن عالم اليوم يتميز بالمقدرة الفكرية العالية والاعتماد على تكوين الافراد وتطبيق النتائج التي يتوصل اليها العلم مما يؤثر في فعالية الانتاج بصورة قطعية وفعالة ولذلك فإن توسيع المعرفة الانسانية تعتبر الاداة الرئيسية لزيادة القوى المنتجة. وتهدف التربية الى تأمين مستوى ثقافي عام ووضع أساس المعرفة الخاصة التي لاغنى عنها للقيام بالعمل¹¹. لهذا يمكن اعتبار التعليم بصفة عامة هو القاعدة الأساس الذي تركز عليها عملية تطوير القوى العاملة وتكوين المهارات، حيث نجد أن التعليم أصبح في الوقت الحاضر ضرورة ملحة تتطلبها طبيعة الحياة المعاصرة التي تتميز بالتطور العلمي والتكنولوجي وازدياد استخدام الوسائل الفنية الحديثة في الإنتاج والخدمات. ومن ثم فالحصول على الحد الأدنى من التعليم لكافة الأفراد في المجتمع ضرورة ومفيدة للمقابلة.

ومن الملاحظ جدا هو أن هناك زيادة كبيرة في نسبة التعليم وهذا راجع بالأساس الى إلزامية التعليم الابتدائي وتشجيعه، لكن هل استطاع التعليم رغم هذه الزيادة أن يساهم في تحقيق التطور الكمي والنوعي في الرفع من اليد العاملة التي تكتسب الحد الأدنى من المهارة بالمقابلة؟ هذا السؤال سنحاول الإجابة عليه في القسم التطبيقي وبالضبط في النقطة الثالثة من العوائق الخارجية.

ان التعليم حسب مجموعة من المواثيق الدولية يعتبر حق أساسي للأفراد وشرط ضروري لتنمية المجتمعات وهذا الحق لاغنى عنه اذ يعتبر المدخل الأساسي لإعمال باقي حقوق الإنسان الأخرى، كما يروم الى ترسيخ الاحساس لدى كل فرد بسمو كرامة الشخص الانساني، ودوره الفعال في بناء مجتمع حر قائم على التفاهم والتسامح كما تنص على ذلك المادة 26 من الاعلان العالمي لحقوق الإنسان، فإن أهميته كما يشير الى ذلك التعليق العام رقم 13 الذي أصدرته اللجنة الأُممية للحقوق الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية حول الحق في التعليم، تكمن في أنه حق تمكيني، اذ يعتبر الأداة الرئيسية للقضاء على التهميش و الفقر و اشاعة قيم العقل و التفكير الحر.

فالوعي بأهمية التعليم هو الذي ساهم في تطور برامج في العقدين الأخيرين وجعل كل الأقطار النامية تعتمد عليه كقاطرة للتنمية حيث بدونها لا يمكن لنا الحديث عن التنمية، وفي هذا السياق جاء

¹¹ -دراسات عربية،مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية،العدد،10 السنة السادسة عشرة،آب،اغسطس،1980.

البرنامج الاستعجالي للتربية والتكوين حيث استفاق المغرب مصدوما على مشارف نهاية العشرية المقررة لانجاز 'الميثاق الوطني للتربية والتكوين' حينما أصدر البنك الدولي في فبراير 2008 تقريره بشأن اصلاح التعليم في الشرق الأوسط وشمال افريقيا، فالحصيلة كانت جد سيئة اذ وضع هذا التقرير المغرب في مرتبة متأخرة بالمقارنة مع هذه الدول المتأخرة أصلا في منظومتها التعليمية، وجاء المغرب متأخرا حتى عن غزة التي تعيش حصارا طويلا.

لقد أوضح التقرير فشل سياسة التمدريس في المغرب واخفاقه في الرفع من نسبتها، وأظهر التقرير ارتفاعا حادا في نسبة الهذر المدرسي في التعليم الابتدائي، واعتمد التقييم مؤشرات تعميم التعليم، والمساواة بين الجنسين في الحصول على التعليم، ومسألة الكفاءة والجودة، وهي المؤشرات عينها التي وضعها الميثاق الوطني للتربية والتكوين لقياس مدى تحقيق الأهداف المرسومة فيه.

وما يمكن أن نلاحظه في جل الأقطار النامية ومن بينها المغرب - وعلى الرغم من وجود تقدم ملحوظ سواء على المستوى الكيفي أي تطور البرامج أو على المستوى الكمي حيث قاربت نسبة التمدريس حوالي 94 في المائة - هو ان فرص التعليم ليست متاحة لكل نظرا للفروقات المحلية بين القرية والمدينة، ونفس الشيء بالنسبة للذكور والإناث حيث نجد نسبة الاناث المتعلمات أدنى من نسبة الرجال المتعلمين في أغلب الدول النامية، اضافة الى ذلك نجد في الدول النامية انتشار التعليم العام الذي يتميز بما هو نظري وهناك نقص في التعليم المهني كما أننا نجد أن مضامينه وتخصصاته غير قادرة على تلبية احتياجات خطط التنمية.¹²

انطلاقا مما سبق نجد بالنسبة لحالة التعليم في المغرب أن هناك اتفاق بين التقارير الوطنية والتقارير الدولية التي تعطي صورة قائمة لأوضاع التعليم ببلدنا في الوقت الراهن وإن استمرت مستقبلا ستكون كارثة لا محالة، فبالنسبة للتقييم الوطني نجد أن التقرير الرسمي لحصيلتنا التعليمية خلال السنوات الثمانية لإعمال الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وللإشارة فقط فهو أول تقرير يصدر من طرف المجلس الأعلى للتعليم سنة 2008 الذي تميز بالجرأة حيث كشف عن الحقائق الموهولة التي تعيشها منظومتنا التعليمية التربوية. لقد

¹² -علي الحسيني عبد المنعم، أهمية التعليم في إيجاد القوى العاملة اللازمة لعملية التصنيع والتنمية في الأقطار النامية، في دراسات عربية، مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية، العدد 12، السنة الرابعة والعشرين، تشرين الأول، أكتوبر 1988.

سجل هذا التقرير ارتفاع نسبة الهذر المدرسي، ففي سنة 2007 وحدها تم احصاء 400000 تلميذا غادروا المدرسة الابتدائية دون مؤهلات، وسجل أيضا ارتفاع نسبة الأمية ومحدودية التعليم الأولي، وانخفاض جودة التعليم الأساسية كالقراءة والحساب والتحكم اللغوي، بالإضافة الى محدودية ملائمة مؤهلات الخريجين لمتطلبات سوق الشغل.

إذن، وعلى هذا الأساس تم الاعتراف بوجود اختلالات هيكلية تتطلب مسار جديد وإعادة النظر في الإصلاح الذي انطلق منذ سنة 2000 ولم يحقق الأهداف المرجوة. وفي هذا الإطار جاء البرنامج الإستعجالي لثلاث سنوات كمحاولة اصلاح الإصلاح وإعادة ترتيب الأولويات. واعتمد هذا البرنامج على أربع مجالات ألا وهي: 1- التحقيق الفعلي للإلزامية التعليم الى تمام 15 سنة من العمر. 2- تخفيض المبادرة والامتياز في المجال التعليمي. 3- معالجة الإشكالات الأفقية. 4- وتوفير الموارد اللازمة للنجاح. ونحن قد تجاوزنا نهاية المدة المخصصة للبرنامج الاستعجالي (2009-2012) يتضح جليا أنه فشل في تحقيق الأهداف التي وضعت له ومن أهمها المجالات الأربع المذكورة أعلاه وبصفة خاصة لم يتم تحقيق الزامية التعليم للأطفال الى تمام 15 سنة مع ارتفاع نسبة الهذر المدرسي وان وزير التربية والتعليم العالي أعلن عن فشله في مناسبات عديدة. رغم كل هذا لا يمكن تبخيص ما تم تحقيقه من انجازات على الرغم من أنها لم ترقى للإمكانات المرصودة للبرنامج.

وباختصار فإن واقع التعليم في معظم الأقطار النامية يشكو من الأمية وهذا هو أكبر تحد بالنسبة لهذه الدول لأنها تعتبر من المعوقات الرئيسية التي تحول دون تكوين الأفراد وتزويدهم بالقدرات والامكانيات الضرورية للمساهمة في التنمية، لان الأمية في المجتمعات المعاصرة أصبحت غير مقبولة وتعتبر إحدى المعوقات الرئيسية التي تقف بوجه التنمية وعملية محوها قد يرفع من الإنتاجية ويؤدي الى تغيير العلاقات والقيم الاجتماعية، كما أنه قد يبدل الكثير من الملامح السلوكية للإنسان، وكل ذلك يمكن أن يقود الى زيادة معدلات التنمية في المجتمع.¹³

¹³ - جاسم محمد علاء الدين، نحو الأمية، في: مجلة العلوم الاجتماعية، بحوث المؤتمر الأول للاجتماعيين العرب حول الأسس الاجتماعية للتنمية في الوطن العربي، القسم الأول، العدد 1981، ص 184-185.

5- دور التعليم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية

أي مجتمع يراهن على التنمية بصفة عامة لا بد له من أن يعتمد على التربية والتعليم ليرفع من مستوى التدريب المهني بشكل يتلاءم مع التقدم المتواصل للعلوم والتقنية ولرفع من نسبة اليد العاملة المؤهلة بشكل يتلاءم مع مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية. والتربية بهذا المعنى تعني مخزون المعرفة والمهارات الانسانية التي تعتبر أساس الحياة في المجتمع وفي كل نوع من العمل الذي ينتج السلع والخدمات، ومخزون المعرفة والمهارات هذا يعتبر ويعامل ك رأس مال إنساني يمكن مقارنته مع رأس المال المادي الذي يتألف من مخزون السلع التي يبنى عليها الانتاج¹⁴.

فالتربية تلعب دورا مهما في التنمية الاقتصادية والاجتماعية اذ تحقق وظيفتين اساسيتين تتجلى الاولى في إعطاء المستوى الثقافي شكله الذي يتوافق مع المستوى الاقتصادي والاجتماعي وتتجلى الثانية في خلق الكفاءات المهنية المختلفة التي توافق التطور العلمي والتقني. استنادا الى مجموعة من الابحاث نستنتج على أن هناك تداخل وتكامل بين التربية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، حيث نجد أن التربية تساهم في انتاج اليد العاملة الماهرة التي توافق احتياجات النمو الاقتصادي والتربية كذلك هي السعة الفكرية والجسدية لكل فرد لإشباع متطلباته الذهنية ولتهيئته ليصبح مواطنا صالحا في مجتمعه له حقوق وعليه واجبات.

ان العديد من الباحثين في هذا المجال يعتبرون أن هناك رابط قوي بين النمو الاقتصادي والتربية على اعتبار أن النمو الاقتصادي ينتج الوسائل المالية والمادية الضرورية لتنمية التربية، لهذا في كثير من الأحيان يعتبر النمو الاقتصادي العامل الأول وتأني تنمية التربية كعامل ثان. وما يؤكد هذه العلاقة هو أن مستوى معين من النمو الاقتصادي يتضمن بالأصل حدا معيناً من التربية كأحد مركباته ومكوناته الاساسية، وتنمية التربية تعتبر شرطا مبدئيا للنمو الاقتصادي حيث نجد أنه قبل البدء بالانتاج يجب أن تكون اليد العاملة الماهرة و التجهيزات متوفرة.

نستنتج مما سبق أن هناك تبادل الأدوار بين النمو الاقتصادي وتنمية التربية حيث نجد أنه اذا كان التخطيط التربوي ممكنا عن طريق النمو الاقتصادي فتتمة التربية أصبحت عاملا من عوامل الانتاج

¹⁴ F.Perroux,trois utiles pour le sous-développement,I.S.P.A.Paris1949.

الرئيسية كما أنها أصبحت شرطا من شروط النمو الاقتصادي. فهما يسيران في خط متواز ووجود كل واحد منهما يتوقف على وجود الآخر بجانبه وكل واحد منهما ينمو ويتطور بمساعدة الآخر.

وللوصول الى نتائج محمودّة انطلاقا مما سبق ينبغي وضع مسبقا أهداف التربية أو ما يسمى بالتخطيط التربوي والذي غالبا ما يأخذ في الحسبان مجموعة من العوامل أهمها الطلب على اليد العاملة الماهرة لاقتصاد ينمو، وكذلك يجب مراعاة والأخذ بعين الاعتبار التطور السياسي والاجتماعي للأمة. وحسب أحمد منير نجار ان طرق وضع أهداف التربية يمكن تصنيفها من حيث المبدأ الى ثلاث مجموعات رئيسية، فالمجموعة الاولى تتكون من طرق تحاول اكتشاف طلب المستقبل على اليد العاملة الماهرة للاقتصاد الذي ينمو والتي منها يمكن أن يشتق طلب المستقبل على تنمية النظام التربوي، وتسمى عادة هذه الطريقة بطريق اليد العاملة أو طريق متطلبات اليد العاملة، أما المجموعة الثانية فهي طرق تحاول اكتشاف طلب المستقبل لتنمية التربية والتي تتقرر بالتطور السياسي والاجتماعي وتدعى هذه المجموعة من الطرق بطريق الطلب الاجتماعي أو الطريق الثقافي. أما المجموعة الثالثة فهي طرق تحاول اكتشاف طلب المستقبل على امكانيات تنمية التربية وتبدئ من تحليل دور وموقف التربية في مجمل التنمية الاقتصادية.

فتنمية التربية إذن ليست فقط عامل نمو اقتصادي، بل هي أيضا جزء متكامل من التطور الثقافي والاجتماعي والسياسي ولذلك فان الطرق التي اعتمدت الاهداف التربوية لتؤمن متطلبات اليد العاملة للتنمية الاقتصادية يجب أن تلتحق بها طرق أخرى. ولذلك يرى البعض أنه يجب أثناء التخطيط التربوي أن يؤخذ في الحسبان مجموع العوامل الاخرى التي يمكن تسميتها بشكل عام بالتطور السياسي والاجتماعي ويمكن التعبير عنها كذلك باتجاهات الماضي في تطور التربية والتطورات الديموغرافية في المستقبل، والأهداف السياسية والاجتماعية كمحو الأمية ومحاربة الهدر المدرسي، والقيام بمقارنة المستوى الحالي للتطور التربوي بين دول أخرى ومحاولة تطوير المناهج المعتمدة.

إن كلا طرفي العلاقة بين تنمية التربية والتنمية الاقتصادية يجب بحثها وتحريها بإمعان، فمن ناحية بحث الطلب على تنمية التربية في مستوى معين من النمو الاقتصادي، ومن الناحية الأخرى بحث امكانيات تنمية التربية التي خلقها النمو الاقتصادي.

ان مستوى معين من التنمية الاقتصادية يفترض أن نجد مستوى مماثلا محددا من التنمية التربوية، أو بعبارة أخرى يوجد تناسب قطعي وحتمي بين التربية والانتاج بكافة أشكاله يماثل ويشابه العلاقة بين

انتاج السلع الاستثمارية وانتاج السلع الاستهلاكية مثلا، والابحاث العديدة والخبرة العملية في هذا المجال تؤيد لا مجال للشك هذا الافتراض.

إن التخطيط التربوي كما يتضح مما سبق ليس عملية سهلة المنال، فلبلوغ أهدافه لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار مجموعة من العوامل، وبما أن المخطط وواضع السياسة ومتخذ القرار يواجه بحقيقة هي ضرورة العمل الفوري، لذلك فإن التخطيط التربوي من حيث المبدأ ليس إلا عملية تقريب متتالية من الحلول المثالية.

بما أن التربية تخدم أكثر الحاجات الاقتصادية في غالب الاحيان، فإن عدد المتخرجين المطلوب يجب أن يزداد ليس فقط لسد الخصاص المطلوب من اليد العاملة الماهرة بل أيضا لسد حاجة الطلب في المستقبل من أجل تنمية التربية التي تقررها الأهداف السياسية والاجتماعية. فعلى سبيل المثال الالتزام المدرسي حتى سن 15، والقضاء على الأمية، والزيادة في التعليم الابتدائي نتيجة لزيادة عدد السكان. كل هذا يتطلب عدد اضافي من المؤطرين والأساتذة وبالتالي ادخالهم في العدد الاجمالي للخريجين.

من هذا المنطلق جاء التركيز على أهمية التعليم كوسيلة أساسية لإعداد وتطوير الموارد البشرية، لان وجود نظام تعليمي هش أو يعاني من مجموعة من الأعطاب يعني ذلك مواجهة مشكلة كبيرة يصعب علاجها وقد يؤدي ذلك الى عدم الحصول على الأعداد الكافية من القوى العاملة التي تتميز بالكفاءة والمدرية أحسن تدريب، ومن ثم يكون من المستحيل كذلك تحقيق الأهداف المنشودة لعملية التنمية الشاملة بوجه عام وقد يضر ذلك بعملية التطور الصناعي بوجه خاص.

وعلى هذا الأساس فعملية التصنيع والنمو الصناعي الذي تتحكم فيه المقاوله يعتبر جزءا لا يتجزأ من العملية التنموية ذات الاطار العام التي تعتمدها الدولة. هكذا يمكن القول بأن صعوبة المقاوله المغربية تتجلى نظريا في الحصول على اليد العاملة الماهرة لأن قيام المشاريع الصناعية وتطورها على نطاق واسع يستوجب توفر ليس فقط العدد المناسب من القوى العاملة بل يستوجب أيضا الحصول على المهارات والاختصاصات الضرورية لعملية التطور الصناعي.

وحسب مجموعة من الباحثين في هذا المجال يروا على أن لابد من الاهتمام بالموارد البشرية لأن أي قطاع أو مشروع يحتاج الى ثلاثة أمور أساسية ألا وهي: أولا هو تحديد الاحتياجات من العناصر البشرية كما ونوعا خلال مدة زمنية محدودة وهذا الأمر يمثل تحديدا للطلب على القوى العاملة، وثانيا هو ضمان

وجود هذه العناصر البشرية في وقت الحاجة إليها وهذا الأمر يمثل عرض القوى العاملة، وثالثا هو قدرة المشروع أو القطاع على بقاء واستمرارية العناصر البشرية التي أثبتت قدرتها العلمية والفنية في الانتاج، وكل هذه الجوانب لها علاقة بتعليم وتدريب القوى العاملة من أجل إيجادها عند الحاجة إليها وتطويرها ورفع كفاءتها وجعلها أكثر فعالية لمواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي الذي ينعكس في كثير من جوانب التخطيط وقطاعاته ومن بينها القطاع الصناعي.

خاتمة:

خلاصة القول إن التربية يجب أن تكون مجانية وفي جميع المستويات لكي لا تضيق إمكانيات الأجيال القادمة الذين ينتمون الى أسر ذات الدخل المحدود والمنخفض على المجتمع الذي هو في حاجة ماسة إليها مستقبلا، كما يجب إلغاء الحواجز الاجتماعية والامتيازات في مختلف أشكالها ووجوهها. وعلى النظام التربوي تجنب الطرق المسدودة وفتح الطريق أمام خريجي المدارس للانتقال من مرحلة مدرسية الى مرحلة أعلى منها والأخذ بعين الاعتبار كيف ستكون عليه المهن في المستقبل نظرا لتغير التكنولوجي وتسارع وتيرته بشكل كبير. ويجذب وجود مرونة في العامل البشري اعتمادا على المناهج التي تهيئ أساسا نظريا سليما للعمل مع تقدم أكبر قدر ممكن من التدريب والممارسة المطلوبة في العمل.

الهوامش:

- 1- امعمري لحبيب، المقابلة والثقافة، دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، كلية الآداب ظهر المهراز، 2006-2007. ----
- 2- بولقطيب الحسين، حفريات في تاريخ المغرب الوسيط، دراسة تاريخية، جذور للنشر، ط1، 2004
- 3- جاسم محمد علاء الدين، نحو الأمية، في، مجلة العلوم الاجتماعية، بحوث المؤتمر الأول للاجتماعيين العرب حول الأسس الاجتماعية للتنمية في الوطن العربي، القسم الأول، العدد 5، 1981، ص184-185.
- 4- علي الحسيني عبد المنعم، أهمية التعليم في إيجاد القوى العاملة اللازمة لعملية التصنيع و التنمية في الأفطار النامية، في دراسات عربية، مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية، العدد 12، السنة الرابعة و العشرين، تشرين دراسات عربية، مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية، العدد، 10 السنة السادسة عشرة، آب، اغسطس، 1980. الأول، أكتوبر 1988.
- 5- دراسات عربية، مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية، العدد، 10 السنة السادسة عشرة، آب، اغسطس، 1980.
- 6- د.ر. بودون وف. بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر. الدكتور سليم حداد، المؤسسة الجامعية، ط1، 1986.
- 7- هندي عثمان، رأس المال الاجتماعي، الاتجاهات النظرية و المنهجية الحديثة، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط1، 2006 بولقطيب الحسين، حفريات في تاريخ المغرب الوسيط، دراسة تاريخية، جذور للنشر، ط1، 2004
- 8- F.Perroux, trois utiles pour le sous-développement, I.S.P.A.Paris 1949

الأمن الثقافي وإشكالية الهوية الثقافية العربية

في ظل تحديات العولمة الثقافية

د/طايب رتبة

أستاذة محاضرة "أ" بجامعة البليدة -2- الجزائر

r.taibi@univ-blida2.dz

الملخص:

إن ما تهدف إليه العولمة الثقافية هو إيجاد ثقافة عالمية تقوم على توحيد الثقافات بغير حدود باستخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة كآلية لتحقيق الاختراق الثقافي وترسيخ ثقافة العولمة في دول العالم لاسيما منها الدول العربية. ومنه تهدف هذه الورقة البحثية إلى تناول بالتحليل السوسولوجي إشكالية الهوية الثقافية العربية وطبيعة التحديات التي تواجهها في ظل انتشار العولمة الثقافية، وإبراز مدى أهمية تعزيز الأمن الثقافي العربي للحفاظ على مقومات الثقافة العربية بأبعادها المختلفة وتحصين الهوية الثقافية من كل محاولات الاختراق الثقافي من جانب التيارات الثقافية الأجنبية الوافدة. الكلمات المفتاحية: الأمن الثقافي، الهوية الثقافية العربية، التحديات، العولمة الثقافية.

Cultural Security and the Problem of Arab Cultural Identity

In light of the Challenges of Cultural Globalization

Dr. Taibi Ratiba

Lecturer « A » at Blida 2 University - Algeria

r.taibi@univ-blida2.dz

Abstract:

Cultural globalization aims to create a global culture based on the unification of cultures using modern communication and information technology as a mechanism to achieve cultural penetration. Therefore, this research paper aims to analyze the problem of Arab cultural identity and the nature of the challenges it faces in light of the spread of cultural globalization, and to determine the importance of strengthening Arab cultural security to protect and fortify the Arab cultural identity.

Key words: cultural security, Arab cultural identity, challenges, cultural globalization.

مقدمة:

إن العولمة تعبر عن مفهوم العالم الموحد الذي يشكل قرية كونية وعالم بلا حدود وهي ترمي إلى تشكيل مجتمع عالمي جديد يتجاوز المجتمعات المحلية ويقوم على أسس جديدة للهوية لا تمت بصلة للأسس القديمة القائمة على العرف أو اللغة أو الدين أو الوطن، وإنما على أساس رابطة الانتماء للشبكات الإلكترونية أو مواطن الانترنت¹. هذه العولمة التي صنعتها وكترستها وسأيرتها تكنولوجيا الإتصال والمعلومات لتفرز من بين ظواهرها ما بدأ يصطلح على تسميته القرية الاعلامية أو المجتمع الاعلامي الكوكبي². وقد أدت بذلك العولمة بفضل تكنولوجيا الاتصال والمعلومات إلى نهاية الجغرافيا كما عبر عن ذلك أحد المفكرين بقوله "وزال البعد المكاني بين الأمم والثقافات والحضارات بتأثير الثورة المعلوماتية وتحول الكوكب إلى قرية صغيرة لا مكان فيها لمنعزل ولا حصانة فيها لثقافة ولا استقلال فيها لوطن..."³. وعليه فإن ما تهدف إليه العولمة الثقافية هو إيجاد ثقافة عالمية تقوم على توحيد القيم الثقافية والتأثير على الأنماط السلوكية لأفراد المجتمعات وجميع ما يمكن أن يندرج تحت لفظة الثقافة، فهي عبارة عن توحيد للثقافات بغير حدود باستخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة كآلية لتحقيق الاختراق الثقافي وترسيخ ثقافة العولمة في دول العالم⁴. ولعل من النافل أن التهديد الثقافي للهوية الثقافية لا يقتصر فقط على الأمة العربية بل يمس معظم شعوب العالم اليوم بفعل العولمة الثقافية وثورة وسائل الاتصال والمعلومات. فمعظم شعوب العالم تنظر بكثير من الشك والتخوف إلى الإمكانيات الضخمة التي تتمتع بها المجتمعات الغربية وبخاصة المجتمع الأمريكي والتي بها تفرض هيمنتها الثقافية على بقية شعوب العالم. ولقد بات من الواضح ومما هو ليس بحاجة إلى تقاسم البراهين أن المنتج والمهيمن على المعلومات والصور وتسويقها بفرض رؤيته وتصوره على المتلقي، وإمكانه بصورة متزايدة فرض تصورات خاصة تغير في الهوية الثقافية والخصوصية وفي زاوية النظر إلى التراث الثقافي للشعوب العربية⁵.

وبهذا فإن الثقافة العربية ليست بمنى عن حاجتها إلى الأمن الثقافي فهي غير مؤهلة في الوقت الراهن لمواجهة الغزو الثقافي الغربي مما يستدعي وضع الإستراتيجيات الثقافية والتربوية ضمن خطة شاملة⁶. وبرز هنا دور الأمن الثقافي العربي كضرورة إستراتيجية ملحة لضمان تحصين الهوية الثقافية العربية من كل محاولات الطمس والاختراق والحفاظ على الثقافة الأصلية للأمة العربية، ومن ثم يعد الأمن الثقافي أحد

جوانب الأمن القومي الذي يشمل أيضا الأمن الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ولا شك أن الدفاع عن الوجود يكون قبل الدفاع عن الحدود. ولعل في ذلك أن الأمن الثقافي هو أهم جوانب الأمن القومي لأنه يمثل الحفاظ على الذاتية والهوية الثقافية للعالم العربي في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة وتهديدات العولمة الثقافية لإحتواء وهيمنة على الشخصية القومية، والحفاظ على المكونات الثقافية الأصلية التي تشكل الهوية الثقافية، وهو بهذا المعنى حماية وتحصين للهوية الثقافية العربية من الاختراق الثقافي والاحتواء من الخارج، وحماية أيضا للمؤسسات والأدوات الثقافية من الانحراف والارتقاء بما عن العجز والقصور وتعزيز التوجهات السليمة⁷.

مشكلة الدراسة وأهميتها:

إستنادا إلى ما تقدم تتحدد مشكلة الدراسة المتناولة بالتحليل ضمن هذه الورقة البحثية في التساؤل المحوري الآتي:

إلى أي مدى يمكن للأمن الثقافي الإسهام في حماية وتحصين الهوية الثقافية العربية من تحديات العولمة الثقافية؟

ومنه تهدف هذه الورقة البحثية إلى تناول بالتحليل السوسيولوجي إشكالية الهوية الثقافية العربية وطبيعة التحديات التي تواجهها في ظل انتشار العولمة الثقافية، وإبراز مدى أهمية الأمن الثقافي في الحفاظ على مقومات الثقافة العربية بأبعادها المختلفة وتحصين الهوية الثقافية العربية من كل محاولات الاختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة الثقافية من خلال آلياتها المتمثلة في تكنولوجيا الاتصال والاعلام الحديثة. كما تهدف إلى التوعية بضرورة تفعيل دور الأمن الثقافي العربي لمواجهة التهديدات الثقافية الراهنة والمستقبلية والحفاظ على الهوية الثقافية العربية. هذا وتكمن أهمية مشكلة الدراسة المتناولة بالتحليل في كونها تعالج قضية هامة من القضايا العربية المعاصرة التي تسير أحداث العصر بما يشهده من تحولات ومستجدات وتحديات متعددة الأبعاد، فهي قضية تطرح مصير الهوية الثقافية للشعوب العربية في ظل التهديدات المحدقة بها التي تطرحها العولمة الثقافية، وتثير التفكير في أنجع السبل والإستراتيجيات الثقافية الكفيلة بالحفاظ على الهوية الثقافية العربية والتصدي لمخاطر التفكك والانحلال والاحتواء التي تتهددها، حيث يتجلى هنا أهمية الدور الذي يمكن أن يؤديه الأمن الثقافي العربي كإستراتيجية فاعلة لحماية وتحصين الهوية الثقافية العربية.

1. تحديد المفاهيم الأساسية:

1.1. مفهوم الأمن الثقافي:

يكتسب مفهوم الأمن الثقافي معنى بنائياً تراكمياً إذ حسبنا الأمن مرادفاً في الدلالة لتحقيق الإشباع الذاتي من الحاجات الثقافية، على أن أمن ثقافة بهذا المعنى هو قدرتها على توفير حاجاتها على الإنتاج والتراكم ومغالبة الندرة والخصاصة والحاجة، ورفع خطر الخوف من العجز وفقدان القيم الثقافية والرمزية. ويصدق على الأمن الثقافي بهذا الحسبان ما يصدق على الأمن الاقتصادي والأمن الغذائي والأمن المائي⁸. هذا ويعد مفهوم الأمن الثقافي مفهوم معاصر في المصطلحات الفكرية وهو يتعلق بفهمنا لهويتنا القومية ويمدّ ثقتنا بمنظومتنا الثقافية القومية والوطنية وقدرتها على مواجهة التحديات التي يفرضها الانفتاح العالمي الراهن في مختلف الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمعرفية. والإلحاح في الطلب على الأمن الثقافي العربي يعني في وجه من وجوهه الأساسية الشعور بأن الثقافة العربية معرضة للخطر الأكيد وبأنها تسير في طريق التدهور.

ويمكن تعريف الأمن الثقافي بأنه "قدرة المجتمع على صون خصائصه المميزة رغم الظروف المتغيرة والتهديدات الثقافية الحقيقية أو المفترضة، وذلك يشمل اللغة والذاكرة الجماعية والهوية والممارسات الوطنية أو الدينية، مع قدرة المجتمع على انتقاء وإجازة بعض التغيرات المقبولة". ومفهوم الأمن الثقافي يتضمن معنى الدفاع من ناحية ومعنى الحماية من ناحية أخرى⁹، وهو أيضاً يعني الحفاظ على المكونات الثقافية الأصلية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة¹⁰. فالأمن الثقافي ليس مجرد تعبير لغوي سلبى ولكنه مصطلح أو مفهوم مشتق من الأمان، فهو يوحي إلى ضرورة الحفاظ على مقومات الثقافة العربية في أبعادها ومجالاتها ومظاهرها لتتابع دورها الوطني القومي ومضمونها الإنساني ومسؤوليتها الحضارية في سياق المعاصرة، وذلك بالمشاركة الفاعلة على المستويين الوطني القومي والعالمي¹¹.

وعليه فالأمن الثقافي ضروري للأمة التي تشعر بالأخطار الخارجية وتحشى من أن تذوب ثقافتها القومية في أثناء مواجهتها لثقافات أخرى غازية تفوقها قوة ومقدرة على الهيمنة¹². والأمن الثقافي يقوم على تفعيل المبادئ الثقافية القادرة على مواجهة التحديات والحفاظة على الهوية الثقافية والحضارية كهوية معاصرة لا تأخذ بمعايير الشمولية والوظيفية¹³.

2.1. مفهوم الهوية الثقافية:

إن الهوية الثقافية هي عبارة عن تلك الصورة التي تكونها جماعة ما عن نفسها والخصوصية المميزة للجماعة التي تجعلها مختلفة عن باقي الجماعات، وذلك نظرا لما تحمله من تشابكات دالة على الانتماء للجماعة¹⁴. الهوية الثقافية هي ما يمنح أفراد المجتمع مشاعر الانتماء والأمن والاندماج بالجماعة حيث تزودهم بالمعايير المشتركة التي تمكنهم من التواصل والتفاعل، وتزودهم بالقيم والطموحات المشتركة وبإمكانيات التوقع بسلوك الآخرين مما يساهم ببناء شعور الثقة بين أفراد المجتمع. هذا وإن مكونات الهوية تشير إلى ما يمكن تسميته بالرأسمال الاجتماعي حيث تساهم الهوية الثقافية إلى درجة كبيرة في التمييز بين الجماعات. فالهوية الثقافية تتضمن منظومة القيم أو المعايير القياسية التي تميز بها جماعة أو مجتمع بين ما هو جيد وما هو سيء، بين ما هو مرغوب وما هو غير مرغوب.

وتتحدد الهوية عموما بالإجابة عن الأسئلة: من نحن؟ ما خصائصنا؟ بماذا تتميز شخصيتنا؟ وبماذا تختلف عن الآخرين؟ ما العوامل المشتركة بيننا؟ ما الثوابت وما المتغيرات في تكوين شخصيتنا؟ ما التغيرات التي يمكن أن تحدث أو التي يمكن إحداثها دون أن تتشوش هويتنا؟¹⁵. وبهذا يتضح لنا أن الهوية الثقافية تصلح كأداة للتمييز بين "نحن"، أي المجموعة الوطنية بالتعبير المتداول، و"هم"، أي الآخرون الأجانب الذين لا يحملون نفس جنسية المجموعة الوطنية، وهنا تتأكد أهمية البعد الثقافي فإذا كان من الممكن أن تكون الثقافة نبع يغذي الهوية الفردية والجماعية فإن الهوية قد تتحول إلى إستراتيجية تستخدم الثقافة وتحورها لتصبح مغايرة تماما لما كانت عليه من قبل بحيث تستخدم من أجل الصراع ونفي الآخر¹⁶.

3.1. مفهوم العولمة:

إن العولمة تعني لغويا تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله¹⁷، وقد تنوعت عبارات الباحثين في تعريفها، على اعتبار أن العولمة هي ترجمة للكلمة الإنجليزية (Globalisation) والتي تعني الكونية، فهذا التعبير الإنجليزي مشتق من كلمة (Globe) المقصود بها الكرة الأرضية والكوكب الذي نحن نعيش عليه¹⁸. ومن هذا المنطلق فإن لفظ العولمة قد ظهر في اللغة الفرنسية سنة 1964 وذلك في إطار الأعمال الاقتصادية والجيوسياسية، فهو لفظ يعني نمو حركية الثروات، الخدمات، الأيدي العاملة، التكنولوجيا والرأسمال على المستوى العالمي، ثم تم تعميم هذا اللفظ خلال سنوات التسعينيات وذلك تحت

تأثير أطروحة بروز ما يسمى بـ "القرية الكونية" المنتجة من طرف الفيلسوف "مارشال ماك لوهان" (Murschall Muc Luhan)، وهذا خاصة عند ظهور الحركات المضادة للعولمة.

وعليه فإن لفظ العولمة يشير إلى تطور علاقات التبعية المتبادلة ما بين الأفراد، النشاطات الإنسانية، والأنظمة السياسية على مستوى العالم¹⁹. كما تم تعريف العولمة على أنها ظاهرة التوحيد الثقافي والإقتصادي التي يشهدها عالم اليوم مع عدم إغفال بقية النواحي السياسية والاجتماعية²⁰. وجاء في تعريف الكاتب " أحمد أمين " للعولمة أن هذه الأخيرة تعني "عولمة حضارة أو ثقافة بعينها هي الثقافة أو الحضارة الغربية، ويقول بدون تمييز تدقيقي بين المفهومين والحال أن الحضارة الغربية ليست حضارة إنسانية عامة بل هي تعبير خاص عن ثقافة أمة معينة أو ثقافة مجموعة معينة من الأمم، وصحيح أن هذه الحضارة قد توفر لها منذ زمن طويل - يرجع إلى ما يقرب خمسة قرون- وسائل فعالة مكنتها من فرض نفسها على أمم أخرى غير الأمة التي أنجبتها، ولكن هذا وحده لا يجعلها تستحق وصف الإنسانية أو العالمية ولا يزيل عنها خصوصيتها"²¹.

2.العوامل المؤثرة في بروز أزمة الهوية:

نشير بادئ ذي بدء أنه قد تم تعريف أزمة الهوية على أنها "عبارة عن تلك الوضعية التي يكون فيها الفرد عاجزا عن بناء هوية نفسية إجتماعية منسجمة ومنظمة، وغير قادرا على تحديد إنتمائه إلى جماعة ثقافية، سياسية وطنية، مما يؤدي به ذلك إلى إستحالة الاندماج الإجتماعي". كما عرفت أيضا بأنها "تعبير عن تلك الحالة الغامضة والصعبة التي يصبح في إطارها الفرد غير قادرا على تعريف ذاته إزاء الجماعة الإجتماعية، أي أنه بعبارة أدق يكون من الصعب على الفرد توضيح وتمييز إنتمائه لجماعة معينة لكونه يعرف إضطرابا وإحتلالا في سلوكه وتصورات، بحيث ينتهي به الأمر إلى أن يصبح مهمشا وبعيدا عن المشاركة الفعلية في الحياة الإجتماعية ككل، وذلك من خلال تفضيله لإستخدام وسيلة الإجتناوب والتهرب من مواجهة الواقع الإجتماعي المعيش، وهو ما يوحي بذلك إلى إصابته بأزمة الهوية"²².

ومنه تتعرض الهوية إلى أزمات وإضطرابات تختلف درجة حدة خطورتها حسب الظروف والتحديات المختلفة التي تواجهها وكيفية التفاعل معها، ومن طبيعة هذه الأزمات نذكر غموض الهوية الذي يتعرض له الفرد حيث يطرح على نفسه عددا من الأسئلة المنحصرة أساسا في: من أنا؟ من نحن؟ من هم؟ والتي

يصعب عليه الإجابة عليها عندما تختفي بعض خصوصيات أو مميزات الهوية، وذلك نظرا لإختفاء بعض القيم والمعايير الاجتماعية التي تعتبر أدوات الحكم على الفعل قصد التمييز بين السلوك السوي والسلوك الشاذ. ويظهر هذا الأمر جليا حين تحل محل القيم الأصلية في المجتمع قيم مستوردة بكيفية شعورية أو مفروضة عبر مختلف وسائل الهيمنة التي تريد إخضاع الشعوب وثقافتها إلى الهيمنة الثقافية وذلك تحت شعار أو غطاء العولمة، وفي هذه الحالة تتداخل القيم وتتصارع الثقافات وتختلط الأدوار على الأفراد، بخاصة منهم فئة الشباب، إذ يصعب عليهم في هذه الحالة الإجابة على تلك الأسئلة المطروحة سالفا²³.

فالدراسات التي جاءت حول أزمة الهوية أكدت على أن هذه الأخيرة تحدث عندما يكون هناك تحول وتغير اجتماعي متسارع، حيث يترتب عنه صراع ثقافي قيمي الذي يستلزم بناء هوية جديدة والتي كثيرا ما تكون سلبية لكونها تقوم على رفض وإنكار كلي للهوية الأصلية. فنوضح في السياق ذاته أنه عندما يوجد فاعلين أمام نسقين ثقافيين متصارعين لكونهما متعارضين فإنه يمكن لهؤلاء الفاعلين أن يظهروا أشكالا من السلوكيات المتغيرة، والقائمة أساسا على الإستسلام لإختراق تلك العناصر الثقافية الأجنبية والجديدة عنهم التي يواجهونها، على أساس أن الفاعل يتقبل تلك الثقافة الأجنبية الدخيلة وينغلق فيها بإعتباره مندمج في عالم فريد من نوعه مكتشف حديثا من طرفه، غير أنه من جانب آخر يحدث له انفصال عن ثقافته الأصلية والذي قد يصل به الأمر إلى أن يجد نفسه مبعدا أو مقصا عنها تماما.

هذا وفي ظل مواجهة الفاعل الاجتماعي لثقافة أجنبية الذي هو ملزم على التكيف معها في مجتمعه فإنه يطور وفقا لذلك إستراتيجيات هوياتية متنوعة والتي يمكن تصنيفها إلى نموذجين أساسيين هما:
أ. نموذج الإنطواء: والذي يكون فيه سلوك الفاعل مركّز أساسا على الإنطواء على الثقافة الأصلية والمحافظة عليها بطرق محددة.

ب. نموذج الإنفتاح: حيث يشهد فيه سلوك الفاعل تبدل أو تغير وذلك من خلال الإنفتاح على الثقافة الجديدة المتبناة والإنغماس أو، إن صح التعبير، الإندماج فيها وهذا قصد إكتسابه لخصائص تميزية يبنى على أساسها هوية شخصية مميزة له في إطار ذلك المجتمع الذي يعاني فيه من أزمة الهوية.

إن الباحثة "مالوسكا" (Malewska) ترى بأن الشباب المغاربة المهاجر إلى فرنسا يعيش هناك عمليتين مؤلفتين في ذات الوقت، حيث تكمن العملية الأولى في ذلك الإضطراب الوظيفي للثقافة الذي

يؤدي بالضرورة إلى عدم إمتلاك هوية ثقافية كاملة بكل قواها، بينما تتلخص العملية الثانية في تلك الصورة السلبية التي يتلقاها عن ذاته من قبل الآخرين، فهذين العمليتين هما في واقع الأمر إشارة عن صراع الهوية الذي تعيشه فئة الشباب المغاربي المغترب في فرنسا²⁴.

ومحمل القول إن الهوية ليست في حالة إستقرار وثبات مطلق وإنما هي معرضة لأزمات وإختلالات في بنيتها، وذلك تحت تأثير عدد من العوامل نذكر أهمها التغير الاجتماعي والثقافي ومستتبعاته بما يترتب عنه من تحولات عميقة في منظومة القيم والأنماط السلوكية، وإختراقات للخصوصيات الثقافية وما يمكن أن يبرز عنها من صراعات بين الأنماط الثقافية المحلية الأصلية والأنماط الثقافية الأجنبية الغربية، وفي ظل هذه الظروف الجديدة المتغيرة يكون بذلك الشباب أكثر الفئات عرضة للإصابة بأزمة الهوية²⁵. ويرى الباحث "أحمد زايد" "أن ثقافة العولمة التي تتحدى وتتصارع مع الهوية الإسلامية هي ذات خصائص معينة تجعلها تتميز بالقوة والدعم اللذين تفتقدهما الثقافة الإسلامية في هذا العصر، فهي ثقافة يصاحبها في الغالب خطاب تقني وعلمي وتنتقل عبر الوسائل الاتصالية الحديثة، وهي بذلك ثقافة مصنوعة بحساب ونخبوية تفرض من أعلى دون أن تكون لها قاعدة شعبية أو تعبر عن حاجات محلية أو تلتزم بأشكال ومضمون التراث الثقافي التي تنتقي منه، فضلا عن أنها ثقافة تعمل على خلق نماذج وصيغة موحدة عبر العالم، كما تدعم نظاما للصور والذهنية حول موضوعات خاصة لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالسوق الرأسمالي". ومن هذا المنظور يمثل المحور الثقافي الإمتداد الأوسع لحركة العولمة الثقافية التي تطل وتهدد كافة العناصر المكونة للوجود الديني أو الإنتمائي للدول المستهدفة، وذلك عبر وسائل متبعة لنشر ثقافة التغريب والعولمة. وبناء عليه نستطيع إستقراء أهم المظاهر التي تدل على أزمة الهوية لدى فئة الشباب العربي في عدة نقاط هامة وأساسية هي موضحة على الشكل الموالي:

- الإنهيار الشديد بالتقدم الغربي على مستوى التكنولوجيا والحضارة المادية.
- التطلع لمشاهدة الغربيين والأمريكيين وغيرهم من الشعوب المتقدمة مع الشعور بالدونية والإنكسار تجاه تلك الشعوب.
- التحرر من القيم المقيدة للسلوك الإباحي وذلك تشبها بالتحرر الغربي الجنسي والسلوكي.
- ضعف الولاء والإنتماء للتشكيل الإسلامي القيمي والمبادئ والمعيشي.

ونختتم كل ما تقدم في هذا العنصر بما ورد في قول الدكتور "شفيق عياش" حيث يرى هذا الأخير "أن المخاطر المحدقة بالثقافة الإسلامية، من جانب العولمة المعاصرة، تتطلب من جميع فعاليات الأمة الإسلامية السياسية منها والتعليمية، الثقافية، الاقتصادية وغيرها، التعاون من أجل وضع خطة إستراتيجية محكمة تكون كفيلة بالتغلب على مخاطر العولمة الثقافية من أجل إنقاذ شباب الأمة الإسلامية وحمايته من الانحراف الأخلاقي والسلوكي"²⁶.

3. دور وسائل الإعلام والاتصال في نقل العولمة الثقافية:

تعتبر وسائل الاتصال والمعلومات العامل الأساسي في تكوين القرية الكونية وتوحيد العالم، فالعالم قد تبنى إيديولوجية جديدة هي إيديولوجية الاتصال كبديل للإيديولوجيات السابقة التي عرفتها البشرية، وهي إيديولوجية مرشحة لتحقيق نجاح كبير خاصة وأن الحامل أو الناقل الأول للعولمة الثقافية يكمن أساسا في تكنولوجيا الإعلام الجديدة²⁷. وعليه فقد تبوأ الاتصال بمختلف مضامينه ووسائله مركز العولمة الثقافية وأصبح محركها وموجهها الرئيسي، ومن داخل ذلك الحقل يبرز موصلا أو أداتان تحتازان أبواب البيوت والحدود والجمارك بدون رخصة ولا إستئذان وهما الإذاعة والتلفزيون حيث يقومان بجملة من الوظائف التي حددها كل من الباحثان "أكون" (A. Akoun) في دراسته حول "سوسيولوجية الاتصال الجماهيري" و"أبودوراي" (A. Appoduray) في دراسته حول "الحداثة"، وتمثل هذه الوظائف في الآتي:

- نقل المضامين الثقافية داخل وخارج الحدود بالصوت والصورة.
- صياغة الأخبار والتأثير في المتلقي ليس بالصياغة والتعليق فقط بل وحتى بالإخراج والإيجاء والتمويه.
- التسلية والترفيه الذي أصبح فنا وتقانة صناعية معولمة تسيطر عليها شركات عملاقة.
- القدرة على التصفية القبلية للمعلومات بالحذف والإنتقاء في المجالات السياسية، الفكرية، الاقتصادية، مما يؤدي إلى عولمة بعض الأفكار والاتجاهات وطمس أخرى، كما هو الشأن في إبراز مكانة الورقة الخضراء "الدولار"، والتضخيم من خطر الحركة الإسلامية العالمية على ترسانة الدفاع الغربي.
- الترويج العالمي للإستهلاك والإشهار لعدد من السلع وإعطائها جاذبية تؤدي إلى الإدمان على التعاطي معها دون غيرها، ونشر ثقافة خاصة بمقاييس الرشاقة والزينة ومعارض عالمية لموضة اللباس حسب الفصول والسن والجنس، بحيث يتكون بذلك ما يسمى "بالشهية الثقافية" نحو نوع خاص من الثقافة.

لقد أخذت العولمة الثقافية صفتها الشمولية خلال العقدين الأخيرين والتصقت أكثر بوسائطها التي عرفت تطورا مذهلا²⁸، فالعالم المعاصر يمر في ظل العولمة بمرحلة تكنولوجية إتصالية جديدة تتسم بسمية أساسية وهي المزج بين أكثر من تكنولوجيا إتصالية تمثلها أكثر من وسيلة لتحقيق الهدف النهائي الذي ينحصر في توصيل الرسالة الإتصالية، لذلك يطلق على هذه المرحلة بمرحلة التكنولوجيا المتعددة الوسائط (Multi Media)، وتعتمد هذه المرحلة في تطويرها على الحاسوبات الإلكترونية والألياف البصرية والأقمار الصناعية وشبكة الانترنت، فلقد برزت ثورة في مجال تكنولوجيا الإتصال بحيث تتسم هذه الثورة بالسرعة والإنتشار والتأثيرات الممتدة من الرسالة إلى الوسيلة داخل المجتمع الواحد²⁹. إن شبكة الانترنت بوصفها وسيلة إتصال تختزل الوقت والمسافات وهي التي تجسد في الألفية الثالثة وفي إطار العولمة مفهوم مجتمع الإتصال بإعتبارها بمثابة أحدث وسيلة إتصالية التي تساهم في رفع مختلف الحواجز التي تمنع التداول الحر للمعلومات على مستوى الأفراد أو المؤسسات والهيئات³⁰. بحيث أن الانترنت قد خلق عالم جديد شفاف يتجسد في القرية الكونية التي تتميز بكونها خالية من الحدود والقوانين والضغطات ويتخللها الإنتشار الحر للمعلومات، إلا أن هذا الأخير قد أبرز من جانب آخر أزمة في منظومة القيم والرباط الإجتماعي، فضلا عن أن القوانين والمعايير هي بوجه خاص مرفوضة ومستبعدة في هذا العالم الجديد³¹. ومن هذا المنظور فإن تحويل العالم إلى مجرد قرية صغيرة يعد في الواقع تحقيق لهيمنة الأقوياء على الضعفاء والمراكز على الأطراف، ونذكر منها الهيمنة على وسائل الإعلام والإتصال التي أشار إليها وزير الخارجية الكندي السابق " فولكنر " منبها في ذلك بأن أحد أبعاد الهيمنة المنفردة للولايات المتحدة ليس الإحتكار ولكن شيئا أكثر من هذا معبرا عن ذلك بقوله "لكن كان الإحتكار أمرا سيئا في الصناعة الإستهلاكية فإنه أسوء إلى أقصى درجة في صناعة الثقافة، بحيث لا يقتصر الأمر على تثبيت الأسعار وإنما تثبيت الأفكار أيضا"³². فالشعوب القوية هي التي تسود بينما الشعوب الضعيفة ستتحرك في كنف نمط الحياة الذي يراد لها بخاصة أمام سيطرة الإعلام السمعي البصري والتواصل القوي والمباشر، فالنمط التلفزيوني هو المسيطر مما يشكل تهديدا لمنظومات القيم والرموز وتغييرا في المرجعيات الوجودية وأنماط الحياة حيث تشهد الشعوب العربية مخاطر الإقتلاع الثقافي، على أساس أن الثقافات الخاصة بالشعوب والأمم الأخرى قد وجدت نفسها عارية حيال تدفق الرسائل الإعلامية والمعلومات التي تجوب العالم على

مدار الساعة حاملة معها أبطالا ورموزا جديدة أخذت تملأ مخيلة المشاهد بدءا بعارضات الأزياء ونجوم الكرة وصولا إلى رموز الفن والسينما الأمريكية على وجه الخصوص، والأعمال والأطعمة وأنماط السلوك، وإننا لنتساءل هنا: كيف ستجابه المجتمعات العربية عراء رموزها الثقافية وتدفع الرموز الثقافية العالمية؟.

وبناء عليه فإن تأثير الإنتاج السمعي البصري الغربي، وعلى وجه التحديد الأمريكي، العابر للحدود في ثقافات بقية مناطق العالم كان موضوع كتابات كثيرة التي إشتكت كلها من مخاطر إنحلال الهوية الثقافية لتلك الدول المتأثرة به وعلى رأسها الدول العربية، بحيث أن البرامج المصدرة تتعارض مع القيم الأخلاقية والروحية لعدد من المجتمعات بخاصة منها العربية، فهذه البرامج الأجنبية تحمل في طياتها آثارا سيئة كانتشار نمط من المجتمع يركز أساسا على القيم المادية والإستهلاكية وذلك من خلال التطلع المتزايد لإمتلاك الحاجيات الإستهلاكية، ضف إلى ذلك أن أفلام العنف المروجة بنسبة عالية تؤدي إلى إنتشار المثل السلبية بين أوساط الشباب وتؤثر في ذوقه من خلال جعله يميل شيئا فشيئا إلى أفلام الحرب والعنف والغنى الخلاب، الأمر الذي يجعله يعرض عن مشاهدة برامج الإنتاج المحلي لبلده ومن ثم إقباله على مشاهدة البرامج الثقافية الغربية بإفراط³³. وعليه فقد عملت تكنولوجيا الاتصال الحديثة على تنميط العالم على نحو من نمط المجتمعات الغربية وبالذات نمط المجتمع الأمريكي وذلك من خلال نقل قيم المجتمع القومي والأمريكي ليكون المثل القدوة، وكذلك ترويج الايديولوجيات الفكرية الغربية وفرضها في الواقع من خلال الضغوط الاعلامية والسياسية وهذا ما تلعبه تكنولوجيا الاتصال الحديثة اليوم³⁴.

يقول "محمد عابد الجابري" في المسألة الثقافية في الوطن العربي "إننا معرضون لغزو ثقافي مضاعف، الغزو الكاسح الذي يحدث على مستوى عالمي، والغزو الذي تمارسه علينا الدول الاستعمارية التقليدية، أما الوسائل فهي نفسها الإعلام بالمعنى الواسع والمتشعب، الإعلام الذي يغزو العقل والخيال والعاطفة والسلوك ناشرا قيما وأذواقا وعادات جديدة تحدد الثقافات الوطنية والقومية في أهم مقوماتها ومكانم خصوصيتها. من هنا فالغزو الثقافي أو الاختراق الثقافي (كما يسميه الجابري) إنما هو مرحلة غزو واختراق للنفوس بعدما غزت القوة الأبدان والأجساد، والهدف من إخضاع النفوس إنما هو غزو العقل، تكييف المنطق، توجيه الخيال، صنع الأذواق، ترسيخ نوع معين من القيم، تكريس إيديولوجيا خاصة، إيديولوجيا الاختراق³⁵، كمرحلة لا مناص منها لتوسيع الفضاء الإنتاجي وتكريس نموذج النظام الاستهلاكي

المهيمن... أي النظام الاستهلاكي الغربي المقدس للسلعة وللمستهلك". ويقول في ذلك "جال ديلكور"
"إن الهيمنة الثقافية وفرضها على دول الجنوب إنما هي أحد شروط غزو الأسواق وتوسيعها"³⁶.

4. الأمن الثقافي ومسألة الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة:

تواجه الثقافة العربية تحديات الثورة المعلوماتية والإعلامية والعولمة وقواها الاقتصادية والمالية الجبارة، فتجابه مشكلات العلاقة بين الخصوصية الثقافية والوحدة الثقافية الكونية وتعدد الثقافات والشخصيات الثقافية والهيمنة الثقافية، ومسألة العلاقة بين الذات والآخر في ظروف العولمة الكاسحة وما يتصل بذلك من مصطلحات أو مفاهيم تظهر الهواجس والمخاوف والمخاطر الممكنة على اللغة والأصالة والهوية والأمن الثقافي العربي³⁷. إن العولمة ترى في الهوية الثقافية الحصن المنيع الذي قد يعطل نجاحاتها المتواصلة متى تمسك الشعب أو الأمة بها وإستند عليها في فضح ألاعيب وأساليب العولمة وأخطارها المحققة على حاضر ومستقبل الأمة. ومن هذا المنطلق فإن العولمة تمارس سياسة الإختراق الثقافي الذي يستهدف النفس والعقل ووسيلتها في التعامل مع العالم، أي أنها تستهدف الوعي والإدراك لأنه حينما يتم سلب الوعي أو الإدراك لأي شعب يصبح بذلك سهلاً أن تمارس الهيمنة على الهوية الثقافية الفردية أو الجماعية.

وعليه فإن صيرورة الإدراك الثقافي العام في ظل العولمة هو أن تصبح مواد الإستهلاك (معلبات ثقافية) جاهزة للإستهلاك من خلال ما تتفنن إمبراطوريات الإعلام في تقديم السلعة تحت وطأة إغراء لا يقاوم، حيث لا وقت فيه للمستهلك للتمحيص والتدقيق مما قد يسهل إختيار أسوار دفاعاته، الأمر الذي يدفع بذلك بالوعي إلى التحول لمجال مستباح لكل أنواع الإختراق بعد أن تتكفل التقنية الإعلامية الهائلة بتقديمه بشكل مبهر ومغر وجذاب، وهو الذي سيؤدي إلى إصابة نظام القيم الاجتماعية بالتفتت والتشظير بحيث تقتل ثقافة العولمة الروح وتذهب بالمحتوى الأخلاقي والإنساني لسلوك الأفراد³⁸. حيث يجعل ذلك من الثقافة تبدو وكأنها غير معبرة عن تمثل الأفراد لمخيطهم وأنظمتهم الاجتماعية إزاء ذلك، ولأن الهوية الثقافية تعبر عن المنتج الاجتماعي إذ أنه قد تم في عصر العولمة تسليعها بغيرها من المنتجات مع الإقرار بأن مجال المنافسة في تسويق هذه السلعة غير متاح للجميع، الأمر الذي يفرض بنا إلى القول إن التبادل الثقافي العالمي هو تبادل غير متكافئ ومتوازن بين الثقافات والشعوب ولا يعبر قط عن عولمة ثقافية مفتوحة ومعطاءة وقادرة على الإستيعاب، بل إنه ذو رافد واحد ومحدد أي أنه إختراق ثقافي وليس ثقافة عالمية³⁹.

وهناك من الباحثين من يعرف الإختراق الثقافي على أنه حركة إنتقال الأفكار والقيم والعادات الغربية بشكل مكثف وغير مسيطر عليه إلى المجتمعات الأخرى. ويعتبر الإختراق الثقافي بمثابة سياسة وإستراتيجية تنتهجها بعض الدول للتدخل في شؤون الغير وذلك قصد التأثير في هويتهم الثقافية وسلوكياتهم وكذا معتقداتهم، بحيث يكون تدخلها كلياً أو جزئياً وبمختلف الوسائل والأساليب المنحصرة أساساً في مجموعة الأنشطة الثقافية والإعلامية والفكرية التي توجهها جهة أو عدة جهات نحو مجتمعات وشعوب معينة، وذلك بهدف تكوين أنساق من الإتجاهات السلوكية والقيمية وأساليب التفكير بما يخدم مصالح وأهداف الجهة التي تمارس عملية الإختراق الثقافي⁴⁰.

وعليه فإن الإختراق الثقافي يقوم على عدد من الأهداف التي يتم السعي إلى تحقيقها من ورائه نذكر من أهمها تبعية ثقافة الدولة المستقبلية لثقافة الدول الباثة وذلك حتى يتم بالتالي إعتماؤها عليها بنيوياً في إنتاج القيم والمعاني والأفكار التي تحتاج إليها مجتمعات هذه الدول المستقبلية، بحيث يعود ذلك إلى تفوق الثقافات المخترقة في تأثيرها على هذه الدول المستقبلية وذلك لإنعدام الثقة بالنفس لديها، إذ يتم تعطيل الإرادة الوطنية لهذه الدول التابعة ثقافياً وذلك حتى لا تتمسك بهويتها الثقافية ويتحقق تبعاً لذلك ما يسمى بالإستتباع الثقافي الذي يهدف إلى محو الشخصية⁴¹. ومما لا شك فيه أن نظام ثقافة العولمة أصبح المصدر الجديد الأقوى لإنتاج القيم والرموز وصناعاتها وتشكيل الوعي والذوق عبر نظام الإعلام المسموع والمرئي، فثقافة العولمة هي بمثابة معلبات ثقافية تتضمن مواد جاهزة للإستهلاك، فهناك هجوم لثقافة الصورة على الوعي التي تعمل على تكريس منظومة جديدة من القيم حتى يزداد التشبث بالقيم النفعية والفردانية والأنانية والنزعة المادية المجردة من أي محتوى مادي، فالعولمة هي في الحقيقة ليست سوى السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات بواسطة إستثمار الثروة في ميدان الإعلام والإتصال⁴².

وبناء عليه فإن العولمة الثقافية التي تنادي بها القوى النافذة والفاعلة تحتل المسرح السياسي العالمي، وذلك بعد أن تغيب وتطرد وتستعجن كل الثقافات الوطنية وتبرز معاييرها وتحجب إيجابياتها وذلك بفعل، إن صح التعبير، إغتصاب ثقافي وعدوان سافر على جميع الثقافات بعد أن يتم السيطرة عليها من خلال إستثمار مكتسبات التقنيات الهائلة في ميداني الإتصالات والمواصلات، مما يمكن هذه الثقافة المدججة بكل أسلحة القوة والنفوذ من التمدد خارج حدودها الوطنية والقومية.

إن الوضع الثقافي العالمي الراهن يكرس ثقافة العولمة التي هي في الواقع ثقافة الإختراق⁴³، ذلك الإختراق الذي لا يقف عند حدود تكريس الإستتباع الحضاري بوجه عام بل إنه يسعى ليكرس الإنشطار في الهوية الوطنية القومية ليس فقط على ما نعيش فيه من زمن بل يمتد صعودا للأجيال القادمة، وذلك من خلال النضج الثقافي لثقافة العولمة وإسقاط كل محاولة لتجديد الثقافة الوطنية القومية من داخلها بإعادة بنائها وممارسة الحداثة في معطياتها وتاريخها، فمثل هذا الأمر أدى إلى زيادة بؤر التوتر على مستوى الإختلافات الثقافية والحضارية بسبب عملية إغراق السوق التي تمارسها إمبراطوريات الإعلام الأمريكية بالثقافة الشعبية الأمريكية، خاصة وأن هذا الغزو له سمة مميزة في ظل التقدم التكنولوجي الحديث والمتفاوت بين المجتمعات المختلفة والذي يميل بشكل صارخ لصالح دول العولمة والذي يمكن أن نعتبره بمثابة نفي للثقافة⁴⁴. ذلك أن الثقافة الغازية هذه تتسم بعوائدها المستحکم لأية هوية أو صورة من صور التفرد والتميز، ومن المؤكد أن ما يستهدفه هذا النوع من الغزو الثقافي العالمي هو كل مقومات الخصوصية الثقافية من قيم وأذواق ومختلف أنماط السلوك، الأمر الذي ينعكس أثره حتما على الفكر الوطني القومي للمجتمعات، فهو يستهدف تسطيح الوعي بالسيطرة على الإدراك وتكريس نمط من الإستهلاك⁴⁵.

إن الغزو الثقافي الذي يتم في ظل التكنولوجيا الحديثة يمكن أن يعتبر حقا غزو ثقافة لثقافة ولكن فيه أيضا سمة نفي الثقافة أصلا، ذلك أن الثقافة الغازية الصادرة عن أمة بعينها تتسم بعوائدها المستحکم للتفرد أي بعوائدها لأية هوية فهي تسحق هذا التفرد والتميز سحقا، وهذا هو حجر الزاوية في نظرية "جلال أمين" حول الثقافة حيث يرى بأن الهوية معناها في الأساس التفرد والهوية الثقافية هي التفرد الثقافي، والحال أن التقدم التكنولوجي يؤثر بطبيعته على الهوية الثقافية، ذلك لأن التكنولوجيا الحديثة، على وجه الخصوص، تكتسي القدرة الكامنة في أن تصبح أداة قهر من خلال ما تفرضه من زيادة في درجة النمطية (Standardisation) في عملية الإنتاج ومن ثم في عملية الإستهلاك كذلك. إذ أن النمطية بطبيعتها نقبض التفرد فتسهل عملية الإنتاج يتركز على زيادة درجة تقسيم العمل أو التخصص ويمكنة الإنتاج، والذي يتمخض عنه بالضرورة زيادة درجة التكرار والتماثل فيما يجري إنتاجه وإستهلاكه، فإن الإنتاج المتفرد يحل محله الإنتاج الكبير الواسع الذي يسمى بـ "الإنتاج النمطي"، حيث يتحول تبعا لذلك الإستهلاك المتميز إلى إستهلاك جماهيري والذي تدفع من أجله الهوية ثمنا باهظا في ظل عصر

العولمة. ويأتي تعريف "جلال أمين" للثقافة أو بالأحرى لوظيفة الثقافة بأنها "التفرد الثقافي"، وبديهي أن هذا التعريف ليس من النوع الجامع المانع، بل هو تعريف إختاره دون سواه لأنه يخدم غرضه في نقد الحضارة التكنولوجية الغربية بوصفها في عبادتها المزعومة لمبدأ التنمية، على أنها نغيا للثقافة والتفرد الثقافي الذي يعتبر بمثابة المحدد الأساسي للهوية الجماعية⁴⁶.

على أساس أن الثقافة في عصر العولمة اليوم قد صارت صناعة حيث أن السينما والتلفزيون والموسيقى والوسائط الإلكترونية كالإنترنت والبريد الإلكتروني وأقراص الكمبيوتر بما تحمله من مواد ثقافية، كلها منتجات ثقافية مصنوعة ومصدرة شأنها في ذلك شأن السيارات وأجهزة الهاتف المحمول وغيرها. إن صناعة الثقافة وإنتقالها وتصديرها إلى المجتمعات الأخرى من العالم هو التمهيد الأول الذي يخلق عقلية إستهلاكية لدى مواطني تلك المجتمعات لتبني أنماط حياة المجتمعات المصدرة للثقافة والمنحصرة في أنماط الملابس والمأكل والعمل⁴⁷. فما من شك أن الأزمة الذاتية للثقافة العربية قد إشتدت وأخذت أبعادا جديدة بعد إنتشار ظاهرة العولمة بأشكالها المختلفة وما أدت إليه من إختراق للثقافات من قبل الثقافة الغربية والثقافة الأمريكية الطاغية. فعلى الثقافات العربية القديمة أن تختار بين أن تطور نفسها وتدخل ميدان المنافسة مع الثقافات الغربية الأمريكية، ومن ثم تشارك في صنع الثقافة العالمية الجديدة التي نشأت في إطار العولمة، أو أنها تعزل وتحاول الدفاع عن وجودها بهذه الطريقة غير المجدية أمام أسلحة العولمة ويكون بذلك مصيرها الإندثار. ويؤكد ضمن هذا السياق الباحث "تركي الحمد" "أن الأهم في قضية العولمة هي أنها عملية تاريخية جارية أي أنها واقع معاش، وبالتالي فالقضية ليست قضية إختيار إيديولوجي أو سياسي في أن نقبلها أم لا بقدر ما هي قضية سؤال حول كيفية التعامل معها وإستيعابها؟"⁴⁸.

وبهذا بات الأمن الثقافي مطلب أساسي لحماية الهوية الثقافية العربية والحفاظ على مستويات الثقافة في أبعادها ومجالاتها المتعددة والوقوف ضد التيارات الهدامة التي تؤدي إلى تذبذب الأفكار وإعاقة عملية التنمية، فالفرد لا بد أن يتسلح بخصائص ومهارات معينة تعينه على التعايش الإيجابي مع تحديات القرن الحادي والعشرين منها أن يكون الفرد بحضارته وقادرا على النظرة الموضوعية تجاه الثقافات الأخرى، وأن يكون قادرا على الجمع بين الأصالة والمعاصرة متمسكا بهويته معتزا بثقافته وأن يعمل على تنميتها وتطويرها، ويكون كذلك قادرا على توجيه اهتماماته نحو المشكلات التي تواجهه⁴⁹. فالأمن الثقافي هو

بذلك حماية للعقل العربي من الاحتواء الخارجي والمؤثرات الأجنبية الضارة وتأمين خبرته الثقافية الأصلية من التشويش والتضليل، وصيانة المؤسسات الثقافية في الداخل، وهو يهتم بالثقافة الأصلية وأدواتها ووسائلها ومؤسساتها ومدى تحقيق هذه المؤسسات والوسائل للأهداف المنشودة، وكل ذلك يصب في تحقيق هدف أساسي وهو الحفاظ على الشخصية العربية بسماتها الأصلية وثقافتها العريقة التي تكونت على مدى قرون عديدة استندت خلالها على معطيات الحضارة العربية الإسلامية. ومن هنا فالأمن الثقافي هو دعوة إلى التعامل مع الثقافات الأجنبية من موقف قوة لا نشعر معه بالدونية والوهن، ولا نقف في خندق الدفاع ضد الغزو الثقافي فننحصر في بئر العزلة والعداء للثقافات الانسانية.

وليس مبالغة بعد ذلك أن نعد قضية الأمن الثقافي العربي أنها لا تقل في خطورتها عن قضية الدفاع العربي المشترك، لذلك فنحن ندعو إلى ابرام اتفاقية عربية تنص على تحقيق الحصانة الفكرية والوعي الحضاري والالتزام الخلقي للأجيال العربية الجديدة، وتكوين الشخصية العربية الأصلية ذات المقومات والأبعاد التي تربط بين التراث الثقافي والدين وتواكب العصر والحضارة التقنية معاً، وتبصير هذه الأجيال بالتحديات التي تفرضها العولمة الثقافية ووسائل الأعداء في حركهم الثقافية الرامية إلى سلب هوية الجيل العربي واحتواء عقله ووجدانه. وبناء عليه يتطلب هذا الواقع الذي يعكس المخاطر التي تتهدد الهوية الثقافية العربية بذل جهد منظم تتوافر له الامكانيات والوسائل لمواجهة محاولات الاحتواء والهيمنة على الثقافة العربية من قبل الاختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة الثقافية، كما يتطلب التخطيط لاصلاح مؤسسات الثقافة الوطنية وأساليبها وتوجهاتها، وهذا الجهد العلمي المنظم يجب أن يتبلور في مشروع ثقافي عربي يضع البرامج للعمل ويحدد الاطارات للتنفيذ فيعالج جوانب الضعف في البنية الثقافية عن طريق خطة للتنمية الثقافية الشاملة، ويحدد التوصيات التي تضمن تأمين الثقافة ضد الأخطار الخارجية ويتجاوز في كل ذلك المعوقات التي يطرحها واقع التجزئة السياسية. وإلى هنا فإن اعتماد نظرية شاملة للثقافة العربية هو المرتكز الأساسي في بناء المشروع الثقافي العربي الذي يهدف إلى تحقيق الوعي بالذات الثقافية والوعي بالدور الحضاري وبعملية التشويه أو النقص لمقومات الثقافة العربية الإسلامية والبصيرة بالجرائم الفكرية والروحية التي ترتكب ضد الأمة العربية. إن الهدف الأول للمشروع هو غرس الوعي بالذات وبالموقف وبالآخر وتنميته لتحقيق الحصانة الفكرية لدى جماهير الأمة العربية⁵⁰.

خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية نخلص إلى القول إن الأمن الثقافي العربي يعد بمثابة، إن صح التعبير، جهاز الأمن الإستراتيجي الكفيل بتحقيق الحصانة للهوية الثقافية للمجتمعات العربية من مخاطر الاختراق والاحتواء من جانب التيارات الثقافية الأجنبية الوافدة في ظل انتشار العولمة الثقافية وتدايها، وما يمكن أن يبرز ما بعد من تحديات في آفاق المستقبل وسط الظروف الجديدة ومختلف التحولات الإقليمية والعالمية. حيث تمحض عن العولمة الثقافية آثار سلبية تنحصر أهمها في اختراقها للخصوصيات الثقافية لشعوب العالم، لاسيما منها العربية، حتى تفقد مرجعيتها وتسهل بذلك عملية استيعابها، باعتبار أن العولمة قد باتت خطر يهدد الهوية الثقافية لمجتمعاتنا العربية بالذويان والانسلاخ. مع تسليمنا في ذلك بأن الأمن الثقافي العربي قد أضحى في عصرنا الراهن ضرورة ملحة تستدعي التعاون العربي المتكافئ والمتكامل لوضع إستراتيجية عربية موحدة ومحكمة لتعزيزه وتفعيل دوره لمواجهة التحديات الثقافية الآنية والمستقبلية. على أن يتم في إطار تعزيز الأمن الثقافي العربي الحرص على عدم الانطواء والانغلاق على الذات والإنعزال وتجنب الانفتاح على الثقافة الغربية والاستفادة من تطورها العلمي والتكنولوجي بحجة الدفاع عن مقومات هويتنا الثقافية والحفاظ على أصالة الثقافة العربية من مخاطر الاختراق الثقافي الأجنبي لها، وإنما يجب أن يتم تجسيد الأمن الثقافي العربي من منظور مستقبلي ديناميكي يقوم بعبارة أدق على التجاوب مع مختلف المعطيات والظروف الجديدة المنبثقة عن التحولات العالمية وذلك من دون التنازل عن مبادئ وثوابت الأمة العربية، ومسايرة التطورات العلمية والتقنية الحاصلة على مستوى العالم الغربي والتفاعل الإيجابي مع العولمة بكل أبعادها عن طريق الاستفادة الإيجابية والعقلانية من المنتجات التكنولوجية والمعلوماتية والثقافية الصادرة عنها، وتحقيق التبادل الثقافي المتكافئ بين ثقافات الشعوب وهذا دون التنكر للهوية الثقافية العربية أو الانسلاخ عنها.

كما ينبغي في السياق ذاته تحقيق التنمية الثقافية في الوطن العربي للارتقاء بالثقافة العربية وتبوءها للمكانة التي تستحقها في الثقافة العالمية، وهو ما يتطلب بذلك ضرورة تقديم الدعم المادي والمالي للمؤسسات الثقافية والنخبة المثقفة في الوطن العربي، والعمل على تشجيع الفكر العربي الخلاق والمنتج وتنمية روح المبادرة والابداع لدى المثقف العربي بما يجعل منه عنصرا إيجابيا فاعلا ومنتجا باستطاعته إحداث التغيير المنشود في مجتمعه وتقديم منتج ثقافي متميز يرقى إلى مستوى منافسة المنتج الثقافي الغربي،

وهو ما من شأنه وضع حد للاستهلاك الثقافي في الوطن العربي وحتى لا يكون هذا الأخير مجرد مستهلك لثقافة الغرب ومنتجاته التكنولوجية بل يتحول إلى منتج للثقافة، ونخص بالذكر هنا إنتاج برامج تليفزيونية التي تبث على القنوات الفضائية ذات جودة وهادفة، وإنتاج مادة ثقافية تتطابق مع واقع المجتمعات العربية وخصوصياتها الثقافية بحيث تعزز روح الانتماء الثقافي والحضاري وتكون لها القدرة على جذب الجمهور العربي تجاهها وحمله على متابعتها كبديل عن البرامج الثقافية الغربية.

الهوامش:

1. السيد رشاد غنيم(2008). التكنولوجيا والتغير الاجتماعي، ط1، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص.ص.224-238.
2. يحيى اليحياوي(2002). في العولمة والتكنولوجيا والثقافة -مدخل إلى تكنولوجيا المعرفة-، ط1، بيروت: دار الطليعة للنشر، ص.19.
3. الشيخ عبد القادر عثمان، "آثار العولمة على وسائل الاعلام"، ص.ص.359، 360، أعمال الملتقى الدولي حول "العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية"، الجزائر 10-12 ماي 2004، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، ص.ص.350، 349.
4. عبد العزيز التويجري(2001). العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي، دار الفكر العربي، ص.30. نقلا عن عن صفية نازري، الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي في ظل تنافي العولمة، رسال الماجستير، كلية الحقوق، جامعة باتنة، 2010-2011، ص.ص.31، 32. متاح على الرابط:
[https://www.theses.univ-batna.dz.date et heure de visite :09/02/2021.20H57](https://www.theses.univ-batna.dz.date%20et%20heure%20de%20visite:09/02/2021.20H57)
5. سمير إبراهيم حسن(2007). الثقافة والمجتمع، ط1، دمشق: دار الفكر، ص.ص.417-420.
6. أحمد محمد مرسي(2006). حماية الأمن الفكري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ص.ص.46-49. نقلا عن موفق محمد نبيل، محمد ياسين الشريف(2011). "الأمن الثقافي ودور الأمن التربوي كبعد إستراتيجي في تحقيقه، من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية في كليات العلوم التربوية في الجامعات الأردنية"، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ص.5. متاح على الرابط:
7. محمود محمد النجيري(1991). الأمن الثقافي العربي التحديات وآفاق المستقبل، الرياض: دار النشر المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ص.ص.11-16. متاح على الرابط:
[https://www.ketabpedia.com.date et heure de visite :09/02/2021.20H10](https://www.ketabpedia.com.date%20et%20heure%20de%20visite:09/02/2021.20H10)

8. عبد الاله بلقزيز، في مفهوم الأمن الثقافي، جريدة الوطن، الامارات، العدد 1530، مارس 03 2009. نقلا عن صفية نازري، مرجع سابق، ص.51.
9. سمير إبراهيم حسن(2007)، مرجع سابق، ص.451.
10. أحمد محمد مرسي(2006)، مرجع سابق، ص.ص.46-49.
11. مسمودي مصطفى(1996). "تأثير الإعلام الكوني على الأمن الثقافي العربي"، أعمال مؤتمر الأمن العربي التحديات والتطلعات المستقبلية، مركز الدراسات العربي الأوروبي، نقلا عن موفق محمد نبيل، محمد ياسين الشريف(2011)، مرجع سابق، ص.10.
12. أحمد محمد مرسي(2006)، مرجع سابق، ص.ص.46-49.
13. حسن سمير إبراهيم(2005). "الاستراتيجيات والسياسات الثقافية الوطنية والقومية ودورها في ترسيخ الهوية والأمن الثقافي العربي"، المحلة العربية الثقافية، العدد46، ص.ص.9-45، نقلا عن موفق محمد نبيل، محمد ياسين الشريف(2011)، مرجع سابق، ص.11.
14. جوهر عيلاش، "الهوية لدى المراهقين القبائل"، أطروحة ماجستير، معهد علم النفس، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص.ص.27، 28.
15. سمير إبراهيم حسن(2007)، مرجع سابق، ص.432.
16. محمد العربي ولد خليفة(2003). المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، الجزائر: د.م.ج. ص.ص.110، 105.
17. طلال عتريس(1998). "العرب والعولمة"، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. ص.297.
18. أحمد صديقي التجاني، "العرب والعولمة"، نقلا عن طلال عتريس(1998)، مرجع سابق، ص.62.
19. « Définition de la Mondialisation », Article Publier sur Internet, in siteweb: <https://www.mondialisation-wikipedia>
20. شبكشي علي حسين، "جيل القرن الواحد والعشرين والعولمة"، صحيفة الشرق الأوسط، ص.ص.82، 108، نقلا عن مصطفى عبد القادر(2004). الشباب بين الطموح الإنتاجي والسلوك الاستهلاكي، ط1، لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص.ص.84، 85، 110.
21. جلال أحمد أمين(1998). العولمة، ص.ص.39، 8، نقلا عن جورج طرابيشي(2000). من النهضة إلى الردة تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة، بيروت: دار الساقي للنشر، ص.151.
22. Groupes de chercheurs, **Crise d'Identité et Déviance chez les Jeunes Immigrés**, Paris, 1982, P.P10-20.

- 23.مي العبد الله سنو(2001). الإتصال في عصر العولمة الدور والتحديات الجديدة، بيروت: دار النهضة العربية، ص.ص.50-63.
- 24.Geneviève Vinsonneau, **Culture et Comportement**, Edition Armand Colin, Paris, 2000, P.131.
- 25.Malewska, (H.P.) et Cohon, (C.), **Le Travail Social et les Enfants de Migrants**, Edition L'Harmattan, Paris, 1988, P.223.
- نقلا عن محمد مسلم(2004). **خصوصيات الهوية وتحديات العولمة**، الجزائر: دار قرطبة للنشر، ص.ص.54.
- 26.Mustapha Chérif: « la Mondialisation et L'Identité », Actes du Colloque International sur « la Mondialisation et son Impact sur la Culture Islamique », Organisé à Alger le 10-11 et 12 Mai, 2004, Publications du Haut Conseil Islamique, Alger, 2005, P.P.43, 55.
- 27.ناصر بن سليمان العمر(2007). "أزمة الهوية عند الشباب المسلم نظرة تشخيصية"، **مجلة المسلم**، ص.ص.1-6، مقال منشور على شبكة الأنترنت، متاح على الرابط:
<https://www.almoslim.net>
- 28.منصف بوزفور(2004). **العولمة والنظم الحارسة**، الجزائر: م.و.م.ف، ص.ص.261، 262.
- 29.محمد العربي ولد خليفة(2003)، مرجع سابق، ص.ص.203-401.
- 30.طه عبد العاطي نجم(1998). **الإتصال الجماهيري**، الإسكندرية: دار المعرفة للنشر، ص.ص.293.
- 31.محمد لعقاب(1999). **الانترنت وعصر ثورة المعلومات**، ط1، الجزائر: دار هومة، ص.ص.32.
- 32.Philippe Breton, **Le Culte de L'Internet une Menace pour le Lien Social ?** Edition Casbah, Alger, 2004, P.63.
- 33.منصف بوزفور(2004)، مرجع سابق، ص.ص.268-293.
- 34.شطاح محمد(2003). "التلفزيون والطفل"، مجلة المعيار، قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر، العدد7، ص.ص.91. نقلا عن محمد الفاتح حمدي وآخرون(2011). **تكنولوجيا الإتصال والاعلام الحديثة**، الجزائر: كنوز الحكمة للنشر، ص.ص.17.
- 35.محمد عابد الجابري(1994). **المسألة الثقافية في الوطن العربي**، سلسلة الثقافة القومية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص.ص.44، 199. نقلا عن يحيى اليحياوي(2002). مرجع سابق، ص.ص.40، 41.
- 36.Delcourt, J., « Marchandisation de la culture et nouveaux espaces culturels », In : Revue Contradictions, n 64, 1994.
- نقلا عن نفس المرجع، ص.ص.41.

37. يحيى اليحيوي (2004). "التكنولوجيا والإعلام والديمقراطية"، بيروت: دار الطليعة، ص. 39. نقلا عن باية سيفون (2016). الانترنت والصحافة الإلكترونية -دراسة في طبيعة العلاقة والتأثير-، الجزائر: دار الخلدونية، ص. 93.
38. سمير إبراهيم حسن (2007)، مرجع سابق، ص. 413.
39. بلقزيز عبد الإله، "العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة"، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد 29، 1998، ص. 95، 96.
40. محمد عابد الجابري (1994)، مرجع سابق، ص. 192، 190.
41. أيمن منصور ندا (1996). "الإختراق الثقافي عن طريق البث الوافد"، أعمال ندوة الإختراق الإعلامي للوطن العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، دون ذكر البلد، ص. 14.
42. جورج طرابيشي (2000)، مرجع سابق، ص. 171.
43. عبد الإله بلقزيز (1997). النظام الإعلامي السمي البصري الغربي والإختراق الثقافي، نحو إستراتيجية جديدة للدفاع الذاتي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص. 316.
44. محمد عابد الجابري (1994)، مرجع سابق، ص. 171.
45. أحمد أمين جلال، "العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث"، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد 234، 1998، ص. 67.
46. محمد عابد الجابري (1994)، مرجع سابق، ص. 172.
47. جلال أحمد أمين (1998)، "العولمة"، مرجع سابق، ص. 158، 155.
48. علي حسين شبكشي، مرجع سابق، ص. 138.
49. صفية نزاري، مرجع سابق، ص. 57، 58.
50. محمود محمود النجيري (1991)، مرجع سابق، ص. 16، 21، 199-210.

قائمة المراجع:

1. أحمد أمين جلال، "العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث"، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد 234، 1998.
2. أيمن منصور ندا (1996). "الإختراق الثقافي عن طريق البث الوافد"، أعمال ندوة الإختراق الإعلامي للوطن العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، دون ذكر البلد.
3. باية سيفون (2016). الانترنت والصحافة الإلكترونية -دراسة في طبيعة العلاقة والتأثير-، الجزائر: دار الخلدونية.

4. بلقزيز عبد الإله، "العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة"، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد 29، 1998.
5. بلقزيز عبد الإله (1997). النظام الإعلامي السمعي البصري الغربي والإختراق الثقافي، نحو إستراتيجية جديدة للدفاع الذاتي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
6. جواهر عبلاتش، "الهوية لدى المراهقين القبائل"، أطروحة ماجستير، معهد علم النفس، جامعة الجزائر، 2001-2002.
7. جورج طرابيشي (2000). من النهضة إلى الردة تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة، بيروت: دار الساقى للنشر.
8. السيد رشاد غنيم (2008). التكنولوجيا والتغير الاجتماعي، ط1، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
9. سمير إبراهيم حسن (2007). الثقافة والمجتمع، ط1، دمشق: دار الفكر.
10. الشيخ عبد القادر عثمان، "آثار العولمة على وسائل الاعلام"، ص.ص. 359، 360، أعمال الملتقى الدولي حول "العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية"، الجزائر 10-12 ماي 2004، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى.
11. صفية نازري، "الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي في ظل تنافى العولمة"، رسال الماجستير، كلية الحقوق، جامعة باتنة، 2010-2011. متاح على الرابط:
- <https://www.theses.univ-batna>
12. طلال عتريس (1998). "العرب والعولمة"، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
13. طه عبد العاطي نجم (1998). الإتصال الجماهيري، الإسكندرية: دار المعرفة للنشر.
14. محمد عابد الجابري (1994). المسألة الثقافية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
15. محمد الفاتح حمدي وآخرون (2011). تكنولوجيا الاتصال والاعلام الحديثة، الجزائر: كنوز الحكمة للنشر.
16. محمد لعقاب (1999). الانترنت وعصر ثورة المعلومات، ط1، الجزائر: دار هومة للنشر.
17. محمد مسلم (2004). خصوصيات الهوية وتحديات العولمة، الجزائر: دار قرطبة للنشر.
18. محمد العربي ولد خليفة (2003). المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، الجزائر: د.م. ج.
19. محمود محمود النجيري (1991). الأمن الثقافي العربي التحديات وآفاق المستقبل، الرياض: دار النشر المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، متاح على الرابط:
- <https://www.ketabpedia.com>
20. مصطفى عبد القادر، (2004). الشباب بين الطموح الإنتاجي والسلوك الاستهلاكي، ط1، لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
21. مي العبد الله سنو (2001). الإتصال في عصر العولمة الدور والتحديات الجديدة، بيروت: دار النهضة العربية.

22. منصف بوزفور(2004). العولمة والنظم الحارسة، الجزائر: م.و.م.ف.

23. موفق محمد نبيل، محمد ياسين الشريف(2011). "الأمن الثقافي ودور الأمن التربوي كبعد إستراتيجي في تحقيقه، من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية في كليات العلوم التربوية في الجامعات الأردنية"، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ص.5. متاح على الرابط:

<https://www.ketabpedia.com>

24. ناصر بن سليمان العمر(2007). "أزمة الهوية عند الشباب المسلم نظرة تشخيصية"، مجلة المسلم، مقال منشور على شبكة الأنترنت، متاح على الرابط:

<https://www.almoslim.net>

25. يحيى اليحياوي(2002). في العولمة والتكنولوجيا والثقافة مدخل إلى تكنولوجيا المعرفة، ط1، بيروت: دار الطليعة للنشر.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. « Définition de la Mondialisation », article publier sur Internet, in Site : <https://www.mondialisation-wikipedia>
2. Geneviève Vinsonneau(2000). **Culture et Comportement**, Edition Armand Colin, Paris.
3. Groupes de chercheurs(1982). **Crise d'Identité et Déviance chez les Jeunes Immigrés**, Paris.
4. Mustapha Chérif : « la Mondialisation et L'Identité », Actes du Colloque International sur « la Mondialisation et son Impact sur la Culture Islamique », Organisé à Alger le 10-11 et 12 Mai, 2004, publications du Haut Conseil Islamique, Alger, 2005.
5. Philippe Breton (2004). **Le Culte de L'Internet une Menace pour le Lien Social ?** Edition Casbah, Alger.

والمميزة لما بعد الحداثة، تتلخص في عودة المشاعر في الفضاء العام. هذه المشاعر هي التي تشكل اللحمة التي تربط الأفراد فيما بينهم. ويعتبر الصورة أحد المداخل الأساسية لاستيعاب معطى التعاطف هذا، فالصورة لا تجسد الواقع فحسب، بل إنها تخلق الواقع أيضا.

أولا: نقد الحداثة والتجديد المنهجي في فكر مافيزولي

1 - انتقاد العقلانية الحداثية

الضربة الأولى والأساسية التي تلقاها المتخيل في صيورته جاءت من ديكرت في القرن السابع عشر، فهذا الفيلسوف أقصى الرمز والمخيلة من فلسفته. لذلك يبقى صحيحا الزعم «بأن الرمزية ستفقد مع ديكرت حق المواطنة في اعتبار العقلانية، عنصر إزعاج أكثر مما هو عامل إغناء للممارسة العقلية. ومن ثم¹، لأن المخيلة، في اعتبار العقلانية، عنصر إزعاج أكثر مما هو عامل إغناء للممارسة العقلية. ومن ثم يكون الموقف الديكرتي قد حكم على المتخيل بالتهميش لمدة أكثر من قرنين في تاريخ الفكر الغربي.

لذا، ينتقد "مافيزولي" العقلانية الحديثة، بمختلف تنويعاتها، نقدا لاذعا، من خلال العقل المنفصل والإغراق في التجريد. ويقترح بديلا عنها، عقلانية مفتوحة تهتم أكثر «بوضع اليد على المنطق الداخلي للأشياء والنظر إليها من الداخل»². لأن العقلانية الكلاسيكية كانت عاجزة عن إدراك العوالم الكثيفة والمشبعة بالصور والرموز التي تسود في التجارب المعيشة من طرف الآخر. فالعقلانية في صيغتها العلمية الادعائية أعجز ما تكون عن استيعاب المظهر السميك والموغل بالرمزية والحافل بالصور للتجارب المعاشة³. وهكذا فليس الفرد المنعزل في قلعة العقل هو الذي يمتلك الأولوية، وإنما المجموع القبلي المتوحد حول مجموعة من الصور يستهلكها بشراهة.

إن المشكلة الحقيقية في العقلانية تكمن في انغلاقها الكبير على النفس وتركيز كل طاقتها على ذاتها، ولذلك نتائج لا يستهان بها في كل المجالات الفلسفية، والسياسية، والتدبيرية، والمؤسسية. فقد أدت الصيرورة العقلانية إلى بناء منظومة مكتفية بذاتها ومقطوعة الصلات بالقوى الحية في المجتمعات الإبداعية والفكرية والأصالة الوجودية، وبكلمة بكل حالات الخلق والابتكار. «فالواقع الاجتماعي ما عاد يتعرف على نفسه في المنطق العقلاني الجاف والبارد، لذلك تراه مندفعاً ليثأر لنفسه، باحثاً له عن مكان في الضفة المقابلة للضفة التي اصطففت فيها المنتجات العقلانية منذ عصر الأنوار وما تلاها»⁴. وعلينا البدء

من الآن فصاعداً، وبعد أكثر من قرنين من الهيمنة الاقتصادية والاجتماعية» في تعلم السباحة ضد التيار، بكل ما يحمله ذلك من أخطار، وذلك قصد استكشاف المجال الرحب للمنتخيل الجماعي الذي يتم عيشه بشكل واسع في الحياة اليومية، بالرغم من أنه لم يحظ بالتفكير والتفكير⁵.

ف"مافيزولي" يعتبر أن العقل لم يعد، لا من الناحية الفكرية ولا من الناحية العلمية، يحظى بنفس القيمة التي كانت له في السابق. إن العالم المعاصر يشهد في نظره على إفلاس للعقلانية لا ينكره إلا جاحد⁶، وكثيرة هي الأدلة التي يسوقها "مافيزولي" ليؤكد تراجع مكانة العقل وإفلاسه.

لقد تم التشكيك في فعالية العقل، كما لم يعد يهيمن على حياة الناس، ويوجه سلوكهم في كل مجالات حياتهم. والظواهر التي يزخر بها العالم المعاصر شاهد على ذلك، ويصف "مافيزولي" عقل الحداثة بمجموعة من الصفات منها أنه عقل منفصل ومجرد وتجريدي وسلطوي وتجريبي وأدائي وعنيف... إلخ. والملاحظ أن هذه الصفات تلتقي في كونها صفات سلبية. بالإضافة إلى ذلك يؤكد "مافيزولي" أن العقلانية لم تتمكن من أن تلغي اللاعقلانية تماماً من الوجود الإنساني، رغم سعيها الحثيث إلى ذلك. إذ «لم يعد ممكناً اختزال الواقعي الحقيقي الملموس بحقيقة واقعية عقلانية، فاللاحقيقي يدخل رغماً عنا في تنظيم العيش المشترك»⁷، وكما وضع برغسون ذلك، فإنه إلى جانب المعرفة الأليفة بالنسبة إلينا، تلك التي تفترض العقل، هناك ما أسماه «هالة الحدس»⁸ التي تتيح الفهم الدقيق لهذا "اللاحقيقي" الذي يزخر به الواقع الحقيقي الملموس.

ما يميز عصر ما بعد الحداثة حسب هذا السوسيولوجي هو هاجس المعرفة بطريقة أخرى تختلف عن تلك التي سادت في العصر الحديث، أو هو البحث في دروب نجاة بديلة من الاطمئنان الدوغمائية المؤسسة منذ القرن السابع عشر الديكارتي. لذلك كان شعار "مافيزولي" هو: «لا يوجد بحث في المجتمع لا يمتح عناصره ومادته من اليومي: ذلك المعين الذي لا ينضب، الفاضح لسلوكياتنا بحجة تواترها على الطريق الرحب للإنسان العاقل»⁹. هذا التجاوز للعقلانية الدوغمائية المستندة إلى الديكارتي هو ما يجعلنا قادرين على إدراك، ومن ثم فهم، عودة المنتخيل بقوة في معظم الظواهر المعاصرة.

1 - نقد المنهج التفسيري والانتصار للمنهج التفهيمي

في بداياتها كانت السوسيولوجيا وريثة الفكر الوضعي "الكونتي" الذي سيطر في لحظة تثبيتها كعلم مستقل في النصف الأول من القرن التاسع عشر. لكن، لم يضع أي من كبار علماء اجتماع القرن التاسع عشر

مسألة التمثيلات الجماعية موضع تساؤل. وأكد "إيميل دوركايم" بطريقة حاسمة أن الوقائع الاجتماعية يجب أن تعالج بوصفها أشياء، وهذا ما يؤكد بقوله: « إن الظواهر الاجتماعية تشكل أشياء، ويجب أن تدرس كأشياء...، لأن كل ما يعطى لنا أو يفرض نفسه على الملاحظة يعتبر في عداد الأشياء... وإذن يجب أن ندرس الظواهر الاجتماعية في ذاتها، في انفصال تام عن الأفراد الواعين الذين يمثلونها فكريا، ينبغي أن ندرسها من الخارج كأشياء منفصلة عنا... إن هذه القاعدة تنطبق على الواقع الاجتماعي برمته وبدون استثناء»¹⁰، ومن ثم فلا يمكن الشك في نزعة الوضعية، خصوصا من وجهة النظر المنهجية. لقد ظلت "البيداغوجيا الوضعية" البراديغم النظري المهيمن على العلوم الطبيعية والإنسانية، على الرغم من أن تكاثر الصور بفعل تطور تكنولوجيا إنتاج الفيديو وانتشاره يجعل من "بيداغوجيا المخيال" أكثر إلحاحا من أي وقت مضى¹¹. بهذا المعنى يكون علم الاجتماع علما يمتدح الخيال والمتخيل اللذين اعتبرتهما الفلسفة والعلم الفتاة الرعناء في العائلة. من هنا أصبحت الحاجة ملحة إلى التفكير في المتغير الحضاري الجاري، الأمر الذي يستدعي "مقالة منهج" جديد، ويستلزم أن نعرف كيف نضع جنبا في وقت ما يقينياتنا الفكرية¹².

لذا، وتحت تأثير فينومينولوجيا هوسرل، أبدت السوسيولوجيا الألمانية نهاية القرن التاسع عشر، نزوعا إلى الليونة المنهجية مقارنة بنظيرتها الفرنسية، مبتعدة من هيمنة العلوم الوضعية من أجل دراسة حقيقة الموضوعات المعيشة، قيمها ومقاصدها، وذلك بانجذاب بَيّن إلى المظهر اللاعقلاني والعاطفي للحياة الاجتماعية¹³. ففي تحليل "فيبر" للسلطة الكاريزمية وللجماعة العاطفية، كان البديهي أن يمنح دورا مركزيا لقدرات اللاعقلاني في اقتحام الحياة اليومية من أجل شرعنة تستدعي اللاوعي الجماعي. فالأفكار العقلانية نشعر بها ونتابعها كشيء من الخارج، بينما المقدس هو شيء يندرج في قرارة أعضاء الجماعة. واحتل "جورج زميل"، وهو أيضا سوسيولوجي معاصر لـ "ماكس فيبر"، مكانة ريادية في الفكر السوسيولوجي، وخصوصا «ما يتعلق بأهمية الذاتية، والعواطف، والانفعالية في العلاقات الاجتماعية»¹⁴.

وفي هذا الإطار، لا يستهدف علم الاجتماع الفهمي بمعناه الصحيح البحث عن تفسير سببي لإدماجه في منظومة القوانين العامة، بل يسعى عوضا عن ذلك إلى وصف الظاهرة كما تبدو أمام الباحث. أي يكتفي بتصوير المعيش كما هو عبر المعنى الذي يمنحه إياه الفاعلون الاجتماعيون. إن تحليلا وصفيا كهذا يكتفي بعرض الواقع بفضل روح تأملية¹⁵، متنبهة إلى الطريقة التي بها تتجلى الظاهرة، وبها ترى وتعيش¹⁶.

فالعالم هنا ليس عليه أن يتجرد، فهو جزء من الشيء الذي يصفه بالذات، ومن ثم يستطيع تحصيل رؤية من الداخل، أي بطريقة حدسية. فالذي يدرس العالم الاجتماعي يقوم بذلك من خلال حدس فكري له جذوره في اللاوعي الجماعي الذي يشترك فيه. يمتلك السوسيولوجي حسا فكريا اكتسبه من خلال المشاركة في الحياة الاجتماعية. يؤكد مافيزولي: «أننا بإقحامنا الذات في تحليلاتنا وعلى جرعات مناسبة، فإننا نحمل أنفسنا من جهة من الاجتياح المفاجئ لهذه الذات، ومن الجهة الأخرى نتأكد من النتيجة لن نعدم، علاوة على ذلك، إيجاد مكانها في التعدد الصوتي الاجتماعي»¹⁷.

ويشارك "مافيزولي" مع السوسيولوجيا الألمانية في اقتراحها تمييز الفهم من التفسير، فبالنسبة له «ليس مهما شرح كل شيء، لكن علينا دائما أن نحاول الفهم: أي الوصف من دون إصدار أحكام»¹⁸، فالفهم هو «الإصغاء أو معرفة الإصغاء، وهذا ما لا يسمعه بالضرورة المصابون بالطرش النظري»¹⁹. فالسوسيولوجيا بهذا المعنى لم تعد لدى هذا الباحث علما كيميا وتجريبيا، وإنما ممارسة فكرية يقظة وغير وضعية لكل ما يشكل هوامش الغربي.

يتبنى "مافيزولي" منهجا في السوسيولوجيا يعتمد أساسا على الفهم. هذا المنهج يتلاءم مع طبيعة الظواهر التي يجب أن تعالجها سوسيولوجيا ما بعد الحداثة. ويقوم هذا المنهج على مجموعة من العناصر من أبرزها "الوصف" و "الاستعارة" و "البلاغة" و "الحدس". ولعل القاسم المشترك بين هذه العناصر هو أنها لا تمارس أي إكراه أو تعنيف على الظواهر المدروسة، وإنما تلامسها برفق وتداعبها. بالنسبة لمافيزولي «السوسيولوجيا التفهيمية تنسجم مع واقع حقيقي تؤدي فيه الخيالات الأسطورية دورا مهما»²⁰.

هكذا استعادت ذاتية الباحث اعتبارها بشكل كبير، لأنه يدرس في آن الواقع الذي يحيط به وهو يشكل جزءا مكونا فيه: بفضل هذه الآلية التفاعلية مع الواقع تطور الفهم. إن هذه العملية تتضمن بطبيعة الحال عناصر إدراكية، لكنها تتضمن أيضا كل الشحنة العاطفية للمشاعر والإحساسات، خصوصا للخيال.

ثانيا: أهم معالم علم اجتماع المخيال عند مافيزولي

1 -المخيال سبيل لفهم الحياة اليومية

أنتجت المقاربة المخيالية إعادة تأهيل علمي صريح لكل ما يتعلق بالحياة اليومية، والعلاقات الاجتماعية ومختلف مظاهر الوجود البسيط. لأن «ما هو معروف جيدا على العموم، بسبب أنه معروف جيدا، ليس

معروفا. هذا هو الوهم الاعتيادي الذي نقنع أنفسنا به وكذلك الآخرين، وهم افتراض أننا نعرف أن شيئا ما معروف جيدا، وقبول ذلك كما هو»²¹. فالأحداث المجهرية اليومية تعد جوهر الحياة في المجتمع والميدان الذي يتجدر فيه المخيال وموروث الصور الأسطورية، مع أن تلك الأحداث عناصر مهمة زمتنا طويلا من الماكروسوسيولوجيا التي تعنى بدراسة المنظمات والمؤسسات وظواهرها الكبرى.

وميشيل مافيزولي الذي نقل دراسات المخيال إلى الحقل السوسيولوجي يؤكد في هذا الشأن أن الحياة اليومية في مظاهرها المتكررة، وفي عاداتها وطقوسها، تنتظم حول صور مشتركة، سواء أكانت صورا مجهرية أو تلك التي تطبع تآلف الأشخاص واجتماعهم الأصغر. العالم التخيلي يصبح بشكل ما الشرط الموحد للصور الاجتماعية، ثمة ذكاء تخيلي مجتمعي لا تجوز الاستهانة به²². فالخيال إذن، يمتلك قوة كاسحة لا يمكن الهيمنة عليها، فلا نستطيع إلا اتباع وتيرتها، وهي قوة ترتبط بشكل صارم برغبة العيش.

ويسمح القصد الفينومينولوجي عن حق بالتنبه إلى البصمات الغابرة الموجودة في أساس الهايتوس المجتمعي. وبالتحديد أكثر فإنه يضع في سلة واحدة الخطابين المسيطرين: الأول خطاب المثالية حيث الوعي تابع لتمثالاته، والثاني خطاب المادية، حيث الوعي ليس سوى انعكاس البنية التحتية الاقتصادية. برفض هاتين العثرتين، يركز القصد الفينومينولوجي على المعيش، والمادي، والأحوال اليومية، ومن البديهي ألا يسمح ذلك بقيام أنظمة لأن الأمر متعلق باستمرار التحولات الأبدية للحياة. وهذا بالضبط ما يتيح العودة حسب مافيزولي إلى «الحدس الأولي، التي تعطي المعنى، من حيث إنها تكتفي بعزو كل شيء إلى التأصل المعيش... أي ما يفتح العيش المشترك الجمعي»²³. لذا، ليس لنا إذن، من أن نندهش لعودة المتخيل: فهذا الأخير، ومن منظور شمولي، «سيعيد للمجتمع توازنه المفقود، وذلك بتوظيف بنيات عتيقة خلناها متجاوزة وبإعادة خلق أسطوريات (ميثولوجيات) ستصلح كرايط اجتماعي»²⁴.

يقوم الواقع الاجتماعي إذن، على تمثالات جماعية تتأسس على العالم التخيلي الذي تسبح فيه المجتمعات كلها. «ولا يمكن تجاوز النمط المتعلق بسوسيولوجيا المخيال الحساسة لما هو غير عقلائي، وغير القابل للعقلنة، لكنه رمزي وملحمي»²⁵. وباختصار، تختلط الحياة الاجتماعية بالخطاب الأسطوري، وعلى البحث السوسيولوجي أن يأخذ ذلك بعين الاعتبار.

وعملية التنظير وبناء النظرية في علم الاجتماع، ليس عملية خطية لحل المشكلات، بل هي عملية خطية من الخيال المنظم والمنضبط، والخيال المنظم عملية تطويرية لبناء النظريات، تتميز بالتفكير المتزامن وليس

المتسلسل. ويتطلب الخيال المنظم دوراً نشيطاً للباحثين في تفسير التصورات والتمثيلات النظرية، بدلاً من التعامل معها باعتبارها تنتج بشكل استقرائي وطبيعي من مشكلات البحث، بمعنى آخر أن منطلق الاكتشاف العلمي بما في ذلك التنظير، هو مسألة استدلال، وليس منطق فقط، أي يتألف من القدرة على الاستنباط والتنبؤ²⁶.

على عالم الاجتماع، إذن، «أن يتواجه مع الواقع اليومي الذي يتكون من أحداث صغرى ذات دلالة، والتي تحصل على مستوى الوجود المجتمعي، كالإيماءات والمحادثات والانفعالات والأزياء وحياة الجماعات الموحدة حول رموز وأساطير مشتركة. يجب أن نعرف كيف ننصت إلى تعدد الأصوات الصادرة عن بيئة الحياة اليومية وفهم الأوضاع والأحوال حتى في أبعادها الغامضة وشحنتها التخيلية»²⁷.

المتخيل ما بعد الحديث يركز على الذاكرة الجمعية التي هي صوت لا يمتلكه شخص بعينه، ذاكرة منحدر من ترسبات القرون، ذاكرة يمتلكها شعب بأكمله، صوت سحيق يشكل الطريق الوحيد للوصول إلى تناغم مجتمعي راق إن أحسننا سماعه والإصغاء إليه، وهذه المعرفة هي المتجسدة في اللاوعي الجمعي، أو ما أسماه "مافيزولي" "الحكمة الشعبية"²⁸.

طموح أي سوسولوجيا للمتخيل إذن، هو تحديداً الإمساك بالمعنى الحرفي والآخر الرمزي في الوقت نفسه. فلكي يوجد ما هو ظاهري يجب أن يكون ما هو باطني. بمعنى أن كل فكرة حقيقية تكون دائماً مرمزة، وبفك رموزها نفك رموز العالم بأسره.

2 - الانفتاح على الآخر والتعاطف

كانت مهمة هذا السوسولوجي، هي العودة إلى حضن الحياة المعاشة والقريبة منا، العودة إلى هذا العياني وإلى "الشيء في ذاته" على حد تعبير الظواهريين. وهذا ما سيجعله يضمن النزوع اليومي العام إلى الاستمتاع والتمتع وتجاوز الفلسفة القائمة على القبلية التي أرست تمايزات جذرية بين الأفكار والحياة معتبرة هذه الأخيرة مثلاً للاغتراب والتفاهة واللاجدوى. والحال أن طقوس هذه الحياة تحوي غنى لا ينضب. فها هنا يقول "مافيزولي" «يتعين ممارسة القطيعة الإستمولوجية الأثرية والقطع مع صرح فكري ونظري امتثالي في جملته دائم البحث عن عقل ادعائي واستعلائي خارج ما هو منظور ومعيش»²⁹.

وبالتالي فلن يعود العاطفي والوجداني والانفعالي وكل هذه الأشياء المندرجة في الأشواق منفصلاً ومنزويًا في عالم معزول وفي شرنقة الحياة الخاصة، بل إن الشغف والحالات الوجدانية فاعلة لها مكانها وكلمتها أيضاً

في التحليل الهادف لفهم الحياة اليومية، كما أنه - العاطفي والوجداني - لن يعود قابلاً للتفسير النفسي فحسب، بل وسيغدو مادة لتأملات إبستمولوجية وإجرائية ومنهجية كالتّي نستعملها في مقارنة شتى الظواهر الاجتماعية وبفضلها ستكون قابلة للفهم. وهكذا حسب مافيزولي « الحقيقة الحديثة تكشف الاجتماعي العقلاني، أما الحقيقة ما بعد الحديثة فسوف تجهد لكشف مجتمعية عاطفية»³⁰.

ضمن هذا الطرح يؤكد "زيمل" أن العاطفة، وكل ما يتعلق بها، تسبق النشاط العقلي والمنطقي، ففي التعريف الذي يضعه "زيمل" لمفهوم "العاطفة"، من السهل الاعتراف بالنشاط التخيلي للإنسان: «إذا ما كان المعطى الأساس هو التابع الوراثي والنسقي للظواهر النفسية، فإنه ومن دون شك ستكون العاطفة (وليس جميع العواطف طبعاً) هي المستوى الابتدائي، وبشكل عام أساسية بالنسبة للفكر»³¹.

في هذا السياق الداعي إلى الإنصات إلى الرغبات والأهواء، ولما هو حسي عمومًا، يؤكد "مافيزولي" أن السمة الخاصة والمميزة لما بعد الحديثة تتخلص في عودة المشاعر إلى الفضاء العام. هذه المشاعر هي التي تشكل اللحمة التي تربط الأفراد فيما بينهم. وبلغت سوسيولوجية يمكن القول: «إن الرابط الاجتماعي بين الأفراد ينسج انطلاقاً من لحظات تعاش جماعة، لحظات لا تعاش بشكل فردي وإنما جماعي. لحظات تنخرط فيها الجماعة بكل مكوناتها»³².

تقوم الجماعة على تشارك عاطفي داخل المجموعة، موكلاً إلى المكان والزمان مهمة الدمج الاجتماعي. إن الأمر يتعلق بإدراكات ممكنة للزمان وتفاعلات محددة مع المكان، وفق ما تنحته آلية "العادة والعقيدة"، ما يجعل من اليومي إمكاناً للتقعيد والبناء الاجتماعي³³. بعبارة أخرى، إن هذا "الوجود معاً"، ومن وجهة نظر أنثروبولوجية، يأخذ خصوصيته من خلال رمزية تتموقع داخل الجمالي - التخيلي: يتضمن الصور عنصراً تجميعياً للجماعات، تتعارف ضمنه وتتواصل بفضل الرموز المشتركة³⁴. فالبحث في المعيش هو بحث في تمفصلات التفاعل بين المادي والرمزي، في التكيف بين المكاني وثنايا المعنى والدلالة في مدلول الحركة وآليات التجسد. ومن هنا تبرز دلالات معاني الرفض والقبول والمقاومة، التي تشكل أو تأخذ شكلها في إطار العلاقات الاجتماعية.

إن منهجاً فهمياً يتأسس على فرضية أن الفاعل الاجتماعي لا يمكن فصله عن الواقع، حيث يحيا وبالتالي يعيش التجربة. الواقع الاجتماعي يتولى دلالة ما بالنظر إلى التجربة التي نعيشها في الواقع، وهي تجربة يمكن الإحالة عليها بمفهوم التجربة المعيشة "الدلتاي" بوصفها ضرباً من الكينونة في العالم، أي وعياً بواقع آني

مباشر، هذا الواقع ينبنى بواسطة أفعال متبادلة بين ذوات فاعلة، آلية أصلية هي أساس عملية أن نكون معا³⁵. إن الواقع الذي تدرسه العلوم الروحية - كما يقول دلتاي - قائم في الخبرة الداخلية، فهو في جوهره واقع داخلي، أو أنه مفتوح على الخبرة من الداخل³⁶، ففهم العالم الاجتماعي إذن، يتأسس على مشاركة وجدانية متعاطفة، نظرية لكن أيضا معيشة، مع البيئة التي تحيط بنا، من أجل الإمساك بالمعنى والقصد اللذين يعطيها الأشخاص لأفعالهم ولوجودهم في العالم. ترتبط المشاركة بالبناء البينداتي للمعنى الذي هو في آن فرضية جميع البحوث وقاعدة الحياة الاجتماعية.

على هذا النحو من الفهم، لا يكون المحيط شيئا جامدا بسيطا. صحيح أنه يتكون من الفضاءات، في شكل أمكنة وآثار وأزقة، ولكن هذه الأماكن تمتلك عبقريتها حسب القول المأثور. وهذه العبقرية تأتيها من بناء أو عدة بنايات متخيلة. سواء كانت حكايات، أو خرافات، أو ذكريات مكتوبة، أو شفوية، أو أوصافا شعرية، أو روائية. إن «الإحالة إلى الفضاء المعيش رمزيا... يمكن من أن نفهم جيدا أن التمثيلات الجماعية هي التي تشكل المجال الذي نعيش فيه مع الآخرين»³⁷. إن التمثيلات الجماعية، سواء اعتبرت لا عقلانية أو تم النظر إليها باعتبارها أوهاما أو رواسب من المعتقدات العتيقة، وسواء كانت عواطف أو أهواء تعاش في مجالات مختلفة كالسياسة والرياضة والجامعة، تلعب دورا "رمزيا" لا يمكن نكرانه. وفي هذا المجال، « فإن مخيال الحكايات والأساطير يستطيع أن يكمل دروس التاريخ ويغنيها»³⁸.

ففي الصيرورة الحزونية للعالم فإن الحاجة إلى اللحمية وغريزة الوجود مع الآخر، أو باختصار الجاذبية الاجتماعية، تعود إلى الواجهة مصحوبة بكوكبة صور الإيصالية. في هذا الاتجاه يمكننا الحديث مع "مافيزولي" عن الإنسان باعتباره كائن اجتماعي ينتمي لمجتمع لا يقوم على التمايز مع الآخر، ولا على عقد عقلائي يربطه بالآخر، وإنما على وئام مع الغير يجعله هو والآخر جزءا لا يتجزأ من مجموعة أوسع تسري فيها سريان العدوى الأفكار الجماعية والعواطف المشتركة والصور من كل نوع، هذا هو أيضا ما يسميه "مافيزولي" علما "تخلييا"³⁹.

ومن هنا يمكننا القول إنه إذا كانت العقلانية تصدر عن الفردانية فإن المعيش غير قابل للتفكير إلا في علاقته بالغير. فإذا كنا قادرين على التفكير في العقل فرادى فإن المعيش ليس قضية أفراد معزولين ومستغنين عن بعضهم البعض. إن "مافيزولي"، لم يتوان مرة أخرى في أن يميز وراء إشباع الحداثة الأسلوب الجماعي، والأسلوب الجماعي ذا الطابع العاطفي و"الصوفي" الذي تميز حدثنا الحاضرة. فهذا

الأسلوب مبدأ نظام، كما أنه يفرض نفسه راهنا باعتباره نظاما "جماليا"، أي مُتَعَرِّفًا بوضوح على أساسه وبنيتة التحتية التشكُّلية.

3 - العودة الكاسحة لعوالم الصور

إن أحد المداخل الأساسية لاستيعاب معطى التعاطف في مجتمع ما بعد الحداثة، هي هذه العودة الكاسحة لعوالم الصور. إن عالم الإنسان ما بعد الحداثي هو عالم من الصور. إنه يعيش بالصورة وفي الصورة. فالصورة لا تجسد الواقع فحسب، بل إنها تخلق الواقع أيضا. «إن الصورة أو الماهية الخالصة يمكن أن تتمثل حدسيا في معطيات التجربة أي في معطيات من جنس معطيات الإدراك الحسي أو التذكر... إلخ، كما يمكنها كذلك أن تتمثل في معطيات وهمية مجردة. وتبعاً لذلك فإنه بوسعنا أن نخطط بإحدى الماهيات ذاتها إحاطة أصلية منطلقين من حدوس تجريبية مناسبة. ويمكننا كذلك أن نعيها بحدوس غير تجريبية وغير مدركة للوجود، بل بالأولى بمجرد حدوس تخيلية»⁴⁰. الأمر الذي يجعل من الصعب الحديث بدقة عن متى تنتهي الصورة ويبدأ الواقع.

إن الحداثة التي تطورت خلال القرن التاسع عشر، اشتغلت على إنكار أو التكرار دفعة واحدة ل: الصور، والخيال، والمخيل، كونها لا تتيح للعقل السيد العمل بطريقة جيدة، وبالتالي يرفض الديكارتيون الخيال والإحساس كسبيل للخداع⁴¹. بالإضافة إلى ذلك شكلت الوضعية معيقا حاسما في وجه المعرفة الحقيقية للطاقة الإستيمولوجية الكامنة لمفهوم المخيال وكذا القيمة الضرورية التي تختزنها الصورة الرمزية⁴².

لكن لا فائدة في مجتمع ما بعد الحداثة من إنكار راهنية الصورة وكذا فاعليتها وآثارها المؤكدة. وهذا ما يحاول "مافيزولي" التأكيد عليه من خلال قوله: «علينا ألا ننسى أن الصورة قد ظلت في التقليد الغربي كيانا مشبوها: فقد اعتُبرت المخيلة التي تحتوي على كل عناصر الفتنة، غير أنها - وتبعاً لتحولات قيمية غريبة - أصبحت "واصلة": فهي تربطني بالعالم المحيط بي وتربطني بالآخرين الذين يعيشون حولي»⁴³. إن الاعتراف بغزارة الصورة ودورها ورسوخها في الحياة الاجتماعية، هو الخط العريض الذي يسم الجزء الأكبر من فكر هذا السوسيولوجي.

إن هذا الواقع الجديد هو الذي سيتيح لنا فهم الدواعي التي عادت بالحس المشترك إلى انشغالات كل الذين أحبطتهم المنظورات التفسيرية الكبرى التي شهدت النور في القرن التاسع عشر فانصرفوا إلى الملموس والفريد في مساراتهم اليومية. إن الحس المشترك من هذه الناحية ضامن أكيد للاستمرارية المجتمعية على

المدى الطويل. وهو يعلمنا أنه قبل وبعد كل أشكال التسويغ والتبرير العقلاني للإيمان، هناك تجربة معاشة مؤسّسة لكل حياة جماعية. «فالطقوس اليومية التي لا نأبه لها ولا نحتفل بها والتي نعيشها أكثر مما نفكر فيها أو نعبر عنها هي نسغ الحياة الفردية والجماعية»⁴⁴.

بهذا المعنى ليس الصورة إقصاء للعقل وإنما إغناء له وطريقة لتشغيل إمكانات العقل ومن المجدي لنا أن يحضر ذلك في أذهاننا كي ندرك حق الإدراك الانفجار الهائل للصور ما بعد الحداثيّة، لأن «تامة الكائن تستدعي بعدا أعقد وأكمل، يجمع في آن واحد بين دور الصور ودور التفكير، وطبعاً باستخدام مجاز أبلغ، يجب إدراك أهمية الوعي النهاري من دون نسيان الجانب الليلي للروح الجمعية»⁴⁵. وعوض أن نرى فيها، كما يفعل البعض، تعبيرا عن انحطاط الثقافة والفكر، ربما كان من الأصوب أن نتعرف فيها على عودة حياة روحية كاملة أكثر محسوسية، حياة روحية تحيا كل إمكاناتها وتصنع بذلك الجماعة البشرية.

ويؤكد "مافيزولي" على الفعل اللاحم للصورة، ف«الصورة تشد relie، وتمنح مواطن الربط وتتحكم في كل عناصر المعطى المدني في ترابطها، وهي في الآن نفسه تمكن من تلك الثقة التي نحتاجها للوجود، والتي علينا أن نمتلكها إزاء كل ما يحيط بنا، سواء تعلق الأمر بالمحيط الاجتماعي أو المحيط الطبيعي»⁴⁶. يمكننا القول، باختصار، أن الصورة والرمزي والمتخيل والخيال تعود للواجهة، ويتنظر منها أن تقوم بدور الصدارة.

خاتمة:

في الختام، يمكن القول إن نظريات "ميشيل مافيزولي" حاولت البحث عن الدلالة الفعلية لما بعد الحداثة، ضمن إمكانية التفكير بشكل مختلف فيما يتعلق بالأنظمة الفكرية الكلاسيكية التي هيمنت على الحداثة. فالمعرفة العقلانية ما بعد الحداثة عليها أن تواجه أولا الحس المشترك، أي المعرفة الشائعة التي تميزت سابقا بصلاحياتها الإستيمولوجية، والتي وجب تقديرها بوصفها حقيقة فعلية وأولية، تتطور انطلاقا منها جميع أشكال المعرفة الأخرى. كما أنه حسب "مافيزولي" لا يمكن تقييم الظواهر الاجتماعية المعاصرة وفقا لمعايير إبستمولوجية كلاسيكية تقوم على قطيعة بين الذات وموضوع المعرفة، في الوقت الذي تعيد فيه إنتاج الثنائية الشكلانية: واقعي - غير واقعي. إن المجتمع المعاصر يتميز بتشكله من عدد معتبر من المجتمعات المحلية الصغرى على شكل "شبكة"، تتجلى في صور ورموز مشتركة، ولذا، فعالم الاجتماع مرغم على أن يتبنى نحوها نظرة جديدة تستطيع الإمام ببعد التجربة المعيشة للأفراد والمجموعات.

وباختصار، إن درس "مافيزولي" يتلخص فيما يلي: يحق للرمزي والمتخيل والعادي واليومي والجسدي، أي كل ما نفتته السوسيولوجية التقليدية والوضعية من مملكتها العاجية، أن يكون موضوعا للفكر والتحليل والمقاربة في المجتمع. وعلى النص السوسيولوجي أن يمتح مصادره الأساسية أيضا من الأدب والشعر والتصوف كما يمتحها من الأنثروبولوجيا الثقافية والفلسفة، أي من كل ما ظل يعتبر نصا "غير علمي" وموضوعا أثيرا لمباحث أخرى.

- 1- دوران جيلبير، الخيال الرمزي، ترجمة: علي المصري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة 2، 1994، ص: 21.
- 2- مافيزولي ميشيل، مزايا العقل الحساس: دفاعا عن سوسيولوجيا تفاعلية، ترجمة: عبد الله زارو، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دون طبعة، 2014، ص: 9.
- 3- نفسه، ص: 69-70.
- 4- نفسه، ص: 76.
- 5- مافيزولي ميشيل، تأمل العالم: الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية، ترجمة: فريد الزاهي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة 1، 2005، ص: 21-22.
- 6- مافيزولي ميشيل، نظام الأشياء: التفكير فيما بعد الحداثة، ترجمة: سعود المولى، رنا دياب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة 1، 2020، ص: 80.
- 7- نفسه، ص: 72.
- 8- Bergson Henri, Les Deux Sources de la morale et de la religion, Alcan, 1933, p: 267.
- 9- مافيزولي ميشيل، في الحل والترحال: عن أشكال التيه المعاصرة، ترجمة: عبد الله زارو، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010، ص: 6.
- 10- Durkheim Emile, Les Règles de la Méthode Sociologique, Librairie Félix Alcan, Paris, éd 7, 1919, P 103-104.
- 11- غراسي فالنتينا، مدخل إلى علم اجتماع الميخال: نحو فهم الحياة اليومية، ترجمة: محمد عبد النور وسعود المولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2018، ص: 26.
- 12- مافيزولي ميشيل، نظام الأشياء، مرجع سابق، ص: 9.
- 13- نفسه، ص: 51.
- 14- Tacussel Patrick, Monneyron Frédéric, et Jean-Bruno Renard, Sociologie Imaginaire, Armand Colin, coll: Cursus- Sociologie, Paris, 2006, P: 274.

-
- 15 -Maffesoli Michel, Eloge de la raison sensible, Grasset, Paris, 1996, P 149.
- 16 - Ibid, p 150.
- 17 -Maffesoli, La Connaissance Ordinaire: précise de la sociologie compréhensive, Méridiens- klincksieck, Paris, 1985, p: 38.
- 18- مافيزولي ميشيل، نظام الأشياء، مرجع سابق، ص: 15.
- 19- نفسه، ص: 35.
- 20- نفسه، ص: 82.
- 21 -Hegel Georg Wilhelm Friedrich, Préface à la phénoménologie de l'esprit, Gallimard, 1993, P: 92.
- 22 -Maffesoli Michel, Au Creux des apparences, pour une éthique de l'esthétique, Le Livre de Poche, Paris, 1993, p: 107.
- 23- مافيزولي ميشيل، نظام الأشياء، مرجع سابق، ص: 86.
- 24- مافيزولي ميشيل، تأمل العالم: الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية، مرجع سابق، ص: 53.
- 25- غراسي فالتينا، مدخل إلى علم اجتماع المخيال، مرجع سابق، ص: 101.
- 26 -Cornelissen Joep, Making sense of theory construction, Organisation. studies, Vol 27, N 11, 2006, p: 1581
- 27- غراسي فالتينا، مدخل إلى علم اجتماع المخيال، مرجع سابق، ص: 97.
- 28- مافيزولي ميشيل، نظام الأشياء، مرجع سابق، ص: 11.
- 29- مافيزولي ميشيل، مزايا العقل الحساس: دفاعا عن سوسيولوجيا تفاعلية، مرجع سابق، ص: 92.
- 30- مافيزولي ميشيل، نظام الأشياء، مرجع سابق، ص: 26.
- 31 -Simmel Georg, Sociologie et épistémologie, PUF, Paris, 1981, p 115.
- 32- مافيزولي ميشيل، تأمل العالم: الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية، مرجع سابق، ص: 28.
- 33- العطر عبد الرحيم، سوسيولوجيا الحياة اليومية: الرمزي أفقا للتفكير، دفاثر العلوم الإنسانية، الرباط، الطبعة 1، 2018، ص 17-18
- 34- غراسي فالتينا، مدخل إلى علم اجتماع المخيال، مرجع سابق، ص: 94.
- 35- دلتاي فيلهلم، عالم الروح، ترجمة: م. ريمي، الجزء الأول، أوبي، 1947، ص: 149-150.
- 36- Dilthey Wilhelm, The Rise of Hermeneutics, Penguin Books, London, 1970, p 105.
- 37- مافيزولي ميشيل، تأمل العالم: الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية، مرجع سابق، ص: 123.
- 38- مافيزولي ميشيل، نظام الأشياء، مرجع سابق، ص: 51.
- 39- مافيزولي ميشيل، تأمل العالم، مرجع سابق، ص: 117.

- 40- هوسرل إدموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص ولل فلسفة الظاهرياتية، ترجمة: أبو يعرب المرزوقي، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة 1، 2011، ص: 34.
- 41- دوران جيلبير، الخيال الرمزي، مرجع سابق، ص: 21-22.
- 42- غراسي فالتينا، مدخل إلى علم اجتماع المخيال، مرجع سابق، ص: 25.
- 43- نفسه، ص 30.
- 44- مافيزولي ميشيل، مزايا العقل الحساس: دفاعا عن سوسولوجيا تفاعلية، مرجع سابق، ص 234.
- 45- مافيزولي ميشيل، نظام الأشياء، ص: 152.
- 46- مافيزولي ميشيل، مزايا العقل الحساس: دفاعا عن سوسولوجيا تفاعلية، مرجع سابق، ص 122.

لائحة المراجع:

- 1 - دلتاي فيلهلم، عالم الروح، ترجمة: م. رمي، الجزء الأول، أوبي، 1947.
- 2 - دوران جيلبير، الخيال الرمزي، ترجمة: علي المصري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة 2، 1994.
- 3 - روشيه غي، مدخل إلى علم الاجتماع العام، الفعل الاجتماعي، تر: دندشلي مصطفى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983.
- 4 - العطري عبد الرحيم، سوسولوجيا الحياة اليومية: الرمزي أفقا للتفكير، دفا تر العلوم الإنسانية، الرباط، الطبعة 1، 2018.
- 5 - غراسي فالتينا، مدخل إلى علم اجتماع المخيال: نحو فهم الحياة اليومية، ترجمة: محمد عبد النور وسعود المولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2018.
- 6 - مافيزولي ميشيل، تأمل العالم: الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية، ترجمة: فريد الزاهي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة 1، 2005.
- 7 - مافيزولي ميشيل، مزايا العقل الحساس: دفاعا عن سوسولوجيا تفاعلية، تر: عبد الله زارو، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014.
- 8 - مافيزولي ميشيل، في الحل والترحال: عن أشكال التيه المعاصرة، ترجمة: عبد الله زارو، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010.
- 9 - مافيزولي ميشيل، نظام الأشياء: التفكير فيما بعد الحداثة، ترجمة: سعود المولى، رنا دياب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة 1، 2020.

10 - هوسرل إدموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص والفلسفة الظاهرياتية، ترجمة: أبو يعرب المرزوقي، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة 1، 2011.

- 11- Bergson Henri, Les Deux Sources de la morale et de la religion, Alcan, 1933.
- 12- Cornelissen Joep, Making sense of theory construction, Organisation. studies, Vol 27, N 11, 2006
- 13- Dilthey Wilhelm, The Rise of Hermeneutics, Penguin Books, London, 1970.
- 14- Durkheim Emile, Les Règles de la Méthode Sociologique, Librairie Félix Alcan, Paris, éd 7, 1919.
- 15- Hegel Georg Wilhelm Friedrich, Préface à la phénoménologie de l'esprit, Gallimard, 1993.
- 16- Maffesoli Michel, Au Creux des apparences, pour une éthique de l'esthétique, Le Livre de Poche, Paris, 1993.
- 17- Maffesoli Michel, Eloge de la raison sensible, Grasset, Paris, 1996.
- 18- Maffesoli Michel, La Connaissance Ordinaire : précise de la sociologie compréhensive, Méridiens- klincksieck, Paris, 1985.
- 19- Simmel Georg, Sociologie et épistémologie, PUF, Paris, 1981.
- 20- Tacussel Patrick, Monneyron Frédéric, et Jean-Bruno Renard, Sociologie Imaginaire, Armand Colin, coll:Cursus- Sociologie, Paris, 2006.

حوكمة المعلومات: الركائز ومستويات النضج

الدكتورة بحوصي رقية- جامعة وهران 1-أحمد بن بلة -الجزائر

rekia100@yahoo.fr

الأستاذة بزاوية زهرة -جامعة وهران-1 - أحمد بن بلة-الجزائر

bezazohra@gmail.com

الملخص بالعربية:

تتناول الدراسة مفهوم حوكمة المعلومات، الذي يعتبر موضوع العصر. فالمؤسسات والمنظمات والهيئات والإدارات، مهما كان نوعها ومجال نشاطها تعتمد على المعلومة. إن النجاح في جميع المجالات مرتبط باتخاذ القرارات الحيوية الصائبة الذي يرتبط بدوره بامتلاك المعلومة. ولهذا السبب ظهرت الحاجة الملحة لحوكمة المعلومات والمعطيات في المنظمات، بما يضمن توفيرها ثم حمايتها وتخزينها ثم استرجاعها في الوقت المناسب. تقوم حوكمة المعلومات على مجموعة من المبادئ والركائز، كما يمكن قياس نضجها من خلال ثلة من المستويات. تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على مختلف هذه الجوانب.

الكلمات المفتاحية: الحوكمة - المعلومة - المبادئ-مستويات النضج - نموذج حوكمة المعلومات

Information governance: pillars and maturity levels

Dr.Bahoussi rekia - University of Oran 1 -ALGERIA

Bezaouia zohra - University of Oran 1-ALGERIA

Abstract:

The study deals with the concept of information governance, which is considered a subject of the time. Institutions, organizations, bodies and administrations, whatever their type and scope of activity, depend on information. Success in all fields is linked to making the right vital decisions, which in turn are linked to having information. For this reason, an urgent need has arisen for the governance of information and data in organizations, to ensure their timely delivery, protection, storage and retrieval. Information governance is based on a set of principles and pillars, and its maturity can be measured across a set of levels. This study aims to shed light on these different aspects.

Keywords: governance- information- principles -maturity levels- (Information Governance Reference Model)

مقدمة:

إن الحاجة إلى امتلاك المعلومة مسألة جوهرية منذ بدء الخليقة. لكن تضخمها وتعدد أشكالها وحواملها في عصر بات ينسب لها بدون تحفظ (عصر المعلومات)، جعل من التحكم فيها عاملا مفتاحيا وقارب نجاة للمؤسسات والهيئات والمنظمات والإدارات على اختلافها. فالمعلومة باتت مصدرا للثروة ومرادفا للنجاح والسلطة وللقوة الضاربة. يمثل امتلاك المعلومة أيضا ضمانا لاكتساح المنافس، مما حفز لابتكار سبل لتسييرها بجودة وفعالية من خلال ما يعرف بحوكمة المعلومات. وهو مفهوم فرض نفسه في الآونة الأخيرة كمنهج وأسلوب عمل، لكن حوكمة المعلومات ليست قدرا قد يصيب المؤسسة أو الهيئة فيعود عليها بالنفع بل هي اختيار واع، قائم على تبني مبادئ ومرتكزات وخاضع للتقييم الدوري لمستويات النضج.

- فما هو مفهوم حوكمة المعلومات؟

- ماهي مبادئها؟

- ماهي ركائزها؟

- وما هي مستويات النضج الخاصة بها؟

1. تعريف الحوكمة:

مصطلح الحوكمة هو الترجمة الرائجة لمصطلح GOUVERNANCE، أما الترجمة العلمية لهذا المصطلح، والتي اتفق عليها، فهي: " أسلوب ممارسة سلطات الإدارة الرشيدة¹ "، كما تم استخدام عدة مصطلحات أخرى مرادفة في اللغة العربية للدلالة على مصطلح GOUVERNANCE من قبل الباحثين والمنظمات²، مثل الحكم، الحكمانية، الحكم الرشيد، الحكم الصالح، منهجية الادارة، الإدارة الرشيدة والحوكمة.

1.1. الحوكمة لغة:

أ - في اللغة العربية

و هي تكتسي عدة³ معان كالتالي:

1. المنع : فيقال حكمت فلانا، أي منعته، و منها حكمة الدابة، و هو ما يوضع على فم الدابة لمنعها من التهام ما لا يريد لها راكبها أن تلتهمه.

2. القضاء: حيث يطلق الحكم و يراد به القضاء و من ذلك قوله تعالى " فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ^ط وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ " (المائدة ، 48)

3.الحكمة :و هو وضع الشيء المناسب في المكان المناسب، كما يدل على ذلك قوله تعالى " يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ^ح وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا^ط وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (البقرة، 269)

4. الحَكَمُ: و هو من نصبه القاضي للحكم بين الناس و محاولة الاصلاح بينهم كقوله تعالى " وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا^ط إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (النساء 35)

كما يتضمن تعريف مفهوم الحوكمة جوانب⁴ أخرى :

-5- الاحتكام : و ما يقتضيه من الرجوع إلى مرجعيات أخلاقية و ثقافية و إلى خبرات تم الحصول عليها من خلال تجارب سابقة.

6-التحاكم: طلباً للعدالة خاصة من انحراف السلطة وتلاعبها بمصالح المساهم

ب . الحوكمة في اللغة الفرنسية

ووفقا ل (Huynh Quan Suu) ، فان الفعل اليوناني (kunzea) الذي كان يعني قيادة سفينة أو دبابه، أستخدم لأول مرة بطريقة مجازية من طرف أفلاطون للإشارة الى حكم الرجال و توجيههم . كما كان له الفضل في إيجاد⁵ الفعل اللاتيني (gageüre) الذي استعمل بنفس المعنى والذي كان له العديد من المشتقات مثل (gabariteuse) الذي استخدم بدوره في العديد من اللغات، كما يلي"

- français : gouverner, gouvernement, gouvernance, etc.

- anglais : govern, government, governance, etc.

- espagnol : gobernar, gobierno, gobernanza, etc.

- portugais : governar, governo, governação, governança, etc.

- italien : governare, governo, governmento, etc.

وللإشارة فان مصطلح "gouvernance" كان يستعمل في اللغة الفرنسية في القرن 13

كمترادف لمصطلح "gouvernement"، تم استعملت ابتداء من سنة 1478 للإشارة إلى أقاليم

ذات هيكلية ادارية خاصة، و في سنة 1679 استعملت كلمة gouvernante، انتقل المصطلح إلى

اللغة الإنجليزية في القرن الرابع عشر ليظهر مصطلح *governance* (*action ou manière de gouverner*)

2.1. الحوكمة اصطلاحاً:

تعددت التعريفات المقدمة لمصطلح الحوكمة، بحيث يدل كل تعريف على وجهة النظر التي يتبناها مقدم هذا التعريف، و لا يوجد إجماع في الأدبيات على تعريف موحد، فتعرف مؤسسة التمويل الدولية (IFC) الحوكمة بأنها " النظام الذي يتم من خلاله إدارة الشركات والتحكم في أعمالها ". كما تعرفها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) بأنها " مجموعة من العلاقات التي تربط بين القائمين على إدارة الشركة ومجلس الإدارة وحملة الأسهم وغيرهم من أصحاب المصالح ". كما يوجد تعريف آخر للحوكمة يدور حول الطريقة التي تدار بها الشركة وآلية التعامل مع جميع أصحاب المصالح فيها، بدءاً من عملاء الشركة والمساهمين والموظفين (بما فيهم الإدارة التنفيذية وأعضاء مجلس الإدارة) وانتهاءً بآلية تعامل الشركة⁶ مع المجتمع ككل.

وبمعنى آخر، فإن الحوكمة تعني النظام، أي وجود نظم تحكم العلاقات بين الأطراف الأساسية التي تؤثر في الأداء، كما تشمل مقومات تقوية المؤسسة على المدى البعيد وتحديد المسؤول والمسئولية⁷.

كما تعرف بأنها «ممارسة السلطات الاقتصادية والسياسية والإدارية لإدارة شؤون المجتمع على كافة مستوياته، لذا فالحوكمة تتكون من الآليات والعمليات و المؤسسات التي من خلالها تستطيع أن تشكل مصالحهم فيمارسون حقوقهم القانونية ويؤدون واجباتهم ويناقشون خلافاتهم وفي تطور آخر عرفت الحوكمة بأنها "التقاليد، والمؤسسات والعمليات التي تقرر كيفية ممارسة السلطة ، وكيفية سماع صوت المواطنين، وكيفية صنع القرارات في قضايا ذات اهتمام عام⁸

وتعرف بأنها مقارنة شاملة وديناميكية تهدف لضمان التنسيق الفعال للموارد، وتنظيم وتسيير نقاط القوة والضعف، والفرص والتهديدات والمخاطر المتعلقة بمديريها، قادتها وبيئتها. تشكل الحوكمة من خلال آليات وأدوات التخطيط المختلفة، الرقابة والمراقبة والمساءلة لغرض خلق القيمة وتحقيق الأهداف التنظيمية ومساهمتها، مع مراعاة مصالح الأطراف الأخرى أصحاب المصلحة.

ويبقى الهدف الرئيسي¹⁰ من الحوكمة هو تشغيل و تنظيم و تسهيل و تنسيق النظام الذي يحددها و جعله فعالاً وفق القواعد التي قد تخص هذا النظام.

2. حوكمة المعلومات

تاريخياً تؤكد بعض المراجع أن قطاع الصحة هو أول قطاع، تناول و استخدم مفهوم حوكمة المعلومات، و ذلك من خلال مجارته لإشكاليات تتعلق بأمن و تسيير البيانات الشخصية الخاصة بالمرضى، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً بقي مصطلح «information governance» مرتبط فقط بقطاع الصحة إلى غاية 2005. حيث توسع بعدها المفهوم و أصبح يستعمل في العديد من القطاعات و تعزز أكثر بعد أن بات يحمل رؤية تسيير¹¹ المخاطر.

2. 1. تعريف حوكمة المعلومات:

تري شابان آن-ماري ، أن حوكمة المعلومة عبارة شائعة و هي تحتل مكانة وسط بين حوكمة البيانات و حوكمة الوثائق و تعرفها¹² كما يلي : حوكمة المعلومات آلية استراتيجية مركبة من معايير و عمليات و أدوار ومقاييس، تمكن الأشخاص الماديين و المعنويين من انتاج المعلومة و تسييرها و تأمينها و حفظها و استعمالها وحذفها بحيث تحترم أهداف المؤسسة و تساهم فيها¹³، و هو نفس التعريف الذي تقدمه جمعية الإداريين للروكورد مانجمنت الدولية¹⁴ (ARMA International).

أما الحوكمة الوثائقية فتوصف بأنها "تسيير الوثائق وإصداراتها المتتالية وصيانتها وتخزينها ونسخها الاحتياطي ... كل ذلك يرتبط بالطبع بمسائل التكاليف و المردودية والربح والإنتاجية والقدرة التنافسية والمزايا التنافسية، و الخلاصة. تتضمن حوكمة المعلومات رؤية شاملة واستراتيجية، وهي بالقياس مع الحوكمة الوثائقية تعتبر أكثر تكتيكية واتساعاً. و هي توفر نظرة¹⁵ عامة.

توصف حوكمة المعلومات بأنها شاملة ومتعددة التخصصات وعالمية واستراتيجية، هي مجموعة من العمليات والأدوات والتفكير في إدارة المعلومات طوال دورة حياة هذه الأخيرة، إنها نشطة بشكل أساسي في القطاع الخاص، ولكن الإدارة العمومية بات تهتم بها شيئاً فشيئاً، وهي تسعى إلى معرفة¹⁶ كيفية دمجها في سياستها الاستراتيجية والعالمية.

كما تعرف حوكمة المعلومات، بأنها برنامج موائمة و مراقبة المعلومات¹⁷، يهدف إلى تطبيق سياسات تسيير المعلومات من الإنشاء إلى الاستخدام ، إلى الأرشفة والحذف ، و ذلك مهما كانت المعلومة... يشمل هذا البرنامج مختلف القوانين واللوائح المحلية و العالمية السارية المفعول، وكذا معايير المؤسسات التي

تستخدم في تسيير المعلومات . و هو يتجاوز بذلك مجرد احتجاز أو حذف الوثائق، بل هو يشمل جميع العمليات المهنية و الممارسات التي لها صلة مباشرة بدورة حياة المعلومات، و حماية البيانات الخاصة، و متطلبات الإثبات الإلكتروني. يجب أن يكون نظام حوكمة المعلومات في المنظمة قادراً على تلبية المتطلبات القانونية والسياسية والاقتصادي¹⁸ة والأخلاقية ، و تفترض حوكمة المعلومات مقارنة عامة تشمل العمليات والأدوار والمعايير والمبادئ الواجب اتباعها ، وكذلك مؤشرات القياس التي تسمح بالاستخدام الفعال للمعلومات لتمكين المنظمة من تحقيق¹⁹ أهدافها.

وبالنسبة للمؤسسة، فإن الرهانات المتصلة بحوكمة المعلومات متعددة . لا بد وأن تكون قادرة على تقديم: . المزيد من الجودة في معالجة المعلومات، . تسيير الأفضل لمخاطر المعلومات، وخاصة من خلال الامتثال للالتزامات التشريعية . خفض تكاليف إدارة المعلومات، والقدرة على تسهيل تطوير²⁰ التحولات الثقافية داخل المؤسسة.

تعتبر حوكمة المعلومات نهج شامل لتسيير التراث المعلوماتي للمؤسسات عن طريق تنفيذ العمليات والأدوار وأدوات المراقبة والمؤشرات من أجل معالجة المعلومات ويهدف تنفيذ نهج شامل لحوكمة المعلومات إلى توفير المعلومات لمن يحتاج إليها، مع عقلنة تسييرها وتقليل تكاليف التخزين وضمان الامتثال لها. تكتسب الأعمال في المقابل انخفاضاً في المخاطر القانونية المرتبطة عمومًا بالمعلومات السيئة الإدارة أو غير المتسقة. كما أنه يصبح أكثر مرونة، ويستجيب لبيئة السوق المتغيرة باستمرار. * أحد الاهتمامات الرئيسية لحوكمة المعلومات هو تزويد الموظفين بالبيانات التي يمكنهم الوثوق بها والوصول إليها بسهولة لتسهيل اتخاذ القرار. في العديد من الشركات، تقع حوكمة المعلومات ضمن مسؤولية العديد من الإدارات: الأمن والتخزين وقواعد البيانات. غالبًا ما تأتي الحاجة إلى هذا النهج الشامل لإدارة المعلومات بعد حدث غير مناسب، مثل دعوى قضائية أو تدقيق الامتثال أو الاندماج مع شركة²¹ أخرى .

2. 2. مزايا حوكمة المعلومات²²

- مواءمة ودعم الأهداف الاستراتيجية والميزة التنافسية
- خفض التكاليف المرتبطة بتسيير المعلومات والبحث عنها.
- تجنب انتهاكات البيانات المكلفة .
- -تحسين التحليلات وقدرات إعداد التقارير الدقيقة .
- -زيادة مرونة وصمود عمليات تكنولوجيا المعلومات وزيادة كفاءة التعافي من الكوارث .
- -التقليص من ازدواجية البيانات وعدم كفاءة العمليات .
- -تحديد المصادر المحتملة لبيانات "بحيرة البيانات" والتحليلات-
- تحديد الأنظمة ذات الصلة للاستجابة بفعالية للطلبات الداخلية أو الخارجية.

3 مبادئ حوكمة المعلومات حسب جمعية ARMA International

لقد قامت جمعية (ARMA International) بوضع ثمانية مبادئ أساسية أسمىها ب (Generally Accepted Recordkeeping Principles) و عرفت اختصاراً ب (GARP) و قد ترجم الفرنسيون مصطلح (Recordkeeping) إلى (gestion des documents). أما الكنديون فيفضلون تسميته ب ²³ « tenue des documents » ، تستخدم هذه المبادئ في قياس مستوى نضج حوكمة المعلومات في الميدان و هي تتكون من ثمانية مبادئ(8)، تتميز هذه المبادئ بعدم تسلسلها بحيث لا يكمن ترقيمها مثلاً من 01 إلى 08 لأن كل منها يكون وحدة واحدة، بحيث لا يمكن أن يعوض أحد المبادئ الآخر أو ينوب عنه ، و لكنها في النفس الوقت مبادئ مترابطة مع بعضها البعض.

تحدد المبادئ السمات الأساسية، لحوكمة المعلومات²⁴، وتوفر في نفس الوقت معياراً للسلوك لتسيير المعلومات والمقاييس التي يمكن من خلالها الحكم على هذا السلوك. وعند تبني هذه المبادئ تؤكد المنظمات للجمهور والمجتمع بشكل عام، أنها تفي بمسؤولياتها فيما يتعلق بحوكمة المعلومات. يمكن تطبيق هذه المبادئ على جميع المنظمات مهما كان نوعها أو حجمها، في جميع أنواع الصناعات، وفي كل من القطاعين العام والخاص. ولأن المبادئ مستقلة عن القانون والعادات المحلية، يمكن للمنظمات

متعددة الجنسيات استخدامها لإقامة ممارسات منسقة عابرة للحدود الجغرافية. إن هذه المبادئ ضرورية لكل من • المسؤولين والإدارة التنفيذية في تحديد كيفية حماية مؤسساتهم في استخدام المعلومات • المشجعون في ميدان المعلومات وتأمينها، المتخصصون في إدارة المعلومات وفي تصميم البرامج لتسيير المعلومات • عمال المعلومات الذين يؤدون واجباتهم اليومية. المبادئ بدون ترقيم تسلسلي كما يلي:

❖ المسؤولية (Responsabilité)

يجب أن تعين المنظمة اطار سام ليتولى الاشراف²⁵ على برنامج حوكمة المعلومات ، و تفويض مسؤولية تسيير الملفات و المعلومات إلى الأشخاص المناسبين ، تتبنى المنظمة سياسات و إجراءات لتوجيه و ارشاد الموظفين وضمان امكانية التحقق من البرنامج.

❖ الشفافية²⁶ (Transparence) ،

يجب توثيق إجراءات ونشاطات المنظمة بما في ذلك برنامجها للحوكمة بطريقة مفتوحة وحقيقية، ويجب توفير هذه الوثائق لجميع الموظفين والأطراف المهتمة.

❖ السلامة (Intégrité)

يجب تصميم برنامج لحوكمة المعلومات بطريقة تضمن الصحة (authenticité) و الموثوقية (fiabilité) للمعلومات التي يتم انشاؤها او تسييرها من طرف المنظمة او من اجلها بشكل معقول و مناسب.

❖ الحماية (Protection)

برنامج الحوكمة يجب ان يبنى بطريقة تضمن مستوى معقول من الحماية بالنسبة للوثائق والمعلومات الخاصة و السرية، والمميزة ، او ذات وصول محدود أو ذات الخصوصية و المصنفة كوثائق و معلومات أساسية لاستمرارية الأنشطة. و التي تحتاج إلى حماية.

❖ التوافق أو التطابق (Conformité)

يجب ان يصمم برنامج حوكمة المعلومات وفقا للقوانين واللوائح السارية المفعول والقواعد المنصوص عليها في سياسة المنظمة.

❖ . توفر المعلومات (Disponibilité)

يجب على المنظمة ان تحفظ الملفات و المعلومات بطريقة تضمن الاسترجاع السريع الفعال و الدقيق للمعلومات اللازمة.

❖ . الترتيبات²⁷ (ترتيبات المصير النهائي) (disposition)

بعد انتهاء مدة الحفظ , يتعين على المؤسسات أن تقرر المصير النهائي للوثائق المؤرشفة : الإقصاء او النقل مراكز حظ الأرشيف التاريخي . بالنسبة للإقصاء يجب أن يكون كاملا لا رجعة عنه، لآمن و مضمون. ملاحظة:²⁸ في حالة نزاع يعلق تطبيق المصير النهائي (بمفهوم التجميد) و يبدأ مجددا في نهاية النزاع.

❖ . مبدأ الحفظ (conservation)

ان التحكم في الكميات الهائلة من الوثائق التي يتم انتاجها يوميا يتطلب ائتلاف الوثائق الارشيفية التي لم تعيد مفيدة و هذه المتطلبات اصبحت أقوى في البيئة الالكترونية و هي بيئة انتاج لغالبية الوثائق . إن مدة الاحتفاظ بالوثائق يجب أن تعتمد على :

. المتطلبات القانونية والتنظيمية

. المتطلبات الضريبية

. احتياجات العمل

. أحتاج الذاكرة التاريخية.

4- مستويات نضج حوكمة المعلومات حسب نموذج ARMA

يعرف هذا النموذج (*Information Governance Reference Model*) و يختصر ب (*IGRM*) يحدد هذا النموذج خصائص برامج حوكمة المعلومات حسب درجات متفاوتة من النضج والاكتمال والفعالية . ويصف لكل مبدأ²⁹ من المبادئ الثمانية السابقة الذكر الخصائص المثالية لمستويات النضج الخمسة الخاصة به. المستويات هي على التوالي:

المستوى 1 (غير كاف) (insuffisant) : يصف هذا المستوى بيئة لا يتم فيها تناول الانشغالات المتعلقة بحوكمة المعلومات وتسيير السجلات أو يتم تناولها بالحد الأدنى أو بشكل بسيط. والمنظمات التي

ينطبق عليها هذا الوصف لا تفي عموماً بمعايير التدقيق القضائي أو التنظيمي و قد لا تلي احتياجاتها التجارية بصورة فعالة

-المستوى 2 (قيد التطوير)(en développement) : يصف هذا المستوى بيئة يتزايد فيها الوعي بأن حوكمة المعلومات وحفظ السجلات بعناية لها تأثير على المنظمة وأن هذه الأخيرة يمكن أن تستفيد من برنامج حوكمة المعلومات محدد بشكل أفضل. ومع ذلك، تظل المنظمة ضعيفة في حالة تدقيق قضائي أو تنظيمي ونفس الشيء عند مراجعة متطلبات أعمالها، لأن ممارساتها غير محددة أو غير كاملة أو بدائية أو غير فعالة.

-المستوى 3 (أساسي)(essentiel) :: يصف هذا المستوى المعايير الأساسية، أو الحد الأدنى، والذي يجب استيفاءه لتلبية المتطلبات القانونية والتنظيمية والتجارية. وهي تتميز بسياسات وإجراءات محددة وتنفيذ عمليات مصممة خصيصاً لتحسين حوكمة المعلومات وإدارة السجلات. يمكن للمنظمات التي ينطبق عليها هذا الوصف أن تفشل أيضاً في عقلنة أعمالها والتحكم في تكاليفها. ولكنها مع ذلك، وضعت المكونات الأساسية لبرنامج فعال ومن المرجح أن يوفوا، على الأقل بالحد الأدنى، بمسؤولياتهم القانونية والعملياتية وغيرها.

-المستوى 4 (استباقي)(proactif) : يصف هذا المستوى المنظمة التي أنشأت برنامجاً استباقياً لحوكمة المعلومات لجميع أنشطتها بالإضافة إلى عمليات التحسين المستمر. يتم أخذ الرهانات والعوامل المتعلقة بحوكمة المعلومات بعين الاعتبار بشكل منهجي في قرارات الأعمال. تتمتع المنظمة بدرجة من الامتثال لأفضل الممارسات أعلى بكثير من الحد الأدنى وتفي بسهولة بالمتطلبات القانونية والتنظيمية. يجب أن تبدأ المنظمة التي ينطبق عليها هذا الوصف بشكل عام في استكشاف الفوائد الإضافية لأنشطتها التجارية والإنتاجية التي يمكن أن تحققها من خلال: زيادة تسهيل الوصول إلى المعلومات على مستوى المنظمة، استثمار أكثر للمعلومات التي بحوزتها لفهم أفضل لاحتياجات عملائها، بعبارة أخرى تحويل نفسها من خلال الاستخدام المتزايد للمعلومات

-المستوى 5 (التحويلي)(transformationnel) : يصف هذا المستوى منظمة قامت بدمج حوكمة المعلومات في جميع بنيتها التحتية وعملياتها التجارية إلى حد أن الامتثال لمتطلبات البرنامج

والمسؤوليات القانونية والتنظيمية وغيرها يكون منهجيًا. أدركت المنظمة أن حوكمة المعلومات الفعالة أمر بالغ الأهمية لخفض التكاليف، واكتساب ميزة تنافسية، وتوفير خدمة عملاء ممتازة، ونجحت في وضع الأدوات والاستراتيجيات التي تسمح بتحقيق هذه المكاسب بشكل مطلق.

5- -- ركائز حوكمة المعلومات

إن التقسيم إلى أربع ركائز ي³⁰ جعل من الممكن هيكلة وتوزيع برنامج طوعي لحوكمة المعلومات بشكل فعال (Jérôme THUEZ . Rémi Moebs, 2018) و تتمثل الركائز فيما يلي:

5-1- الاستراتيجية والحوكمة للإدارة العليا وإدارة الكيانات: وجود دافع أساسي ورعاية

من الإدارة على شكل مبادرة تجريبية، إصدار قواعد مشتركة للمؤسسة بأكملها، إنشاء نموذج النضج، الإنشاء والتعيين المنتظم المرجعي لأنواع الوثائق والمحتوى الذي يتم التعامل معه وتسييره من قبل أقسام المنظمة، وضع برنامج للتقارب بين استخدامات وأدوات إدارة المعلومات

5-2- التنظيم والاجراءات على مستوى الموارد³¹ البشرية و على المستوى التنظيمي ،

بإشراك شبكة من مسيري المعلومات ،: يتيح تسيير المعلومات إضفاء الطابع الرسمي على الإجراءات الجديدة والمهن الجديدة والمسؤوليات الجديدة التي غالبا ما تكون منتشرة في المنظمة.

ويجب على وجه الخصوص تمييز الدور الرئيسي الجديد لمدير المعلومات (**Information**

Manager) إنشاء شبكة من الفاعلين والمسؤولين المكلفين بتسيير المعلومات، تعزيز مستودع

الموارد البشرية بوظائف جديدة متعلقة بتسيير و إدارة المعلومات، بناء ونشر قواعد التصنيف

، وتبادل المعلومات ، تحديد عملية إدارة دورة حياة المعلومات المشتركة من خلال منح المستخدمين

معايير مرجعية بسيطة وواضحة حول المراحل الرئيسية لدورة حياة الوثائق أو المحتوى ، ونشرها وفقًا

للإجراءات المهنية القائمة بالفعل ، إعداد أو توحيد حلول الأرشفة وإدارة السجلات للوثائق الورقية

وإلكترونية ، وربط مبادئ أرشفة و اتلاف الوثائق والمحتوى بأنشطة المهنية القائمة .

5-3- الأدوات والحلول في مجال نظام المعلومات، وبالتالي في مجال الحوسبة:

الأدوات هي ركيزة أساسية لحوكمة المعلومات، ويجب أن تفي بعدة متطلبات. أهمها، سهولة الاستخدام

بحيث يتمكن أي شخص³²، بغض النظر عن مستواه الثقافي الرقمي، من استخدامها بشكل يومي. ثم

التوافق التام مع أشكال الملفات والحلول المستخدمة سابقاً، حتى لا تفقد أي معلومات أثناء النشر. أخيراً، تشخيص محتمل لتحديات المؤسسة، بحيث لا تفقد أي وظيفة.

من بين بعض العناصر لإظهار "الحلول والأدوات" بشكل فعال ما يلي:

- إجراء جرد شامل ورسم خرائط لحلول وأدوات إدارة المعلومات (الحلول التعاونية، وحلول إدارة المستندات، وإنتاج المحتوى وأدوات النشر، ومحركات البحث، وما إلى ذلك)،

- بناء برنامج لترشيد وتبسيط حلول وأدوات إدارة المعلومات، بناءً على نموذج دورة حياة المستند،

- الحد من الإنتاج الذاتي غير المنضبط عن طريق نشر أداة إنشاء المستندات، مما يجعل من الممكن توحيد إنتاج المستندات، دراسة مبادرة محرك بحث عالمية ومتعددة الوظائف، تقدم للمستخدمين نقطة وصول مبسطة وواحدة إلى جميع محتوياتهم، العمل على التطهير الآلي وإصدار النسخ والأرشفة والتدمير للحد من حجم المحتوى

- 4-5 - الاستخدامات و التغيير و مخاطبة المستخدمين النهائيين لشرح وقيادة التغيير.

ونقطة الانطلاق الأساسية لبرنامج حوكمة المعلومات هي الوعي على جميع المستويات بقيمة المعلومات . وعند الاقتضاء ، يجب تحويل المستند الورقي أو الإلكتروني إلى عنصر قيمة. يمكن أن يكون هذا الوعي ضمناً عندما تكون طبيعة النشاط غير ملموسة، لكنه يصبح أكثر صعوبة عندما يكون النشاط الميداني مهيماً-الصناعة ، والإنتاج على سبيل المثال - ولذلك يجب أن يكون نشر حوكمة المعلومات مصحوباً ببرنامج للتدريب وإدارة التغيير من أجل:

'1' التعريف بالنصوص المرجعية الواجبة التطبيق وما يرتبط بها من مخاطر ؛ وشرح ونشر نموذج دورة الحياة ، التدريب على الحلول والأدوات.

الخاتمة:

ان المبادئ التي حددتها جمعية ((ARMA International)) مبادئ جوهرية و أساسية، يمكن من خلالها تبني نظام حوكمة المعلومات في أي مؤسسة أو منظمة أو إدارة ، كما يمكن بفضل النموذج المقترح قياس مستوى النضج هذه المبادئ و قياس مدى نضج هذه الحوكمة التي تم تبنيها. و لكننا بالتمعن في هذه المبادئ نجد أن البعض منها، لطالما شكل حجر الزاوية عند مسيري المعلومات ، بل ان البعض منها

يعتبر عماد تسيير الوثائق يجعلنا نستنتج بأن حوكمة المعلومات جاءت لتعزيز و تقوي المبادئ الأساسية في ما كان يعرف مانجمنت الوثائق le Records Management و أن هذا الأخير يعتبر القاعدة الصلبة الأساسية لحوكمة المعلومات ، انطلقت منه لتحلق في عوالم أخرى.

الهوامش

- ¹ - محمد حسن يوسف. محددات الحوكمة ومعاييرها، مع إشارة خاصة لنمط تطبيقها في مصر. القاهرة: بنك الاستثمار القومي، 2007، ص4
- ² - عبد المجيد الصلاحيين. الحوكمة في المؤسسات المالية الإسلامية. المؤتمر الثاني للخدمات المالية الإسلامية. طرابلس. 27 /04 /2010 [على الخط] <http://www.imtithal.com/uploaded/media/research> (يوم 2021/02/01)
- ³ اسلام بدوي محمود الداعور. مدى تطبيق معايير الحوكمة الجيدة في بلديات الضفة الغربية. رسالة ماجستير. إدارة أعمال بكلية الدراسات العليا، جامعة الخليل. 2008. ص 12
- ⁴ - أشرف مخايل حنة. تدقيق الحسابات وأطرافه في إطار حوكمة الشركات. المؤتمر العربي الأول التدقيق الداخلي في اطار حوكمة الشركات. القاهرة، 2005. ص5
- ⁵ Robert Joumard. Le concept de gouvernance. LTE 0910. rapport de recherche. 2009, pp.52. <hal- 00489237>
- ⁶ - مركز أبو ظبي للحوكمة أساسيات الحوكمة : مصطلحات و مفاهيم . الامارات العربية المتحدة : مركز أبو ظبي للحوكمة، [د، ت]، ص5
- ⁷ - محمد حسن يوسف. المرجع السابق. ص5
- ⁸ - اسلام بدوي محمود الداعور. المرجع السابق. ص14
- ⁹ - Émilie Sénéchal, UN OUTIL DE DIAGNOSTIC EN GOUVERNANCE POUR LES ORGANISATIONS. Essai présenté au Centre universitaire de formation en environnement et développement durable en vue e l'obtention du grade de maître en environnement . Juin 2015.[En ligne]. , p.14
- ¹⁰ - Elsa Hugonie,. Construire un plan de gouvernance de l'information dans un grand groupe industriel : le cas de Thales Services. domain_shs.info.docu. 2011. mem_00679486(page consultée le 08/04/2020 a 16H)
- ¹¹ - Roxane Pagnamenta, .Gouvernance de l'information : définition, enjeux et perspectives en Ville de Genève, Travail de Master réalisé en vue de l'obtention du

Master HES Haute École de Gestion de Genève (HEG-GE). Genève, le 29 août 2014, p.5

¹² - لتقريب فكرة حوكمة المعلومات من ذهن القارئ، تشبه شابان Chabin marie-anne حوكمة المعلومات بالحلوة المسماة (La charlotte) و تتفنن في ذكر الأسباب. للاطلاع العنوان التالي: <http://www.marieannechabin.fr/2015/10/gouvernance/>

¹³ - Anne-marie Chabin. Gouvernance. .[En ligne].

<http://www.marieannechabin.fr/2015/10/gouvernance/> (page consultée le 03/032019 à 11h)

¹⁴ ARMA International- : هي جمعية مهنية لا تهدف للربح، كانت تسمى سابقا (Association of Records Managers and Administrators

أنشئت سنة 1955، كانت جمعية (l'American Records Management Association)لنواها الأساسية . انضم هذه الجمعية حاليا أكثر من 27000 من 30 بلد و يتكون أعضائها من مسيرين للوثائق، أرشيفيين، المكتبيين ،مسيرين للمعلومات ، المحامين، مستشارين و مربين...الخ توفر الجمعية الفرص التعليمية والمنشورات التعليمية التي تغطي مبادئ إدارة الوثائق .أما مقرها الرئيسي فهو في Overland Park, Kansas (بأمريكا) أنظر الموقع التالي: <https://www.arma.org/default.aspx>

¹⁵ Elsa Hugonie,Op.cit., p16

¹⁶ Ander Sandrine,., *La maturité des pratiques de gouvernance informationnelle à Genève : état des lieux. Fév 2018.* .[En ligne]. <https://recherchemid.wordpress.com/2018/02/09/la-maturite-des-pratiques-de-gouvernance-informationnelle-a-geneve-etat-des-lieu>

¹⁷ Roxane Pagnamenta.Op.Cit., ,p7

¹⁸ - Dominique Maurel .*La gouvernance des documents d'activité :le plan de cours, un ordre négocié.* Archives, VOLUME 45, NUMÉRO 1, 2013-2014. p.184

¹⁹ Dominique Maurel.Op.Cit. p179

²⁰ Elsa Hugonie.Op.Cit.,p27

²¹ - Rouse Margaret .**Gouvernance de l'information.** .[En ligne].

<https://www.lemagit.fr/definition/Gouvernance-de-linformation>(page consultée le 09/09/2020 a 15H)

²² Chantal Ménard. Gouvernance de l'information et des données, pour la performance et la conformité de l'entreprise. .[En ligne]. https://archivistesqc.wordpress.com/2020/09/21/gouvernance_information

²³ Daniel Ducharme **Generally Accepted Recordkeeping Principles (GARP)**
<http://blogues.banq.qc.ca/instantanes/2013/10/10/arma-generally-accepted-recordkeeping-principles-garp/>

²⁴ -ARMA .Les huit principes d'archivage de l'ARMA.[En ligne].
http://blog.cr2pa.fr/wp-content/uploads/Fun-Mooc-paris10-CR2PA_s3-S4D_Gouvernance-et-8-principes-d_archivage_s2.pdf (page consultée le 20/03/2019 à 17H)

²⁵ Roxane Pagnamenta.Op.Cit.p.27

²⁶ ARMA,2019.Op.Cit.

²⁷ - وردت تسمية هذا المبدأ في بعض المراجع ب (التدمير) (Principe de destruction) و لكن التسمية الأقرب هي الاقصاء و الأحسن هي تسمية الترتيبات بصفة عامة سواء كانت اقضاء او نقل الوثائق الأرشيفية الى مكان الحفظ

²⁸ ARMA,2019.0p.Cit.

²⁹ ARMA .International' Information Governance Maturity Model .[En ligne].

<https://www.lva.virginia.gov/agencies/records/psrc/documents/Principles.pdf>
(page consultée le 08/03/2019 à 15H)

³⁰ --Jérôme THUEZ . Rémi Moebs. la gouvernance de l'information. « IT-expert magazine. ».[En ligne]. <https://www.it-expertise.com/les-4-piliers-de-la-gouvernance-de-linformation/> (page consultée le 28/08/2018 à 22H 45m

³¹ - Ibid.

³² -Noureddine Lamriri.Les 4 piliers de la gouvernance de l'information dans l'industrie . <https://www.everteam.com/fr/piliers-gouvernance-information-industrie/>.[En ligne]. (page consultée le 24/03/2021 à 16H)

المراجع

- باللغة العربية

1. حسن يوسف، محمد. محددات الحوكمة ومعاييرها، مع إشارة خاصة لنمط تطبيقها في مصر. القاهرة: بنك الاستثمار القومي، 2007.
2. حنة، أشرف مخايل. تدقيق الحسابات وأطرافه في إطار حوكمة الشركات. المؤتمر العربي الأول التدقيق الداخلي في إطار حوكمة الشركات. القاهرة، 2005
3. -محمود الداعور، اسلام بدوي. مدى تطبيق معايير الحوكمة الجيدة في بلديات الضفة الغربية. رسالة ماجستير. إدارة أعمال بكلية الدراسات العليا، جامعة الخليل. 2008.
4. -مركز أبو ظبي للحوكمة أساسيات الحوكمة: مصطلحات ومفاهيم. الامارات العربية المتحدة: مركز أبو ظبي للحوكمة، [د، ت]
5. - الصلاحين، عبد المجيد. الحوكمة في المؤسسات المالية الإسلامية . المؤتمر الثاني للخدمات المالية الإسلامية طرابلس. 27 28 /04 /2010 على الخط

<http://www.imtithal.com/uploaded/media/research>

باللغة الأجنبية

1. -ARMA .International' Information Governance Maturity Model .[En ligne]. <https://www.lva.virginia.gov/agencies/records/psrc/documents/Principles.pdf> (page consultée le 08/03/2019 à 15H)
2. -ARMA .Les huit principes d'archivage de l'ARMA.[En ligne]. . http://blog.cr2pa.fr/wp-content/uploads/Fun-Mooc-paris10-CR2PA_s3-S4D_Gouvernance-et-8-principes-d_archivage_s2.pdf (page consultée le 20/03/2019 à 17H)
3. -Chabin marie-anne . Gouvernance. .[En ligne]. <http://www.marieannechabin.fr/2015/10/gouvernance/> (page consultée le /03/032019 à 11h)
4. Ducharme ,**Daniel** .Generally Accepted Recordkeeping Principles (GARP) <http://blogues.banq.qc.ca/instantanes/2013/10/10/arma-generally-accepted-recordkeeping-principles-garp>

-
5. -Jérôme THUEZ . Rémi Moebs. la gouvernance de l'information. « IT-expert magazine. ». [En ligne]. <https://www.it-expertise.com/les-4-piliers-de-la-gouvernance-de-linformation/> (page consultée le 28/08/2018 à 22H 45m
 6. Joumard.,Robert .Le concept de gouvernance. LTE 0910. rapport de recherche. 2009, pp.52. <hal- 00489237>
 7. -Hugonie, Elsa. Construire un plan de gouvernance de l'information dans un grand groupe industriel : le cas de Thales Services. domain_shs.info.docu. 2011. mem_00679486(page consultée le 08/04/2020 à 16H)
 8. Lamriri :Nouredine .Les 4 piliers de la gouvernance de l'information dans l'industrie . <https://www.everteam.com/fr/piliers-gouvernance-information-industrie/>. [En ligne]. (page consultée le 24/03/2021 à 16H)
 9. - Ménard, Chantal. Gouvernance de l'information et des données, pour la performance et la conformité de l'entreprise. . [En ligne]. https://archivistesqc.wordpress.com/2020/09/21/gouvernance_information/(page consultée le 05/04/2020a 15H)
 10. -Margaret Rouse.Gouvernance de l'information. . [En ligne]. <https://www.lemagit.fr/definition/Gouvernance-de-linformation> (page consultée le 09/09/2020 à 15H)
 11. -Maurel ,Dominique *La gouvernance des documents d'activité :le plan de cours, un ordre négocié.* Archives, VOLUME 45, NUMÉRO 1, 2013-2014.
 12. -Pagnamenta, Roxane .Gouvernance de l'information : définition, enjeux et perspectives en Ville de Genève, Travail de Master réalisé en vue de l'obtention du Master HES Haute École de Gestion de Genève (HEG-GE). Genève, le 29 août 2014 ,
 13. -Sandrine, Ander. *La maturité des pratiques de gouvernance informationnelle à Genève : état des lieux.* Fév 2018. . [En ligne]. <https://recherchemid.wordpress.com/2018/02/09/la-maturite-des-pratiques-de-gouvernance-informationnelle-a-geneve-etat-des-lieu>

-
14. -Sénéchal, Émilie. UN OUTIL DE DIAGNOSTIC EN GOUVERNANCE POUR LES ORGANISATIONS. Essai présenté au Centre universitaire de formation en environnement et développement durable en vue de l'obtention du grade de maître en environnement ,Juin 2015.[En ligne].
 15. Noureddine Lamriri.Les 4 piliers de la gouvernance de l'information dans l'industrie . <https://www.everteam.com/fr/piliers-gouvernance-information-industrie/>. [En ligne]. (page consultée le 24/03/2021 à 16H)

ممارسات حفظ الثقافة على الويب

د. فتيحة قوميدي أستاذة محاضرة أ

جامعة وهران 01 أحمد بن بلة

goumid.fatiha@univ-oran1.dz

ط.د مصطفى عمرون باحث دكتوراه

جامعة وهران 01 أحمد بن بلة

amroune.moustafa@edu.univ-oran1.dz

الملخص بالعربية:

يتضمن أرشيف الويب الخاص بثقافات الويب مواقع توثق إنشاء ومشاركة التقاليد الثقافية الناشئة على الويب. في حين تتمثل مهمة مركز حفظ الثقافة في حفظ أشكال والممارسات الثقافية التقليدية، وقد أدى انتشار الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية واتصالات الإنترنت اللاسلكية إلى وضع الاتصال الشبكي كمساحة يتطور فيها الناس بشكل متزايد ويتشاركون فيها تقاليدهم وفولكلورهم. مهمة هذه المراكز هي النقاط مجموعة من مواقع الويب التي توثق عناصر من اللهجات الرقمية المختلفة التي يتواصل بها المبحرون في الويب من خلال الاتصال الشبكي والكمبيوتر. تضمنت هذه المواقع مجموعة واسعة من الاتصالات اليومية التي تنفذها المجتمعات لخلق إحساس مشترك بالعالم؛ هدفنا من هذه الورقة هو التنويه بأهمية حفظ التراث الثقافي الشعبي المتداول على الإنترنت الذي يعتبر تراثا رقميا بامتياز. ونقدم المواقع التي تركز على تطوير ونشر الأشكال الإبداعية، وتطوير المقتنيات الأرشيفية التي تعكس الطبيعة الديناميكية للويب نفسه.

الكلمات المفتاحية: أرشيف الويب، الثقافة الرقمية، التقاليد، الفولكلور، الإنترنت، التراث الشعبي.

Cultural preservation practices on the Web

Dr. Fatiha GOUMID Professor

University of Oran 01 Ahmed Ben Bella

goumid.fatiha@univ-oran1.dz

Moustafa AMROUNE p.h.d student

University of Oran 01 Ahmed Ben Bella

amroune.moustafa@edu.univ-oran1.dz

Abstract:

The Web Cultures Web Archive includes sites that document the creation and sharing of emerging cultural traditions on the Web. While the mission of the Cultural Preservation Center is to preserve traditional cultural forms and practices,

the proliferation of smartphones, tablets and wireless internet connections has created networking as a space in which people increasingly develop and share their traditions and folklore. The mission of these centers is to capture a set of websites that document elements of the different digital dialects that surfers communicate in the web through network and computer communication. These sites included a wide range of daily connections carried out by communities to create a common sense of the world; our goal of this paper is to highlight the importance of preserving the popular cultural heritage circulating on the Internet, which is considered a digital heritage par excellence. We offer sites that focus on developing and disseminating creative forms, and developing archival collections that reflect the dynamic nature of the web itself.

Keywords : Web archive, digital culture, traditions, folklore, internet, folklore.

مقدمة:

تظل أرشيفات الويب غير معروفة إلى حد كبير بالنسبة للمؤرخين والباحثين في العديد من تخصصات العلوم الإنسانية، ومن المؤكد أنها لا تستخدم بشكل أساسي كمصدر للمعلومات وحتى أرشيف الويب ظل مهمشا ولم يتم التركيز عليه في الدراسات الإنسانية والتاريخية خاصة ما تعلق منه بالثقافة وممارساتها في البيئة الرقمية؛ مما جعل الصلة بين القنوات الشفاهية والقنوات التدوينية للتراث الشعبي مقطوعة وغير متصلة وبالتالي ما لدينا من موروث لا يمثل حقيقة هذا الموروث وإنما حقيقة ما سُمح به لنا.

يقدم أرشيف الويب الخاص بثقافات الويب عينة تمثيلية للإبداع الثقافي الجماعي والتوثيق الذاتي الذي يميز المساحات المحلية على شبكة الويب العالمية. كما أن الدارسين المعاصرين العرب منهم على وجه التحديد في مطلع عصر الريادة، حاولوا إغفال قيمة التراث الشعبي كمصدر من مصادر ثقافتهم ونظروا إليه نظرة ازدراء تحط من قيمته الفنية والأدبية والجمالية بل اعتبره البعض خطرا يهدد حياة الشعوب ويجب التخلص منه وإحلال نوع آخر من العطاء لتعويضه. لكن على العكس من ذلك يبقى التراث الشعبي عمل أساسي يمكن من تعميق الرؤية إلى إنسان العصر بربطه بطبيعة مراحل الحضارية المختلفة.¹

لقد كان الموروث الشعبي كغيره من الموروثات الشعبية تتناقله الشفاه وعبر قنوات غير مرئية ولا مرصودة لكن وبفضل تكنولوجيا الاعلام والاتصال يمكن الآن ليس فقط حفظ مظاهر التراث الشعبي كرقصة أو البوم غنائي وإنما حتى ردود الفعل والاصداء حول الحدث الثقافي أو المظهر الثقافي أو ما أطلق

عليه الفولكلوريون الثقافة المهجنة التي تتعرض في كثير من الأحيان إلى المنع والحظر من أصحاب المواقع، وهناك كذلك بعض التقصير في جمع ما ينشأ من فولكلور على الإنترنت.

يمكن القول بأن التراث الرقمي هش بشكل خاص من عدة جهات نظر. كونه حديث لذلك لم يحصل على الشرعية الوثائقية، فهو في صميم التغييرات التقنية، وهو ملك للجميع ولكن لا يبدو أن هناك من يهتم بالحفاظ عليه خاصة ما تعلق بالثقافة الشعبية أو الفولكلور.

1. الويب وعاء لحفظ الثقافة:

الويب اليوم هو أضخم قاعدة معلومات موجودة على الإطلاق، في كل ثانية، يتم نشر 29000 جيجا بايت من المعلومات حول العالم، أو 2.5 إكسابايت يوميًا أو 912.5 إكسابايت في السنة. حجم "البيانات الضخمة" ينمو بسرعة فائقة ويؤدي إلى ظهور أنواع جديدة من الإحصاءات². متوسط عمر الصفحة سيكون أربعة وأربعين يومًا فقط! وأصبح مستخدمو الإنترنت على دراية بالخطأ 404 الشهير "لم يتم العثور على الكائن" أو "الصفحة المطلوبة غير موجودة" لذلك، بدون سياسة الأرشفة، يكون خطر فقدان البيانات كبيرًا.

يمكن العثور من خلال الويب على المزيد والمزيد من المعلومات التي تم تخزينها مسبقًا على الوسائط المادية، ويوجد كم هائل من المعلومات توجد فقط على الويب. كما أن انفجار المدونات يشير إلى حماس مستخدمي الإنترنت للنشر عبر الإنترنت، وتتجاوز أرقام التجارة الإلكترونية والإعلان عبر الإنترنت بشكل خاص نتائج الوسائط الإعلانية الأخرى (الورق، والتلفزيون، وما إلى ذلك). كما أن مصطلحات الإدارة الإلكترونية، النشر عبر الإنترنت، المكتبات الإلكترونية والتعلم عن بعد والفنون الرقمية وغيرها من المصطلحات أصبحت جزءًا من الواقع؛ مما يؤكد أن العديد من الأنشطة قد انتقلت إلى الويب وتكشف جوانب جديدة ومبتكرة من الممارسات المجتمعية في عام 2018، تشير التقديرات إلى أن 90٪ من البيانات المتاحة في جميع أنحاء العالم قد تم إنشاؤها خلال العامين الماضيين.³

إن الثقافة الرقمية تعتمد بالأساس على المعرفة بآليات العمل الإلكتروني تم إطلاق نظام رقمي عالمي جديد من قبل شركة Google للفنون والثقافة، وهو عبارة عن منصة تسمح للمثقفين وتجار الفن بعرض أنشطتهم ومعارضهم. وفي زمن كورونا رحبت المؤسسات الثقافية المشهورة عالميا والمعلقة بسبب فيروس كوفيد-19 بالزوار الافتراضيين، وعقدت أيضا منصة Google للثقافة والفنون شراكة مع

1200 متحف رائد، وأرشيف حول العالم لعرض معارضهم عبر الإنترنت وتقديم جولات التحول الافتراضي "Once Upon A Try" من خلال أشكال مبتكرة تم إنشاؤها بالتعاون مع 1200 متحفا حول العالم من أجل إستكشاف آلاف الاختراعات البشرية في معرض واحد⁴

لقد شهد العالم كذلك في ظل اجتياح فيروس كورونا، نشاطا ثقافيا مكثفا للفنانين سواء عبر منصات التواصل الاجتماعي أو عبر مواقع الويب وكان الشعار المتداول " إذا لم يعد بإمكان الناس الخروج إلى الأحداث الثقافية، فسوف نجلب الثقافة إلى غرفة جلوسهم" وهو ما تجسد في مجال الموسيقى، وهو الفن الأول الذي تحول إلى التوزيع عبر الإنترنت في سياق الوباء، أقام العديد من الفنانين حفلات موسيقية على صفحاتهم على مواقع التواصل الاجتماعي، كما قامت المؤسسات الرسمية في كل البلدان بعدة نشاطات في هذا الاتجاه؛ مثلا قامت أوبرا الجزائر، بوضعها على الإنترنت عدد كبير من الحفلات الموسيقية المسجلة مسبقا. نظمت سينماتك الجزائر أيضا جلسة عرض لأفلام على الشبكة، كما قدمت بعض نوادي السينما عروضاً تلتها نقاشات مفتوحة ما زالت على الإنترنت. كذلك إن الفن التشكيلي كان حاضراً أيضاً، بمعنى أن الفنانين والمعارض وجمعيات هذا الفن قد انتقلوا إلى العالم الافتراضي من خلال إتاحة الفرصة لعامة الناس، عبر الشبكات الاجتماعية. وقد تم تبني النهج نفسه من قبل قطاع المتحف حيث نظم مكتب إدارة واستغلال الممتلكات الثقافية (OGEBC) جولات إرشادية افتراضية، عبر الشبكات الاجتماعية، إلى المتاحف والمواقع الأثرية التي أغلقت أبوابها أمام الزوار بناءً على تعليمات من السلطات العامة⁵.

بادر العديد من الفنانين بالإضافة الى النشاطات الثقافية الرسمية إلى تقديم عروض مباشرة وغير مباشرة من منازلهم، وفعلا كان الاستجابة كبيرة وحضر العديد من الأشخاص هذه الفعاليات.

كما راجت في زمن كورونا النكت حول الفيروس وخاصة تلك المتعلقة بالارشادات يقول فرانسوا رينار في مقال بمجلة لنوفيل أويسرفاتور الفرنسية⁶، إنه تصفح الويب ليرى النكت حول كورونا، ووجد أن هناك ما هو مضحك وما ليس مضحكا، وما "لفت انتباهه شريط مصور تظهر فيه مسؤولة أميركية وهي تنصح الناس بتجنب لمس وجههم، قبل أن تبلل إصبعها بلسانها لقلب الصفحة". واستعرض رينار بعض النكت العالمية حول فيروس كورونا: اليابان التي أعلنت أنها ستبذل قصارى جهدها للحفاظ على الألعاب الأولمبية هذا الصيف، ربما تفكر في إضافة مسابقة جديدة، إذ يقف جميع المنافسين وراء

خط، وعلى الجانب الآخر من الملعب، يتحرك رجال يرتدون زي رواد الفضاء وهم يحملون أنابيب اختبار لمعرفة المدى الذي يمكن أن يصل إليه تطاير البلغم. نكتة أيضا من إيطاليا، إذ تقول امرأة إيطالية محجورة صحيا مع أقاربها "إذا نجح أطفالي من المرض، فأنا من سيقتلهم". مثل هذه النكت لاقت رواجاً على الإنترنت وغيرها الكثير وفي كل المجتمعات هي موجودة الآن لكن هل سيتم حفظها؟ أم أنها سوف تذهب أدراج الرياح كغيرها من الأحداث.

2. مفهوم التراث الشعبي على الويب:

التراث الشعبي هو جزء لا يستهان به من ثقافة المجتمعات؛ ويشمل الفن والقصص والمعرفة والممارسات التقليدية للناس. بينما يمكن ربط الفولكلور بالذاكرة والتاريخ، يرتبط الفولكلور أيضاً بالتقاليد الحية النابضة بالحياة والتعبير الإبداعي اليوم. يعطي الفولكلور مجموعة واسعة من المواضيع، بما في ذلك المسائل المتعلقة بالأخبار التي يتداولها الناس في حياتهم اليومية، الأساطير، ميم الإنترنت والموسيقى العالمية والظواهر الخارقة التي تحدث أو هي من صنع مخيلة الناس. التراث الشعبي ينشط في جميع المجالات وفي جميع المجتمعات. وعلى الرغم من أنه يربط الناس بماضيهم، إلا أنه جزء أساسي من الحياة في الوقت الحاضر، قد يشمل التراث الشعبي العادات والمعتقدات والقصص والرقصات والأغاني التقليدية. قد تتضمن أشياء لا تدعمها أدلة (نظريات المؤامرة)، ولكنه يشمل أيضاً التعبيرات الثقافية الحقيقية والتي تشارك فيها المجتمعات.⁷

يمكن العثور عليه في العمل (النكات حول المسؤولين أو الموظفين) مثلاً، أو في البيت، أو على الإنترنت كالميمات التي نتصفحها أو ما نجده في الصفحات التي تظهر في مواقع التواصل الاجتماعي. قد تعتبر الميمات والصور المتحركة والتغريدات المتداولة عبر الشكايات الاجتماعية شكلاً من أشكال استهلاك المعلومات وتفسيرها أو جزء من إدارة العلاقات الشخصية عبر شبكة الويب. في بعض الأحيان تعتبر هذه التعبيرات ربما تافهة أو غير مفهومة للبعض، إلا أنها قد تثبت أنها ذات قيمة ثقافية وتاريخية للأجيال القادمة. ويمكن اعتبارها أنماطاً للمعلومات المنقولة من شخص لآخر والتي تشكل عقليات وسلوكيات مجموعة اجتماعية معينة. فقد كانت تعرف تقليدياً بالتراث سريع الزوال، أو الوثائق التي تم إنشاؤها حول حدث أو مقال ذي أهمية حالية مع عدم وجود نية لتجاوز موضوع رسالتها.⁸

ترتبط قيمة تراث (Memes) أيضًا بتعبيرات الثقافة الشعبية الرقمية أو الفولكلور لذلك يجب إنشاء طرقًا لجمعها وأرشفتها ووصفها وتحليلها. لكن سرعة وانتشار الشبكات قد يكون عبئًا لتأدية مثل هذه المهام، ويشكل تحديًا للمؤسسات الموكلة إليها الحفاظ على ثقافتنا الشعبية الجديدة. إن كلمة "التراث الشعبي" ليست مجرد تسمية لألبوم غنائي أو لرقصة، بل هي بُعد ضخم وعميق للثقافة.

لذا أصبح يشكل التراث الشعبي في العصر الرقمي مجموعة معقدة ومربكة في بعض الأحيان من المواد التعبيرية. ومع ذلك، يبدو أننا دخلنا حقبة من الثقافة الشعبية الرقمية سريعة الزوال، حيث توجد بعض أنواع الفولكلور والأشكال التقليدية للمواد التعبيرية التي تولدها (على سبيل المثال، الأغاني والقصص والألغاز والفكاهة المرئية والسردية، إلخ). تكاثرت هذه الأشكال ولكن في كثير من الأحيان لا تؤسس دائمًا مكانة دقيقة ودائمة داخل تراث الشعوب. من المؤكد أن جزءًا كبيرًا من الفولكلور الحديث العربي منه على وجه الخصوص، والذي تكون بواسطة التكنولوجيا يتبع الشكل والوظيفة الفولكلورية، ويحمل أدلة لا لبس فيها على التكرار والاختلاف، لكن هذا الفولكلور يختفي أو يتبدد بشكل كبير بعد فترات قصيرة من التداول، مثل ما حدث قديمًا فقد كان للعرب تراث في الغناء كبير ولكنه غير معروف لأن العرب لسوء الحظ لم يعرفوا تدوين النوتة الموسيقية، ولكن نستدل عليه من أسماء فحول المغنيين والموسيقيين الذين عاشت أسماؤهم في كتب العرب كإسحاق الموصلي ودنانير وزرياب.⁹

3. ممارسات التراث الشعبي على الويب:

مع مرور الوقت تغيرت الممارسات المجتمعية في الانترنت، فقد استحوذ الأفراد على الإنترنت شيئًا فشيئًا، وأصبحوا يبتكرون مقاربات جديدة ويعيدون تعريف الحدود وطرق التدخل في هذا الفضاء. وظهرت بشكل جلي الابتكارات التي تم جمعتها تحت مصطلح (Web 2.0) والتي تسلط الضوء على مشاركة المستخدم وأهمية الشبكات الاجتماعية، فقد تغيرت سلوكيات مستعملي الإنترنت فمن الحالة البسيطة كخزان المعلومات ليصبح جزءًا فاعلًا في المجتمعات؛ فيه تتم "التبادلات واللقاءات، وإنشاء الروابط ما إلى ذلك. بالإضافة إلى وجود الويب محتوى وفيرًا -نصوصًا ووسائط متعددة- لا يمكننا العثور عليه في أي مكان آخر، تمامًا كما نجد ممارسات فردية لا يمكننا تجاهلها عندما نتساءل عن كيفية تتبع التطورات التي تعرفها مجتمعاتنا اليوم.

قد يتجاهل بعض المهتمين بالفولكلور ما ينشأ منه على شبكة الإنترنت وذلك يعود بالأساس للطبيعة المؤقتة للفولكلور على الإنترنت فهذا الاستنتاج سيكون ساذجاً. فعلى العكس من ذلك، يمكن التسليم بأن الثقافة الشعبية الرقمية سريعة الزوال تؤكد كيف يبني الأفراد ذخيرة معبرة، ويراكمون المعرفة ويتقنون الأشكال الفولكلورية، ويشاركون بشكل هادف في الخطاب العامي كجزء من عملية شعبية؛ هدفها التحليل السريع من خلال هجمة المعلومات الجماعية. علاوة على ذلك، فإن النصوص التعبيرية التي تظهر -ولو باختصار- هي أرشيفات حية للحظة بارزة في النقل الفولكلوري. في الواقع، فإن التدفق المستمر والمتغير للثقافة الشعبية الرقمية سريعة الزوال يجعل مثل هذا المسعى شبه مستحيل. بدلاً من ذلك، يجب على الفلكلوريين أن يهتموا بتوثيق الأنماط الرئيسية الناشئة، والسلوكيات الرمزية للفولكلور المهجن الذي يتجلى عبر الإنترنت وفي التواصل وجهاً لوجه، ويجب أن يسعوا إلى شرح تأثير وسائل الإعلام والثقافة الشعبية في تفاعل تعبيرى.

لتوضيح ذلك، يجب أن نضع في الاعتبار، أن الشخص الذي يستخدم هاتفًا ذكيًا أو بعض تقنيات الوسائط الجديدة الأخرى للوصول إلى معلومات حول حدث إخباري حديث. يمكن لهذا الفرد أن يتفاعل (أو لا يتفاعل) بشكل متبادل للوصول إلى تلك المعلومات من خلال استخدام الوسيط عبر الإنترنت بطرق متنوعة (على سبيل المثال، النشر على وسائل التواصل الاجتماعي، وإرسال البريد الإلكتروني إلى الزملاء، وأفراد العائلة عبر الرسائل النصية، وما إلى ذلك)، أو يمكنهم نقل معرفة الأخبار وردود الأفعال (على سبيل المثال، شرح أو تفسير ما حدث بالفعل للآخرين، ومشاركة كيف / متى واجهوا الأخبار لأول مرة، وما إلى ذلك) يمكن هنا الاعتراف بأن تقنيات الوسائط الجديدة - الوسائط التشاركية - واستخدامها قد تم إدخالها بشكل لا رجعة فيه في كيفية تعامل الأفراد مع السعي وراء المعرفة ومشاركتها في العصر الرقمي، خاصة في مواجهة الأحداث الإخبارية الهامة. لكن الملاحظ في هذا الإطار أنه لم يوجد اهتمام بهذا النوع من الإنتاج المعرفي أي أن القائمين على المواقع يهتمون فقط بما تقوم به الشخصية التي أثرت في سلوكيات المجتمع مثلاً حدث إعلامي أثار ضجة كاغتيال الأستاذ أحمد كرومي بجامعة وهران/الجزائر 2011، قامت الدنيا ولم تقعد، واسال هذا الحدث الكثير من الخبر خاصة في الانترنت وفي وسائل التواصل الاجتماعي، لكن في الأيام القليلة الماضية حين كنا نحرر هذا المقال عدنا ومحتنا عن الموضوع، لم نجد إلا القليل من الصفحات التي حفظت هذا الحدث وما أثاره من تعليقات.

هذا ما هو إلا غيض من فيض، فالأحداث والقصص كثيرة التي لم يحفظ منها الويب الا القليل. في بعض الأحيان يقوم القارئون على المواقع بحساب المتابعين وكذلك يرصد تعليقاتهم فيكون هذا الاهتمام وليد اللحظة سواء لأغراض تجارية أو لأغراض سياسية وبعد ذلك يقومون بانتقاء ما يمكن حفظه ويتمشى وأهدافهم التجارية أو السياسة.

4. حفظ التراث الشعبي على الإنترنت

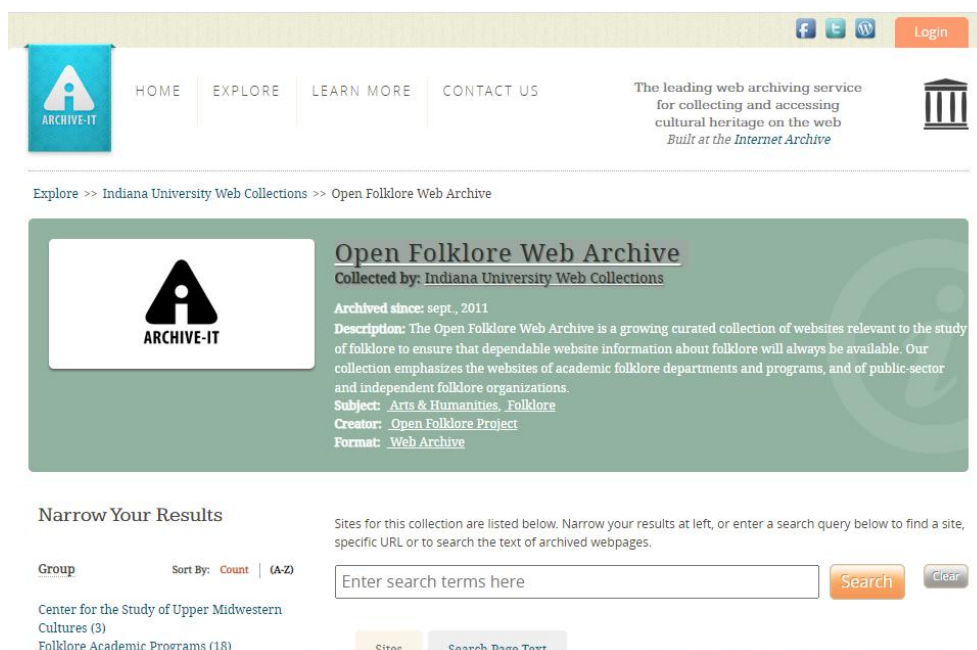
قبل الخوض في حفظ التراث يجب التنويه بأن الاهتمام بالفولكلور قد تدعم بواسطة الانترنت فقد ظهر اهتمام الهيئات الرسمية والجمعيات الثقافية وغيرها بجمع التراث والفولكلور في جميع دول العالم، فنجد أن مركز عمان للموسيقى التقليدية يختص بجمع الموسيقى التقليدية العمانية وتوثيقها والمحافظة عليها ويقوم بمتابعة الفنون الموسيقية ميدانيا للتعرف على أصولها وجذورها وتطورها من خلال الدراسات والبحوث ، ويعمل على نشر الدراسات والبحوث وإصدار المطبوعات المتعلقة بأعمال المركز ويسعى إلى نشر الوعي الموسيقي في مجال الغناء والرقص التقليدي، بالإضافة إلى إعداد كوادرات عمانية موسيقية تكون مهينة للإشتراك في الأعمال الموسيقية ذات الصلة بالمركز والإذاعة والتلفزيون¹⁰

كذلك بوابة التراث الثقافي الجزائري في المرحلة الراهنة هي قيد البناء، لا نجد فيها سوى معلمة المؤلف القسنطيني ومعلمة الصنعة العاصمية. أما معلمة مدرسة تلمسان فإنها قيد الإثراء.¹¹

مؤسسة الحفاظ على التراث العربي المصور مقرها بيروت مهمتها هي جمع وحفظ وتحليل أعمال فوتوغرافية من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. أرشيفها يحوي أكثر من 75,000 صورة يرجع تاريخها إلى 1860م وما زال معاصراً. من صور مجهولة المصدر للحياة الفلسطينية في العشرينيات والأربعينيات من القرن العشرين، وحتى صور أخرى تجريبية لمصورين استوديو أرمن-مصريين. تفخر المؤسسة بهذه المجموعة وأهميتها التاريخية. فإن تمّ دمج فحوى هذه الصور، فهي تشكّل روح الشارع العربي في القرن العشرين¹² وهناك العديد من المراكز عبر العالم التي تهتم بحفظ التراث الشعبي.

من الضروري أن ندرك أنه التفاعل الإنساني حالياً محصورٌ بدرجة كبيرة على الفضاء السيبراني ومرتبطة بالشاشات والأدوات التكنولوجية، في حين أن البيئة الثقافية تخضع لإعادة المعايير بوتيرة سريعة، فإن الأنواع التقليدية والديناميكيات التعبيرية التي أرخ لها علماء الفولكلور منذ فترة طويلة تستمر في الازدهار في المواد التعبيرية المهجنة. من خلال النظر إلى الصورة الأكبر في الخطاب العامي بدلاً من

التفاصيل الدقيقة فقط، باختصار، لا ينبع التحدي المتمثل في دراسة الفولكلور والإنترنت اليوم من المشهد العابر ولكن من ضرورة الاعتراف بالطرق التي تؤدي بها الاتصالات التي تتم بوساطة تكنولوجياً إلى تعقيد الممارسات اليومية ودمجها وغرسها عبر الأماكن الافتراضية والمادية. من خلال احتساب المخزون الثقافي، والتأثير وسائل الإعلام والثقافة الشعبية على الذخيرة التعبيرية، وبالتالي يمكننا أن نبدأ في فهم الديناميكيات المعقدة للتفاعل البشري التي تظهر على الإنترنت¹³. يبدو أن المؤسسات والمهنيين المكلفين بحماية الذاكرة الجماعية اليوم لديهم وعي بضرورة الحفاظ على هذه المواد لمنع ما يسمى بـ "العصر الرقمي المظلم" الذي أشار إليه عدد من المؤرخين. منذ أواخر التسعينيات، كان العديد من المحترفين على دراية بالمشكلات التي قد يفرضها مثل هذا التعتيم الرقمي على الأجيال القادمة. كان أحد هؤلاء brewster kahle، مؤسس Internet Archive، وهي مبادرة تهدف إلى الحفاظ على مواقع الويب المتقلبة التي تم إنشاؤها منذ ظهور الويب العالمي في منتصف التسعينيات. أصبح هذا الأرشيف مستودعاً رقمياً للوسائط المؤقتة، فنجد خدمة أرشفة الويب الرائدة لجمع التراث الثقافي على الويب والوصول إليه في بوابة المؤقتة (Open Folklore Web Archive) التي تم جمعها بواسطة مجموعات الويب بجامعة إنديانا ومؤرشفة من سبتمبر 2011، وهي عبارة عن مجموعة متنامية من المواقع ذات الصلة بدراسة الفولكلور لضمان توفر معلومات موثوقة على الويب، وتختص هذه المجموعة بجمع المواقع الإلكترونية لأقسام وبرامج الفولكلور الأكاديمي ومؤسسات القطاع العام ومؤسسات الفولكلور المستقلة¹⁴. واسطة: مجموعات الويب بجامعة إنديانا



الشكل رقم 01: لقطة من Open Folklore Web Archive الخاص بجامعة إنديانا

(الولايات المتحدة الأمريكية)

هناك بعض المؤسسات التي تعمل ليس فقط على حفظ التراث الثقافي على الويب، وإنما تسعى للوصول إليه بدون قيود مثلاً يتكون اتحاد الموارد الفنية في نيويورك (NYARC) من ثلاثة متاحف فنية رائدة في مدينة نيويورك: متحف بروكلين، ومجموعة فريك، ومتحف الفن الحديث. يقوم برنامج موارد الويب الخاص بـ (NYARC) بأرشفة وحفظ وتوفير وصول عام عبر الإنترنت إلى مجموعات منسقة من مواقع الويب في المناطق التي تتوافق مع نطاق ونقاط القوة للمجموعات المطبوعة في كل مكتبة بحثية، بالإضافة إلى مواقع الويب الخاصة بمشروع (NYARC) والمواقع الإلكترونية المؤسسية الخاصة بالمتاحف الثلاثة. إن هدف برنامج أرشفة الويب في (NYARC) هو إنشاء نسخ أرشيفية من مواقع الويب، وتوثيق قدر الإمكان مظهر ووظيفة كل موقع في وقت معين. (NYARC) يقوم بنسخ مواقع الويب باستخدام برامج زحف الويب وأدوات الحفاظ المقدمة من خلال Internet Archive's Wayback Machine و Arcade، و الفهرس عبر الانترنت لمؤسسات (NYARC)

يركز برنامج أرشفة الويب على أرشفة المواد التالية عبر الإنترنت:

- مواقع الويب المفهرسة بالفعل في فهرس (NYARC) المشترك، أو Arcade، أو تلك المرشحة للفهرسة وتفي بإرشادات تطوير المجموعات الخاصة بها
 - فهارس المزداد على شبكة الإنترنت
 - مواقع الفنانين المعاصرين
 - الفهارس الرقمية
 - المواقع الإلكترونية للمعارض الموجودة في مدينة نيويورك
 - مواقع المتاحف الخاصة بأعضاء (NYARC) وغيرها من الأصول الرقمية المستندة إلى الويب
- يحترم اتحاد (NYARC) New York Art Resources Consortium حقوق الملكية الفكرية وحقوق الملكية للآخرين. تظل ملكية حقوق الطبع والنشر مع المالك (المالك) المحدد على موقع الويب وتحكمه اللوائح المحلية والوطنية والدولية. لا تتحمل (NYARC) مسؤولية دقة أو قانونية الموقع المؤرشف أو المحتويات الموجودة فيه. يتم جمع هذه المواد لضمان الوصول طويل الأجل لأغراض البحث والدراسة الخاصة. عند استخدام محتوى من مجموعات أرشيف الويب، يشجع المستخدمون على مراجعة شروط استخدام موقع الويب المؤرشف أولاً. كما يتم الاعتماد على مدى التغييرات وأهميتها التي تطرأ على كل موقع بمرور الوقت، المواقع التي تتغير بشكل متكرر يمكن أرشفتها في كثير من الأحيان. قد يختلف تكرار الأرشفة أيضاً باختلاف أنواع مواقع الويب وخلال دورة حياة موقع الويب الفردي. قد تظهر بعض المواقع في غضون عدة أسابيع أما المواقع المعقدة تقنياً قد تستغرق وقتاً أطول، بشكل عام حيث قد تكون هناك صعوبات في الالتقاط، ويجب على (NYARC) التحقق من كل موقع مؤرشف لضمان الجودة قبل إتاحتها. يتم إتاحة محتوى مواقع الويب المؤرشفة الخاصة بـ (NYARC) للجمهور، دون قيود. يمكن للجمهور الوصول إلى المجموعات عبر الإنترنت عبر آلة Wayback الخاصة بأرشيف الإنترنت، ومن خلال البحث عن سجلات مواقع الويب داخل Arcade، وفهارس المكتبة عبر الإنترنت لمؤسسات (NYARC).¹⁵

مثل هذه المبادرات تستحق التشجيع لأنها تخدم البحث العلمي وتعرف المجتمعات بتاريخها في الفضاء الافتراضي، وبأهمية التراث الرقمي وما يخلفه من تأثيرات على المجتمعات. وقد حدد (Howard Besser) خمس قضايا تقنية فيما يتعلق بالحفظ الرقمي:

1. المشكلة الرئيسية هي تركيب وصيانة البنية التحتية والخبرة اللازمة لجعل الأشياء الرقمية قابلة للقراءة.

2. برنامج فك التشفير لضغط أو حماية صفحات الويب.
3. الحفاظ على السياق الذي يجعل المعلومات ذات مغزى، مثل روابط النص التشعبي.
4. تحديد معايير الممارسة الجيدة وسياسات الاقتناء التي تحدد حدود المجموعة ومصدرها وأصالتها.
5. مشكلات الترحيل حول كيفية تغيير تجربة صفحات الويب عند نقلها إلى أجهزة جديدة¹⁶.

صفوة القول هو ان التراث الرقمي وما يخلفه من تأثيرات على شبكات التواصل الاجتماعي وغيرها من المواقع، إذا ما تم جمعه وتنظيمه فسيصبح سجلاً مميزاً وفريداً وسوف يمثل مصدر لا نظير له من المعرفة لأجيال المستقبل. وتأسيساً على ما ورد، يجب التدخل المبكر لحمايته والحفاظ عليه على المدى الطويل.

5. خلاصة:

لا يوجد نظام آخر يهتم بربطنا بالتراث الثقافي من الماضي أكثر من التراث الشعبي؛ لا يوجد نظام آخر يهتم بالكشف عن العلاقات المتبادلة بين أشكال التعبير الثقافي المختلفة أكثر من الفولكلور؛ وليس هناك مجال آخر يهتم أكثر، أو لا ينبغي أن يهتم أي تخصص آخر باكتشاف ما يعنيه أن تكون إنساناً. إن هذه المحاولة لاكتشاف أساس إنسانيتنا المشتركة، وضرورات وجودنا البشري، هي التي تضع دراسة الفولكلور في صميم الدراسات الإنسانية. وبالتالي عملية حفظ التراث الشعبي تعتبر حتمية لا مفر منها. مع الحفاظ على الوثائق الرقمية في المقام الأول، من الضروري أيضاً التأكيد على أهمية الوصول إليها، مما يثير أسئلة أخرى، اقتصادية وسياسية.

يتعلق الأمر أيضاً بالحفاظ على الوصول إلى المعلومات من أجل تلبية متطلبات متعددة: ضمان نقل المعلومات إلى الأجيال القادمة؛ إنشاء منتجات إعلامية جديدة وفقاً لقوانين الملكية الفكرية؛ السماح بالتدفق الحر للمعلومات؛ ضمان الوصول إلى المعلومات يكون مختلفاً عن الشركات التجارية.

من الأمور الواجب أخذها بعين الاعتبار في هذا السياق هو ضرورة تبني إستراتيجية عربية لدعم التراث الرقمي، ويجب أن تتضمن هذه الإستراتيجية آلية للتنفيذ وخطط للإنجاز، كما يجب أن نضع نصب أعيننا بأن التراث الشعبي الرقمي كغيره من مصادر المعلومات يجب أن يحظى بمكان في السياسات الوطنية للمعلومات. كذلك تعزيز الاهتمام برقمنة التراث الشعبي الرقمي واعتباره جزءاً من المكون الحضاري للمجتمعات العربية والاهتمام بنشره إلكترونياً لتعزيز اتصال الحضارة العربية بالحضارات الإنسانية الأخرى. الاهتمام بإنشاء مواقع عربية تشتغل على توثيق وأرشفة التراث الشعبي هو مطلب شرعي، مثله مثل صناعة محتوى معلومات عربي يضم كل خصوصيات التراث الشعبي قوي قادر على المنافسة العالمية، انطلاقاً من الميزة المتمثلة في وحدة اللغة في العالم العربي.

في الأخير قد تكون عملية تحديد التراث الشعبي المراد حفظه عملية صعبة ومستحيلة في بعض الأحيان من الناحية الاقتصادية والتقنية. لكن يجب على القائمين فرز ما هو أصيل وخصب ولا يتعارض مع الثقافة القومية والثقافة الإنسانية.

الهوامش

¹ فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، القاهرة: دار الشروق 1991، ص.6.

² Planetoscope, Informations publiées dans le monde sur le net (en Gigaoctets), [En ligne]. [Consulté le 25 février 2021]. Disponible sur: <https://www.planetoscope.com/Internet-/1523-informations-publiees-dans-le-monde-sur-le-net-en-gigaoctets-.html>

³ IBID.

⁴ شبكة النبا المعلوماتية، الثقافة الرقمية في ظل أزمة الفيروس التاجي، 2020. [متاح على الخط]. [تم الإطلاع يوم: 15

فيفري 2021]. على الرابط التالي: <https://annabaa.org/arabic/informatics/22838>

⁵ APS, Covid19-activités culturelles : Internet à la rescousse du monde de la culture, 2020. [En ligne]. [Consulté le 3 mars 2021]. Disponible sur: <https://www.aps.dz/culture/114888-suspension-des-activites-culturelles-pour-cause-d-epidemie-internet-a-la-rescousse-du-monde-de-la-culture>

⁶ François Reynaert, Peut-on rire des toux ? Publié le 11 mars 2020 à 18h24 Mis à jour le 12 mars 2020 à 11h16. [En ligne]. [Consulté le 3 mars 2021]. Disponible sur:

<https://www.nouvelobs.com/coronavirus-de-wuhan/20200311.OBS25922/peut-on-rire-des-toux.html>

⁷ The American Folklore Society, What is Folklore ? [Online]. [Retrieved February 23 2021]. From: <https://whatisfolklore.org/>

⁸ Fátima García López, Sara Martínez Cardama, Strategies for preserving memes as artefacts of digital culture, Journal of Librarianship and Information Science SAGE, Publications Ltd, 2020. [Online]. [Retrieved March 8 2021]. From: <https://e-archivo.uc3m.es/handle/10016/31580#preview>

⁹ لويس عوض، ثقافتنا في مفترق الطرق، القاهرة، دار الآداب، 1983، ص.70.

¹⁰ مركز عمان للموسيقى التقليدية -وزارة الإعلام. متاح على الرابط التالي: <https://www.omaninfo.om>

¹¹ بوابة التراث الثقافي الجزائري، متاح على الرابط التالي:

<http://www.patrimoineculturel.algerien.com/bibliotheque.php?id>

¹² أنطوان كافر، مؤسسة الحفاظ على التراث العربي المصور (FAI)، 2003. [متاح على الخط]. [تم الإطلاع يوم:

02 فيفري 2021]. على الرابط التالي:

<https://universes.art/ar/nafas/articles/2003/fondation-arabe-pour-limage>

¹³ Trevor J. Blank, Folklore and the Internet: The Challenge of an Ephemeral Landscape1, Humanities, vol. 7, n°50. 2018. [Online]. [Retrieved January 25, 2021]. From: www.mdpi.com/journal/humanities

¹⁴ Indiana University Web Collections, Open Folklore Web Archive. [Online]. [Retrieved February 15, 2021]. From: <https://archive-it.org/collections/2843>

¹⁵ NYARC. [Retrieved February 15, 2021]. From <https://nyarc.org/faq/web-archiving>

¹⁶ Howard Besser, Digital longevity, Chapter in Maxine Sitts (ed.) Handbook for Digital Projects: A Management Tool for Preservation and Access, Andover MA: Northeast Document Conservation Center, 2000, pages 155-166. [Online]. [Retrieved February 27, 2021]. From: <http://besser.tsoa.nyu.edu/howard/Papers/sfs-longevity.html>

قائمة المراجع والمصادر

- المراجع بالعربية

1. أنتونيا كارفر، مؤسسة الحفاظ على التراث العربي المصور (FAI)، 2003. [متاح على الخط]. [تم الإطلاع يوم: 02 فيفري 2021]. على الرابط التالي:
<https://universes.art/ar/nafas/articles/2003/fondation-arabe-pour-limage>
2. بوابة التراث الثقافي الجزائري، متاح على الرابط التالي:
3. <http://www.patrimoineculturel.algerien.com/bibliotheque.php?id>
4. شبكة النبا المعلوماتية، الثقافة الرقمية في ظل أزمة الفيروس التاجي، 2020. [متاح على الخط]. [تم الإطلاع يوم: 15 فيفري 2021]. على الرابط التالي:
<https://annabaa.org/arabic/informatics/22838>
5. فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، القاهرة: دار الشروق 1991، ص.6.
6. لويس عوض، ثقافتنا في مفترق الطرق، القاهرة، دار الآداب، 1983، ص.70.
7. مركز عمان للموسيقى التقليدية -وزارة الإعلام. متاح على الرابط التالي:
<https://www.omaninfo.om>

- المراجع بالإنجليزية

8. APS, Covid19-activités culturelles : Internet à la rescousse du monde de la culture, 2020. [En ligne]. [Consulté le 3 mars 2021]. Disponible sur:
<https://www.aps.dz/culture/114888-suspension-des-activites-culturelles-pour-cause-d-epidemie-internet-a-la-rescousse-du-monde-de-la-culture>
9. Fátima García López, Sara Martínez Cardama, Strategies for preserving memes as artefacts of digital culture, Journal of Librarianship and Information Science SAGE, Publications Ltd, 2020. [Online]. [Retrieved March 8 2021]. From:
<https://e-archivo.uc3m.es/handle/10016/31580#preview>
10. Indiana University Web Collections, Open Folklore Web Archive. [Online]. [Retrieved February 15, 2021]. From: <https://archive-it.org/collections/2843>

11. Howard Besser, Digital longevity, Chapter in Maxine Sitts (ed.) Handbook for Digital Projects: A Management Tool for Preservation and Access, Andover MA: Northeast Document Conservation Center, 2000, pages 155-166. [Online]. [Retrieved February 27, 2021]. From: <http://besser.tsoa.nyu.edu/howard/Papers/sfs-longevity.html>
12. NYARC. [Retrieved February 15, 2021]. From <https://nyarc.org/faq/web-archiving>
13. The American Folklore Society, What is Folklore ? [Online]. [Retrieved February 23 2021]. From: <https://whatisfolklore.org/>
14. Trevor J. Blank, Folklore and the Internet: The Challenge of an Ephemeral Landscape1, Humanities, vol. 7, n°50. 2018. [Online]. [Retrieved January 25, 2021]. From: www.mdpi.com/journal/humanities

- المراجع بالفرنسية

15. François Reynaert, Peut-on rire des toux ? Publié le 11 mars 2020 à 18h24 Mis à jour le 12 mars 2020 à 11h16. [En ligne]. [Consulté le 3 mars 2021]. Disponible sur: <https://www.nouvelobs.com/coronavirus-de-wuhan/20200311.OBS25922/peut-on-rire-des-toux.html>
16. Planetoscope, Informations publiées dans le monde sur le net (en Gigaoctets), [En ligne]. [Consulté le 25 février 2021]. Disponible sur: <https://www.planetoscope.com/Internet-/1523-informations-publiees-dans-le-monde-sur-le-net-en-gigaoctets-.html>

دور الأنشطة الجماعية في تحقيق التفاعل الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية اثناء حصة التربية البدنية و الرياضية

ط.د بربوش طارق، طالب دكتوراه، جامعة بسكرة -الجزائر-

tarek.berbouche@gmail.com

الملخص:

تناولت الدراسة الحالية مشكلة دور الأنشطة الجماعية في تحقيق التفاعل الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية اثناء حصة التربية البدنية و الرياضية، والتي تهدف الى مدى اهمية ممارسة الانشطة الجماعية ككرة القدم وكرة اليد وكرة السلة لدى تلاميذ المرحلة الثانوية في تحقيق ابعاد التفاعل الاجتماعي والمتمثلة في التعاون والاتصال والتنافس، اذ قمنا ببناء فرضيات مفادها ان الانشطة الجماعية في حصة التربية البدنية تؤثر بالإيجاب على رفع التفاعل الاجتماعي بين التلاميذ وقد تبنت الدراسة المنهج الوصفي والذي يعتبر أكثر مناهج البحث استخداما و خاصة في مجال البحوث التربوية و النفسية و الاجتماعية و الرياضية حيث يهتم بجمع أوصاف دقيقة و علمية للظاهرة المدروسة وذلك لدى عينة قوامها 130 تلميذ

الكلمات المفتاحية : الانشطة الجماعية، التفاعل الاجتماعي، تلاميذ المرحلة الثانوية، حصة التربية البدنية.

The role of groupe activities in accomplishing the social interaction to secondary school students during sport session.

Dctr Berbouche Tarek: university Mohammed

Khaidr Biskra- Algeria.

tarek.berbouche@gmail.com

abstract:

Recent studies have examined the issues of the role of group activities in achieving social interaction among secondary school students, during physical and sports education session; which aims at showing to what extent the participation in group activities is important to those students such as football, handball and basketball in achieving many different dimensions of the social interaction such as cooperation, communication and competition. Thus we started to set some hypotheses which indicate that the group work during a physical and sports education class has a positive impact on enhancing the social interaction between students. Mainly The study adopts the descriptive approach, which is considered as the most used research method in many different fields especially the educational, psychological, social and sports ones. It is mainly interested in collecting and gathering very accurate and scientific descriptions of the studied phenomenon, which will be nearly done on 130 students.

Key words: collective activities, Social interaction, Students of secondary school, Sport session.

المقدمة

لا نحافى الصواب اذا قلنا ان للتربية البدنية والرياضية مكانة هامة في المنظومة التربوية ،لا يمكن الاستغناء عنها في حياة التلميذ ، خاصة وانه يمر بمرحلة هامة في حياته وهي مرحلة المراهقة ،وما تضمنه من تغيرات التي تطرأ على المراهق ،لذى وجب تربية وتنمية وصقل كل مركباته البدنية ،النفسية الفكرية ،والاجتماعية المؤسسة له ،لذا كان لزاما على الوزارة الوصية العناية الكاملة بها ،وإدراجها كمادة تعليمية في جميع مراحل التعليم حتى تأخذ مكانتها وتلعب دورها المنوط بها .

وبما ان حصة التربية البدنية والرياضية كغيرها من المواد الاخرى ،فهي تقوم على منهاج تربوي والذي من خلاله يتم صياغة الكفاءات المستهدفة ،سواء في المرحلة المتوسطة او الثانوية ،حيث تتضمن بدورها أنشطة فردية كما الجماعية ،هته الاخيرة التي تعتبر الفضاء الحقيقي الذي يتفاعل فيه التلاميذ مع بعضهم ،ومن هنا فان التربية البدنية والرياضية لها علاقة مباشرة مع ما يسمى بالتفاعل الاجتماعي ،الذي يتجلى في المظاهر والتفاعلات التي تحدث بين التلاميذ اثناء الحصة وخاصة عند ممارسة الأنشطة الجماعية والتي تشمل الالعب الجماعية اثناء الحصة ككرة القدم والكرة الطائرة وكرة اليد وغيرها .

ان الهدف الاساسي من تحقيق التفاعل الاجتماعي داخل حصة التربية البدنية والرياضية من خلال الأنشطة الجماعية ،هو تحسين مهارات الاتصال لدى التلاميذ وزيادة التعاون والتفاعل مما يترتب عنه النجاح في مختلف جوانب الحياة ،كما ان التربية البدنية والرياضية جزء من التربية العامة التي تسعى الى تكوين الفرد ليصبح شخصا صالحا وفعالا في المجتمع .

وبما ان الفرد عبارة عن وحدة متناسقة ،يمر بعدة مراحل في نموه توجد مرحلة هامة وحرحة حيث سماها العلماء النفسانيون بمرحلة المراهقة، هذه المرحلة الطبيعية التي يمر بها كل فرد ،كونها تتوسط مرحلة الطفولة والشباب فهي المرحلة التي تحدث فيها عدة تغيرات فيزيولوجية وتغيرات شخصية بشكل سريع والتي تؤثر على النواحي الاجتماعية والانفعالية ،فالمراهقة هي مرحلة يكتمل فيها النمو الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي .

1/ الاشكالية

يعتبر التفاعل الاجتماعي من اهم اشكال التعاون والاتصال والتنافس وهو ادراك الدور الاجتماعي وسلوك الفرد في ضوء المعايير الاجتماعية التي تحدد دوره الاجتماعي وادوار الآخرين ،وهو يظم عدة مراحل عمرية من بينها المراهقة التي يتعرض فيها الفرد الى مشاكل نفسية قد تتطور الى تغيرات واضطرابات

،التي قد تنعكس على سلوكياته النفسية والاجتماعية ،فالجانب الاجتماعي يعد ركيزة اساسية في اعداد الناشئ وبناء العلاقات بين الافراد حيث يمكن زيادة وتطوير علاقات الاخوة والاحترام والتعاون وكيفية اتخاذ القرارات ،وتعتبر حصة التربية البدنية والرياضية بقواعدها السليمة ميدانا من ميادين التربية العامة وعامل من عوامل اعداد الفرد بدنيا وتربويا واجتماعيا يستطيع من خلالها معرفة كيفية مواجهة الصعوبات والتعامل معها .

ولعل التلاميذ في المرحلة الثانوية بحاجة كبيرة الى العلاقات الاجتماعية التي تحقق لهم رغباتهم التي قد يعجزون عن بلوغها بمفردهم وفي نفس الوقت تتحقق احتياجاتهم ،وهذا ما قد يتجلى بشكل او بآخر اثناء حصة التربية البدنية والرياضية وخاصة في الانشطة الجماعية التي تحقق الاتصال والاحتكاك المباشر للتلاميذ بزملائهم .

وبعد عرضنا لهذه المتغيرات والتي تحوي في طياتها على العلاقة الموجودة بينها ، ارتأينا طرح التساؤل العام الآتي :

• هل للأنشطة الجماعية دور في تحقيق التفاعل الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية

اثناء حصة التربية البدنية والرياضية ؟

والذي تنبثق منه تساؤلات فرعية مفادها:

1 .هل للأنشطة الجماعية دور في تنمية روح التعاون لدى تلاميذ المرحلة الثانوية اثناء حصة التربية البدنية والرياضية ؟

2 . هل للأنشطة الجماعية دور في تحسين الاتصال بين تلاميذ المرحلة الثانوية اثناء حصة التربية البدنية والرياضية؟

3 .هل تساهم الأنشطة الجماعية في زيادة التنافس بين تلاميذ المرحلة الثانوية اثناء حصة التربية البدنية والرياضية؟

وقد كانت الفرضية العامة للدراسة كما يلي :

- للأنشطة الجماعية دور في تحقيق التفاعل الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية اثناء حصة التربية البدنية والرياضية ؟

والتي تندرج تحتها فرضيات جزئية هي كالآتي:

- 1) للأنشطة الجماعية دور في تنمية روح التعاون لدى تلاميذ المرحلة الثانوية أثناء حصص التربية البدنية والرياضية ؟
 - 2) للأنشطة الجماعية دور في تحسين الاتصال بين تلاميذ المرحلة الثانوية أثناء حصص التربية البدنية والرياضية ؟
 - 3) تساهم الأنشطة الجماعية في زيادة التنافس بين تلاميذ المرحلة الثانوية أثناء حصص التربية البدنية والرياضية ؟
2. أهداف الدراسة:

ان الهدف الاساسي والجوهري وراء هذه الدراسة هو ابراز دور الانشطة الجماعية في بناء وتحقيق عملية التفاعل الاجتماعي أثناء حصص التربية البدنية والرياضية لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، ويمكن ابراز هذه الاهداف كما يلي :

- 1) بيان اهمية ممارسة الانشطة الجماعية لدى تلاميذ المرحلة الثانوية.
- 2) التعرف على مدى الاستفادة من الانشطة الجماعية في حياة المراهق وكيفية الاستفادة منها في حياته اليومية داخل المؤسسة او خارجها
- 3) معرفة الدور الذي تلعبه حصص التربية البدنية في تنمية العلاقات الاجتماعية من خلال الانشطة الاجتماعية .
- 4) معرفة سلوك التلميذ من خلال ممارسة الانشطة الجماعية أثناء حصص التربية البدنية والرياضية.

3. اهمية الدراسة

- ابراز اهمية الانشطة الجماعية ودورها في التفاعل الاجتماعي لدى التلاميذ.
- تسليط الضوء على مدى تأثير الانشطة الجماعية في الجانب الاجتماعي للتلميذ.
- اعطاء صورة عن اهمية التربية البدنية والرياضية بالنسبة للتلميذ المراهق

4. مفاهيم الدراسة

1.4.1. الأنشطة الجماعية :

الانشطة الجماعية هي تلك الألعاب التي تخضع للقوانين الدولية ولها نظم وقواعد ثابتة متفق عليها دوليا، وتحتاج هذه الألعاب لصلوات لعب ذات مقاييس موحدة وتمارس بأدوات لها قياسات وأوزان ثابتة، تنظم

دورات رياضية على المستوى العالمي والدولي ، ويظهر فيه التنافس قائما بين الدول، واهتمام كل دولة بتكوين فرقها القومية التي تمثلها في الألعاب، ولكل لعبة من هذه الألعاب المراجع العلمية الخاصة بها والتي يمكن الاستعانة بها عند دراسة كل منها.⁽¹⁾

2.4. التفاعل الاجتماعي: التفاعل هو ادراك الدور الاجتماعي وسلوك الفرد في ضوء المعايير الاجتماعية التي تحدد دوره الاجتماعي وادوار الآخرين.

والتفاعل الاجتماعي بصورة عامة هو العملية التي يرتبط فيها اعضاء الجماعة بعضهم مع البعض عمليا وواقعا وفي الحاجات والرغبات والوسائل والغايات والمعارف وهو يحدث عندما يتصل فرد او اكثر ويحدث نتيجة لذلك تعديل للسلوك.

3.4. المراهقة: المراهقة: ينتقل الطفل من مرحلة الطفولة الى مرحلة الرشد عبر فترة المراهقة وتستغرق هذه الفترة حوالي ثمان سنوات من عمر الانسان (11 سنة الى 18) ويحدث خلال هذه الفترة تغيرات نمائية لا تقتصر وقائعها على الجانب الجسمي بل تمتد هذه التغيرات ويتسع نطاقها بحيث تتناول الجوانب النفسية و الاجتماعية .

4.4. التربية العامة : تعتبر التربية العامة وسيلة للمحافظة على بقاء واستمرارية المجتمع وثبات نظمته ومعايير الاجتماعية، فالتربية تهدف الى اعداد وتشكيل الفرد للقيام بدوره الاجتماعي في المكان والزمان على اساس ما هو متوقع منه في هذا المجتمع ، وعملية التربية تختلف من مجتمع لآخر فدور التلميذ يختلف من مجتمع لآخر كما يختلف من مرحلة تعليمية لأخرى ، وتتضح هذه الصورة في نظرة ابن خلدون للتربية على انها عملية تنشئة يكتسب الفرد من خلالها القيم والاتجاهات والعادات السائدة في مجتمعه الى جانب المعلومات والمهارات المعرفية (2).

5.4. التربية البدنية والرياضية: التربية البدنية والرياضية هي مظهر من مظاهر التربية العامة تعمل على تحقيق اغراضها عن طريق النشاط البدني المختار الذي يستخدم بهدف تهذيب سلوك الفرد وجعله اكثر هادفة من خلال الانشطة المنتظمة حتى يبلغ الفرد النمو المتكامل والمتزن والشامل من النواحي النفسية والبدنية والاجتماعية ، حتى يتمكن من التكيف مع مجتمعه .

6.4. حصة التربية البدنية والرياضية : تعتبر حصة التربية البدنية والرياضية وسيلة من الوسائل التربوية لتحقيق الاهداف المسطرة لتكوين الفرد بحيث ان الحركات البدنية التي يقوم بها الفرد في حياته على مستوى تعليم بسيط في اطار منظم ومهيكل تعمل على تنمية وتحسين وتطوير البدن ومكوناته من جميع

الجوانب العقلية والنفسية والاجتماعية، الخلقية والصحية وهذا ضمن تكوين الفرد وتطويره وانسجامة في مجتمعه ووطنه.

5. حدود الدراسة

★ المجال المكاني: شملت دراستنا الميدانية تلاميذ ثانوية اعمر ادريس بالقنطرة .

★ المجال الزمني: كان القيام بهذه الدراسة بداية من شهر نوفمبر إلى أوائل شهر افريل بالنسبة للجانب النظري أما بالنسبة للجانب التطبيقي فكانت دراسته قرابة شهر ماي من سنة 2015.

6. الدراسات السابقة:

❖ الدراسة الاولى:

ومن المواضيع التي لها علاقة بدراستنا هذه ، دراسة "يحيى بن العربي" (2012-2013) تحت عنوان " ممارسة الالعاب الجماعية ودورها على التفاعل الاجتماعي عند لاعبي البطولة الولائية لولاية الجلفة"، والتي قدمت لنيل شهادة الدكتوراه في نظرية ومنهجية التربية البدنية والرياضية، تخصص العلوم الاجتماعية والرياضية ، تهدف الى معرفة دور الالعاب الجماعية في التأثير على التفاعل الاجتماعي لدى لاعبي البطولة الولائية لولاية الجلفة . وتمثلت فرضياتها في :
ان هناك فرق دال احصائي بين الذكور والإناث في التفاعل الاجتماعي في الالعاب الجماعية ,
يوجد فرق دال احصائي بين لاعبي كرة اليد ولاعبي الكرة الطائرة
وتمثلت اهداف هذه الدراسة في ان للرياضة دور في بناء شخصية الفرد ، وتعديل سلوكه مما يتناسب مع مجتمعه وجعله عنصرا فعالا بالإيجاب , من خلال الانشطة الجماعية .
ولقد اعتمد الطالب في بحثه هذا على المنهج الوصفي ، والدراسة المسحية ، وتمثل المجال المكاني في ملاعب وميادين ولاية الجلفة أما المجال الزمني فكان خلال السنة 2012/2013 .
ولقد شملت الدراسة عينة عشوائية تمثلت في 201 لاعبا.
اما الاداة المستخدمة فلقد اعتمد الباحث على مقياس المناخ النفسي للفريق الرياضي الذي صممه محمد حسن علاوي ، والذي يشير الى مدى تماسك الفريق وتفاعل لاعبيه .

❖ الدراسة الثانية:

هي دراسة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية من طرف الطلبة: فاروق ملق، عماد الدين باهي، عبد الباسط مسعودي. للسنة الدراسية 2011/2012. وتتمحور موضوعها حول "دور الألعاب الجماعية في بناء الجماعة في المرحلة الثانوية"، والتي كانت تهدف دراستها الى حل الاشكالية التي مفادها "هل للألعاب الجماعية دور في توطيد العلاقات الاجتماعية داخل الجماعة الرياضية؟" وفي ما يخص الهدف منها هو معرفة دور التربية البدنية والرياضية في التنشئة الاجتماعية من خلال الانشطة الجماعية اثناء الحصة، وكذا الكشف عن دور الانشطة الجماعية في بناء الجماعة بين التلاميذ. وتمثلت فرضياتها في :

في ان لحصة التربية البدنية والرياضية دور في بناء التنشئة الاجتماعية في الوسط المدرسي. ولقد اعتمد الطالب في بحثه هذا على المنهج الوصفي، والدراسة المسحية. ولقد شملت عينة البحث 150 تلميذا من كل ثانوية، اما الاداة المستخدمة فلقد اعتمد الباحث على الاستبيان معتمدا في ذلك على الاسئلة المغلقة والمفتوحة. المجال المكاني والزمني:

شملت الدراسة خمسة ثانويات، في الفترة الزمنية من جانفي الى ماي 2012

النتائج:

اهم ما توصل اليه الطلبة في بحثهم هو ان للألعاب الجماعية دور في التفاعل الاجتماعي، كما لها دور في التنشئة الاجتماعية وكذا ابراز الفرد او التلميذ لذاته من خلال توزيع الادوار داخل الجماعة

❖ الدراسة الثالثة:

دراسة للطالب "ولد عيسى كمال"، تحت عنوان "دور النشاط البدني والرياضي في التفاعل الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية"، مقدمة لنيل الدكتوراه في نظرية ومنهجية التربية البدنية والرياضية، للسنة الدراسية 2013/2014.

وتهدف هذه الدراسة الى معرفة ان كانت التربية البدنية والرياضية لها دور في زيادة حجم التفاعل الاجتماعي لدى المراهق وتكون مجتمع البحث من 631 تلميذ تم اختيار 124 منهم بطريقة عشوائية، حيث مثلت العينة 19.65% من المجتمع.

اما الادوات المستخدمة لهذه الدراسة هي الدراسة النظرية والاستبيان والتي وزعت على افراد العينة ولقد توصل الباحث الى ان النشاط البدني له دور كبير في زيادة التفاعل الاجتماعي بين تلاميذ المرحلة الثانوية ، سواء كان ذلك داخل او خارج حصة التربية البدنية والرياضية ، واهم اقتراح هو اعطاء الاهمية للألعاب الجماعية كما يجب على الاستاذ ان يحسن علاقته مع التلاميذ بغية تكامل العلاقات الاجتماعية .

7. الاطار النظري للدراسة

1.7. مفهوم واهمية الانشطة الجماعية :الانشطة الجماعية تعتبر نشاط جماعيا كبقية النشاطات في المجتمع يشترك فيه عادة أكثر من شخص واحد في جو تنافسي وتعاوني لتحقيق هدف جماعي مشترك ، و يمثل هذا النشاط اجتماعي و ثقافي و كذلك ترفيهي، وهي وسيلة تربوية مهمة تساهم في تطوير القدرات النفسية و الجسمية و الاجتماعية ، عند الفرد ، و يتوقف نجاحها على إتقان المهارات الخاصة بها و طرق تنظيمها. (3)

1.1.7. اما اهمية الانشطة الجماعية فتتمثل في ما يلي :

- ✓ تعمل الألعاب الجماعية على تحسين وتطوير الصفات البدنية واكتساب الأطفال الاتجاهات وعادات نفسية اجتماعية مفيدة يمكن أن نلخصها في النقاط التالية :
- ✓ تساعد على تقوية عضلات الذراعين والرجلين، فهي تعتمد على تنمية المجموعة العضلية للكتفين والذراعين واليدين والأصابع خلال رمي الكرة وصددها، كما تساعد على تنمية عضلات الرجلين عن طريق الجري والوثب والانزلاق.
- ✓ تعمل على تقوية عضلات الظهر والبطن نتيجة تقوس وإلى درجة السقوط من أجل الوصول إلى الكرات البعيدة لمسكها أو تمريرها ثم الوقوف السريع لمتابعة اللعب.
- ✓ تحسين الرشاقة بشكل ملحوظ نتيجة تغير خط سير الكرة من اتجاه إلى آخر ما يستلزم تغير سريع في اتجاه الفرد.
- ✓ تساعد الفرد على السرعة الانتقالية وسرعة الحركة وسرعة رد الفعل نتيجة التتابع السريع لجري المسافات القصيرة والسرعة في أداء التمرير والوثب أو الدوران وسرعة الاستجابة للحركات المفاجئة في اللعب من توقف وسقوط والدحرجة والوقوف.

- ✓ كلما قل عدد اللاعبين في اللعبة كلما زاد الحمل عليهم نتيجة العمل المكلفين به، كما أن الفترات القصيرة من الراحة الطبيعية أثناء اللعب تساعد على الاستشفاء والعودة للحالة الطبيعية للطفل أو المراهق، وتعتبر وسيلة فعالة لتنشيط الدورة الدموية.
- ✓ تحسن التوافق العضلي بين العين واليد والقدم نتيجة الحركات التي تتم بسرعة تحت ضغط اللاعبين المتنافسين والتي تتطلب تكييفاً سريعاً مناسباً للأداء على ضوء المواقف المفاجئة المتغيرة.
- ✓ العادات النفسية والاجتماعية حيث أن الأطفال يكونون أثناء اللعب في أعلى درجات الانفعال فإن ذلك عادة ما يجعلهم أكثر وضوحاً وانفتاحاً ومن دون خجل أو تراجع وعلى المعلم أن يتعرف على الخصائص المميزة لكل طفل واتخاذ الأساليب والإجراءات التربوية لتوجيههم على العادات النفسية والاجتماعية السليمة لأنه لا يمكن لطفل أن يكتسبها عفويًا وإنما يجب أن يربي ذلك أثناء اللعب.

- ✓ احترام النظام والتفاهم من خلال استيعاب قواعد اللعب وتنفيذها بدقة.
- ✓ ضبط النفس عند محاولة صدور خطأ من لاعب منافس باتجاه اللاعب وصدور قرارات خاطئة من القائد أو المعلم أو الحكم.
- ✓ التفكير لصالح الجماعة في إطار كونهم فريق واحد متكاملًا طبقًا لقواعد العمل الجماعي والبعد عن الأنانية و الاتجاهات الفردية. (4)

2.1.7. أهداف الأنشطة الجماعية:

يجب على المدرب أو المربي أو الاختصاصي أن يقترح أهدافاً أساسية هامة من أجل تطوير الصفات الخاصة في الأنشطة الجماعية، وتتمثل هذه الأهداف فيما يلي:

- فهم واستيعاب مختلف حالات الرياضات الجماعية والتكيف معها.
- الوعي بالعناصر والمكونات الأساسية للرياضات الجماعية.
- التنظيم الجماعي مثل الهجوم أو الدفاع ومختلف أنواع مراحل اللعب في هذه الرياضات.
- تحسين الوضع والمهارات الجماعية في مستوى اللعب.
- إعطاء رؤية واضحة ولو مصغرة عن عناصر اللعب التكتيكي واستيعاب الأوضاع المختلفة.
- إدماج وإدراك العلاقات الدفاعية اللازمة التي تصلح للاستيعاب الجيد ثم التنفيذ. (5)

2.7. التفاعل الاجتماعي

وهو العملية التي بمقتضاها تتيح الجماعة للأفراد الذين يتصل بعضهم ببعض الآخر ان يؤثر كل منهم على الآخرين ويتأثر بهم في الافكار والأنشطة على السواء. ويعرف محمد خير التفاعل الاجتماعي بأنه عملية تنشأ من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الافراد الجماعات ويؤثر التفاعل الاجتماعي بصورة تبدو واضحة في تبادل الافكار والمشاعر والتصرفات. (6)

1.2.7. مبادئ التفاعل الاجتماعي:

- 1- الأدوار الاجتماعية: الانسان يستطيع النظر لنفسه من خلال الدور الذي يمكن أن يلعبه في المجتمع.
- 2- الاتصال: اي الاحتكاك بالآخرين مما يؤثر تأثيرا كبيرا في حل المشكلات واتخاذ القرارات ومن خلالها تنشأ النظم الاجتماعية وانتشار الثقافة.
- 3- التوقع: له اثر كمي في عملية التفاعل يقوم بأداء معين يضع في اعتباره توقعات عدة لاستجابات الآخرين.
- 4- الإدراك الاجتماعي: يكمن كل تفاعل اجتماعي ناجح أو فاشل وراء كل مهارة اجتماعية يستخدمها الناس في علاقاتهم.

2.2.7. أهمية التفاعل الاجتماعي:

ان التفاعل الاجتماعي يؤدي الى تعديل او تغيير او تكوين او الغاء الاتجاهات والميول والاهتمامات والقيم والآراء والعقائد والمعتقدات وسمات الشخصية ووجهات النظر والفلسفات والمرئيات، ونظريات للحياة ، مجرد استعداد لمقابلة شخص ما يثير الانتباه. اذا كنت تقف وحدك في طريق وفجأة وجدت شخصا اخر يقترب منك هذا الشخص يغير من محتوى المجال الذي توجه فيه ويغير الموقف.

وعلى الفور نأخذ في التفكير عما اذا كان هذا القادم شخصا تعرفه او لا تعرفه وإذا كان شخصا تعرفه كيف تشعر نحوه وإذا كان هذا الشخص غريبا عنك وإذا كان هناك اتصال بصري بينك وبينه فانك تأخذ في التفكير في امكانية فتح محادثة او حوار معه من العدم ومن ثم الى المزيد من التداخل حتى الكائنات الاخرى تشعر بوجود بعضها البعض، وخاصة في حالات

السيطرة على الموقف، و في سبيل السعي لإقامة اتصال مع شخص آخر، وعلى ذلك تبدو عملية التفاعل بأنها عملية الاتصال الانساني. (7)

3.2.7. أساليب قياس التفاعل الاجتماعي:

لدراسة التفاعل الاجتماعي كما يأخذ مجراه في الحياة اليومية للأفراد استخدام الباحثون تكتيكيات مختلفة لجمع البيانات ابرزها (التقارير الذاتية والملاحظة السلوكية والتسجيل الذاتي للتفاعلات اليومية).

1- أسلوب التقارير الذاتية : يعتمد على استبيانات تقيس تقديرات الافراد الذاتية وتقومه لتفاعلاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية.

2- أسلوب الملاحظة السلوكية يعتمد على ملاحظة التفاعلات الاجتماعية للأفراد في مكان وزمان محددين.

3- أسلوب التسجيل الذاتي للتفاعلات اليومية : الذي هو عبارة عن تسجيل مباشر للتفاعلات الاجتماعية التي يمارسها الافراد يوميا.

ان المفاضلة بين هذه التكتيكات ونوعها يتحدد من البيانات التي يرغب الباحث في جمعها وبقدرة هذه التكتيكات على توفير البيانات المطلوبة ن فالتقارير الذاتية تعتمد الدرجة الاولى على استبيانات تقيس تقديرات الافراد الذاتية لجوانب تفاعلاتهم الاجتماعية اليومية، وعند استخدام هذا التكنيك يتطلب من الفرد ان يجمع ويلخص ويقيم الاحداث والعلاقات الاجتماعية التي يعيشها عبر فترات زمنية مختلفة وأشخاص مختلفين والبيانات التي تم جمعها لا تمثل بالتالي صورة موضوعية لحياة الفرد الاجتماعية وإنما تمثل انطباعاته وتقييماته ما بين ان ذاكرة الافراد والأشخاص والأحداث تتعرض لعملية تحريف وتسرب واضحة عند مقارنة التفاعلات التي يجدونها موضوعيا بالتفاعلات المتذكّرة او تطغى التفاعلات ذات الشحنة الانفعالية البارزة على غيرها في التذكير والتقييم اما الملاحظة السلوكية فتقوم على الملاحظة الموضوعية للتفاعلات الاجتماعية للأفراد في أمكنة وأزمنة محددة.

وهذا التكنيك يوفي بيانات موضوعية وان تكون محدودة حول التفاعل الاجتماعي وليست بيانات لا تعطي سوى الصورة الخارجية لظاهرة التفاعل الاجتماعي وليست الصورة الداخلية التي تمثل الخبرة الشخصية للأفراد المتفاعلين.

اما التكنيك الثالث وهو تكنيك التسجيل الشخصي اليومي للتفاعلات الاجتماعية فإنه يلاقي الكثير من عيوب التكتيكات الاخرى ويساعد على الوصول الى صورة التفاعل الاجتماعي اليومي بمظهره الكمي والنوعي فمن حيث ان يتطلب تسجيلا مباشرا لما يجري في الحياة اليومية فإنه يجد من تأثير التحيزات المعرفية التي تتأثر بها مقاييسي التقدير الذاتي ذات الاسئلة العامة ومن حيث انه يترك المجال لقياس الخبرة الذاتية بما تنطوي عليه من مشاعر وتعليمات فإنه يتلافى نقيضه الملاحظة السلوكية التي لا يتم بها سوى وصف السلوك الظاهري القابل للملاحظة. (8).

8. دوافع ممارسة الأنشطة الرياضية لدى المراهق:

تتميز الدوافع بالطابع المركب نظرا لتعدد أنواع الأنشطة الرياضية ومجالاتها , والتي تحفز المراهق بالممارسة وأهميتها ذلك بالنسبة للفرد الرياضي أو بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه فلكل فرد دافع يحثه للقيام بعمل ما ولقد حدد الباحث "رويدك" أهم الدوافع المرتبطة بالأنشطة الرياضية وقسمها إلى قسمين :

1.8. دوافع مباشرة:

- الإحساس بالرضى والإشباع بعد نهاية النشاط العضلي نتيجة الحركة .
- المتعة الجماعية بسبب رشاقة وجمال ومهارة الحركات الذاتية للفرد.
- الاشتراك في التجمعات والمنافسات الرياضية.

2.8. دوافع غير مباشرة:

- محاولة اكتساب الصحة والياقة البدنية عن طريق ممارسة الرياضية
- الإحساس بضرورة الدفاع عن النفس , انقباض الوزن الزائد
- الوعي بالشعور الاجتماعي إذ يرى المراهق وجوب المشاركة في الأندية والسعي للانتماء للجماعة والتمثيل الرياضي
- تحقيق النمو العقلي والنفسي.(9)

9. دور الرياضة في مرحلة المراهقة :

الإنسان عبارة عن وحدة متكاملة عقلا وجسما , وجدانا, فلا يستطيع القيام بتجربة حركية لوحدها بل لابد من عملية التفكير والتنسيق بين ذلك من الفعال والتصرف إزاء هذا الموقف أصبحت الرياضة تهدف للتنمية لدى الناشئ تنمية كاملة من الناحية الصحية جسما وعقلا ومن الناحية الاجتماعية والنهوض به إلى المستوى الذي يصبح به فعالا في مجتمعه ومحيطه ووطنه لذا استهدفت تلك المراحل التي يمر بها الفرد في فترة النمو وقسمت، بحيث وضعت برامج للاعتماد عليها كي يتحقق الهدف من ورائها ضمن أغراضها العامة والتي ندرجها كما يلي:

- تنمية الكفاءة البدنية
- تنمية القدرة الحركية
- تنمية الكفاءة العقلية
- تنمية العلاقات الاجتماعية.

1.9. تنمية الكفاءة البدنية:

المقصود بها الجسم السليم من الناحية الفسيولوجية أي سلامة الجهاز الدوراني التنفسي وكذا الجهاز العصبي والعظام والمفاصل خالبا من التشوهات الجسمية أو الأمراض الوراثية المكتسبة بالإضافة للنظام الغذائي المتوازن والنظافة الجسمية بما يناسبه من تدريبات للمرحلة السنوية لتقوية العضلات والمفاصل وتنمية القدرة الوظيفية للأجهزة .

2.9. تنمية الكفاءة الحركية:

تؤثر خاصة في الناحية البدنية التي تؤهل الجسم لتأدية جميع الحركات بكفاءة منقطعة النضير وأثرها ما اكتسبه الجسم من خفة ورشاقة ومرونة وقوة التحمل وسلامة آلية التنفس وغيرها من عناصر اللياقة البدنية وقدرات الدراسة كيفية التنمية للقدرة الحركية برنامج خاص أيضا "العمر -الجنس"

3.9. تنمية الكفاءة العقلية:

سلامة البدن لها تأثير أكبر على الخلايا الجسمية وتحتديها المتواصل مما يجعل الأعضاء بدورها بشكل سليم فالقدرة على استيعاب المعلومات ونمو القوى العقلية والتفكير العميق ليأتي بصورة مرضية الا أن كان الجسم سليما تماما حيث إن الجسم هو الوسط للتعبير عن العقل والإرادة وان مجال الألعاب المختلفة الممارسة المهارات وطريقة اللعب والخطط المتبعة فيها تتطلب قدرا من التفكير وتشغيل العقل

4.9. تنمية العلاقات الاجتماعية:

أغراضها تربوية تتصف بأهداف يمكن للفرد اكتسابها عن طريق الألعاب المختلفة حيث يكتسب منها عادات وصفات خلقية حميدة " كالصبر، قوت التحمل، الاعتماد على النفس، الطاعة، النظام، احترام الطرف الآخر، تقبل الهزيمة، انكار الانانية، المثابرة، الشجاعة، الحذر من الغير، الثقة بالنفس، التعاون مع الفريق، وحدة العمل، المسؤولية، الترابط الأسري، اتخاذ المواقف المهمة..." وغيرها من الصفات التي تعدل من سلوك الفرد وتقوم شخصيته وتهذيبها هذا الشيء البسيط فقط من ممارسة النشاط الرياضي(10)

10. المنهج المستخدم:

نظرا لأهمية البحث الذي تناولناه في دراستنا وذلك من أجل إبراز دور الأنشطة الجماعية في تحقيق التفاعل الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية خلال حصص التربية البدنية والرياضية، اقتضى الأمر استخدام المنهج الوصفي توضيحا لمفاهيم ومتغيرات وإعطاء النتائج المتحصل عليها من خلال الاستبيان . ويعرف المنهج الوصفي على أنه " كل استقصاء ينص على ظاهرة من الظواهر كما في الوقت الحاضر بقصد تشخيصها، كشف جوانبها، وتحديد العلاقة بين عناصرها، ويتم هذا عن طريق جمع البيانات وتنظيمها وتحليلها و ثم الاستنتاج .
أهم أدوات المنهج الوصفي (الملاحظة، المقابلة، والاستبيان).

11. أدوات الدراسة:

من أجل المادة العلمية المتعلقة بالجزء التطبيقي لدراسة الجانب الميداني ثم الاعتماد على مجموعة من الأدوات تمثلت أساسا في:

1.11. الاستبيان:

وهو أداة من أدوات الحصول على الحقائق والبيانات والمعلومات فتم جمع هذه البيانات عن طريق الاستبيان من خلال وضع استمارة الأسئلة و من بين وسائل هذه الطريقة أنها اقتصاد في الجهة والوقت كما أنها تساهم الحصول على عينات من البيانات في أقل وقت بتوفير شروط التقنين من صدق وثبات وموضوعية.(11).

❖ الوسائل الإحصائية :

- الوسط الحسابي.
- انحراف المعيار.

- معامل ارتباط بيرسون.

- النسبة المئوية. النسب المئوية = التكرار $\times 100$ / مجموع افراد العينة

• وبناء على هذا قمنا بإعداد استمارة أسئلة مشكلة ثلاث محاور جاءت كالتالي:

المحور الاول: يحتوي على 10 عبارات منها المفتوحة والمغلقة، تنصب ضمن الفرضية الاولى في دور الأنشطة الجماعية في تنمية روح التعاون لدى تلاميذ المرحلة الثانوية.

المحور الثاني: اشتمل على 9 عبارات ضمن تحقيق الفرضية الثانية في دور الأنشطة الجماعية في تحسين التواصل بين تلاميذ المرحلة الثانوية.

المحور الثالث: يحتوي على 10 عبارات منها المغلقة والمفتوحة، تمحورت حول تحقيق الفرضية الثالثة القائلة بدور الأنشطة الجماعية في زيادة التنافس بين تلاميذ المرحلة الثانوية.

12. الشروط العلمية للأداة:

• الصدق:

من أجل تحقيق شروط صدق الاستبيان قمنا باستخدام طريقة وذلك عندما عرضت فقراته على مجموعة من خبراء طرائق التدريس وكذلك المشرفين على الاختصاص ، والتي تعتبر أحسن طريقة للبرهنة على صدق الاستبيان والمتمثلين في مجموعة من الطلبة وقد تم عرض الاستبيان عليهم و الإجابة بكل صدق فاعلية.

• الثبات:

ان ثبات الاختبار يعني دقة المقياس في الملاحظة وعدم تناقضه مع نفسه ، واتساقه فيما يزودنا به من معلومات عن الفرد .

وقد تم استخدام معامل ثبات (بيرسون) و(سيرمن براون)، اذ بلغ معامل الثبات (0.85) وهو معامل ثبات عال يمكن الاعتماد عليه لثبات الاختبار.

قمنا بتوزيع الاستبيان على طلبة السنة الاولى والثانية والثالثة من ثانوية عمر ادريس بالقنطرة ونحن حريصين على أن تكون الإجابة مقنعة كافية ومصدقية.

• الموضوعية:

بعد توزيع استمارة الاستبيان على العينة ، ارتأينا أن النتائج مسندة إلى مصداقية إجابات الطلبة على الاستمارة و عليه حصرنا على إقناع الجميع بموضوعية ومصداقية استمارة الاستبيان لأن آراءهم توصلنا إلى نتائج دقيقة في بحثنا.

13. مجتمع البحث:

هو الجزء الذي نسقط عليه الدراسة ويمثل في دراستنا هذه تلاميذ السنة الاولى والثانية والثالثة من ثانوية عمر ادريس بالقنطرة، ولاية بسكرة .

14. عينة البحث:

والتي تعرف بأنها مجتمع الدراسة التي تجمع منه البيانات الميدانية، وهي تعتبر جزء مهم من الكل، بمعنى ان تؤخذ مجموعة صغير من افراد المجتمع على ان تكون ممثلة له لتجرى عليها الدراسة . ولقد تم اختيار العينة لهذه الدراسة بطريقة عشوائية حيث شملت ثلاث اقسام من عمر ادريس بالقنطرة، ولاية بسكرة، بمجموع 130 تلميذ، حيث وزعت عليهم الاستمارات .

15. عرض وتحليل نتائج الدراسة:

من خلال دراستنا لموضوع "دور الأنشطة الجماعية في تحقيق التفاعل الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية اثناء حصة التربية البدنية والرياضية " والتي قمنا من خلالها بإجراء دراسة ميدانية في ثانوية ادريس-عمر بالقنطرة شملت المستويات الثلاث في المؤسسة (السنة الاولى، والسنة الثانية، والسنة الثالثة)، وبعد قراءة الجداول والتحليل الاحصائي الذي تحصلنا عليه في الاخير استطعنا ان نصل الى هاته المعطيات :

- بالنسبة للفرضية الاولى القائلة "بان للأنشطة الجماعية دور في تنمية روح التعاون لدى تلاميذ المرحلة الثانوية اثناء حصة التربية البدنية والرياضية " نجد انها تحققت وهذا ما يظهر جليا من خلال اجابات التلاميذ، التي تثبت ان اغلبية التلاميذ يقرون بان يسعون الى الرفع من روح التعاون اثناء الحصة في الأنشطة الجماعية، فعلى سبيل المثال، في السؤال رقم (3) والذي تمحور حول " هل تقوم بالتعاون مع زملائك اثناء المنافسة لتحقيق اهدافكم المستطرة ؟ . نجد ان نسبة 75.38% من التلاميذ اجابوا بنعم اي ان جلهم يعمل على الرفع من التعاون مع زملاءه اثناء الحصة خاصة في الالعاب الجماعية لان اغلبية التلاميذ يفضلون الأنشطة الجماعية

وهذا ما يثبتته لنا السؤال الاول عن اي الانشطة يفضل التلاميذ، الفردية منها ام الجماعية، فوجدنا ان نسبة 84% من التلاميذ يفضلون الانشطة الجماعية ويسعون الى الرفع من التعاون خلالها لتحقيق الاهداف وهذا ما يتبين من خلال الاجابة على السؤال رقم (4) القائل "هل تشعر ان عدم التعاون مع زملاء حقد وأنانية ؟ فنجد ان نسبة 90.76% من التلاميذ اجابوا ب (نعم) اي اعتبروا ان عدم التعاون مع الزملاء يعتبر حقدا و أنانية. كما نجد ايضا في السؤال رقم(8) القائل " هل تعتقد ان الفوز في المباريات اساسه التعاون والعمل الجماعي ام اساسه الفدييات ؟ ان نسبة 94.61% من التلاميذ اجابوا ب (نعم) اي ان الفوز في المباريات اساسه التعاون والعمل الجماعي وليس العمل الفردي ورغم اننا وجدنا في السؤال السادس الذي تمحور حول " ما هو رد فعلك اثناء وقوع الخطأ من زميلك او منافسك؟"، فقد كانت نسبة . 58.46% من التلاميذ اجابوا ب (نعم) اي انهم يردون بالمثل اثناء وقوع الخطأ سواء كان من زميله او من منافسه، وهذا ربما يسير عكس الفرضية المطلوبة والذي يبرز الى حد ما العناد الموجود لدى بعض التلاميذ وهذا ربما شيء طبيعي لان المراهق يتصف هكذا صفات، وهذا لا يؤثر على جانب التعاون في الانشطة الجماعية اثناء حصة التربية البدنية والرياضية لان الفرق ليس بكبي بين من يقول نعم للرد بالمثل وبين من يقول لا. وعند مقارنة وتحليل جميع الاجابات يتضح لنا ان الفرضية القائلة "بان للأنشطة الجماعية دور في تحقيق التفاعل الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية اثناء حصة التربية البدنية والرياضية " قد تحققت .

- وبالنسبة للفرضية الثانية والتي تمحورت حول "للأنشطة الجماعية دور في تحسين الاتصال بين تلاميذ المرحلة الثانوية اثناء حصة التربية البدنية والرياضية "قد تحققت من خلال النتائج المتحصل عليها، فمثلا في السؤال الاول " هل يساعدك اللعب مع الجماعة في الاندماج مع الآخرين ؟ " ، نجد ان نسبة 79.23% من التلاميذ يقررون بان اللعب مع الجماعة يساعدهم في الاندماج مع الآخرين، وهذا يدل على الدور الكبير الذي تلعبه الانشطة الجماعية في الرفع من الاتصال والاحتكاك بين التلاميذ.

وفي السؤال الثاني " هل تحب الحوارات المستمرة وتبادل الافكار مع الزملاء أثناء ممارسة الانشطة الجماعية؟

نجد ان نسبة 74.61% من التلاميذ يجيبون الحوارات المستمرة مع الزملاء بالإضافة الى تبادل الافكار أثناء الحصة، وكما يتأكد لنا ايضا من خلال اجابة التلاميذ على السؤال رقم (7) القائل " هل تساعدك الانشطة الجماعية على التواصل مع زملائك خارج المؤسسة ؟. فقد مثل التلاميذ الذين اجابوا بنعم نسبة 95.38% وهذا يدل على الدور الكبير الذي تلعبه الانشطة الجماعية في تحسين التواصل داخل المؤسسة وخارجها.

وفي الاخير وبعد عرض النتائج وتحليلها نجد ان الفرضية القائلة بأن للأنشطة الجماعية دور في تحسين التواصل بين تلاميذ المرحلة الثانوية أثناء حصة التربية البدنية والرياضية " قد تحققت .

● اما بالنسبة للفرضية الثالثة التي تمحورت حول " للأنشطة الجماعية دور في زيادة التنافس بين تلاميذ المرحلة الثانوية أثناء حصة التربية البدنية والرياضية " قد تحققت من خلال النتائج المتحصل عليها من خلال اجوبة التلاميذ .

فعلى سبيل المثال في السؤال الثاني " هل تحس ان مجهودك يزداد في الانشطة الجماعية بسبب التنافس ؟ نجد ان نسبة 86.92% من التلاميذ اجابوا ب (نعم) اي ان مجهودهم يزداد في الانشطة الجماعية بسبب التنافس، وهذا يثبت ان الانشطة الجماعية تزيد من تنافس التلاميذ أثناء الحصة، وفي السؤال الخامس " هل تتجنب تحدي من هم اقوى منك ؟

نجد نسبة 58.46% من التلاميذ ادوا استعدادهم لمواجهة المنافس القوي وهذا دليل على صحة الفرضية بان الانشطة الجماعية ترفع من مستوى التنافس بين التلاميذ ، وفي السؤال (9) والقائل " هل لديك الحماس لخوض منافسة قبل بدء حصة التربية البدنية والرياضية ؟. نجد ان نسبة 92.30% من التلاميذ لديهم حماس مسبق لخوض المنافسة قبل بدء الحصة، وهذا لا يدل سوى على ان الانشطة الجماعية تزيد من مستوى التنافس لدى التلاميذ، وهي نسبة كبيرة.

وفي السؤال لرقم (7) " هل ينخفض مستوى ادائك أثناء المنافسة في الانشطة الجماعية ؟ " يتضح من خلال اجابات التلاميذ ان نسبة 80% من التلاميذ اجابوا ب (لا) اي يقرون بعدم انخفاض مستواهم أثناء المنافسة في الانشطة الجماعية، في حين ان نسبة 20% من التلاميذ اجابوا ب (نعم) اي يعانون

من انخفاض مستواهم أثناء المنافسة في الأنشطة الجماعية ،وهي نسبة قليلة مقارنة بزملائهم ،وهذا يدل على زيادة التنافس في الأنشطة الجماعية .، وفي الأخير ومن خلال عرضنا وتحليلنا للنتائج المحصل عليها والتي تحققت من خلالها الفرضيات الجزئية للبحث ،نستنتج ان الفرضية العامة للبحث قد تحققت والقائلة بان للأنشطة الجماعية دور في تحقيق التفاعل الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية أثناء حصص التربية البدنية والرياضية ،قد تحققت .

الخاتمة

ومن خلال كل النتائج المتوصل اليها ،لا يمكننا ان ننكر ما لمادة التربية البدنية والرياضية من دور في تكوين الفرد وتحسينه من خلال جعله يثبت ذاته سواء كان ذلك داخل المؤسسة او خارجها ،وكذا دورها في الرفع من التفاعل الاجتماعي الذي كان موضوع بحثنا ،وهذا ما اثبتته الدراسة ،فمادة التربية البدنية والرياضية رغم النقص والتهميش الذي تعاني منه خاصة في بلدنا الجزائر اذ انها لا تشغل سوى حيزا صغيرا في حياة التلميذ داخل المؤسسة ،الا انها المادة المفضلة لجل التلاميذ بدون منازع فهي تحقق لهم ما لا تستطيع المواد الاخرى تحقيقه .

ولعل الموضوع الذي تناولته في هذا البحث لأكبر دليل على الدور الكامل الذي تلعبه مادة التربية البدنية والرياضية وخاصة من خلال الأنشطة الجماعية التي يمتد تأثيرها الى خارج اسوار المؤسسة من خلال التواصل بين التلاميذ والتفاعل الايجابي وإقامة علاقات جديدة مع الآخرين.

كما لا يمكننا ان ننكر نظرة بعض التلاميذ انفسهم الى مادة التربية البدنية والرياضية ،اذ ومن خلال الدراسة الميدانية اتضح لنا ان بعض التلاميذ لا يرون في حصص التربية البدنية والرياضية سوى انها حصص لملا الفراغ واللعب بل هناك من يراها مادة زائدة ،وهذا ربما راجع الى نقص فاعليتها حقيقة في واقعنا والذي ينتج عن نقص الاهتمام بها وعدم توفير الوسائل الكافية بالإضافة الى موقعها من التوقيت الاسبوعي للتلميذ ،الا ان هذا لا يمنع من تطويرها وجعلها اكثر فاعلية في المستقبل .

قائمة الهوامش:

- 1) زحاف محمد: العلاقات الاجتماعية لتلاميذ الطور الثالث من خلال الرياضات الجماعية و انعكاساتها على السمات الانفعالية. رسالة ماجستير. كلية العلوم الاجتماعية، قسم التربية البدنية و الرياضية. دالي إبراهيم . جامعة الجزائر. 2001. ص 22، 23.
- 2) بوفلحة غياث: " التربية ومتطلباتها"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984. ص 13.
- 3) زحاف محمد: العلاقات الاجتماعية لتلاميذ الطور الثالث من خلال الرياضات الجماعية و انعكاساتها على السمات الانفعالية. رسالة ماجستير. كلية العلوم الاجتماعية، قسم التربية البدنية و الرياضية. دالي إبراهيم . جامعة الجزائر. 2001. ص 22-23.
- 4) منهاج التربية البدنية : منشور لوزارة التربية الوطنية . الجزائر . 1984 . 6-7.
- 5) منهاج التربية البدنية : منشور لوزارة التربية الوطنية . الجزائر . 1984 . ص 29.
- 6) جابر نصر الدين - لو كيا الهاشمي : مفاهيم اساسية في علم النفس الاجتماعي، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ربيع عبد القادر وآخرون : دور الرياضات الجماعية في التهذيب من السلوكيات العدوانية لدى المراهقين. . معهد التربية البدنية والرياضية . مذكرة ليسانس . جامعة مستغانم . 2008. ص 55.
- 7) العيسوي، عبد الرحمن محمد. علم النفس الاجتماعي. مصر 2006. ص 42، 43.
- 8) سامية لطفي الانصاري : الصحة النفسية وعلم النفس الاجتماعي، الطبعة الاولى، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، مصر، 2009. ص 63.
- 9) Etleill.R.Thomas: Manuel de l'éducation sport. Evigot.paris.1993. p227.
- 10) زعيتر بهاء الدين ، وآخرون : دور رياضة كرة القدم في تنمية جانب الاجتماعي لدى المراهقين . مذكرة ليسانس. قسم الإدارة والتسيير الرياضي. كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية. جامعة مسيلة. 2007. ص 16.

❖ قائمة المراجع:

- 1) بوفلجة غياث: " التربية ومتطلباتها"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- 2) جابر نصر الدين - لوكيا الهاشمي : مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ربيع عبد القادر وآخرون : دور الرياضات الجماعية في التهذيب من السلوكيات العدوانية لدى المراهقين. . معهد التربية البدنية والرياضية . مذكرة ليسانس. جامعة مستغانم . 2008.
- 3) عبد الرحمن محمد العيسوي، علم النفس الاجتماعي، مصر، 2006.
- 4) زحاف محمد : العلاقات الاجتماعية لتلاميذ الطور الثالث من خلال الرياضات الجماعية و انعكاساتها على السمات الانفعالية . رسالة ماجستير. كلية العلوم الاجتماعية. قسم التربية البدنية و الرياضية .دالي إبراهيم جامعة الجزائر. 2001 .
- 5) زعيتر بماء الدين ، وآخرون : دور رياضة كرة القدم في تنمية جانب الاجتماعي لدى المراهقين . مذكرة ليسانس. قسم الإدارة والتسيير الرياضي. كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية. جامعة مسيلة. 2007.
- 6) سامية لطفي الانصاري : الصحة النفسية وعلم النفس الاجتماعي، الطبعة الاولى، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، مصر، 2009
- 7) منهاج التربية البدنية : منشور لوزارة التربية الوطنية . الجزائر . 1984 .

قائمة المراجع الأجنبية:

- 1) caga- Etleill.R.Thomas: Manuel de l'éducation sport. Evigot.paris.1993

النشر العلمي في الفضاء الافتراضي: إشكالية التداول والحماية

حسنية زيان أستاذ مساعد أ

جامعة وهران 01 أحمد بن بلة - الجزائر -

Oranuniv1ziane@gmail.com

الميلود صغيري أستاذ محاضر أ

جامعة محمد خيضر بسكرة - الجزائر -

miloud.seghiri@univ-biskra.dz

الخامسة رمضان أستاذ محاضر أ

جامعة محمد خيضر بسكرة - الجزائر -

elkhamssa.ramdane@univ-biskra.dz

الملخص بالعربية:

تستهدف هذه الدراسة التعرف على خصوصيات النشر العلمي في الفضاء الافتراضي، حيث ساهم التطور التكنولوجي في خلق مساحات حرة للباحثين لنشر نتائج أبحاثهم ودراساتهم، دون الخضوع للعراقيل التي ترافق عملية النشر عادة، وقد مثلت المدونات ومواقع التأليف الحر فضاء علميا موازيا يوفر خاصية النشر السريع والغير الخاضع للرقابة، إضافة إلى منصات التعليم الإلكتروني التي تتيح مختلف أشكال التواصل بين الأساتذة والطلبة، ما يسهل ويسرع عملية الوصول للمحاضرات ومختلف أشكال المعلومة العلمية والتقنية من جهة، ويطرح من جهة أخرى إشكالية مهمة تتعلق بحقوق هؤلاء الناشرين في الحماية من مختلف أشكال السرقة والسطو على جهودهم وأبحاثهم، لعدم وجود رقابة أو حتى اليات تضمن حماية الناشرين لحقوقهم.

الكلمات المفتاحية: النشر العلمي، الفضاء الرقمي، تداول المعلومات، الملكية الفكرية، حقوق المؤلف.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02 بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

Scientific Publishing in Cyberspace: The Issue of Circulation and Protection

Hassenya Zian

Ahmed Bin Bella University Oran Algeria

Oranuniv1ziane@gmail.com

Miloud seghiri

Mohamed Khaider University Biskra Algeria

miloud.seghiri@univ-biskra.dz

Elkhamssa ramda

Mohamed Khaider University Biskra Algeria

elkhamssa.ramdane@univ-biskra.dz

Abstract:

This study aims to identify the peculiarities of scientific publishing in the virtual space, where technological development has contributed to creating free spaces for researchers to publish the results of their research and studies, without being subject to the obstacles that usually accompany the publishing process. And the non-censored, in addition to e-learning platforms that allow various forms of communication between teachers and students, which facilitate and speed up the process of accessing lectures and various forms of scientific and technical information on the one hand, and on the other hand raises an important problem related to the rights of these publishers to protect from various forms of theft and robbery On their efforts and research, because there is no oversight or even mechanisms that guarantee publishers' protection of their rights.

Keywords: scientific publishing ; digital space ; information circulation ; intellectual property ; copyright.

-الإشكالية:

لقد أحدث التطور التكنولوجي ثورة هائلة على مستوى النشر العلمي، وغير من أساليبه وأتاح الفرصة لظهور مجموعة من المواقع والتطبيقات والمنصات التي تتيح مجانية نشر البحوث العلمية للجميع، وتقلص من القيود المفروضة على عملية النشر وتختصر الوقت وتسهل عملية التواصل والتعليم عن بعد. كل هذه الأسباب جعلت من مختلف تطبيقات الجيل الثاني للويب والمنصات الالكترونية مهربا للكثير من الباحثين لنشر نتائج بحوثهم، والمساهمة في تداولية المعلومات العلمية ونشرها لأكبر قدر ممكن من المهتمين، مما يساهم في تعميم المعرفة العلمية وتسهيل الوصول إليها، وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تناول مزايا النشر العلمي الالكتروني وأهم قناته وكذا تناول أحد اهم الإشكالات المطروحة فيه وهي قضية حماية المعلومات العلمية ومدى موثوقيتها.

1-النشر العلمي الالكتروني: المفهوم والمزايا

1-1- لغة:

لقد عرف الزمخشري النشر لغة هو "نشر الثوب ونشر الثياب والكتب وصحف منتشرة، ونشر الشيء فانتشر، وانتشروا في الأرض أي: تفرقوا، ونشر الخبر أي أذاعه بين الناس، ونشر الطيب وهو ما انتشر من رائحته"

جاء في قاموس "المحيط" للفيروز أبادي تحت مادة (ن ش ر) لكلمة نشر معاني كثيرة منها الريح الطيبة انتشار الورق، إذاعة الخبر، مشتقاته انتشر الخبر أذاع و(المنشور) الرجل المنتشر الأمر، وما كان غير مختوم من كتب السلطان.

وكذلك يعرف النشر على أنه "من الناحية اللغوية مزيد من الإيجاد والإعلان والتفرق إلى جزئيات صغيرة توزع هنا وهناك، فكل عمل أو مادة توجد فيها تلك العناصر أو بعضها يمكن أن يستعمل فيه كلمة نشر أو يشتق منها¹.

1-2- اصطلاحا:

يرى سبرينج Spring أن النشر الإلكتروني هو الاختزان الرقمي للمعلومات في شكل وثيقة ذات بناء معين تمكن من إنتاجها في شكل نسخة ورقية كما يمكن عرضها إلكترونياً، وهذه الوثيقة تشتمل على معلومات في شكل نصي أو رسوم أو صور يتم توليدها عن طريق استخدام الحاسب الآلي² ويعرفه الدكتور أحمد بدر في كتابه علم المكتبات و المعلومات بأنه الاختزان الرقمي للمعلومات مع تطويعها وبنها وتوصيلها و عرضها الكترونيا أو رقميا عبر شبكات الاتصال، هذه المعلومات قد تكون في شكل نصوص، صور، رسومات يتم معالجتها³

1-3 مزايا النشر الإلكتروني:

يرى الدكتور عبد الأمير الفيصل النشر الرقمي والانترنت أصبح بمنزلة مكان يعج بالناس والأفكار، تستطيع زيارته والتجول في جنباته، مما أتاح إيجاد ما اصطلح على تسميته بعالم الواقع الافتراضي (Cyber Space) الذي يزيل حواجز المكان والمسافة وقيود الزمان بين مستخدميه، حيث يستطيعون التواصل فيما بينهم بصورة تكاد تكون طبيعية، بغض النظر عن المسافات والتوقيتات التي تفصل بعضهم عن بعض⁴، ويوفر النشر في الفضاء الافتراضي عدة مزايا:

-المحافظة على المعلومات من عوامل التلف والفناء التي تعاني منها المطبوعات الورقية

-سهولة وسرعة نشر المواد إلكترونيا مقارنة بالطرق التقليدية للنشر.

-توفير إمكانيات البحث وذلك من خلال تسهيل الوصول إلى البيانات المطلوبة

-إمكانية التخزين، الحفظ، والتوثيق بحيث يمكن حفظ وأرشفة البيانات والمعلومات بطريقة إلكترونية منظمة ونظيفة بعيدا عن عيوب النشر التقليدي⁵.

عدم الحاجة لموزعين: في حالة تسويق وتوزيع المحتوى الإلكتروني من خلال البوابات والمواقع تكون العلاقة بين الناشر والمستخدم النهائي فلا حاجة لوكلاء ولا موزعين ويتم شراء وتحميل المحتوى مباشرة من الإنترنت ودفع قيمته بواسطة بطاقات الائتمان.

الإنتشار: إتاحة المحتوى الإلكتروني من خلال الإنترنت يعني السرعة الفائقة في النشر وإمكانية الحصول عليه في أي مكان في العالم، وذلك بمجرد نشره على الموقع أو البوابة وبدون وجود أي حواجز مما يتيح فتح أسواق كثيرة يصعب الوصول إليها بالطرق التقليدية والنشر الورقي⁶ ويتيح النشر الإلكتروني الفرصة أمام الباحثين والجامعيين إلى توجيه الجزء الأكبر من جهودهم إلى عمليات التحليل والتفسير والاستنتاج والتنبؤ والكشف عن الظواهر والمتغيرات الجديدة - وهو ما يمثل العمود الفقري للعملية البحثية - وذلك بدلاً عما كان يحدث قبل ذلك من ضياع نسبة كبيرة من جهد الباحثين في الحصول على المعلومات، وهو ما سوف يؤدي إلى تطوير المعرفة وتحديثها في المجالات البحثية المختلفة، وازدهار الابتكار والبحث العلمي.

-السرعة العالية في الإنجاز مع ضمان الجودة والكفاءة العالية، حيث يمكن نشر المادة الإلكترونية مباشرة على الشبكة، من خلال أحد المواقع، بعد أن تخضع لمراجعة سريعة من رئيس التحرير، ولا يتطلب النشر الإلكتروني وقت طويلاً لإخراج المادة في صورة ملف⁷.

2-قنوات النشر العلمي في الفضاء الافتراضي:

نشر مخرجات البحوث العلمية على الخط في الجزائر، سنشير أولاً بأن المؤسسة التي تتكفل بإنشاء هذه القواعد هي: "مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني" **CERIST**، حيث في هذا السياق نجد مفهومين: مركز البحث كممول للمعلومات، مركز البحث كمنتج لقواعد بيانات الوطنية بالتنسيق مع المؤسسات الأكاديمية، وفي هذا الإطار نجد أن المركز أنتج عدة قواعد بيانات وطنية أهمها:

2-1-البوابة الوطنية للإشعار عن الأطروحات (PNST):⁸

هي فهرس مركزي للمذكرات والأطروحات، يتكون من فهرس وقاعدة للبيانات النصية حيث يمكن الوصول إليها عبر موقع البوابة.

تعمل هذه البوابة كوسيلة شاملة للوصول إلى الإنتاج العلمي الباحثين فيما يخص الأطروحات (ماجستير، دكتوراه، دكتوراه) **LMD** وهو يشمل جميع مراحل إعداد الأطروحة من إشعار الموضوع إلى المصادقة عليه ومناقشة الأطروحة، ومن أهداف إنجاز هذه القاعدة:

-تسريح عملية المصادقة على المواضيع .

- تسهيل عملية إيداع على مستوى التراب الوطني .
- نشر البحوث على مستوى التراب الوطني.
- تفايدي تكرار والانتحال للبحوث.
- تتمين أعمال البحث والباحثين في جيل من المعلومات ذات قيمة مضافة .
- توفير الوصول إلى النص الكامل

2-2-البوابة الالكترونية للدوريات العلمية الجزائرية (Web Reviews):

هي أيضا من المنتجات الوطنية للمركز الوطني للبحث في الإعلام العلمي والتقني (CERIST)، وهي قاعدة بيانات قيمة من حيث المحتوى العلمي والفكري للدوريات العلمية الجزائرية خصوصا العلمية منها، ويمكنولوج إليها من خلال النظام الوطني للتوثيق على الخط من خلال الدخول إلى نافذة Portails ثم نختار قاعدة البيانات Web Reviews .

2-3- المنصة الجزائرية للمجلات العلمية (ASJP) Algerian Scientific Journal Platform:

هي منصة إلكترونية للمجلات العلمية الوطنية، وتندرج في إطار وطني للمعلومات العلمية والتقنية، من بين أهداف المنصة نذكر على الموقع التالي:

<http://www.dgrsdt.dz/img/asjp.png> ، وتهدف إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- تتيح للناشرين نظام إصدار إلكترونية من خلاله يمكن متابعة فريق عمل المجلة والمراجعين، إرسال المقالات، قرار قبول أو رفض المقالات، وكذلك نام نشر المجلة.

2- هيكلية وتنظيم المجلات من أجل تصنيفها وفق معايير ضمان الجودة العلمية وسهولة وصول المستخدمين لها، ومن هاته الأهداف يستخلص أن "البوابة الجزائرية للمجلات العلمية" هي موجهة بالدرجة الأولى للمجلات العلمية للتسجيل اسمها في البوابة، كما أنها تشمل جميع المجلات الوطنية بغض النظر إن كانت محكمة أو غير محكمة بمعنى تقبل جميع المقالات سواء الموجهة للمناقشة أو للتوظيف أو الترقية، وعليه ليست كل المجلات المسجلة فيها محكمة ومقبولة مقالاتها للمناقشة أو التأهيل الجامعي

فيجب أولاً الاطلاع على قائمة المجالات المحكّمة الموضوعية من طرف الوزارة، وكذلك الاتصال بالمجلة قبل إرسال المقال في البوابة.

2-4- منصات التعليم الإلكتروني

هي بيئة تعليمية تفاعلية توظف تقنية الويب وتجمع بين مميزات أنظمة إدارة المحتوى الإلكتروني وبين شبكات التواصل الاجتماعي في الفيس بوك وتويتر تمكن المعلمين في نشر الدروس والأهداف ووضع الواجبات وتوزيع الأدوار وتقسيم الطلاب إلى مجموعات عمل، وتساعد على تبادل الأفكار بين المعلمين والطلاب، ومشاركة المحتوى وتطبيق الأنشطة التعليمية⁹... وغيرها من الخدمات

ورغم كون هذا النوع من المنصات وعلى سبيل المثال (منصة moodle) يوفر العديد من الخصائص والخدمات التعليمية كإنشاء صفحات شخصية والدردشة ونشر الدروس وأنجاز الاختبارات....، إلا أنها في المقابل لا توفر الحماية للمعلومات المنشورة فيها، ماعدا الحق في تقييد من يحق لهم الوصول لهذه المعلومات، لكن لا تضمن لهم حق الملكية الفكرية وعدم التعرض للسرقات.

2-5- منصة الباحث العلمي "Google Scholar (GS)": ظهرت منصة الباحث العلمي

"Google Scholar (GS)" كمنافس قوي -إن لم نقل كبديل- لكل من "TR" و "Scopus". حيث يستفيد "GS" من قدرات محرك بحث Google على الوصول لكل ما ينشر تقريباً في العالم الرقمي من إنتاج علمي في الدوريات والمجلات والكتب وأطروحات الدراسات العليا وأوراق المؤتمرات والتقارير والدراسات وغيرها. ليس هذا فحسب بل إن "GS" ومؤيدوه في العالم الأكاديمي يطرحون مقارنة جديدة مثيرة للجدل تنال من الأسس التي كانت تعتبر راسخة في مجال النشر العلمي وتقييم مستواه وتأثيره، من خلال اعتبار أن أي وثيقة منشورة هي قابلة للقراءة والاقتباس بغض النظر عن الموضوع الذي تناوله أو الكاتب الذي ألفها أو المنطقة أو اللغة التي صدرت بها ما أصبح يطلق عليه "دمقرطة الانتاج العلمي وقياس التأثير"¹⁰.

2-6- المدونات bLog:

ذهب "بيزاني" إلى اعتبار المدونات: "يوميات شخصية على الشبكة يتم إدراجها بواسطة برامج بسيطة، تسمح بطبع نص على الكمبيوتر، وإرساله فور الاتصال بالشبكة، ليظهر على صفحة موقع

المعني، وهي تمزج بين المعلومات والآراء وتكون متصلة بمصدر أصيل أو بفكرة أخرى أو بمقالة ينصح بها كاتب المدونة أو يعلق عليها¹¹ وهي بهذا أشبه ما يكون، بمذكرة شخصية، يسجل الفرد فيها معلوماته الشخصية وآراءه، وأفكاره اتجاه مختلف القضايا والمواضيع.

وفي الحقيقة أن إحداث المدونات لم يعد متوقفاً على الأفراد بل تجاوزه إلى هيئات ومؤسسات (مراكز أبحاث، شركات، اتحادات، جمعيات مدنية، جرائد، مجموعة شبابية) وهو ما جعلها مصدراً للأخبار والآراء وأصبحت تكمل وسائل الإعلام التقليدية حيث وفرت المدونات الإلكترونية أماكن هائلة للمتواصل ولتبادل الأفكار والمعلومات لمختلف الأشخاص وفي مناطق عديدة من العالم وتوفر لديها محتوى ضخم ومتنوع. وهو ما دفع ناشرين إلى الاتفاق مع أصحاب بعض المدونات وتجميع أعمالهم ونشرها ورقياً والإلكترونية¹².

2-7- الويكي "WIKI":

يذهب "Jérôme Bondu" إلى تعريف "الويكي" على أنه: "مساحة مشتركة أين يتم نشر صفحات الويب بحرية، وأيضا تعديلها من طرف كل الزوار المخول لهم"¹³، "ويمكن استخدام "الويكي" لأغراض كثيرة ابتداء من استخدامها كوسيلة للاحتفاظ بملاحظات شخصية، إلى إنشاء قاعدة بيانات معرفية، مروراً بإنشاء مواقع تقليدية، ومن هنا فقد "ظهرت برامج "ويكي" كثيرة واعتمدت الكثير من المواقع على هذه البرامج والهدف هو تبسيط عملية المشاركة والتعاون في تطوير المحتويات إلى أقصى حد ممكن"¹⁴.

3- حماية المعلومات في الفضاء الافتراضي:

لعل أهم ما يميز النشر في الفضاء الافتراضي سهولة تداول المواد الإلكترونية وإمكانية تحميلها إلى حاسب القارئ في أي وقت دون تحمل تكلفة الشحن أو رسوم البريد، واتساع دائرة القراءة والانتشار حول العالم، إذ يستطيع أي قارئ أن يتصل بالإنترنت ويطلع على كتابك أو مقالتك في أي مكان في العالم. إنَّ ما أحدثته التطورات المتسارعة في عالم الكمبيوتر وتكنولوجيا المعلومات والتي منها الإنترنت، قد أدى إلى أحداث تغيرات كبيرة إن لم تكن جذرية في مفاهيم النشر، وما تعتمد من أساليب في إنتاج وإدارة وتوزيع البيانات والمعلومات، إنَّ النشر الإلكتروني واحد من هذه التغيرات التي صاحبت ظهور

التكنولوجيا الحديثة، والنشر الرقمي هو الطريقة التي بواسطتها تقدم الوسائط المطبوعة كالكتب والبحوث العلمية بصيغة يمكن استقبالها وقراءتها عبر شبكة الإنترنت¹⁵، وهو ما يطرح إشكالية انتهاك حقوق الملكية الفكرية للناشرين والمؤلفين وتعتبر هذه أكبر مشكلة تواجه النشر الإلكتروني لسهولة نسخ المحتوى الإلكتروني مقارنة بالكتاب الورقي وعدم وجود ضوابط تحكم القرصنة على شبكة الإنترنت حيث يتم نشر المحتوى المسروق بدون الرجوع للمؤلف. وقد بدأ ظهور تقنيات جديدة للحماية الإلكترونية للمحتوى على أقراص الليزر ومن خلال شبكة الأنترنت وتحدد ترخيص الاستخدام لشخص واحد وعلى جهاز واحد. هذا بالإضافة إلى التحرك على مستوى الشركات وجمعيات المجتمع المدني والحكومات للتصدي لظاهرة القرصنة¹⁶

من جهة أخرى ومع تغلغل وسائط التواصل الاجتماعي في مناحي الحياة المختلفة فقد أصبح من المهم قياس التأثير للمنشورات العلمية الذي تحدثه في تلك الوسائط، وفي المنصات الرقمية التفاعلية والشبكات الأكاديمية والمهنية الآخذة في التزايد وتوسيع النشاط مثل "Research Gate" و "Academia" و "LinkedIn". والتي تتيح إنشاء حسابات شخصية مجانية للباحثين لعرض إنتاجهم العلمي والفكري المحكم وغير المحكم للجمهور بشكل مفتوح وبلغات مختلفة، بالإضافة لتوفير إمكانية للتفاعل والنقاش بين الباحثين. وهذا أدى فيما أدى إلى تخفيف القيود التي فرضها تقليدياً نموذج تقييم النظراء على النشر العلمي ومنح هامشاً لتقييم النتائج البحثي من خلال الجمهور المتلقي. وهذه التطورات وإن كانت تلتقي مع الانفتاح اللامحدود على تقاسم المعرفة في العالم الرقمي إلا أنها لا زالت تطرح إشكالية تتعلق بمدى جودة وموثوقية ما ينشر وفي بعض الأحيان تغيب البعد النوعي المتعلق بقياس التأثير والاقتراسات المستلة من الأبحاث المنشورة¹⁷

إن التعامل مع الإنترنت عموماً يتطلب نوعاً من الحذر والتحفّظ، والحرص على اتخاذ مختلف الإجراءات التي يضمن من خلالها الباحث الحفاظ على ملكية إنتاجه العلمي، كونها فضاء شاسع بدون حدود جغرافية

أو رقابة، ورغم أن تحقق هذا الأمر صعب جداً، إلا أنه مرتبط بجانبين مهمين: أولهما الحماية القانونية التي توفرها الدول للباحثين، وثانيهما مرتبط بالالتزام الأخلاقي للباحثين بالأمانة العلمية واحترام الملكية الفكرية للآخرين.

–التهميش:

- 1 سعد محمد المجري، الاتصالات والمعلومات والتطبيقات التكنولوجية، الإسكندرية: دار الثقافة والنشر، د س، ص 60.
- 2 محمد أمزيان يرغل، اتجاهات أساتذة علوم الإعلام والاتصال نحو تقنية النشر الإلكتروني دراسة وصفية تحليلية، مذكرة ماجستير (غير منشورة)، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2011، ص 112.
- 3 المرجع نفسه، ص 113.
- 4 عبد الأمير الفصيل، مزايا النشر الرقمي، 2015، متاح على الموقع: <https://www.balagh.com/article/> (22:00، 2021/02/25).
- 5 نسيم دحان، النشر الإلكتروني لدى الأساتذة الباحثين بجامعة منتوري. قسنطينة أعضاء الهيئة التدريسية لقسم علم المكتبات -دراسة حالة-، قسم علم المكتبات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2011، ص ص، 21-22.
- 6 أكرم محمد أحمد الحاج، تحديات النشر العلمي الإلكتروني. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية-جامعة الوادي العدد الثاني نوفمبر 2013، ص 175.
- 7 انظر عبد الأمير الفصيل، مرجع سبق ذكره.
- 8 <https://www.pnst.Cerist.dz/pnstARABE/index.php> (17:33، 2021/01/15).
- 9 ثامر المغاوري الملاح، الانترنت بين تكنولوجيا الاتصال والتعلم السريع، الاسكندرية: دار الكتاب الجامعي، 2017، ص 80.
- 10 طلال شهبان، نظرة على مستجدات النشر العلمي في ظل الانفتاح الرقمي، جامعة بيزيت، متاح على الموقع: <https://www.birzeit.edu/ar/blogs/nzr-l-mstjdt-lnshr-llmy-fy-zl-lnfth-lrqmy> (11:10، 2021/03/17).
- 11 عباس مصطفى صادق، الإعلام الجديد، دار الشروق للنشر والتوزيع: عمان، 2008، ص 196.
- 12 أكرم محمد أحمد الحاج، تحديات النشر العلمي الإلكتروني. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية-جامعة الوادي العدد الثاني نوفمبر 2013، ص 174.
- 13-Jérôme Bondu, Alain Garnier, L'impact Des Reseaux Sociaux, Inter-Ligere, Jamespot: Montreuil, 2009, p 06.
- 14 عباس مصطفى صادق، مرجع سبق ذكره، ص 211.
- 15 عبد الأمير الفصيل، مرجع سبق ذكره.
- 16 أكرم محمد أحمد الحاج، مرجع سبق ذكره، ص 177.

17 طلال شهوان، مرجع سبق ذكره.

-قائمة المراجع:

- أكرم محمد أحمد الحاج، تحديات النشر العلمي الإلكتروني. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية-جامعة الوادي العدد الثاني نوفمبر 2013.
- تأمر المغاوري الملاح، الانترنت بين تكنولوجيا الاتصال والتعلم السريع، الإسكندرية: دار الكتاب الجامعي، 2017.
- سعد محمد المجريسي، الاتصالات والمعلومات والتطبيقات التكنولوجية، الإسكندرية : دار الثقافة والنشر ، د.س.
- عبد الأمير الفصيل، مزايا النشر الرقمي، 2015، متاح على الموقع: <https://www.balagh.com/article/> (22:00، 2021/02/25).
- طلال شهوان، نظرة على مستجدات النشر العلمي في ظل الانفتاح الرقمي، جامعة بيزيت، متاح على الموقع: <https://www.birzeit.edu/ar/blogs/nzr-l-mstjdt-lnshr-llmy-fy-zl-lnfth-lrqmy> ، (11:10، 2021/03/17).
- عباس مصطفى صادق، الإعلام الجديد، دار الشروق للنشر والتوزيع: عمان، 2008.
- محمد أمزيان برغل، اتجاهات أساتذة علوم الإعلام والاتصال نحو تقنية النشر الإلكتروني دراسة وصفية تحليلية، مذكرة ماجستير (غير منشورة)، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2011.
- نسيم دحان، النشر الإلكتروني لدى الأساتذة الباحثين بجامعة منتوري. قسنطينة أعضاء الهيئة التدريسية لقسم علم المكتبات -دراسة حالة-، قسم علم المكتبات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2011، ص ص، 21-22.
- Jérôme Bondu, Alain Garnier, L'impact Des Reseaux Sociaux, Inter-Ligere, Jamespot: Montreuil, 2009, p 06.
- <https://www.pnst.Cerist.dz/pnstARABE/index.php> (17:33، 2021/01/15)

واقع البحث العلمي ومتطلباته

م.م. سعاد محمد جاسم.

العراق - بغداد / جامعة بغداد : كلية الهندسة الخوارزمي ، 2021 . - 22 ص

suad200577@yahoo.com

ملخص:

لاشك أن بناء مجتمع المعرفة يعد اليوم من أولويات العالم المتحضر بكل جوانبه وأبعاده ، ومن أولويات بناء مجتمع المعرفة هو البحث العلمي بكل أشكاله وصوره . والبحث العلمي هو النواة التي ترتكز عليها بلدان العالم المتقدمة منها والنامية ، وتتسابق الدول فيما بينها للحصول على قصب السبق في تملك ناصية العلم ، مما جعل تلك الدول أن تستخر جميع الإمكانيات المتاحة في خدمة العلم والعلماء ورصد الأموال اللازمة للدراسات والبحوث التي يمكن لها أن ترتقي بالنتائج القومي للبلد . والحقيقة التي من شأنها أن تسهم في رقي البلدان النامية للدخول في التسابق المعرفي ، هو توسيع نطاق البحث العلمي بحيث يمكن لتلك البلدان أن تكون في قائمة الصدارة ضمن البلدان المتقدمة ، لكن السؤال الذي يدور في الأذهان هو إلى أي مدى يمكن أن تقوم الحكومات والشعوب في تسخير إمكانياتها لهذا الغرض ؟ وكيف يمكن لها الاستفادة من مخزونها العلمي لذلك ؟

Abstract:

There is no doubt that building the knowledge society is one of the priorities of the civilized world in all its aspects and dimensions. One of the priorities of building the knowledge society is scientific research in all its forms and forms. Scientific research is the nucleus of the developed and developing countries.

As a result, these countries should harness all available resources in the service of science and scientists and allocate the necessary funds for studies and researches that can improve the national output of the country. The fact that developing countries can advance in the knowledge race is to expand scientific research so that they can be at the forefront of developed countries, but the question is how far governments and people can harness Their possibilities for this purpose? How can it benefit from its scientific stock.

المقدمة

إنَّ الوصول للمعلومة الموثوقة ودراسة القضايا المعاصرة وفق منهجية واضحة المعالم هو من أكثر ما يهتمُّ الطلبة والأساتذة الأكاديميين وكل متخصص في مجاله، ولذلك يعد البحث العلمي كأداة موضوعية

للكشف عن الحقائق وتفنيد البراهين، حيث ترسخ المعلومات به ويتسع أفق الاتفاق والمعرفة المنهجية المستندة على البحث والتمحيص والدليل المنطقي والإحصاء والاستطلاع ، وللمزيد ستعرف على مفهوم البحث العلمي وأنواعه وأساسياته وواقع البحث العلمي ومتطلباته .

المبحث الاول / الاطار العام للدراسة

مشكلة البحث

تتجلى مشكلة البحث في ان بناء مجتمع المعرفة يعد اليوم من اولويات العالم المتحضر بكل جوانبه وابعاده . وتتمثل مشكلة البحث في

- واقع البحث العلمي ومتطلباته
- بناء مجتمع المعرفة بالبحث العلمي بكل اشكاله وصوره

اهمية البحث

تأتي اهمية البحث من اهمية البحث العلمي وتوسيع نطاقه بحيث يمكن للبلدان ان تكون في قائمة الصدارة ضمن البلدان المتقدمة والتعرف على واقعه ومتطلباته .

اهداف البحث

- 1 - يهدف البحث الى التعرف على واقع البحث العلمي وماهي المتطلبات التي يصبو اليها من اجل التغيير والابتكار لبيئة مناسبة للبحث العلمي .
- 2 - تقديم المعرفة عن طريق البحث العلمي من اجل توفير ظروف افضل لبقاء الانسان وامنه ورفاهيته .
- 3 - تسخير الطاقات لأجل الاسراع بالنهضة التكنولوجية وبلوغ ذروتها .

تساؤلات البحث

- هل هناك ضرورة للبحث العلمي وماهي المتطلبات له .
- كيف يستفيد المجتمع من البحث العلمي .

حدود البحث

- الحدود الموضوعية : واقع البحث العلمي ومتطلباته
- الحدود الزمانية : 2021

منهج البحث / المنهج الوصفي

مجتمع وعينة البحث

البحث العلمي بمنهجه واجراءاته من الامور الضرورية في اي حقل من حقول المعرفة فيجب الالمام بمنهج البحث العلمي المختلفة والقواعد الواجب اتباعها من تحديد مشكلة البحث العلمي ووصفها إجرائياً مروراً باختيار منهجية محددة لجمع البيانات المتعلقة بها وانتهاء بتحليل البيانات واستخلاص النتائج من الأمور الهامة في كل العلوم النظرية والتطبيقية.

اجراءات البحث

استخدام المعلومات التي تبحث عن البحث العلمي وانواعه واهميته ودوره في التنمية للمجتمع وواقع البحث العلمي وماهي المتطلبات له .

الدراسات السابقة

- واقع البحث العلمي في الدول النامية مقارنة بالدول المتقدمة في توطين التكنولوجيا الصين والماليزيا واليابان [أموذجا] / م.م. خوشي عثمان عبداللطيف . كلية التجارة / جامعة السليمانية .

The reality of scientific research in developing countries compared to developed countries in the localization of technology [Almelisea China and Japan] model Ass.Prof. Khoshi O. Abdula/ College of Comrece\SulaimaniUnivesity

إن هذا البحث يتناول واقع البحث العلمي في الدول النامية والدول العربي، مقارنة بالدول المتقدمة، حيث تتركز جهود البحث والتطوير في المراكز الحكومية العربية (الجامعات – مراكز البحوث ويلاحظ غياب دور القطاع الخاص في عملية البحث والتطوير وفي تمويلها .

كما تم التطرق إلى العوامل التي أوصلت المجتمع العربي إلى مستواه العلمي الحالي، والصعوبات التي تعيق الباحث العربي وتحد من إنتاجه العلمي ومن أهم هذه الصعوبات: عدم توفر التمويل المالي اللازم وعدم الاهتمام بالباحث العربي وكذلك النظام السياسي وغياب السياسات والاستراتيجيات العلمية الواضحة.

المبحث الثاني / الدراسة النظرية

تعريف البحث العلمي

تعددت تعريفات البحث العلمي

ومنها أنه يمثل الطريقة المنهجية التي تتبع عدداً من الخطوات المتتالية ابتداءً من معرفة المشكلة وتحليلها، وجمع البيانات وتوثيقها بهدف استخلاص جملة من الحلول المبنية عن التحليل والمقارنة والإحصاء. [1] وهو أيضاً عملية تقصّي منظمة ومنهجية بقصد التأكد من صحة الحقائق، أو إثبات حقائق جديدة، بشرط اتباع الأساليب والمناهج العلمية أثناء القيام بالبحث العلمي وإعداد تقاريره ونتائجه. [2] وينظر البعض إلى البحث العلمي على أنه دراسة منهجية مبنية لتلبية نقص معرفي ما، أو لتجميع وربط أمور ومفاهيم متفرقة أو مختلطة في الفهم أو التطبيق، أو لتحقيق إضافة معرفية وعلمية جديدة مستنبطة من إجراءات البحث العلمي ونتائجه. [3]

أهداف البحث العلمي

تتنوع أهداف البحث العلمي وفقاً لنوعه وطبيعة النتيجة التي سيتوصل إليها، ومن أهم أهداف البحث العلمي ما يلي: [4]

- 1 - الوصول إلى حقائق جديدة: إنَّ استخدام التفكير المنهجي وتحليل الظواهر والمشكلات والسعي لإيجاد حلول محققه لها، مع الاستناد على الحقائق الموثوقة يتيح لنا استنتاج حقائق وتوصيات جديدة.
- 2 - الوصف العلمي: إنَّ تحليل ظاهرة ما وتتبع أساسها وتفنيد مسبباتها وتحليل أعراضها للوصول إلى الوصف العلمي الدقيق لها، باكتمال أجزاء البحث العلمي وتحليل المشكلة أو الفرضية ومكوناتها وتداعياتها الظاهرة والمستترة والتوصل لوصف موضوعي يشمل التوجيهات للحلول الأمثل.
- 3 - التنبؤ بالمستقبل: وهو التنبؤ المبني على الدليل العلمي والمنهجية الموثقة والخطوات المنطقية المتتالية، كل ذلك سيكفل الوصول إلى معرفة مستقبلية أقرب ما تكون للحقيقة مع البحث العلمي الصحيح.
- 4 - تقديم حلول منطقية للمشكلات: يدور موضوع البحث العلمي حول مشكلة مستعصية، يلجأ الباحث لتفنيدها وحلها عن طريق البحث العلمي وطرح الفرضيات والملاحظة والقياس وغيرها،

إلا أنه يتمكن أخيراً من طرح جملة من الحلول المدعمة بالدلائل العلمية والتجارب الميدانية المؤكدة على جدواها وصلاحياتها.

5 -الابتكار والتجديد: إذا نظرت إلى الاختراعات والمنتجات عالية الجودة ستجد أنها مصممة وفق معايير مثالية نتجت عن عدد هائل من الأبحاث والتجارب، فاستناد الأبحاث على حقائق ومعلومات وتجارب جديدة سيتيح للباحث الوصول لنتائج مبتكرة وجديدة مبنية على آخر ما آلت له الوقائع والأبحاث.

6 - المعرفة: فالإنسان لا يتطور مع الجهل ولا ينافس غيره بالركود، ولذلك فإنّ البحث العلمي أداة فعالة لتطوير مهارات الإنسان ومعارفه، ليكتسب المعرفة العلمية الموثقة والمثبتة ميدانياً، وتلك هي المعرفة المثبتة بالتجربة العملية والدليل الموثق.

أنواع البحث العلمي

للبحث العلمي عدة أنواع تتشكل حسب الأساس الذي يبنى عليه البحث، وفيما يلي تفصيل تلك الأسس والأنواع: [٥]

حسب الغرض منها تتمثل أنواع البحث حسب الغرض منها في ما يلي:

1- البحوث النظرية: وهي تلك البحوث التي تعنى بالنواحي العلمية، والتي يستخلص منها مجموعة من القوانين والنظريات المحققة، وهي تساهم في نمو المعارف وتخدم الدراسات وتؤسس أرضية موثقة للعلوم التطبيقية.

2- البحوث التطبيقية: وهي البحوث التي تختص بالشؤون العملية وتطبيق المعرفة المتوفرة للوصول إلى معارف جديدة أكثر فاعلية، أو لحل المشاكل الميدانية وتطوير أساليب العمل لتحقيق إنتاجية أعلى.

حسب الأسلوب المستخدم فيها تتمثل أنواع البحث حسب الأسلوب المستخدم فيها في ما يلي:

1- البحوث الوصفية: حيث تستخدم لوصف الظواهر ورصد ظروفها المكانية والزمانية وجمع الحقائق عنها، وهي أيضاً تزود بتوصيات لتصويب الوضع الحالي ضمن معايير وقيم يجب توفيرها وتطبيقها عملياً للوصول للوضع المنشود، وتستخدم في هذا النوع من البحوث عدة أساليب ومنها: الملاحظة والمقابلة الشخصية واختبارات الاستقصاء الورقية أو الالكترونية.

2- البحوث التاريخية: وهي البحوث التي تتخذ الشكل الوصفي ولكن للأحداث والظواهر التي حدثت وانتهت، فهي تعنى بتاريخ الماضي وتحليل تداعيات تلك الأحداث، وتستخلص منها الأساليب

الجديدة لتلافي العثرات التي حدثت سابقاً والتنبؤ بمستقبل متجدد، حيث يتركز جهد الباحث في تحسين التصورات والأفكار والسلوكيات العامة للأفراد والمؤسسات، إذ يعتمد على نوعين من المصادر للحصول على المعلومة وهما المصادر الأولية والمصادر الثانوية، وذلك يتطلب جهداً مضاعفاً في الاستقراء والتمحيص.

3- البحوث التجريبية: هي تلك البحوث التي تحلل المشاكل والظواهر وفق المنهج التجريبي، القائم على الملاحظة وطرح الفرضيات وضبط تفاصيلها للتحقق من صحتها ووجودها فعلياً، فالباحث يضبط كل المتغيرات ويحدد تفصيلاتها ليتحكم بها فيما يخدم محتوى بحثه ولعل هذا أكثر ما يميز البحوث التجريبية عن غيرها.

عناصر البحث العلمي

للبحث العلمي أربعة عناصر رئيسية، يصنف بوصفه نظام سلوكي متكامل وهي كالآتي: [٦] 1- المدخلات: وتتمثل بمعرفة الباحث لتفاصيل المشكلة وشعوره بأهميتها وضرورة السعي لحلها، بالإضافة لدرايته بالبحث العلمي واطلاعه لتفاصيل القضية التي يدور حولها البحث العلمي من مفاهيم ومصطلحات ومصادر المعلومات، كل ذلك سيسهم في تحقيق نتائج مميزة وسيزيد القدرة على التصدي للصعوبات أثناء عملية البحث ومعالجتها. 2- العمليات: من هنا يتمكن الباحث من اختبار التقنيات التي أعدها للبحث، فهي تشمل منهجية بحث المشكلة والتصميم الإحصائي المناسب لها، وتشمل أيضاً الأجهزة والأدوات المطلوبة وطرق قراءة الإحصاءات وعدد العينات المطلوبة وأساليب التحليل الإحصائي لها.

3- المخرجات: يتم هنا جمع النتائج والتوصيات بما في ذلك نتائج الإحصائيات واستطلاعات الرأي والتجارب المخبرية إن وجدت، ليتم عرض كافة النتائج بطريقة منظمة في جداول حسب بنود البحث وتصنيفاته.

4- الضوابط التقييمية: تتضمن تقييم البحث العلمي بعناصره الثلاث السابقة ومراحلها، من قبل لجنة متخصصة في مجال البحث، ليتم اعتماد البحث والتأكد من صلاحيته لحل المشكلة، وبيان الإسهامات العلمية الجديدة التي يقدمها البحث للمعرفة.

أهمية البحث العلمي [7]

وتبرز أهمية البحث العلمي بازدياد اعتماد الدول على البحث العلمي إدراكاً منها بمدى أهمية البحث العلمي في تحقيق التقدم والتطور الحضاري واستمراره وأصبحت منهجية البحث العلمي واساليب القيام بها من الأمور المسلم بها في المؤسسات الأكاديمية ومراكز البحوث، إضافة إلى انتشار استخدامها في معالجة المشكلات التي تواجه المؤسسات العامة والخاصة على حد سواء، وعلاوة على ما يحققه البحث العلمي من منافع للمجتمع الإنساني فإنه يعود على الباحث نفسه بفوائد شخصية هامة وتؤكد السياسات التربوية الحديثة في جميع مستويات التعليم أهمية البحث العلمي وفوائده بالنسبة للباحث.

أهمية البحث العلمي للمجتمع [8]

يعد البحث العلمي من أهم العوامل في تقدم وتطور الحضارة الإنسانية، ولقد ساهمت البحوث العلمية منذ العصور القديمة في تقديم معلومات مهمة للإنسان ساعدته على تفسير الظواهر الغامضة، ومن خلال البحث العلمي يقوم الباحث باكتشاف نظريات لم يسبق لأحد اكتشافها، أو يقوم بإثبات صحة نظريات أو نفي صحتها، يجب أن يدعم الباحث إجاباته بالأدلة والبراهين التي تؤكد صدق كلامه. وتتعدد الأسباب التي تدفع الباحث للقيام بالبحث، فقد يقوم الباحث ببحثه العلمي مدفوعاً برغبة منه في تقديم معلومات مفيدة للبشرية، ورغبة منه في تقديم معلومات تساعد على حل الظواهر الغامضة، وقد يكون الفضول وراء قيام الباحث بالبحث العلمي، فقد تظهر ظاهرة علمية تحرك فضول الباحث وتدفعه للقيام بالبحث العلمي، وقد يقوم الباحث بالبحث العلمي رغبة منه في الحصول على درجة علمية كشهادة بكالوريوس أو ماجستير أو دكتوراه، أو رغبة منه في نيل مكانة مرموقة في المجتمع وتخليد اسمه فيه. وتكمن أهمية البحث العلمي للمجتمع في ما يأتي [9]:

- 1 - تتمثل أهمية البحث العلمي في خلق الثقافة، والمعرفة جديدة. تتيح الأبحاث العلمية للباحثين فرصة رفع مستوى المعرفة العام.
- 2 - تتمثل أهمية البحث العلمي في تقديم رؤية عن المستقبل، والاتجاه الذي تسير فيه المجالات المعرفية، ومدى تطورها.
- 3 - تتمثل أهمية البحث العلمي في مساعدة الناس على فهم ورؤية الكون بشكل أوضح.
- 4 - تتمثل أهمية البحث العلمي في إنجاح الأعمال التجارية والمشاريع.

- 5 -تتمثل أهمية البحث العلمي في اعتبارها أحد المصادر التي تساهم في الاختراعات التكنولوجية.
- 6 -تتمثل أهمية البحث العلمي في تزويد الباحث من إمكانيات التفكير العميق.
- 7 -تتمثل أهمية البحث العلمي في مساعدة الباحث العلمي على تفعيل العقل للتعرف على ما يحدث في أماكن مخفية عن الأنظار.
- 8 -تتمثل أهمية البحث العلمي في تنمية أساليب ومنهجيات وآليات متطورة لإجراء الدراسات.
- 9 -تتمثل أهمية البحث العلمي في تنمية الاقتصاد.

أهمية البحث العلمي للباحث

تعود الأبحاث بالنفع على الباحثين بعدة أمور، ومنها ما يأتي [10]:

- 1 - تتمثل أهمية البحث العلمي في زيادة الثقافة والمعرفة من خلال جمع البيانات والوثائق المتعددة حول البحث، وكلما زادت المعلومات بتفاصيلها في الموضوع، جعل هذا الباحث متفوقاً أكثر.
- 2 - تتمثل أهمية البحث العلمي في إثبات الحقائق وتفسيرها إن كان للباحث شكوك حول موضوعه، فهو يُثابر لجمع التفاصيل التي تنفي شكوكه، وتثبت الحقيقة العلمية لموضوع البحث.
- 3 -تتمثل أهمية البحث العلمي في إبراز ضرورة الإدراك الصحيح لموضوع البحث، حيث ينبغي على الباحث أن يتعمق في الموضوع المعني ليتمكن من دراسته، والتعامل معه.
- 4 -تتمثل أهمية البحث العلمي في معرفة المجال الذي يناسب الباحث، حيث يُحدّد الباحثون من خلال البحث المساقات والمواضيع التي تُناسبهم، وتجذبهم للبحث فيها، فالبحث لا يتعلق فقط بمجرد إتمام الدراسة ونشرها، بل يُحدّد للباحث الحقول العلمية التي يرغب بدخولها في المستقبل.
- 5 -تتمثل أهمية البحث العلمي في القدرة على الإنجاز بشكل فردي أو جماعي، حيث يتمكن الباحث بواسطة إنجازهِ للبحوث، من تعلّم كيفية الموازنة بين العمل الذي يقع على عاتقهم بشكل فردي، وبين التنسيق في العمل كمجموعات.
- 6 -تتمثل أهمية البحث العلمي في معرفة منشأ موضوع البحث وأصله، حيث يبدأ الباحث بجمع المعلومات لمعرفة الأصل الذي نشأ منه موضوع البحث الذي بين يديه، ومن خلال العملية التراكمية للمعلومات ينتج بحث موسوعي مليء بالمعلومات.

المبحث الثالث / الدراسة العملية

واقع البحث العلمي ومتطلباته (11)

لقد أصبح القرار السياسي للسلطات الحاكمة، وللمؤسسات والهيئات الدولية، وللشركات الاستثمارية والصناعية والإنتاجية - عابرة القارات - وغيرها؛ مبنياً على نتائج دراسات وبحوث معمقة، كما أن قراءة المستقبل، والتنبؤ بأزماته، ومتغيراته، والاستعداد له، لا يتم إلا من خلال الدراسات الاستشرافية المستقبلية، بالاعتماد على أساليب علم المستقبل، ومنهجيات البحث العلمي.

إن أهم أدوات التقدم مرهونة بالتقدم في مجال البحث العلمي، والتجارب العالمية تؤكد ذلك، وإن لم يتم هذا الاهتمام بالبحث العلمي؛ فإن العالم العربي سيقف في منطقة التقليد والاستهلاك، ولن يصل لمستوى القياس العالمي بالتغني في وسائل الاعلام برفي الجامعات وأحجامها وأعدادها، بل بالفعل الحقيقي، والمنجز المتحقق على أرض الواقع (عبدالله، 2013، 87). وبالنظر إلى واقع البحث العلمي العربي، فإنه يتسم بانخفاض حجم الإنفاق عليه، حيث يتدنى حجم الإنفاق على البحث العلمي والتطوير دون الحد المقبول عالمياً (1%) من الدخل القومي الإجمالي. وهذا يؤدي إلى عدم توفر البنية التحتية اللازمة للبحث، وانخفاض الإنتاجية العلمية في الوطن العربي. (قنوع، وإبراهيم، والعص، 2005).

إن المجتمعات العربية ما زالت غير قادرة على التعاطي مع إنتاج المعرفة على الوجه الكافي واللازم رغم مقوماتها المادية والمهدورة. (عبدالله، 2013، 31)، ومن أجل ذلك، فإن الدول العربية، ممثلة بوزارات التعليم العالي ومؤسساتها التعليمية، مطالبة اليوم بإعادة هيكلة البحث العلمي، بهدف رسم سياسات وطنية للبحث والتطوير، واتخاذ قرارات جريئة تجعل البحث العلمي مؤثراً وفعالاً في مختلف جوانب الحياة. (حيدر، 2015، 287). حيث يعد البحث العلمي أحد الركائز الأساسية في عمل الجامعات لتحقيق أهدافها؛ وتستند عليه العملية التعليمية في مجالات التدريس والتفكير الإبداعي والتواصل العلمي بين الباحثين، كما يعد أحد المؤشرات الأساسية الدالة على رقي وتطور الجامعات عند التنافس فيما بينها بما يقوم به الأساتذة المدرسون ومراكزها البحثية من نتاج علمي؛ ولأجل ذلك اعتمدت الجامعات مختلف الاستراتيجيات في تشجيع الأساتذة على التأليف والنشر العلمي بكل أشكاله وفي مختلف تخصصاته (الكاميري، 2019، 181-182).

وتعتمد سمعة البحث العلمي في أي جامعة إلى حد كبير على نوع وعدد البحوث المنشورة في المجالات العلمية العريقة المعروفة لدى هيئات التصنيف، ويعد النشر العلمي أحد أهم المقاييس المستخدمة في تقدير

مستوى الإنتاج العلمي، إذ لا قيمة للعلم إذا لم يتم نشره واتاحته لخدمة البشرية، وذلك من منطلق أن العلم عالمي النزعة، وأن المعرفة لا وطن لها؛ حيث أصبحت ذات صبغة عالمية بفضل استخدام تقنيات المعلومات والاتصالات التي سهلت التواصل بين العلماء والباحثين بغض النظر عن الحواجز الجغرافية، وقد شهدت الساحة العلمية تنافسا بين الباحثين النشطين للنشر في المجالات العلمية العالمية والمدرجة في قواعد البيانات المتخصصة، ومنها شبكة المعرفة (ISI) Web of Knowledge التابعة لمؤسسة ثومسون رويترز Thomson Reuters.

ويعد العمل البحثي عالي المستوى من أهم الأسس التي ينتج عنها نتائج علمية قوية، يعقب ذلك صياغة الورقة البحثية وإعدادها بصورة علمية ماهرة ووضعها في قالب المطلوب لتقبلها المجالات العلمية الرصينة للنشر. وبالطبع فإن اختيار الدوريات المفهرسة في ISI وذات معامل التأثير المرتفع من أهم السبل للنشر العلمي المتميز.

من هنا، اعتمدت منظمة المجتمع العلمي العربي - أرسكو (ARSCO)، إلى تتبع حركة النشر العلمي العربي في قاعدة (ISI)، مرتين على التوالي، كانت الأولى حينما نشرت المنظمة دراسة (الريان، 2012)، بعنوان: حصاد عقد البحث العلمي العربي (2001-2010)، وكشفت نتائجها عن أن الإنتاج الكلي من الدول العربية هو (135,176)، ورقة، وأن معظم الإنتاج العربي يأتي من أربع دول، وهي: مصر، السعودية، تونس، والجزائر. (الريان، 2012، 7). أما الثانية فكانت منتصف 2019، حينما نشرت المنظمة تقارير مقتضبة، عن ملامح البحث العلمي بالوطن العربي للفترة (2008-2018). وفقا لقاعدة بيانات (ISI).

وحيث أنه لم يتم إعداد دراسة تحليلية حولها، ولا تزال تلك البيانات متفرقة وغير مجمعة في دراسة واحدة. وقد وجد الباحث ندرة في الدراسات التحليلية لواقع البحث العلمي العربي، وفقا لقواعد البيانات الرقمية بمختلف أنواعها، ولا توجد دراسات تكميلية في هذا المضمار، فقد رأى ضرورة تجميع تلك البيانات، وتحليلها، وتقديم التوصيات اللازمة بشأنها، وتزويد الباحثين بدراسة حديثة في هذا المجال. ولذا، تمثلت مشكلة الدراسة في نقص الدراسات التحليلية الوصفية، وجاءت الدراسة الحالية - وهي دراسة تكميلية وتحليلية - لتحقيق هذه الغاية، وتهدف إلى معرفة واقع البحث العلمي بالوطن العربي بناء على ما جاء من بيانات في تلك اللمحات التي نشرتها أرسكو (ARSCO) للفترة (2008-2018).

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها

يستعرض الباحث في هذا الجزء عرض النتائج، ومناقشتها، وتفسيرها، والمتمثلة في الإجابة عن تساؤل الدراسة، ونصه:

ما هو واقع البحث العلمي بالوطن العربي وفقاً لقاعدة بيانات شبكة العلوم (ISI) من منظور أرسكو للفترة (2008-2018)؟

وذلك على النحو الآتي:

- أولاً: عرض نتائج البحث العلمي العربي على المستوى الكلي بحسب الدول. بلغ إجمالي الإنتاج العلمي العربي ككل، والمنشور في قاعدة بيانات شبكة العلوم ISI، خلال الفترة: (2008-2018)، حوالي (410,549) ورقة، موزعة على (22) دولة عربية، والجدول (1)، يوضح ذلك.

جدول (1): ترتيب الدول العربية حسب عدد البحوث التي تنشرها بالنسبة لمجموع الإنتاج البحثي العربي الكلي المنشور.

الترتيب	الدولة	عدد الأبحاث	النسبة %
1.	السعودية	112,565	%25
2.	مصر	106,891	%24
3.	تونس	48,417	%11
4.	الجزائر	37,137	%8
5.	المغرب	26,914	%6
6.	الإمارات	25,360	%6
7.	الأردن	16,890	%4
8.	قطر	16,328	%4
9.	لبنان	15,087	%3
10.	العراق	12,119	%3
11.	الكويت	9,294	%2
12.	عمان	7,793	%2
13.	السودان	4,379	%1
14.	فلسطين	3,786	%1
15.	سوريا	3,251	%1
16.	ليبيا	2,902	%1
17.	اليمن	2,235	%0
18.	البحرين	2,224	%0
19.	موريتانيا	300	%0
20.	جيبوتي	118	%0
21.	الصومال	74	%0
22.	جزر القمر	68	%0
	إجمالي الأوراق العربية المنشورة	410,549	% 100

يتبين من بيانات الجدول (1)، حصول السعودية على المرتبة الأولى عربياً، حيث نشرت (112,565)، ونسبة (25%)، أي ما يعادل ربع الإنتاج العربي، يليها مصر في المرتبة الثانية، بواقع (106,891)، ونسبة (24%)، وهو ما يعادل الربع أيضاً، ثم جاءت تونس في المرتبة الثالثة، بواقع (48,417)، ونسبة (11%)، ثم الجزائر رابعا، بواقع (37,137)، ونسبة (8%)، والمغرب خامسا (26,914)، ونسبة (6%)، وجاءت بقية الدول العربية، مرتبة على التوالي: الإمارات، الأردن، قطر، لبنان، العراق، الكويت، عمان، السودان، فلسطين، سوريا، ليبيا، اليمن، البحرين، موريتانيا، جيبوتي، الصومال، واخيرا جزر القمر.

ولمقارنة نتائج الدراسة الحالية بنتائج أخرى، يتبين أن هناك أربع دول عربية هي الأكثر إنتاجا في قاعدة البيانات ISI، وهي: (مصر والسعودية وتونس والجزائر)، خلال الفترة: (2001-2018)، موزعة على مرحلتين، الأولى للفترة (2001-2010)، تقدمت فيها مصر على السعودية وتونس والجزائر، حيث كشفت نتائج دراسة (الريان، 2012)، أن مصر قد أنتجت خلال تلك الفترة (39,501) ورقة، وهو ما يمثل حوالي (29,2%)، من الإنتاج العربي الكلي، علما بأن نسبة عدد سكان مصر إلى العالم العربي تساوي تقريبا (22,55%). وجاءت السعودية في المرتبة الثانية، بنسبة (14,3%)، وهي التي تمثل حوالي (14%) تقريبا من عدد السكان. أما تونس فحصلت على المرتبة الثالثة بنسبة تقترب من (13%) من الإنتاج، و (2,78%)، من السكان في الوطن العربي، وهي بذلك تأتي بالمرتبة الأولى من حيث نسبة الأبحاث لكل نسمة. وحصلت الجزائر على المرتبة الرابعة، وأسهمت بما يعادل (9%)، من مجموع الإنتاج العربي.

أما المرحلة الثانية فهي للفترة (2008-2018)، وهي موضوع الدراسة الحالية، والتي كشفت عن تقدم السعودية على مصر وتونس والجزائر، وباستقراء بيانات الجدول (1)، فقد بلغ مجموع إنتاج الأربع دول مجتمعة يساوي (305,010)، ونسبة (74.2%)، وهي نسبة تقترب من ثلاثة أرباع الإنتاج العربي ككل، وعند إضافة إنتاج المغرب إلى هذه الأربع الدول، يصبح إجمالي إنتاج الدول الخمس، لنفس الفترة، (331,924) ورقة، أي ما يقترب من (81%)، من الإنتاج العلمي العربي ككل، كما أن الإنتاج العلمي لكل من السعودية ومصر؛ يعد نصف الإنتاج العلمي العربي، أي ما يعادل (49%)، من إجمالي الإنتاج العلمي العربي ككل.

كما يتضح تقدم بلدان الخليج العربي مجتمعة على بلدان المغرب العربي مجتمعة، حيث بلغ مجموع الإنتاج العلمي لدول الخليج، (173,564) ورقة، ونسبة (42%)، مقابل (115,670)، لبلدان المغرب، ونسبة (28%).

إلا إنه وبالعودة إلى وفرة الموارد المالية الخليجية، ومقارنتها بحجم الإنتاج العلمي لها، فإن ذلك غير مرضي لبعض الخبراء والمفكرين، فبحسب رأي إحدى القيادات الجامعية العلمية في الخليج العربي، يشير إلى أنه "إذا كانت الدول الخليجية، تحديداً، قد حققت من خلال الثراء المالي الكبير، إنجازات مهمة في مجالات حيوية في البنية الأساسية للدولة، فإن مساهمتها الفاعلة في توظيف كل تلك الوفرة المالية باتجاه رديف لتشييد البنية التحتية، في مجال إنتاج المعرفة؛ لا زالت إسهامات متواضعة إن لم تكن بسيطة وسطحية" (عبدالله، 2013، 33).

وحيث أن توفر التمويل، واستقطاب الباحثين يشكلان من أهم عوامل تطوير البحث العلمي، فقد بينت نتائج الدراسات، "أن الجامعات التي طبقت أسس الحوكمة الرشيدة وحققت جذبا وتركيزا للمواهب لديها، علاوة على توفير التمويل اللازم، استطاعت تحقيق تميز في جودة مخرجاتها من البحث العلمي والخريجين، وساهمت في نقل التقنية وتوطينها. (حمدان، 2015، 65).

ومن بيانات الجدول (1) أيضاً، يلاحظ تراجع موقعي العراق، وسوريا، وهناك ست دول لم يشكل إنتاجها العلمي المنشور على قاعدة ISI، أي أرقام تذكر، وهي، على التوالي: (اليمن، البحرين، موريتانيا، جيبوتي، الصومال، جزر القمر). وهذا لا يعني أن هذه الدول لا تمتلك الجامعات، أو المراكز البحثية، فلديها الكثير من المؤسسات الأكاديمية، ومن الباحثين، ويوجد لدى باحثيها رغبة في الإنتاج والنشر العلمي، ويعتقد الباحث، أن من أسباب تدني مستوى الإنتاج والنشر العلمي لهذه الدول، قد يعود إلى جملة من المعوقات، أبرزها، ضعف اهتمام الجانب الحكومي بالبحث العلمي، وقلة الموازنات المالية وغياب الحوافز والجوائز المخصصة للبحث العلمي، إلى جانب ضعف الثقافة العلمية لدى بعض القيادات الجامعية، التي لا تدرك أهمية البحث والنشر العلمي، وضعف مستوى الأداء الإداري والتقني لمنظومات البحث العلمي العربية، ونشوء حالة من الصراع والنزاعات، وتكرر الأزمات وغياب عوامل الإبداع والإنتاج، ونقص المجالات العلمية وقواعد البيانات وأوعية النشر الإلكتروني، وعدم ربطها بما يمثّلها عالمياً.

وهناك أسباب أخرى تعود لقاعدة البيانات وللمعايير الدولية، ومن تلك الأسباب، عدم وجود مجلة علمية باللغة العربية في قائمة التصنيفات العالمية التي لها معامل تأثير عال، إضافة إلى احتكار مؤسسة

تومسون رويترز" لتصنيف المجالات والدوريات واقتصارها على المنشور باللغات الأجنبية، بالإضافة إلى وضع مجموعة من الشروط التعجيزية للنشر باللغة العربية، والتي قد لا يكون لها علاقة بجودة النشر العلمي، مما أدى إلى حرمان المجالات العربية من هذا الحق، وعدم وجود قواعد بيانات شاملة للإنتاج العلمي المنشور باللغة العربية، كما أن المحاولات التي تمت في هذا المجال ما تزال غير ذات جدوى وتأثيراتها محدودة جداً. (العمري، 2019، 80).

وباستقراء واقع البحث العلمي، يتبين أن شح الموارد ونقص التمويل، هو أحد الأسباب الرئيسية لضعف البحث العلمي العربي بشكل عام، وفي هذا السياق؛ "بينت دراسة نشرت عام 2006 لمنظمة اليونسكو أن نسبة الانفاق في العالم العربي من الانفاق العالمي على البحث العلمي بلغت (0.2%)، وتنفق إسرائيل (0.7%)، أي أربعة أضعاف العالم العربي لدولة لا يصل عدد سكانها 5% من العالم العربي، وزاد انفاق الصين إلى (8.7%)، وتجاوز لأول مرة ألمانيا وبريطانيا، وتنفق الولايات المتحدة الأمريكية (35%)، كما أشارت الدراسة إلى أن نسبة عدد الباحثين العلميين لكل مليون شخص من السكان بلغت في الوطن العربي (136) باحث، مقارنة مع (1395) باحث في إسرائيل، و(2439) باحث في الاتحاد الأوروبي، و (4374) باحث في الولايات المتحدة الأمريكية... كما أصدر البنك الدولي تقريره السادس لسنة 2008 وأطلق في عمان والمتعلق بالتعليم في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا MENA، حيث يشير التقرير إلى عدم تمكن هذه الدول من قطع شوط التطور وتزداد الفروقات بينها وبين باقي الدول النامية الأخرى، ويشير التقرير إلى انخفاض نسبة الأبحاث والمنشورات العلمية لتشكّل ما مقداره (0.07%) فقط من الإنتاج العالمي". (أبو عرابي، 2010، 37).

ولتسليط الضوء أكثر على سبب الفجوة المعرفية بين العرب وغيرهم، فإن مجموع انفاق العالم العربي على البحث العلمي حوالي مليار وسبعمائة مليون دولار سنوياً، بما يعادل انفاق جامعة هارفارد الأمريكية لوحدها، في حين أن إسرائيل تنفق سنوياً حوالي ستة مليارات دولار، فإذا كانت الأردن قد أنجزت (1203) من البحوث العلمية عام 2005، ومصر (3459) بحثاً، وسوريا (224) بحثاً، فإن أيرلندا لوحدها قد أنجزت (14928)، بحثاً متخصصاً في مختلف العلوم والتخصصات التطبيقية.. ذلك يعني وجود إرادة حقيقية لتطوير القدرات والامكانيات التعليمية في أوروبا وأمريكا واليابان وغيرها، من ناحية، وعدم وجودها في العالم العربي من ناحية أخرى. (عبدالله، 2013، 23). ولمعرفة الفجوة المعرفية بين الجامعات العربية والأجنبية، وبإلقاء نظرة على الرصيد التراكمي في النشر العلمي للجامعات الدولية

الرائدة، يتضح مدى الجهد الذي بذلته هذه الجامعات إلى العالمية، فقد بلغ الرصيد التراكمي لبحوث جامعة هارفارد (320000) بحثاً، و(230000) بحثاً لجامعة ستانفورد، و(179000) لكامبريدج، و(153000) لأكسفورد، وعلى مستوى الجامعات الآسيوية فقد بلغ الرصيد التراكمي لجامعة طوكيو أكثر من (240000) بحثاً، و(120000) بحثاً لجامعة سيول الوطنية، و(83000) لسنغافورة الوطنية، و(45000)، لجامعة طهران، و(25000) بحثاً لجامعة اسطنبول (أحمد، 2013، 88).

ومن الصعوبات والتحديات المتعلقة بالبحث والنشر العلمي في المنطقة العربية ما يتعلق بالأمية التكنولوجية: حيث يعاني بعض الباحثين العرب مسألة الأمية التكنولوجية، وعدم قدرتهم على استخدام الحاسوب والإنترنت بفعالية، وذلك لعدم امتلاك بعضهم للمهارات اللازمة في هذا المجال، لذلك يعتمد هؤلاء على زملاء لهم للقيام باسترجاع المعلومات المطلوبة أو على أمناء المكتبات. كما تعاني معظم الجامعات العربية من المشكلات الإدارية والتنظيمية فضلاً عن وجود فجوة بينهما وبين مشاركتها في المجتمع لعدم وجود جهاز يمكنه نشر البحوث الجامعية والتعريف بها في المجتمع لتحقيق أقصى استفادة منها. (عبد المالك، ومريم، 2019، 5-10)

خلاصة النتائج

بعد استقراء ملامح البحث العلمي للوطن العربي، والمنشور في قاعدة بيانات شبكة العلوم (ISI)، للفترة (2008-2018)، وفقاً لإحصائيات حديثة وموجزة، قدمتها منظمة المجتمع العلمي العربي - أرسكو (ARSCO)، عام 2019، ونشرتها على موقعها الإلكتروني، تخلص الدراسة إلى جملة من النتائج، أبرزها كما يأتي:

- بلغ حجم الإنتاج العلمي العربي المنشور في قاعدة بيانات شبكة العلوم (ISI)، للفترة (2008-2018)، ما يقارب (410,549) بحثاً وورقة علمية.
- حصلت السعودية على المرتبة الأولى عربياً، حيث نشرت (112,565)، ونسبة (25%)، يليها مصر في المرتبة الثانية، بواقع (106,891)، ونسبة 24%، ثم جاءت تونس في المرتبة الثالثة، بواقع (48,417)، ونسبة (11%)، ثم الجزائر رابعاً، بواقع (37,137)، ونسبة (8%)، والمغرب خامساً (26,914)، ونسبة (6%)، وجاءت بقية الدول العربية، مرتبة على التوالي: الإمارات، الأردن، قطر، لبنان، العراق، الكويت، عمان، السودان، فلسطين، سوريا، ليبيا، اليمن، البحرين، موريتانيا، جيبوتي، الصومال، وأخيراً جزر القمر.

- يشكل الإنتاج والنشر العلمي لكل من: السعودية ومصر للفترة (2008-2018)، نصف الإنتاج العربي تقريبا، بواقع (219,456) ورقة، ونسبة (49%)، وبلغ الإنتاج العلمي العربي لأربع دول عربية مجتمعة، وهي: (مصر والسعودية وتونس والجزائر)، لنفس الفترة ما يساوي (305,010)، ونسبة (74.2%)، وهي نسبة تقترب من ثلاثة أرباع الإنتاج العربي ككل، وعند إضافة إنتاج المغرب إليها، يصبح إجمالي الإنتاج العلمي للخمس دول مجتمعة لنفس الفترة، (331,924) ورقة، أي ما يقترب من (81%)، من الإنتاج العلمي العربي ككل.
- توزعت الأوراق البحثية العربية المنشورة على عدد من المجالات، وتحددت خمسة مجالات بحثية، كأكثر المجالات بحثا، ويعد مجال الهندسة الكهربائية والإلكترونية أكثر المجالات نشرًا، وتصدر قائمة المجالات في 16 دولة عربية، وحصل على المرتبة الأولى، بواقع (55,225).
- تصدرت أربعة مجالات بحثية مختلفة بعض الدول، وهي: مجال علم الزراعة في سوريا، وعلم المواد في اليمن، والأمراض المعدية في كل من: موريتانيا، وجيبوتي، وجزر القمر، والصحة المهنية والبيئية العامة في الصومال.
- بلغ إجمالي البحث العلمي لبلدان الخليج العربي مجتمعة، (173,564) ورقة، ونسبة (42%)، وبلغ الإنتاج العلمي لبلاد المغرب مجتمعة، ما يساوي (115,670)، ونسبة (28%).
- تراجع موقعي العراق، وسوريا، وهناك ست دول لم يشكل إنتاجها العلمي المنشور على قاعدة ISI، للفترة (2008-2018)، أي أرقام تذكر، وهي، على التوالي: (اليمن، البحرين، موريتانيا، جيبوتي، الصومال، جزر القمر).

استنتاجات الدراسة

بعد استعراض نتائج الدراسة، يمكن استخلاص الاستنتاجات التالية:

- تؤثر الحروب والصراعات واضطراب الأمن، على مختلف القطاعات، والخدمات، والمخرجات، ومنها الإنتاج المعرفي، كما هو واضح في كل من: السودان، وسوريا، والعراق، اليمن، وليبيا، والصومال، وغيرها.
- لا تفتقر البلدان العربية ذات الإنتاج العلمي المنخفض، إلى وجود مؤسسات جامعية، ومراكز بحثية، فهناك مؤسسات ومراكز بحثية كثيرة، ويوجد إنتاج علمي جيد لدى الباحثين، وإنما تفتقر إلى ضعف القدرة المؤسسية، والميزة التنافسية للجامعات والمراكز البحثية، وغياب التمويل والخوافز المادية

والمعنوية، وضعف الثقافة التقنية، وقصور واضح في معايير النشر العلمي المميز، وخاصة النشر الإلكتروني، وعدم إدراج مجالات علمية محلية في قواعد البيانات الدولية، وبطء استجابة الحكومات، والجامعات والمراكز البحثية، لمتطلبات التحول الرقمي، وخاصة في مجال التعليم والبحث والنشر العلمي.

- تعاظم التحديات التي تواجه الوطن العربي، نتج عنها قصور كبير في معدلات الإنتاج والنشر العلمي بقواعد البيانات العالمية المرموقة، وضعف مواكبة العصر الرقمي.

التوصيات

خلصت الدراسة إلى تقديم مجموعة من التوصيات، أبرزها:

- تطوير منظومة البحث العلمي على مستوى الدول العربية وفقاً للتحول الرقمي.
- تحديث التشريعات والقوانين واللوائح المنظمة للبحث والنشر العلمي العربي.
- تعزيز القدرة المؤسسية والميزة التنافسية للجامعات والمراكز العلمية والبحثية العربية ونشر الوعي بأهمية النشر العلمي الإلكتروني المميز، والنشر العالمي مع باحثين دوليين.
- تنشيط حركة البحث والتأليف والترجمة والنشر العلمي وتحفيز الباحثين مادياً ومعنوياً.
- زيادة الدعم الحكومي وضرورة مشاركة القطاع الخاص في تمويل البحث العلمي العربي.
- تعزيز الحضور العالمي للمؤسسات الجامعية والمشاركة في المؤتمرات العلمية المختلفة.
- تجويد المجالات العلمية العربية وإدراجها في قواعد البيانات العالمية المرموقة ومنها ISI.
- تعزيز قيم الإبداع والابتكار بين الباحثين مما ينتج عنه إعداد بحوث علمية رصينة ترقى إلى مستوى النشر في المجالات العالمية المرموقة.
- تأسيس مراكز ووحدات النشر العلمي بالوطن العربي، وجعل النشر العلمي يتصدر قائمة الأولويات في الجامعات والمراكز البحثية العربية.
- الاهتمام بالنشر الإلكتروني واستخدام التكنولوجيا الحديثة في تسهيل وسرعة إجراءات النشر.
- العمل من أجل المستقبل، والأجيال القادمة، واستدامة البحث العلمي، من خلال توطيد العلوم والتقنية وابتكار تكنولوجيا محلية وتعظيم اللغة العربية في البحث العلمي وتعزيز وجودها كلغة علمية وعالمية، وتشجيع حركة الترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية والعكس.

- حث المنظمات والجمعيات العلمية العربية على حذو منظمة المجتمع العلمي العربي ARSCO في تنمية الثقافة العلمية، وتتبع حركة الإنتاج والنشر العلمي العربي، وتوفير البيانات والإحصائيات والدراسات اللازمة عن الإنتاج والنشر العلمي العربي بين الحين والآخر.
- توجيه البحث العلمي لتطوير السياسات العامة، وصناعة القرارات، ومواجهة مخاطر الأوبئة والأزمات، وترتيب أولويات الإعمار في المنطقة العربية، وتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة.

المقترحات

- إجراء دراسة لتقييم واقع البحث العلمي العربي لفترة أطول وفقا لقاعدتي (ISI& Scopus).
- إجراء دراسة لمقارنة البحث العلمي العربي بالبحث العلمي لبعض الدول المجاورة والمتقدمة.
- إجراء دراسة لمعرفة دور المنظمات والمؤسسات العلمية العربية غير الحكومية في دعم ونشر البحث العلمي.
- إجراء دراسة لتطوير البحث والنشر العلمي العربي في ضوء متطلبات النشر الإلكتروني.
- إجراء دراسة لتأسيس قاعدة بيانات عربية رقمية موحدة في ضوء متطلبات العصر الرقمي.

المصادر

- 1 حمدان محمد زياد، ١٩٨٩ - البحث العلمي آنظام. سلسلة التربية الحديثة. دار التربية الحديثة. عمان - الأردن. (٣٠٤ ص)
 - 2 ندوة البحث العلمي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية (الواقع والتطلعات) ١٢-١٤ نوفمبر ٢٠٠٠ الرياض - المملكة العربية السعودية.
 - 3 - عبيدات عبد الحق عدس، ١٩٨٩ - البحث العلمي (مفهومه - أدواته - أساليبه) دار الفكر للنشر والتوزيع (٣٢٠ ص).
 - 4 - عساف عبد المعطي، عبد الرحيم يعقوب، مسودة مازن، ٢٠٠٢ - التطورات المنهجية وعملية البحث العلمي. مكتبة النيل والفرات. سورية (٢٥٦ ص)
 - 5 - دويدري رجاء وحيد، ٢٠٠٠ - البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية. دار الفكر المعاصر - سورية. (٥٠٤ ص) .
 - 6 - عمر زيان محمد، ١٩٨٣ - البحث العلمي، مناهجه وتقنياته. دار العلم للطباعة والنشر، جدة - المملكة العربية السعودية. (٥٣٦ ص).
 - 7 - بدر أحمد، ١٩٨٤ - أصول البحث العلمي ومناهجه. وآلة المطبوعات بالكويت (٥٥٢ ص).
 - 8 - البهادلي علي أحمد، ٢٠٠١ - أصول البحث العلمي، مؤسسة الفكر الإسلامي. - مكتبة النيل والفرات. سورية.
 - 9 - الصادق فؤاد، ١٩٨٩ - مبادئ في مناهج البحث العلمي . دار العلوم (١٨١)
 - 10 - الصيرفي محمد، ٢٠٠٢ - أساليب البحث العلمي. دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع (٤٤٩ ص)
- 11 <https://arsco.org/article-detail-1656-8-0>

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02 بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

"جائحة كورونا وتأثيراتها على الحياة الاجتماعية والممارسات الثقافية للأفراد - حالة المجتمع الجزائري"

د. عواطف عطيل لمواليدي

awatefatil@gmail.com

جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف- الجزائر

ود. وسيلة مناعي

جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف- الجزائر

wassilasocio@yahoo.com

الملخص بالعربية:

تناول ورقة البحث الموسومة "جائحة كورونا وتأثيراتها على الحياة الاجتماعية والثقافية للأفراد - حالة المجتمع الجزائري أمودجا" أهم تأثيرات الجائحة المذكورة وانعكاساتها على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية للأفراد، بما في ذلك العادات الجمعية والمناسبات الاحتفائية والشعائرية، نظرا للاضطرابات التي أصابت كل البناء الاجتماعي ووظائفه جراء انتشار جائحة كورونا كوفيد 19 واستفحالها، مما أدى إلى تغيير الكثير منها، لاسيما مع ما اقتضته ضرورة الإجراءات الاحترازية من تباعد اجتماعي وغلق معظم مؤسسات المجتمع الحيوية، والتي يعتمد نشاطها -أساسا- على التجمعات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية المباشرة. إن المجتمع الجزائري لم يكن بمنأى عن تلك التأثيرات وكل حالات الهلع والإرباك التي صاحبت ظهور الجائحة عبر العالم، فأردنا من ذلك عرض أبرز تأثيرات جائحة كورونا على الحياة الاجتماعية في المجتمع الجزائري، وبخاصة على مستوى الممارسات الثقافية.

الكلمات المفتاحية: جائحة كورونا، تأثيرات، الممارسات الثقافية.

The Coronavirus Pandemic and Its Effects on the Social Life and Cultural Practices of Individuals- The Case of Algerian Society

Dr. Awatef Atil Lemoueldi & Dr. Wassila Menai

Chadli Bendjedid University- El Taref- Algeria

awatefatil@gmail.com

wassilasocio@yahoo.com

Abstract:

The research paper titled "Corona Pandemic and its Effects on the Social and Cultural Life of Individuals - The Status of the Algerian Society as an Example" deals with the most important impacts of the mentioned pandemic and

its repercussions on various aspects of individuals' social and cultural life, including collective customs, ceremonial and ritual occasions, in view of the disturbances that afflicted all social structures and functions as a result of The spread of the Corona Covid 19 pandemic And its exacerbation, which led to the change of many of them, especially with the necessity of precautionary measures necessitating social distancing and closing most vital community institutions, whose activity depends mainly on social gatherings and direct social relations. Algerian society was not immune to these influences and all the panic and confusion that accompanied the emergence of the pandemic across the world, so we wanted from this to present the most prominent effects of the Corona pandemic on social life in Algerian society, especially at the level of cultural practices.

Keywords: Corona Pandemic, Effects, Cultural Practices.

مقدمة :

لأول مرة في التاريخ ينتشر وباء بهذه الحدة و الخطورة و الغموض حيث شهد العالم في الآونة الأخيرة تفشي وباء خطير جدا ، إنه وباء كورونا (كوفيد 19) ظهرأ أولا في مدينة ووهان الصينية في بداية ديسمبر 2019 ، وفي منتصف شهر ديسمبر أعلنت الصين عن أولى حالات الوفاة بسبب الفيروس وخلال أسابيع انتشر المرض في أكثر من دولة ومنه إلى باقي دول العالم.

إنها الجائحة التي تهدد العالم و التي تجاوزت الحدود والسيادة و القوميات و الأديان والتي أثرت على الصحة والسياسة والاقتصاد و التعليم والسياحة والرياضة و الزراعة و البورصة والنفط و البنوك و العلاقات الدولية ، بل وهددت العلاقات الإنسانية و الروابط و النظم الاجتماعية و الأنشطة البشرية و غيرت المفاهيم و المعايير الثقافية و الأهداف و الرؤى المستقبلية للأفراد و المجتمعات و الدول .

من خلال هذا فقد أصبح الوضع الراهن يشكل تحديات جديدة يواجهها العالم و الجزائر على وجه الخصوص، و هذا ما يتطلب ليس فقط محاولات لمعرفة و فهم ودراسة شكل الحياة بوجود تلك التحديات و لكن أيضا التفكير في آليات لتجاوز هذه الظروف الصعبة و وضع خطط و برامج للتعامل مع الواقع الجديد الذي خلفته الأزمة من جهة، وزيادة قدرة الأفراد على التعايش و مواجهة الأوضاع الراهنة بما تحمله من تحديات و صعوبات من جهة أخرى، ذلك لان انعكاسات الجائحة يظهر منها القليل فقط في المرحلة الحالية ،و سيظهر منها مستقبلا ربما الكثير من التحولات و التغيرات في كافة

مناحي و مجالات الحياة و خاصة ما تعلق منها بالانعكاسات الاجتماعية و الثقافية و النفسية ،بمعنى توقع تحولات أخرى قد تكون أكثر حدة و أكثر سلبية على الأفراد و المجتمع على حد سواء.

في المقابل يمكن أن تكون أزمة كورونا (كوفيد-19) نقطة تحول في الكثير من المجتمعات و الدول ،و ذلك من خلال إعادة النظر في بعض السياسات و الاهتمام ببعض المجالات التي لم تأخذ نصيبها من الاهتمام في السابق، إضافة إلى أنها دفعت الكثير من الدول إلى التفكير في مراجعة بعض النظم و القوانين خاصة تلك المتعلقة بالمجالات الحيوية مثل المجال الصحي و مجال التعليم و باعتبارهما كذلك أولى المجالات تضررا جراء الجائحة، فقد كان لهذه الأخيرة تأثير كبير و مباشر على صحة الأفراد البدنية و النفسية و الاجتماعية و على أسلوب حياتهم و نشاطاتهم و حتى على توقعاتهم و مشاريعهم و أفكارهم و رغباتهم و أهدافهم الحالية و المستقبلية، لذلك كان لا بد أن تتجه الدول للتفكير بصورة جدية و لو بطريقة تدريجية لتبني سياسات واضحة و وضع خطط مدروسة واستراتيجيات فعالة من اجل النهوض بالأوضاع الراهنة و تجاوز الأزمة بأقل الخسائر.

من خلال هذا أصبحت أزمة كورونا محور اهتمام الدارسين و الباحثين في كل المجالات و العلوم، كما باتت تحتل الصدارة في كل النقاشات و التحليلات ذات الطابع الطبي و الاجتماعي و الاقتصادي و الإنساني بوجه عام ، هي أزمة ذات انعكاسات إنسانية وأثنوبولوجية واجتماعية تمس حياة البشر بشكل مباشر كما ، وكيفا ، بل وتهدد تلك الحياة وإستمراريتها ، ومن هنا تأتي أهمية المعالجات و الدراسات الاجتماعية و الإنسانية لأزمة كورونا (كوفيد-19) ، التي لا تقل أهمية عن الدراسات الطبية والكيميائية ، فالأخيرة تسعى لإيجاد حلول جذرية للمشكلة بينما الأولى تسعى إلى تحليل الظاهرة و معالجة الآثار و السلوكات السلبية المترتبة عليها حتى لا تأخذ هذه السلوكات طابع الديمومة وتكون فقط سلوكات مؤقتة مرتبطة بظروف معينة تزول مع زوال هذه الظروف ، وانطلاقا من هذا جاءت مداخلتنا لتعالج قضية أساسية وهي جائحة كورونا و تأثيراتها على الحياة الاجتماعية و الممارسات الثقافية للأفراد، وقبل ذلك سوف نورد بعض المفاهيم التي تتعلق بالظاهرة حتى نضعها في إطارها و سياقها الصحيح وهي كمايلي:

أولا/ ضبط المفاهيم:

من أجل فهم الموضوع أكثر لابد أن نزيل اللبس عن بعض المفاهيم المتعلقة به ، والتي قد تصبح متداخلة إذا لم نحدد المعنى الحقيقي لها وهذا من أجل الإحاطة أكثر بالموضوع ، للإشارة فإن هذه المفاهيم مرتبطة بظاهرة كورونا (كوفيد-19) بصفة عامة ، وليس بموضوع دراستنا فقط ، لأنه مع ظهور و انتشار هذا الوباء ظهرت معه بعض المفاهيم و المصطلحات التي لم تكن معروفة و متداولة من قبل ، إضافة إلى انه يجب على كل فرد معرفة المعنى الحقيقي لهذه المفاهيم كون مجملها يدخل أما في إطار معرفة الوباء معرفة صحيحة و التفريق بينه و بين باقي الأمراض و الأوبئة الأخرى و بالتالي الإحساس بمدى خطورته، أو في إطار الوقاية و المحافظة على صحة الأفراد و الصحة العامة ،أو في إطار الحد من انتشار هذا الوباء، وهذه المفاهيم هي كمايلي:

1 - فيروس كورونا :

وهي سلالة من الفيروسات التي تصيب الإنسان والحيوان ، وتسبب للبشر عدوى الجهاز التنفسي العلوي و الجيوب الأنفية ، والتهابات الحلق ، ينتقل الفيروس بين البشر من شخص مصاب بالعدوى إلى شخص آخر عن طريق الاتصال المباشر دون حماية (الرذاذ ، إفرازات الأنف ، اللعاب ،...). فيروسات كورونا هي فصيلة كبيرة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان و الإنسان ،و من المعروف أن عددا من فيروسات كورونا تسبب للبشر حالات عدوى الجهاز التنفسي التي تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل: متلازمة الشرق الأوسط التنفسية و المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (السارس) ، و يسبب فيروس كورونا الجديد مرض فيروس كورونا (كوفيد-19).¹

2 - فيروس كورونا المستجد: يتمثل فيروس كورونا الجديد في سلالة جديدة من فيروس كورونا لم تكتشف إصابة البشر بها سابقا²

3 - كوفيد 19:

يشير مصطلح (كوفيد -19) إلى المرض الذي يسببه الفيروس التاجي المستجد لعام 2019 ، وقد صيغ الاسم بالشكل التالي : " كو - CO " من كلمة كورونا (تاجي) " في - Vi " من فيروس ، و " د

– d" من كلمة مرض disease بالإنجليزية ، وهذا المرض تسببه سلالة جديدة من الفيروسات التاجية تم التعرف عليها لأول مرة في مدينة "ووهان" في الصين³.

إذا فيروس كورونا (كوفيد - 19) هو فيروس مستحدث ، وهو سلالة جديدة من الفيروسات التاجية ، وتكمن خطورة الفيروس في أنه يصيب الجهاز التنفسي للإنسان مع عدم وجود علاج نهائي حتى الآن ، وهو فيروس كبير الحجم ويبقى على الأسطح لفترة طويلة وهي مدة كافية لالتقاط الفيروس ما لم تتبع طرق الوقاية والسلامة⁴

من أعراضه الأولية الحمى ، السعال و الإرهاق ، وبعد أيام من الإصابة تظهر أعراض أخرى وهي آلام في كامل الجسم التهاب الحلق ، إسهال ، صداع ، فقدان حاسي الشم والذوق ، أما بالنسبة للأعراض الخطيرة تتمثل في صعوبة أو ضيق في التنفس ، ألم أو ضغط في الصدر وفقدان القدرة على الكلام أو الحركة، وتختلف هذه الأعراض من شخص لآخر وتزداد خطورة عند الأشخاص المسنين و الذين يعانون من الأمراض المزمنة، لذلك لا يمكن تجاهل هذا المرض و أخذ الحيطة و الحذر وتطبيق قواعد السلامة وإجراءات الوقاية المطلوبة .

4- مفهوم الحجر الصحي:

مع بداية شهر مارس 2020 كان حوالي نصف سكان العالم تحت الحظر، فأصبحت الشوارع خالية من المارة و من السيارات، و باتت مدن العالم التي كانت تعج بالحركة ليل نهار كأفكار مدن أشباح. تغيرت الأنشطة اليومية للأفراد، فمنع الطفل الصغير من اللعب خارج المنزل، و الذهاب إلى المدرسة، وتوقف العامل عن الذهاب إلى مقر عمله، و طلب من الناس العمل في البيت.

وعلى نطاق واسع أغلقت البلدان حدودها مع جيرانها، وسمحت بعض البلدان عودة مواطنيها العالقين في الخارج شرط خضوعهم لحجر صحي لمدة أسبوعين، و عندما اضطرت تلك البلدان إلى تشديد الإجراءات، أقفلت حدودها بالكامل، و اضطرت مواطنوها الى البقاء في أماكنهم بغض النظر عن ظروفهم الاجتماعية و المادية⁵

وعليه فالحجر الصحي هو عدم السماح للأفراد و الجماعات بمغادرة منازلهم إلا للضرورة كالذهاب إلى العمل أو اقتناء مستلزماتهم الضرورية، لتفادي تعرضهم للعدوى كما يشمل الأشخاص المرضى و عزلهم عن الأشخاص الأصحاء خلال فترة حضانة المرض ، حتى يتم شفاؤهم .

5- مفهوم التباعد الاجتماعي:

التباعد الاجتماعي هو تجنب التجمعات و الاتصال الوثيق بالآخرين، و يعتبره الخبراء في مجال الصحة أمرا بالغ الأهمية، لإبطاء وتيرة انتشار الفيروس، و تفادي إرهاق نظم الرعاية الصحية، و ربما حمايتها من الانهيار في حالة ارتفاع معدلات الإصابة إلى مستوى لا يمكن التعامل معه بكفاءة.⁶ والتباعد الاجتماعي هو عدم التواصل المباشر بين الأفراد و الجماعات في جميع الأماكن العامة مثل العمل، الأسواق، الإدارات... تفاديا لانتشار العدوى بين أفراد المجتمع عن طريق التفاعل الاجتماعي فيما بينهم.

و يتم تطبيق التباعد الاجتماعي من خلال تطبيق مجموعة من الإجراءات منها مايلي:

- العمل من المنزل كلما كان ذلك متاحا.
 - تجنب كل التفاعلات و الاتصالات المباشرة غير الضرورية.
 - الابتعاد عن الأماكن المزدحمة كالنوادي، المسارح، الأسواق و غيرها من الأماكن العامة.
 - تجنب الاجتماع بالأصدقاء و الأسرة قدر الإمكان.
- وبالتالي فالتباعد الاجتماعي بات حتميا في ظل هذه الأزمة وقد ترتب عليه العديد من الآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية ، و ذلك لأنه تم تفسير التباعد الاجتماعي باعتباره تغيير شكل العلاقات مع الناس أو الانفصال عن الأسرة و الأصدقاء ، و نتيجة لهذا الاعتقاد الخاطئ ، بدأت منظمة الصحة العالمية في استخدام مصطلح "التباعد الجسدي" و قد تم تغيير هذا المصطلح من اجل التأكيد على انه يجب الحفاظ على التباعد الجسدي بينما نستمر في التواصل الاجتماعي مع الأسرة و الأصدقاء للحفاظ على الرفاهية و الصحة العقلية.⁷
- و في هذا الإطار ينصح خبراء الصحة النفسية و الصحة العامة بالبقاء على تواصل مع الأسرة و الأصدقاء، عن طريق وسائل الاتصال الحديثة و عبر وسائل التواصل الاجتماعي لأنها تخفف من حدة الأزمة التي يمر بها الأفراد، و تحافظ على صحتهم الجسدية و النفسية ، و من جانب آخر يحافظ الأفراد على علاقاتهم الإنسانية و الاجتماعية مع أسرهم و أصدقائهم.

6- الوباء Epidemic: هو زيادة مفاجئة وسريعة في عدد حالات المرضى على نحو أعلى من المتوقع في مجتمع معين و يمتد على رقعة جغرافية أوسع.

7- الجائحة pandemic: تحدث عندما ينتشر الوباء إلى عدة بلدان أو قارات و عادة ما يصاب عدد كبير جدا من السكان.⁸

معنى هذا أن وصف (كوفيد -19) على أنه جائحة ليس مؤشرا على أن الفيروس أصبح أكثر فتكا و إنما هو اعتراف بمدى الاتساع و الانتشار الجغرافي الكبير للمرض.

ثانيا/ تاريخ الجوائح و تأثيرها على الحياة الاجتماعية :

1 - تاريخ الجوائح:

إن الأوبئة بما فيها كورونا (كوفيد 19) تعد من الخبرات الاجتماعية التي تترك تأثيرات طويلة المدى ، وتظل انعكاساتها لسنوات وحتى لأجيال ، وقد تساهم في تطوير أو تغيير الملامح الاجتماعية للدول و خاصة مع زخم التفاعلات التي تصاحب فترة وجود الوباء ، وعلى الرغم من أن الأزمة الحالية التي يمر بها العالم لم تأت في سياق مغاير تماما للأزمات التاريخية المشابهة حيث تلعب الحلول التكنولوجية عاملا في ظهور حلول مبتكرة وتلعب وسائل التواصل الاجتماعي عاملا مكملا آخر بين نشر الوعي و الشائعات و تخفيف حدة التباعد الاجتماعي الذي يطبق حاليا ، فإن الفترة القادمة سوف تشهد سلوكيات و توجهات جديدة استجابة للوضع الحالي.

و إذا أردنا التعرف على الجوائح عبر التاريخ ، فسنجد أن التاريخ البشري سجل عددا كبيرا جدا من الجوائح، و التي تسببت في أزمات كبيرة استغرقت أوقاتا طويلة لتجاوزها.⁹

و نشرت صحيفة "ديلي ميل" البريطانية تقريرا عن أكثر الأوبئة فتكا في التاريخ، ابتداء من الطاعون الانطوني حتى فيروس كورونا المستجد، و حسب التقرير فقد ضرب الطاعون الانطوني الإمبراطورية الرومانية بين عامي 165 و 180 ميلاديا، و انتشر في مختلف أنحاء العالم متسببا في موت 5 ملايين شخص.

و بين عامي 541 و 542 ضرب طاعون جاستينيان العالم آتيا من الإمبراطورية البيزنطية ، و أودى بحياة أكثر من 30 مليون شخص.

و في عام 735، ظهر وباء الجدري الياباني بطوكيو و انتقل إلى البلدان المجاورة و أدى خلال سنتين إلى مقتل نحو مليون شخص.

أما أكثر الأوبئة فتكا على مر التاريخ، فهو الطاعون الدملي، و الذي سمي أيضا "الموت الأسود"، و قد انتشر بين عامي 1347 و 1351، و تسبب في وفاة ما يقرب من 200 مليون شخص حول العالم، و يعتقد انه نشأ في الصين او بالقرب منها، ثم انتقل الى ايطاليا و بعد ذلك الى باقي انحاء اوربا ثم الى مختلف دول العالم.

اما الجدري، فقد حصد ارواح 56 مليون شخص عند ظهوره في عام 1520، فيما اودت الكوليرا بحياة مليون شخص حول العالم بين عامي 1817 و 1923.

و في عام 1855، ظهر نوع متطور من الطاعون يعرف بـ "الوباء الثالث" في مقاطعة يونان الصينية لينتشر لاحقا الى جميع قارات العالم و يؤدي بحياة 12 مليون شخص.

و ادى انتشار وباء انفلونزا روسيا، بين عامي 1889 و 1890، الى وفاة مليون شخص، و هو تقريبا نفس عدد الوفيات الذي تسببت فيه الانفلونزا الآسيوية التي ظهرت في الصين في عام 1956. من جهتها، تسببت الانفلونزا الاسبانية عام 1918 في وفاة ما يقرب من 50 مليون شخص في عام واحد فقط و اصابت ربع سكان العالم.

و من اكثر الامراض فتكا على مر التاريخ ايضا، مرض الايدز الذي مازال منتشر حتى الان و قد تسبب في موت 35 مليون شخص منذ ظهوره في عام 1981.

و بين عامي 2009 و 2010، ظهرت انفلونزا الخنازير في الولايات المتحدة و المكسيك، و انتقلت منها الى جميع دول العالم، و اودت بحياة نحو 200 الف شخص، فيما قتل "ايولا" الذي انتشر في عدد من البلدان الافريقية و بعض دول العالم بين عامي 2014 و 2016 اكثر من 11 الف شخص.

و اودى انتشار فيروس "سارس" بحياة 774 شخصا في حين تسبب "ميرس" في مقتل 828 شخصا على الاقل منذ سنة 2012.

اما فيروس كورونا فقد ترك بصمته على جميع دول العالم ،و حصد ارواح ملايين الاشخاص ،و قد كشفت احداث الاحصائيات المتعلقة بالوباء العالمي ارتفاع عدد الاصابات الى 118 مليون و 630 الف اصابة.

كما ارتفع عدد الوفيات الى اكثر من مليونين و 631 الف حالة وفاة ،و بلغ عدد حالات الشفاء اكثر من 94 مليون و 238 الف حالة¹⁰

للاشارة فان هذه الاعداد في تزايد مستمر كون الجائحة انية و لازالت اثارها مستمرة ،لذلك لايمكن ان نعطي اعداد و احصائيات ثابتة حول هذا الوباء.

2 - تأثيرها على الحياة الاجتماعية :

تأثر الازمات و الجوائح بشكل كبير على الافراد و المجتمعات و الدول ،و يتوقف مدى تأثيرها على القدرة على التعامل مع المخاطر و الازمات و المتغيرات التي سوف تخلفها، و سوف نركز في هذا الصدد على تأثيرات جائحة كورونا على الحياة الاجتماعية، و التأثيرات المتوقعة منها كذلك ،كون الجائحة لازالت موجودة و اثارها مستمرة ،وبطبيعة الحال أدى هذا الوباء إلى تغير جذري في الحياة الاجتماعية ككل بدأت مع تطبيق الحجر الصحي وتغير نظام العيش الذي تعود عليه الأفراد ووقف نشاطاتهم المختلفة وضبط تحركاتهم كل هذا أثر على أسلوب حياتهم ككل ومن بين أهم هذه التأثيرات نذكر ما يلي: أنها أثرت إيجابا على شبكة العلاقات الإنسانية داخل الأسرة فبالنسبة للأسرة زادت عاطفة الأفراد وزاد تعلقهم ببعضهم البعض .

في مقابل التماسك والترابط الاجتماعي داخل الأسرة هناك انعكاس آخر لهذه الجائحة، وهو التباعد الاجتماعي الذي أصبح أساس الوقاية من هذا الفيروس، حيث أصبحت العلاقات الاجتماعية محدودة بل وعرفت تراجعاً كبيراً بفعل إنتشار الوباء ومن بين هذه العلاقات نذكر : علاقات العمل ، العلاقات مع العائلة الكبيرة نتيجة إلغاء الزيارات العائلية والمناسبات الأسرية ، علاقات الجيرة،....

أصبحت وسائل الإتصال الحديثة ومواقع التواصل الاجتماعي بديلاً للإجتماعات والإتصالات واللقاءات العائلية والإجتماعية ،وذلك بإحتضانها كافة أشكال الأنشطة الحياتية الهامة ، وخفضت لنا نزعتنا نحو التقارب وغريزتنا نحو الإجتماع والتواصل، وهي تشهد مع جائحة كرونا أكبر مستوى لعمليات التواصل حجماً وكثافة منذ ظهورها¹¹ ، وهذا ما أفرز نتائج سلبية أخرى لها إنعكاساتها على المستوى

الفردية والاجتماعية على حد سواء ، فمواقع التواصل الاجتماعي أثرت سلبا على مستوى وطبيعة ونوعية العلاقات الإنسانية و الاجتماعية بين الأفراد.

أدى هذا كذلك إلى زيادة المدمنين على أجهزة الكمبيوتر و الهواتف النقالة و الألعاب الإلكترونية لدى فئة الأطفال والشباب خاصة في فترة الحجر المنزلي ، مما تسبب في إثارة مشاكل داخل الأسرة سواء بين الأبناء أنفسهم أو بينهم وبين الأباء ، ناهيك عن الأضرار النفسية و الصحية الأخرى التي تسببها لهم. بروز مظاهر التكافل والتضامن و التعاون الاجتماعي داخل المجتمع خاصة في المراحل الأولى لظهور الفيروس، تمثل ذلك في مجموعة من الأعمال الخيرية والتطوعية التي يقوم بها الأفراد خاصة في مجال صنع وتوفير المعدات ولوازم الوقاية من الفيروس مثل : صنع الكمامات ومواد التطهير والتعقيم وتوزيعها مجانا على الأفراد والمؤسسات .

تطوع أصحاب المطاعم لصنع وجبات غذائية مجانية وتوزيعها على المستشفيات . تطوع الطلبة والباحثين لإبتكار حلول في مجال الصناعة الصيدلانية و التجهيز و العتاد الطبي قصد دعم المستشفيات العمومية ومساعدتها على تخطي الصعوبات الظرفية . المجتمع المدني من جهته كان حاضرا بشكل ملحوظ في تقديم مساهماته في عمليات التضامن والدعم¹² .

إضافة إلى ذلك فإن أزمة كورونا أدت إلى زيادة الإهتمام بكبار السن وذوي الإحتياجات الخاصة والمرضى في المجتمع الجزائري وإحاطتهم بعناية خاصة من طرف عائلاتهم.

إنتشار الشائعات بشكل كبير بين أفراد المجتمع وتداولها عبر وسائل التواصل الاجتماعي حول الوباء ومدى خطورته وطرق الوقاية منه وكيفية إنتقاله أو علاجه وقد إرتبطت الشائعات كذلك بمدى صدق الخطابات الرسمية والتشكيك فيها وفي التقارير المقدمة حول أعداد المصابين بالوباء سواء إرتفعت أو إنخفضت هذه الأعداد.

يمكن الإشارة كذلك إلى أن فرض الحجر الصحي أدى إلى إنخفاض حوادث المرور و تدني معدلات الجريمة مثل السرقة والاعتداء على الغير

وفي المقابل هناك كذلك حديث عن زيادة العنف الأسري بشتى أشكاله لكنها تبقى نتائج غير مطلقة ما لم تعتمد على دراسات علمية مؤكدة

من جانب آخر فإن انتشار الوباء أثر على الأفراد بأن جعلهم أكثر اهتمام بالجماعة و أقل فردية، وهذا ما كنا نفتقده جدا قبل الجائحة.

و لم يكن وقع جائحة كورونا على الصحة الجسدية فقط ، بل كان وقعها أيضا على الصحة النفسية شديدا سواء على الأشخاص المصابين أو غير المصابين ، حيث خلقت هذه الأزمة تباعد نفسي و اجتماعي كبير وازدادت بذلك نسب الوسوسة و الإحباط و الكآبة و الضغط النفسي وغيرها من الأمراض النفسية التي نلخصها فيما يلي:

-أصبحنا ننظر إلى بعضنا البعض كمصدر خطر لأننا نخاف أن نصاب بالعدوى .

-أصبحت الانترنت بديل لاجتماعات العائلة و لقاءات الأصدقاء مما خلق نوع من البرود العاطفي بين الأفراد .

-للضرورة الصحية الحالية أصبحت العزلة أفضل من معايشة الآخرين و أصبح التباعد الاجتماعي مرغوبا أكثر مما قد يؤدي إلى زيادة حالات العزلة الاجتماعية و النفسية في المجتمع.

-أصبحت تسود علاقاتنا الشخصية و الاجتماعية شيء من الريبة و القلق وعدم الارتياح تجاه بعضنا البعض.

-النظرة السلبية للأفراد المصابين أو الذين أصيبوا سابقا، حيث أصبحوا و كأنهم وصمة عار أو مصدر للمرض داخل المجتمع مما أثر سلبا على صحتهم النفسية وعلى أدوارهم الاجتماعية.

و ليس هذا و حسب ، بل أثرت الجائحة كذلك على التعليم و الصحة و الاقتصاد و السياسة و التكنولوجيا ، لذلك اعتقد أن هذا الوباء بات يشكل مرحلة جديدة في التعامل حيث غير نمط حياتنا وشكل علاقاتنا الاجتماعية و أثر فينا و في أدوارنا الاجتماعية في المقابل كذلك غير نظرنا للمجتمع وللمستقبل .

ثالثا: أهمية الممارسات الثقافية في حياة الأفراد (مقاربة إميل دوركايم)

تمثل الثقافة المحدد الرئيسي لمختلف أشكال السلوك والممارسات الاجتماعية، إذ تشمل كل الأعراف والقيم والمعايير والأخلاقيات والمعتقدات والتقاليد والطقوس والشعائر والعادات الجمعية والفنون، وهي لذلك نعد محصلة المنتجات الإنسانية المتراكمة عبر السيرة التاريخية للمجتمعات والجماعات الاجتماعية، والتي يتم توارثها عبر الأجيال اللاحقة عن السابقة. غير أن الثقافات في حد ذاتها تشكل

أنماط، بل وأنساقاً مختلفة رغم كونها خاصة إنسانية مشتركة، ومرد ذلك لمحددات بنوية تتصل بخاصية البناء الثقافي لكل مجتمع أو جماعة اجتماعية، والذي يتأثر بالعوامل السياسية والدينية والتاريخية والجغرافية داخله، حيث تنمطه وفق نموذج معين يحدد معنى الممارسات الاجتماعية والثقافية، وطرق ممارستها بشكل مميز وخاص.

إن الممارسات الاجتماعية، وتحديدًا الثقافية منها تمثل روح المجتمع، لأنها تسبغ على ممارستها من مجتمع معين خصوصية معينة، ولنا في ذلك أمثلة متعددة، فالممارسات الطقسية لدى المجتمعات الإنسانية القديمة، والمرتبطة بالمواسم الفلاحية أو المناسبات الاحتفائية كطقوس التكريس، والتي تنبع من الخضوع المتأصل في الطبيعة الإنسانية، لقوى غيبية عظيمة، تجعل الأفراد مواضين على ممارستها، وحرصين على استمرارها، كونها تضمن تماسكهم ووحدهم الاجتماعية، طالما أن سلوكهم يتوحد في الممارسات نفسها، وهم بذلك يشتركون في إشباع تلك الحاجات الاجتماعية والعاطفية والروحية، بالطرق والأساليب ذاتها، في موسم محددة، ومواقيت معلومة. وأكثر من ذلك، فإنها تكسر رتابة الحياة الاجتماعية اليومية للجماعة، حيث يتم الانتقال من اليومي المعتاد بالنسبة للفرد، إلى الجماعي الاستثنائي، فتتجدد الروح، بالتقاء الجموع لتحتفل، إذ تخترق الممارسات الاستثنائية أو الطقوسية، القواعد العادية المتبعة في الحياة اليومية. كما تقوم هذه التظاهرات الطقوسية، بتقوية مشاعر الانتماء الجماعية، والتعلق بنظام أخلاقي أعلى، يتسم بالغيبية.

وضمن هذا السياق، يمكن أن نستدل بأحد المقاربات المهمة في النظرية البنوية - الوظيفية، لصاحبها عالم الأنثروبولوجيا والاجتماع الفرنسي إميل دوركايم E.Durkheim في كتابه "الأشكال الأولية للحياة الدينية The Elementary Forms of The Religious Life" الذي نشره عام 1912، حيث يرى بأن الطقوس يوحد مشاعر الأفراد المجتمعين معاً، ويوحد إحساسهم، فيقومون بالتعبير عن أنفسهم بأفعال وممارسات مشتركة، وبذلك يؤكد لنا الفكرة التي تقول "أن الطقوس قبل كل شيء، هي الوسائل التي من خلالها تؤكد من جديد جماعة بشرية حضورها دورياً". فيقول دوركايم أن الحياة الجماعية، بوصفها إلى درجة معينة من الفاعلية، التي توفر شروطاً ديموغرافية ومجتمعية وثقافية، تعمل على بعث الحياة الدينية، لأنها تحدث حالة جيشان، تعبر شروط

النشاط النفسي، إذ لا يمكن أن يوجد مجتمع، لا يشعر بالحاجة إلى تثبيت وتقوية المشاعر الجماعية، بين فترات منتظمة ومحددة، ويتم ذلك عبر الاجتماعات والجمعيات الدينية¹³. ومن ثم، فإن دوركايم يبين الوظيفة النفسية- الاجتماعية للممارسة الطقسية، وبالتالي للثقافة.

إذن، تشكل هذه الطقوس علاقة ترابط مشتركة بين أفراد المجتمع، يجددون من خلالها ولاءهم والتزامهم بالقيم الثقافية الرئيسية في المجتمع، وتنغرس المعتقدات والمعايير في وعي الأفراد بوساطة طرق متنوعة، بحيث توجههم صوب سلوكيات مرغوبة اجتماعيا، ولا ينطبق ذلك على المجتمعات التقليدية/ أو البسيطة فحسب، وإنما ينطبق كذلك على المجتمعات المعاصرة، إذ تعد الاحتفالات الشعائرية الكبرى، مثل: تنصيب زعيم/ أو رئيس ما أو إحياء المولد النبوي (بالنسبة للمسلمين)...، تعزيزا للقيم الرئيسية (الديمقراطية، القدسية..)، وبهذا يؤكد الأفراد (المواطنون) إيمانهم بتلك القيم من جديد، من خلال الممارسات الثقافية التي يؤدونها، ويتم بذلك الحفاظ على الأنماط الثقافية وبالتالي الاجتماعية في المجتمع.

وعليه، تضمن الممارسات الثقافية بما فيها الطقسية، التماسك والتضامن الاجتماعيين، وتسمح بهذا الشكل باستمرار النمط الثقافي للجماعة الاجتماعية، الذي يتمظهر في صيغة تمثلات اجتماعية مشتركة، يستخدمها الأفراد لفهم الواقع من حولهم، "ذلك الفهم الذي يستمدونه من الأساليب، التي شكلت عقولهم ثقافيا، في أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، التي تبدأ منذ الولادة، وتعد المسؤولة عن جعل كل فرد عضوا حقيقيا في مجتمعه"¹⁴. هذا، ويركز دوركايم على أهمية الفهم الثقافي للوقت وكيفية إدارته، فالممارسات الثقافية في أي مجتمع ترتبط بمناسبات معينة، وتقويم تاريخي محدد، ليعاد إنتاجها بشكل آلي ومنتظم، لاسيما الشعائر الدينية، التي تحظى بقدسية اجتماعية، لارتباطها بالحاجات الروحية للأفراد والجماعات.

رابعا: تأثير جائحة كورونا على الممارسات الشعائرية والاحتفالية في المجتمع الجزائري

اقتضت الإجراءات الوقائية والاحترازية، للحد من انتشار جائحة كورونا وانحسارها، فرض التباعد الاجتماعي بين الأفراد، وذلك بتطبيق إجراء الحجر الذاتي المنزلي، والشح في العلاقات الاجتماعية، داخل المؤسسات التي تعد بؤرة التفاعلات الاجتماعية، مثل: المؤسسات التربوية والتعليمية والدينية

والرياضية.. إلخ، إضافة إلى الحرص الشديد على وضع الكمادات والاستعمال المكثف للمعقمات، لأجل الحيلولة دون الاحتكاك الاجتماعي، وإبطاء انتشار الفيروس وبالتالي السيطرة عليه.

لقد اتخذت جل الحكومات في العالم إجراءات غير مسبقة، للحد من انتشار الجائحة وتفاقمها، فرضت غلق المدارس والمحلات التجارية والمطاعم والمقاهي والملاعب، وأكثر من ذلك غلق الحدود الدولية، ومنع السفر والتنقل حتى داخل المحافظات، زيادة على حظر المناسبات الاحتفائية العائلية والشعائرية وكذا المهرجانات، الأمر الذي انعكس سلبا على نوعية الحياة الاجتماعية، وطرق إشباع الحاجات العاطفية والنفسية، وطبيعة العلاقات والروابط الاجتماعية بما فيها القرابية، حتى أن المصافحة والعناق وغيرها من السلوكيات الاجتماعية الحميمة، والتي تدعم التقارب والألفة باتت ممنوعة، لتستبدل بالتلويح والإشارات عن بعد ومواقع التواصل الافتراضي، وتقبل على أنها "الوضع الطبيعي الجديد"¹⁵.

لا يختلف إثنان حول أهمية المؤسسات الاجتماعية في إشباع الحاجات المتعددة للأفراد، لاسيما الاجتماعية والروحية، وأن غلقها سيعمل على العزلة الاجتماعية للأفراد، وهو ما يتناقى والفطرة الإنسانية، التي تنزع -دائما- للتجمع والتفاعل والتعاون، ذلك أن العديد من تلك المؤسسات تضمن ممارسة الأنشطة الثقافية والاجتماعية، التي تحقق التماسك الاجتماعي في المجتمع.

إن الوضع في المجتمع الجزائري، لم يكن مستثنى عن ما خبرته كل المجتمعات في العالم، وهو جزء منها، فقد تأثر كذلك بالجائحة، ابتداء من 25 فيفري 2020، حيث سجلت أول حالة بمحافظة البليلة جنوب العاصمة، وعليه سارعت الحكومة الجزائرية في تطبيق إجراءات البروتوكول الصحي، الذي يقتضي فرض التباعد الاجتماعي، والتشديد على النظافة الشخصية، وحظر التجوال بصفة جزئية، في العديد من المحافظات التي تعرف ازدحاما كبيرا بها، كما أصدرت فتاوى حول صلاة الجماعة ودفن موتى كورونا.

لقد برزت انعكاسات جائحة كورونا في المجتمع الجزائري، على مستوى الممارسات الثقافية (الشعائرية والطقسية)، والتي تحظى بقدسية وهالة اجتماعية عظيمة، كونها تشبع الحاجات النفسية والاجتماعية والروحية للأفراد من جهة، وتقوي روابط وأواصر الأخوة والتضامن والوحدة الاجتماعية من جهة أخرى، بالإضافة إلى كونها تضيئ مناخا خاصا يؤثر على نمط الحياة الاجتماعية بشكل عام.

إن الإجراءات التي اتخذتها الجزائر لاحتسار الجائحة، والتقليل من حدة انتشارها، أثرت على جل الممارسات والعادات الجماعية، التي دأب الأفراد على ممارستها، خاصة في المناسبات الدينية، حيث فرضت الإجراءات الوقائية في شهر رمضان الفضيل، غلق المساجد ومنع صلاة التراويح فيها، تجنبا للتجمعات والازدحام مما يمكن من العدوى بالفيروس، الأمر الذي أفرغ الممارسات الدينية وشعائرها من محتواها وأفقدتها معناها وبالتالي رمزيتها الاجتماعية لدى الأفراد، الذين اضطروا إلى البقاء في المنازل لآدائها فرادى، فصلاة التراويح تمثل أهم الشعائر الدينية في شهر رمضان، وهي مناسبة للتقرب من الله تعالى، والتقارب والتماسك والتآزر بين الأفراد، علما أن هذه الشعيرة تزداد عظمتها خاصة مع دخول العشر الأواخر من الشهر الفضيل، أين يحي الجزائريون ليلة القدر بالصلاة والذكر والتسبيح، وتسبغ الأجواء الروحانية عظيمة شهر رمضان الكريم. ونضيف في هذا الخصوص أن الكثير من العائلات الجزائرية، تغتنم بركة ليلة القدر لختان صبيانهم، ولم تشمل العائلة الكبيرة بإعداد أشهى الحلويات والأطباق التقليدية، غير أن إجراءات الحجر والتباعد الاجتماعي المفروضة، حالت دون ذلك.

كما أدى غلق المقاهي الشعبية إلى غياب السهرات والجلسات والأصدقاء، للتسامر والترويح عن النفس من عناء الصيام، بالإضافة إلى غلق المتاجر الكبرى ومحلات الحلويات التقليدية المختصة والمفضلة لدى جل الجزائريين (الزلاوية وقلب اللوز) والتي لا تغيب عن الجلسات الحميمة والسهرات العائلية، فهي ترمز إلى خاصية رمضان بامتياز. وهو الأمر نفسه فيما يخص الممارسات الدينية الأخرى، فقد منع أداء صلاة العيدين (الفطر والأضحى)، وفرض الحجر الجزئي على العديد من المحافظات، ناهيك عن منع المناسبات الاحتفائية العائلية في قاعات الأفراح، مما أثر على متانة الصلات القرابية للأفراد، حيث رفعت الحكومة الجزائرية عدد ساعات الحجر المنزلي إلى 18 ساعة في عيد الفطر، ومنعت حركة السيارات والدراجات النارية داخل المحافظات وبينها، طوال عطلة العيد¹⁶.

هذا، وقد تأثرت العديد من الممارسات الدينية وطقوسها بإجراءات البروتوكول الصحي، حيث منع الذبح في الأحياء والتجمعات لغرض الذبح، وفتحت المذابح البلدية لذات الغرض، غير أن عمليات التعاون والتشارك الاجتماعيين ومظاهر الفرحة غابت تماما، فالممارسات الثقافية والحال هذه، تأخذ قيمتها ووزنها ومكانتها من رمزيتها الاجتماعية، والمعنى الذي يحمله الأفراد لها، والأجواء الطقسية التي تضفيها الجماعة في ممارستها لها. لقد أثرت جائحة كورونا على الحياة الاجتماعية برمتها، لأن الجائحة تنخر ما هو

فطري ومتأصل في حياة الإنسان، لقد أثرت على طبيعة التجمع والتفاعل الاجتماعي، وأن التقليل من شدة انتشارها وسبل انحسارها، لا يكمن في تناول الأدوية فحسب، الأمر الذي جعل منها أخطر المشكلات الصحية على الإطلاق.

خاتمة:

في الأخير، نأمل أن نكون قد وفقنا إلى حد ما، في عرض صورة واضحة عن تأثيرات جائحة كورونا على أهم الممارسات الثقافية والشعائرية والاحتفائية في المجتمع الجزائري، والتي فقدت الكثير من معناها ورمزيتها، بتراجع ممارستها الاجتماعية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تكامل الجوانب المكونة للحياة الاجتماعية، فعندما تأثر الجانب الصحي تداعى له الجسم الاجتماعي برمته، وهو ما انعكس في مختلف مؤسسات المجتمع والممارسات فيها.

الهوامش:

¹ منظمة الصحة العالمية ، فيروس كورونا المستجد (COVID-19) دليل توعوي صحي شامل <https://www.unrwa.org.files> تاريخ النشر: 2020/03/05 ، تاريخ الزيارة 2021/03/25. التوقيت 23:00

² منظمة الصحة العالمية ، مرض فيروس كورونا (كوفيد-19) <https://www.who.int-q-a-detail/coronavirus-disease-covid19>. تاريخ النشر: 2020/10/12 ، تاريخ الزيارة 2021/03/28. التوقيت 12:50.

³ اليونيسف: مرض فيروس كورونا (كوفيد-19) ، مالذي ينبغي أن يعرفه الآباء والأمهات <https://www.unicef.org/ar-coronavirus>. تاريخ الزيارة 2021/03/15 الوقت 22:00.

⁴ اليونيسف : الدليل الإرشادي للوقاية من مرض فيروس كورونا (كوفيد19) للعاملين في المجال التوعوي في المجتمع <https://www.unicef.org.file> تاريخ النشر ماي 2020 ، تاريخ الزيارة 2021/02/20 التوقيت 21:30

⁵ مصطفى عمر التتر : أسئلة بحثية تطرحها جائحة كورونا على علماء الاجتماع ، كتاب جماعي بعنوان : أزمة كورونا وإنعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية و العلاقات الدولية، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة قطر ، 2020 ، ص 33.

- ⁶ أحمد حسن بلح : الهدوء النفسي في زمن كورونا ، لاداعي للذعر ولكن إحدرو <https://www.scientificamericam.com> تاريخ النشر 2020/04/26 ، تاريخ الزيارة 2021/03/08 التوقيت 22:00
- ⁷ اليونيسف : التباعد الجسدي وليس التباعد الاجتماعي <https://www.unicef.org.sudan> تاريخ النشر 2020/04/28 تاريخ الزيارة 2021/03/28 التوقيت 20:00.
- ⁸ حنان عيسى ملكاوي : تداعيات جائحة فيروس كورونا المستجد على الأمن الصحي العربي ، نشرة الألسكو العلمية ، العدد الثاني ، يونيو 2020 ، ص 7. <https://www.alesco.org>
- ⁹ جريدة الشرق الأوسط : بالأرقام... أكثر الأوبئة فتك على مر التاريخ <https://aawsat.com.home/article> تاريخ النشر 2020/03/18 تاريخ الزيارة 2021/03/25 التوقيت 15:18.
- ¹⁰ العين الإخبارية : كورونا حول العالم ، نشر في: صحة - فيروس كورونا <https://al-ain.com/article/corona-world> تاريخ النشر 2021/03/11 تاريخ الزيارة 2021/03/27 التوقيت 23:00.
- ¹¹ أسماء حسن ملكاوي : كورونا وعلم الاجتماع أسئلة جديدة ، أزمة كورونا وإنعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية ، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة قطر ، 2020 ، ص 15.
- ¹² عبد العزيز جراد : إنعكاسات كورونا على الاقتصاد الوطني ، الإداعة الجزائرية ، يوم 2020/07/18.
- ¹³ مارتين سيغالان ، الطقوس والطقوسيات المعاصرة من ذاكرة الأنثروبولوجيا إلى الممارسة، ترجمة: ميلود حكيم، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، العدد: 46، المجلد: 12، شركة حوار للصحافة والنشر - بيروت
- ¹⁴ ديفيد انغليز وجون هيوسون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة: لما نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - بيروت، ط1، 2013، ص 54
- ¹⁵ منظمة التعاون الإسلامي، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لجائحة كوفيد 19 في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي (الافاق والتحديات)، مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية (سيسرك)، مايو 2020، ص 45
- ¹⁶ يونس بورنان، الجزائر تشدد حظر التحوال بعطلة العيد إلى 18 ساعة، <http://al-ain.com/article/algeria-flights-corona> تاريخ النشر: 2020/05/19 ، تاريخ الزيارة: 2021/03/03 التوقيت: 14:10.

المراجع:

- ¹ - أحمد حسن بلح : الهدوء النفسي في زمن كورونا ، لاداعي للذعر ولكن إحدرو <https://www.scientificamericam.com> تاريخ النشر 2020/04/26 ، تاريخ الزيارة 2021/03/08 التوقيت 22:00
- ² - أسماء حسن ملكاوي : كورونا وعلم الاجتماع أسئلة جديدة ، أزمة كورونا وإنعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية ، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة قطر ، 2020 ، ص 15.
- ³ - اليونيسف : التباعد الجسدي وليس التباعد الاجتماعي <https://www.unicef.org.sudan>. تاريخ النشر 2020/04/28 تاريخ الزيارة 2021/03/28 التوقيت 20:00.
- ⁴ - اليونيسف : الدليل الإرشادي للوقاية من مرض فيروس كورونا (كوفيد-19) للعاملين في المجال التوعوي في المجتمع <https://www.unicef.org.file>. تاريخ النشر ماي 2020 ، تاريخ الزيارة 2021/02/20 التوقيت 21:30
- ⁵ - اليونيسف: مرض فيروس كورونا (كوفيد-19) ، مالذي ينبغي أن يعرفه الآباء والأمهات <https://www.unicef.org/ar-coronavirus>. تاريخ الزيارة 2021/03/15 الوقت 22:00
- ⁶ - جريدة الشرق الأوسط : بالأرقام... أكثر الأوبئة فتك على مر التاريخ <https://aawsat.com.home/article> تاريخ النشر 2020/03/18 تاريخ الزيارة 2021/03/25 التوقيت 15:18.
- ⁷ - حنان عيسى ملكاوي : تداعيات جائحة فيروس كورونا المستجد على الأمن الصحي العربي ، نشرة الألسكو العلمية ، العدد الثاني ، يونيو 2020 ، ص 7. <https://www.alesco.org>
- ⁸ - ديفيد انغليز وجون هيوسون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة: لما نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات- بيروت، ط1، 2013
- ⁹ - عبد العزيز جراد : إنعكاسات كورونا على الإقتصاد الوطني ، الإداعة الجزائرية ، يوم 2020/07/18.
- ¹⁰ - مارتن سيغالان، الطقوس والطقوسيات المعاصرة من ذاكرة الأنثروبولوجيا إلى الممارسة، ترجمة: ميلود حكيم، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، العدد: 46، المجلد: 12، شركة حوار للصحافة والنشر- بيروت
- ¹¹ - مصطفى عمر التتر : أسئلة بحثية تطرحها جائحة كورونا على علماء الاجتماع ، كتاب جماعي بعنوان : أزمة كورونا وإنعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية و العلاقات الدولية، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة قطر ، 2020 ، ص 33.

-
- 12 - منظمة الصحة العالمية ، فيروس كورونا المستجد (COVID-19) دليل توعوي صحي شامل
<https://www.unrwa.org.files> تاريخ النشر: 2020/03/05 ، تاريخ الزيارة
23:00.التوقيت 2021/03/25
- 13 - منظمة الصحة العالمية ، فيروس كورونا المستجد (COVID-19) دليل توعوي صحي شامل
<https://www.unrwa.org.files> تاريخ النشر: 2020/03/05 ، تاريخ الزيارة
23:00.التوقيت 2021/03/25
- 14 - منظمة الصحة العالمية ، مرض فيروس كورونا (كوفيد -19)
<https://www.who.int-q-a-detail/coronavirus-disease-covid19> تاريخ
النشر 2020/10/12 ، تاريخ الزيارة 2021/03/28.التوقيت 12:50.
- 15 -منظمة التعاون الإسلامي، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لجائحة كوفيد 19 في الدول الأعضاء في منظمة التعاون
الإسلامي (الافاق والتحديات)، مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية (سيسرك)،
مايو 2020
- 16 - يونس بورنان، الجزائر تشدد حظر التجوال بعطلة العيد إلى 18 ساعة، <http://al-ain.com/article/algeria-flights-corona>، تاريخ النشر: 2020/05/19، تاريخ الزيارة:
14:10. التوقيت: 2021/03/03

أساليب وقيم الحوار الذكوري والأنثوي في ثقافة المجتمع الكويتي

د. محمد طالب الكندري*، د. أحمد الهولي**، أ. د. يعقوب يوسف الكندري***

*أستاذ مساعد قسم أصول التربية-كلية التربية الأساسية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب،

mohammadtm@kotkus.org

**أستاذ مساعد قسم أصول التربية-كلية التربية الأساسية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب،

sadan100@hotmail.com

***قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بكلية العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت.*

alkandari66@hotmail.com

الملخص بالعربية:

تهدف الدراسة الحالية للكشف عن الاختلافات الثقافية في أساليب وطرق وقيم الحوار داخل المجتمع الكويتي من خلال الكشف عن الاختلافات بين الذكور والإناث في طريقة وأسلوب المعاملة الوالدية المبني على الحوار اتجاههم سواء من جانب الأب أو من جانب الأم. اعتمدت الدراسة على عينة بلغت 725 مستجيب ومستجيبة من الجنسين، وتم تطبيق وقياس الحوار الوالدي بشقيه باتجاه الأب وباتجاه الأم والذي تم استخدامه وتطبيقه في المشروع الأساس وفي دراسات سابقة على المجتمع الكويتي. تم الاعتماد على الإحصاء الوصفي والاستدلالي للإجابة على أسئلة الدراسة. فقد خلصت نتائج الدراسة إلى انخفاض في معدلات الحوار بشكل عام عند الذكور والإناث. وقد خلصت الدراسة أيضاً إلى وجود فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث في ثقافة أفراد المجتمع المحلي المنحدرين من أصول قبلية وأصول حضرية، حيث سجلت النتائج أن مستوى الحوار أكبر مع الأم عند أفراد العينة من الجذور القبلية بالمقارنة بالجذور الحضرية. ولم تكشف الدراسة عن هذه الفروق بين الأب وأبنائه سواء الإناث والذكور في الثقافتين. تخلص الدراسة إلى أن الإناث المنحدرات من أصول قبلية هن أكثر تواصلًا مع أمهاتهن من المنحدرات من أصول حضرية. ولم يتحقق ذلك عند الذكور مما يدل على أن التنشئة الذكورية في المجتمع المحلي لا ترتبط بالحوار الوالدي مع الأبناء بقدر ما ترتبط بأسلوب تربيته متسلط، وهو الأمر الذي لا ينطبق على الإناث مع والدتهن كما أشارت نتائج الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الحوار في المجتمع العربي، قيم الذكورة، المجتمع الكويتي، التفاعل الوالدي

Methods and values of male and female dialogue in Kuwaiti society culture

Mohammed T. Al-Kandari, Ph.D. Assistant Professor

College of Basic Education, PAAET, Kuwait

mohammadtmt@kotkus.org

Ahmed AL-Houli, Ph.D.; Associate Professor

College of Basic Education, PAAET, Kuwait

sadan100@hotmail.com

Yagoub Y. Al-Kandari, Ph.D.; Profeesor

College of Social Sciences; Kuwait University; Kuwait

alkandari66@hotmail.com

Abstract :

The study aims to examine the cultural differences in the dialogue values in Kuwaiti society. It examines the differences between males and females children in the ways and style of parental socialization, whether on the father or mother sides. A sample of 725 participants were selected. Dialogue scale from both father and mother sides was used. Descriptive and Inferential statistics were used to answer the research questions. Results showed that the rates of dialogue in general among males and females decreased. Results show statistically significant differences between males and females in both the tribal and urban origins respondents in dialogue scale. Results showed that dialogue with mother is greater among the sample of the tribal roots compared to urban roots. The study did not reveal differences between the father and his children, whether females and males, in the two subgroups. The study concludes that females of tribal origins are more connected to their mothers than those of urban descendants. This was not achieved by males which is related to an authoritarian educational style.

Keywords: Dialogue in Arab Society, Male values, Parental child interaction, Kuwait Society.

المقدمة:

الحوار هو أحد أبرز العلاقات التفاعلية داخل نطاق الأسرة والذي يتأثر بشكل واضح وكبير بعملية التنشئة الاجتماعية. فالتنشئة الاجتماعية هي الأساس في ترسيخ قواعد الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة، وهي المسئولة كذلك عن غيابه. ويتصف المجتمع العربي المعاصر من مجموعة من التراكيب الخاصة في البناء الاجتماعي العام والبناء الأسري بشكل خاص والذي يجعل له خصوصية إذا ما تمت مقارنته

بالمجتمعات أو الثقافات الإنسانية الأخرى. فهناك وسائل تربوية تختلف في محيطها العربي عن تلك التي يتم ممارستها في المجتمع الغربي على سبيل المثال. فقواعد التنشئة الاجتماعية تختلف. وعلى الرغم من الاختلاف في تعدد مفهوم التنشئة الاجتماعية وما يمكن اعتبارها من أنها عملية "تعليمية" كما يراها البعض⁽¹⁾، أو كما يراها البعض الآخر بأنها عملية تطبيع أو تثقيف اجتماعي، وعملية تسهم في نقل التراث الثقافي أو عملية التفاعل الاجتماعي⁽²⁾، فعلى الرغم من هذا التباين في هذا المفهوم، إلا أنها في النهاية هي المسؤولة عن العلاقات التفاعلية داخل نطاق الأسرة، وهي المسؤولة أيضا بتحديد مستوى هذه العلاقات بالتوافق مع الأدوار الاجتماعية التي يمكن أن تسهم في عملية التأثير على مستويات هذا الحوار. وهي مسؤولة أيضا عن تداعيات وسلوكيات الفرد بعد خروجه للمجتمع. فتعتبر تنشئته الأسرية انعكاسا لواقع الاجتماعي وسلوكه في المجتمع الخارجي. فما تعززه الأسرة من خلق قنوات حوارية مع أعضائها ينعكس بكل تأكيد على الفرد عند مواجهته المجتمع الخارجي، ويرتبط سلوكه بما تأثر به خلال عملية تنشئته الاجتماعية الأولى.

ولعل التفاوت الثقافي داخل المجتمعات الإنسانية في عملية التنشئة الاجتماعية بشكل عام وأثرها أيضا وانعكاسها على مستويات الحوار تعتبر سمة من سمات هذه المجتمعات. فما يمكن أن يكون مقبولا في ثقافة ما، لا يمكن أن يلقى القبول نفسه في مجتمع أو ثقافة أخرى. فالقيم الذكورية على سبيل المثال، هي قيم مترسخة في المجتمع العربي، وهي حصيلة لتنشئة اجتماعية وليدة لبيئة مسؤولة عن هذه القيم وانتشارها كما أوضحته بعض الدراسات⁽³⁾. وهي بكل تأكيد لا يمكن أن تكون بالحصيلة القيمية نفسها في المجتمع الغربي. فالقيم الذكورية والأنثوية تتعدد بين المجتمعات المختلفة. وحتى في المجتمع الواحد، وبوجود الثقافات المختلفة، نجد أن هناك تفاوتات في هذا الموضوع وتعزيز القيم الذكورية عند ما يسمى بالثقافات الفرعية التي قد تكون أكبر منها في ثقافة فرعية أخرى نتيجة لاختلافات بيئية تاريخية ترتبط بالنشأة لهذه الثقافات. فهي ثقافات تخضع لعملية نشأة اجتماعية قد تكون مختلفة حتى في إطار المجتمع الواحد، وهو الأمر الذي لا يخرج عن ثقافة المجتمع الكويتي تحديدا كأحد المجتمعات الخليجية والعربية التي تتشابه في كثير من الخصائص الثقافية والاجتماعية في عملية التنشئة الاجتماعية تحديدا كما أوضحها حلیم بركات⁽⁴⁾. ولذلك، فإن أساليب الحوار والقيم الذكورية والأنثوية المرتبط به تتأثر بشكل واضح وكبير

بأساليب التنشئة الاجتماعية المتفاوتة في المجتمع الواحد. وهو ما تسعى الدراسة الحالية للكشف عنه، وبالتحديد الكشف عن أساليب وقيم الحوار الذكوري والأنثوي في ثقافة المجتمع الكويتي تحديداً.

أهمية الدراسة:

تنطلق أهمية الدراسة من أهمية عملية التنشئة الاجتماعية أساساً في تشكيل شخصية الفرد، ودراسة هذا الموضوع الذي يشكل شخصية الفرد المستقبلية ويشكل علاقته مع الآخرين، وبالتحديد سلوكه المتعلق بالحوار. فيشكل الحوار شخصية الفرد وطريقة تفاعله وتعامله مع الآخر ومع أفراد المجتمع. إن الحوار وأسلوبه وطريقته هو بعد مهم من أبعاد المواطنة الصالحة التي تفرض احترام الرأي والرأي الآخر، ولا يمكن أن يقوم مجتمع من المجتمعات على أسس قومية ويتقدم ويتطور في وجود ثقافة النزاع بدلاً من الحوار واحترام الآخر الذي تنطلق منه هذه الدراسة. فتقف الدراسة على هذا البعد المهم في التفاعل مع الآخر وفي المجتمع الذي يسعى إلى خلق مواطنة صالحة. هذا بالإضافة إلى أنها تكشف عن أساليب تربوية خاصة بثقافة المجتمع وقيمه باتجاه النوع سواء أكان ذكورياً أم أنثوياً. فهي تكشف عن هذه الاختلافات في التنشئة الاجتماعية تجاه النوع وتكشف عن واقع الحوار بالنسبة للنوع الاجتماعي وكيف يمكن أن يندمج الفرد ذكراً كان أو أنثى في المجتمع وتفاعلاته الاجتماعية. وكذلك، تكمن أهمية الدراسة في سد النقص في المكتبة المحلية والتي تتناول هذا الموضوع تحديداً. فهناك العديد من الدراسات التي تناولت موضوع التنشئة الاجتماعية بشكلها العام، إلا أن التركيز على الحوار تحديداً كأحد الملامح الشخصية للفرد قد يعد نادراً، وهو ما تسعى الدراسة الحالية إلى الكشف عنه.

الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية للكشف عن الاختلافات الثقافية في أساليب وطرق وقيم الحوار داخل المجتمع الكويتي من خلال الكشف عن الاختلافات بين الذكور والإناث في طريقة وأسلوب المعاملة الوالدية المبينة على الحوار واتجاههم سواء من جانب الأب أو من جانب الأم. فتسعى الدراسة إلى تحقيق هدف عام يتمثل في أهمية الحوار داخل المجتمع الإنساني بشكل عام، والمجتمع الكويتي بشكل خاص، والاتجاهات نحو الاختلاف في مكونات التنشئة الاجتماعية فيما يتعلق بالحوار بين الجنسين داخل المجتمع.

أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الإجابة على الأسئلة البحثية الآتية:

1. هل هناك فروق دالة إحصائية بين قيم الحوار مع الأب وقيم الحوار مع الأم لأفراد العينة؟
2. هل هناك فروق بين أفراد العينة من المنحدرين من الجذور الحضرية، ومن الجذور القبلية في قيم الحوار تجاه الأب، وتجاه الأم؟
3. هل هناك فروق بين الجنسين من أفراد العينة في قيم الحوار تجاه الأب والأم للمنحدرين من الجذور الحضرية والجذور القبلية؟
4. هل هناك علاقة دالة إحصائية بين قيم الحوار باتجاه الأب وباتجاه الأم عند أفراد العينة من المنحدرين من الجذور الحضرية، والجذور القبلية مع بعض المتغيرات الاجتماعية؟

التنشئة الاجتماعية والحوار في ثقافة المجتمع:

تناولت عديد من الدراسات الاجتماعية والتربوية أساليب التربية والتنشئة الاجتماعية. وبينت معظم الدراسات - سواء على المستوى الدولي والمحلي والإقليمي - أهمية الحوار ودوره الفاعل في تربية النشء على السلوكيات المرغوبة من قبل الوالدين والمجتمع. وعلى مستوى الدراسات الغربية، جاءت عديد من الدراسات التي تناقش مثل هذه العلاقة. فقد كشفت، على سبيل المثال، نتائج دراسة كركمار⁽⁵⁾ بأن الآباء الذين يحاورون أبنائهم بطريقة هادئة من خلال السماح لهم بالمشاركة في اتخاذ القرارات، والطلب منهم إبداء آرائهم بالمواضيع، يكون لدى أبنائهم ثقة عالية بالنفس وشعور بالذات بدرجة مرتفعة، مع ميلهم للدور القيادي. كما بينت الدراسة أيضا إلى أن الأطفال وبسبب الحوار المفتوح مع آبائهم داخل العائلة، وعدم استخدام لغة الأمر والسلطة، أصبح بإمكانهم المشاركة في اتخاذ القرارات وطرح الأسئلة بدرجة كبيرة من الحرية، مع شعورهم بالمساواة مع الآباء في اتخاذ القرارات وطرح الأسئلة.

وقد أوضحت دراسة كاكزيسكي و كوجانسكا⁽⁶⁾ بأن الأم التي تستخدم الأوامر المباشرة المصحوبة بنبرة دافئة وليست عنيفة للأطفال بعمر ثلاثة سنوات، يكون الأطفال فيها مدعنين ومتقبلين للأوامر. وأشارت الدراسة إلى أن الإصرار الوالدي على استخدام النفوذ يجب أن يتم من خلال التوضيح والمناقشة لتنمية ذات الطفل وتعويده على الطاعة. كما بينت دراسة ثومبسون⁽⁷⁾ بأن النمو العقلي والنفسي للطفل وخبراتهم مع أنفسهم والآخرين، ينمو ويتطور عن طريق المحادثة أو الحوار وخصوصا مع

شخص ناضج. وأوضحت هذه الدراسة بأن حوار الآباء للأبناء يساعد على نمو العقل في حال وجود جو عاطفي داخل المنزل مع مؤثرات أخرى.

بحث دراسة لانسفورد وآخرون⁽⁸⁾ ما إذا كانت المعايير الثقافية لمعتقدات الآباء وسلوكياتهم يتوسط بين تلك المعتقدات والسلوكيات وبين تكيف الشباب، والأمهات والآباء والأطفال. وقد بينت الدراسة وجود اختلافات بين الثقافات فيما يتعلق بالتحصيل الأكاديمي والسلوكيات الخارجية، والسلوك الداخلي. كما توصلت الدراسة إلى أن العلاقة بين توقعات الأمهات فيما يتعلق بالالتزام الأسرية للأطفال والكفاءة الاجتماعية لهم أقوى في الثقافات التي كانت فيها توقعات الالتزام الأسري أكثر. وتم تفسيرها أن الأمهات يقضون وقتاً أطول من الآباء مع أطفالهم، وبالتالي فهم أكثر دراية بحياة أطفالهم ومشاركتهم فيها. وقد توصل الباحثون إلى ثلاثة استنتاجات، تمثل الأولى في تميز الكفاءة الاجتماعية للشباب، والسلوكيات الاجتماعية الإيجابية، والتحصيل الأكاديمي، والاستيعاب السلوكي بمزيد من التباين داخل الثقافة أكثر من التباين بين الثقافات. أما الاستنتاج الآخر فارتبط بقلة الأدلة على وجود الاختلافات بين الثقافات في الروابط بين الأبوة والأمومة وتكيف الشباب. أما الاستنتاج الثالث، فقد أشاروا إلى أن من المرجح أن تكون محاولات تعزيز تكيف الشباب أكثر نجاحاً، إذا تم الانتباه للعوامل داخل الثقافة التي تعزز التكيف الإيجابي لهم.

وقد أوضحت دراسة لانجلاند و سريفاستافا⁽⁹⁾، على استكشاف تأثير ثقافة الوالدين وفترة قضاء أوقاتهم مع أطفالهم في السنين المبكرة من عمرهم. وفي الربط بين الجانب التربوي والتعليمي للوالدين وتأثيره، فقد وجدت الدراسة إن الآباء الأكثر تعليماً يقضون وقتاً أطول في رعاية لأطفالهم، وقد جاء ذلك نتيجة لتأثير الثقافة والتعليم والوعي على رعاية الأطفال. وقد كشفت النتائج إلى أن ذلك يرداد عند النساء بمقارنتها عن الرجال على الرغم من انشغال النساء أكثر في مشاغل الحياة وأعمال المنزل.

وقد قام كاراموتو⁽¹⁰⁾ بدراسة نوعية تتعلق بكيفية تعامل الآباء مختلفي الثقافات في اليابان. فقد كشفت الدراسة بأن هناك نقاط قوة في تربية الأبناء من خلال تكوين قوة احترام وتقدير بينهم في قبل الأبوة وأثنائها. وبيّنت الدراسة إلى أن التواصل والتكيف والاحترام لهم دور كبير في تحويل الآراء الثقافية المختلفة في التربية إلى قضايا سهلة الحل والمناقشة والتي لها تأثير كبير في تربية الأبناء بين تلك الثقافات المختلفة. وفي دراسة تو وزملاءه⁽¹¹⁾ بيّنوا أن خلال السنين الأخيرة وفي أواخر عهد الحداثة، ظهر وعياً

متزايدا بظهور مخاطر أدت إلى تعقيد أدوار الوالدين وخياراتهم، فقد بذلت محاولات قليلة لاستكشاف كيف يمكن لتعليم الوالدين تمكينهم من إعادة بناء الأبوة وتحويل الحياة إلى الأفضل لصالح الأبناء. وقد أشارت النتائج إلى أن الآباء أكثر استعدادا لمواجهة تحديات الثقافة للأبوة والأمومة لأطفالهم في المستقبل. وفي مجال الدراسات العربية، جاء عدد من الدراسات التي تناولت هذا الجانب أيضا. فقد تناولت دراسة نظرية عامة للكندري⁽¹²⁾ طبيعة وثقافة الحوار عند الفرد داخل المجتمع العربي بشكل عام والتعامل مع الأبناء وأبرز السمات الخاصة بهذا الفرد. وقد ركزت الدراسة على مجموعة من المؤثرات الداخلية والخارجية التي تؤثر في تشكيل هذا السلوك. وانتقلت الدراسة لتركز على مستقبل الحوار في المنطقة العربية بشكل عام واتجاهه في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية التي تمر بها المنطقة، مع تعزيزها بمجموعة من الشواهد والأمثلة النظرية والميدانية التي تصب في تشكيل شخصية الفرد العربي. ففي دراسة بختة⁽¹³⁾ الميدانية، تم استخدام مقياسين: أساليب المعاملة الوالدية، والتوافق النفسي، مع تناول هذه الدراسة لطبيعة العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية، وعلاقتها بالتوافق النفسي لدى تلاميذ سنة رابعة ابتدائي. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى عدم وجود علاقة ارتباطية لأساليب المعاملة بجميع أبعادها، والدرجة الكلية للتوافق النفسي، وكذلك أوضحت إلى عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في درجة أساليب المعاملة الوالدية، وفي التوافق النفسي وأبعاده، وعدم وجود فروق بين أساليب المعاملة الوالدية بأبعادها، والتوافق النفسي تبعا للمستوى التعليمي للآباء. وقد أكد الباحث على ضرورة ممارسة أساليب المعاملة الإيجابية من قبل الوالدين لما لها من أثر في تحقيق التوافق النفسي.

ومن جانب آخر، قام دمنهوري⁽¹⁴⁾ بإجراء دراسة على 272 طالبا من جامعة الملك عبد العزيز تتراوح أعمارهم بين 20 - 24.5 سنة مستخدما مقياس عوامل الشخصية الخمسة الكبرى (العصابية، الانبساطية، الانفتاحية على الخبرات، الانسجامية، يقظة الضمير) ومقياس لإدراك أساليب المعاملة الوالدية. تناولت الدراسة العلاقة بين نواحي من شخصية الأبناء السعوديين الذكور، وأساليب معاملة الوالدين (الأب الأم) كما أدركها الأبناء. كشفت النتائج عن اختلافات جوهرية بين الآباء والأمهات في انعكاسات أساليب معاملتهم للأبناء الذكور على نواحي شخصياتهم.

وقد كشفت دراسة حلاوة⁽¹⁵⁾ عن دور الوالدين في تحقيق النمو الاجتماعي للأبناء بأفضل الأساليب التربوية. وقد أجريت الدراسة على عدد من أولياء الأمور في مدينة دمشق والتي توصلت إلى انه

لا يوجد اختلافات في المعاملة الوالدية من حيث الجنس في المعاملة الوالدية في بناء الشخصية للأبناء علما بأن الآباء أشد تأثيراً وتمسكاً في السلوكيات الاجتماعية. ولم تكشف الدراسة عن وجود تأثير للمستوى التعليمي والاقتصادي في التأثير على شخصية الأبناء، والذي أرجعه الباحث إلى العادات والقيم الاجتماعية. وتستنتج الدراسة إلى أن الآباء متفقون على الدور التربوي للوالدين في تكوين الأبناء تكويناً اجتماعياً، ولم تظهر فروقا كبيرة في آرائهم حول هذا الدور، سواء أكانوا آباء أم أمهات، أو من أي مستويات تعليمية أم اقتصادية.

وأوضحت كذلك نتائج دراسة أشواق⁽¹⁶⁾ - التي هدفت إلى التعرف على أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بمستوى التحصيل الدراسي للوالدين - إلى أهمية المستوى التعليمي للآباء وتأثيره في نوعية الأساليب المستخدمة في معاملة الأطفال، حيث يقل الأسلوب التسلطي وارتفاع المستوى الحازم (الديمقراطي) بارتفاع مستوى التعليم للوالدين. بينما هدفت دراسة بوفولة⁽¹⁷⁾ إلى إيضاح أساليب التربية الوالدية والقيم التي يرى عليها كل أسلوب من أساليب التربية الوالدية. فقد أشارت الدراسة إلى وجود اختلافات بين القيم الناتجة عن اختلاف الثقافات في التعامل مع الأطفال. فالأسلوب التسلطي يبي الأطفال على الصرامة والاستبداد، ويكون الكفل فيها أقل تحملاً للمسؤولية وأكثر تبعية لأولياهم، وكذلك الميل إلى العنف والعدوانية. أما أسلوب التسامح فإنه يسمح باعتياد الطفل على القيم، وتحمل المسؤولية. أما الأسلوب الديمقراطي، فهو يبي الأبناء على قيم حرية الرأي وأكثر تفاعلاً من غيرهم وأكثر استقلالية عن الوالدين واعتماد أكثر على أنفسهم ويكونون حياة اجتماعية سليمة وقوية.

وعلى مستوى الدراسات المحلية، فجاء عدد من الدراسات التي تناولت موضوع التنشئة الاجتماعية وأساليب المعاملة الوالدية المتسلط والمتسامح، وأسس الحوار المبنية على هذه الأساليب. فقد هدفت دراسة البشر والقشعان⁽¹⁸⁾ إلى الكشف عن العلاقة بين إدراك الأبناء السلبي للمعاملة الوالدية وعلى كل من القلق والاكتئاب لدى الأبناء. وقد أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق دالة بين الجنسين في إدراك الأبناء السلبي للمعاملة الوالدية فيما يتعلق بالأم، وفي المقابل كشفت عن وجود هذه الفروق بينهما على الإدراك السلبي للمعاملة الوالدية فيما بالأب. كما بينت النتائج إلى العلاقة بين الإدراك السلبي للمعاملة الوالدية باتجاه الأب والأم مع القلق والاكتئاب. وقد أوضح ليري⁽¹⁹⁾، في دراسته الاستطلاعية الخاصة عن العلاقة بين الأسرة وتصرفات المراهقين إلى أهمية أن يشترك المراهق مع الأسرة في

اتخاذ القرارات، فهي نوع من التدريب في تحمل المسؤولية الأسرية. وأكد على أهمية ما أسماه بالمنزل الديمقراطي الذي يخلق مناخا صحيا للمراهق في مواجهة الحياة.

وفي دراسة محلية أخرى قام بها يعقوب يوسف الكندري وعفاف الرشيدى⁽²⁰⁾، حول أساليب المعاملة الوالدية السلبية وعلاقتها بمتغيرات متعددة قارنا فيها هذه الأساليب بأسر أحادية العائل وأسر ثنائية الوالدين. فقد كشف الباحثان عن بعض المتغيرات ذات العلاقة بالأساليب السلبية مثل ترتيب الابن في الأسرة، وجنس الأبناء، وأعمارهم، وعدد الأخوة، وكذلك نوع الأسرة. فقد بينت النتائج العلاقة مع بعض هذه المتغيرات من جهة، وبعض الفروق بين نوعية الأسرة سواء أحادية أو ثنائية العائل.

وفي دراسة تحليل المضمون لأساليب التنشئة الاجتماعية وقيم الذكورة، أشار الطراح⁽²¹⁾ إلى أن التغيرات الاجتماعية والثقافية التي مرت على المجتمع المحلي لم تؤثر بشكل فاعل على قيم الذكورة وهو الأمر الذي ينسحب على خلل في الأدوار الاجتماعي للجنسين. فلا زالت الثقافة المحلية ترسخ من قيم الذكورة على الرغم من هذه التغيرات التي أصابت المجتمع.

وفي دراسة خاصة للقرشي⁽²²⁾ حول اتجاهات الآباء والأمهات الكويتيات في تنشئة الأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات، بينت نتائج الدراسة أن متغير الحماية الزائدة والضغط على الأبناء يكون أكثر ظهورا عند الآباء مقارنة بالأمهات والذي يؤدي إلى التسلط بشكل أكثر لديهم، وأوضحت الدراسة العلاقة الخاصة بعمر الوالدين أيضا وارتباطها باتجاهات الوالدين حول التنشئة على سبيل المثال. هذا إلى جانب عرض مجموعة أخرى من المتغيرات مثل المستوى التعليمي للوالدين، وعدد الأبناء الذي ارتبط بشكل مباشر بعملية الاتجاهات نحوهم.

مفاهيم الدراسة:

مفهوم الحوار:

عرف العمري⁽²³⁾ الحوار على أنه "نشاط عقلي يقدم كل طرف رأيه بحرية تامة ليصل في النهاية مع الرأي الآخر إلى اتفاق". أما باترسون وآخرون⁽²⁴⁾ فيرون أن الحوار هو "التدفق الحر للمعاني والأفكار فيما بين شخصين أو أكثر". أي دخول كل من الأطراف المتحاورين في محادثات مع آرائهم، ومشاعرهم، ونظرياتهم، وخبراتهم المتعلقة بالموضوع، وبأسلوب ودي واحترام.

وبما أن الأسرة تعتبر المصدر الرئيس والأول في تنشئة الطفل، كان للحوار أهميته وضرورته. لذا يرى علوان⁽²⁵⁾ بأنه "لكي يفهم الطفل مجموعة الطلبات من مختلف أنواع السلطة في عالمه، يجب عليه أن يكتشف (أو يجب أن نكشف له) لماذا على المرء أن يطيع؟ ولكي يأتمر بأوامر القانون، ويتحلى بالأخلاق والآداب، فإنه من حقه أن يفهم الأسباب..." (ص 171-172). ومن هنا تأتي أهمية اتخاذ الحوار أسلوباً رئيساً في تربية الأبناء، وتأتي أهمية إتقان الوالدين لفن الحوار. فالحوار القوي المؤثر والمسلح بالعلم والمنطق وفن الإقناع يكون أكثر تأثيراً من قوة الأسلحة والمال والجاه، كما بينها يالجن⁽²⁶⁾. فالحوار هو تفاعل بين رسالتين وامتزاج بين وجهتي نظر للوصول إلى أرشد الآراء وأفعلاها. "الحوار شجرة باسقة.. أروها كل فترة حتى لا تجف بينكما ويطول خريفها"⁽²⁷⁾ (ص: 121).

قيم الحوار الذكوري والأنثوي:

وهو الذي يقصد به في هذه الدراسة الأساليب الوالدية في التعامل مع الأبناء ذكورا وإناثا. وطريقة التعامل المبنية على أسس الحوار النقاش وخلق المناخ الديمقراطي.

منهجية الدراسة :

أولاً – عينة الدراسة :

بلغت عينة الدراسة (725) مستجيباً من الجنسين (350 ذكور، و375 إناث)، وقد تراوحت أعمارهم بين (17-19) سنة. وقد جاء اختيار عينة الدراسة من كافة محافظات الكويت الست، ولقد تمّ اختيار أفراد العينة من كافة المناطق التعليمية المختلفة التابعة لوزارة التربية بدولة الكويت حتى يمكن أن تكون مؤشراً مناسباً للشرائح الاجتماعية المختلفة داخل المجتمع. وقد تمّ اختيار بعض الفصول الدراسية بطريقة عشوائية داخل المدرسة بعد أخذ الإذن الخاص من إدارة المدرسة. وتمّ توزيع استمارة البحث مع بداية الحصّة الدراسية وبوجود معلم الفصل ومساعد الباحث الذين أشرفوا على عملية توزيع الاستمارة. وقد تمّ تشجيع أفراد العينة بالإجابة على أسئلة الاستمارة، والذين وافقوا على ذلك طوعاً. وتعتبر هذه العينة وهذه الدراسة هي جزء من مشروع بحثي أكبر أعده الباحث الأول والثالث⁽²⁸⁾.

ثانياً – أداة الدراسة :

يُعتبر الاستبيان هو الأداة الرئيسة للدراسة. وقد تمّ الاعتماد على المتغيرات ذات الصلة بهذه الدراسة من المشروع الأكبر، حيث تمّ الطلب من المبحوثين تحديد بعض المتغيرات الاجتماعية، والتي

تمثلت في المعدل الدراسي للطالب، والمستوى التعليمي للأب والمستوى التعليمي للأم (والذي تم تفسيره إلى ثمانية إجابات يبدأ بابتدائي وما دون، وينتهي بالدراسات العليا). وكذلك تم الطلب من المبحوث تحديد الفارق العمري بينه وبين والده من جانب، ووالدته من جانب آخر. وقد تم الطلب كذلك بتحديد عدد الأخوة، وعدد الأخوات، وترتيب الابن بين إخوته. هذا بالإضافة، فإنه قد تم الطلب من المبحوث بتحديد متوسط عدد الساعات التي يقضيها الابن مع الأب من جهة، ومع الأم من جهة أخرى. وكذلك تم تحديد المستوى الاقتصادي للأسرة من خلال مقياس ذاتي لبند واحد يبدأ بضعيف جداً (1)، وينتهي بـ (10) ممتاز. هذا بالإضافة إلى أن الاستمارة قد تضمنت سؤال المبحوث صراحة عن انحداره من الجدور الحضرية أو القبيلة.

هذا، وقد تضمنت صحيفة الاستبيان مقياس قيم الحوار الوالدي باتجاهين (للأب، وللأم). وهي قيم تعكس مستوى العلاقة والتفاعل الوالدي مع الابن. وقد تضمن كل مقياس (21) عبارة تضمنت على سبيل المثال بنود تتعلق بسرعة الغضب مع الابن، والحديث عن المسائل الخاصة بشؤون المنزل، ومشاركة الابن بما، والمشاركة في اختيار الملابس، ومعرفة الأصدقاء المقربين من الابن، والمشاركة في اقتناء الحاجات الخاصة. والشعور بالفارق السني والصغير مع الوالدين، وغيرها من العبارات التي جاءت ذات شقين موجهاً للأب من جهة، وللأم من جهة أخرى. وقد جاء ميزان الإجابة من خلال الاعتماد على مقياس ليكرت الخماسي الذي يبدأ بموافق بدرجة كبيرة جداً (5) وينتهي بعدم الموافقة بشدة (1). علماً بأن أعلى تقدير لهذا المقياس هو (105) درجة وأقلها (21) درجة. وقد تم تطوير هذا المقياس بواسطة الباحث الثالث من خلال دراسة جاءت على الشريحة العمرية نفسها⁽²⁹⁾.

لقد تم إجراءات الصدق والثبات المعتادة لهذا المقياس من خلال الاعتماد على صدق المحكمين وبواسطة موافقة ومراجعة خمسة من أعضاء الهيئة التدريسية بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت لهذا المقياس والتعديل عليه حتى تم إخراجها بهذا الشكل. أما من حيث ثبات الأداة، فقد تم الاعتماد على معامل ألفا كرونباخ، والذي أظهر درجة مرتفعة من الثبات بواقع (90). لمقياس قيم الحوار باتجاه الأب و(91). لقياس قيم الحوار باتجاه الأم. وهو ما يدفع للاطمئنان إلى الاعتماد على هذه الأداة.

ثالثاً - الإجراءات الإحصائية :

تمّ الاعتماد على برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (النسخة 21) SPSS لإدخال وتحليل البيانات. وقد تمّ الاعتماد على الإحصاء الوصفي من خلال استخدام المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري، بالإضافة إلى الإحصاء الاستدلالي، والذي تمثل في استخدام اختبار (ت) t-test، وذلك لقياس الفروق في المتوسطات الحسابية ودلالاتها الإحصائية، وكذلك اختيار معامل الارتباط بيرسون Pearson Correlation للكشف عن العلاقة بين قيم الحوار وبعض المتغيرات الاجتماعية.

نتائج الدراسة:

للإجابة على تساؤل الدراسة الأول المتمثل في ما لو كانت هناك فروقاً دالة إحصائية بين قيم الحوار مع الأب وقيم الحوار مع الأم لأفراد العينة، فإن الجدول (1) يوضح هذه الفروق. جدول (1) يوضح الفروق بين قيم الحوار مع الأب والأم لأفراد العينة

المتغير	م	ع	مستوى الدلالة
قيم الحوار مع الأب	65.36	14.93	0.000
قيم الحوار مع الأم	80.96	15.24	

يكشف الجدول (1) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين قيم الحوار للأبناء مع الأب وقيم الحوار مع الأم باتجاه الأم، والفروق هنا دالة إحصائية عند مستوى (0.001)، بمعنى أن هناك ارتفاعاً في معدلات الحوار مع الأم لأفراد العينة بالمقارنة مع الحوار مع الأب. فمعدلات ارتفاع الحوار مع الأم أكثر من الأب كما أوضحته نتائج الدراسة.

ولقياس الفروق بين أفراد العينة من المنحدرين من الجذور الحضرية، والجذور القبلية في قيم الحوار تجاه الأب، وتجاه الأم بالمقياس كاملاً، وبكل بند من بنود المقياس، فإن الجدولين (2) و(3) يوضحان هذه الفروق في المعدلات.

جدول (2) يوضح الفروق بين أفراد العينة من المنحدرين من الجذور الحضرية والقبلية في قيم الحوار تجاه الأب والأم

المتغير	قيم الحوار مع الأب		
	م	ع	قيمة ت
جذور حضرية	65.53	15.53	.237
جذور قبلية	65.25	14.65	
المتغير	قيم الحوار مع الأم		
	م	ع	قيمة ت
جذور حضرية	77.91	15.59	-4.08***
جذور قبلية	82.70	14.83	

*** $P < 0.001$

جدول (3) يوضح الفروق بين أفراد العينة من المنحدرين من الجذور الحضرية والجذور القبلية في القيم الوالدية للأبناء باتجاه الأب وباتجاه الأم

العبارة	القيم الوالدية للحوار تجاه الأب			القيم الوالدية للحوار تجاه الأم		
	جذور حضرية	جذور قبلية	قيمة ت	جذور حضرية	جذور قبلية	قيمة ت
	م (ع)	م (ع)	م (ع)	م (ع)	م (ع)	م (ع)
1. سرعة الغضب معي.	3.40(1.14)	3.52(1.20)	-1.27	3.53(1.31)	3.71(1.24)	-1.81*
2. الحديث في كثير من المسائل الخاصة بشؤون المنزل.	3.52(1.12)	3.61(1.15)	-.986	4.18(1.01)	4.37(.892)	-2.61**
3. مشاركة في اختيار ملابس.	2.16(1.12)	2.10(1.12)	.671	3.69(1.17)	3.90(1.19)	-2.30*
4. معرفة جميع أصدقائي المقربين	3.15(1.31)	3.11(1.28)	.475	3.82(1.22)	4.10(1.07)	-3.09**

العبارة	القيم الوالدية للحوار تجاه الأب		القيم الوالدية للحوار تجاه الأم		قيمة ت
	جذور حضرية	جذور قبلية	جذور حضرية	جذور قبلية	
	م (ع)	م (ع)	م (ع)	م (ع)	قيمة ت
معي.					
5. المشاركة في اقتناء حاجياتي الخاصة.	2.50(1.18)	2.32(1.14)	1.98*	3.73(1.24)	-2.11*
6. الشعور بالفارق السني صغير.	2.44(1.24)	2.45(1.27)	-0.030	3.08(1.31)	-3.35**
7. الاستماع لي جيداً لكل ما أقوله.	3.74(1.23)	3.75(1.12)	-0.140	3.90(1.10)	-4.35***
8. التحدث معي لفترة طويلة في اليوم.	3.05(1.20)	3.17(1.17)	-1.26	3.92(1.03)	-3.13**
9. قول كل شيء عن حياتي الخاصة.	2.45(1.16)	2.43(1.18)	.131	3.44(1.30)	-2.99*
10. أخبرهم لي كل شيء بصراحة.	3.28(1.19)	3.11(1.21)	1.89*	3.91(1.09)	-1.88*
11. السماح بإظهار علامات الاعتراض أمامهم.	3.48(1.22)	3.61(1.14)	-1.43	3.81(1.11)	-2.53*
12. وجود الوقت الكافي للحديث يومياً معهم.	3.44(1.23)	3.46(1.20)	-0.160	4.11(1.08)	-1.91*
13. أخبرهم عما أحب مشاهدته في التلفزيون.	3.32(1.29)	3.03(1.25)	2.96**	3.81(1.14)	-1.74*
14. أخبرهم دائماً عن علاقتي مع	3.46(1.16)	3.42(1.22)	.507	3.81(1.14)	-3.24**

العبارة	القيم الوالدية للحوار تجاه الأب		القيم الوالدية للحوار تجاه الأم		قيمة ت
	جذور حضرية	جذور قبلية	جذور حضرية	جذور قبلية	
	م (ع)	م (ع)	م (ع)	م (ع)	قيمة ت
المدرسين في المدرسة.					
15. أخبرهم دائماً عن علاقاتي اليومية في المدرسة.	2.98(1.21)	3.06(1.23)	- .894	3.67(1.19)	4.01(1.13)
16. الخشية أن البوح عن شيء خطأ قد فعلته خوفاً من غضبهم.	2.74(1.25)	2.76(1.25)	- .287	2.81(1.32)	2.84(1.30)
17. التحدث معي بصراحة مطلقة عن أي قضية.	3.56(1.11)	3.56(1.10)	- .064	3.92(1.07)	4.15(.901)
18. الشعور بأنني صديق لهم.	3.51(1.19)	3.40(1.14)	1.20	3.96(1.11)	4.11(1.03)
19. قضاء وقت طويل معي أثناء وقت الفراغ.	3.05(1.21)	3.12(1.12)	- .780	3.77(1.12)	4.09(.990)
20. دائماً أخبرهم عما أحب.	3.34(1.19)	3.35(1.13)	- .074	4.00(1.09)	4.24(.950)
21. غالباً ما أسمع عن أشياء من الأصدقاء يكونوا قد أخبروني عنها.	3.43(1.11)	3.47(1.14)	- .461	3.61(1.20)	3.93(1.12)

* $P < 0.05$; ** $P < 0.01$; *** $P < 0.001$

يوضح الجدول (2) أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين المنحدرين من الجذور الحضرية، والمنحدرين من الجذور القبلية في قيم الحوار تجاه الأم فقط باتجاه المنحدرين من الجذور القبلية، والدلالة هنا عند مستوى (0.001)، بمعنى أن أفراد العينة المنحدرين من الجذور القبلية سجلوا معدلات أعلى في قيم الحوار والتفاعل مع الأم بالمقارنة مع أفراد العينة من المنحدرين من الجذور الحضرية. وفي المقابل، لم تكشف النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة من المنحدرين من الجذور الحضرية والقبلية في قيم الحوار باتجاه الأب.

وفي النظر إلى أبعاد مقياس قيم الحوار بالنسبة للأب والأم والبالغ عددها (21) بنداً موجهاً إلى الأب والأم واتجاه أفراد العينة تجاه هذه البنود، فإن الجدول (3) يوضح الفروق الإحصائية الواضحة في البنود المختلفة. فمن واقع (21) بند الخاصة في قيم الحوار الوالدية باتجاه الأم، أشارت النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائية في (20) بند لصالح الجذور القبلية. فقد سجل أفراد العينة من المنحدرين من الجذور القبلية معدلات أعلى في كافة البنود الواردة في مقياس القيم الوالدية للحوار تجاه الأم باستثناء بند "الخشية أن البوح عن شيء خطأ قد تمّ فعله خوفاً من غضب الأم" الذي لم تُسجل فروقاً دالة إحصائية. وجاء مستوى الدلالة بمستويات مختلفة. أما فيما يتعلق بوجود فروق دالة إحصائية بين المنحدرين من أفراد العينة من الجذور الحضرية والقبلية فيما يتعلق بالقيم الوالدية للحوار باتجاه الأب، فلم تكشف النتائج فروقاً دالة إحصائية إلا في ثلاثة بنود فقط باتجاه المنحدرين من الجذور الحضرية، وهي المشاركة في اقتناء حاجياتي الخاصة، وإخبار الأب عن كُل شيء بصراحة، وإخباره عما يجب مشاهدته في التلفزيون. وجاء (18) بنداً غير دال إحصائياً. وللوقوف على الفروق بين الجنسين من أفراد العينة في قيم الحوار تجاه الأب وتجاه الأم للمنحدرين من الجذور الحضرية والجذور القبلية، فإن الجدول (4) يوضح هذه الفروق.

جدول (4) يوضح الفروق بين الجنسين من أفراد العينة في قيم الحوار تجاه الأب والأم للمنحدرين من
الجدور الحضرية والجدور القبلية

قيم الحوار مع الأب			المتغير
الجدور الحضرية			
قيمة ت	ع	م	
.239	15.53	65.53	ذكور
	14.65	65.25	إناث
الجدور القبلية			
قيمة ت	ع	م	
.177	14.25	65.74	ذكور
	16.31	65.39	إناث
كافة أفراد العينة			
قيمة ت	ع	م	
1.32	12.27	67.00	ذكور
	15.21	64.78	إناث
قيم الحوار مع الأم			المتغير
الجدور الحضرية			
قيمة ت	ع	م	
-4.08***	15.59	77.92	ذكور
	14.83	82.70	إناث
الجدور القبلية			
قيمة ت	ع	م	
-5.51***	14.16	71.51	ذكور

	15.14	81.87	إناث
كافة أفراد العينة			
قيمة ت	ع	م	
-7.81***	12.88	73.35	ذكور
	14.33	85.19	إناث

$$***P<0.001$$

يوضح الجدول (4) إلى أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث عند المنحدرين من الجذور الحضرية، والقبلية، وإجمالي العينة باتجاه الإناث في قيم الحوار مع الأم وعند مستوى دلالة (0.001). فقد سجل الإناث معدلات أعلى من الذكور عند كافة أفراد العينة وعند المنحدرين من الجذور الحضرية والقبلية في قيم الحوار تجاه الأم. وفي المقابل، لم تُسجل النتائج فروقاً دالة إحصائية في قيم الحوار مع الأب لدى أفراد العينة من المنحدرين من الجذور الحضرية ومن الجذور القبلية وكافة أفراد العينة. وعند الكشف عن قوة ودرجة العلاقة بين قيم الحوار باتجاه الأب واتجاه الأم عند أفراد العينة من المنحدرين من الجذور الحضرية، والجذور القبلية مع بعض المتغيرات الاجتماعية، فإن الجدول (5) يوضح هذه العلاقة.

جدول (5) يوضح قوة ودرجة العلاقة بين قيم الحوار باتجاه الأب والأم عند أفراد العينة

المنحدرين من الجذور الحضرية والقبلية ولكافة أفراد العينة مع بعض المتغيرات الاجتماعية

المتغير	قيم الحوار باتجاه الأب			قيم الحوار باتجاه الأم		
	جذور حضرية	جذور قبلية	كافة العينة	جذور حضرية	جذور قبلية	كافة العينة
المعدل الدراسي	.122*	.097*	.106*	.023	-.055	-.033
المستوى التعليمي للأب	.095	.132**	.119**	.145*	.135**	.072
المستوى التعليمي للأم	.064	.067	.062	.154*	.129**	.056
الفارق العمري مع الأب	.104	.041	.064	.227	.122**	.134**
الفارق العمري مع الأم	.097	-.004	.031	.281	.084	.137**
عدد الأخوة	-.098	-	-	-.005	-.054	-.009
عدد الأخوات	-.085	.094**	.096*	-.121	-	-
عدد الأخوة والأخوات	-.118	-	-	-.085	.147**	.109**
ترتيب الابن بين الأخوة	-1.00	2.18**	.170**	-	-	-
متوسط عدد الساعات للجلوس مع الأب	.338**	-	-	.180**	.136**	.081*
متوسط عدد الساعات للجلوس مع الأم	.159**	.211**	.176**	.108	-	-
المستوى الاقتصادي للأسرة	.123*	-.002	.042	.310**	.095*	.124**
		.322**	.327**	.185**	.093*	.097**
		.023	.079*		.155**	.223**
		.106*	.111**		.114*	.136**

* $P < 0.05$; ** $P < 0.01$

يُشير الجدول (5) إلى اختلافات في مستوى العلاقة حسب المتغيرات الاجتماعية بين قيم الحوار

باتجاه الأب، أو باتجاه الأم، وسيتم هنا عرض هذه المتغيرات وفقاً لآتي :

1 - المعدل الدراسي:

ففي متغير المعدل الدراسي، أشارت النتائج إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية إيجابية مع قيم الحوار تجاه الأب عند الجذور الحضرية والقبلية، وإجمالي العينة، فكلما زادت قيم الحوار باتجاه الأب، زاد مع المعدل الدراسي. وفي المقابل لم تكشف النتائج عن هذه العلاقة في متن الحوار باتجاه الأم.

2 - المستوى التعليمي للأب والأم:

وفيما يتعلق بالمستوى التعليمي للأب، والأم، فقد كشفت نتائج الدراسة عن وجود علاقة إيجابية ذات دلالة إحصائية بين المستوى التعليمي للأب وقيم الحوار باتجاه الأب عند المنحدرين من أفراد العينة من الجذور القبلية. أما في اتجاه الأم، فقد كشفت النتائج إلى علاقة إيجابية ذات دلالة إحصائية عند أفراد العينة من الجذور الحضرية والقبلية. وفيما يتعلق بالمستوى التعليمي للأم، فقد كشفت نتائج الدراسة عن وجود علاقة إيجابية ذات دلالة إحصائية بين مستوى الأم التعليمي، وقيم الحوار مع الأم عند الحضرية والقبلية على حد سواء دون أن تكشف الدراسة عن علاقة ذات دلالة إحصائية في القيم الخاصة بالحوار باتجاه الأب. فكلما زاد المستوى التعليمي زادت معه قيم الحوار.

3- الفارق العمري بين الوالدين والأبناء:

أما فيما يتعلق بالفارق العمري بين الوالدين والأبناء وعلاقتها مع قيم الحوار باتجاههم، فقد كشفت نتائج الدراسة بعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الفارق العمري للأب وقيم الحوار معه سواء عند المنحدرين من أصول حضرية أو قبلية، بينما كشفت النتائج عن وجود هذه الفروق عند الجذور القبلية فقط في قيم الحوار باتجاه الأم. فكلما زاد الفارق العمري بين المستجيب والأب كلما زادت معه قيم الحوار باتجاه الأم. هذا، ولم تكشف النتائج عن وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الفارق العمري مع الأم وبين قيم الحوار عند كلا الوالدين وعند الشريحتين الاجتماعيتين.

4- عدد أفراد الأسرة:

وبالنسبة لعدد الأخوة والأخوات، فقد أشارت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة عكسية دالة إحصائية بين عدد الأخوة والأخوات وبين قيم الحوار باتجاه الأب والأم عند أفراد العينة من المنحدرين من الجذور القبلية دون الحضرية. فكلما زاد عدد الأخوة والأخوات، قلت معه قيمة الحوار باتجاه الأب والأم عند أفراد العينة المنحدرين من الجذور القبلية، وهو الأمر ينسحب أيضاً على عدد الأخوات. أما عدد الأخوة، فانحصرت فقط العلاقة العكسية بين عدد الأخوة الذكور مع قيم الحوار باتجاه الأب عند أفراد العينة المنحدرين من الجذور القبلية فقط دون قيم الحوار مع الأم كما في عدد الأخوات، وإجمالي عدد الأخوة والأخوات إجمالاً.

5- قضاء وقت مع الوالدين والحوار:

لقد أوضحت نتائج الدراسة إلى أن هناك علاقة إيجابية بين متوسط عدد الساعات التي يقضيها الأبناء مع الأب والجلوس معه وبين قيم الحوار باتجاه الأب لدى أفراد العينة المنحدرين من الأصول الحضرية والقبلية على حد سواء، والعلاقة هنا فقط عن أفراد العينة المنحدرين من الجذور القبلية مع قيم الحوار باتجاه الأم، فكلما زاد متوسط عدد الساعات للجلوس مع الأب، زادت معه قيم الحوار باتجاه الأب من أفراد العينة من المنحدرين من الجذور الحضرية والقبلية، وباتجاه الأم عند أفراد العينة من الجذور القبلية. وفيما يتعلق بمتوسط عدد ساعات الجلوس مع الأم، فقد كشفت النتائج علاقة مع عدد الساعات وبين قيم الحوار باتجاه الأم عند كلا الشريحتين الحضرية والقبلية، وفقط الحضرية مع اتجاه قيم الحوار باتجاه الأب.

6- المستوى الاقتصادي للأسرة:

كشفت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية ذات دلالة إحصائية بين المستوى الاقتصادي للأسرة وقيم الحوار باتجاه الأب، وكذلك الأم عند أفراد العينة المنحدرين من الجذور الحضرية والجذور القبلية. فكلما زاد المستوى الاقتصادي للأسرة، زادت معه قيم الحوار باتجاه الأب، وكذلك الأم في كلا الشريحتين الحضرية والقبلية.

خاتمة

كشفت نتائج الدراسة عن تفاوت واضح بين قيم الحوار باتجاه الأب وبين هذه القيم باتجاه الأم. وكذلك كشفت النتائج عن تفاوت ثقافي أيضاً بين الشرائح الاجتماعية داخل المجتمع والمتمثلة في الثقافة المنحدرة من الجذور الحضرية ومن الجذور القبلية في قيم الحوار. فعلى الرغم من قيم المجتمع المحلي تتسم بالميل إلى الذكور، والتنشئة الاجتماعية الذكورية⁽³⁰⁾، إلا أن النتائج عكست خلاف ذلك. فالقيم الوالدية في الحوار باتجاه الأم أكثر منها بالمقارنة عند الأب. وهو ما يُعزز من انشغال الأب ووجوده خارج المسرح اليومي لحياة الطفل، والذي يُعزز من انخفاض في درجات الحوار بينه وبين والده سواء أكان الطفل ذكراً أم أنثى.

فالعلاقة الوالدية هي علاقة قاصرة باتجاه الأب كما أوضحتها نتائج الدراسة عند الشريحتين الاجتماعيتين، ولكنها تتجه بصورة أفضل باتجاه الأم. ولم تختلف ولم تكشف الدراسة فروقاً ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة المنحدرين من جذور حضرية وجذور قبلية في قيم الحوار مع الأب. فالتعامل والثقافة واحدة، وهي مستمدة من ثقافة المجتمع العربي باختلاف فئاته وشرائحه الاجتماعية. فأسلوب الحوار الوالدي للأبناء هو أسلوب فوقي كما أشار إليه حليم بركات⁽³¹⁾ في الوطن العربي وفي ثقافة المجتمع العربي. وهي الثقافة العمودية كما أسماها، والتي تأتي من الأعلى للأسفل باختلاف المجتمعات. فيشير بركات على سبيل المثال "تقوم بنية العائلة الهرمية على أساس العمر فالصغار تقليدياً توجب عليهم الطاعة شبه المطلقة في علاقة سلطوية فعلية التواصل تتخذ من فوق إلى تحت وتأخذ طابع الأوامر والتبليغ و توجيه التعليمات والتلقين والتحذير والتخويف والتوبيخ والتهديد والتنديد والاستهزاء والإذلال والشتيم، وكذلك يقتزن التواصل من فوق إلى تحت بالعقاب والحرمان والغضب والإخضاع، أما التواصل من تحت إلى فوق يأخذ طابع الترجي والإصغاء، والاسترحام، ويأتي كل ذلك نتيجة لعلاقات استبدادية التي تعتمد على فلسفه تربوية تقوم على الترهيب والترغيب وليس على الإقناع...". وهذا ما يُعزز من فوقية التعامل الأبوي للأبناء.

ولا شك أن هذا الأمر قد يكون مختلفاً باتجاه الأم بحكم أن الأم تُعتبر قريبة جداً من الأحداث اليومية ومن مسرحها بشكل عام. فالتفاعل الاجتماعي من المؤكد يكون أكبر عند الجنسين، وبالتحديد على الأبناء من الإناث، واللاتي يُعتبرن لصيقات بوالداتهن، وذلك من أجل إعدادهن للحياة المستقبلية

وحياة الزواج وبعد ترك الأسرة. فقد سجلت معدلات الحوار مع الأم درجات عالية بالمقارنة مع درجات ومعدلات الحوار مع الأب. وبالمقارنة بين الشريحتين الحضرية والبدوية/القبلية نجد أن أفراد العينة من المنحدرين من جذور قبلية قد سجلوا معدلات علاقتهم مع أبناءهم بصورة أكبر من المنحدرين من الجذور الحضرية. فهناك مجموعة من القيم الاجتماعية المرتبطة بالبيئة الاجتماعية التي تجعل من الابنة ذات الجذور القبلية مقيدة بشكل أكبر من الابنة في المجتمع الحضري من حيث بعض القيود الاجتماعية المتمثلة في الخروج من المنزل، والتي تعتبر أكثر محافظة وتقيداً، وهو الأمر الذي يجعل من تواصلها وتفاعلها مع والدتها قد يكون بصورة أكبر من حيث المدة، ومن حيث درجة التفاعل. وهذا ما يُفسر أن درجة التفاعل والقيم الحوارية عند أفراد العينة المنحدرين من جذور قبلية أكبر من حيث المعدل في قيم الحوار منها عند أفراد العينة من الجذور الحضرية.

هذا، وقد انعكست النتائج على الجنسين أيضاً. فلا فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث مع قيم الحوار مع الأب بين الجنسين في كل الجذور الحضرية والقبلية، إلا أن ذلك يختلف في قيم الحوار مع الأم سواء عند أفراد العينة من المنحدرين من الجذور الحضرية والقبلية. فالإناث أكثر من الذكور معدلاً في مستوى التفاعل مع الأم، وهو أمر متوقع وطبيعي بحكم ملازمة الابنة لأمها في أعمال المنزل في مجتمع يغيب عنه الرجل عن المنزل، ويكون خارج إطار مسرح الأحداث اليومية.

لا شك أن الحوار ودرجته، وآلية التفاعل الوالدي تتأثر بمجموعة من الخصائص والمتغيرات الاجتماعية الثقافية، وهذا ما عكسته نتائج الدراسة الحالية مع المتغيرات الاجتماعية وبشكل نسبي، إذ أن الحوار وقيمه ومستوى التفاعل ارتبط بمعدل الابن/الابنة الدراسي، وبالتحديد عندما يكون هذا التفاعل مع الأب، وهو الذي يُعزز من أن وجود الأب داخل الأسرة وتفاعله مع أبناءه من الممكن أن يؤثر على مستواهم التحصيلي، وهو الأمر الذي لم تكشف النتائج عن وجود مثل هذه العلاقة مع الأم وقيمة الحوار معها، والذي يُعزز من أهمية دور الأب في هذا الجانب التعليمي. وهو الأمر الذي عززته نتائج دراسات أخرى⁽³²⁾.

وهناك أهمية أيضاً للبعد التربوي والتعليمي بالنسبة للوالدين. فدرجة التعليم، وبالتالي التي تعني الوعي لها ارتباط مع فاعلية الحوار داخل نطاق الأسرة، وهو الذي عززته أيضاً دراسة محلية تناولت هذا الجانب⁽³³⁾. فتعليم الوالدين مهم في عملية تفعيل الحوار داخل نطاق الأسرة. وقد يلعب عامل عدد أفراد

الأسرة أو الأخوة دوراً مهماً أيضاً، وكذلك ترتيب الابن في الأسرة فهي عوامل من الممكن أن تكون مؤثرة بحكم أن زيادة عدد الأخوة لا يعطي متسعاً من الوقت للأبوين من التفاعل الإيجابي والمناسب مع الأبناء بحكم التوزيع الزمني والتواصل المحدود الذي يمكن أن يخلفه كثرة عدد الأبناء، ولا سيما في المجتمعات العربية التي تزداد فيها الخصوبة، والمجتمع المحلي تحديداً الذي يعتبر معدل الخصوبة لا زال عالياً كما أوضحته أحد الدراسات المحلية⁽³⁴⁾ أما ترتيب الابن داخل الأسرة، فإن الابن الأول في الثقافة المحلية غالباً ما يحظى بنصيب مميز من التفاعل مع الوالدين بحكم أنه الطفل الأول الذي غيّر معادلة الأسرة، وتسلط الضوء والتفاعل معه يكون أكبر من غيره. فكلما زاد من ترتيب الابن داخل نطاق الأسرة زاد معه أعداد الأبناء، وبالتالي قل معه مستوى الحوار داخل نطاق الأسرة. وهو الأمر الذي يكشف أهمية هذا العنصر في التأثير على مستوى التفاعل، وهو ما توافقت أيضاً مع دراسة محلية سابقة⁽³⁵⁾.

ومن المتغيرات المهمة التي تعكس أهمية التفاعل هو الوقت الذي يقضيه الأب والأم مع أبنائهم. فزيادة الوقت الذي يقضيه الوالدين مع أبنائهم، بمقدار ما يزيد من التفاعل والحوار. وهو الأمر الذي أشارت إليه الدراسة. فقضاء مدة طويلة يعني انسجام وتبادل أفكار وآراء وتبادل معلومات، وهي جميعها تُعزز من الحوار بين الوالدين والأبناء. وهذا ما عززته نتائج الدراسة الحالية.

ولا شك أيضاً أن المستوى الاقتصادي جاء بدور مهم في هذه الدراسة التي أوضحت أنه كلما زاد المستوى الاقتصادي للأسرة زاد معه مستوى التفاعل الأسري والحوار مع الأبناء. فالعامل الاقتصادي يؤثر على المستوى المعيشي، ويؤثر على خلق بيئة مناسبة للحوار، بالإضافة إلى أن المستوى الاقتصادي يرتبط بالوعي والاتصال الثقافي الخارجي، والذي يمكن أن يلعب دوراً مهماً في التأثير على مستوى التفاعل الأسري، وهو الأمر الذي أوضحته، وأشارت إليه الدراسة الحالية.

لا بد من الإشارة إلى أن هناك أهمية بالغة لدراسات أخرى، وبالتحديد تلك الدراسات التي تركز على علاقة المتغيرات الاجتماعية بالحوار، والذي يعطي بُعداً تفصيلياً أكبر مما قدمته هذه الدراسة. إن الحوار بين الوالدين وأبنائهم يؤثر بدون شك على شخصياتهم وعلى سلوكهم المستقبلي، ومن المؤكد أن السلوك الإنتاجي والتنموي هو ذلك السلوك الذي يرتبط بالمفاهيم الخاصة بالتنشئة الاجتماعية المناسبة التي يتلقاها الطفل في بداية حياته تحديداً. فيعتبر الوالدان رمزان مهمان في حياة الطفل، وتبني شخصيته من خلال التفاعل الإيجابي معهما.

الهوامش:

1. - الجوهري، وآخرون (1991). الطفل والتنشئة الاجتماعية. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
- الشناوي ، احمد وآخرون (2001). التنشئة الاجتماعية للطفل. عمان: دار الصفاء للنشر.
- علوان، عبدالواحد (1997). تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
2. - الشناوي، وآخرون (2001). التنشئة الاجتماعية للطفل. مرجع سابق.
- الجوهري، وآخرون (1991). الطفل والتنشئة الاجتماعية. مرجع سابق.
- العيسوي، عبدالرحمن (1984). سيكولوجية التنشئة الاجتماعية. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.
3. الطراح، علي (2000). التنشئة الاجتماعية وقيم الذكورة في المجتمع الكويتي. مجلة العلوم الاجتماعية، 28 (2).
4. بركات، حليم (2013). المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
5. Krcmar, M. (1996). Family communication patterns, discourse behavior, and child television viewing. Human Communication Research, 23(2), 251-277.
6. Kuczynski, L., & Kochanska, G. (1995). Function and content of maternal demands: Developmental significance of early demands for competent action. Child development, 66(3), 616-628.
7. Thompson, R. A. (2006). Conversation and developing understanding: Introduction to the special issue. Merrill-Palmer Quarterly (1982-), 1-16.
8. Lansford, J. E., Godwin, J., Al-Hassan, S. M., Bacchini, D., Bornstein, M. H., Chang, L., ... & Zelli, A. (2018). Longitudinal associations between parenting and youth adjustment in twelve cultural groups: Cultural normativeness of parenting as a moderator. Developmental Psychology, 54(2), 362.
9. England, P., & Srivastava, A. (2013). Educational differences in US parents' time spent in child care: The role of culture and cross-spouse influence. Social Science Research, 42(4), 971-988.
10. Kuramoto, M. (2018). Strength of Intercultural Couples in the Transition to Parenthood: A Qualitative Study of Intermarried Parents in Japan. Marriage & Family Review, 54(6), 549-564.
11. To, S. M., So, Y. Y., Tsoi, K. W., Iu Kan, S. M., & Chan, T. S. (2018). Supporting parents in late modernity through parent education: A

- mixed-methods study in Hong Kong. Journal of Social Work, 18(2), 164-184.
12. الكندري، يعقوب يوسف الكندري (2013). أثر التنشئة الاجتماعية على ثقافة ومستقبل الحوار في المجتمع. بحث مقدم إلى ندوة ثقافة وهندسة الحوار مع الآخر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، على هامش معرض الكويت الثامن والثلاثون للكتاب، خلال الفترة من 24-26 نوفمبر.
13. شتوح، بختة (2017). أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالتوافق النفسي لدى عينة من سنة رابعة، مجلة العلوم الاجتماعية، 27: 140 – 157.
14. دمنهوري، رشاد بن صالح (2013). العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية كما يدركها الأبناء : دراسة ميدانية لدى عينة من طلاب جامعة الملك عبد العزيز. مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، 29(2): 439 – 476.
15. حلاوة، باسمة (2011). دور الوالدين في تكوين الشخصية الاجتماعية عند الأبناء. مجلة جامعة دمشق، 27(3 و 4).
16. سامي، أشواق (2000). أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بمستوى التحصيل الدراسي للوالدين، مجلة كلية التربية، 11(3).
17. بوفولة، بوخميس (2009). أنساق القيم وأساليب التربية الوالدية. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، 21(22).
18. البشر، سعاد؛ والقشعان، حمود (2007). إدراك الأبناء السلبي للمعاملة الوالدية وعلاقته بكل من القلق والاكتئاب. مجلة العلوم الاجتماعية، 35(3): 41-63.
19. ليري، صالح (2006). العلاقة بين الأسرة وتصرفات المراهقين: دراسة استطلاعية على عينة من الأسر الكويتية. مجلة العلوم الاجتماعية، 34 (1).
20. الكندري، يعقوب يوسف، و الرشيد، عفاف (2006). أساليب المعاملة الوالدية السلبية وعلاقتها ببعض المتغيرات: دراسة مقارنة لأبناء الشهداء وأبناء غير الشهداء في المجتمع الكويتي. مجلة الطفولة العربية، 7(26): 8-23.
21. الطراح (2000). التنشئة الاجتماعية وقيم الذكورة. مرجع سابق.
22. القرشي، عبدالفتاح (1986). اتجاهات الآباء والأمهات الكويتيين في تنشئة الآباء والأمهات الكويتيين في تنشئة الأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات. حوايات كلية الآداب، جامعة الكويت.

23. العمري، خالد (2006). العوامل المؤثرة في أداء معلمي الصفوف الثالثة الأولى من التعليم الأساسي من وجهة نظرهم. مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، 4(2): 139-174.
24. باترسون، كيري؛ جريني، جوزيف؛ ماكميلان، رون؛ و سويتنزلر، آل (2005). الحوارات الحاسمة: أدوات لتحويل الموقف لصالحك عند احتدام المناقشات. ترجمة مكتبة جرير. الرياض: مكتبة جرير.
25. علوان (1997). تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة، مرجع سابق.
26. يالجن، مقداد (2004). تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية. سلسلة كتاب تربيتنا 17، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
27. عبد الجواد، محمد (2005). كيف تحاور أبنائك وتستمتع بهذا الحوار. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.
28. Al-Kandari, M., Al-Kandari, E., & Al-Kandari, Y. Cultural Differences in the Interaction between Parents and Children in Kuwait Society. International Social Science Journal, Nov, 16 2020.
29. الكندري، يعقوب يوسف (2002). فاعلية الحوار داخل الأسرة. دراسة معدة لصالح وزارة التربية-الإدارة العامة لمنطقة مبارك الكبير التعليمية-إدارة الأنشطة التربوية-مراقبة الخدمات الاجتماعية والنفسية.
30. الطراح (2000). التنشئة الاجتماعية وقيم الذكورة. مرجع سابق.
31. بركات، حليم (2013). المجتمع العربي المعاصر، مرجع سابق.
- 32.
- Lansford, et al. (2018), ipid.
- England & Srivastava (2013). Educational differences, ipid.
33. Al-Kandari, et al. Cultural Differences., ipid.
34. Al-Kandari, Y. (2007). Fertility and its relation with sociocultural factors in Kuwaiti Society. Eastern Mediterranean Medical Journal. 13(6): 1364-1371.
35. الكندري، والرشيدي (2006). أساليب المعاملة الوالدية السلبية. مرجع سابق.

المراجع:

أولاً- المراجع العربية:

- باترسون، كيري؛ جريني، جوزيف؛ ماكميلان، رون؛ و سويتنزلر، آل (2005). الحوارات الحاسمة: أدوات لتحويل الموقف لصالحك عند احتدام المناقشات. ترجمة مكتبة جرير. الرياض: مكتبة جرير.

- البشر، سعاد؛ والقشعان، حمود (2007). إدراك الأبناء السلبي للمعاملة الوالدية وعلاقته بكل من القلق والاكتئاب. مجلة العلوم الاجتماعية، 35(3): 41-63.
- بركات، حليم (2013). المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- بوفولة، بوخميس (2009). أنساق القيم وأساليب التربية الوالدية. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، 21(22).
- الجوهري، محمد؛ شكري، علياء؛ القليني، فاطمة؛ نجوى، عبد الحميد؛ السمري، عدلي؛ وحبيب، عالية (1991). الطفل والتنشئة الاجتماعية. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
- حلاوة، باسم (2011). دور الوالدين في تكوين الشخصية الاجتماعية عند الأبناء. مجلة جامعة دمشق، 27(3 و 4).
- دمنهوري، رشاد بن صالح (2013). العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية كما يدركها الأبناء : دراسة ميدانية لدى عينة من طلاب جامعة الملك عبد العزيز. مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، 29(2): 439 - 476.
- سامي، أشواق (2000). أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بمستوى التحصيل الدراسي للوالدين، مجلة كلية التربية، 11(3).
- شتوح، بختة (2017). أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالتوافق النفسي لدى عينة من سنة رابعة، مجلة العلوم الاجتماعية، 27: 140 - 157.
- الشناوي، أحمد وآخرون (2001). التنشئة الاجتماعية للطفل. عمان: دار الصفاء للنشر.
- الصراف، قاسم علي (1992). مشكلات المراهقين واستراتيجياتهم في التوافق معها (دراسة مسحية مقارنة بين ثقافتين مختلفتين). مجلة رسالة الخليج العربي، العدد 44، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض، المملكة العربية السعودية
- الطراح، علي (2000). التنشئة الاجتماعية وقيم الذكورة في المجتمع الكويتي. مجلة العلوم الاجتماعية، 28(2).
- عبد الجواد، محمد (2005). كيف تحاور أبنائك وتستمتع بهذا الحوار. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- علوان، عبد الواحد (1997). تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- العمري، خالد (2006). العوامل المؤثرة في أداء معلمي الصفوف الثالثة الأولى من التعليم الأساسي من وجهة نظرهم. مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، 4(2): 139-174.
- العيسوي، عبد الرحمن (1984). سيكولوجية التنشئة الاجتماعية. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.

- القرشي، عبدالفتاح (1986). اتجاهات الآباء والأمهات الكويتيين في تنشئة الآباء والأمهات الكويتيين في تنشئة الأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات. *حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت*.
- الكندري، يعقوب يوسف (2002). *فاعلية الحوار داخل الأسرة*. دراسة معدة لصالح وزارة التربية-الإدارة العامة لمنطقة مبارك الكبير التعليمية-إدارة الأنشطة التربوية-مراقبة الخدمات الاجتماعية والنفسية.
- الكندري، يعقوب يوسف، و الرشدي، عفاف (2006). أساليب المعاملة الوالدية السلبية وعلاقتها ببعض المتغيرات: دراسة مقارنة لأبناء الشهداء وأبناء غير الشهداء في المجتمع الكويتي. *مجلة الطفولة العربية*. 7 (26): 23-8.
- الكندري، يعقوب يوسف الكندري (2013). *أثر التنشئة الاجتماعية على ثقافة ومستقبل الحوار في المجتمع*. بحث مقدم إلى ندوة ثقافة وهندسة الحوار مع الآخر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، على هامش معرض الكويت الثامن والثلاثون للكتاب، خلال الفترة من 24-26 نوفمبر.
- ليري، صالح (2006). العلاقة بين الأسرة وتصرفات المراهقين: دراسة استطلاعية على عينة من الأسر الكويتية. *مجلة العلوم الاجتماعية*، 34 (1).
- يالجن، مقداد (2004). *تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والحوارة والمناظرة العلمية*. سلسلة كتاب تربيتنا 17، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ثانيا- المراجع الأجنبية:

- Al-Kandari, Y. (2007). Fertility and its relation with sociocultural factors in Kuwaiti Society. *Eastern Mediterranean Medical Journal*. 13(6): 1364-1371.
- Al-Kandari, M, Al-Kandari, E, & Al-Kandari, Y. Cultural Differences in the Interaction between Parents and Children in Kuwait Society. *International Social Science Journal*, Nov, 16 2020.
- Krcmar, M. (1996). Family communication patterns, discourse behavior, and child television viewing. *Human Communication Research*, 23(2), 251-277.
- Kuczynski, L., & Kochanska, G. (1995). Function and content of maternal demands: Developmental significance of early demands for competent action. *Child development*, 66(3), 616-628.
- Kuramoto, M. (2018). Strength of Intercultural Couples in the Transition to Parenthood: A Qualitative Study of Intermarried Parents in Japan. *Marriage & Family Review*, 54(6), 549-564.

- Lansford, J. E., Godwin, J., Al-Hassan, S. M., Bacchini, D., Bornstein, M. H., Chang, L., ... & Zelli, A. (2018). Longitudinal associations between parenting and youth adjustment in twelve cultural groups: Cultural normativeness of parenting as a moderator. *Developmental Psychology*, 54(2), 362.
- England, P., & Srivastava, A. (2013). Educational differences in US parents' time spent in child care: The role of culture and cross-spouse influence. *Social Science Research*, 42(4), 971-988.
- To, S. M., So, Y. Y., Tsoi, K. W., Iu Kan, S. M., & Chan, T. S. (2018). Supporting parents in late modernity through parent education: A mixed-methods study in Hong Kong. *Journal of Social Work*, 18(2), 164-184.
- Thompson, R. A. (2006). Conversation and developing understanding: Introduction to the special issue. *Merrill-Palmer Quarterly* (1982-), 1-16.

القيم الاجتماعية والأخلاقية في القرآن

بأية كاهية

أستاذة محاضرة صنف - أ -

جامعة محمد بوضياف مسيلة - الجزائر -

baya.kahia@unv-msila.dz

الملخص:

القرآن دستور حياة، ولا شك في أنه يشتمل على مبادئ وقيم وأخلاقيات جعلها الله سبحانه وتعالى، سراجا منيرا وسبيلا يسيرا، ونبراسا مفيدا؛ يحمل كل المعاني الفاضلة وقضايا: الحب والخير والسلام، والمعاملة الحسنة، ولا يمكن أن تتوافر هذه المزايا الحسنة في جو من الفوضى والآنظام، إلا إذا تبناها الفرد الذي يعيش في ظل الجماعة الشعبية التي تضمن له تطبيق هذه المعاني، فلا يمكن أبدا أن يعيش الإنسان بمفرده وحيدا معزولا عن الجماعة.

هي قضايا اجتماعية تضمن له البقاء، والتعامل مع الآخر ولولا توافرها في المرء لانغمس المجتمع في الرذائل والمساوئ وكل أنواع الفساد والفسق والانحلال الخلقي، فلا أجمل من انتشار قيم العدالة الاجتماعية، وروح التعاون والتآزر والتآخي والصدق والزكاة وغيرها كثير.

ولقد عمل القرآن الكريم ككتاب سماوي منزل من الخالق عز وجل على الجمع، والحمل على شداته مهمة الإصلاح الاجتماعي ضمن أسس ومبادئ ودعائم تستمد مرجعاتها وكنوناتها ومكانتها، من التعاليم الإسلامية ورسالة الدين الحنيف وقيمه ومثله السامية، الداعية إلى محاربة الجهل ونبد الفقر والمرض والعلل، والمفاسد الاجتماعية؛ ومن هنا تفسح المجال لنور العلم والمعرفة، والحضارة الجديدة التي أخرجت البشرية من متهات الظلام الدامس، والجاهلية الأولى إلى إشراقة منيرة لتستطع شمس الأخلاق والقيم والمبادئ فيعم السلام والتآخي ويكثر البرّ فتزدهر المجتمعات وتتطور الأمم لنرقى بذواتنا مع مجتمعاتنا.

إن العلاقة الوطيدة التي تجمع الدين والمثل والأخلاق والقيم هي صلة وثيقة لا تنفصم عراها؛ وتنبع تلك الصلة من التأثير والتأثر الحاصل بفعل منتج تلك المبادئ والواقع الاجتماعي، الذي يعيش فيه، فالإنسان يتأثر بالحياة، الخارجية السائدة في بيئته، القائمة في مجتمعه فهو بهذا يستمد مثله ومبادئه، وأدبه من حياة المجتمع؛ ومثلهما يتأثر المرء بواقعه ومجتمعه وما يحفل به من قضايا ومشكلات، وما يصبو إليه من أمان وتطلعات فإنه يؤثر من ذلك المجتمع ما ينقله إليه، وحتى يتحقق له هذا لابد من أن يتفاعل مع قضايا مجتمعه آماله وتطلعاته واندماجه معها، ومن ثمة تصويرها والتعبير عليها تعبيرا يعكس فهمه لمجتمعه، ويفصح عن موقفه منه، ومن الحياة التي يحياها.

ولعل الاتجاهات والوجهات والآراء المتعلقة بالسلطة إزاء المحرمات والموبقات وكذلك إزاء بعض النظم الاجتماعية الأساسية كالدين والأسرة؛ كانت ولا تزال هي الأساس من القيم والنظم الاجتماعية والخلقية والأخلاقية التي لطالما طرحها الدين وعالجتها الشريعة، ولا شك في أن أي قارئ للقرآن الكريم يستنبط أن التعاليم الواردة ليست مستحدثة في المرء، وإنما

خلقت مع نشأة الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالإنسان كالفقر والجوع والبؤس لكنه كان في أفق، ضيقة لبساطة حياة الناس في العصر الجاهلي، ولكن القرآن الكريم له الفضل في إبراز كل تلك المثل والتعاليم، ولعل يحمل السور والآيات تحمل في ثناياها روح الحب والتسامح والصدقة والحث على المعاملة الحسنة ونبت العنّف والتطرف وكل أنواع الخطايا، فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ورغم كل معاناته في نشر الرسالة، ورغم الأذى والضرب المبرح وأشد أنواع القسوة التي تلقاها من الكفار إلا أنه أبدا ما بادهم بالإساءة بل العكس من ذلك، ولا أدل، على قصته صلى الله عليه وسلم مع ذلك اليهودي الذي كان يضّع القمامة أمام باب داره، ولما تغيب عن وضعها ذات يوم أسرع عليه السلام للسؤال عن حاله والاطمئنان عليه لأنه ضمن بأن سوءا قد لحق به وإلا لكان قد حضر، ومثل هذه القصة كثير، فالقرآن ينبذ المعاملة بالمثل في مسائل الكفر والإساءة ولذلك فقد كان الأنبياء والرسل هم السباقون لفعل الخيرات ليكونوا المثل الأعلى الذي يجب أن تقتدي به الأمة الإسلامية فكانت كل دعواهم ولا سيما رسولنا الكريم محمد بن عبد الله الذي كانت كل دعواه إلى فعل الخيرات حتى مع العدو، فالدين معاملة، وعليه فغاية الأخلاق في الإسلام وعند المسلمين ؛ هو بناء مفهوم التقوى والورع الذي من قواعده وأسس وأهدافه الخوف من الله وتبعية تعاليم دينه الحنيف، ووجوب تجنب الموبقات والسيئات لأن القيم الأساسية في الإسلام ثابتة لا تتغير، قواعد وضعت للبشرية وارتقت على عاملي الزمان والمكان، وأضحت صالحة لكل زمان ومكان فالأخلاق والأمر كذلك عقيدة، شريعة ليست من صنع الإنسان أو البشر، ولكنها من رب البرية الحي الذي لا يموت .

يقول تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الآية 2 من سورة المائدة .

لا أروع من هذه التعاليم التي وردت في هذه الآية، هي مكارم الأخلاق من أمر بالمعروف، وبالتعامل مع من عصى الله فيك بأن تطيع الله فيه، وقال: " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا، وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ فَخُورًا " النساء الآية 36.

الكلمات المفتاحية :

القرآن الكريم، القيم ، السلوك الإنساني، القيم الاجتماعية، القيم الأخلاقية ،

Abstract:

Quran is the constitution of life. With no doubt, it comprises principles, values, and ethics, and Allah, the almighty, made them a bright light, an easy way, and useful beacon. It comprises all the virtuous meanings and the matters of love, charity, peace, and the good treatment. These good characteristics can't be available in a chaotic environment, unless they're adopted by the individual, who lives in the light of the popular group guaranteeing him the application of these meanings, since man can't live in isolation.

They're the social elements, which can guarantee him survival and the treatment with the other, if man didn't have these values, the society would be

drown in vices and corruption. So, no better than the prevalence of the social justice values, the spirit of cooperation, brotherhood, charity, Zakat, and so many other good values.

Quran, as a heavenly book, works on making a social reformation on the basis of Islamic paramount values and instructions, which invite people to fight illiteracy, disease, and all the social vices to get out of darkness and come to the light of the new civilization basing on all the good values that will guide us to development.

The relationship gathering Religion, ethics, and values is an unattached link, which comes out of influencing and being influenced. As a result of those principles and the social reality he's living. Man is influenced by his environment and society from which he gets his principles, ethics, and education. As man is influenced by his reality, society's issues, his wishes and aspirations, he also affects his society. For achieving his ambitions, he must interact with his society's issues, hopes, and aspirations and be integrated with them. Then, he must conceive them and express them in a manner reflecting his understanding and his attitude towards his society and life.

The trends and opinions relating to authority concerning vices and some of the main social systems like religion and family, which were and are still the basis of the values and the formative ethical social systems, which are always stated by religion and treated by Sharia. Without doubt, any Quran reader deduces that the mentioned instructions aren't original in man, but they're created with the immersed social phenomena that has a relation with the him like poverty, hunger, and misery, which were in a narrow horizon, due to life simplicity at the pre-Islamic age. Thanks to Quran that shows all those values and instructions. All of its Surats and Verses include the spirit of love, friendship, and forgiveness, as well as inviting people for the good treatment. It also refuses all the forms of violence, extremism, and vices. Despite the Messenger, God's prayers and peace be upon him, suffering in conveying his message and the bad treatment he received from the nonbelievers, he always treated them well. His story with the Jewish man is a good example of his virtue. While the Jewish man was always putting dumpin front of the Messenger's door, this latter visited him once, since he thought that the Jewish man was ill, for he didn't do it that day. There're a lot of good examples like this. Quran refuses reciprocity in the issues of unbelief and the bad treatment. The messengers and the Prophets were the first in doing all the good deeds, hence the Islamic nation must follow them, since they teach us that Religion is the good treatment. Being afraid of God and stop doing vices are the perfect ethics in Islam and for Muslims. These rules are fixed and valid for all time and for all places, since they're set by God not by mankind.

Quran is full of recommendations for being with virtuous ethics, as it's illustrated through the example of the two following Quranic Verses:

In the name of Allah, the Gracious, and the Merciful:

"2. ... And let not the hatred of people who barred you from the Sacred Mosque incite you to aggression. And cooperate with one another in virtuous conduct and conscience, and do not cooperate with one another in sin and hostility. And fear Allah. Allah is severe in punishment." Surat Al-Ma'idah.

In the name of Allah, the Gracious, and the Merciful:

"36. Worship Allah, and ascribe no partners to Him, and be good to the parents, and the relatives, and the orphans, and the poor, and the neighbour next door, and the distant neighbour, and the close associate, and the traveller, and your servants. Allah does not love the arrogant show-off." Surat An-Nisa'.

Key words: Quran, the values, the human behaviour, the social values, the ethical values.

موضوع القيم :

القيم عموماً متصلة بعضها ببعض مقترنة بالسلوك الإنساني، فلا يمكن أبداً أن نفصل أو نفرق بين الواحدة والأخرى لأنه في الأساس سبب وجيه للاقتران، وصفة لم شمل لا فصل ولا قطع بينها. لذلك فإن العملية التربوية تركز على مجموع القيم الأخلاقية والاجتماعية، كيف لا وهي استثمار بشري راق يسموا بحياة الأفراد والجماعات، وبالحياة الإنسانية عموماً، وبالعلاقات فيما بينها إلى أعلى المستويات الممكنة، كما وأنها من ضروريات الحياة الأساسية المدرجة والمبرجة لإعداد جيل ناجح، جيل مسؤول ومتمسك يكسب المتعلم خبرات ومعلومات كفيلة بدخوله في المجتمع.

الأخلاق في حياة المسلم أصولاً للحياة الإنسانية يباركها الدين الإسلامي ويبحث كثيراً على التحلي بها، والتعامل بتعاليمها من أجل الترفع والسمو بشأن من يملكها أو يتحلى بها، ولعل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم أكبر وأكثر شخصية، بل وأعظم شخصية إنسانية تعد مثلاً أعلى يقتدى به، والقائد الأعلى للجماعات المسلمة، وهو أسوتهم الحسنة أين قدم مجموعة من القيم من أجل بناء نظريات وقواعد، للمشروع الإسلامي، فيفعل ويتفاعل مع الآداب والسلوكيات التي تعنى بتطبيق الأخلاقيات والمبادئ الإسلامية على أرض الواقع: "﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾"¹

إن نهج الأخلاق يندرج مبدئياً ضمن باب آداب التعامل مع الآخرين، أو بين الأفراد فهو الصورة الصادقة، الواضحة الجلية عن حسن الأخلاق، والتي تنم عن سلامة النفوس، وصحة العقيدة، والانزياح عن الرياء والخبث والردائل، فالإسلام يحمل في مبادئه قواعد نظرية أخلاقية متكاملة تبعث على تمجيد الفضائل، وتقود إلى نبذ الرذائل؛ وهي غاية، رسالة الإسلام ومبتغاه رحمة للعالمين وعلى هذا الأساس

تتوافق القيم الأخلاقية مع القيم الاجتماعية في العقيدة والدين، من خلال ورودها في القرآن الكريم، على اعتبار تماهي الأخلاق في الجانب الاجتماعي، من خلال القيم الاجتماعية العامة والخاصة أو بين المجتمع والأسرة.

فالأخلاق الاجتماعية التي عرضها القرآن الكريم تتمحور حول:

-علاقة الإنسان بربه.

-علاقة الإنسان بأسرته.

-علاقة الإنسان بمجتمعه.

والحديث عن علاقة الإنسان بربه، فهي علاقة عبادة تستوجب التقرب إلى الله عن طريق الطاعات، والعمل رغبة ورهبة في إرضائه، فغاية المؤمن أو المسلم رضاه والجنة؛ وذلك لا يتأتى إلا باحترام تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والعمل بها.

ومنها قواعد الإسلام وأركانه الخمسة، التي يصلح بها إسلام المرء وهي : الشهادتان ،الصلاة، الصوم، الزكاة ، والحج ؛ فركن الصلاة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر قد أعطاه الدين مكانة خاصة كيف لا وصلاحتها من صلاح الشخص، وهي أول ما يحاسب عليه المرء يوم يلقى ربه قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾².

وفي هذه الآية تأكيد على أول عبادة تقيم أعمالنا و تقرنا من الله سبحانه وتعالى وأحسن واسطة بين العبد وخالقه ومن جهة ثانية فيها دلالة واضحة على احترام الوقت والعمل به ،فالزمن والوقت، قيم سامية لا يمكن الاستغناء عنها ولا تلافيتها، والعمل دون مراعاتها يؤدي حتما إلى فقدان الكثير من المصالح، فالصلاة بهذا رأس العبادات وعمود الإيمان الصحيح ولذلك قال سبحانه وتعالى في فضلها، : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾³.

وقد حرص القرآن على غرس، القيم الأصيلة، قيم الخير والفضيلة، وهو عنصر هام في قبول دعوة الإسلام وانتشارها الواسع العظيم، وتربية الإنسان التربية الخلقية اللازمة التي تزوده بكم وافر من المعرفة، وأنساق متنوعة من القيم والمبادئ التي تسهم في بناء الضمير الملائم، السليم الصحيح من أجل أن يوجهه، ويضبط سلوكياته ويقيم تصرفاته. فبمجرد محافظته على هذا الركن ؛تتكشف أمامه سبل النجاح والفلاح و بها يتم الصلاح، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وهي أجمل الفضائل وأحسن القيم؛ ولا بد أن لقمان الحكيم في وصاياه لابنه جعلها من أولوياته، كيف لا وفيها قدم لقمان عصارة حكمته في هذه

الحياة فقدمها بطريقة مشوقة، ترغب الابن أو أي إنسان مؤمن، أو حتى النفس البشرية على السواء، فترغبها في العمل الصالح والأخلاق الحميدة، وتدفعها للتخلي بها، وتشرح لها النفس، قال الله تعالى في محكم تنزيله: " يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور" ⁴

ولأنه لكل مفهوم في القرآن قيمته، فإن الصلاة كانت أكبر قيمة تكلم عنها القرآن الكريم، وهي عبادة شاملة كاملة ترتبط روحيا مع المولى عز وجل وبها تصلح الأعمال، وهي أيضا المحور الأول الذي يجمع بين العبد وخالقه بعد مسألة الإيمان به سبحانه، وعدم الشرك به ففي الشرك ظلم عظيم.

القرآن بشري وموعظة، وذكرى للمؤمنين، وهو المعجزة الخالدة التي تمثل دستورا للحياة يعالج فيها كافة انشغالات الإنسان ومجمل متطلباته، بل وكل ما يحتاج إليه؛ قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ⁵، وعلى هذا الأساس لم يغفل أبدا اللبنة الأولى التي تسهم وبشكل فعال في تكوين الشخصية الإنسانية ألا وهي الأسرة كيف لا ومعجزة القرآن الأخلاقية والاجتماعية والتربوية جاءت متعددة الأساليب والمناهج والسبل وقد حرصت أشد الحرص على التكوين الحسن لمنير هام ترسم فيه معالم شخصية الفرد وشخصية الجماعة على ضوءها وعلى أساسها، فسعت الأسرة على المستوى الفردي والشخصي لتهيئة الأفراد لاختبارات قادمة تحدد سلوكياتهم، وتغرس المثل العليا والقيم الأخلاقية والاجتماعية، ومبادئ الدين السمح في تكوين، نفوس أفرادها، واتجهت به نحو الأعمال الصالحة، وإبعاده عن ما سواها، فالعمل الصالح يشتمل على روح الإسلام وهي القيم الفاضلة المتضمنة لمكارم الأخلاق المرتبطة أساسا بتهديب النفوس وصقلها بالفضائل، وشحن العقول وتزويدها بما يكفل لها التشرب من معاني الحب التآخي، الحلم، التعاون، التأزر، الصدق والإخلاص، العدل والتكافل، الإيثار، الاعتدال في الإنفاق وفي المأكل والمشرب، والحرص على الوقت من الضياع وصلة الرحم، ومواساة الأهل والأقارب، وحب الخير للجميع، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ". رواه البخاري ومسلم ⁶، ولعل أهم قيمة تجمع بين الأبناء بالآباء هي البر بالوالدين والإحسان لهما: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ ⁷، وتكاد لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من مثل هذه القيم الثابتة والدائمة الخاضعة للانتشار والاستمرار والتداول والخلود

الذي يتصل اتصالاً منطقياً واضحاً بالأهداف التي تسعى التربية الأسرية والتربية الدينية قبل ذلك إلى إقرارها وتحقيقها، فمثل هذه القيم من شأنها تنظيم العلاقات الأسرية كالمودة والرحمة وهي عنوان الأخلاق الإسلامية، ووحدة من أسماء الله الحسنى، فالرحمة تكون بين الأهل وبين الأبناء فيما بينهم، وبين الأقارب وحتى الأجانب، بل وأكثر من ذلك بين الإنسان والحيوان، فلا يحمله مالا طاقة له، أو يعذبه أو يجهد، وتكون الرحمة حتى بين الإنسان والنبات أي مع الطبيعة فلا يفسد ولا يذر،، والنفقة أو الإنفاق عن الأهل يقول تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَلِيتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾⁸، وصلة الرحم، وعلاقات القرى : ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾⁹. كل هذا من شأنه أن يحقق السعادة له، وهو أحوج إليها في زماننا أكثر من أي وقت مضى، وأحوج ما يكون للالتزام بهذه الأخلاق القرآنية .

والعلاقة بين الإنسان ومجتمعه تكاد تكون مكتملة لعلاقته بأسرته، فالأخلاق الاجتماعية الخاصة ببناء الأسرة أو المجتمع، ولعل قمة السيادة في الأخلاق على الإطلاق كونها أكثر ما يدخل المرء الجنة لذلك ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم وعظم شأنها فكما ثبت في الأحاديث في حديث المصطفى أن الأخلاق أثقل شيء في الميزان وأنها أكثر ما يدخل الناس الجنة .¹⁰

إن التربية الحسنة هي التي تجعل من أولوياتها مسألة العلاقات بين الناس، فكثيراً ما أوصانا القرآن والسنة بحسن المعاملة وحسن الجيرة، ومصاحبة الأخيار، ففي إكرام الجار وهي من مكارم الأخلاق و أنبها يقول سبحانه، يوصي عباده بالجار ذي القرى والصاحب : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا﴾¹¹، من أجل المعاني الواردة في هذه الآيات الكريمات تذكيره سبحانه وتعالى بذي القرى وهم ذوو القرابة من الأم أو الوالد يدعونا سبحانه للإحسان لصلة الرحم، والتكفل باليتيم، والرأفة والرحمة بالمسكين الذي ركه ذل الفاقة والحاجة والعوز، كما أكد على الجار ذي القرى والذي من المرجح أن يكون الجار ذي القرابة والرحم أو الذي تكون بينه وبين جاره علاقة قرابة، وسواء كانوا جيراناً فحسب أم جيران أقارب أو ذوي رحم وجب التعامل معهم بإحسان فلهم علينا حق القرابة وحق الجيرة، كما أوصانا خيراً بالجار الجنب، وهو البعيد عن قرابة الرحم، بمعنى الجار بالسكن، والصاحب أي الصديق له نصيب وافر من الدعوة إلى

حسن التعامل معه، والتقرب إليه دون إغفال شريحة مميزة في المجتمع الإسلامي وهي فئة أبناء السبيل من الضيوف والعابرين، والمسافرين، كل هذه الفئات المتفاوتة والمختلفة بين قرابة النسب وقرابة السكن أو عابري السبيل دعت العقيدة بكل وضوح إلى ضرورة الربط بين العمل والقيمة، والسلوك، فالغاية كل الغاية من الأخلاق في الإسلام هو بناء مفهوم التقوى والورع الذي يجعل أداء العمل الطيب واجبا وإلزاما محتما، وضرورة قصوى في كيفية حسن التعامل والمعاملة، أو العكس بالمقابل حيث يتم تجنب الأعمال المخزية الدنيئة الهدامة، الدافعة لتهديم العلاقات لا لبنائها وإنجاحها.

القيم الاجتماعية تمثل وحدة المجتمع وتماسكه، فكلما كانت القيم موحدة وثابتة، كلما أدى ذلك إلى تماسك المجتمع ووحدته، وإذ تستمد مجملها من مصدرها الأول وهو القرآن الكريم، ثم التنشئة الاجتماعية، والفلسفة التربوية و: " .. كلما كانت القيم موحدة وثابتة، كلما أدى ذلك إلى تماسك المجتمع، ووحدته إلى حد كبير، وبقدر تفاوت القيم وتباينها، يكون تفكيك المجتمع ومن ثم فإن وجود أنساق مشتركة من القيم داخل المجتمع تعمل بوصفها إطارا مرجعيا مشتركا ساند الأفراد والمجتمع".¹²

ولأن القيم الاجتماعية تزود الإنسان بالطاعات و تمدد بالطاقات الفاعلة غي الحياة، وتبعده عن السلبية، و تحفظ للمجتمعات بفائها واستمراريتها، قال تعالى في محكم تنزيله: "، ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون"¹³، وقوله أيضا في سورة النحل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾¹⁴

لهذا فإن سعادة المرء في حياته الدنيوية، وفلاحة في آخرته منوط بالمرجعية الدينية في ثقافتنا الإسلامية فهي الوحي المطلق المستوعب للزمان والمؤطر للإنسان في مثل هذا السياق وفي كل سياق. ومثل هذه القيم أو غيرها كثير تضمن اهتمام الناس بعضهم ببعض أو حبههم الكبير لبعض، وتجعلهم يفكرون بإيجابية تضمن لهم أيضا الاعتقاد بأهمية المعتقد والمسائل الروحية والدينية والغيبية، وكذا حقائق المعاملات والعلاقات الإنسانية التي تعد بمثابة قناديل أضاءت سبل الاستقامة والرشد والسداد. فالأمانة قيمة وصفة كثيرا ما حثنا الله سبحانه وتعالى على التحلي بها، والتعامل بها وفي هذا الصدد يقول سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾¹⁵.

ويقول كذلك عزمي قائل: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾¹⁶، وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال صلى الله عليه وسلم: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة" قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: "إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"¹⁷.

القيم كثيرة وديننا لم يغفل أي قيمة إلا وتحدث عنها أو أشار إليه غير أن الدارسون أو الباحثون لم ينفردوا لها أبواب خاصة، وفي هذا يقول اللواء الدكتور " فوزي طائل " - عليه رحمة الله - " يلحظ الباحث أن فقهاء المسلمين لم ينفردوا أبوابا خاصة بالقيم، لأن القيم الإسلامية هي الدين ذاته، فهي الجامع للعقيدة والشريعة والأخلاق، والعبادات والمعاملات، ومناهج الحياة و المبادئ العامة للشريعة الإسلامية من رفع الحرج وتيسير حياة الناس، ودفع المفاسد فيها يعتبر مصدرا من مصادر القيم الإنسانية الإسلامية وهي العمد التي يقام عليها المجتمع الإسلامي فهي ثابتة ثبات مصادرها، وهي معيار الصواب والخطأ بها يميز المؤمن الخبيث من الطيب، ويرجع إليها عدد صنع القرارات واتخاذها، وهي التي تحدث الاتصال الذي لا انفصام له بين ما هو دنيوي، وبين ما هو أخروي في كل مناحي الحياة "¹⁸.

وفي العهد و الوفاء قال سبحانه وتعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾¹⁹.

هذا عهد بين العبد وخالقه نجم في الأساس عن مدى قوة الإيمان أولا وعن التسليم بالذات وبالنفوس والنفس لوجه الله تعالى، خوفا وطمعا، رغبة ورهبة، هي في الأخير قيم المحافظة عليها تعني التمسك بعلاقة الفرد مع خالقه، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾²⁰، أو في قوله سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾²¹، لاشك في أن القطب الأعظم من الدين يتأسس إجمالا من مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما وهو من القيم السامية الرفيعة التي لطالما تغنى بها الشعراء والأدباء، وهي

المهمة التي بعث بها كثير الأنبياء والرسل، وهو من القيم الإنسانية الاجتماعية والأخلاقية التي تنظم علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتسهم إسهاما جليا في توجيه الفرد والمجتمع نحو العمل الصالح هذا الأخير - أي العمل الصالح - يشتمل على كل القيم والمبادئ الإسلامية الفاضلة، ومكارم الأخلاق سواء ارتبطت بتهديب النفس أو بتوجيه الفكر، أو حتى شحن العقل بالطاقة اللازمة لمسايرة ومواكبة هذه القيم، فالدعوة إلى الخير والنهي عن المنكر، والمعاملة الحسنة هي نفسها الوصايا التي أوصى بها سيدنا لقمان عليه السلام ابنه في وصيته الخامسة، والتي حدد فيها معالم الشخصية السوية التي ترمي إلى توضيح الوضع الصحيح لصاحبه داخل المجتمع، ومثل هذه الشخصية البارزة تؤثر في المجتمع فهو إنسان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وبهذا يكون حال الأمة، فالأمة التي تشيع فيها هذه المثل وهذه القيم تكون أمة رائدة بارزة عظيمة فاعلة وفعالة تؤثر في مسار الأمم الأخرى وهكذا كان حال الأمة الإسلامية لما سارت قدما وفق ما أمّلته عليها قيم الدين الإسلامي الحنيف، وبهذا لا تكون أمة، محصورة في نطاقها الضيق أو المحلي، وإنما تكون قائدة رائدة تؤثر على كل الأمم الأخرى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾²². فإذا ما سيطرت على الناس صفة التسامح فسوف يعم خير كبير على أفراد الأمة، ولا يمكن أبدا أن نستوفي موضوع القيم دون الحديث عن أكثرها وأبرزها ورودا في القرآن الكريم؛ من مثل الحلم والتسامح والصفح عند المقدرة، أو العفو وكظم الغيظ، وفي هذا الشأن يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: "من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخبره الله من، الحور ما شاء"²³، وتكاد هذه القيمة الدينية تتوافق وتتقارب مع إصلاح ذات البين سواء بين الأفراد أو العائلات أو حتى بين الأمم أو الدول يقول الله جلا وعلا: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين".²⁴ هي دعوة كريمة لأهل الإيمان والتقوى بإصلاح الخلاف بين المتخاصمين بالعدل، والدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه، وإن أبت إحداهما وتمسكت برأيها ورفضت الإذعان للرأي العادل الحكيم وهو حكم الله عز وجل، وإن تعدت على هذا الرأي وجب قتلها ومحاربتها حتى تعود عنه وترجع إلى حكم العادل الذي حكم بين عباده في كتابه، وهنا يتم إنصاف المظلوم من الظالم كيف لا والمؤمنون إخوة وجب الإصلاح بينهما.

كما قال سبحانه وتعالى في ذات الصدد بعد أن نعوذ باسم الله من الشيطان الرجيم : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾²⁵ يحث سبحانه وتعالى على الإسراع لطلب المغفرة من الله عز وجل، ويعد بالجنة التي عرضها السموات والأرض للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء و يكظمون الغيظ ويعفون عن الناس عند المقدرة هؤلاء يحبهم الله سبحانه وتعالى ويرزقهم من فضله، فلا أجمل ولا أروع ولا أعظم من وعد الله بالجنة في سبيل قيم التسامح والتواضع والدعوة لكظم الغيظ . ما أروع هذا الدين الذي يتسم بالدعوة للتخلي بهذه السمات وهذه الخصال الحميدة، يسمو بالعبد إلى مصاف عالم المثل عالم الفضائل عالم الأخلاق التي بها تتطور المجتمعات وترقى وتزدهر .

قال تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾²⁶،

هي سور من القرآن تحمل معاني التسامح والتآخي وإصلاح ذات البين، إلا أنها لا تغفل أبدا عن كثير من الخصال والشيم الإنسانية الراقية، والتي تدخل ضمن باب القيم الخلقية والأخلاقية أو الاجتماعية التي أوردها القرآن الكريم، الذي لا يكاد يخلو سطر فيه أو آية منه أو حتى سورة من سوره إلا أكدت بل رَغَبَتْ ورهَّبت في خلال وخصال وجب على المرء التحلي بها ففي القرآن بشرى وموعظة وذكرى للمؤمنين، وهو دستور الله في الأرض يعالج جوانب الحياة المختلفة فلا يغفل عن شيء وفيه قال تعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾²⁷، ويقول سبحانه : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾²⁸ فمن القيم التي ذكرت فيه على سبيل الإدراج كأمثلة لا على سبيل الحصر، الاستقامة في السلوك والقصد إلى الأمر في غير عشوائية أو سير من دون هدف معين أو دون وجهة، فالحكمة تقتضي أن يجعل المرء لمشيه هدفا وفائدة وغاية، ويظهر هذا واضحا في وصايا لقمان لولده فيقول : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾²⁹. النهي عن التكبر واحتقار الغير من عباد الله والإعراض عنهم عند الكلام تكبرا وتجبرا، والصد إصغارا وتحقيرا لشأنه، واقصد في مشيك؛ إذ جعل المشي هنا مجازا وإنما المقصود به المشي المقرون بغاية، لا المشي لمجرد المشي أو السير فحسب .

كما دعا إلى ضرورة التورّع وخفض الصوت الشديد العالي، عند التخاطب أو عند، صدوره، حتى لا يلفت النظر إليه ويزعج به الغير، وهي صورة من صور التواضع التي كثيرا ما حثنا عليها القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.³⁰

إن الذين يمشون بسكينة و قارهم المتواضعون لله وللعباد هم المقصودين بالحديث في هذه السورة ؛ وهم الذين يتسمون بالحلم والثبات، بالهنية والسكينة فلا هم ممن تجبر ولا هم ممن تكبر، ولا هم ممن يسعى إلى الفساد أو ارتكاب المعاصي، هؤلاء يحبهم الله وإذا أحب الله عبدا من عباده حُب خلقه فيه وجعل له القبول في الأرض والسماء ، كما وأن كل سمة وكل صفة وكل قيمة تتعدى الشخص إلى غيره ؛ فهي لا تخصه في حد ذاته ولكن بما أنه لا يعيش في هذه الدنيا بمفرده ولوحده، فإن هذه السمائل تجمعها بغيره من الناس وكل فعل من شأنه أن تنجم عنه نتائج تربطه بغيره، فالتواضع لله من شأنه الرفعة والتواضع للبشر يجعله محبوبا ومقبولا ومقربا منهم، وهذا هو الجانب الاجتماعي الذي يربط الشخص بغيره على سبيل المعاملة الحسنة وربط أواصر المحبة والصدقة والقرابة، فهو وإن عاش بمفرده لا يهم أن يتمتع بمثل هذه الخصال، أو يتعامل مع الغير بمثل هذه السلوكات العامة .

لذلك فتحديد الضوابط، وهندسة الأطر الصحيحة للحياة الاجتماعية والمسؤولية الاجتماعية، يوفر للجميع سعادة الدارين، وينتهي بالفرد في الأخير إلى تحقيق غاياته وأهدافه وكل ما يصبو إليه، " فالقيم الاجتماعية هي القيم التي تنظم أشكال تعاون أفراد المجتمع بعضهم البعض، كالتعاون، والتكافل الاجتماعي، والمودة والتضحية والبذل "³¹، وكل قيمة من القيم السالفة الذكر هي في الحقيقة صفات خلال وأخلاق لها الأثر الكبير سواء على الإنسان في حد ذاته أو على أسرته أو مجتمعه.

إن تقوى الله هي الغاية الأسمى، والقيم هي واحدة من العناصر المحققة للتقوى ؛ وقد يكون شهر رمضان المعظم من أكبر وأقوى المناسبات التي تبرز مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، أو بعض المناسبات الدينية والعقدية، أو حتى المناسبات الاجتماعية أو الشعبية، من خلال ما تعرضه من تلاحم وتعاون وتأزر بين الناس إضافة إلى الروحانية والتقرب إلى الله عن طريق العبادات، وصالح الأعمال وطيبها ، وكذلك الالتزام، الأخلاقي الذي يعد أساس هذه العبادات و قانونها الثابت، والدعامة الأولى التي تحفظ مكانة الشعوب

وكيفانها، يقول جوستاف لوبون بعد أن اطلع على القرآن الكريم : " إن أصل الأخلاق في القرآن الكريم عال علو ما جاء في كتب الأديان الأخرى جميعا " .³²

الهوامش

- ¹ - سورة آل عمران، الآية: 110.
- ² - سورة النساء، الآية: 124.
- ³ - سورة العنكبوت، الآية: 45.
- ⁴ - سورة لقمان، الآية: 17.
- ⁵ - سورة الأنعام، الآية: 38.
- ⁶ - ، articles.islamweb.net
- ⁷ - سورة الإسراء، الآية: 23-24.
- ⁸ - ، سورة البقرة، الآية: 215.
- ⁹ - سورة الرعد، الآية: 01.
- ¹⁰ - ينظر، الإمام النووي أبي زكريا محي الدين : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، في أبواب حسن الخلق، دار الآثار للنشر، القاهرة، 2007، ص209.
- ¹¹ - سورة النساء، الآية: 36.
- ¹² - ويس كامل مليكة: سيكولوجية الجماعات والقيادة، مكتبة النهضة المصرية، بالقاهرة، ط1، 1991، ص ص: 77، 78.
- ¹³ - سورة الأعراف، الآية: 96.
- ¹⁴ - سورة النحل، الآية: 112.
- ¹⁵ - سورة الأنفال، الآية: 27.
- ¹⁶ - سورة الأحزاب، الآية: 72.
- ¹⁷ - رواه البخاري " 6015 "
- ¹⁸ - فوزي محمد طایل: كيف تفكر استراتيجيا، مركز الإعلام العربي، القاهرة، 1997، صص 30-31 .
- ¹⁹ - سورة الأنعام، الآية: 152
- ²⁰ - سورة آل عمران، الآية: 104.
- ²¹ - سورة آل عمران، الآية: 110.

-
- 22 - سورة الذاريات ، الآية : 15-19 .
23 - صحيح ابن ماجه :3375 .
24 - سورة الحجرات، الآية : 9 .
25 - سورة آل عمران ، الآية : 133-134 .
26 - سورة آل عمران، الآية : 159 .
27 - سورة الأنعام، الآية : 38 .
28 - سورة البقرة، الآية : 23 .
29 - سورة لقمان، الآية : 18
30 - سورة الفرقان، الآية : 63
31 - MAWDOO3.COM
32 - ALWAEIASHABABY.COM موقع الوعي الشبابي : السبت 21 أبريل 2018

-المصادر والمراجع :

-القرآن الكريم ، برواية ورش عن نافع .

المصادر

- أبي زكريا محي الدين "الإمام النووي" : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، في أبواب حسن الخلق ، دار الآثار للنشر ، القاهرة ، 2007 .
-ابن ماجه محمد بن يزيد الربيعي القزويني ، أبو عبد الله بن ماجه :صحيح سنن ابن ماجه ، تحقيق ، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ، مجلد ، ط1، 1997، 1417 .
-البخاري ، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، أبو عبد الله : صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، مجلد1، ط1، دمشق ، بيروت ، 2002، 1423،

-المراجع:

- فوزي محمد طاييل: كيف تفكر استراتيجيا، مركز الإعلام العربي ، القاهرة ، 1997 .
- مليكة ويس كامل : سيكولوجية الجماعات والقيادة، مكتبة النهضة المصرية، بالقاهرة، ط 1، 1991 .
-المواقع الالكترونية :

articles.islamweb.net-

. MAWDOO3.COM-

ALWAEIASHABABY.COM- موقع الوعي الشبابي : السبت 21 أبريل 2018

مصطلح "الإرهاب" في القرآن الكريم

روباش عز الدين (أستاذ محاضر ب)

جامعة غرداية (الجزائر)

roubache_izzeddine@hotmail.com

الملخص بالعربية:

اليوم، تنتشر العديد من التحيزات والأكاذيب و الأفكار المغلوطة حول الدين الاسلامي خصوصا في العالم الغربي. من بين هذه الأمور المبتذلة نجد كليشيهات "الإرهاب الإسلامي". هذه الأخيرة إنتشرت بشكل أساسي بعد العملية المدوية التي قادها تنظيم القاعدة ضد الولايات المتحدة في 11 سبتمبر 2001. و منذ ذلك الحين أخذت هذه التمثيلات و التصورات التي تصف الإسلام بأنه "إرهابي" تتطور تدريجياً ، هنا وهناك ، ولا سيما بسبب الهجمات التي توالى من طرف تنظيم القاعدة (الدار البيضاء 2003 ، مدريد ، 2004 ، لندن ، 2005 ، إلخ). هدفنا في هذا البحث ، الذي يندرج في مجال تحليل الخطاب ، هو إعادة النظر في هذا الوصف لأن مفهوم الإرهاب في حد ذاته غامض ويصعب فهمه حيث لا يوجد اتفاق في العالم بشأن تعريف هذه الظاهرة الاجتماعية السياسية. و يتضح مما سبق أن مصطلح الإرهاب مثير للجدل وهذا ما دفعنا إلى التشكيك في وصف "الإسلام الإرهابي". لذا نقترح في هذا البحث العودة إلى القرآن الكريم بنسخته العربية (لغته المصدر) والنسخة الفرنسية المترجمة ، لإجراء دراسة جردية لجميع مواضع مصطلح الإرهاب و الألفاظ المشتقة منه من أجل فهم معانيها في سياقاتها اللفظية و الزمكانية.

تتيح لنا هذه الطريقة الوصول إلى المعاني الحقيقية لهذا المصطلح في سياقاته القرآنية لمقارنتها مع تلك المعطاة له من قبل الباحثين والصحفيين في عالم اليوم ، وخاصة في الغرب ، وذلك في محاولة لعلاج الصور النمطية الخاطئة التي ترسخت بشأن الإسلام.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التحريف، الكليشيهات الزائفة، الإسلام، سوء الفهم، الإرهاب.

The concept of "terrorism" in the Holy Quran

ROUBACHE Izzeddine (lecturer B)

University of Ghardaia (Algeria)

roubache_izzeddine@hotmail.com

Abstract:

To date, much bias and untruths circulate in the Western world about Islamism. Among other things, the stereotype of Muslim terrorism. The latter was built essentially following the reverberating operation led by Al-Qaeda against the United States on September 11, 2001. Consequently, representations describing

Islam as "terrorist" are gradually developing, here and there, notably, because of the attacks still carried out by Al-Qaeda organization (Casablanca. 2003, Madrid. 2004, London. 2005, etc.) Nevertheless, is Islam really "terrorist"? Answering this question is not easy as the concept of terrorism is itself vague and difficult to define insofar as there is no agreement in the world concerning the definition of this socio-political phenomenon. The term "terrorism" is therefore controversial and this is what motivated us to call into question the label "terrorist Islam". Thus, we set out in this research to return to the sacred book of Muslims, namely the Holy Quran in its Arabic version (its source language) and the translated French version. Our concern is to carry out a discursive analysis of all the occurrences of the term terrorism and its derivatives in order to understand its meanings in the cotexts and also their contexts of revelation. This task allows us to return to the true meanings of this term in the Qur'an and thus attempt to put right the false stereotypes that are mistakenly made of Islam.

Keywords: Denigration, Islam, Misunderstandings, Stereotype, Qur'an, Terrorism.

Introduction

L'Islam est une religion de paix, de miséricorde, de fraternité, de douceur et d'amour, de justice et de loyauté et non pas une religion de corruption et de désordre ; comme le dit la Parole de Dieu, en s'adressant au prophète Mohamed (Que Dieu le bénisse et le salue) : « *Nous t'avons seulement envoyé comme une miséricorde pour les mondes* »¹ (Sourate : Les prophètes. Verset : 107). Toutefois et malheureusement, certains non-musulmans et même des musulmans s'efforcent d'enlaidir l'image de cette religion devant le monde entier, avec ou sans intention, par les paroles ou par les actes, ou même par les mauvaises représentations que l'on transmet d'une génération à une autre. A la suite des attentats qui ont secoué le monde, ici et là, vers la fin du XX^{ème} siècle- début XXI^{ème} siècle, et notamment ceux ayant frappé les Etats-Unis le 11 septembre 2001, on qualifie l'Islam de terroriste. Cependant, « *terrorisme* » n'est pas un simple mot que l'on peut utiliser et comprendre facilement. Tout au contraire, c'est un terme fort complexe et difficile à cerner dans la mesure où il acquiert de la charge idéologique différemment suivant le contexte dans lequel il est employé. C'est dans cette perspective que nous nous proposons d'étudier les significations, les interprétations ainsi que les représentations de ce terme dans une communication interculturelle qui relie entre la révélation coranique et le monde actuel (notamment le monde occidental) qui avait,

peut-être, mal compris le Coran ou qui essaye délibérément de détourner les réalités.

Dans un article intitulé « *Cinq idées reçues sur l'islam et le terrorisme* » publié dans le journal Le Monde du 24 novembre 2015, les journalistes disent ceci : « Après les attentats du 13 novembre, comme après ceux de janvier, les ventes de Coran se sont envolées (7 des 20 meilleures ventes de livres religieux sur Amazon France concernent l'islam, dont le Coran en première place), comme s'il s'agissait de trouver dans le livre l'origine de cet appel à la violence. »ⁱⁱ Ces affirmations et ces statistiques montrent, bel et bien, que le monde essaye de comprendre les comportements des terroristes (qui se nomment Djihadistes) en revenant à la lecture du Coran. Cependant, lire le Coran dans sa langue d'origine (la langue arabe) diffère de sa lecture en d'autres langues, dans des versions traduites, car une traduction n'est jamais parfaite, comme l'affirme le proverbe italien « Traduire, c'est trahir ». « Mais que dirai-je d'aucuns, vraiment mieux dignes d'être appelés traditeurs, que traducteurs ? Vu qu'ils trahissent ceux qu'ils entreprennent exposer, les frustrant de leur gloire, et par même moyen séduisent les lecteurs ignorants, leur montrant le blanc pour le noir. »ⁱⁱⁱ D'ailleurs, dans la préface de la version sur laquelle nous basons dans la présente étude l'auteur annonce dans la préface : « Un livre sacré s'adresse d'abord à ceux qui savent la langue, il la consacre et il la propage. Mais il ne peut s'empêcher de rayonner plus loin qu'elle. Alors commencent les traductions à leurs risques et périls. »^{iv}

Il ajoute : « Le texte coranique est un sacrement : il apporte la grâce de le croire. Sa naissance fut miracle. Est-ce qu'un traducteur peut refaire un miracle ? Il peut du moins, à force de respect pour ce texte, en livrer le reflet. D. Masson humblement et patiemment essayé arrive, par une sorte d'ascèse, à rendre contagieux le mouvement de ce langage. »^v

C'est pourquoi, nous nous sommes trouvés motivés par la volonté de revenir et de réviser les vraies significations du terme terrorisme dans le Coran. Et ce afin de remédier les fausses représentations dont on fait à nos jours et encore pour éviter les risques d'une compréhension erronée du Saint Coran et mettre face aux tentatives de manipulations.

Ceci dit, nous proposons de soulever la problématique suivante : Le Coran a-t-il prôné et exhorté au terrorisme ? Y a-t-il vraiment ce que l'on appelle terrorisme islamique ? Ou c'est seulement une représentation de la

réalité qui utilise des termes biaisés empruntés à d'autres contextes ? Etant donné que notre propos est relatif essentiellement au terme *terrorisme*, nous essayerons de répondre encore aux questions suivantes : Qu'est-ce que c'est le terrorisme ? (Cette tâche ne sera pas aussi simple, que l'on peut le croire, parce que trouver une définition parfaite et unanime serait impossible). Comment les dérivés de terrorisme (= أرهب, يرهب, إرهاب) ont été traduits dans la version française du Coran ? Les versets coraniques, contenant des occurrences de ces dérivés, coïncident-ils avec les critères des définitions du terrorisme dans le monde actuel ?

Nous émettons à priori les hypothèses suivantes :

- Il y a un fossé de désaccord et de malentendu qui s'est creusé au fil du temps entre la réalité coranique et les interprétations actuelles en ce qui concerne le terme "terrorisme".
- Certains font de la manipulation pour dénaturer délibérément le Coran et l'Islam ?

Les objectifs de la présente recherche se résument dans les points suivants :

- Mettre en évidence que la notion du *terrorisme* reste toujours floue ce qui risque de générer des malentendus ;
- Enumérer les occurrences des dérivés du terme *terrorisme* dans le Saint Coran ; et tenter d'aborder leurs significations dans leurs contextes coraniques ;
- Comparer entre les définitions données au terme terrorisme dans les différents domaines (politique, sociologie, philosophie, médias, etc.) et les significations de celui-ci dans le Coran.
- Mettre en exergue les clichés et les représentations que l'on se fait du terrorisme (soi-disant musulmane) ;
- Montrer l'opposition et la contradiction entre les significations de *terrorisme* et ses dérivés tels qu'ils apparaissent dans le coran et les représentations dont on se fait (notamment en occident).

1- Autour du terme *terrorisme*

Le mot terrorisme est dérivé de *terror* (l'étymon latin de *terreur*) avec le suffixe *-isme*. Il trouve sa genèse lexicographique au cours de la période de la Grand Terreur qui a marqué la Révolution Française. Sa première occurrence date du 11 septembre 1794, ou il est employé pour la première fois dans *le Journal de la Liberté du Peuple de Gracchus Babeuf*.

Il désigne alors la « doctrine des partisans de la Terreur » (: *Le mouvement révolutionnaire et de la Terreur*) instaurée par Maximilien de Robespierre. Les partisans, de ce dernier, cherchaient «à semer l'épouvante, pour piller et tuer les populations. Ils brûlent les récoltes, ils peuvent démolir les maisons, les villes et les églises. (...). Ils empoisonnaient les puits et les étangs. Ils minaient les ponts, ils détournaient les rivières, ils faisaient sauter les barrages.»^{vi}

Il s'ensuit que de par son étymologie et son contexte d'apparition le terme revêt un impact psychologique : celui d'effrayer, d'épouvanter et de faire peur à l'autre. Il fait, donc, partie du champ sémantique de : *affoler, paniquer, terrifier, porter atteinte, blesser, vexer, offenser, épeurer*, etc. Cependant, le problème auquel se heurte l'analyse linguistique réside dans l'usage de l'adjectif *terroriste* ; autrement-dit sur quels critères peut-on se fonder pour qualifier un tel ou tel acte de terroriste ?

Répondre à cette interrogation, nous renvoie vers la définition du terrorisme, non pas en tant que un mot, mais comme un phénomène social et un fait politique (c'est pour essayer de cerner la ou les notions et les représentations que ce terme peut couvrir et/ou engendrer).

2- « Le terrorisme » : tentative de définition

Tout d'abord, il faut signaler que le concept terrorisme a des contours flous et qu'il s'abstient à une définition immuable. Si chacun d'entre nous se croit spontanément savoir ce que recouvre ce terme, personne n'est capable de produire une définition qui requiert un accord unanime. «*Tout le monde sait a priori ce qu'est le terrorisme : la société se reconnaît immédiatement comme victime. L'émotion suscitée donne à cette notion un faux air d'évidence, mais quand on l'analyse, c'est beaucoup plus complexe.*»^{vii} avoue le philosophe TERESTCHENKO.

Les tentatives de cerner la notion de terrorisme sont échouées parce que son emploi répond à des appréciations subjectives de la légalité^{viii} d'un acte (sa conformité avec la loi) et de sa légitimité (sa conformité avec la morale).

Selon le point de vue du politologue français *François-Bernard Huyghe* : si le terrorisme résiste à toute tentative de définition, c'est la preuve qu'il «*n'existe pas*», «*Il n'y a que des méthodes terroristes. Il consiste uniquement en une stratégie*». Le terrorisme n'est donc qu'«*un vieux serpent de mer* !»^{ix}

En réalité cette notion est éminemment subjective et ne cesse de fluctuer au gré des conflits et des instrumentalisations. Pour nous, loin d'entrer dans ce débat complexe, notre propos ici n'est pas de proposer une définition à ce qui est le terrorisme mais de s'interroger sur la justesse, la légalité et la légitimité d'attribuer à chaque occasion, ici et là, le caractère de terrorisme à la religion musulmane.

Pour ce faire, nous adopterons une démarche scientifique fondée sur la comparaison entre les définitions données par des philosophes, politologues, criminologues au terrorisme d'un côté et les versets contenant les occurrences des dérivés de ce terme de l'autre côté.

Notre souci est celui de mettre en relief la charge idéologique de ce terme notamment dans la communication interculturelle, dans l'objectif d'éviter d'être dupe à toutes instrumentalisation délibérée de ce terme pour manipuler l'opinion public vis-à-vis du Coran.

3- Analyse du terme *terrorisme* "إرهاب" dans le saint coran

Le terme terrorisme إرهاب est un nom dérivé du verbe يرهب – أُرهب qui se traduit en français par *remplir d'horreur ou d'effroi, terrifier, épeurer, terroriser, glacer, affoler...* . Tous ces verbes véhiculent le sens de la peur et celui de la terreur.

Les occurrences des dérivés du terme إرهاب se comptent au nombre de douze dans le Coran, or leurs significations diffèrent les unes des autres. C'est pourquoi, nous proposons dans ce qui suit de passer en revue les douze versets dans lesquels ces dérivés apparaissent :

-1- ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ المائدة (82)	Tu constateras que les hommes les plus hostiles aux croyants sont les Juifs et les Polythéistes. Tu constateras que les hommes les plus proches aux croyants par l'amitié sont ceux qui disent : «Oui, nous sommes Chrétiens!» parce qu'on trouve parmi eux des prêtres et des moines qui ne s'enflent pas d'orgueil. (LA TABLE SERVIE. 82)
-2- ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۚ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا	Ils ont pris leurs docteurs et leurs moines ainsi que le Messie, fils de Marie, comme seigneurs, au lieu de Dieu. Mais ils n'ont reçu l'ordre que d'adorer un Dieu unique :

هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ التوبة (31)	Il n'y a de Dieu que lui ! Gloire à lui ! A l'exclusion de ce qu'ils lui associent. (L'IMMUNITE. 31)
-3- ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ التوبة (34)	Ô vous qui croyez ! Beaucoup de docteur et de moines mangent en pure perte les biens des gens et ils écartent ceux-ci du chemin de Dieu. Annonce un châtement douloureux à ceux qui thésaurisent l'or et l'argent sans rien dépenser dans le chemin de Dieu. (L'IMMUNITE. 34)
-4- ﴿٢٧﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ الحديد (27)	Nous avons ensuite envoyé sur leurs traces nos autres prophètes et nous avons envoyé après eux Jésus, fils de Marie. Nous lui avons donné l'Evangile. Nous avons établi dans les cœurs de ceux qui le suivent la mansuétude, la compassion et la vie monastique qu'ils ont instaurée – nous ne la leur pas avions pas prescrite- uniquement poussé par la recherche de la satisfaction de Dieu. Mais ils ne l'ont pas observée comme ils auraient dû le faire. Nous avons donné leur récompense à ceux d'entre eux qui ont cru, alors que beaucoup d'entre eux sont pervers. (LE FER. 27)
-5- ﴿٤٠﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ البقرة (40)	Ô fils d'Israël ! Souvenez-vous des bienfaits dont je vous ai comblé. Soyez fidèles à mon alliance ; je serai fidèle à votre alliance. – Craignez-moi !- (LA VACHE.40)
-6- ﴿٥١﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَيَإَيَّاءِ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ النحل (51)	Dieu dit : «Ne révèrez pas deux dieux. Il n'y a, en vérité, qu'un Dieu unique. Redoutez-moi donc !» (LES ABEILES. 51)
-7- ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ فِي تَسْحِطِهَا هُدًى	Lorsque la colère de Moïse se fut apaisée ; Il prit les Tables sur lesquelles sont inscrites une Direction et une Miséricorde

﴿ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ الأعراف (154)	pour ceux qui craignent leur Seigneur (AL'ARAF.154)
-8- ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُتَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۚ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ الأنبياء (90)	Nous l'avons exaucé ; nous lui avons donné Jean ; nous avons rendu son épouse capable d'enfanter. Ils s'empressaient de faire le bien, ils nous invoquaient avec amour et avec crainte. Ils étaient humbles devant nous. (LES PROPHETES. 90)
-9- ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ القصص (32)	Introduis ta main dans l'ouverture de ta tunique, elle en sortira blanche, sans aucun mal. Serre ton bras contre toi pour ne pas avoir peur. Voilà deux preuves décisives de ton Seigneur, destinées à Pharaon et aux chefs de son peuple. Ce sont des gens pervers ! » (LE RECIT. 32)
-10- ﴿ لَا تَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ الحشر (13)	Vous jetez certainement dans leurs cœurs plus de terreur que Dieu lui-même, parce que ce sont des gens qui ne comprennent pas. (LE RASSEMBLEMENT. 13)
-11- ﴿ قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَغَرُّهُمُ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾ الأعراف (116)	Il dit : « Jetez ! » Après qu'ils eurent jeté, ils ensorcelèrent les yeux des gens ; ils les effrayèrent ils déployèrent une puissante magie. (AL'ARAF.116)
-12- ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴾ الأنفال (60)	Préparez pour lutter contre eux, Tout ce que vous trouverez, de forces et de cavaleries, afin d'effrayer l'ennemi de Dieu et le vôtre et d'autres encore, que vous ne connaissez pas, en dehors de ceux-ci. Mais que Dieu connaît. Tout ce que vous aurez dépensé dans la voie de Dieu vous sera rendu et vous ne serez pas lésés. (LE BUTIN.60)

Afin de faciliter et aussi de bien organiser l'étude de ce corpus nous avons réparti notre analyse en quatre parties ; en prenant comme paramètre la ressemblance et la proximité lexic-sémantique entres les occurrences dont nous nous intéressons :

3-1- Première partie de l'analyse

Dans les versets (01), (02), (03) et (04) on trouve deux dérivés qui sont رُهْبَانِيَّةٌ – رُهْبَانٌ qui se traduit respectivement en moine et vie monastique. Selon le Coran les moines ont suivi Jésus et les enseignements de l'Evangile c'est pourquoi on trouve dans leurs cœurs de la clémence et de la compassion, comme Dieu le confirme : « *Nous avons établi dans les cœurs de ceux qui le suivent la mansuétude, la compassion et la vie monastique* » (Sourate : le Fer, verset.27).

Il est cité dans leur livre : « *Quiconque te frappe sur la joue droite tourne lui la gauche.* »^x Étant donné que, selon leur religion, le combat n'est pas légitimé, et c'est pour cela que Dieu a dit : «Tu constateras que les hommes les plus proches aux croyants par l'amitié sont ceux qui disent : «Oui, nous sommes Chrétiens !» parce qu'on trouve parmi eux des prêtres et des moines qui ne s'enflent pas d'orgueil. » (LA TABLE SERVIE. 82)

Ainsi, ces quatre occurrences n'ont rien de relation avec la terreur et le terrorisme. A contrario, elles renvoient à la paix.

3-2- Deuxième partie de l'analyse

Dans les versets (05), (06) et (07) on constate le dérivé du verbe أَرَهَبَ au mode impératif إِرْهَبُون. Ce verbe est traduit dans ses trois occurrences par *craindre* (deux fois) et *redouter* (une fois). Tout d'abord, *Craindre* et *redouter* sont des synonymes qui partagent le sens d'éprouver la peur devant quelqu'un ou devant quelque chose. Cependant, dans ces versets c'est le Seigneur qui ordonne Baní Israél à avoir peur de Lui. Autrement-dit, Il les exhorte et les menace pour qu'ils reconnaissent la vérité, suivissent le bon chemin et craignent Son châtement.

Donc, les significations ici sont antagonistes avec les définitions que l'on donne au terrorisme. Dans la mesure où la crainte entendue dans ce contexte coranique se situe dans la relation Dieu-homme et non pas des humains qui en menacent d'autres.

3-3- Troisième partie de l'analyse

Dans les versets (08), (09) et (10) on atteste aux dérivés الرَّهْبُ et الرَّهْبَةُ qui se sont traduits par *crainte*, *avoir peur* et *terreur* suivant leurs cotextes d'apparition. Afin de cerner sémantiquement et pragmatiquement ces termes, nous devons procéder à une analyse qui exploitera, en plus des cotextes, les contextes de révélations :

Dans (08), le Seigneur dit dans le verset que Zacharie, son épouse et son fils Jean étaient des vrais croyants qui l'invoquaient avec amour et avec crainte. Loin du sens terrorisme, il s'agit ici d'inciter à prier Dieu de la sorte. Dans ce sens, Abdullah Ben Hakim rapporte : « Abou Bakr, dans un de ses prêches, a dit : « Je vous recommande de craindre Dieu et de faire ses louanges, de mélanger le désir avec le redoute et d'invoquer Dieu avec insistance. Car Dieu a fait l'éloge de « Zacharie et ses siens » en disant d'eux : « Tous trois étaient empressés à faire le bien. Ils nous invoquaient avec amour et avec crainte. Ils étaient humbles devant nous. »^{xi}

Dans (09), Dieu invite Moïse à presser ses bras contre son corps afin de lutter contre l'angoisse et ne pas avoir peur, autrement-dit, une fois faisant cela toute l'épouvante qu'il ressentait disparaîtra. Selon Moujahed cité par d'IBN-KATHIR : « Moïse –que Dieu le salue- avait peur chaque fois qu'il regardait Pharaon et invoquait le Seigneur par ces mots : « *Grand Dieu, je Te demande de me préserver contre lui et je me réfugie auprès de Toi contre son mal* ». Dieu par la suite remplissait de peur le cœur de Pharaon qui, en voyant Moïse, urinait à la façon d'un âne ».^{xii} Ou encore, selon Qatada contre la panique qui l'a pris en voyant le serpent se tortiller.

Dans (10), la parole de Dieu porte sur les hypocrites et est adressée aux musulmans : « *Ils vous craignent plus qu'Allah Lui-même* » car ce sont des gens qui ne comprennent pas, comme Dieu dit, dans un autre contexte : « *Voici que certains d'entre eux craignent les hommes de la crainte due à Dieu, ou d'une crainte plus forte.* » (LES FEMMES.77)

Ayant passé en revue ces trois occurrences, il s'avère que الرَّهْبُ et الرَّهْبَةُ qui sont de la même famille que إرهاب (=terrorisme) n'ont rien à voir avec les représentations que des termes comme *attentats, fusillade, combat*, etc. faisant parti du même champ sémantique que *terrorisme* peuvent engendrer.

3-4- Quatrième partie de l'analyse

Dans (11), on trouve l'emploi du verbe إسترهب qui signifie effrayer et faire peur. Cependant, il ne s'agit nullement d'une incitation de faire du terrorisme mais d'un récit de l'histoire du prophète Moïse avec les magiciens de Pharaon.

En outre, il s'agit de critiquer et de blâmer le terrorisme pratiqué par les sorciers de Pharaon qui éblouiraient les yeux des spectateurs afin de les remplir de terreur ; et ce en se servant d'une magie extraordinaire.

Dans (12), le verset 60 de la sourate le Butin, Dieu dit : « (...) afin d'effrayer l'ennemi de Dieu et le vôtre (...) » l'intention de ce discours est de repousser le conflit et l'injustice. D'ailleurs, les versets 60 à 66 enseignent aux musulmans de préparer la guerre sur tous les fronts tout en étant prêts à faire la paix si l'autre partie y est encline. Le Seigneur dit : « *S'ils inclinent à la paix, fais de même ; confie-toi à Dieu car il est celui qui entend et qui sait.* » Donc les motivations de terroriser ne sont pas de tuer mais d'éviter le combat et d'enrayer les risques de reprise d'un conflit.

Conclusion

En guise de conclusion, nous disons que l'Islam n'est pas une religion de corruption et de désordre. De telles représentations erronées se nourrissent de l'ignorance des contextes et des causes de la révélation des versets coraniques ou encore des difficultés de la traduction.

« *Une terminologie sociopolitique ou d'inspiration religieuse nourrissent des antagonismes irréductibles que l'on décèle dans le vocabulaire et que l'on retrouve exprimés dans les media sous forme d'amalgames sommaires, d'équivalences douteuses, de traductions arbitraires, de détournements de sens insidieux.* »^{xiii} Ainsi, nous avons tenté dans cette étude de cerner le terme *terrorisme* dans le Coran. L'analyse discursive de ce terme, dans les contextes linguistiques et les contextes situationnels, a pu montrer l'existence d'un écart assez vaste entre l'usage sociopolitique du terme *terrorisme* et son usage dans les textes coraniques.

ⁱ Masson, D. (1967). Le Coran. Paris : Gallimard. p.407. (Version du Saint Coran, traduite par Denise Masson : cette version est la plus vendue et elle a eu le label d'« essai d'interprétation du Coran inimitable », qui distingue les traductions les plus fidèles du texte coranique, de la part des oulémas de l'Université Al-Azhar du Caire.)

ⁱⁱ Mathilde, D. et al., (2015). Cinq idées reçues sur l'islam et le terrorisme. Journal Le Monde publié le 24 novembre 2015 à 18h59, consulté le 25.02.2020 sur : https://www.lemonde.fr/les-decodeurs/article/2015/11/25/cinq-idees-recues-sur-l-islam-et-le-terrorisme_4817306_4355770.html

ⁱⁱⁱ Du Bellay, J. et Séché, L. (1905). La Défense et illustration de la langue française. Paris : Ed. E. Sansot. P.76.

^{iv} Grosjean, J. «Préface ». In Masson, D. (1967). Le Coran. Paris : Gallimard. P.06.

^v Idem.

^{vi} Carrier, H. (2005). Le terrorisme dans le monde. In Classiques des sciences sociales, site web de Université de Québec à Chicoutimi, consulté le 20.02.2020 http://classiques.ugac.ca/contemporains/carrier_herve/terrorisme_dans_le_monde/terrorisme_dans_le_monde_texte.html

^{vii} Terestchenko, M. (2015). L'ère des ténèbres. Lormont : Le Bord de l'eau.

^{viii} Il n'existe toujours pas de définition juridique universelle qui fasse l'unanimité. Même l'approche **de l'ONU**, qui figure dans une résolution de février 2000, est large et inopérante. Le terrorisme est défini comme un ensemble d'«*actes criminels conçus ou calculés pour provoquer, avec des objectifs politiques, un état de terreur dans l'opinion en général ou dans un groupe ou parmi des personnes en particulier*».

^{ix} Huyghe, F-B. Terrorismes : violence et propagande. Paris : Gallimard.

^x Ibn-Kathi Abul-Fida .I. L'interprétation du Coran. Traduit en français par : Ahmed Harakat, p.353.

^{xi} Ibid. p.353.

^{xii} Ibid. p.18.

^{xiii} Kaufman, F. (2003). La terminologie idéologique du terrorisme dans le conflit du Proche-Orient sous le regard de l'interprète et du traducteur. In Topique N°2. P.90.

- Références bibliographiques

1. Carrier, H. (2005). Le terrorisme dans le monde. In Classiques des sciences sociales, site web de l'université de Québec à Chicoutimi.
2. Du Bellay, J. et Séché, L. (1905). La Défense et illustration de la langue française. Paris : Ed. E. Sansot.
3. Grosjean, J. «Préface ». In Masson, D. (1967). Le Coran. Paris : Gallimard.
4. Huyghe, F-B. Terrorismes : violence et propagande. Paris : Gallimard.
5. Ibn-Kathi Abul-Fida .I. L'interprétation du Coran. Traduit en français par : Ahmed Harakat. (Version électronique disponible en ligne sur : <https://archive.org/details/tafsir-ibnkathir-complet-francais/mode/2up>)
6. Kaufman, F. (2003). La terminologie idéologique du terrorisme dans le conflit du Proche-Orient sous le regard de l'interprète et du traducteur. In Topique N°2.
7. Masson, D. (1967). Le Coran. Gallimard. Paris.
8. Mathilde, D. et al., (2015). Cinq idées reçues sur l'islam et le terrorisme. In Journal Le Monde du 24 novembre 2015.
9. Terestchenko, M. (2015). L'ère des ténèbres. Le Bord de l'eau. Lormont.

الاستنباطات المنهجية عند مفسري الغرب الإسلامي: المنهج العقلي أنموذجا

الباحث طارق أبدال

جامعة الحسن الثاني - الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية - المغرب

Tarikabidar2@gmail.com

الملخص بالعربية:

الإسلام ينوّه تنويرها كبيرا بالعقل، ويعلي من مكانته وقيّمته، وحث على استعماله. والناظر في آيات القرآن الكريم يجد أنّها تناولت موضوع العقل من عدة جوانب، وطرحت له مجموعة من القوانين والنظريات، ليفكر ويتعلم ويستفيد، لذا نجد في كل موضع آيات هادية تحث العقل على التدبر، وترسم له المنهج الصحيح للعمل والتفكير، وهذا المنهج واسع ومتفرع تندرج تحته مجموعة من أنواع المنهج التي تدعمه.

فجاءت هذه الدراسة انطلاقا من دراسة لبعض تفاسير علماء الغرب الإسلامي، واستقراءها، لاستنباط بعض أنواع المنهج المتفرع عن المنهج العقلي، منها: المنهج الاستدلالي، ومنهج الجدل، ومنهج الخطاب العقلي.

منهج الاستدلال: منهج يساعد في إنتاج المعرفة، انطلاقا من التمييز بين الأدلة السليمة وغير السليمة، وهو منهج اعتمده إبراهيم -عليه السلام- للبحث عن حقيقة التوحيد، وينفّرع إلى الاستدلال بالتمانع، والاستدلال بوجود الأثر على وجود المؤثر، والاستدلال بالتحدي، والاستدلال بقياس التمثيل، والاستدلال بإظهار مجارة الخصم في مزاعمه.

منهج الجدل: يعد الجدل فرعا من المنهج العقلي الذي يستند إليه الشرع، ليرد على دعاوي المغرضين وأنواع من الافتراءات الباطلة التي يدحضها هذا المنهج، حيث سيتم تناول هذا المنهج من خلال قواعد الجدل والمناظرة، مثل: ما يتوجب تركه في الجدل كالتقليد وإتباع الظن وإتباع الهوى، وما يجب الالتزام به في النقاش كالموضوعية والأمانة العلمية والعدل.

منهج الخطاب العقلي: وهو خطاب توجيهي يرشد العبد إلى الطريق المستقيم والعلم الصحيح، فهو يملأ العقل قناعة والقلب طمأنينة، وسيتم تناوله من خلال خطاب يدعو إلى البحث والتفكير، وخطاب تحفيزي، وخطاب الوعيد.

الكلمات المفتاحية: الاستنباط المنهجي، المنهج العقلي، منهج الاستدلال، منهج الجدل، منهج الخطاب العقلي، الغرب الإسلامي.

Methodological Extractions of Exegetists of the Islamic West: Mental method model

TARIK ABIDAR

Hassan II University - Casablanca, Faculty of Letters & Humanities

Mohammedia Morocco

Tarikabidar2@gmail.com

Abstract:

Islam gives great mention to the spirit, elevates its status and value, and encourages its use. Whoever looks at the verses of the Noble Quran finds that they deal with the subject of reason in several aspects and offer a set of laws and theories for him to think, learn and benefit, we find guide verses that push the mind to contemplate, and to draw for this the correct method of action and thought, and this method is broad and branched, under which a group of types of method fall.

This study came on the basis of a study of certain interpretations of scholars of the Islamic West, and their extrapolation, to deduce certain types of study programs deriving from the mental method, in particular: inference method, dialectic method and mental discourse method.

The inference method: a method which helps to produce knowledge, based on the distinction between solid and unhealthy evidence, and it is a method adopted by Ibrahim - be peace upon him - to seek the truth of monotheism, and it is divided into inference by contemplation, infer the existence of an effect on the presence of the influential, infer by contestation, and infer by measuring the representation and inference by showing the conformity of the opponent in his claims.

The dialectic method: Controversy is a branch of the mental method that Sharia is based on, to respond to the claims of malicious people and the types of false slander that this program refutes, as this method will be dealt with through the rules of debate and debate, such as: what should stay in the discussion, such as imitation, following guesswork, and following whims, and what to adhere to in discussion, such as objectivity, scientific honesty, and fairness.

Mental discourse method: It is an orientation speech that guides the servant to the right path and correct knowledge, as it fills the mind with conviction and the heart with comfort, and it will be approached through a speech that calls looking and thoughtful, motivational speech and threatening speech.

Keywords: Methodological Extractions, mental method, inference method, the dialectic method, mental discourse method, Islamic West.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن نبراسا وهداية للعالمين، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد،

نظرا لأهمية القرآن الكريم حرص علماء التفسير؛ قديما وحديثا، على بيان هداياته، والكشف عن أسرار وحكمه، وكان لعلماء الغرب الإسلامي نصيب من هذا العلم، حيث عكفوا على الاشتغال بهذا القرآن تعلمًا وتعليمًا ودراسة، قصد تبيان معانيه واستخراج فوائده واستنباط مكنوناته، فقد حوت تفاسيرهم عددا من الهدايات القرآنية والإرشادات الربانية. وتحقيقا لذلك تأتي هذه الدراسة لتبين الحاجة إلى إبراز المنهاج العقلي في القرآن الكريم، وضرورة الاهتمام به في ظل ما يعرفه الإسلام حاليا من تحديات.

أهمية الدراسة

إن واقعنا الحاضر يحتم علينا إنصاف هذا الدين، فما يتعرض له الإسلام من تحديات من قبل أهل الملل والنحل يحتم علينا هذا النوع من الدراسة، لامتلاك أسلحة العقل لرد افتراءاتهم بشتى أنواع البرهان وطرق الاستدلال. فحاجة الأمة ملحة إلى بعث المنهاج الإسلامي من جديد، بعد أن غفلت عنه، لمواجهة تحديات العصر ومستجداته الضاغطة.

أهداف الدراسة

- الوقوف على بعض الاستنباطات المنهجية العقلية.
- الكشف عن جانب من جوانب التفكير المنهاجي لدى مفسري الغرب الإسلامي.
- إبراز أهمية العقل في القرآن الكريم.
- بيان بعض أنواع المناهج العقلية.
- الكشف عن مقاصد المنهاج العقلي في القرآن الكريم.

الإشكالية

يعتبر المنهاج العقلي المقوم الأساسي لكل معرفة سواء في المعارف الإنسانية أو الدينية، والقرآن الكريم بذاته سلك هذا المنهج في إثبات عقيدته لدحض عقيدة الكفر. فما المقصود بالمنهاج العقلي؟ وهل تفاسير علماء الغرب الإسلامي تحوي هذا المنهاج؟ وما الغاية التي يروم تحقيقها؟

الدراسات السابقة

- لم أجد حسب علمي من بحث تناول استنباطات المنهاج العقلي عند مفسري الغرب الإسلامي بشكل خاص، إلا بعض الدراسات في الاستنباط بشكل عام عند بعض المفسرين ودراسات أخرى خاصة بالمنهج العقلي في القرآن الكريم، وهذه عينة منها:
1. رسالة ماجستير موسومة بـ: "الاستنباط عند مكّي بن أبي طالب في تفسيره الهداية إلى بلوغ النهاية: جمعا ودراسة"، من إعداد الطالب ناصر بن محمد الحمد، جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين، موسم 1438هـ/2017م.
 2. رسالة ماجستير موسومة بـ: "الاستنباط عند الإمام ابن باديس في تفسيره مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، من إعداد جيلالي بن معمر قوادري، جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية كلية الدعوة وأصول الدين، سنة 2017م.
 3. رسالة ماجستير موسومة بـ: "الاستنباطات عند العلامة محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: جمعا ودراسة"، من إعداد أيمن بن غازي بن حسين صابر، وبإشراف الدكتور طه عابدين طه حمد، جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين بالمملكة العربية السعودية، سنة 2014م.
 4. أطروحة دكتوراه موسومة بـ: "أنماط الخطاب العقلي في القرآن الكريم" من إعداد فريال محمد أحمد القضاة، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، سنة 2008م.
 5. أطروحة دكتوراه موسومة بـ: "الاستنباط عند الإمام ابن عطية الأندلسي في تفسيره المحرر الوجيز"، من إعداد عواطف أمين يوسف البساطي، من كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، وبإشراف الدكتور عطية محمد باشا، سنة 2008م.
 6. أطروحة دكتوراه موسومة بـ: "منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة"، إعداد مجاهد محمود أحمد ناصر من كلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين، سنة 2003م.
 7. أطروحة دكتوراه موسومة بـ: "الدعوة إلى الله بالمنهج العقلي من خلال سورة البقرة" من إعداد عمر أبو المجد بن حسين قاسم النعيمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية كلية الدعوة والإعلام بالرياض، سنة 1987م.

خطة الدراسة

جاءت هذه الدراسة في مقدمة اشتملت على أهم عناصرها، وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة. في المقدمة، عرض الباحث أهمية هذا الموضوع وأهدافه، وإشكالية الدراسة والدراسات السابقة، ثم خطة الدراسة ومنهجها. التمهيد تناول فيه الإطار العام للدراسة. في المبحث الأول خصص للتعريف بمفردات عنوان البحث. أما المبحث الثاني تناول فيه استنباطات المنهاج العقلي عند مفسري الغرب الإسلامي، وقسم إلى ثلاثة مطالب: المطلب الأول خصص لمنهاج الاستدلال، والمطلب الثاني لمنهاج الجدل، والمطلب الثالث لمنهاج الخطاب العقلي.

أما المبحث الثالث عنون بمقاصد المنهاج العقلي عند مفسري الغرب الإسلامي. الخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات. وأخيرا قائمة المصادر والمراجع.

منهجية الدراسة

المنهج المتبع في هذه الدراسة: المنهج الوصفي: عمد فيه إلى وصف مفهوم عنوان البحث بأجزائه الأربعة: الاستنباط، المنهاج، العقل، الغرب الإسلامي. المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال تتبع مواطن المنهاج العقلي في بعض تفاسير علماء الغرب الإسلامي. المنهج التحليلي: وذلك من خلال عرض هذه الاستنباطات المنهجية، وتناولها بالدراسة، ووصفها وتحليلها، والخلوص إلى نتائج منها.

تمهيد

إن المتأمل في كتاب الله، يرى أنه كتاب هداية يحترم العقل البشري ويقدره ويدعمه، ويجعل له قواعد وضوابط هادية تباعد بينه وبين الزلل، وأمده بالوحي ليرشده، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَنْتَهِبْكُمْ مِّنِّي هُدًى، فَمَنْ إِنِّبَعْ هُدَايَ فَلَا يَصِلُ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: 120 - 121].

كما قدم العديد من المناهج المرشدة الهادية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 217].

والناظر في آيات القرآن الكريم، يجد أنها تناولت موضوع العقل من عدة جوانب، وطرحت له مجموعة من القوانين والنظريات، ليفكر ويتعلم ويستفيد.

لذا نجد في كل موضع، آيات هادية تحت العقل على التفكير، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [محمد: 25]، وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 43]، وقوله أيضاً: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 51].

فعلى الإنسان أن يكمل عقله وحواسه، ويصوّل ويجول في مناحي الكون والنفس والجسم، ليرتقي في علاقته مع ربه من جهة، وعلاقته مع نفسه من جهة، وعلاقته مع محيطه من جهة أخرى.

فما الذي يقدمه القرآن الكريم من هدى في هذا المجال؟ وما المقصد الذي يروم تحقيقه؟ وهل يمكننا من خلال هذا الهدى العودة إلى الصواب الحضاري، وتشبيد علم المنهاج العقلي الإسلامي وفق ضوابط وقواعد إسلامية؟ وهل يمكننا في ضوء هذا المنهاج العقلي الإسلامي، مناظرة المجتمعات المتشعبة بقيم العلمانية والفردانية؟

بلغت العناية القرآنية بالعقل البشري مبلغاً كبيراً، ولن نكون مبالغين إن قلنا قد احتل في القرآن موقعاً كميّاً وكيفيّاً، فلا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من تناول هذا الجانب في بعد أو أبعاد أخرى، وهذا ما أدركته كتب المفسرين، فأولت اهتماماً بتلك الآيات، مبينة أهمية العقل وأدواته ومصادره التي يعتمد عليها، وتوضح بجلاء قيمة العقل البشري إن سلك الدرب الإيجابي. فمعيّار التقويم الإيجابي أو السلبي هو السلوك البشري الخاضع للعقل، وكتب التفاسير في ذلك واضحة كل الوضوح، ولا يمكننا إغفال دور علماء الغرب الإسلامي في بناء وتأسيس المنهاج العقلي الهادف، وما يتعرض له الإسلام اليوم من تحديات تدعو إلى التأكيد على أهمية هذا المنهاج للدفاع عن الدين ونصرة العقيدة.

ومن خلال دراستنا لمجموعة من تفاسير علماء الغرب الإسلامي واستقراءها جاءت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف مفردات عنوان البحث.
- المبحث الثاني: استنباطات المنهاج العقلي عند مفسري الغرب الإسلامي.
- المبحث الثالث: مقاصد المنهاج العقلي عند مفسري الغرب الإسلامي.

المبحث الأول: تعريف مفردات عنوان البحث

اهتم التراث الإسلامي بالمفاهيم لكونها تسمح بتصنيف الموضوعات والموجودات، وبالتالي تكون قابلة للفهم. ومن المنطقي أن يبدأ الباحث في تحديد مفاهيم بحثه لتحقيق الغاية المنشودة وتوضح فكرة دراسته.

فما المقصود بالاستنباط المنهاجي؟ وماذا نعني باستنباط المنهاج العقلي؟
لفظ "الاستنباطات المنهاجية" مركب تركيباً وصفيًا، وتعريفها بهذا الاعتبار يستلزم تعريف أجزائها:
"الاستنباطات" و"المنهاجية" ثم نعرف "العقل" كي نعطي تعريفًا لاستنباط المنهاج العقلي.

المطلب الأول: الاستنباط لغة واصطلاحاً

الاستنباط لغة: من (نبط) كلمة تدل على استخراج شيء. واستنبطت الماء: استخرجته،⁽¹⁾
والنَّبْط: الماء الذي يَنْبُطُ من قَعْرِ البئر إذا حُفِرَتْ. أَنْبَطْنَا الماءَ، أي: استنبطناه، يعني: انتهينا إليه⁽²⁾.
واصطلاحاً يقول ابن حزم (ت 456هـ): "الاستنباط: إخراج الشيء المغيب من شيء آخر كان فيه"⁽³⁾.

ويقول أبو حيان (ت 745هـ): "الاستنباط استخراج من معنى اللفظ المتشابه بنوع من النظرة والاجتهاد والتفكير"⁽⁴⁾.

وانطلاقاً مما سبق، نعرفه بقولنا: الاستنباط هو استخراج ما خفي من النص بفرط الذهن.

المطلب الثاني: المنهاج لغة واصطلاحاً.

يطلق المنهاج لغة على الطريق الواضح البين المستقيم، قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
[الفاتحة: 5]؛ أي: على الحق. والصراط في اللغة: المنهاج الواضح⁽⁵⁾.

واصطلاحا يقول فريد الأنصاري (ت 1430هـ): "نسق من القواعد والضوابط التي تتركب البحث العلمي وتنظمه" (6).

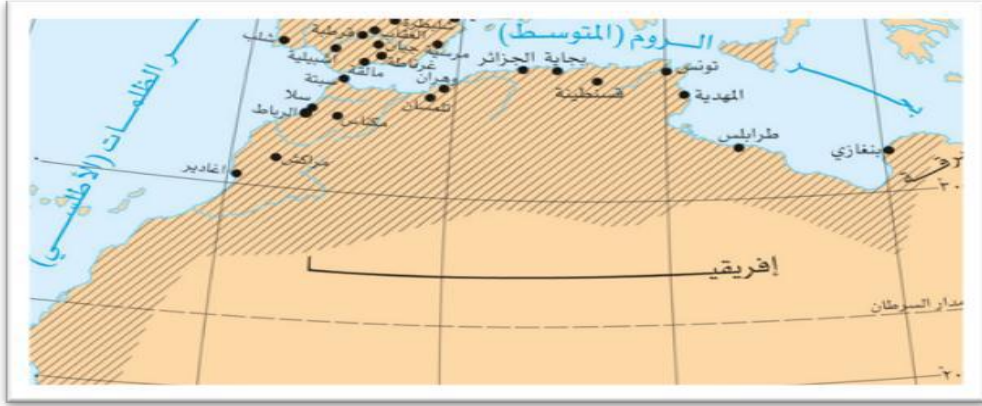
وعرفه الدكتور سامي النشار بـ: "طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية" (7).

ومما سبق، نعرف المنهاج بأنه: الطريقة الواضحة الموصلة إلى الحقيقة. وعليه يمكن تعريف "الاستنباطات المنهاجية" بأنها: عملية استخراج هدى رباني من خلال نص تفسيري.

المطلب الثالث: العقل لغة واصطلاحا

جاء في تاج العروس: العقل هو العلم، الحجر، النُّهْيَةُ، وهو قوة، وهو غريزة (8). وقال أبو بكر بن العربي (ت 543هـ): "العقل هو العلم أصلا" (9). واصطلاحا عرفه أبو الوليد الباجي (ت 474هـ) العقل بأنه: "العلم الضروري الذي يقع ابتداءً ويعم العقلاء" (10).

بعد دراسة وتحليل لمفهوم الاستنباط المنهاجي من جهة، والعقل من جهة أخرى، يمكن أن نقول بأن استنباط المنهاج العقلي هو: استخراج هدى رباني مرتكزه العقل. إذن، فالمنهاج العقلي منهاج رباني يقود إلى الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها عبر مجموعة من الضوابط المنهاجية التي تؤدي إلى المعرفة المضبوطة، وقد احتكم علماء الغرب الإسلامي إلى هذا المنهاج. والغرب الإسلامي هي رقعة جغرافية غرب مصر، تمتد من برقة وما يليها من بلدان إفريقية، مروراً بصقلية والمغربين الأوسط والأقصى وانتهاء بالأندلس.



المبحث الثاني: استنباطات المنهاج العقلي

الإسلام ينوه تنويرها كبيرا بالعقل، ويعلي من مكانته وقيمتها، فالعقل هو هبة الله للإنسان، لذلك جعله الله سبحانه سببا للتكليف، ومناطاً للمسؤولية، وحث على استعماله فيما خلق له، وفي المجال الذي يستطيعه، ورسم له المنهاج الصحيح للعمل والتفكير.

وهنا يبرز سؤال مفاده، إن كان التفوق الحضاري للإنسان يتوقف على آفاق العقل البشري، بكل إيجابياته - سواء نحو نفسه أو محيطه - فما هي مجالات هذا المنهاج؟ وهل تتقبل الحقائق القرآنية هذا المنهاج للجدل فيها والنقاش، أم أنه منهاج يخضع للإذعان؟

إن المنهاج العقلي منهاج واسع متفرع، تندرج تحته مجموعة من أنواع المنهاج التي تدعمه، وتتولى هدايته. وقد قام الباحث انطلاقاً من دراسته لبعض تفاسير علماء الغرب الإسلامي، واستقرائه لها، باستنباط بعض أنواع المنهاج المتفرع عن المنهاج العقلي، منها: منهاج الاستدلال ومنهاج الجدل ومنهاج الخطاب العقلي.

المطلب الأول: منهاج الاستدلال

يعد الاستدلال من الأدلة العقلية التابعة للمنهاج العقلي، والتي أقرها الشرع، ونادى بها علماء الغرب الإسلامي للوصول إلى اليقين بعد الملاحظة المتكررة والدقيقة.

منهاج الاستدلال منهاج يساعد في إنتاج المعرفة، انطلاقاً من التمييز بين الأدلة السليمة وغير السليمة، وهو منهاج اعتمده إبراهيم -عليه السلام- للبحث عن الحقيقة؛ حقيقة التوحيد، مستنداً في

عمليته العقلية إلى مجموعة من الوسائل، من بينها: الملاحظة الدقيقة، والنقد، والتحرر من التبعية والتقليد، ثم الانتقال مما هو معلوم إلى نتيجة ملزمة.

كما أن منهاج الاستدلال أحد وسائل إفحام الخصم وإقناعه، وفي هذا السياق نجد أن مولود السريوي قد نبه إلى وجوب معاملة الخصوم بما يتناسب وأحوالهم العلمية، والاعتقادية، بقوله: "من الضروري توعية الشباب للأخذ بمناهج معرفية وجودية عقلانية في إثبات النص الديني لمواجهة المشككين والقائلين بالحجج العقلية الصرفة"⁽¹¹⁾، وهذا من مظاهر الجدل القرآني الذي يحتكم إلى العقل لينبه الغافل ويعلم الجاهل.

الاستدلال بالتمانع

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22].

يقول ابن عاشور (ت 1393هـ): "هذه الآية استدلال على استحالة وجود آلهة غير الله بعد خلق السماوات والأرض لأن المشركين لم يكونوا ينكرون أن الله هو خالق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: 36]"⁽¹²⁾.

هذا النوع من الاستدلال يقصد به إفحام الخصم بإثبات المطلوب بإبطال نقيضه، وقول ابن عاشور "استحالة" بمعنى العدم، والمقابلة بين العدم والوجود دليل على أن النقيضين لا يجتمعان.

الاستدلال بوجود الأثر على وجود المؤثر

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 163].

قال لابن عرفة (ت 803هـ): عادة المتكلمين في كتبهم يذكرون باب حدوث العلم ويستدلون فيه على وجود الصانع ويفردون بابا آخر للاستدلال على وحدانية الصانع⁽¹³⁾. أي: فيجعلونهما باين والآية اقتضت الاستدلال بحدوث العالم على وحدانية الصانع.

فأجاب ابن عرفة بوجهين:

إن الآية خطاب لقريش وهم مقرون بأن المؤثر واحد والشركاء غير مؤثرين، فلا استدلال بالآية مع ضمنية اعتقاد أن المؤثر واحد استدلال به على أنه موجود.

أنها دليل على أن هذه الأشياء لها فاعل ومؤثر، وقد دل الدليل العقلي على منع اجتماع مؤثرين على أثر واحد فصح بالآية وجود الصانع ووحدانيته⁽¹⁴⁾.

هذا النوع من الاستدلال يقوم على الأخذ بالأثر للوصول إلى المؤثر، وهو ما أشار إليه ابن عرفة بقوله: "إنها دليل على أن هذه الأشياء لها فاعل ومؤثر"، فلكل حادث محدث، ولإفحام الخصم يلزم الأخذ بكل أثر لإلزام الخصم، وذلك مثلما فعل إبراهيم -عليه السلام- في مناظرته لقومه.

الاستدلال بالتحدي

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 38].

يقول القرطبي (ت 671هـ) في تفسير هذه الآية: "قد أزحت علتهم وإشكاهم في نبوتك بهذا القرآن، وحججتهم به، فإن قالوا: افتريته -أي اختلقته- فليأتوا بمثله مفترى بزعمهم. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي من الكهنة والأعوان" (15).

وقال ابن عجيبة (ت 1224هـ): "تحداهم أولاً بعشر سور، فلما عجزوا سهل الأمر عليهم وتحداهم بسورة. وتوحيد المثل باعتبار كل واحد. مفتريات مختلقات من عند أنفسكم، إن صح أني اختلقته من عند نفسي فإنكم عرب فصحاء مثلي" (16).

الاستدلال بالتحدي هو دحض لشبهات وافتراءات الخصم، وقد سلك القرآن في مجادلته هذا المنهج في عدة آيات، والهدف منها إقامة الحجة، وقد أشار كل من القرطبي وابن عجيبة إلى هذا النوع من الاستدلال لثبوت إعجاز الخصم، فقول ابن عجيبة "للمعارضة على المعارضة" من باب إعجاز الخصم على إثبات دعواه.

الاستدلال بقياس التمثيل

وقال سبحانه: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: 80].

قال أبو حيان: "ذكر ما هو أبداع وأغرب من خلق الإنسان من نطفة، ومن إعادة الموتى، وهو إنشاء هذه المخلوقات العظيمة الغريبة من صرف العدم إلى الوجود" (17).

وقال ابن عاشور: "في هذا الدليل بطريقة التقرير الذي دل عليه الاستفهام التقريري لأن هذا الدليل لوضوحه لا يسع المقرّر إلا الإقرار به فإن البديهة قاضية بأن من خلق السماوات والأرض هو على خلق ناس بعد الموت أقدر" (18).

لقد سلك القرآن في استدلاله مسلك قياس التمثيل، وهو إلحاق شيء بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يناظره، شرط أن يكون كما أشار ابن عاشور أمر بديهي، بمعنى: لا تنكره العقول. فالاستدلال بالحقائق البديهية العقلية هو هدم لما يراه المنكرون مفرا من التسليم في الجدل.

الاستدلال بإظهار مجازاة الخصم في مزاعمه

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تِلْكَ بَيِّنَاتُ اللَّهِ تَقْتُلُونَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَّاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 90].

يقول ابن جزري (ت 741هـ):

"﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن، ﴿بِمَا وَرَّاءَهُ﴾ أي: بما بعده وهو القرآن، ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ ردا عليهم فيما ادعوا من الإيمان بالتوراة، وتكذيب لهم، وذكر الماضي بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته، فكأنه دائم لما رضي هؤلاء به، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرطية بمعنى القدح في إيمانهم، وجوابها يدل عليه ما قبل، أو نافية فيوقف قبلها والأول أظهر" (19).

وقال الثعالبي (ت 875هـ): "وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ رد من الله تعالى عليهم، وتكذيب لهم في ذلك، واحتجاج عليهم" (20).

الحوار في هذه الآية يركز على محور الحقيقة، حيث يتم استدراج الخصم، والتسليم بمزاعمه، ثم تفنيدها، وإبطال الحجج التي جاء بها. وقد زعمت اليهود أنهم لا يمكنهم اعتناق الإسلام، لأنهم على شريعة موسى -عليه السلام-؛ كما أشار ابن جزري، فهذه الحجة فيها من التنافي، والتناقض بين أقوالهم، وأفعالهم، ما لا يقبله العقل، لذا وجب القدح في إيمانهم تكذيب لهم كما قال الثعالبي.

المطلب الثاني: منهج الجدل

إن القرآن لم يستثني شيئاً من دائرة النقاش تحت أي عنوان وذريعة، ويدور جدل القرآن على ضروب من القضايا، يكشف عن وجه الحق فيها، فالأسلوب المتبع في القرآن هو أسلوب الحوار، أي: ما يصطلح عليه في عصرنا بالرأي والرأي الآخر.

فما أصل مشروعية المنهج الجدلي؟ وهل من قواعد تضبطه؟

يعد الجدل فرعاً من المنهج العقلي الذي يستند إليه الشرع، ليرد على دعاوي الكاذبين وأنواع من الافتراءات الباطلة التي يدحضها هذا المنهج.

والأصل في مشروعيته، قوله تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46].

فهذه الآيات وغيرها، تحثنا على المجادلة وإبطال شبه الضالين؛ خاصة في المجال الدعوي، وإثبات وحدانيته سبحانه وتعالى، مع ضرورة الجدل بالتي هي أحسن.

قواعد الجدل والمناظرة

جاءت آيات القرآن الكريم ظاهرة في نصحها لأسلوب الجدل، سواء في مناظرته للكفار، أو جداله لأهل الكتاب، أو حوار مع المنافقين... وقد بينت لنا كتب تفاسير علماء الغرب الإسلامي قواعد هذا المنهج، فنبتذت أموراً واستحسنّت أموراً.

أولاً: ما يتوجب تركه في الجدل

■ التقليد

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 169].

يقول ابن عطية (ت 542هـ): "وقوة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد، وأجمعت الأمة على إبطاله في العقائد" (21).

ويقول أبو حيان: "والمعنى والله أعلم: إنكار اتباع آبائهم في كل حال، حتى في الحالة التي لا تناسب أن يتبعوا فيها، وهي تلبسهم بعدم العقل وعدم الهداية" (22).

وفي هذا يقول ابن عرفة (ت 803هـ): "إن هذه الآية دليل على صحة ما يقول الأصوليون من أن الفعل في الإثبات قد يكون عاما مع القرينة لأن همزة الإنكار عليهم في حال عدم العقل تدل على أنهم قصدوا اتباعهم مطلقا في حالة العقل وعدمه" (23).

هذه التفسير جاءت واضحة في تفسيرها للآية التي تسعى إلى تغيير العقلية السائدة آنذاك في التقليد الأعمى للأباء، في الفكر والممارسة، لأنهم تقلدوا الضلال من دون حجة ولا نظر.

■ إتياع الظن

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 117].

يقول أبو حيان: "خَرَصَ خَزَزَ وقال بغير تيقن ولا علم ومنه خرص بمعنى كذب وافق خَرَصًا وَخُرُوصًا" (24).

وفي تفسير ابن عاشور، يقول:

"ثم بين الله سبب ضلالهم وإضلالهم: بأنهم ما يعتقدون ويدبنون إلا عقائد ضالة، وأديانا سخيفة، ظنوها حقا لأنهم لم يستفرغوا مقدرة عقولهم في ترسم أدلة الحق فقال: إن يتبعون إلا الظن... والظن، في اصطلاح القرآن، هو الاعتقاد المخطئ عن غير دليل، الذي يحسبه صاحبه حقا وصحيحا" (25).

يبين ابن عاشور أن الأعمال بالظن ضرب من ضروب العقيدة الضالة، التي لا يستهدي فيها العقل إلى الحق، لأن إتياع الظن وعدم الأخذ بالأسباب المعقولة يوقع صاحبه في ضلال الجهل. فالعقل البشري طاقة من أكبر طاقات الإنسان، فهو القوة الواعية والمدركة للحقائق، ولا يتسنى له ذلك إلا بتفريغ كل المقررات السابقة التي لم تقم على يقين.

■ إتياع الهوى

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 120].

أورد ابن عجيبة في تفسيره: "وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيَضِلُّونَ" بتحليل الحرام وتحريم الحلال، ﴿يَأْهُوْا إِلَهُهُمْ﴾ أي: بمجرد أهوائهم ﴿يَغْيِرُ عِلْمٌ﴾ ولا دليل، بل بتشهي أنفسهم⁽²⁶⁾. وهو ما جاء به أبو حيان: "وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيَضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ يَغْيِرُ عِلْمٌ"، أي: وإن كثيرا من الكفار المجادلين في المطاعم وغيرها ليضلون بالتحريم والتحليل وبأهوائهم وشهواتهم بغير علم، أي بغير شرع من الله بل بمجرد أهوائهم⁽²⁷⁾.

من خلال ما جاء في تفسير ابن عجيبة وأبو حيان نتنبه إلى ضرورة بقطة العقل في تدبره ونقاشاته، وإلا فتحت الأبواب أمام ركام الشهوات، مما ينتج عنه فساد المجتمع واختيار الدولة. ولضمان سير الأمور على منهاج صحيح، علينا بتهذيب النفس وضبطها وفق قواعد ومنهاج رباني. فباب اتباع الهوى يحجب نور الحق الذي يحقق المقاصد، سواء مقاصد عامة أو مقاصد خاصة.

■ تحريف الكلام عن مواضعه

قال تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 45]. جاء في تفسير مكي بن أبي طالب (ت 437هـ): "ومعنى ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ أي: يتأولونها على غير وجهها، ويعدلونها عن ظاهرها"⁽²⁸⁾. ويقول ابن جزي في الآية: "﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى"⁽²⁹⁾.

فالإتيان بكلمة خلاف معناها، سواء كان المعنى ظاهرا، أو خفيا، أو تحريف اللفظ، يعد تضليلا، لها تأثيرها الجاد على العقل. لذا فمن الخطورة تغيير مفهوم الكلام، لأنه يضلنا ويجعل العقل في حالة تنصل من جميع موافقه، محتجا بأنه ينتظر أن يخطر خاطر يجره إلى جهة من الجهات.

■ تبديل القول وتحريفه

قال تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ [البقرة: 180]. يقول ابن عجيبة: "فمن غيره من الأوصياء أو الشهود بعد ما سمعه وعلمه، فإنما إثمه على الذين يبدلونه من الأوصياء أو الشهود"⁽³⁰⁾.

ويتفق ابن عطية في تفسيره مع ابن عجيبة فيقول: "الضمير في بَدَّلَهُ عائد على الإيضاء وأمر الميت وكذلك في سمعه، ويحتمل أن يعود الذي في سَمِعَهُ على أمر الله تعالى في هذه الآية"⁽³¹⁾.

قول ابن عجيبة في تفسير ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾، أي: علمه؛ تحذير لمن يبذل القول بعد ما سمعه وعرفه يقينا، وأما إذا لم يتحقق فاجتهده، فلا إثم عليه، وهذا تحذير لمن يبذل القول لينصر باطلا. وقياسا عليه، فإن من يحملون الكلام على غير محله، بعد ما أدركوه، وفهموه، فجادلوا بخلافه لنصرة باطل، فهذا من باب العناد وعدم الامتثال لأوامر الله، وخروجاً على مقاصد وأهداف الجدل والمناظرة. ثانياً: ما يجب الالتزام به في النقاش.

■ الموضوعية

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا قَوْلِيْنَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: 134].

قال الإمام ابن حزم: "إن الله عز وجل ركب في النفس الإنسانية قوة مختلفة فمنها عدل يزين لها الإنصاف ويجب إليها موافقة الحق" (32).

ويقول ابن عطية: "لفظ الآية يعم القضاء والشهادة والتوسط بين الناس، وكل إنسان مأخوذ بأن يعدل، والخصوم مطلوبون بعدل ما في القضاة فتأمله" (33).

إن الجدل في قضية ما - كيفما كانت -، يجب أن يلفها وشاح الموضوعية، وهذا ما أشار إليه ابن حزم "في النفس الإنسانية قوة مختلفة، فمنها عدل يزين لها الإنصاف". والإنصاف هنا هو الحق، واتباع الدليل، وتحليل الأمور بشكل موضوعي وعقلاني، وذلك عن طريق إزالة كل المفاهيم الخاطئة.

وقول ابن عطية: "كل إنسان مأخوذ بأن يعدل، والخصوم مطلوبون بعدل"، فهو يدعو هنا إلى التحلي بالحكمة والعقلانية التي تحكم كل موضوع، ودعوة إلى مناقشة موضوعية من كل الجوانب والحواشي، للاستفادة والخروج بنتائج مثالية.

■ الأمانة العلمية والعدل

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا أَلْمَنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 57].

يقول ابن العربي: "هذه الآية في أداء الأمانة والحكم عامة في الولاية والخلق؛ لأن كل مسلم عالم، بل كل مسلم حاكم ووَالٍ" (34).

وفي الصحيحين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (35).

فجعل صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث الصحيحة كل هؤلاء رعاة وحكاما على مراتبهم، وكذلك العالم الحاكم، فإنه إذا أفتى يكون قضى وفصل بين الحلال والحرام، والفرض والندب، والصحة والفساد، فكل ذلك مما ذكرنا أمانة تؤدي وحكم يقتضي.

إن اليقين في العلوم أمر مطلوب، وهذا اليقين لا يحصل إلا بالمناقشة والمناظرة، شريطة أن تكون هذه المناظرة لإحقاق الحق.

فمنهاج الجدل في تقرير الحق هي حرفة الأنبياء - كما يقول العلماء -، لذا فمن أساسيات الجدل، طرح الموضوع بالطرق المتعارف عليها عند عامة الناس دون تبديل ولا تحريف لتضليل الآخر.

■ متابعة الدليل وعدم تجاوزه

قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 110].

جاء في تفسير ابن عطية والقرطبي: "طلب الدليل هنا يقضي بإثبات النظر ويرد على من ينفيه" (36).

وقال مكي بن أبي طالب: "هاتوا برهانكم على ذلك، أي حججتكم وبيئتكم إن كنتم صادقين" (37).

إن القرآن لا ينكر الجدل ولا يرد بابا من النقاش، بل يحث على الجدل الهادف للوصول إلى حقيقة التوحيد، لكن ما يرد وينكره هو إرسال الكلام فيه على عواهنه.

ديننا دين حجة والعقل يشد أزره، ودائرة النقاش في الإسلام قائمة على الحجة الدامغة التي لا تدع بعدها مقالا لقائل، إلا زورا ملفتا وبهتاناً مفترى.

لذلك، تجده قد استدلل على عظمته سبحانه وتعالى بأنواع شتى من البراهين العقلية والنظرية، فهذا المنهاج يسلك طرائق مختلفة تخاطب الجوانب المختلفة في النفس الإنسانية، عقله وضميره، ووجدانه، وحواسه.

■ النقد البناء

قال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 169].

قال مكي بن أبي طالب: " أي: لا يعقلون شيئاً من الدين، ولا يهتدون إلى شيء من الخير تتبعونهم. فالمعنى: كيف تتركون ما أمركم به الله عز وجل وتتبعون طريق من لا يهتدي للحق ولا يعقل الخير" (38).

وقال كل من ابن عطية والثعالبي والقرطبي: "﴿أَوَلَوْ كَانَ﴾ للاستفهام لأن غاية الفساد في الالتزام أن يقولوا: نتبع آباءنا، ولو كانوا لا يعقلون، فقررروا على التزامهم هذا إذ هذه حال آبائهم" (39).

هنا إشارة تنبيهية إلى قيمة العقل البشري الذي يرفض التقليد دونما بحث عن ماهية الأمور. فقول ما سبق من المفسرين "فقررروا على التزامهم هذا" أي: أنهم لا يقبلون غيره، كأنها حقيقة جازمة مطلقة، مع أنهم ليسوا على صواب، إلا أن تعنتهم بالتمسك بما جاء به آبائهم أخرجهم عن نطاق العقلانية التي أشار إليها مكي بن أبي طالب في تفسيره بقوله: "ولا يعقل الخير"، أي: أن العقلانية في تعاملهم مع ما جاء به الخطاب غائبة، وهذه إشارة لا بد من الأخذ بها، لأن ما يعتقده البعض من المسلمات التي لا تحتمل الجدل، قد تحتاج لنقد بناء للوصول إلى الحقيقة ومقاصدها.

إن الفظاظلة في الكلام والغلظة في مخاطبة الناس، تجعل الناس ينفرون من دعوة الإنسان ورأيه؛ حتى لو كان الحق إلى جانبه، لأن الطبع الإنساني يميل لمن يرفق به ويلين له في الخطاب.

لذلك نجد نبينا عليه الصلاة والسلام كان ذا خلق، يلين ويرفق في تعامله، وخطابه مع الكبير والصغير، وفي بداية دعوته كان حريصاً كل الحرص على أن يخفف جناحه للمستضعفين من عبدة مكة، عملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

فسبحانه نبه نبيه إلى ذلك في تعامله مع الناس وتعامله في نشر الدعوة.

وهذا المنهاج علينا أن نقتدي به في الدعوة إلى الله، فالمنهاج الجدلي له تأثير في النفوس وإصلاح لها، فأسلوب مناظرة الآخر أحد أبواب الدعوة، وأول خطواتها.

لذا علينا فهم هذا المنهاج فهماً سليماً صحيحاً، بعيداً عن المغالطات الفكرية التي عمت الناس.

وفي هذا يقول ابن تيمية: " فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفي بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين" (40).

المطلب الثالث: منهاج الخطاب العقلي

إن الخطاب العقلي منهاج يقوم على التفكير، والبحث، والاستنتاج في التعامل مع وسائل العلم. والجهل بأدوات الخطاب العقلي يسبب الخطأ والانحراف؛ فالخطاب العقلي، خطاب توجيهي يرشد العبد إلى الطريق المستقيم والعلم الصحيح. والخطاب العقلي لم يأت على وتيرة واحدة بل تنوع خطابه، ونورد البعض منه على سبيل المثال لا الحصر.

خطاب يدعو إلى البحث والتفكير

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 217].

يقول ابن عطية: "أخبر تعالى أنه يبين للمؤمنين الآيات التي تقودهم إلى الفكرة في الدنيا والآخرة، وذلك طريق النجاة لمن تنفعه فكرته" (41).

وفي نفس الآية نجد القرطبي يقول: "أي كذلك يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في الدنيا وزوالها وفنائها فتزهدون فيها، وفي إقبال الآخرة وبقائها فتزهدون فيها" (42).

ويضيف أبو حيان في سياق تفسير هذه الآية:

"يبين الله لكم فأتى بضمير الجمع فدل على أن الخطاب للجمع. والدلائل لعلكم تتفكرون، تَرْجُةٌ للتفكير تحصل عند تبين الآيات. لأنه متى كانت الآية مبينة وواضحة لا لبس فيها، تَرَبَّبَ عليها التفكير والتدبر فيما جاءت له تلك الآية الواضحة من أمر الدنيا وأمر الآخرة" (43).

إن الذي يتدبر أقوال المفسرين في هذه الآية، يرى وجوب إعمال العقل فرض على العبد، وقد أشار أبو حيان أن لفظ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ خطاب للأفراد والجماعات والأمة جمعاء، فهو منهاج عقلي يروم إلى التفكير في الآيات والتدبر فيما جاءت له من أمر الدنيا وأمر الآخرة.

وقد قال القرطبي أن أمر الدنيا في زوال، والآخرة هي التي ينبغي أن تحركنا في كل صغيرة وكبيرة. وهذا لا يعني غاية الزهد في الدنيا، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: 77]، بل إتباع المنهاج الرباني في بناء الحياة، والسير على خطى صاحب المحجة البيضاء في نهجه. فأول طريق للإصلاح وصلاح العبد، التفكير في آياته سبحانه عز وجل، والنظر والتدبر في خلقه. فكل صلاح يبدأ من الأفكار قبل الأعمال.

لذا، نجد آيات من الذكر الحكيم ترفع من شأن العبد المفكر المدبر في آيات الله سبحانه. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: 67]. يقول مكّي بن أبي طالب: "إن في ما ذكر من النعم التي أنعمها عليهم لدلالة واضحة لقوم يعقلون عن الله عز وجل حججه ويفهمون عنه سبحانه مواعظه جلّت عظمتهم" (44). وقال الله عز وجل: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 51]. وفي نفس الآية يقول القرطبي: "قوله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾، أي: الكافر والمؤمن. وقيل الجاهل والعالم. ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: أنهما لا يستويان" (45). وفي نفس السياق نجد أبو حيان يقول: "﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ هذا عرض وتخصيص معناه الأمر أي ففكروا ولا تكونوا ضالين أشباه العمي أو فكروا فتعلمون، أي لا أتبع إلا ما يوحى إلى أو فتعلمون أي لا أدعي ما لا يليق بالبشر" (46).

إن مبدأ الإسلام، تحرير الفكر، وجعله طليقا لاكتشاف ما خفي عن الفهم، وبما انطوى عليه من عجائب الخلق. والعقل عام في الناس بحسب الخلقة مع اختلاف الطاقة العقلية في إدراك الحقيقة.

خطاب تحفيزي

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعُلَمَاءُ﴾ [العنكبوت: 43]. يقول ابن عاشور: "جعل غير العالمين كمن لا يعقل ولا يفقه" (47). أما الضالون المنحرفون فقد نفى عنهم صفة العقل، لأنهم لا يستخدمونه ولا ينتفعون به، فهم في ضلال لا يهتدون، كالأعمى الذي لا يبصر الطريق. هذا الخطاب تحفيزي إلى أن يرقى العبد بتفكيره لبناء واستقبال العلم الصحيح.

خطاب الوعيد

قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاةً﴾ [البقرة: 6].

يقول القرطبي في تفسيره للآية:

"فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والفكر في آياته. وعلى السمع: عدم فهمهم للقرآن إذا تلي عليهم أو دعوا إلى وحدانيته. وعلى الأبصار: عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته وعجائب مصنوعاته". وقد قال إن في هذه الآية أدل دليل وأوضح سبيل على أن الله سبحانه خالق الهدى والضلال، والكفر والإيمان" (48).

المتتبع لهذه الآية، وما ورد في تفاسير علماء الغرب الإسلامي، يجد أنها تفيد التهديد والوعيد لمن لا يفكر ولا يتدبر ولا يتعظ. فهذه الآية موجهة لأصحاب القلوب المنكرة والغافلة عن الحق. يقول ابن حزم: "نص تعالى على أنه ختم على قلوب الكافرين وإن على سمعهم وأبصارهم غشاوة حائلة بينهم وبين قول الحق" (49).

إن الله قد جعل التدبر، وإعمال العقل، هو الوسيلة والمفتاح لفهم القرآن بكل ما له من جلال ومركزية في عقيدة كل مسلم، فالعقل وسيلة اجتهد في استخلاص أحكام العقيدة والشرعية الإسلامية.

المبحث الثاني: مقاصد المنهاج العقلي

يقول الشاطبي (ت 790هـ) في المقدمة العاشرة من كتابه "الموافقات":

"كون المصلحة مصلحة تقصد بالحكم والمفسدة مفسدة كذلك مما يختص بالشارع، لا مجال للعقل فيه، بناء على قاعدة نفي التحسين والتقييح، فإذا كان الشارع قد شرع الحكم لمصلحة ما؛ فهو الواضع لها مصلحة، وإلا؛ فكان يمكن عقلا أن لا تكون كذلك؛ إذ الأشياء كلها بالنسبة إلى وضعها الأول متساوية لا قضاء العقل فيها بحسن ولا قبح، فإذا؛ كون المصلحة مصلحة هو من قبل الشارع بحيث يصدق العقل وتطمئن إليه النفس" (50).

وقد وافقه ابن عاشور فيما ذهب إليه، ولكنه رأى أن تقدير العقل للمصالح يكون ممكنا في إطار

المقاصد الشرعية.

وخلاصة ما سبق وأشرنا إليه فيما يخص المنهاج العقلي وفروعه التي ذكرناها - على سبيل المثال لا الحصر-، وعلى ضوء ما أجادت به تفاسير علماء الغرب الإسلامي؛ وخاصة ما جاء به ابن عاشور في كتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، يتبين لنا أن المنهاج العقلي منهاج استقرائي، تتوسع دائرته بشكل كبير لتتفق مع الشريعة، خاصة في مجال المعاملات والدعوة. فالمنهاج العقلي بفروعه يندرج تحت مبدأ المصلحة؛ طبعاً في حدود ما يسمح به النص، لتجنب عواقب التعارض بين النص والواقع، حتى لا يترك للعقل الحرية المطلقة في تقدير المصالح من جهة، ولا تهيمن النزعة النصية على فهم الواقع ومتغيراته من جهة أخرى، وهذا ما أشار إليه الأستاذ الأصولي مولود السريري في إحدى ندواته قائلا: "إن الواقع يقتضي منا وجوب التأصيل العقلي للقول الديني في تفسير النص" (51).

ففي نظره، هيمنة النص وحده تخلق بمتطلبات الواقع والأمة، خاصة في مجال الدعوة، لذا نجده نادى بالازدواجية الذهنية والازدواجية الوجودية القائمة على النقل والعقل.

فالأمة بحاجة إلى أن تعلو منبر المعرفة، ولا يتأتى لها ذلك إلا بالتفكير، والتدبر، والاستقراء، والبحث، والتركيب، وتحليل واقع الأمة، وما تحتاجه من مصالح تعود عليها بالنفع العام والنفع الخاص، ودرة المفسد العامة والخاصة أيضاً. فالمنهاج العقلي منهاج رباني بالأساس، فالشريعة الإسلامية شريعة حضارية فكرية، صالحة لكل زمان ومكان، والعقل أحد قادتها بقوته على الإمام بالمدرجات.

ويتضح لنا أن من أهم أسباب الركود والجمود الحضاري توقف العطاء الفكري، الذي هو مصدرا للرفق الحضاري. والمتأمل للواقع الحالي يرى أن التنافس العالمي قائم على امتلاك القوة المعرفية، هذه المعرفة التي يقوم منهاج العقلي بتطويرها، وفهمها، وتوظيفها، وتطبيقها من منطلق إسلامي، لكونها أحد أسباب التمكين في الأرض، وهو منهاج موضوعي يحتكم إليه الجميع على اختلاف مللهم ونحلهم. وفي ظل الانفتاح على ثقافة وعقلية المجتمعات الأخرى، كان لا بد من تبني المنهاج العقلي الذي يرسم خطوات واضحة، مستندة على أدلة منطقية، ومنهجية توصل إلى المراد، وتحول المعرفة إلى علم.

ومن أهم القضايا التي عالجها المنهاج العقلي قضية العقيدة، وما يتعرض له الإسلام اليوم، من تحديات تدعو إلى التأكيد على أهمية هذا المنهاج للدفاع عن الدين، وترسيخ العقيدة الإسلامية.

خاتمة

الحمد لله حمدا لا ينقضي أن وفقني لإتمام هذه الدراسة، ومن خلال الوصف والتحليل تمكنا من التوصل إلى جملة من النتائج والتوصيات.

النتائج:

- من أبرز النتائج التي استخلصها الباحث ما يلي:
- أهمية الاستنباط المنهجي، وكونه يمثل جزءا من إعجاز كتاب الله سبحانه وتعالى.
- مقاصد المنهاج تخدم التطور والتغيير الذي يعرفه العالم المعاصر.
- أن القرآن أولى العقل البشري أهمية عظيمة، واستحثه على التفكير بمختلف الطرق والوسائل.
- من مقاصد الخطاب القرآني إيقاظ العقل وتخليصه من التقليد والتبعية.
- العقيدة الإسلامية تمثل المقصد والأساس في التصور الفكري والعمل.

التوصيات:

- من أبرز التوصيات التي يوصي بها الباحث ما يلي:
- ضرورة الرفع من الدراسات القرآنية بشكل عام وبلاستنباط المنهاج بشكل خاص، وربط الدراسات بالواقع من أجل إيجاد حلول للمشكلات المعاصرة.
- الدعوة إلى استنطاق النصوص القرآنية لاستنباط مقاصد القرآن الكريم.
- دراسة مستقلة لأنواع الاستنباط المنهجي؛ اقتصادي، حربي، أسري، تربوي، حل الأزمات، الإداري... بحيث يبحث كل نوع من المنهاج على حدة أو يتم بحث استنباطات منهجية من خلال تفسير معين لعالم من علماء الغرب الإسلامي.
- ضرورة الاستفادة من الأساليب القرآنية في الرد على أعداء الإسلام وافتراءاتهم، حول قضايا العقيدة أو التشريعات والنظم الإسلامية وفق منهاج إسلامي.
- الرجوع إلى مقاصد الشريعة لصياغة الأهداف.
- وفي الأخير نقول إن الرقي الحضاري لا يكتمل إلا بالعقيدة الصحيحة التي توجه العبد، والشريعة التي تنظم وتضبط عملية التنفيذ في مجالات الحياة المختلفة.

الهوامش

- (1) ابن فارس، أحمد القزويني (1979). معجم مقاييس اللغة (ج 1). (تحقيق عبد السلام هارون). دمشق، سوريا: دار الفكر، ص 381.
- (2) الفراهيدي، الخليل. كتاب العين (ط 1، ج 7). (تحقيق مهدي الخزومي، إبراهيم السامرائي). بيروت، لبنان: دار ومكتبة الهلال، ص 439؛ ابن منظور، الإفريقي (1994). لسان العرب (ط 3، ج 7)، بيروت، لبنان: دار صادر، ص 410.
- (3) ابن حزم، الأندلسي (1983). الإحكام في أصول الأحكام (ط 2، ج 1). (تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر). بيروت، لبنان: دار الآفاق الجديدة، ص 48.
- (4) أبو حيان، الأندلسي (1999). البحر المحيط في التفسير (ج 3). (تحقيق صدقي محمد جميل). بيروت، لبنان: دار الفكر، ص 728.
- (5) مكّي، بن أبي طالب حموش. (2008). الهداية إلى بلوغ النهاية (ط 1، ج 5). (تحقيق الشاهد البوشيخي) الشارقة، الإمارات: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة، ص 3413؛ القرطبي، شمس الدين. (1964). الجامع لأحكام القرآن (ط 2، ج 9). (تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش) القاهرة، مصر: دار الكتب المصرية، ص 53.
- (6) الأنصاري، فريد (1997). أبحاث في العلوم الشرعية محاولة في التأصيل المنهجي (ط 1). الدار البيضاء، المغرب: منشورات الفرقان، ص 40.
- (7) النشار، علي سامي (1988). نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (ط 9، ج 1). القاهرة، مصر: دار المعارف، ص 36.
- (8) الزبيدي، محمد المرتضى (1983). تاج العروس من جواهر القاموس (ط 2، ج 30). (تحقيق عبد الكريم العزاوي). الكويت: وزارة الإعلام بالكويت، ص 18.
- (9) ابن العربي، أبو بكر المعافري. النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، (تحقيق الدكتور عمار طالي) القاهرة، مصر: مكتبة دار التراث، ص 164.
- (10) الباجي، أبو الوليد (2003). الحدود في الأصول (ط 1). (تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ص 99.
- (11) السري، أبو الطيب مولود (7 ربيع الآخر 1441هـ الموافق لـ 4 دجنبر 2019م). المحاضرة الختامية، الندوة الوطنية الثانية "عناية علماء الغرب الإسلامي بالنص القرآني: فهما واستنباطا وتنزيلا"، جامعة محمد الأول - الكلية المتعددة

التخصصات بالناظور، المغرب: تنظيم مختبر الدراسات الإسلامية والإنسانية وماستر الدراسات القرآنية بالغرب الإسلامي: قضايا ومناهج.

- (12) ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). *التحرير والتنوير* (ج 17). تونس: الدار التونسية للنشر، ص 39.
- (13) ابن عرفة، الورغمي التونسي (1986). *تفسير ابن عرفة* (ط 1، ج 2). (تحقيق حسن المناعي) تونس: مركز البحوث بالكلية الزيتونية، ص 493.
- (14) المصدر نفسه: ص 494.
- (15) القرطبي (1964)، ص 12.
- (16) ابن عجيبة، أحمد (1998). *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد* (ج 2). (تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي). القاهرة، ص 516.
- (17) أبو حيان (1999)، ص 85.
- (18) ابن عاشور (1984)، ص 78.
- (19) ابن جزى، الكلبي الغرناطي. (1996). *التسهيل لعلوم التنزيل* (ط 1، ج 1). (تحقيق عبد الله الخالدي) بيروت، لبنان: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ص 90.
- (20) الثعالبي، عبد الرحمن. (1997). *المجواهر الحسان في تفسير القرآن* (ط 1، ج 1). (تحقيق محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود) بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، ص 281.
- (21) ابن عطية، المحاربي الأندلسي. (2001). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* (ط 1، ج 1). (تحقيق عبد السلام محمد عبد الشافي) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ص 238.
- (22) أبو حيان (1999)، ص 104.
- (23) ابن عرفة (1986)، ص ص 502 – 503.
- (24) أبو حيان (1999). (ج 4)، ص 621.
- (25) ابن عاشور (1984). (ج 8)، ص 26.
- (26) ابن عجيبة (1998). (ج 2)، ص 164.
- (27) أبو حيان (1999). (ج 4)، ص 631.
- (28) مكّي (2008). (ج 2)، ص 1346.
- (29) ابن جزى (1996). (ج 1)، ص 195.
- (30) ابن عجيبة (1998) (ج 1)، ص 210.
- (31) ابن عطية (2001). (ج 1)، ص 249.

- (32) ابن حزم (1983). (ج 1)، ص 4.
- (33) ابن عطية (2001). (ج 2)، ص 123.
- (34) ابن العربي، أبو بكر المعافري. (2003). أحكام القرآن (ط 3، ج 1). (تحقيق محمد عبد القادر عطا) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ص 572.
- (35) البخاري، محمد بن إسماعيل. (2001). صحيح البخاري (ط 1). (تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر) بيروت، لبنان: دار طوق النجاة. كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، رقم الحديث 5200؛ مسلم، النيسابوري. (1954). صحيح مسلم. (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم الحديث 20.
- (36) ابن عطية (2001). (ج 1)، ص 198؛ القرطبي (1964). (ج 2)، ص 75.
- (37) مكي (2008). (ج 1)، ص 403.
- (38) المصدر نفسه، ص 544.
- (39) ابن عطية (2001). (ج 1)، ص 238؛ الثعالبي (1997). (ج 1)، ص 355؛ القرطبي (1964). (ج 2)، ص 211.
- (40) ابن تيمية، تقي الدين الحراني (1991). درء تعارض العقل والنقل (ط 2، ج 1). (تحقيق محمد رشاد سالم). المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص 357.
- (41) ابن عطية (2001). (ج 1)، ص 295.
- (42) القرطبي (1964). (ج 3)، ص 62.
- (43) أبو حيان (1999). (ج 2)، ص 409 – 410.
- (44) مكي (2008). (ج 6)، ص 4033.
- (45) القرطبي (1964). (ج 6)، ص 430.
- (46) أبو حيان (1999). (ج 4)، ص 519.
- (47) ابن عاشور (1984). (ج 24)، ص 103.
- (48) القرطبي (1964). (ج 1)، ص 186.
- (49) ابن حزم، الأندلسي (1903). الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج 3). القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي، ص 25.
- (50) الشاطبي، أبو إسحاق الغرناطي (1997). الموافقات (ط 1، ج 1). (تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن). القاهرة، مصر: دار ابن عفان، ص 127-128.

(51) السريري، أبو الطيب مولود (7 ربيع الثاني 1441هـ الموافق لـ 4 دجنبر 2019م). المحاضرة الختامية، الندوة الوطنية الثانية، عناية علماء الغرب الإسلامي بالنص القرآني: فهما واستنباطا وتنزيلا، جامعة محمد الأول - الكلية المتعددة التخصصات بالناظور، المغرب. تنظيم مختبر الدراسات الإسلامية والإنسانية وماستر الدراسات القرآنية بالغرب الإسلامي: قضايا ومناهج.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع المدني.
1. ابن العربي، أبو بكر المعافري. (2003). أحكام القرآن (ط 3). (تحقيق محمد عبد القادر عطا) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
 2. ابن العربي، أبو بكر المعافري. النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، (تحقيق الدكتور عمار طالبي) القاهرة، مصر: مكتبة دار التراث.
 3. ابن تيمية، تقي الدين الحراني. (1991). درة تعارض العقل والنقل (ط 2). (تحقيق محمد رشاد سالم). المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
 4. ابن جزى، الكلبي الغرناطي. (1996). التسهيل لعلوم التنزيل (ط 1). (تحقيق عبد الله الخالدي) بيروت، لبنان: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
 5. ابن حزم، الأندلسي. (1983). الإحكام في أصول الأحكام (ط 2). (تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر). بيروت، لبنان: دار الآفاق الجديدة.
 6. ابن حزم، الأندلسي. (1903). الفصل في الملل والأهواء والنحل. القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.
 7. ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
 8. ابن عجيبة، أحمد. (1998). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. (تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي). القاهرة.
 9. ابن عرفة، الورغمي التونسي. (1986). تفسير ابن عرفة (ط 1). (تحقيق حسن المناعي) تونس: مركز البحوث بالكلية الزيتونية.
 10. ابن عطية، المحاربي الأندلسي. (2001). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ط 1). (تحقيق عبد السلام محمد عبد الشافي) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
 11. ابن فارس، أحمد القزويني. (1979). معجم مقاييس اللغة. (تحقيق عبد السلام هارون). دمشق، سوريا: دار الفكر.
 12. ابن منظور، الإفريقي. (1994). لسان العرب (ط 3)، بيروت، لبنان: دار صادر.

13. أبو حيان، الأندلسي. (1999). البحر المحيط في التفسير. (تحقيق صدقي محمد جميل). بيروت، لبنان: دار الفكر.
14. الأنصاري، فريد. (1997). أبعاديات البحث في العلوم الشرعية محاولة في التأصيل المنهجي (ط 1). الدار البيضاء، المغرب: منشورات الفرقان.
15. الباجي، أبو الوليد. (2003). الحدود في الأصول (ط 1). (تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
16. البخاري، محمد بن إسماعيل. (2001). صحيح البخاري (ط 1). (تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر). بيروت، لبنان: دار طوق النجاة.
17. العالبي، عبد الرحمن. (1997). الجواهر الحسان في تفسير القرآن (ط 1). (تحقيق محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود). بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
18. الأبيدي، محمد المرتضى. (1983). تاج العروس من جواهر القاموس (ط 2). (تحقيق عبد الكريم العزباوي). الكويت: وزارة الإعلام بالكويت.
19. السري، أبو الطيب مولود. (7 ربيع الثاني 1441هـ الموافق لـ 4 دجنبر 2019م). المحاضرة الختامية، الندوة الوطنية الثانية "عناية علماء الغرب الإسلامي بالنص القرآني: فهما واستنباط وتنزيل"، جامعة محمد الأول - الكلية المتعددة التخصصات بالناظور، المغرب: تنظيم مختبر الدراسات الإسلامية والإنسانية وماستر الدراسات القرآنية بالغرب الإسلامي: قضايا ومناهج.
20. الشاطبي، أبو اسحاق الغرناطي. (1997). الموافقات (ط 1). (تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن). القاهرة، مصر: دار ابن عفان.
21. الفراهيدي، الخليل. كتاب العين (ط 1). (تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي). بيروت، لبنان: دار ومكتبة الهلال.
22. القرطبي، شمس الدين. (1964). الجامع لأحكام القرآن (ط 2). (تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش). القاهرة، مصر: دار الكتب المصرية.
23. مسلم، النيسابوري. (1954). صحيح مسلم. (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي). بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
24. مكي، بن أبي طالب حموش. (2008). الهداية إلى بلوغ النهاية (ط 1). (تحقيق الشاهد البوشيخي). الشارقة، الإمارات: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة.
25. النشار، علي سامي. (1988). نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (ط 9). القاهرة، مصر: دار المعارف.

دور الأنشطة الفنية في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد
من وجهة نظر المربين

- دراسة ميدانية بالمدارس الخاصة لأطفال ذوي اضطراب التوحد لولاية عين الدفلى -

د/ أمال مقدم¹ - د/ فوزية مصباح²

^{1,2} جامعة خميس مليانة، عين الدفلى (الجزائر)

f.mosbaiah@univ-dbk.m.dz amel.mokeddem@univ-dbk.m.dz

الملخص بالعربية:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن دور الأنشطة الفنية في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر المربين، وذلك من خلال قيامنا بدراسة على عينة من المربين الذين يدرسون الأنشطة الفنية في برامجهم التعليمية بالمدارس الخاصة لأطفال ذوي اضطراب التوحد بولاية عين الدفلى، قوامها ستة وعشرون (26) مربيا اختيروا بطريقة قصدية. وقمنا بتطبيق استبيانين: الأول خاص بمستوى الأنشطة الفنية والثاني بمستوى المهارات الكتابية لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد على عينة البحث، صمما لغرض البحث من طرف الباحثان بعد التأكد من توفرهما على الخصائص السيكومترية للاختبار الجيد، وعن طريق معادلة الانحدار البسيط تبين لنا أن للأنشطة الفنية دورا في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر المربين. الكلمات المفتاحية: الأنشطة الفنية، المهارات الكتابية، اضطراب طيف التوحد، ذوي الاحتياجات الخاصة.

**The role of artistic activities in developing the level of writing skills for
children with autism spectrum disorder from the educators' viewpoint
A field study in private schools for children with autism
in Ain Defla State**

D.Amel Mokeddem¹ – D.Fouzia Mosbaiah²

^{1,2}University Khemis Miliana, Ain Defla(Algeria)

f.mosbaiah@univ-dbk.m.dz amel.mokeddem@univ-dbk.m.dz

Abstract:

This study aims to uncover the role of artistic activities in developing the level of writing skills among children with autism spectrum disorder from the point of view of educators, through our study on a sample of educators who study artistic activities in their educational programs in private schools for children with autism

in Ain Defla State. Twenty-six (26) educators have been deliberately selected. We applied two questionnaires: the first is for the level of artistic activities and the second is for the writing skills of children with autism spectrum disorder on the research sample, designed for the purpose of research by the two researchers after making sure that they have the psychometric properties of a good test, and through the simple regression equation, it was found that technical activities have a role. In developing the level of writing skills among children with autism spectrum disorder from the educators' viewpoint.

Key words: artistic activities, writing skills, autism spectrum disorder, people with special needs.

1. مقدمة:

تعد الأنشطة الفنية إحدى المواد التربوية التي تسهم مع بقية المواد الدراسية الأخرى في تحقيق التكامل في شخصية التلميذ، كما أن لها دورا مهما في تنمية الوعي الجمالي لديه، حيث أنها تمثل محورا كبيرا للتربية عن طريق الفن التشكيلي، ومجالاته، وأنشطته المختلفة، وهي عملية قصدية يتم عن طريقها توجيه الأفراد للنمو فكريا وجماليا، سواء كان نموا معنويا، أم تطوريا في أشكال المدركات البصرية جماليا لينعكس أثرها على التلميذ، وهذا المجال لا ينمي المهارات أو يقوم على التدريبات فقط، بل تربية الإنسان فنيا، فهي ليست شيئا يمكن أن نلمسه وإنما نستدل على آثارها، كما أنها تعد وسيلة يعبر بها التلميذ عن أفكاره ومشاعره وأحاسيسه وعواطفه وانفعالاته حول الأشياء الخفية والظاهرة في بيئته.

ويعتبر التعبير الفني أحد أدوات الأنشطة الفنية، وهو عبارة عن لغة قوامها الخطوط والأشكال والألوان، والمساحات، والرموز الشكلية المرئية، والتي تساعد الطالب على التعبير عن مشاعره وانفعالاته، والإفصاح عنها بدلا من كبتها، وذلك بتشجيعه وإثارة الدافعية لديه بمختلف الوسائط، ومن خلال إثراء البيئة التي يعيش فيها أثناء المواقف التعليمية وهذا ما أكدته (القريطي، 2001). (1) وإنماء التعبير الفني يكون من خلال لغة الخط، واللون، والشكل، فالطفل يستطيع أن يعبر في صفحة واحدة عن الأفكار والمعاني التي لا يجيد التعبير عنها بالكلام أو الكتابة، كما يستطيع التعبير عن مختلف انفعالاته وأحاسيسه، ورغباته، ومدركاته، باستخدام الرموز، والمدلولات البصرية التي يراها من منظوره الخاص به " (المهنا، 2000). (2)

فالكتابة ظاهرة إنسانية استخدمها الإنسان منذ فجر التاريخ للتعبير عن خواطره، وتسجيل أفكاره وإنجازاته وتجاربه، كما استخدمها كوسيلة في التعبير والفهم والتواصل مع غيره من الناس، ولغة فنون أربعة هي: الاستماع، والتحدث، والقراءة والكتابة، وتحتل الكتابة المركز الأعلى في هرم هذه المهارات والقدرات اللغوية، حيث يسبقها في الاكتساب الاستماع والتحدث والقراءة، وتعد الكتابة ممارسة حقيقية وتوظيفاً فعلياً لما تعلمه المتعلم في مختلف فنون اللغة وفروعها. وتنمية مهارات الكتابة الصحيحة، والتعبير الكتابي السليم السامي فكرة وأسلوباً من الأهداف الأساسية لتعليم اللغة العربية في المراحل التعليمية المختلفة، فقد ورد في أهداف تعليم اللغة العربية ضرورة تعبير الطلاب عن متطلبات حياتهم اليومية وعن مشاعرهم وأحاسيسهم بأسلوب جيد مع مراعاة سلامة الهجاء واستخدام علامات الترقيم ووضوح الخط (3) وانطلاقاً من أهمية الأنشطة الفنية بالنسبة للأطفال وإدراجها ضمن برامجهم في المراكز البيداغوجية والمدارس الخاصة، أردنا أن نسلط الضوء على في هذه الورقة البحثية على دور الأنشطة الفنية في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد، فجاءت هذه الدراسة لتبرز هذا الدور من وجهة نظر المختصين النفسانيين في ذلك.

1.1 إشكالية الدراسة:

إن اللغة ظاهرة سلوكية إنسانية تؤدي وظيفة حياتية مهمة في الاتصالات للاستجابة بتنفيذ حاجات الإنسان التعبيرية والفكرية (4)، ومما هو متفق عليه أن اللغة منظومة مترابطة تؤثر وتتأثر في تعليم وتعلم المواد الدراسية وهي أداة المعلم في التفكير والتواصل مع المجتمع، وعلى هذا الأساس فإن نمو الفرد يرتبط بنمو لغته، واللغة في كونها صوتية يحتل الشكل المكتوب منها المرتبة التالية من حيث الوجود وهي تحمل المعاني والرموز، ليعرفها كل من المتكلم والسامع والقارئ، وبدون اللغة يصبح الاتصال صعباً (5)، وتعليم اللغة في مرحلة التعليم الابتدائي يهدف إلى تزويد التلاميذ بالمهارات الأساسية من خلال فنون اللغة المختلفة: الاستماع، والتحدث، القراءة، الكتابة، والكتابة من أهم الوظائف التي يعبر بها الطفل عن أفكاره ويقرأ أفكار غيره، ذلك لأن هدف تعليم اللغة يتجلى في تمكين الناشئة من استعمالها في نقل أفكارهم وتنمية ميلهم إلى الكتابة، حتى تمكنهم من التعبير عما يجول في خاطرهم، وتعينهم على استخدامها وتوظيفها في حياتهم، وتساهم في تعميق الفهم وتهذيب السلوك .

وترى الباحثان أنه إذا كانت الكتابة عند النشء ضعيفة سيكون الفهم والتواصل وإدراك معاني الأشياء ضعيف، فلا يستطيع الطفل التعبير عن مكنوناته إذا لم يفهم رسائل غيره، فالكتابة السليمة ينتج عنها فهم سليم لمعاني الأشياء فيتحقق اتصال فعال حيث أن الكتابة الصحيحة عملية مهمة في التعليم على اعتبار أنها عنصر أساس من عناصر الثقافة وضرورة اجتماعية لنقل الأفكار والتعبير عنها والوقوف على أفكار الآخرين والإلمام بها، وتعد الكتابة أحد الأبعاد الأساسية للبعد المعرفي(6) وإن ومن خلال دراسة واعية لواقع التلاميذ في الكتابة تثبت أن هناك ضعفا في الكتابة، اختلفت صورته وأسبابه ونسبته من تلميذ لآخر، وهذه هي الظاهرة الشائعة التي لا يجدها أي معلم يعمل في التربية والتعليم فالضعف في الكتابة من أهم المشكلات التي تواجه المعلمين في تدريسهم للتلاميذ، وأحيانا يعود الضعف الكتابي إلى طريقة التدريس التي يتبعها المعلم في تدريسه لها، وعليه فإن من الضروري أن يختار المعلم أفضل الطرق التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف المرجوة بأقل جهد ووقت ممكنين، وزيادة دافعية التلاميذ للتعلم. ولهذا فقد اختار بعض المربون طريقة جديدة وممتعة ومشوقة لجذب انتباه التلاميذ من ذوي طيف التوحد، وعلاج الضعف الكتابي ورفع المستوى التحصيلي لديهم. فما كان منهم أن قاموا بفكرة إعداد برامج العمل باستخدام أنشطة فنية في التدريس لمواجهة الضعف الكتابي لدى هؤلاء التلاميذ، والذي يستطيع التلاميذ من خلاله المشاركة الفعالة والتواصل مع المعلم والمنهاج والمدرسة والإقبال على الدروس بدافعية أكثر.

لذلك ارتأت الباحثان القيام بهذه الدراسة الميدانية انطلاقا من التساؤل الرئيسي التالي:
هل للأنشطة الفنية دور في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر المربين؟

2.1 فرضية الدراسة:

للأنشطة الفنية دور في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر المربين.

3.1 أهداف الدراسة:

تهدف من خلال هذه الدراسة إلى تبيان دور الأنشطة الفنية في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر المربين.

4.1 أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة فيما يلي:

- إن الأنشطة الفنية تشجيع الأطفال من ذوي طيف التوحد على استخدام الالمحدود لحواسهم المختلفة.
- تشجيع الأطفال على مزاوله العمل الفني.
- تدريب الأطفال على التركيز في العمل الفني للوصول على درجة الإتقان.
- الأنشطة الفنية تساعد أطفال من ذوي طيف التوحد على توفير الخبرات حتى يزداد مستوى مهاراتهم الكتابية وتوفر لديهم رصيد كاف لفهمها واستيعابها.
- الأنشطة الفنية تتيح الفرص أمام المتعلمين من ذوي الاحتياجات الخاصة الاستفادة من القدرات العقلية والجسمية، وإبراز ميولهم والعمل على تنميتها وتوجيهها، كما يتيح النشاط الفني ويشجع هذه الفئة على التعلم الذاتي والمستمر في كافة المجالات الحياتية.

5.1 تحديد المفاهيم الأساسية للدراسة:

5.1.1 الأنشطة الفنية:

تعرف الباحثتان الأنشطة الفنية إجرائيا بأنها: مجموعة الممارسات العملية للأطفال ذوي طيف التوحد داخل القاعات من واقع رؤيتهم الجمالية للبيئة المحيطة بهم، وتتميز تلك الممارسة بقدرتها على إبراز خصائص حسية وشكلية تعبر عن حاجات الأطفال وميولهم بالإضافة إلى إظهار قدراتهم وخبراتهم المكتسبة في مجالات الفنون، والنحت، والزخرفة، والرسوم والتشكيل بالعجائن واللعب بالرمال، وتقاس بالدرجة الكلية التي يتحصل أفراد العينة في المقياس المعد لذلك.

ومن أشكال الأنشطة الفنية لأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد:

- **الرسم بالقلم الرصاص:** أكد فيكتور لوينفلد على أهمية استخدام الأقلام الرصاص والألوان في مراحل نمو الطفل المختلفة لأنها تساعد على بناء شخصيته (7)
- وتعتبر الأقلام الرصاص من أسهل وسائل التعبير التي يستخدمها الطفل في تخطيطاته الأولى، ويكون الطفل سعيداً بها عندما يرى آثار تخطيطاته على السطوح الملساء على الأوراق البيضاء.

- **الرسم بالألوان المائية:** إن الألوان المائية من أهم الألوان التي يجب أن يتدرب الطفل على استخدامها منذ البداية، وهي تحتاج إلى الجرأة في الأداء وقد سمين بالألوان المائية لأنها تحل بالماء. ونجد عند استخدام الطفل للألوان المائية يكون أمام تساؤل لكى يقرر أي الألوان الأكثر بهجة عندما يرطب كل لون بالماء، وعندما تكون الألوان التي يختارها الطفل جافة، يكون أمام رغبة في أخذه ونقله بفرشاته على الورق بأي شكل من الأشكال ثم يختار لوناً آخر وهكذا، وفي نفس الوقت يكون على حذر في أن يغطي لوناً آخر، ويستمر الطفل في عمله هذا حتى يستكمل كل مساحة من اللوحة بالألوان التي ترتبط بعضها مع بعض بطريقة غير عادية لإبداع متنوع (8)

- **الرسم بالألوان الخشبية:** وهي تتمثل في الأقلام الرصاص الخشبية الملونة، ويستطيع طفل اضطراب طيف التوحد استخدامها بسهولة استعمالها وتوافرها وعدم تركها أثراً على اليدين.

- **التلوين بالأصابع:** إن استخدام التلوين بالأصابع يوفر الفرص لاستخدام أجسامهم أكثر حرية ولترتيب الألوان بدقة أكثر، فالطفل يتصل أفضل عندما يكون مسترخياً. إن أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد يتمتعون بشعورهم بالطلاء وقيامهم بتطبيقات عملية، وقد يستخدم الطفل حركات أصابعه الصغيرة، بالإضافة إلى حركات أذرعتيه وأحياناً كامل الساعد لإنجاز بعض التصميمات (9).

- **الطباعة:** الطباعة بالأشكال البارزة أو القوالب المجسمة أحد الأنشطة الفنية التي تناسب طفل اضطراب طيف التوحد ومثيرة لاهتمامه، لأنه من خلال غمس الشيء أو طلائه باللون المحبب له يجعله أكثر تميزاً من شكله العام وفي الشكل الذي يتركه عند الطباعة على الورق (10).

2.5.1 المهارة الكتابية:

المهارة لغة: من فعل مهر المهارة: الحدق في الشيء، والماهر: الحادق بكل عمل، ويقال: مهت بهذا الأمر أمهر به مهارة أي صرت به حاقاً، (لسان العرب، باب مهر).

أما اصطلاحاً: فتعني أداء لغوي يتسم بالدقة والكفاءة فضلاً عن السرعة والفهم (11) وعرفها الغامدي (1997) على أنها: "اكتساب كفايات وعادات أدائية مفيدة في ممارسة الفن وتقديره وتكتسب المهارة بالتدريب والمران حتى يصل الطالب بها إلى درجة من التمكن (12)".

كما عرفها اللقاني والجمل (2003) بأنها: " الأداء السهل والدقيق، القائم على الفهم لما يتعلمه الإنسان حركيا وعقليا، مع توفير الوقت والجهد والتكاليف (13) ".

أما المهارات الكتابية فيعرفها راجح (2007) بأنها: " إلمام المتعلم المتدرب بمفهوم الكتابة، وأهميتها، ووظائفها وأنواعها، ومراحلها، ومقتضياتها، ليكون قادرا على الكتابة الحسنة مدرّكا، علامات التقييم ومواقعها موزعا لها في الكتابات المختلفة، ومتمرسا على المهارات الإملائية مستخدما لها في كتاباته العلمية والعملية المتعددة ومتمكن من الكتابة السليمة نحويا، مراعيًا قواعدها السليمة وفق ضوابط اللغة وقواعدها، لتوظيفها في كتاباته إضافة لتمكينه من معرفة مهارات الكتابات الوظيفية (بأغراضها المتعددة: الرسالة الإدارية، والرسالة الإلكترونية، والرسالة الاجتماعية، ومحضر الاجتماع، والتقرير الإداري، والتلخيص) وعناصرها، وتوظيف ما اكتسبه من هذه المهارات في مراحل دراسته الجامعية، والتعبير عن أفكاره ومشاعره في علاقاته الاجتماعية مع الآخرين في سوق العمل وميدان الوظيفة مستقبلا " (14).

ونعرفها إجرائيا بأنها: تلك الرموز والعلامات التي تستخدم لجعل اللغات قابلة للقراءة والتعبير عن المعنى ونقله، وتقاس بالدرجة الكلية التي يتحصل عليها أفراد العينة في المقياس المعد لذلك.

وترتكز تنمية المهارات الكتابية على إجراءات التالية حسب ما أشار إليها سمير عبد الوهاب وآخرون (2002): (15)

- تحديد المعلم نقطة البدء والأداء المطلوب تعلمه، والخبرات التي ينبغي أن يوفرها لتلاميذه، والمهارات التي يريد إكسابها لهم.
- تحليل المهارة الكلية إلى مهارات جزئية.
- التدرج في إكساب المهارة.
- تدريب المتعلم على المهارة، ونجاح التدريب مرهون بإشباع حاجات التلاميذ ورغباتهم، وتوفير المواقف المناسبة.
- تدريب وتعريف التلاميذ بأخطائهم.
- تصميم التدريبات بحيث تكفل مرونة الأداء، وتناسب بالفروق الفردية .
- العناية بالثروة اللغوية.

أما الجعافرة (2011)، فقد ذكر في كتابه مهارات الكتابة في الصفوف الثلاثة الأولى، والمتمثلة فيما يلي: (16).

- مهارات الكتابة بوضوح .
- مهارات الكتابة بتناسق وحسن الفصل بين الكلمات.
- مهارة جعل موضوع الكتابة (الصفحة) نظيفاً ومرتباً.
- مهارة تمييز الحروف المتماثلة في الشكل.
- مهارة السرعة المناسبة لسن الطفل.
- مهارة الكتابة من الذاكرة.
- مهارة التفريق بين التاء المربوطة والتاء المبسوطة.
- مهارة التمييز بين آل الشمسية وآل القمرية.
- مهارة التمييز بين همزة الوصل وهمزة القطع.

3.5.1 اضطراب طيف التوحد:

يعرف اضطراب طيف التوحد على أنه: " مصطلح يستخدم لوصف إعاقة من إعاقات النمو، تتميز بقصور في الإدراك ونزعة انطوائية انسحابية، تعزل الطفل عن محيطه، بحيث يعيش منعزلاً على نفسه لا يكاد يحس بما حوله من أفراد أو أحداث أو ظواهر " (17).

ويعرف من قبل الجمعية الأمريكية للطب النفسي American Association Psychiatric بحسب ما جاء في الطبعة الخامسة للدليل التشخيصي والإحصائي الاضطرابات النفسية بأنه: " اضطراب النمو العصبي الذي يتصف بضعف التفاعل الاجتماعي، والتواصل اللفظي وغير اللفظي، وبأنماط سلوكية مقيدة ومتكررة ومحدودية الاهتمامات " (18)

وتقصد الباحثان باضطراب طيف التوحد بأنه: اضطراب عصبي بيولوجي يؤثر على التفاعل الاجتماعي وتواصل اللغة، وعلى سلوك الطفل وقابليته للتعلم والتدريب، وعلى المهارات الحركية، والعناية

بالذات، لذا فهم يمثلون فئة تتميز عن غيرها من فئات ذوي الاحتياجات الخاصة، مما يجعلهم بحاجة إلى برامج تربوية وعلاجية، وتقنيات تعليمية مناسبة لهم.

2. الخلفية النظرية والدراسات السابقة:

لقد تعددت الدراسات التي تناولت أطفال ذوي طيف التوحد، وسوف نعرض بعض الدراسات التي مست جوهر إشكاليتنا.

1.2 دراسة رحاب صالح محمد برغوث (2002) بعنوان: "برنامج أنشطة مقترح لتنمية بعض

مهارات الاستعداد للقراءة والكتابة للأطفال ذوي صعوبات التعلم بمرحلة رياض الأطفال بالإسكندرية".

تهدف هذه الدراسة إلى إعداد برنامج يشتمل على مجموعة من الأنشطة (حركية، عقلية، فنية قصصية) لتنمية بعض مهارات الاستعداد للقراءة والكتابة لفئة الأطفال الذين يعانون من صعوبات تعلم القراءة والكتابة حيث يشمل البرنامج على مجموعة من الأنشطة (حركية، عقلية - فنية قصصية) لتنمية مهارات الاستعداد للقراءة والكتابة لفئة الأطفال الذين يعانون من صعوبات في تعلم القراءة والكتابة، وتمثل هذه المهارات في: مهارة التمييز البصري ومجالاته، مهارة التمييز السمعي ومجالاته، مهارة التعبير الشفوي، مهارة الكتابة، وقد تم تطبيق البرنامج على عينة تتكون من 22 طفل كعينة أساسية للدراسة تتراوح أعمارهم من سن (4-6) سنوات ونسب ذكاء متقاربة، وجمعت العينة من مختلف الروضات الخاصة والحكومية بمدينة الإسكندرية، وتتضمن الدراسة أسلوب تطبيق البرنامج على عينة واحدة فقط هي العينة الأساسية للدراسة، وقد أستغرق تطبيق البرنامج مدة (3) شهور بواقع 3 جلسات أسبوعياً والجلسة تستغرق تقديم أربع أنشطة متنوعة، واستخدمت الباحثة أدوات الدراسة ومتمثلة في مقياس خاص بقياس مهارات الاستعداد للقراءة والكتابة لطفل الروضة وبرنامج الأنشطة المقترح من إعداد الباحثة. وتوصلت النتائج إلى أنه يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات القياس القبلي والبعدي لتطبيق البرنامج المقترح لتنمية مهارات الاستعداد للقراءة والكتابة للطفل ذو صعوبات في التعلم بمرحلة الروضة لصالح القياس البعدي، ويوجد فروق بين متوسطات درجات الأطفال ذوي صعوبات التعلم بمرحلة الروضة قبل وبعد تطبيق البرنامج المقترح لتنمية مهارات الاستعداد للقراءة ومهارات الاستعداد للكتابة.

2.2 دراسة داود حلس(2003) بعنوان: " أثر أسلوب الخبرة الدرامية في تحسين مستوى الكتابة الإملائية والاتجاه نحوها لدى تلاميذ الصف السادس الأساسي بمحافظة شمال غزة " .

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن تأثير أسلوب الخبرة الدرامية في تحسين مستوى الكتابة الإملائية والاتجاه نحوها لدى تلاميذ الصف السادس الأساسي بمحافظة شمال غزة، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي وشبه التجريبي، واختارت الباحثة عينة قصدية مكونة من (72 تلميذا وتلميذة) من الصف السادس الأساسي في مدرسة عبد الرحمن بن عوف الأساسية الدنيا، وتكونت أدوات الدراسة من اختبار تشخيصي في الإملاء بهدف التعرف إلى الأخطاء الإملائية الشائعة لدى تلاميذ الصف السادس الأساسي وكان كل فصل من (36 تلميذا) بواقع حصتين أسبوعياً على مدار ستة أسابيع، وأظهرت نتائج الدراسة إلى وجود ضعف واضح في المهارات الإملائية التي تجاوزت نسبة الخطأ 25%، وأوصت الباحثة إلى استخدام أسلوب الخبرة الدرامية في تدريس المهارات الإملائية وتنمية اتجاهات التلاميذ نحو المواد الدراسية وتعاون معلمي الباحث في توظيف الأسلوب الدرامي في مختلف المواد الدراسية.

3.2 دراسة نادية البلوي(2010) بعنوان: " فاعلية برنامج تدريبي مستند على الأنشطة الفنية في تنمية مهارات التفاعل الاجتماعي وخفض السلوك النمطي لدى الأطفال ذوي اضطراب التوحد في الأردن "

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى فاعلية برنامج تدريبي مستند على الأنشطة الفنية في تنمية مهارات التفاعل الاجتماعي وخفض السلوك النمطي لدى الأطفال ذوي اضطراب التوحد في الأردن على عينة من (15 طفلاً) تم اختيارهم بطريقة قصدية (جميع أطفال المركز من ذوي اضطراب التوحد) من بين (16 طفلاً) ومن الشخصين في مركز تواصل للتوحد بمدينة عمان وهم يمثلون كل أطفال التوحد بالمركز، وتتراوح أعمارهم الزمنية ما بين (4-6) سنوات، وقد تكون البرنامج من (36) جلسة موزعة على ثمانية أنشطة فنية (التلوين، الطباعة، الرسم، الموسيقى، التشكيل، ومسرح العرائس)، وبواقع 6 جلسات لكل نشاط فني، وعلى أن تكون مدة الجلسة الواحدة (45) دقيقة، واستمر تطبيق البرنامج على أفراد المجموعة التجريبية لمدة شهرين وبواقع (10) جلسات كل أسبوع. بالإضافة إلى عمل بعض الأنشطة الخارجية في الملاهي والمتنزهات بمدينة عمان، وكل ذلك بهدف تنمية مهارات التفاعل الاجتماعي

وخفض السلوك النمطي لدى أطفال التوحد، وقد أسفرت النتائج إلى حدوث نجاح طفيف للبرنامج وهو ما أعزته الباحثة إلى قمة عدد الأنشطة الفنية وتنوعها، والاعتماد على فنيات تعديل السلوك، وهو ما حاولت الباحثة تفاديته في الدراسة الحالية والمعتمدة على فنيات العلاج بالفن كلية.

تعليق على الدراسات السابقة:

من خلال مراجعة الدراسات السابقة يتضح لنا أن معظم الدراسات التي تناولناها ركزت على البرامج التدريبية والعلاجية لتنمية المهارات، والتي تم الاستفادة منها في بعض الجوانب النظرية والميدانية، إلا أن الدراسة الحالية تتميز ببعض النقاط:

- من الملاحظ أن هذه الدراسات قد تناولت الأنشطة بصفة عامة ودورها في تنمية بعض مهارات كدراسة رحاب صالح محمد برغوث(2002)، والأنشطة الفنية بصفة خاصة كدراسة نادية البلوي(2010)، وتحديد نوع النشاط الفني كدراسة داود حلس(2003) بينما دراستنا تحاول الكشف عن دور الأنشطة الفنية في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر المربين، حيث يعتبر موضوع دراستنا في حدود علمنا موضوع جديد لم يتناول من قبل الباحثين.

- واتفقت الدراسات السابقة والحالية مع نفس عينة البحث، والأدوات المستخدمة لجمع البيانات، واختلفت عن المنهج المتبع.

- كما أن الدراسات السابقة أفادتنا في بناء أدوات الدراسة، والتعرف على منهجية البحث المناسبة ومعرفة الأساليب الإحصائية المناسبة التي يمكن من خلالها الحصول على النتائج وتفسيرها.

3. الإجراءات المنهجية للدراسة:

1.3 مجالات الدراسة:

تحدد الدراسة بالمجالات التالية:

- **المجال الموضوعي:** يقتصر البحث الحالي على دور الأنشطة الفنية في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد.

- **المجال البشري:** المربين النفسانيين

- المجال المكاني: ولاية عين الدفلى

- المجال الزمني: أجريت الدراسة الميدانية بداية شهر جانفي ونهاية شهر فيفري 2020.

2.3 المنهج المتبع:

إن طبيعة المشكلة المطروحة للدراسة تفرض علينا تبني منهج معين دون غيره تبعاً للأهداف التي تسعى إلى تحقيقها من هذه الورقة البحثية، ولتحقيق أهداف البحث استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يسعى إلى الوصف المنظم للحقائق وتشخيص الجوانب المتعلقة بموضوع البحث، وذلك من خلال استخدام أدوات مناسبة لجمع البيانات والمعلومات المطلوبة، وتحليلها، وتفسير النتائج المتوصل إليها.

3.3 أدوات الدراسة:

بغية الحصول على المعلومات اللازمة من عينة البحث فيما يخص دور الأنشطة الفنية في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر المربين، فقد تم الاعتماد على مقياس الأنشطة الفنية، ومقياس المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد من إعداد الباحثان بناء على ما أسفرت عليه نتائج الدراسات السابقة والخلفية النظرية للبحث، وهذا بعدما تحققنا من توفر الخصائص السكومترية لصلاحية استعمالهما، والجدول الموالي يوضح معامل ثبات وصدق المقياسين:

جدول رقم (01) يوضح معامل ثبات وصدق المقياسين

الطرق الإحصائية نوع المقياس	معامل الارتباط بين التطبيقات	معامل الثبات ألفا كرونباخ	صدق المحكمين
مقياس الأنشطة الفنية	0.69	0.93	تزيد عن نسبة 85%
مقياس المهارات الكتابية	0.76	0.88	تزيد عن نسبة 85%

من خلال الجدول رقم (01) يتضح أن كلا المقياسين يتمتعان بثبات وصدق عاليين، مما يسمح بتطبيقهما على عينة الدراسة الأساسية، ويتم تصحيح المقياسين وفق التقييم الخماسي للكرت (4، 5، 3، 2، 1).

4.3 عينة الدراسة الأساسية:

لتحقيق أهداف الدراسة الاستطلاعية تم اختيار 26 مربية نفسانيا من المراكز البيداغوجية لأطفال ذوي طيف التوحد بولاية عين الدفلى بطريقة قصدية، لمعرفة رأيهم حول دور الأنشطة الفنية في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد، وذلك بتطبيق المقياسين على عينة البحث.

5.3 الأساليب الإحصائية المستعملة في الدراسة:

- معامل ألفا كرونباخ.
- معامل الارتباط بارسون
- معامل الانحدار الخطي البسيط

4. عرض وتحليل نتائج فرضية الدراسة:

لاختبار صحة الفرضية العامة والتي تنص على أن: للأنشطة الفنية دور في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر المربين، تم حساب الانحدار الخطي البسيط عن طريق برنامج الحزمة الإحصائية الاجتماعية SPSS 24، وتم ذلك وفق الخطوات التالية:

- التأكد من توفر فرضيات النموذج الخطي البسيط لتطبيق معادلة الانحدار البسيط، من حيث تجانس تباين الخطأ العشوائي والتوزيع الطبيعي للأخطاء التي تتوزع توزيعاً طبيعياً ضمن المدى (2، -2). بعد التأكد من توفر فرضيات النموذج الخطي البسيط نستطيع استخدام الانحدار البسيط، وسنقوم باختيار الطريقة الاعتيادية لأنها الأكثر استخداماً في البحوث النفسية.

وعليه، نقوم بحساب أهم مؤشر لنموذج الانحدار ويعتبر مقياساً لجودة توفيق النموذج وهو معامل التحديد Coefficient of Détermination ويرمز له بـ R².

الجدول رقم (02): الجدول التلخيصي (تلخيص النماذج)

النموذج الأول	معامل الارتباط	معامل التحديد	معامل التحديد المصحح
	0.52	0.27	0.26

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن معامل الارتباط بين الأنشطة الفنية والمهارات الكتابية بلغت قيمته (0.52). كما نلاحظ في الجدول أن معامل التحديد للنموذج المقترح الذي يضم متغير الأنشطة الفنية كمتغير مستقل والمهارات الكتابية كمتغير تابع بلغت قيمته (0.27) بمعامل تصحيح قدره (0.26)، وهي تدل على أن (27%) من البيانات أو الانحرافات الكلية للأنشطة الفنية تؤثر في المهارات الكتابية وتفسرها العلاقة الخطية أي نموذج الانحدار، وأن (73%) من الانحرافات ترجع إلى عوامل أخرى مهمة لم تؤخذ في النموذج.

وللتحقق من صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الأساسية تم استخدام تحليل التباين الأحادي عن طريق الانحدار (ONE WAY ANOVA)، والنتائج كما يلي:

الجدول رقم (03): تحليل التباين ANOVA للانحدار

النموذج الأول	مصدر التباين	مجموع التباين	درجات الحرية	معدل المربعات	اختبار F
	ما بين المجموعات	41812.15	1	41812.15	**55.92
	داخل المجموعات	110647.34	25	747.61	
	الكلية	152459.50	26		

** دال عند 0.01

من خلال الجدول السابق نجد أن نتائج تحليل التباين لاختبار معنوية الانحدار كانت دالة بالنسبة للنموذج النظري، أي أن الانحدار معنوي وبالتالي فإن المتغير المستقل يؤثر على مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر المربين. وعليه فالنموذج النظري المقترح له تأثير معنوي على الانحدار وهذا حسب معادلة الانحدار التي سنستنتجها في الخطوة التالية عن طريق نتائج تحليل الانحدار الخطي المتعدد لبيان أثر المتغير المستقل في التنبؤ بالمتغير التابع. ولكتابة معادلة الانحدار لأثر المتغير المستقل تم إتباع نموذج الانحدار الموضح في الجدول التالي:

الجدول رقم(04): إسهام المتغير المستقل في المتغير التابع

النموذج الأول	مصدر التباين	قيمة بيتا Béta	الخطأ المعياري	الثابت "B"	قيمة "ت" المحسوبة	مستوى الدلالة
	الثابت	20.88	20.44		1.02	0.30
	المهارات الكتابية	1.09	0.14	0.52	7.47	0.01

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن قيمة نقطة تقاطع خط الانحدار مع المحور y تمثل (20.88) كما بلغت قيمة درجة ميل خط الانحدار (1.09) بخطاً معياري قدره (20.44، 0.14)، وعليه يمكن كتابة معادلة الانحدار كما يلي:

$$y^* = 20.88 + 1.09(x)$$

أي أن زيادة الأنشطة الفنية وحدة واحدة يؤدي إلى زيادة مستوى المهارات الكتابية (1.09) وحدة، وكلما زادت الأنشطة الفنية بدرجة معيارية واحدة زاد مستوى المهارات الكتابية (0.14) درجة معيارية. كما نجد أن قيمة اختبار t الخاص بمعلمة الميل b بلغت (1.02) عند مستوى دلالة 0.01، وهذا يعكس أهمية متغير الأنشطة الفنية في النموذج. كما جاءت قيمة اختبار t لمعلمة الحد الثابت بلغت (7.47) عند مستوى دلالة 0.01 أي أنها تختلف بشكل دال عن الصفر، ما يؤكد صحة فرضية دراستنا.

يتضح من عرضنا للنتائج أن للأنشطة الفنية دور في تنمية مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر المربين، فكلما زادت الأنشطة الفنية زاد مستوى المهارات الكتابية لدى أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد، ذلك لأن الأنشطة الفنية وسيلة من الوسائل الإسقاطية والعلاجية والنفسية في الوقت نفسه فهي تساعد الأفراد من خلال التعبير التلقائي غير اللفظي باستخدام آليات معينة كالتداعيات الحرة في الإفراج عن التخييلات والمشاعر المكبوتة داخل الفرد وتحويلها إلى تعبيرات فنية مجسدة يمكن التعرف عليها ويمكن استخدامها لأغراض تشخيصية وتنفسية وعلاجية تساعد الطفل على استعادة تكيفه مع ذاته وتوازنه مع المجتمع (19).

وما هو ملاحظ أن أطفال ذوي طيف التوحد كثيراً ما يخافون من أن يتركوا لأنفسهم يستجيبون للخبرات الجمالية، لأن أحاسيسهم كلها تواجه التوتر والكبت، كما يلاحظ كقاعدة عامة أن مثل هؤلاء الأفراد يحاولون أن يتجاهلوا مشاعرهم بالسيطرة، والواقع أن مشاعرهم عميقة إلى درجة أنهم يشفقون من أن يتركوا العنان للتعبير عن انفعالهم، وكثيراً ما نجد أن الكلام عند هؤلاء الأفراد لا يتم بطلاقة أو حرية كما أنهم يصابون بالتهتهة وتقطع الألفاظ عند النطق والإحساس الدائم بالتعب والإجهاد، كما أن حركاتهم يشوبها التثاقل وعدم الرشاقة، كما ينقصهم أن يستجيبوا بأقصى ما تتيح لهم قدراتهم. فتعد الأنشطة الفنية باعتبارها من أحب الأنشطة التي يستجيب لها الأطفال وبالأخص ذوي الاحتياجات الخاصة من بينهم ذوي اضطراب طيف التوحد لافتقار القدرة الاتصالية. والأعمال الفنية هي المجال الأكثر إتاحة من أجل تزويد الطفل بأكبر قدر من المعلومات، والحصول منه على أكبر قدر من التعبير عن المشاعر والاختيارات الخاصة ونظراته التقييمية للأشياء.

وما دام أطفال ذوي اضطراب طيف التوحد يقضون وقتاً ممتعاً من خلال الأنشطة الفنية ويتعاملون مع الأوراق والألوان والخامات المختلفة يمكن أن يساهم ذلك في تنمية المهارات الكتابية لديهم، باعتبار أن الطفل ذو اضطراب طيف التوحد يتمكن من خلال الأنشطة والاستراتيجيات المختلفة بتنمية مهاراته الحركية الدقيقة، وذلك بتنمية مهارات الأصابع والفصل الحركي الوظيفي من خلال اللعب باستخدام المعجون والألعاب صغيرة الحجم التي بدورها تقوي العضلات الدقيقة والأصابع، واستخدام المقابض من كبيرة الحجم إلى صغيرة الحجم والمتشكلة حسب مسكة الأصابع للقلم.

كما أن للأنشطة الفنية دور في تنمية مهارات الإدراك البصري والتآزر البصري الحركي التي بدورها تساعد الطفل على الكتابة على السطر وتحديد المسافة بين الحروف والكلمات والكتابة بحجم مناسب. بالإضافة إلى ذلك المشاكل الحسية التي يمكن أن تؤخر تطور مهارات الكتابة، فبعض الأطفال يحتاجون إلى إشباع الرغبة الحسية بالضغط على المفاصل والعضلات (Proprioceptive) والذي يفسر سلوكياً عند هؤلاء الأطفال بالضغط على القلم أو الممحاة، ما يؤدي إلى تمزيق الورقة، وفي هذه الحالة قبل أداء مهارات الكتابة لابد من الاهتمام بإشباع الضغط على مفاصل اليدين باستخدام المعجون والكرات المرنة أو الضغط اليدوي على اليدين والأصابع بحركة منتظمة وبطيئة، أو ربما وضع الإسفنج الضاغطة حول

مقبض القلم لإعطاء الطفل الضغط المناسب وإنجاز مهارة الكتابة حسب ما أكدته دراسة برغوت (2002).

بالإضافة إلى ذلك، استخدام الأعمال الفنية عن طريق اللوح الضوئي للكتابة وتقليل المثيرات السمعية والبصرية من حول الطفل والتخطيط الحركي يساعد في رسم الأشكال الهندسية وتعميمها في كتابة الأرقام والحروف من خلال تسلسل الخطوط بحركات متناسقة حسب دراسة داود حلس (2003).

وللأنشطة الفنية دور في تنمية المدركات الحسية والحركية من خلال الممارسات المتنوعة في الفن، وإكسابه المهارات التقنية التي تعينه على التحكم في استخدام الخامات البيئية وأساليب وطرق تشكيلها وتجهيزها، والربط بينها وبين التطور العلمي والتكنولوجيا المعاصرة، كما تساعد أيضا على تنمية الجوانب الوجدانية من خلال تكوين الاتجاهات الإيجابية للقيم الاجتماعية والفنية والمهارية.

لهذا يمكننا القول أن الطفل إذا ما أقدم على تعبير فني يستخدم فيه اللون، أو كان له أن يستخدم الورق المقوى في تصميم علبة صغيرة، كان كل هذا تدريباً له على استخدام الوجدان، فينمو استعداداته حتى يصبح مرهف الحس رقيق الوجدان، ويعبر من خلال الخطوط والألوان عن مكبوتاته وانفعالاته. فالنشاط الفني يساهم في تنمية المهارات الكتابية بدءاً من الخريشة والتلوين، مروراً برسم الخطوط المختلفة كالعمودية والأفقية والمنحنية، وانتهاءً بتعميمها برسم الأشكال الهندسية الأساسية ثم كتابة الأرقام والحروف.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة يتبين لنا أن للأنشطة الفنية دور كبير في تنمية مستوى مهارات الكتابة لدى تلاميذ ذوي طيف التوحد، ذلك لأن العلاج بالأنشطة الفنية يعتبر من المجالات حديثة العهد فهذه الأخيرة تمثل عملاً فنياً تعبيرياً يقوم به هذا الطفل، وهو بديل عن اللغة المنطوقة وشكل من أشكال التواصل غير اللفظي، وكذلك يعتبر تنغيصاً انفعالياً وانعكاساً لحقيقة مشاعرهم نحو أنفسهم والآخرين، ومن ثم كانت الأنشطة الفنية وسيلة ممتازة لفهم العوامل النفسية وراء السلوك المشكل وتساعد على التعبير عما تكنه نفوسهم من أحاسيس وأفكار فيشعرون بالراحة والاتزان والاستقرار النفسي.

كما أن للمربي والمعلم دور أساسي ومهم في بناء البرامج العلاجية القائمة على الأنشطة الفنية للتكفل بذوي الاحتياجات الخاصة لأفراد معينين كالمريض النفسيين، وذوي الاضطرابات الانفعالية والمعوقين،

وكذلك الأطفال. فيعتبر هذا الأخير الموجه والمرشد يسعى إلى تطوير مفردات التلميذ من ذوي طيف التوحد لغويا وتصوريا، فيقوم بتجهيز المواد والأدوات التي تساعد الطفل على تطوير مهاراته وتحت إشرافه، كما يجب عليه أن يعث الثقة المتبادلة بينه وبين هذه الفئة من ذوي الاحتياجات الخاصة.

الاقتراحات:

في ضوء نتائج الدراسة تقترح الباحثتان ما يلي:

- تعاون المربين في تصميم أنشطة فنية تتناسب مع أطفال طيف التوحد وتوظيفها في تدريس المقررات الدراسية المختلفة.
- الاهتمام بتنمية المهارات الكتابية لدى تلاميذ طيف التوحد، لما لها من تأثير في أداء الأطفال في مقرر اللغة العربية بشكل خاص، وكافة المقررات الدراسية الأخرى بشكل عام .
- إقامة محاضرات وندوات، لتوضيح مدى أهمية استخدام الأنشطة الفنية في مجالات المختلفة، بوصفها وسيطاً تقنياً معاصراً تثري وتساعد على الإبداع.
- إثراء مناهج التربية الفنية، بإعادة مخططيها النظر عند تطويرها، حول مراعاة توظيف استخدام برامج حاسوبية لممارسة الأنشطة الفنية في مراحل التعليم ذوي الاحتياجات الخاصة.
- تحديد الاعتبارات الأساسية التي ينبغي مراعاتها عند إعداد أنشطة تعليمية تهدف إلى تنمية المهارات الكتابية لدى تلاميذ طيف التوحد.
- عقد دورات تدريبية للمعلمين في توظيف الأنشطة الفنية، ودورات أخرى لأولياء الأمور في كيفية الاستفادة من هذه الأنشطة في متابعة النمو التعليمي لأبنائهم ذوي طيف التوحد.

الهوامش:

- (1)- القريطي عبد المطلب أمين(2001)، مدخل إلى سيكولوجية رسوم الأطفال، ط2، القاهرة، دار الفكر العربي، ص40.
- (2)- المهنا عبد الله مهنا(2000)، البيئة كعنصر مؤثر على تعبيرات طلاب المرحلة الابتدائية بدولة الكويت، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، جامعة حلوان، المجلد 01، العدد 01، 81 – 107.
- (3)- وزارة التربية والتعليم(2001): خطة تدريس اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية، مصر، ص46.

- (4)- مردان نجم الدين(2005)، النمو اللغوي وتطويرة في مرحلة الطفولة المبكرة، العين، الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الفلاح، ص29.
- (5)- الشخريتي سوسن (2009)، أثر برنامج مقترح في تنمية بعض مهارات القراءة لدى تلاميذ الصف السادس الأساسي بمدارس وكالة الغوث الدولية بشمال غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص03.
- (6)- عطية محسن علي(2008)، الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال، عمان، الأردن، دار صفاء، ص17.
- (7)- نايف أحمد سليمان(2005)، تعلم الأطفال الدراما، المسرح، الفنون التشكيلية، الموسيقى، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ص283.
- (8)- بغدادى محمد رضا (2008)، الأنشطة إبداعية للأطفال، القاهرة، دار الفكر العربي، ص244.
- (9)- نفس المرجع، ص 235.
- (10)- التهامي إيمان السعيد (2012)، فاعلية إستراتيجية التحدث والرسم لتنمية بعض مهارات التعبير الفني لدى طفل الروضة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية رياض الأطفال، ص33.
- (11)- الخويسكي زين كمال(2008)، المهارات اللغوية (الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة) وعوامل تنمية المهارات اللغوية عند العرب وغيرهم، دار المعرفة الجامعية، ص13.
- (12)- الغامدي أحمد عبد الرحمن(1997)، التربية الفنية مفهوما أهدافها مناهجها طرق تدريسها، الرياض: مكتبة الملك فهد، ص77.
- (13)- للقاني أحمد والجمال علي (2003)، معجم المصطلحات التربوية المعرفية في المناهج وطرق التدريس، القاهرة: عالم الكتب، ص31.
- (14)- تميم راجح حسين(1992)، قياس المهارات الأساسية للتعبير الكتابي في نهاية المرحلة الإعدادية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، كلية التربية، ص123.
- (15)- عبد الوهاب سمير(2002)، بحوث ودراسات في اللغة العربية قضايا معاصرة في المناهج وطرق التدريس في المرحلتين الثانوية والجامعية، ج2، المنصورة: المكتبة العصرية، ص115.
- (16)- الجعافرة عبد السلام(2011)، مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها بين النظرية والتطبيق، ط1، عمان، الأردن: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ص234.
- (17)- فراج عثمان (1994)، إعاقاة التوحد أو الاجترار، النشرة الدورية لاتحاد هيئات رعاية الفئات الخاصة والمعوقين، العدد 40، ديسمبر، ص02.

(18)- Association Psychiatric American (2013) Mental of Manual Statistical & Diagnostic: DC Washington. TR. V. DSM: Disorders: Association Psychiatric American, p05.

(19)- حنفي نجم الدين (2005)، النمو اللغوي وتطويرة في مرحلة الطفولة المبكرة، العين، الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الفلاح، ص18.

قائمة المراجع:

- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري (1889)، لسان العرب، ط1، بيروت: دار صادر، بيروت.
- الأسطل أحمد رشاد مصطفى (2010)، مستوى المهارات القرائية والكتابية لدى طلبة الصف السادس وعلاقته بتلاوة وحفظ القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- البجة عبد الفتاح (2007)، تعليم الأطفال المهارات القرائية والكتابية"، ط2، عمان، الأردن: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- برغوث صالح محمد رحاب (2002)، برنامج أنشطة مقترح لتنمية بعض مهارات الاستعداد للقراءة والكتابة للأطفال ذوي صعوبات التعلم بمرحلة رياض الأطفال، رسالة دكتوراه منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة عين الشمس.
- بغدادي محمد رضا (2008)، الأنشطة إبداعية للأطفال، القاهرة، دار الفكر العربي.
- تميم راجح حسين (1992)، قياس المهارات الأساسية للتعبير الكتابي في نهاية المرحلة الإعدادية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، كلية التربية.
- البلوي نادية (2010)، برنامج تدريبي مستند إلى الأنشطة الفنية في تنمية مهارات التفاعل الاجتماعي وتخفيض السلوك النمطي لدى الأطفال ذوي اضطراب التوحد، رسالة دكتوراه، جامعة عمان العربية، الأردن.
- التهامي إيمان السعيد (2012)، فاعلية إستراتيجية التحدث والرسم لتنمية بعض مهارات التعبير الفني لدى طفل الروضة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية رياض الأطفال.
- الجعافرة عبد السلام (2011)، مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها بين النظرية والتطبيق، ط1، عمان، الأردن: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.
- جلس داود (2004)، دراسة تقويمية للأخطاء الكتابية الشائعة لدى تلاميذ وتلميذات الصف السادس في مدارس محافظات غزة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الخرم، السودان.
- الخويسكي زين كمال (2008)، المهارات اللغوية (الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة) وعوامل تنمية المهارات اللغوية عند العرب وغيرهم، دار المعرفة الجامعية.

- الشخريتي سوسن (2009)، أثر برنامج مقترح في تنمية بعض مهارات القراءة لدى تلاميذ الصف السادس الأساسي بمدارس وكالة الغوث الدولية بشمال غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- عبد الوهاب سمير (2002)، بحوث ودراسات في اللغة العربية قضايا معاصرة في المناهج وطرق التدريس في المرحلتين الثانوية والجامعية، ج2، المنصورة: المكتبة العصرية.
- عطية محسن علي (2008)، الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال، عمان، الأردن، دار صفاء.
- الغامدي أحمد عبد الرحمن (1997)، التربية الفنية مفهومها أهدافها مناهجها طرق تدريسها، الرياض: مكتبة الملك فهد.
- فراج عثمان (1994)، إعاقة التوحد أو الاجترار، النشرة الدورية لاتحاد هيئات رعاية الفئات الخاصة والمعوقين، العدد 40، ديسمبر.
- القريطي عبد المطلب أمين (2001)، مدخل إلى سيكولوجية رسوم الأطفال، ط2، القاهرة، دار الفكر العربي.
- اللقاني أحمد والجمل علي (2003)، معجم المصطلحات التربوية المعرفية في المناهج وطرق التدريس، القاهرة: عالم الكتب.
- حنفي نجم الدين (2005)، النمو اللغوي وتطوره في مرحلة الطفولة المبكرة، العين، الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الفلاح.
- المهنا عبد الله مهنا (2000)، البيئة كعنصر مؤثر على تعبيرات طلاب المرحلة الابتدائية بدولة الكويت، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، جامعة حلوان، المجلد 01، العدد 01، 81 - 107.
- نايف أحمد سليمان (2005)، تعلم الأطفال الدراما، المسرح، الفنون التشكيلية، الموسيقى، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع.
- وزارة التربية والتعليم (2001): خطة تدريس اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية، مصر.
- Association Psychiatric American (2013) Mental of Manual Statistical & Diagnostic: DC Washington. TR. V. DSM: Disorders: Association Psychiatric American

سيكولوجية السعادة، مدخل لفهم علم النفس الإيجابي

عبد الكريم الحدادي - طالب دكتوراه، وأستاذ جامعي عرضي

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز-المغرب

abdelkrim.elhaddadi@usmba.ac.ma

خديجة وادي - أستاذة جامعية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة ابن طفيل-القنيطرة-المغرب

ouadikhadija@hotmail.fr

الملخص بالعربية:

علم النفس الإيجابي، هو فرع من فروع علم النفس، يركز ويهتم بنقاط القوة والمشاعر الإيجابية في الشخصية الإنسانية وتعزيزها، مثل الحب، الأمل، الفرح، السعادة، الحماس، الشجاعة، ...، وهي كلها تمثل جوانب إيجابية من الحياة. على اعتبار أن هذه المشاعر الإيجابية، هي قوة محركة للإنسان نحو حياة آمنة وممتعة، يشكل مفهوم السعادة، مفهوم جوهري ورئيسي في علم النفس الإيجابي، لكون السعادة هي ذلك الشعور الإيجابي الذي يغمر الإنسان بالإحساس المنعش الجميل، فالإنسان دائما ما يحاول بطبيعته تفادي ما قد يزعجه، أو يؤلمه، أو يعكر صفوه، في المقابل يميل إلى الأشياء الجميلة والمرحة والسعيدة.

الكلمات المفتاحية: السعادة، علم النفس الإيجابي

Psychology of happiness, an introduction to the understanding of positive psychology

**Abdelkrim El haddadi- PhD student, Assistant Professor
university sidi mohamed ben abdellah, Faculty of Letters and Human
Sciences Dhar El Mehraz, Morocco**

abdelkrim.elhaddadi@usmba.ac.ma

khadija ouadi, Professor

Ibn Tofail University, Morocco

ouadikhadija@hotmail.fr

Abstract:

Positive psychology is a subfield of psychology that focuses on human strengths and deals with positive feelings of people's personalities such as love, optimism, happiness, enthusiasm and bravery. In general, it constitutes all positive aspects of life.

Taking into account that these positive emotions, are driven forces that lead to a peaceful and enjoyable life, the concept of happiness is fundamental and essential in positive psychology . As for happiness, it is a positive feeling which overwhelm humans with satisfaction and contentment. By nature, man always try to avoid what might cause him trouble, anger or pain, and instead incline to pleasing, happy and joyful things.

Keywords: Happiness- Positive psychology

السعادة هي الغاية والهدف الأسمى لكل إنسان، وأهم ما يبحث عنه في حياته، ويسعى في جميع الثقافات الى تحقيقها، وترتبط السعادة بالحالة المزاجية الإيجابية والرضا عن النفس، وجودة الحياة والتفاؤل، فهي شعور داخلي بالطمأنينة والسكينة وانسراح الصدر والراحة النفسية، فتحصيلها وتحقيقها هي الغاية القصوى التي يصبو اليها كل إنسان، لكونه وبطبعه يحاول باستمرار تفادي ما قد يزعجه او يؤلمه او يعكر مزاجه، في المقابل يميل الى الأشياء الجميلة والمفرحة والسعيدة. وهي من أكثر المفاهيم التي نتداولها في حياتنا اليومية، بحيث نستعملها للتعبير عن أمانينا وأحلامنا، وتبريكاتنا في كل المناسبات الاجتماعية السعيدة، وهي من المواضيع التي يصعب تحديد معالمها وأشكالها وأساليب تحقيقها، لذلك فهي تختلف من شخص لآخر، الا انها تشترك في كونها ذلك الشعور الإيجابي الذي يغمرنا بالإحساس الجميل المنعش، الشعور الذي يضفي على حياتنا الحيوية، يرتبط هذا الشعور بالرضا وراحة البال، والهدوء النفسي، والمتعة والفرح واللذة....

لذلك نقول ان الشعور بالسعادة والتعبير عنها، هي مسألة نسبية وليست مطلقة، تختلف من فرد لآخر، ومن ثقافة لأخرى، ومن جيل لآخر، فهناك من يراها قرينة المال والاملاك والشهرة والمنصب، والمريض يراها في الصحة سواء كانت النفسية او الجسدية، والمسجون قد يراها في الحرية، والمتدين يجدها في التقرب من الله وعبادته...

يحتل موضوع البحث عن السعادة، مكانة عظيمة عند جميع الافراد، فهي حالة من الرضا تتميز بالإحساس الممتع، وهي بمثابة جنة الأحلام ومنتهى الآمال، وغاية مرجوة يسعى لتحصيلها كل إنسان، لكونهم متفقون جميعا على رغبتهم في السعادة، لكن الاختلاف حول طرق الوصول إليها وأسبابها، وماهيتها امر شائع بين جميع فئات المجتمع، من مفكرين وفلاسفة وعلماء، لذلك يشكل البحث في

أسبابها وطرق الوصول إليها أمرا مهما جدا، هذا ما يجعل من تعريف السعادة، تعريفا موحدا أمرا بالغ الصعوبة، لأن مفهوم السعادة هو مفهوم مجرد.

أولا: السعادة

1-تعريف السعادة

في اللغة العربية وتبعاً لقاموس المعاني، هناك الكثير من الكلمات التي تعبر عن السعادة وتدخل في إطار حقلها الدلالي: الابتهاج، الاغتباط، الانبساط، الانفراج، البسط، البشاشة، البهجة، البشر، الجذل، الجبور، الرخاء، الراحة، السراء، السرور، الغبطة، الفرح، المبهج، المرح، التعيم، الهناء، اليمن.. ولكن الكلمتين الأكثر شيوعاً هما السعادة والهناء.

عموما السعادة مشتقة من كلمة (سعد): السين والعين والdal: أصل يدل على خير وسرور خلاف النحس، فالسعد: اليمن في الامر¹ وهي كلمة مشتقة من فعل "سعد" أي فرح واستبشر، سعد السعد بمعنى اليمن، وهو نقيض النحس. والسعود خلاف النحوسة، والسعادة خلاف الشقاوة. ونقول سعد يسعد سعدا وسعادة فهو سعيد، نقيض شقي والجمع سعداء. ويشق من نفس الجذر ثلاثة ألفاظ تشترك في نفس المعنى وهي: الساعد والسعدان والسعد. فلفظ الساعد يدل أولا، على ساعد الإنسان أو الطير أو القبيلة: فساعدا الإنسان ذراعاه، وساعدا الطائر جناحاه، وساعد القبيلة رئيسها. ويدل ثانيا، على مجرى المياه، فسعيد المزرعة نهرها الذي يسقيها. ويدل ثالثا، على مخرج اللبن في الناقة. أما لفظ السعدان فيدل على نبات ذي شوك من أطيب مراعي الإبل. في حين لفظ السعد فيدل على الطيب ذي الرائحة الزكية.²

أما الموسوعة الفلسفية العربية لمعن زيادة، تحدد لفضة السعادة ومقابلها في الفرنسية "Bonheur" ، وفي الإنجليزية "Happiness" ، وتجيب عن "هل هي (أي السعادة) ذات مصدر خارجي أم داخلي؟" وهل دلالتها حيازة شيء ما أو نوع من الحيازة؟ أم هي حالة شعورية؟ أي هل هي امر خارجي "براني" أم هي امر شخصي ذاتي؟ ...، ان كلمة السعادة كانت اقل انتشارا من استخدام "السعد" بكثير. وما السعد؟ هو اليمن. وما اليمن؟ هو البركة. ويقال السعد والسعود ضد النحوسة. وما السعادة بعد هذا؟ فأغلب المصنفين سيكتفون بقول ان السعادة ضد الشقاوة ويحاولون الإضافة والتحديد، ويقولون السعادة نيل الخير، و"سعد" الله واسعده، أي أعانه على نيل الخير، فهو سعيد ومُسَعَّد، وعلى هذا فإن السعادة تقتزن بالسعد "سعد المرء" يَسْعَدُ سَعْدًا وَسَعَادَةً.³ في حين جميل صليبا يرى السعادة هي الرضا التام بما تناله

النفس من الخير، والفرق بينها وبين اللذة أن السعادة حالة خاصة بالإنسان، وأن رضا النفس بها تام، إذ من شروط السعادة أن تكون ميول النفس كلها راضية مرضية، وأن يكون رضاها بما حصلت عليه من الخير تاما ودائما، في حين أن " اللذة " حالة مشتركة بين الإنسان والحيوان، وأن رضا النفس بها مؤقت.⁴ في حين موسوعة للاند ترى ان السعادة حالة من الرضى التام تستأثر بمجامع الوعي، وأنها إرضاء لكل الميول وإشباعها سواء بالتوسع أي الكثرة أو بالأمد أي الديمومة،⁵ كما يفرق للاند بين السعادة والشعور بالفرح، بحيث يرى ان هناك تعارضا مفصليا بين السعادة، واللذة، والفرح وكل اشباع عابر، وبذلك فالسعادة تعبر عن طابع كلي ولا يجب الخلط بينها وبين الهناء واللذة.

فلسفيا فقد اخذ مفهوم السعادة مكانة بارزة، كإحدى الاهتمامات الأساسية للفلاسفة، فهناك من يجدها في اتباع الفضيلة كأفلاطون، وهناك من يجعلها غاية الحياة كأبيقور، وهناك من يضعها بالموازاة مع الخير الأعلى ويجعل اللذة شرطا أساسيا لها كأرسطو، في حين الرواقيين يرجعونها الى الفعل الموافق للعقل، وبذلك فهي غير ممتعة عن الحكم في رأيهم.

بدأ الاستخدام الفعلي المركز لمفهوم السعادة مع أبحاث وكتابات بعض رواد علم النفس الإنساني، أمثال أبراهام ماسلو، إريك فروم، وكارل روجرز، وتضمنت كتاباتهم تناول السعادة الإنسانية في علاقتها ببعض الممارسات التطبيقية وبعض التصورات النظرية التي شكلت الأساس لظهور فرع جديد من فروع علم النفس، وهو علم النفس الإيجابي.

وفي علم النفس الإيجابي، نجد ان مارتين سليجمان يفرق بين مفهوم السعادة اللحظية ومفهوم السعادة الحقيقية، فالشعور اللحظي بالسعادة يمكن ان يتأثر بسهولة ببعض الأشياء البسيطة التي من شأنها ان تشعر الإنسان بالرضى، مثل مشاهدة فلم كوميدي...، وهذا من شأنه ان يرفع معدل السعادة بشكل مؤقت، اما مفهوم السعادة الحقيقية، فيتكون من ست فضائل وهي: الحكمة والمعرفة، الشجاعة، الحب والإنسانية، العدالة، ضبط النفس والاعتدال، والروحانية والتسامي، وتعتبر هذه الفضائل عن وجودها من خلال سلوكيات يمكن ملاحظتها وقياسها وتنميتها.⁶

كما يعرفها أيضا مايكل أرجيل Michael Argyle، بكونها شعور بالرضا والإشباع وطمأنينة النفس وتحقيق الذات، وهي شعور بالبهجة والاستمتاع واللذة،⁷ في حين يذهب رائد تيار السعادة في هولندا "فينهوفن" Ruut Veenhoven الى اعتبارها هي الدرجة التي يحكم فيها الفرد سلبا او إيجابا على نوعية حياته الحاضرة بصفة عامة،⁸ اما "دينر" Ed Diener، فيراها بكونها تلك الحالة التي يشعر الفرد

من خلالها بالرضا عن حياته والاستمتاع بها،⁹ أما الفيلسوفة اليابانية "يوشيكو كاواشيما" تراها بكونها حالة تتضمن تحقيق الذات والشعور بالبهجة، وإن المرء لا يشعر بالسعادة إلا إذا مارس الإحساس بالبهجة والفرح، وإن البحث عن المتعة الروحية بصفة مستمرة هو الأكثر احتمالا لأن يقود للسعادة.¹⁰

من خلال هذه التعاريف يتبين ويتضح بجلاء الاختلاف في وجهات النظر حول مفهوم السعادة، وهذا الاختلاف راجع إلى كون أن هذا المفهوم من أكثر المفاهيم التي حظيت بالاهتمام منذ القدم، فالسعادة هي الهدف والغاية الأسمى التي يسعى الإنسان منذ أن وجد إلى تحقيقها، وهي حالة نسبية تختلف من شخص لآخر، وفي نفس الشخص من مرحلة لأخرى، ومن مجتمع لآخر، ومن ثقافة لأخرى، وهي ترتبط بعدة مؤشرات كالصحة والمرض، المكانة الاجتماعية، النجاح، العلاقات الاجتماعية، الدخل المادي....

يمكن القول بأن مفهوم السعادة هو مفهوم ينصهر ضمن مجالي الزمان والمكان ومجموعة من الشروط الأخرى، هذا ما يجعل من تعريفه مسألة غاية في الصعوبة والغموض، عموما تأتي من فكرة عيش الفرد حياة جيدة وفي ظروف حسنة، كما أن هناك عدة مرادفات لكلمة السعادة، مثل الفرح، الانشراح، الرفاهية، السرور، البهجة، طيب الحال...، وهي كلها تعبر عن حالات مزاجية إيجابية لا يمكن للإنسان الشعور بقيمتها ومكانتها إلا إذا سبق وشعر بالألم والهم والغم والضيق والكرب والكتابة والحزن والقلق والتوتر والملل...، لأن الشيء لا يمكن معرفته إلا بواسطة نقيضه، بهذا الشكل يمكننا الحديث عن السعادة كتجاوز نسبي لكل هذه الصفات.

2- ماهية السعادة

لا شك أن السعادة هي غاية كل إنسان، ويسعى وراءها وخلفها في كل جوانب حياته، وتحقيقها يختلف من شخص لآخر، لذلك فقد تعددت وتكاثرت الموصفات التي قد تنطبق على الإنسان السعيد وفق الرؤية التي بواسطتها قد يرى فيها الخصائص والسمات الأساسية الضرورية لسعادته وطرق الوصول إليها، فنجد أنه يبذل كل ما في وسعه للوصول إليها.

يختلف مفهوم السعادة من شخص لآخر، لكونه مفهوما مجردا لا ينحصر بنطاق حسي ولا عقلي بل يتجاوز ذلك إلى ما هو خيالي، ومن هنا تكمن صعوبة حصره وضبطه في كونه شيئا ماديا أو معنويا يصعب إيجاده في دواخلنا وذواتنا، كما يستحيل العثور عليه في الخارج.

فباختلاف اهتماماتنا واحتياجاتنا تختلف في تحديد ماهية سعادتنا، فمننا من يجدها في امتلاك الأشياء المفقودة في حياته، ومننا من يجدها في امتلاك الصحة والشباب والقوة، ومننا من يجدها في الفطنة والذكاء

والمعرفة، ومن يجدها في امتلاك الجمال وحسن المظهر...، لكل من سعادته، قد تتفق جميعا في كون السعادة ذلك الشعور المفعم بالطمأنينة والرضا والقناعة والاحساس بالفرح واللذة التي تغمر النفس الإنسانية، لكن نختلف في كون ما يُشعر البعض بسعادة كبيرة، يكون أحيانا روتينيا يوميا وليس مطلبا بنفس الاحاح للبعض الاخر، لذلك يمكن الجزم بكون السعادة حالة نسبية تختلف باختلاف الطامح اليها.

3- خصائص السعادة

يشير سليجمان الى مجموعة من خصائص الشخصية السعيدة وهي:

1. **الثقة بالنفس:** لقد ثبت عبر العصور كلها وفي مختلف المجتمعات، ان إيماننا الراسخ وقدراتنا الذاتية والثقة العالية بأنفسنا، تزيد من الرضا بالحياة بنسبة 30% وتجعلنا أكثر سعادة في حياتنا المنزلية والعملية.
2. **التفكير بطريقة واقعية:** التفكير الواقعي المنطقي يوصف بكونه تفكير قصدي موجه، الهدف منه محاولة تبين الأسباب والعلل التي تكمن وراء الأشياء، والحصول على ادلة تؤيد او تثبت صحة وجهة نظر معينة او تنفيها.
3. **ممارسة الرياضة:** إن الأشخاص الذين يمارسون الرياضة سواء كان ذلك عملا مكثفا أو مشيا طويلا منتظما يشعرون بأنهم أصحاء، ويشعرون بأنهم أفضل حالا ويستمتعون بحياة أفضل، وقد أفادت الأبحاث ان التمرينات المنتظمة تزيد السعادة مباشرة.
4. **قوة المعتقدات الدينية وعدم ضعفها:** اثبتت دراسة حول تأثير الدين على قناعة الحياة، أنه بصرف النظر عن الديانة التي يعتنقها الناس، فان الذين يمتلكون معتقدات دينية قانعون بحياتهم، في حين ان من تنقصهم المعتقدات الروحية غير قانعين، كما بينت الدراسات ان الممارسات الدينية النشطة مقرونة بحياة طويلة أكثر سعادة وصحة، كما ان الايمان بالله عز وجل والإخلاص له واتباع النبي صلى الله عليه وسلم، والاقبال على الطاعات وتبني الغايات والاهداف الحميدة من خصائص الشخصية السعيدة.
5. **استغلال الصداقة:** الشخص السعيد هو الذي يعيد الدفء والحماس لعلاقاته القديمة، ويستفيد من الفرص في العمل او مع جيرانه لتوسيع قاعدة صداقاته، والناس بحاجة لأن يشعروا

- بأنهم جزء من شيء أكبر، وأنهم يهتمون للآخرين وأن الآخرين يهتمون بهم أيضا، بشرط أن يتخير الأصدقاء الذين ينظرون إلى الحياة نظرة رضا وابتهاج وفرح.
6. حب القراءة: على الفرد أن يكثر من القراءة ليضمن سلامة عقله وجسده، فالشخص السعيد هو الذي يقرأ الكتب ويستفيد مما يتعلمه.
7. الابتسامة وحب المرح: إن الشخص السعيد هو من يخصص بعضا من الوقت للمتعة والبساطة والضحك والمرح، وهذه أحد العوامل الأساسية التي تؤدي إلى العيش بقناعة وسعادة.¹¹

ثانيا: علم النفس الإيجابي

علم النفس الإيجابي هو أحد الفروع الحديثة من الفروع المتعددة لعلم النفس، والذي عرف نشأته وانطلاقته سنة 1998 بأمريكا على يد مارتن سليجمان الذي كان يشغل منصب رئيس رابطة علماء النفس الأمريكيين، إلا أن المصطلح بدأ قبل ذلك بسنوات، تحديدا سنة 1954 مع أبراهام ماسلو، رائد من رواد علم النفس الإنساني، وصاحب مفهوم تحقيق الذات self actualisation، الذي يضعه على رأس هرمه الشهير، حيث يرى أن الإنسان مدفوع إلى تحقيق إمكاناته بأقصى طاقاتها.¹² يركز هذا المبحث في دراسته على تنمية الشخصية الإنسانية ومكامن قوتها، وكذا البحث في الجوانب الإيجابية للإنسان، بغية الوصول به للعيش في سعادة، يمكن القول أن مصطلح علم النفس الإيجابي هو من المصطلحات التي صاغها مارتن سليجمان وهو يمثل حركة في علم النفس تهتم بكل ما هو إيجابي في شخصية الفرد أكثر من ما هو سلبي، يتخلص هذا الفرع من تركيزه على الجوانب السلبية للخبرة الإنسانية كالقلق، والاكتئاب، و كل ما هو مدرج في الفئات المرضية حيث يحاول علم النفس الإيجابي إعادة التوازن لعلم النفس و تشجيع علماء النفس على محاولة الإسهام في دراسة الأبعاد و الجوانب الإيجابية للحياة.

1- سياق علم النفس الإيجابي وضرورته

في السابق كان الهدف الأساسي لعلم النفس هو علاج المرض النفسي، ومساعدة الناس في حياتهم، ثم دعم وصناعة المواهب ...، نتيجة لذلك حقق الإنسان قفزة هائلة في فهم وعلاج المرض النفسي، بحيث تم الكشف عن أسرار عشرات الاضطرابات، والتي كان في السابق أمرا ميوؤسا من شفائها، فأصبح الآن يمكن شفائها أو التخفيف من درجتها بشكل كبير، فأصبح علم النفس اليوم، ذلك الحقل المعرفي الذي يهتم، ليس فقط بدراسة الضعف والضرر، بل أنه أيضا دراسة القوة والفضيلة، فالعلاج ليس فقط اصلاح

ما انكسر، بل انه تربية ما هو أفضل داخل أنفسنا،¹³ فعلم النفس ومنذ نشأته ركز اهتمامه على دراسة ومعالجة المرض والاضطراب النفسي، وتجاهل بشكل كامل وكلي على الانتباه للفكرة الخاصة بأن الانسان القادر على الإنجاز وتحقيق الذات هو القادر على الارتقاء بالمجتمع، وبالرغم من ان بناء القوة وتمكين الانسان ودفعه نحو التعامل مع الأمور بجدية وإيجابية، يعد اقوى واكثر فاعلية في مجال العلاج النفسي.¹⁴ معظم علماء النفس الذين ينتمون لعلم النفس الإيجابي، يجمعون ويتفقون بشكل عام (بالرغم من بعض الاختلافات النظرية)، الى ضرورة تغيير النظرة السائدة الى المرض النفسي بكل تجلياته (اكتئاب، توتر، قلق...)، وكذلك تغيير طريقة التعامل معه بنفس طريقة تعاملنا مع المرض العضوي الذي ينتهي علاجه بالتخلص من اعراضه المرضية، فالعلاج النفسي لا يتوقف عند التخلص من الاعراض السلبية، بل يبدأ عند هذه النقطة، أي ان علاج الاعراض المرضية ما هو إلا نقطة بداية لما يجب ان تتطور له بعد ذلك حياة المريض من إنجازات وتغيرات إيجابية بعد التخلص من حشائش الضرر النفسي التي تسببت فيها اعراض المرض، بعبارة أخرى، علاج المرض النفسي لا يتوقف بالتخلص من أنواع السلوك المرضي، و لا من الأفكار و الأبنية المعرفية التي تستند عليها هذه الأعراض، بل أيضا بالتركيز على الجوانب الإيجابية وجوانب الصحة والقوة لتغذيتها بالمزيد من التطوير و الدعم. ولهذا فمحك فاعلية العلاج النفسي والحكم بالصحة النفسية أو العقلية تتطلب التخلص من المرض والتخفيف من الأعراض التي تصيب الشخص نتيجة لهذا المرض، وتتطلب فضلا عن هذا أن يتسم سلوك الفرد بخصائص صحية جديدة يمكن من خلالها أن نحكم عليه بأنه مثلا أصبح يتصف بالإيجابية والفاعلية والرضا النفسي وغيرها من الصفات الدالة علي الصحة النفسية والاتزان الاجتماعي والوجداني.¹⁵

2-تعريف علم النفس الايجابي

يظهر علم النفس الإيجابي كفرع داخل القسم رقم 17 بتصنيف الجمعية الأمريكية لعلم النفس، الخاص بجمعية علم النفس الارشادي، وذلك للدور الذي يقدمه علم النفس الإيجابي في المجال التطوري،¹⁶ وتعرفه الجمعية الدولية لعلم النفس الإيجابي، بأنه الدراسة العلمية لكل ما يمكن ان يجعل الأفراد والمجتمعات مزدهرة،¹⁷ فهو دراسة وفهم وتطوير الهناء الشخصي الذاتي، وبمعنى آخر يسعى للفهم والدراسة الجادة لمكونات الحياة الإيجابية، كالانفعالات الإيجابية والتي يمكن تلخيصها في الرضا عن الماضي، والسعادة في الوقت الحاضر والامل بالمستقبل، ويهدف أيضا هذا العلم الى دراسة وفهم وتطوير الصفات الإيجابية، مثل

الشجاعة، والصمود، والفضول، والتسامح، والحب، ومعرفة الذات، والنزاهة والرحمة والابداع، كما يهدف أيضا الى دراسة وتطوير المؤسسات الإيجابية مثل مؤسسات المجتمع، وليس فقط على مستوى الافراد.¹⁸ كما تعرف (شيلي وجوناثان) علم النفس الإيجابي بأنه الدراسة العلمية الموضوعية للظروف والعمليات التي تسهم في ازدهار، ورفاهية، وتمكين الافراد والجماعات والمؤسسات، من الأداء الوظيفي الفعال او المثالي،¹⁹ في حين يعرفه شيلدن بأنه الدراسة العملية لوظائف الانسان المثالية، التي تهدف الى اكتشاف وإظهار العوامل التي تسمح للفرد والمجتمعات بأن تزدهر،²⁰ اما عطا الله وعبدالصمد، يعرفانه بكونه الدراسة العلمية ذات الطبيعة التطبيقية للخبرات المثمرة، والخصال الشخصية الإيجابية في الفرد والمؤسسات التي تعمل على تنمية وتسيير هذه الخبرات والخصال، والارتقاء بها لتكوين انسان ذي شخصية إيجابية ومؤثرة لا تنظر الى ما هو كائن بالفعل، بل تسعى وتنظر الى ما ينبغي ان يكون عليه الفرد مستقبلا،²¹ في حين تذهب كريستال بارك لتعريفه بكونه دراسة كافة مكامن القوة لدى الفرد، ودراسة كل ما من شأنه وقاية الانسان من الوقوع في براثن الاضطرابات النفسية والسلوكية، إضافة الى دراسة كل العوامل الفردية والاجتماعية والمجتمعية التي تجعل الحياة الإنسانية جديدة بأن تعاش.

عموما يمكن القول بأن علم النفس الإيجابي هو أحد الميادين الحديثة لعلم النفس، وهو الفرع الذي يهتم بالبحث في الجوانب الإيجابية ومكامن القوة، كما يركز على دراسة الأدوار التكيفية للانعكالات والسمات الإيجابية، ودراسة وتنمية الشخصية التي تساعد الانسان على العيش بسعادة.

3-السعادة في علم النفس الايجابي

ان تاريخ علم النفس الإيجابي قديم حديث، حديث من حيث النشأة وذلك سنة 1998 على يد مارتن سليجمان Martin Seligman ، ولكنه قديم من حيث الإشارات، فقد سبق وتحدث مجموعة من علماء النفس على الجوانب الإيجابية في الشخصية الإنسانية قبل سليجمان، مثل السيكلولوجي والفيلسوف الأمريكي وليام جيمس William James في كتاباته منها "أنواع التجربة الجينية" وفيه يفيد بكون السعادة هي بؤرة الحياة الإنسانية السوية، بالتالي يمكن ان نسقط على من يسعون اليها (السعادة) ويتمتعون بها وصف الاصحاء نفسيا،²² وكارل غوستاف يونغ Carl Jung الذي بحث في الكمال الشخصي،²³ وابراهيم ماسلو Abraham Maslow في كتابه الدوافع الشخصية،²⁴

والسيكلولوجي الإنجليزي فرانسيس غالتون F, Galton الذي بحث في موضوع الموهبة، أيضا فرويد S, Freud الذي اهتم بدوره بموضوع مبدأ اللذة the pleasure principle كأحد جوانب الابتهاج

والسرور، اما ادلر A,Adler فقد بحث في موضوع الكفاح الفردي المدفوع باهتمامات وميول اجتماعية،²⁵ كما يعترف سليجمان أيضا، بالجهود والرؤية العلمية التي طرحتها ماري جاهدو Marie Jahoda في مؤلفها الذي نشرته سنة 1958 تحت عنوان، المفاهيم المعاصرة للصحة النفسية الإيجابية، في كون هذا المؤلف قد شكل اللبنة الأساسية لتأسيس علم النفس الإيجابي.²⁶

منذ نشأته، يهتم علم النفس الإيجابي بالدراسة العلمية لما يحقق السعادة، ويطرح العديد من المفاهيم النفسية الإيجابية التي تعين الانسان على مواجهة المعوقات والتخفيف من وطأها على النفس، كما يعالج الضعف، ويغذي نقاط القوة لدى الانسان، ونجد في صدارة هذه المفاهيم، مفهوم السعادة، على خلاف علم النفس التقليدي الذي يركز على دراسة السلبيات، بالتالي تتركز جهود علم النفس الإيجابي، على إثراء القوى الإنسانية القابلة للتعديل عن طريق تنمية قدرات الفرد وتطويرها كمدخل لتحقيق السعادة، وتحقيق مستوى افضل من التوافق النفسي والاجتماعي والاسري،²⁷ كما يوضح ويعتبر ذلك Miller في كون علم النفس الإيجابي، هو العلم الجديد للسعادة، الذي يتناول البحث في معنى الحياة، وجودة الحياة النفسية، وكيفية تحقيقها،²⁸ فكلمة سعادة تعد من اكثر الكلمات والمفاهيم الحديثة التي تتكرر في مجال علم النفس الإيجابي، ويتضمن هذا المفهوم المشاعر والأنشطة الإيجابية التي تعكس استمتاع الشخص بالحياة، فهذا الفرع يقدم لنا دعوة مفادها ان الانسان كفرد يحمل بداخله القوة والضعف، ومنهما وبهما تحدد حياته.

تتحدد مواضيع علم النفس الإيجابي، في المستوى الذاتي، والفردي، والاجتماعي، فعلى المستوى الذاتي والخبرة الذاتية الإيجابية، يتمحور حول السعادة، السرور، الأمل، الإيمان، الولاء، الرفاهية، ...، اما على المستوى الفردي، فيمكن اجمال هذا الموضوع، حول السمات الإيجابية والتي تمثل، الشجاعة، الجرأة، مهارات العلاقات الشخصية، القدرة على الحب، العمل، المثابرة، التسامح، الاصاله، الحكمة، الموهبة العالية، ...، في حين المستوى الجماعي تتجلى موضوعاته في الفضائل والمؤسسات الاجتماعية الإيجابية بهدف دراسة الشخصية في سياق اجتماعي خاص للوصول بالهيئات والمؤسسات، الى مؤسسات إيجابية على المستوى العام،²⁹ كما تتحدد مظاهرها في زاويتين، نفسية وجدانية، ومعرفية، فبخصوص الزاوية الوجدانية تشمل مشاعر الامن والطمأنينة، والارتياح، والمتعة واللذة، والفرح والسرور التي يشعر بها أي انسان في مواقف السعادة، اما من الزاوية المعرفية، فهي تشمل ما يدركه الانسان بعقله من رضا، وما يجده

من نجاح، وما يحصل عليه من مساعدة حتى تسير الأمور وفق ما يتوقع أو يريده، ولا يمكن الفصل في سلوك السعادة بين ما هو وجداني وما هو عقلي.³⁰

فالإنسان عبر مختلف مراحل حياته، وباختلاف الزمان والمكان، يسعى دائما الى مبتغى السعادة والنجاح، والابتعاد قدر الإمكان عن كل ما قد يعكر صفوه أو يؤثر فيه سلبا، لذلك يركز هذا الفرع من علم النفس، على الجوانب التي تساعد الفرد على العيش في المستويات العالية من سلم السعادة، ومن أجل مطلب الحصول على السعادة، فقد حاول مجموعة من علماء النفس الخروج بمعادلة جديدة قد تساعدنا على ان نكون اسعد، وهذه المعادلة التي هي بمثابة نتاج لبحوث طويلة الأمد، قد تكون قادرة على تغيير حياتنا، هذه المعادلة تتضمن ثلاث متغيرات وتأخذ الشكل التالي:

$$\text{استمتاع} + \text{انغماس} + \text{معنى} = \text{سعادة}^{31}$$

كما قد صاغ كذلك سليجمان معادلة "الحياة الطيبة او الحسنة"، وتتكون بكل بساطة حسب رأيه من استخدام الفرد لمكامن قوته الاصلية على نحو يومي في انشطته، إضافة الى معادلة الحياة الهادفة ذات المعنى، والتي تدفع باتجاه استخدام المرء لهذه المكامن والفضائل والميزات الشخصية الاصلية لخدمة الآخرين، خاصة لتعزيز المعرفة، القوة والخير العام،³² كما قد توصل سليجمان أيضا الى صياغة معادلة توضح السعادة ومكوناتها الأساسية وهي وفق التالي:

$$H = S + C + V^{33}$$

بحيث تشير:

H الى مستوى الشعور بالسعادة الإنسانية.

S تشير الى الاستعدادات الوراثية

C تشير الى مختلف ظروف الحياة

V تشير الى العوامل المقصودة

فبالنسبة للاستعدادات الوراثية التي يرمز لها ب (S)، فقد وجد بعض العلماء ان السعادة، هي خاصية وراثية وثابتة بشكل كبير خلال حياة الانسان، حيث ان حوالي 50% من التباين في مستوى الشعور بالسعادة بين الأشخاص، يمكن تفسيره بالفروق الفردية الوراثية، أي ان هناك بعض الأشخاص يولدون سعداء أكثر من غيرهم،³⁴ هذا بالإضافة الى عنصر اخر كما يشير الى ذلك سليجمان وآخرون، يتدخل إلى جانب المورثات لحفظ السعادة ضمن مدى محدد ويطلق عليه بطاحونة اللذة، ويصف سرعة تكيف

او تعود الإنسان على الأشياء الإيجابية التي قد تحدث له واعتبارها من الأمور المسلم بها، فكلما حصل إنجاز جديد ارتفع مستوى توقع الفرد، وعلى هذا يتكيف مع الأوضاع التي تترافق بإنجازاته بسرعة ويتطلع لتحقيق المزيد حتى يشعر بالمزيد من السعادة،³⁵

اما بالنسبة لظروف الحياة والتي يرمز لها ب (C)، فهي تمثل العوامل الديموغرافية المختلفة، منها الثابتة والمتغيرة كالجنس، والعمر، والدين، والثروة، ومكان السكن، والحالة الاجتماعية، ...، فتأثير هذه العوامل على السعادة، هو تأثير مؤقت يمكن ان يتغير مع الوقت، بالتالي فهي تمثل فقط نسبة 10% من تفسير هذا التباين في السعادة،³⁶ فامتلاك هذه الأشياء يمثل خطوة إيجابية للسعادة وتساعد الناس للحصول عليها، لكنها ليست شرطاً كافياً للسعادة الدائمة، فالإنسان دائماً معرض لخطر الدخول ضمن ما يصطلح عليه بدورة القضاء على السعادة التي من شأنها ان تخفض مستوى شعور الفرد بالفرح والسرور، بحيث تبدأ هذه الدورة بعلاقة بسيطة، كونه كلما رغب الإنسان في زيادة ما يملكه، كلما أصبح أكثر ميلاً للتعاسة، ويمكن توضيح ذلك من خلال المعادلة التالية:³⁷

$$\frac{\text{ما يملكه الفرد}}{\text{ما يرغب به الفرد}} = \text{السعادة}$$

وأخيراً العوامل المقصودة او العوامل الخاضعة لسيطرة الفرد والتي سبق ورمزنا لها بالحرف (V)، فهي تعد من أكثر العوامل أهمية لتحقيق السعادة، وتمثل أفعال او تدريبات يختار الفرد ممارستها والالتزام بها، قد تكون هذه الأنشطة عبارة عن أفكار او سلوكيات تعمل على تعديل مفهوم الفرد لنفسه، وحياته، والعالم بشكل عام،³⁸

قائمة المراجع

- 1 أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر، معجم مقاييس اللغة، 1979، الجزء الثالث، ص 75.
- 2 محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، 1968، بيروت، ط3، الجزء الثالث، ص 213.
- 3 معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، م2، معهد الانماء العربي، 1988 ص 477.
- 4 جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1992.
- 5 أندرية لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط2، 2001، ص.139
- 6 سحر فاروق علام: معدلات السعادة الحقيقية لدى عينة من طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية، مجلة دراسات نفسية، تصدر عن رابطة الاخصائيين النفسيين المصرية، 2008، القاهرة، المجلد 18، العدد 3، ص 437.
- 7 ARGYLE, M. (2001). The Psychology of Happiness. New York & London : Routledge Tylor & Francis Group.
- 8 ربيع زعيمية، مفهوم السعادة وعلاقته بجودة الحياة، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 50 ديسمبر، 2018.
- 9 ربيع زعيمية، مرجع سابق.
- 10 ربيع زعيمية، مرجع سابق.
- 11 زهير علي محمد البشري، السعادة لدى الطلاب الموهوبين بمنطقة الباحة، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة أسيوط، المجلد 36، العدد 7، يوليو 2020.
- 12 مصطفى حجازي، إطلاق طاقات الحياة: قراءة في علم النفس الإيجابي، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2012، ص 22.
- 13 MARTIN E. P. SELIGMAN, Building Human Strength: Psychology's Forgotten Mission, President, American Psychological Association
- 14 Seligman, M. (2002). Positive Psychology, Positive Prevention, and Positive Therapy. In C.R. Snyder 7 S.J.Lopez- 19 - (Eds) (2002). The Handbook of Positive Psychology (3-9). New York: Oxford University Press.
- 15 محمد السعيد عبدالجواد أبو حلاوة، علم النفس الإيجابي: ماهيته ومنطلقاته النظرية وإفاقه المستقبلية، الكتاب الإلكتروني لشبكة العلوم النفسية العربية، العدد 34، ص 6، إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية، 2014.

- 16 سلامة يونس، علم النفس الإيجابي: مفهومه، تطوره، مجالاته التطبيقية ورؤية مستقبلية بالوطن العربي، مجلة الشرق الأوسط لعلم النفس الإيجابي، 2015، ص 46.
- 17 سلامة يونس، مرجع سابق.
- 18 Seligman, M. E. P. (2011). Learned optimism: How to change your mind and your life. Random House LLC
- 19 محمود عبده حسن محمد العزيمي، علم النفس الإيجابي: ماهيته، أسسه وافترضاته، وتطبيقاته، مجلة الاندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 22، المجلد 6، ابريل يونيو 2019.
- 20 محمود عبده حسن محمد العزيمي، مرجع سابق.
- 21 محمود عبده حسن محمد العزيمي، مرجع سابق.
- 22 فيصل عباس (د.ت)، الموسوعة لعلم النفس والتربية، ص 104، ج 15، مركز الشرق الأوسط الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- 23 معمريه بشير (د.ت)، علم النفس الإيجابي: اتجاهات جديدة لدراسة القوى والفضائل الإنسانية، دراسات نفسية، قسم علم النفس - جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص 104.
- 24 مصطفى حجازي، (2012)، إطلاق طاقات الحياة: قراءات في علم النفس الإيجابي، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ص 22.
- 25 معمريه بشير، مرجع سابق، ص 105
- 26 معمريه بشير، مرجع سابق، ص 105.
- 27 Ricardo. Crespo, p. Mesurado, A. Happiness Economics eudaimonia and positive psychology : from happiness economics to flourishing economics, journal of happiness stud, 2015, (16).
- 28 Miller, A. Acritique of positive psychology or the newscience of happiness, journal of philosophy of education, 2008, p 591 608.
- 29 M, Seligman. M, Csikszentmihalyi. Positive psychology : an introduction. American psychologist, vol 55, january 2000.
- 30 تحية عبدالعال، مصطفى علي مظلوم، الاستمتاع بالحياة في علاقته ببعض متغيرات الشخصية الإيجابية: دراسة في علم النفس الإيجابي، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، 24، 2013.
- 31 أبو حلاوة، مرجع سابق.
- 32 محمود عبده حسن محمد العزيمي، ص 16، مرجع سابق.
- 33 <https://happyproject.in/happiness-formula-equation/>, happiness formula ; what makes you happy (and what doesn't)
- 34 MacKerron G, and S. Mourato (2009), 'Life satisfaction and air quality in London, Ecological Economics, 68:1441-1453.

35 Lyudomirsky, S. A construal approach to increasing happiness, psychological health and psychological problems, 2010.

36 How do people pursue happiness? Relating personality to happiness increasing strategies and well being. Journal of happiness studies, february 2016.

37 ESTHER LOPEZ ZAFRA, the relationship between emotional intelligence, occupational stress and health in nurses, a questionnaire survey. International journal of nursing studies, volume 45, 2008.

38 ESTHER LOPEZ ZAFRA, ibidem.

الحاجات النفسية والاجتماعية لطيف التوحد

الدكتور محمود الخزاعي

معهد الحكمة والعدالة بالولايات المتحدة الأمريكية

instituteofjusticeandwisdom@gmail.com

الملخص بالعربية:

هذه الدراسة تهدف بيان مفهوم طيف التوحد، وأعراض مرض طيف التوحد، والنظريات المفسرة له، وأسباب إعاقته التوحد، والاحتياجات النفسية والاجتماعية لأطفال التوحد، وأهم البرامج الموجهة لأطفال التوحد؛ لتحقيق احتياجاتهم النفسية والاجتماعية، وقد توصلت الدراسة إلى الكثير من النتائج، ومنها:

- 1- طيف التوحد هو: عبارة عن إعاقته نمو شاملة، ويتسم غالباً بالانسحاب الاجتماعي والتأخر الفكري.
- 2- أسباب مرض طيف التوحد عديدة، منها النفسي، والبيولوجي، والجيني وغير ذلك.
- 3- طيف التوحد بحاجة إلى الدمج، والثقة بالنفس، واللعب.
- 4- طيف التوحد بحاجة إلى الاحتواء، وعدم التنمر، والعدل، والشعور بالاهتمام.

الكلمات المفتاحية: الحاجات النفسية-الحاجات الاجتماعية-التوحد-طيف التوحد

The psychological and social needs of the autism spectrum

Dr. Mahmoud Alkhuzae

INSTITUTE OF JUSTICE & WISDOM IN AMERICA

instituteofjusticeandwisdom@gmail.com

Abstract:

This study aims to explain the concept of the autism spectrum, the symptoms of autism spectrum disease, the theories explaining it, the causes of autism disability, the psychological and social needs of autistic children, and the most important programs directed to children with autism. To achieve their psychological and social needs, and the study reached many results, including:

- 1- The Autism Spectrum is: It is a comprehensive developmental disability, and is often characterized by social withdrawal and intellectual delay.
- 2- The causes of autism spectrum disease are many, including psychological, biological, genetic, and so on.
- 3- The autism spectrum needs inclusion, self-confidence, and play.
- 4- The autism spectrum needs to be contained, not bullying, fair, and cared for.

Keywords: Psychological needs - social needs - autism - autism spectrum

المقدمة

يعاني العديد من الأطفال من مرض طيف التوحد، وهو مرض منتشر في جميع دول العالم، وهو يسبب الكثير من المشكلات للأسرة، ومريض طيف التوحد ذاته، وهؤلاء المرضى يحتاجون إلى الكثير من الأمور التي تحقق لهم التوافق والانسجام النفسي والاجتماعي؛ ونظراً لأهمية الموضوع جاءت الدراسة بعنوان: "الحاجات النفسية والاجتماعية لطيف التوحد".

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- 1- يمثل طيف التوحد شريحة ليست باليسيرة في المجتمعات.
- 2- المشاكل التي يعاني منها طيف التوحد.
- 3- الحاجات المتعددة التي يحتاجها طيف التوحد.
- 4- جهل الكثير بمرض طيف التوحد.

أهداف البحث:

- بيان مفهوم طيف التوحد.
- بيان أعراض طيف التوحد.
- بيان النظريات المفسرة لطيف التوحد.
- بيان الاحتياجات النفسية والاجتماعية لطيف التوحد.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أن طيف التوحد بحاجة ماسة إلى العديد من الاحتياجات النفسية والاجتماعية، ومن هنا جاءت الدراسة لحل المشكلة، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

السؤال الرئيسي:

ما هي الاحتياجات النفسية والاجتماعية لطيف التوحد؟

الأسئلة الفرعية:

- 1- ما مفهوم طيف التوحد؟
- ما أعراض طيف التوحد؟

3- ما النظريات المفسرة لطيف التوحد؟

4- ما الاحتياجات النفسية والاجتماعية لطيف التوحد؟

منهج البحث:

اتبعت في بحثي المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال جمع المعلومات وتحليلها؛ من أجل الوصول إلى نتائج حيادية موضوعية.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وسبعة مباحث، وهي كالتالي:

المبحث الأول: مفهوم طيف التوحد

المبحث الثاني: أعراض مرض التوحد

المبحث الثالث: النظريات المفسرة لطيف التوحد

المبحث الرابع: أسباب إعاقة التوحد

المبحث الخامس: الاحتياجات النفسية لأطفال التوحد

المبحث السادس: الاحتياجات الاجتماعية لطيف التوحد

المبحث السابع: أهم البرامج الموجهة لأطفال التوحد؛ لتحقيق احتياجاتهم النفسية والاجتماعية.

الخاتمة، وفيها:

النتائج.

التوصيات.

فهرس الصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم طيف التوحد:

تري الجمعية الأمريكية للطب النفسي أن مفهوم طيف التوحد: "عبارة عن إعاقة نمو شاملة، ويتسم غالباً بالانسحاب الاجتماعي والتأخر الفكري ومشاكل لغوية وعدائية نحو الآخرين قبل بلوغ سن الثلاثين شهراً من العمر"⁽¹⁾.

كما أن وزارة التربية الأمريكية عرفت طيف التوحد بأنه: "عجز تطوري في الاتصال اللفظي وغير اللفظي، الذي يؤثر سلباً وبشكل كبير على التفاعل الاجتماعي في الوسط المحيط مع الأشخاص ويحدث قبل عمر ثلاثة سنوات، ويؤثر سلباً على الأداء التربوي للطفل"⁽²⁾.

وعرفه القانون الأمريكي لتعليم الأفراد المعاقين بأنه: "إعاقة تطويرية تؤثر بشكل ملحوظ على عملية التواصل اللفظي وغير اللفظي والتفاعل الاجتماعي، وتظهر هذه الأعراض وبشكل ملحوظ قبل سن الثالثة من العمر، ويؤثر بالسلب على الأداء التربوي ومن مظاهره انشغاله بنشاطات متكررة وحركات نمطية ومقاومة للتغيير البيئي"⁽³⁾.

وتعرفه الجمعية الوطنية للأطفال التوحديين (National Society For Autistics) على أنه: "مظاهر مرضية أساسية تظهر قبل أن يصل عمر الطفل إلى ثلاثين شهراً ويتضمن اضطرابات مختلفة:

-اضطرابات في سرعة أو تتابع المراحل .

-اضطرابات في الاستجابة الحسية للمثيرات .

-اضطرابات في الكلام واللغة والمعرفة .

-اضطرابات في القلق أو الانتماء للناس والأحداث والموضوعات"⁽⁴⁾.

المبحث الثاني: أعراض مرض التوحد:

هناك العديد من الأعراض التي تدل على مرض التوحد ومن ذلك:

قصور التفاعل الاجتماعي:

التفاعل الاجتماعي له أهمية قليلة لدى أطفال التوحديين إذا ما تم مقارنتها بغيرهم من الأطفال في عمرهم والأطفال المتأخرين عقلياً من غير المصابين بالتوحد، حيث يكون لديهم تعلق بالأشياء غير الحية، بالإضافة إلى ضعف عملية التواصل بالعين فلديه افتقاد الدافع، أو عملية الرفض التام لأنه يحمله الآخرون كما أن لديه ضعف في القدرة على مشاركة الآخرين في اللعب.

قصور التواصل:

أشارت العديد من الدراسات على أن اضطرابات عمليات التواصل لدى أطفال التوحد تمثل أعراضاً تعتبر أكثر خطورة بين مجموعة الأعراض التي تميز الاضطراب التوحدي، وربما تعود خطورة اضطراب التواصل إلى

أما تؤثر بدورها الفعال في ظهور اضطرابات أخرى، كاضطراب التفاعل الاجتماعي وغيره من الاضطرابات.

القصور الحسي:

يقصد به القصور في استخدام الحواس، مثل: السمع، والبصر، والشم والتذوق، حيث يعتمد أطفال التوحد في استكشافه للعالم المحيط على حواسهم المختلفة، ولا يستمتعون بالألعاب التي فيها تلامس جسدي، فهم لا يحبون أن يلمسهم أحد⁽⁵⁾.

وهناك مجموعة من الأعراض المختلفة والمتنوعة التي يتميز بها مرضى الطيف التوحدي وهي:

- لا يحب أن يحضنه أحد.
- يقاوم الطرق التقليدية في التعليم.
- يكرر كلام الآخرين.
- لا يلعب مع الأطفال الآخرين.
- ضحك واستشارة في أوقات غير مناسبة.
- نوبات بكاء شديدة لأسباب غير معروفة.
- لا ينظر في عين من يكلمه.
- يقاوم تغيير الروتين.
- تعلق غير طبيعي بالأشياء الغريبة.
- فقدان الخيال والإبداع في طريقة لعبه.
- قصور أو غياب القدرة على التواصل والاتصال.
- وجود حركات متكررة وغير طبيعية مثل هز الرأس أو الدين أو الجسم .
- يستمتع بلف الأشياء.

إن أعراض سلوك الطفل التوحدي تكون عادية نسبياً، حتى يبلغ من العمر عامين ونصف ويلاحظ الوالدان بعد ذلك تأخر في النمو اللغوي، ومهارات اللعب بالإضافة إلى التفاعل الاجتماعي⁽⁶⁾.

المبحث الثالث: النظريات المفسرة لطيف التوحد:

يعتبر اضطراب طيف التوحد من الألغاز المحيرة نظراً لاختلاف الأسباب والأعراض التي تظهر على المرضى، لذلك فإنها تستقطب اهتمام العديد من العلماء، وظهرت تفسيرات عديدة محاولة منهم فهم هذا الاضطراب؛ لذلك يهدف عرض النظريات المفسرة لطيف التوحد إلى فهمه، ومن هذه النظريات:

أولاً النظرية الاجتماعية الأسرية:

حيث لاحظ كانر أن الطفل قد تعرض للعديد من العوامل التي تساهم في ظهور اضطراب التوحد ومنها:
- تعرض الطفل للعديد من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية داخل الأسرة.
- خوف الطفل للحرمان الشديد داخل أسرته.
- تدني العلاقات العاطفية بين الطفل وأسرته، وشعوره بفراغ حسي، وعاطفي؛ مما يعمل على انغلاقه على نفسه وعزلته عن حوله والضغط من الوالدين عليه .
- تعرض الطفل للحوادث والصدمات السيئة التي تصيب الرأس⁽⁷⁾.

ثانياً: نظرية التلوث البيئي:

حيث تشير بعض الدراسات أن تعرض الأمهات والآباء لمواد كيميائية سامة قد يؤدي إلى زيادة مخاطر إنجابهم لأطفال متوحدين، كما أن تعرض الطفل للتلوث البيئي خلال الفترة الحرجة من مراحل نموه قد يحدث العديد من المشكلات التي قد تؤثر بالسلب على عملية تطور قدراته المختلفة، إلا أن كيفية حصول ذلك، وأسبابه لا تزال عملية مجهولة ومن هذه الملوثات التي تؤدي إلى التوحد هي الزئبق، والمواد الحافظة للأطعمة، والرصاص وأول أكسيد الكربون وغيرها.

ثالثاً: نظرية التقاء الأسباب:

يرى العديد من الباحثين أن التوحد لا يمكن أن ينتج عن سبب وحيد، بل إن الإصابة بمرض التوحد تكون غالباً ناتجة عن التقاء مجموعة من الأسباب التي تتكامل بعضها مع بعض مجتمعة في حالة معينة، وتختلف هذه الأسباب من حالة إلى أخرى في ماهيتها وعددها، وطريقة ارتباطها مع بعضها البعض والتأثيرات السلبية التي تنتج عنها في وظائف الدماغ، ومن الشواهد التي يستندون إليها في الدلالة على هذه النظرية اختلاف الأعراض التوحدية في عددها وشكلها، ودرجاتها⁽⁸⁾.

المبحث الرابع: أسباب إعاقاة التوحد:

لقد اختلف العلماء فيما بينهم حول تلك الأسباب التي تؤدي إلى حدوث طيف التوحد وبعض العلماء والباحثين أكدوا أنه لم يتم التوصل بعد إلى تحديد العوامل المباشرة لحدوث طيف التوحد ومن بعض تلك العوامل هي:

1-أسباب نفسية وأسرية :

يرى بعض الباحثين أن الإصابة بطيف التوحد ترجع إلى أساليب التنشئة الوالدية الخاطئة، وشخصية الوالدين غير السوية، وأسلوب التربية يسهم في حدوث الاضطراب⁽⁹⁾.

2-أسباب بيولوجية:

بدأ الاهتمام بالنواحي البيولوجية كسبب في حدوث اضطراب التوحد، وأرجع البعض إعاقاة التوحد إلى مشكلة بيولوجية وليست نفسية، فقد تكون الحصبة الألمانية، أو ارتفاع الحرارة أثناء الحمل، أو وجود غير طبيعي للكروموسومات تحمل جينات معينة، أو تلفاً بالدماغ أثناء الحمل أو الولادة⁽¹⁰⁾.

3-العوامل الجينية :

تشير إلى وجود عامل جيني ذي تأثير مباشر في الإصابة بمرض طيف التوحد، حيث تزداد الإصابة بين التوائم المتطابق من بويضة واحدة، أو أكثر من التوائم الأخوية من بويضتين مختلفتين⁽¹¹⁾.

4-الفيروسات والتطعيم :

يرى البعض أن أسباب الإصابة بمرض التوحد تعود التطعيم، حيث يرون أن التطعيم قد يؤدي إلى الأعراض التوحدية بسبب فشل جهاز الطفل المناعي في إنتاج المضادات الكافية للقضاء على فيروسات اللقاح في حال نشاطه ما يجعلها قادرة على إحداث تشوهات في الدماغ⁽¹²⁾.

المبحث الخامس: الاحتياجات النفسية لأطفال التوحد:

1-الدمج مع الأطفال الآخرين، وذلك من خلال:

وحدات ما قبل المدرسة :

في السنوات الأخيرة بدأت بعض مدارس الحضانة بقبول أطفال التوحد الذين تبدأ أعمارهم من الثانية، أو الثالثة حتى سن الالتحاق بالمدرسة، وقد برهن ذلك على مدى الفائدة التي حاز عليها أولئك الأطفال عن طريق دمجهم بصحبة الأطفال الآخرين ومساعدتهم على تعلم العناية بالذات والمهارات الاجتماعية . المدارس الخاصة:

إن الأطفال التوحديين بحاجة إلى الالتحاق بمدرسة مناسبة لهم منذ سن الخامسة، وحتى المراهقة فقد كثر الجدل حول إمكانية عملية الدمج بين الأطفال التوحديين مع الأطفال الطبيعيين، أو إلحاقهم بمدارس خاصة تتعامل مع الأطفال التوحديين، فقد اتضح أن الأطفال التوحديين يتحسنون بصورة أفضل في البيئة المركبة حيث يلقون الاهتمام الفردي، ثم بعد ذلك يدمجون في مجموعات صغيرة مكونة من 3-4 أطفال أو أكثر كلما قاموا بإحراز تقدم(13).

منحهم الثقة في أنفسهم:

وذلك من خلال الإعداد المهني، فالطفل التوحدي سيظل بحاجة للمزيد من الإعداد والتحضير قبل أن يزاو مهنة من المهن، حيث تساهم وحدات التدريب المهني بعد المدرسة في منع المشكلات التي تبرز عندما يضطر المراهق التوحدي الصغير لشق طريقة في عالم الكبار حيث يجب أن يكون التدريب على العمل ومجاله واسعين كي يتسنى لكل مراهق توحدي أن ينمي مهارات بناء على قدراته الخاصة، ويزرع الثقة في نفس، وحتى تكمل مهمة الثقة بالنفس بنجاح، ولا يشعر مريض طيف التوحد بالإحباط لا بد أن يدرب على مهن تتلاءم مع قدرات، سواء كان يعيش في منازل الأسرة، أو في مؤسسات(14).

الأمن النفسي:

يعاني أطفال التوحد من صعوبات واضحة في التعبير عن مشاعرهم، تتمثل في عدم قدرتهم على إبداء التعابير الوجهية المناسبة لحالاتهم الانفعالية، والتعبير عن مشاعرهم بطريقة مبالغ فيها، وغير متوقعة منهم حيث يظهر بعضهم نوبات من الضحك والبكاء يصعب إيقافها، ويظهر هذا الأمر في مواقف غير مناسبة ويرى بعض الباحثين أن أسباب هذه النوبات ترجع إلى الصعوبات التي يواجهها هؤلاء الأفراد في التعبير عن مشاعرهم أو إزالة التوتر الذي يشعرون به بسبب المثيرات البديئة التي يتعرضون لها جراء هذا

الموقف، لذلك فهم بحاجة ماسة إلى تعليمهم كيف يعبرون عن مشاعرهم، وأحاسيسهم، من أجل إزالة ذلك التوتر، وتحقيق الراحة والأمن النفسي لهم⁽¹⁵⁾.

اللعب:

يساعد اللعب يساعد الأطفال المرضى بالطيف التوحدي على عملية الاندماج، والتكيف مع البيئة، حيث إنه لما كان الطفل التوحدي لا يتكلم كثيراً ولا يتفاعل مع الآخرين؛ لذا يعتبر اللعب طريقة غير مباشرة لتفاعل الطفل التوحدي مع الآخرين، وإنشاء علاقات مع الآخرين، كما أنه يساعد الطفل على التعبير، وكذلك استعمال الخيال، فاللعب يمثل طريقة تعليمية للطفل، فمن الأمور الثابتة أن اللعب يكسب الأطفال التوحيدين قيمة بارزة في نموهم الاجتماعي بالإضافة إلى ذلك يمنحهم ثقة بالنفس، ويمدهم بعمليات التواصل الاجتماعي، وتشكل مجموعة الألعاب، والأنشطة الحركية، والجسمية، والرياضية فائدة عظيمة تجاه العزلة والانطواء التي يعاني منها طفل طيف التوحد⁽¹⁶⁾.

المبحث السادس: الاحتياجات الاجتماعية لطيف التوحد:

أولاً: المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها طيف التوحد:

هناك العديد من المشكلات التي يعاني منها طيف التوحد، ومن ذلك:

1- المشكلات الأسرية:

إن وضع المعاق في أسرته يحيط بعلاقاتها قدر من الاضطراب طالما كانت إعاقته تحول دون كفايته في أداء أدواره الاجتماعية بالكامل، كما أن سلوك المعاق المسرف في الغضب أو القلق تقابل المحيطين به سلوكاً في الشعور بالذنب؛ مما يقلل من توازن الأسرة وهذا يتوقف على مستوى تعليم الوالدين وثقافتهما ومدى الالتزام الديني بين أفراد الأسرة.

2- المشكلات التربوية:

هذه المشكلات تؤثر في قدرة المعاق بطيف التوحد على عملية استمتاعه بوقت فراغه، فالاستمتاع بوقت الفراغ يتطلب أموراً خاصة لا تتوفر في الطفل المعاق.

3- الاختلاف بينه وبين زملائه:

إن وضع المعاق بجانب أصدقائه الذين لديهم صحة جيدة وليست لديهم أية إعاقة، يجعله يشعر بأن لديه نقصاً ما، كما يشعر الأصحاء من أصدقائه بعدم كفاية المعاق لهم، يؤدي بالتالي إلى استجابات سلبية لينكمش المعوق على نفسه وينسحب من هذه الصداقات⁽¹⁷⁾.

4-الصعوبات الاجتماعية:

يواجه الطفل المعاق بالتوحد العديد من الصعوبات الاجتماعية , حيث يوجد أربعة أنواع مختلفة من المشاكل والتي لا تحدث جميعها في كل حالة ويمكن وضعها تحت إطار " عدم قدرة الطفل المعاق بالتوحد على الانسجام مع الناس " فلا يمكن للطفل أن:

-اهتمامه بالآخرين قليل أو معدوم .

-ليس لديه أصدقاء حقيقيين.

-لا يفهم عواطف الآخرين.

-وزيادة على الأربعة أنه يفضل البقاء وحيداً.

مشاكل في اللغة والتواصل :

-عدم قدرة الطفل المعاق على التعبير عن النفس بشكل مناسب وجيد.

-عدم قدرته على فهم تعبيرات الوجه ونغمات الصوت من حوله.

-ترديد الكلمات مراراً وتكراراً.

=لا يقوم باستخدام اليدين من أجل الإيماءات.

-عدم القدرة على فهم أوامر صعبة⁽¹⁸⁾

صعوبات مع الخيال الاجتماعي:

إن الخيال الاجتماعي يساعدنا بالتالي على توقع السلوك من الآخرين واستيعاب أفكار جديدة ومتنوعة وتخيل المواقف بعيداً عن الروتين المتكرر يومياً، لكن بالنسبة للطفل المعاق بالتوحد فإنه يجد صعوبات كبيرة في فهم الخيال الاجتماعي وفهم الآخرين وتفسير أفكارهم المختلفة ومشاعرهم وأفعالهم المتنوعة، أو عملية التنبؤ بما سيحدث بعد ذلك أو ما يمكن أن يتم حدوثه في المستقبل القريب أو ممارسة الألعاب وأنشطة الخيال لدى الأطفال أو عملية الاستعداد والتخطيط للمستقبل والتعامل مع مواقف جديدة غير مألوفة،

كل هذه الأمور يمكن للشخص الصحيح السليم أن يقوم بها، ولكن الطفل المعاق بالتوحد لا

يستطيع القيام بهذه الأمور؛ نظراً لأنه يجد صعوبات كثيرة جداً لتنفيذها⁽¹⁹⁾.

ثانياً: الاحتياجات الاجتماعية لطيف التوحدين :

1- الحاجة إلى عدم التفرقة بينهم وبين الآخرين في المعاملة حتى لا يشعرون بأنهم أقل منهم .
2- حاجة طيف التوحد إلى عملية الدمج الاجتماعي وسط زملائه الأصحاء، وذلك لأن الإنسان بطبعه كائن اجتماعي يحتاج إلى الأُنس بالأصدقاء والشعور بأنه محبوب من الناس وأن لديه علاقات اجتماعية متعددة .

3- الحاجة إلى عدم السخرية والتنمر، منهم في الوسط الاجتماعي والسخرية من إعاقاتهم .
4- الحاجة إلى الحديث وعدم إحساسهم في وسط الحديث بالنقص، فهم يفهمون من خلال تعبيرات الوجه والإشارة على مدى تقبل الآخرين لإعاقاتهم أم الإحساس بأنهم عبء عليهم .
5- الحاجة إلى الشعور بالأمان.
6- الحاجة إلى الشعور بالاهتمام⁽²⁰⁾.

المبحث السابع: أهم البرامج الموجهة لأطفال التوحد؛ لتحقيق احتياجاتهم النفسية والاجتماعية:

هناك العديد من البرامج اللازمة لتحقيق الحاجات النفسية والاجتماعية لطيف التوحد، ومن ذلك:

1- برنامج تيتش Teach :

يهدف هذا البرنامج التدريبي لخدمة احتياجات الأطفال المتوحدين، وتنمية قدراتهم من خلال مراكز تيتش المنتشرة في أمريكا، وتدريب الأهالي على كيفية التعامل مع أطفالهم، وتدريب المختصين على التشخيص وكيفية تقديم خطة تعليمية للأطفال، ومن المجالات التي يتضمنها البرنامج :

- الإقلال من المشاكل السلوكية.
- تنمية السلوك الاتصالي والاجتماعي.
- تدريس الجوانب المعرفية والأكاديمية .
- تنمية مهارة الرعاية الذاتية.
- التحكم البيئي المناسب للأطفال في المراحل العمرية .
- تنمية الحركات الدقيقة والتنظيمية.

-تنمية الاتصال اللغوي التعبيري والاستقبالي⁽²¹⁾.

2-برنامج ايلز (ABLLS-R) :

يعتبر هذا البرنامج من برامج التدخل المبكر، ويقوم بتقديم نظام تنبئي للأطفال من ذوي اضطراب التوحد، فيعتمد على تحليل المهام من أجل تحقيق التواصل الناجح من خلال مهارات الحياة اليومية، ويحتوي برنامج ايلز على 25 مهارة رئيسية للأطفال ذوي اضطراب التوحد وتطبيق هذه المهارات بشكل متداخل عن طريق خطة فردية لكل طفل من الأطفال، ويحتوي هذا البرنامج على مجالات المشاركة والتعاون، الأداء البصري، اللغة الاستقبالية، فهم الكلام، التقليد الحركي، المهارات الحركية الكبرى والمهارات الحركية الصغيرة، التقليد الصوتي، الطلب، المحادثة والحوار، التسمية، التفاعل الاجتماعي، اللعب والمرح، إتباع روتين الفصل ومهارات ارتداء الملابس.. إلخ.

3-برنامج التواصل من خلال الصور:

قام بإعداد هذا النظام من خلال كلاً من فروست وبوندي ويعتبر من أنظمة تطوير التواصل الغير لفظي والمعتمد على الصور، ويعتمد هذا البرنامج على المهارات البصرية، لذلك يستخدم غالباً مع أطفال التوحد، فيساعد الأطفال على الطلب، أو أداء نشاط يرغبه من خلال إعطاء البطاقة التواصلية للآخر⁽²²⁾.

4-برنامج لوفاس :

هو برنامج مطول للتدريب على المهارات المكثفة المختلفة مبنى بشكل دقيق ومنظم ومنطقي، يعتمد بشكل كبير على التحليل السلوكي لعادات الطفل واستجابات للمثيرات، ويبدأ البرنامج بتحديد المثيرات السابقة واللاحقة بعد عملية التعرف على استجابة الطفل، ثم تحدد سلوكيات الطفل القوية والضعيفة، ثم تشكيل المهارات الجديدة من خلال تنظيم المثيرات وتقديم التعزيز الفوري وهو ما يعرف بنموذج A.B.C, I, وهو كما يلي، تصف الأحداث السابقة، والسلوك، والناتج⁽²³⁾.

الخاتمة

النتائج:

طيف التوحد هو: عبارة عن إعاقة نمو شاملة، ويتسم غالباً بالانسحاب الاجتماعي والتأخر الفكري ومشاكل لغوية وعدائية نحو الآخرين قبل بلوغ سن الثلاثين شهراً من العمر. هناك العديد من الأعراض التي تدل على مرض التوحد ومن ذلك: قصور التفاعل الاجتماعي، والتواصل. هناك العديد من النظريات التي اهتمت بتفسير طيف التوحد، كالنظرية الاجتماعية الأسرية، ونظرية التلوث البيئي، وغيرها من النظريات. أسباب مرض طيف التوحد عديدة، منها النفسي، والبيولوجي، والجيني وغير ذلك. طيف التوحد بحاجة إلى الدمج، والثقة بالنفس، واللعب. طيف التوحد بحاجة إلى الاحتواء، وعدم التنمر، والعدل، والشعور بالاهتمام. لتحقيق الحاجات النفسية والاجتماعية لطيف التوحد فلا بد من اتباع أحد البرامج التي تساعد في تحقيق ذلك.

التوصيات:

- 1- التوعية الدائمة للأسر التي تعاني من مشكلات بسبب طيف التوحد.
- 2- مساعدة طيف التوحد على فهم نفسه، وفهم الآخرين.

الهوامش:

(1) اضطراب طيف التوحد , مريم عيسى خليفة أبو شهاب, مجلة القراءة والمعرفة, جامعة عين شمس, كلية التربية, الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة, ع208, 2019م, ص 271

(2) اضطراب طيف التوحد, مريم عيسى خليفة, ص 271

(3) المرجع السابق.

- (4) فاعلية برنامج تحليل السلوك التطبيقي في تعديل سلوك أطفال التوحد، إيمان جمال سالم المصدر، رسالة ماجستير، قسم الصحة النفسية المجتمعية، كلية التربية، شؤون البحث العلمي والدراسات العليا، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015م، ص 12.
- (5) تحسين التفاعل الاجتماعي لدى الأطفال التوحدين باستخدام برنامج تدريبي للتواصل غير اللفظي، حسام الدين جابر السيد أحمد، مجلة البحث العلمي في التربية، ع3، 2018م، ص 406.
- (6) تقييم الخصائص السلوكية عند الطفل التوحدي بتطبيق مقياس st-cars المعياري، فوزية قالي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2015م، ص 40 - 41.
- (7) الخصائص النفسية والاجتماعية للأطفال التوحدين من وجهة نظر الوالدين، فهد بن محمد حماد الحماد، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية والإدارية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2015م، ص 27 - 28.
- (8) فاعلية برنامج تدريبي مقترح في تنمية بعض المهارات المعرفية والاستقلالية الذاتية لدى الأطفال التوحدين، عدنان وليد سكر، رسالة دكتوراه، قسم التربية الخاصة، كلية التربية، جامعة دمشق، 2014م، ص 43.
- (9) فاعلية برنامج تدريبي لتنمية بعض مهارات العناية بالذات لدى الأطفال التوحدين، لمياء عبد الحميد بيومي، رسالة دكتوراه، تخصص صحة نفسية، قسم علم النفس التربوي، كلية التربية بالعريش، جامعة قناة السويس، 2008م، ص 32.
- (10) فاعلية برنامج تدريبي مقترح قائم على أنشطة اللعب الجماعي في تنمية المهارات الاجتماعية لدى الأطفال ذوي التوحد في إمارة أبو ظبي، ميرفت محمد عبده أحمد مشهور رسالة ماجستير، قسم التربية الخاصة، كلية التربية، جامعة الإمارات العربية المتحدة 2016م، ص 15.
- (11) فاعلية برنامج تدريبي مقترح قائم على أنشطة اللعب الجماعي في تنمية المهارات الاجتماعية لدى الأطفال ذوي التوحد في إمارة أبو ظبي، ميرفت محمد عبده أحمد مشهور، مرجع سابق، ص 16.
- (12) التوحد علاجه وتشخيصه اجتماعياً، أديب عقيل، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج39 ع5، 2017م، ص 798.
- (13) التوحد الطفولي أسبابه خصائصه تشخيصه وعلاجه، سوسن شاكر الجلبي، إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية، سلسلة الكتاب الإلكتروني، ع6، 2007م، ص 94.
- (14) التوحد الطفولي أسبابه خصائصه تشخيصه وعلاجه، سوسن شاكر الجلبي، مرجع سابق، ص 95.
- (15) مشكلات الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد وأساليب مواجهتها من وجهة نظر أولياء أمورهم، هياء زيد محمد الخرعان، المجلة التربوية المتخصصة، مج5 ع1، 2016م، ص 6.

- (16) مستوى جودة الحياة لدى أمهات أطفال التوحد، سميرة خطلوط، مرجع سابق، ص 48 - 49
- (17) الآثار الاجتماعية لأسر أطفال التوحد : دراسة ميدانية على عينة من أسر الأطفال التوحديين بمنطقة نجران ، حمد حشان راشد آل منصور ، ص 101
- (18) أبرز الضغوط النفسية والاجتماعية والاقتصادية لدى أمهات أطفال التوحد، خديجة مسعود محمد، مجلة جامعة الزيتونة، جامعة الزيتونة، ع14، 2015م، ص 43 - 44.
- (19) المصدر: <https://www.egyres.com>9
- (20) التوحد وتأثيراته على المراهق وأسرته ، جميل مجاهد إبراهيم محمد ، ص 380
- (21) واقع التكفل الأرطوفوني بالطفل المتوحد ، ابتسام بوشلاغم، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي، 2016م ، ص 44
- (22) فاعلية برنامج تدريبي في التدخل المبكر قائم على السلوك اللفظي في تنمية مهارات التواصل لدى أطفال من ذوي التوحد في المملكة العربية السعودية، روان عيدروس عبدالله البار، رسالة ماجستير، قسم تربية خاصة ، كلية التربية ، جامعة الإمارات العربية المتحدة، 2016م، ص 16 - 17.
- (23) واقع التكفل الأرطوفوني بالطفل المتوحد، ابتسام بوشلاغم، مرجع سابق، ص 45 - 46.

المصادر والمراجع

- 1- أبرز الضغوط النفسية والاجتماعية والاقتصادية لدى أمهات أطفال التوحد، خديجة مسعود محمد، مجلة جامعة الزيتونة، جامعة الزيتونة، ع14، 2015م.
- 2- اضطراب طيف التوحد ، مريم عيسى خليفة أبو شهاب، مجلة القراءة والمعرفة، جامعة عين شمس، كلية التربية، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، ع208، 2019م.
- 3- تحسين التفاعل الاجتماعي لدى الأطفال التوحديين باستخدام برنامج تدريبي للتواصل غير اللفظي، حسام الدين جابر السيد أحمد، مجلة البحث العلمي في التربية، ع3، 2018م.
- 4- تقييم الخصائص السلوكية عند الطفل التوحدي بتطبيق مقياس st-CARS المعياري ، فوزية قالي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، 2015م.
- 5- التوحد الطفولي أسبابه خصائصه تشخيصه وعلاجه، سوسن شاكر الجلي، إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية، سلسلة الكتاب الإلكتروني، ع6 ، 2007م.
- 6- التوحد علاجه وتشخيصه اجتماعياً، أديب عقيل، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج39 ع5 ، 2017م.

-
- 7- الخصائص النفسية والاجتماعية للأطفال التوحديين من وجهة نظر الوالدين , فهد بن محمد حماد الحماد, رسالة ماجستير, قسم علم النفس, كلية العلوم الاجتماعية والإدارية, جامعة نايف للعلوم الأمنية, الرياض, 2015م.
- 8-فاعلية برنامج تحليل السلوك التطبيقي في تعديل سلوك أطفال التوحد, إيمان جمال سالم المصدر, رسالة ماجستير, قسم الصحة النفسية المجتمعية, كلية التربية, شؤون البحث العلمي والدراسات العليا, الجامعة الإسلامية, غزة, 2015م.
- 9- فاعلية برنامج تدريبي في التدخل المبكر قائم على السلوك اللفظي في تنمية مهارات التواصل لدى أطفال من ذوى التوحد في المملكة العربية السعودية, روان عيدروس عبدالله البار, رسالة ماجستير, قسم تربية خاصة , كلية التربية , جامعة الإمارات العربية المتحدة, 2016م.
- 10- فاعلية برنامج تدريبي لتنمية بعض مهارات العناية بالذات لدى الأطفال التوحديين, لمياء عبد الحميد بيومي, رسالة دكتوراه, تخصص صحة نفسية, قسم علم النفس التربوي, كلية التربية بالعريش, جامعة قناة السويس, 2008م.

التنمر المدرسي وعلاقته بالأمن النفسي لدى التلاميذ

الطالب بوهلالة أحمد

جامعة محمد بن أحمد وهران 02 - قسم علم النفس - الجزائر

مخبر البحث في علم النفس وعلوم التربية

Ahmed.bouhlala08@gmail.com

الملخص:

إن ظاهرة التنمر المدرسي أصبحت اليوم مشكلة شائعة وخطيرة في المدارس وفي المجتمعات ولها عديد من الآثار السلبية في حياة التلميذ فهي تؤثر على دراسته من ناحية وعلى صحته النفسية من ناحية أخرى. ففي كثير من الأحيان يخفي الطفل تعرضه للتنمر عن الأسرة لعدة أسباب منها: الخوف والحجل، فهو لا يقبل أن يكون محل ضعف أو يوصف به أمام أسرته وأقرانه، وذلك ما يدفعه إلى التستر على المتنمر الذي يكون قد هددته بالعقاب إذا وشى به للأهل أو إلى إدارة المدرسة. وهذا ما يجعله يعاني في صمت دون أن يشعر به أحد، فيقوم بمساعدته. تهدف هذه المقاربة إلى الكشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية لظاهرة التنمر وعلاقتها بالأمن النفسي لدى تلاميذ الطور الابتدائي، وذلك لمعالجتها والحد من أضرارها النفسية والاجتماعية والتعليمية.

الكلمات المفتاحية: التنمر المدرسي، الأمن النفسي، التلاميذ، المدرسة الابتدائية.

Abstract:

The phenomenon of school bullying has become today a common and serious problem in schools and societies and has many negative effects on the student's life. And it affects his studies on the one hand, and his mental health on the other hand. In many cases, the child hides his exposure to bullying from the family for several reasons, including: fear and shame, as he does not accept to be a subject of weakness or to be described by him in front of his family and peers, this is what drives him to cover up the bully, who may have threatened him with punishment if he tells about him to the parents or to the school administration. This is what causes him to suffer in silence without anyone realizing it, so he helps him.

This approach aims to reveal the psychological and social dimensions of the bullying phenomenon and its relationship to the psychological security of primary school students, in order to address it and limit its psychological, social and educational damages.

Key words: school bullying, psychological security, pupils, elementary school.

مقدمة:

تعدُّ ظاهرة التنمر من الظواهر الشائعة والمنتشرة بكثرة في الوسط المدرسي، وهي تنطوي على عديد من المشاكل تؤدي إلى أزمات نفسية وجسدية خطيرة بين التلاميذ، سواء كانوا ضحايا أو متهمين. وتزيد ظاهرة التنمر من ارتفاع الآثار السلبية والآفات الاجتماعية داخل المجتمعات، وذلك ما يجعل المؤسسات التربوية وصية وملزمة بالضرورة على الحد من انتشار هذه الظاهرة. كما تحاول هذه المؤسسات خاصة المدارس الابتدائية منها توسيع دائرة جهودها وسياساتها التوعوية المختلفة حتى تتمكن من ضمان أمن وسلامة التلاميذ لأنها المسؤولة الأولى المؤتمنة على صحتهم وأمنهم النفسي. تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن ظاهرة التنمر بالوقوف على تحليل أسبابها والمشاكل التي تنجر عنها، وذلك لمعالجتها والحد من آثارها النفسية والاجتماعية في الوسط المدرسي.

من هذا المنطلق تقوم إشكالية البحث حول الكشف عن العلاقة القائمة بين التنمر المدرسي والأمن النفسي لدى تلاميذ الطور الابتدائي. وتندرج تحت هذه الإشكالية الأسئلة التالية:

- ما هو التنمر المدرسي وما هي أسبابه وأشكاله؟
- هل يمكن الحد من ظاهرة التنمر ومعالجتها؟
- كيف يمكن تحقيق الأمن النفسي للتلاميذ؟

أولاً: أشكال وأسباب ظاهرة التنمر في الوسط المدرسي:

1- تعريف التنمر المدرسي:

عرّف "هيوبنر" التنمر بأنه "طريقة للسيطرة على الشخص الآخر وهو مضايقة جسدية أو لفظية مستمرة بين شخصين أو أكثر يستخدم فيها الشخص الأقوى طرق جسدية ونفسية، وعاطفية ولفظية لإذلال شخص ما وإحراجه وقهره"⁽¹⁾. كما يعني "قيام طفل أو مراهق أو مجموعة منهم بإيذاء طفل أو مراهق آخر بأي شكل من الأشكال وأن يكون ذلك الإيذاء متكرراً أو متعمداً، كالاعتداء عليه جسدياً أو بالسخرية منه بالكلمات أو الحركات الاستفزازية أو مضايقته"⁽²⁾.

يعدُّ التنمر أو الاستقواء أحد أشكال العنف التي تمارس في الأوساط المدرسية، وقد اهتم به الباحثون لأول مرة في ستينات القرن الماضي، ومن بينهم الباحث "أوليس". لم يكن هناك تعريفاً دقيقاً لهذه الظاهرة فوضع لها تعريفاً شاملاً، في قوله: "وهو أي سلوك عدواني يمارسه الفرد على فرد آخر بصورة دورية، ويلحق

به أذى لفظيًا أو جسديًا، بصورة مباشرة أو غير مباشرة" (3). ويوصف سلوك التنمر بأنه "ممارسة مجموعة من الهجمات والمضايقات وبعض السلوكيات المباشرة، كالتوبيخ والسخرية والتهديد بالضرب، من قبل شخص ما يُعرف بالمتنمر تجاه شخص آخر بهدف السيطرة عليه، واكتساب القوة التي لا تأتي إلاً بجعل هذا الآخر ضحية" (4). ويُعرف "بيرماستر" التنمر في قوله: إنَّه سلوك عدواني عادة ما يحتوي على عدم توازن القوى بين المتنمر والضحية، ويتكرر مع مرور الزمن، وللتنمر أشكال عديدة تشمل الاعتداء الجسدي والإهانات اللفظية وتهديدات غير لفظية، كما تشمل أيضاً استخدام وسائل الاتصالات الحديثة لإرسال رسائل مركبة ومعيرة وأحياناً رسائل تهديدية (5). ويرى "ديهان" التنمر المدرسي: "سلوك يتضمن السخرية وسرقة النقود من الضحية وإساءة بعض التلاميذ لأقرانهم داخل الصف، الذي يشترك في بعض خصائصه مع خصائص سلوك العدوان" (6).

من خلال تعريف التنمر المدرسي السابقة يستنتج الباحث أنَّ هذه الظاهرة تمثل سلوك تسلطي وعدواني يكون على شكل من أشكال العنف، يحدث بين شخصين أو أكثر، أحدهما يدعى المتنمر وهو القائم بفعل التنمر ويتميز بالقوة والجرأة والثاني يدعى الضحية أو المتنمر عليه وهو الذي مورس عليه فعل التنمر، فيظهر عليه الخوف والخضوع. وللتنمر أشكال عديدة منها: اللفظي والجسمي والجنسي، كما يمكنه أن يظهر في السيطرة على ممتلكات الغير.

2- المفاهيم المرتبطة بسلوك التنمر:

قد يحدث أحياناً الخلط بين مفهوم التنمر وبعض المفاهيم النفسية الاجتماعية الأخرى كمفهوم العنف والعدوان وغيرها من المفاهيم المشابهة. ففي العنف يُستعمل السلاح والتهديد والوعيد بكل أنواعه، ويفضي إلى العنف الشديد، أمَّا التنمر فهو أخفُّ من حيث الممارسة لأنَّه يتضمن عنفاً جسدياً خفيفاً، ويشتمل على جانب استعراضي من القوة والسيطرة والرغبة في التحكم في الآخرين من الرفقاء والزملاء. وهذا السلوك موجود بين الطلاب في جميع مراحل التعليم، ويمكن أن يقود إلى العنف بمعنى شامل (7). ويعدُّ التنمر درجة هيئمة من العدوان، لأنَّ العدوان يصدر من شخص تجاه شخص آخر أو نحو الذات لفظيًا أو جسميًا، وقد يكون مباشر أو غير مباشر ويؤدي إلى إلحاق الأذى الجسمي أو النفسي إلحاقاً متعمداً بالشخص الآخر، وبهذا نجده أكثر عمومية من التنمر. "ويختلف سلوك التنمر عن السلوك

العدواني في كون الأول سلوك متكرر يحدث بانتظام في فترات متعاقبة، وعادة ما يتضمن عدم التوازن في القوة فالتنمُّر نمط من العدوان" (8).

يختلف التنمُّر عن العنف والعدوان بوصفه سلوكا متكررا ومتعمداً من الشخص نفسه، ويظهر هذا السلوك السلبي نتيجة لعدم التوازن في القوة النفسية والجسدية بين طرفين، أمّا العنف فيختلف تماماً عن التنمُّر لأنّه صورة من صور الإيذاء الشديد وتنتج عنه آفات اجتماعية كثيرة مثل: السرقة وحمل السلاح والقتل. أمّا العدوان فيأخذ أشكالاً مختلفة من السلوكيات قد يكون موجّهاً للذات أو لشخص آخر وتنتج عنه أضرار نفسية وجسمية وخيمة. وبالتالي يمكن القول: إنّ التنمُّر شكل خفيف من أشكال العدوان لكن لا يُوجّه نحو الذات، وهو سلوك أخف من العنف من حيث الممارسة، قد يؤدي إلى العنف والعدوان في حالة استمراره واستفحاله.

3- أشكال التنمُّر: يأخذ التنمُّر أشكالاً مختلفة حسب الأثر الذي يحدثه، وهي:

أ- الاستقواء غير الجسمي: قد يكون لفظي أو غير لفظي، ويتمثل الاستقواء اللفظي في المكالمات المسيئة، ونشر الإشاعات المزيفة أو الخبيثة واستخدام اللغة المسيئة، والوصف بألقاب معيئة والسخرية أو التعليقات العرقية. أمّا الاستقواء غير اللفظي فيكون مباشر أو غير مباشر. فالاستقواء المباشر غير اللفظي يصاحب عادةً الاستقواء اللفظي والجسمي، ويتضمن الإيماءات البذيئة والتعابير الوجهية المؤذية، ومن جهة أخرى يتضمن الاستقواء غير اللفظي وغير المباشر التجاهل المعتمد، والاستثناء من النشاط.

ب- الاستقواء الجسمي: وهو أكثر أشكال الاستقواء وضوحاً، ويحدث عندما يتأذى الشخص جسدياً بالضرب، الرفس، العضّ اللكم، الخدش، الصفع، شدّ الشعر أو أي شكل من أشكال الهجوم الجسمي.

ج- الاستقواء الجنسي: يظهر في استخدام المتنمّر لأسماء جنسية ينادي بها الضحية أو يصفه بها، وهي كلمات جنسية نابية قدرة، أو يقوم بلمسه جنسياً أو يهدده بممارسة الجنس.

د- إتلاف الممتلكات: يتضمن تمزيق الملابس وإتلاف الكتب، وإفساد الممتلكات وسرقتها" (9).

4- أسباب التمرُّ المدرسي:

أ- أسباب تتجلى في المحيط المدرسي:

يعدُّ الوسط المدرسي الفضاء الاجتماعي الذي يحدث فيه التواصل المباشر بين التلاميذ فيما بينهم، ومع الأساتذة والعمال والإداريين. "ويشتمل هذا الوسط على السياسة التربوية والثقافة المدرسية، والمحيط المادي والبشري، ودور المعلِّم وشخصيته، ومستواه الأكاديمي، وإلمامه بالمادة الدراسية، وأسلوب التدريس، والمستوى الأكاديمي لدى التلاميذ، والعلاقة بين الأهل والمدرسة، وقد يكون المناخ التربوي غير المستقرُّ والذي يتمثل بعدم وضوح الأنظمة المدرسيَّة ومبنى المدرسة غير المناسب، والصفوف المكتظة، من العوامل التي تؤدي إلى الإحباط لدى التلاميذ، وظهور مشكلات سلوكية يظهر بعضها على شكل سلوك تنمرُّ" (10).

ب- أسباب أسرية:

لقد أظهرت الدراسات الحديثة أنَّ "سوء التنشئة الاجتماعية ينجّر عنها ارتفاع نسبة العنف والتمرُّ بين الأقران في المدارس، ويرجع السبب إلى طريقة تربية الأهل لأطفالهم، مثل التذبذب في اتخاذ القرارات، وعدم الاتفاق على أسلوب معيَّن في الثواب والعقاب بين الوالدين، والاختلاف على القوانين في تسيير الحياة الأسرية، مما ينتج عنه أطفال متمنِّرين مع أقرانهم في المدارس كما أنَّ التساهل في التربية وعدم عقاب الأطفال على أخطائهم يؤدي إلى سلوكيات عنيفة من قبل الأطفال في المدارس" (11).

ج- أسباب شخصية:

هناك دوافع مختلفة لسلوك التمرُّ، فقد يكون تصرفاً طائشاً أو سلوكاً يصدر عن الطفل عند شعوره بالملل، أو لأنَّه يعتقد أنَّ الطفل الذي يستقوي عليه يستحق ذلك، كما "قد يكون سلوك التمرُّ لدى أطفال آخرين مؤشراً على قلقهم، أو عدم سعادتهم في بيوتهم، أو وقوعهم ضحايا للتمرُّ في السابق كما أنَّ الخصائص الانفعالية للضحية مثل الخجل، وبعض المهارات الاجتماعية، وقلة الأصدقاء قد تجعله عرضة للتمرُّ" (12).

5- معايير كشف التمرُّ وأماكن حدوثه:

يمكن تصنيف سلوك التلميذ على أنَّه تمرُّ عندما تحكمه ثلاثة معايير داخل الوسط المدرسي، وهي:

- ملاحظة اعتداء معتمد قد يكون جسدياً أو لفظياً أو بشكل غير مباشر.
 - ملاحظة تكرار عملية التنمر خلال فترات مختلفة ومستمرة.
 - يحدث التنمر في إطار علاقة شخصية يميزها عدم التوازن في القوة بين الطرفين.
- يحدث التنمر في جميع مرافق المدرسة مثل: الصفوف، الحمامات، الملاعب، حافلات المدرسة، وأثناء المشي إلى المدرسة، أثناء فترة الاستراحة، وتزايد هذه الأيام عبر الانترنت بحيث يستعمل الطلاب صفحات خاصة على الانترنت أو بريد الإلكتروني أو غرف الدردشة لنشر الشائعات والصور المسيئة للتهديد والتخويف⁽¹³⁾.

6- النظريات المفسرة لسلوك التنمر:

لقد تباينت النظريات المفسرة لسلوك التنمر، فالنظرية التحليلية على سبيل المثال تؤكد بأن "سلوك التنمر ينتج عن التناقض بين دافع الحياة والموت، وتحقيق اللذة عن طريق تعذيب الآخرين، وعقابهم والتصدي لهم كي لا ينجوا"⁽¹⁴⁾. ويرى أصحاب الاتجاه الفسيولوجي أن "سلوك التنمر يظهر بدرجة أكبر عند الأفراد الذين لديهم تلف في الجهاز العصبي. ويجد فريق آخر منهم هذا السلوك ناتج عن هرمون التسترون، فكلما زادت نسبة هذا الهرمون في الدم ازدادت نسبة حدوث السلوك العدواني"⁽¹⁵⁾. أما رواد النظرية السلوكية فيؤكدون على مبدأ هام في اكتساب السلوك، فالفرد يتعلم سلوك معين وفق مبادئ معينة، وبما أن العنف سلوك فهو قابل للتعليم والتطبيق من الأفراد. "وقد افترض "سكينر" في نظريته الاشتراط الإجرائي أن الإنسان يتعلم سلوكه بالثواب والعقاب عن طريق التعزيز والاستجابة. والسلوك الذي يعاقب عليه لا تحدث فيه استجابة بالفعل، وينطبق هذا على السلوك العدواني فالإنسان عندما يسلك سلوكاً عدوانياً ويعاقب عليه سوف يتوقف عن تكراره، بينما عندما يشجع عليه، أو يتسامح معه سوف يقوم بتكراره"⁽¹⁶⁾. وقد ظهرت نظرية أخرى تعتمد على فهم تطور الطفل سُميت بالنظرية التطورية وتشير إلى أن التنمر يبدأ في مراحل الطفولة المبكرة عندما يأخذ الأفراد بالدفاع عن أنفسهم على حساب الآخرين من أجل فرض سيطرتهم الاجتماعية، إذ ينزع الأفراد في البداية إلى افتعال المشاكل مع الآخرين، بهدف إخافتهم. ويشير "هولي" إلى أن الأطفال يبدؤون في مراحل تطوّرهم بتوظيف وسائل أكثر قبولاً اجتماعياً للسيطرة على الآخرين، فتصبح الأشكال اللفظية وغير المباشرة من التنمر أكثر شيوعاً من الأشكال الجسدية، ومع مرور الوقت يصبح السلوك الذي يعرف عادة بالتنمر نادراً نسبياً. "وتؤكد بعض

الدراسات أن التمرُّ الجسدي أكثر شيوعاً في مراحل الطفولة المبكرة منها عن المراحل المتأخرة، وأنَّ ما يعرف بالتمرُّ يصبح أقل وضوحاً تدريجياً مع تقدُّم الأطفال في السن " (17).

7- خصائص المشاركون في التمرُّ المدرسي:

هناك ثلاثة افراد يرتبطون بسوك التمرُّ في الوسط المدرسي، هم: المتتمرُّ والضحايا والمتفرجون، وكل طرف مشارك يتميَّز بجملة من الصفات والخصائص، هي كالآتي:

المتتمرُّون: أشار "الويس" إلى خصائص التلاميذ المتتمرِّين "بأنَّهم مهيمنون على الآخرين ويحبون الشعور بالقوَّة ولكنهم ودودون مع أصدقائهم، ويرى الباحثون أنَّ الرغبة في القوة هي السبب في عملية التمرُّ وهذه الرغبة تعزَّزت من خلال الأفكار والشائعات حول التمرُّ، وأدوار المؤسسات الإعلامية والأفلام التي تصوِّر قدرات البطل ومهاراته العالية، ومن سماتهم كذلك القسوة، ولديهم أفكار لاعقلانية" (18).

يرى الباحث أنَّ هناك عوامل اجتماعية وإعلامية وثقافية يستقيها التلاميذ من أوساطهم المحيطة فتؤجج لديهم سلوك التمرُّ وحب السيطرة خاصة إذا كانوا يمتلكون بنية جسدية تؤهلهم لتنفيذ سلطتهم على الآخرين.

الضحايا: "هم الأفراد الذين يتعرضون للضرر والأذى نتيجة اعتداء زملائهم المتتمرِّين عليهم، ويكون لهذا الاعتداء آثار سيئة على تحصيلهم الدراسي" (19). ويمكن الإشارة إلى أهم الخصائص التي تتميز بها هذه الفئة:

- قابلية السقوط، فالضحية سريع الانخداع كما أنَّه لا يستطيع الدفاع عن نفسه.
- غياب الدعم، فالضحية يشعر بالعزلة والضعف، وأحياناً لا يذكر اعتداء المتتمرُّ عليه خوفاً منه.
- يخشى الضحية الذهاب إلى المدرسة خوفاً من التمرُّ، وينتج عن ذلك تدني في مستواه الدراسي " (20).

المتفرجون: هم الأفراد الذين يلاحظون سلوك التمرُّ بين المعتدي والضحية، "وبمارس هؤلاء المتفرجون أدوار عديدة في سياق عملية التمرُّ. هناك جماعة من المتفرجين يطلق عليهم مسميات عديدة منها: المساعدين، أو الأصدقاء الحميمين، أو النواب التابعين، وهم الأفراد الذين يتحالفون ويتحدون مع المتتمرُّ

ويقدمون له الدعم والمساندة، وتربطهم به صداقة حميمة، مقارنة بالضحايا الذين لا يتعاطف معهم المتفرجون. "(21).

ثانياً: علاقة التمر بالآمن النفسي لدى التلاميذ - الخصائص والآثار:

يعدُّ الأمن النفسي من بين الحاجات الأساسية للإنسان فيه يحيا بسلام، وبوجوده يشعر بالراحة والاطمئنان ويتمكّن من تحقيق حاجاته المختلفة، والأمن النفسي أكثر أهمية للتلميذ في مراحل دراسته الأولى، حيث يحتاج إلى الشعور به فيستطيع تحقيق حاجته في هذه المرحلة والمتمثلة في نجاحه في تحصيله الدراسي.

1- تعريف الأمن النفسي:

يُعرّفه "زهران" بأنه: "عبارة عن أنشطة يستخدمها الجهاز النفسي لخفض أو التخلص من التوتر وتحقيق الذات والشعور بالأمن النفسي" (22). بينما يرى توماس "بأن الأمن النفسي يعتبر أحد المطالب الأساسية وأصل المحافظة على بقاء النوع البشري، إذ يقرر المهتمون بالصحة النفسية أحياناً أنَّ مدار صحة العقل هو الشعور بالأمن الانفعالي في العلاقات ما بين الأشخاص" (23). ويرى الحنفي (1994) "أن الحاجة إلى الأمن هي حاجة سيكولوجية جوهرها السعي المستمر للمحافظة على الظروف التي تضمن إشباع الحاجات البيولوجية والسيكولوجية" (24). فمن خلال هذه التعريفات يجده الباحث حاجة نفسية ضرورية تتأثر بجوانب الحياة المختلفة للفرد كالبينة والوسط الذي يعيش فيه، كما تتأثر أيضاً بجوانب الفرد النفسية وأحاسيسه المختلفة ومدى تقديره لذاته.

2- عناصر الأمن النفسي:

يتشكل الأمن النفسي حسب "ريف" من ستة عناصر أساسية وضرورية، وأن عدم وجود هذه العناصر أو تدهورها يعد مؤشراً على عدم الشعور بالأمن النفسي، وهذه العناصر هي كالتالي:

- ✓ تقبل الذات: ويتمثل في نظرة الفرد لذاته نظرة إيجابية والشعور بقيمته وأهمية الحياة.
- ✓ العلاقات الإيجابية مع الآخرين: تتمثل في قدرة الفرد على إقامة علاقات إيجابية مع الآخرين تتسم بالثقة والاحترام المتبادل.

- ✓ **الاستقلالية:** وتتمثل في اعتماد الفرد على نفسه وتنظيم سلوكه وتقييم ذاته من خلال معايير محددة يضعها لنفسه
- ✓ **السيطرة على البيئة الذاتية:** وتتمثل في قدرة الفرد على إدارة واستغلال الفرص الجيدة الموجودة في بيئته للاستفادة منها.
- ✓ **الحياة ذات أهداف:** وتتمثل في أن يضع الفرد لنفسه أهدافا محددة وواضحة يسعى إلى تحقيقها.
- ✓ **التطور الذاتي:** تمثل كيفية تحكم الفرد في قدراته وإمكانياته والسعي نحو تطويرها مع تطور الزمن (25).

يتضح للباحث أن عناصر الأمن النفسي تتضمن في محتواها قدرة الفرد الفردية وطبيعة شخصيته في التعامل مع ذاته ومحيطه الخارجي وكيف يستغل إمكانياته المتاحة في الحاضر والمستقبل.

3- خصائص وأبعاد الأمن النفسي: يشير "زهران" (2003) إلى أهم الخصائص والمميزات المرتبطة بالشعور بالأمن النفسي في مختلف ميادين حياة الفرد، والتي تناولتها مختلف الدراسات والبحوث النفسية. وهي كالتالي:

- يتحدد الأمن النفسي بعملية التنشئة الاجتماعية وأساليبها، من تسامح وعقاب وتسلط وديمقراطية وتقبل ورفض وحب وكراهية ويرتبط بالتفاعل الاجتماعي، والخبرات والمواقف الاجتماعية في بيئة آمنة غير مهددة.
- يؤثر الأمن النفسي إيجابيا على التحصيل الدراسي للتلاميذ، وفي قدرتهم على الإنجاز بصفة عامة.
- المتعلمون والمثقفون أكثر أمانا مقارنة بالأفراد الأميين.
- الذين يشعرون بالأمن النفسي أعلى في الابتكار من الذين يشعرون بغياب الأمن النفسي.
- عدم الشعور بالأمن النفسي مرتبط بالتوتر، وبالتالي التعرض للإصابة بالأمراض وخاصة أمراض القلب (26).

أما "ماسلو" فحدد أبعاد الأمن النفسي في أربعة عشر مؤشرا، هي:

- الشعور بمحبة الآخرين وقبولهم ومودتهم.
- الشعور بالعالم والوطن، والانتماء والمكانة بين المجموعة.

- مشاعر الأمان الدائمة في غياب التهديد والقلق.
- إدراك العالم والحياة حيث التعايش والأخوة.
- إدراك البشر بصفاتهم الخيرة من حيث الجوهر.
- مشاعر الصداقة والألفة نحو الآخرين، والمودة والتسامح.
- الاتجاه نحو توقع الخير والإحساس بالتفاؤل بشكل عام.
- ميل إلى السعادة والقناعة.
- مشاعر الهدوء والراحة والاسترخاء والاستقرار الانفعالي.
- الميل إلى الانطلاق من خارج الذات، والقدرة على التفاعل مع العالم ومشكلاته بموضوعية دون التركيز حول الذات.
- تقبل الذات والتسامح معها وتفهم الاندفاعات الشخصية.
- الرغبة في امتلاك القوة والكفاية في مواجهة المشكلات بدلا من الرغبة في السيطرة على الآخرين، والحزم والإيجابية أساسا طيبا لتقدير الذات والإحساس بالقوة والشجاعة.
- الحلو النسي من الاضطرابات العصبية والذهنية والقدرة المنتظمة في مواجهة الواقع.
- الاهتمامات الجماعية و بروز التعاون واللفظ والاهتمام بالآخرين " (27).

4- العوامل المؤثرة في الشعور بالأمن النفسي:

أ- الوراثة والبيئة:

يقصد بالوراثة جميع العوامل الموجودة في الكائن الحي من اللحظة التي تتم فيها عملية تلقيح الخلية الأنثوية بالخلية الذكرية، أمّا المقصود بالبيئة فهو جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في الشخص من البداية الأولى لمراحل نموه. "ويبدأ عمل البيئة منذ اللحظة الأولى التي تعمل فيها الوراثة، ولا يمكن أن يظهر أثر الوراثة إلا في البيئة، فمظاهر الحياة في أي لحظة هي محصلة مجموعتي عوامل الوراثة وعوامل البيئة، بحيث يصبح من الصعب الفصل بين أثر الوراثة، وأثر المحاكاة والتعلّم، وهما من العوامل البيئية المؤثرة" (28). و"تؤكد أناسازي وفولي على أهمية أثر البيئة والمجتمع وحضارته بما فيها من عادات وتقاليده واتجاهات وقيم على التكوين النفسي للفرد" (29).

كما أشار "كاتل" إلى أنَّ عاملي الوراثة والبيئة يعملان معاً على تقوية أو إضعاف بعض السمات، وفي نفس الوقت قد يتعارض دور البيئة مع دور الوراثة في التأثير على بعض السمات⁽³⁰⁾.

ب- التنشئة الاجتماعية:

إنَّ للتنشئة الاجتماعية دور مهم في بناء شخصية التلاميذ، فهي تهدف إلى إكسابهم أساليب سلوكية معينة تتفق مع معايير الجماعة وقيم المجتمع حتى يتحقق عندهم التوافق مع الحياة الاجتماعية في المجتمع الذي يعيشون فيه⁽³¹⁾. فالتنشئة الاجتماعية لها انعكاساتها على الفرد إذ تعينه على الشعور بالأمن النفسي أو عدمه من خلال ما يلقاه من أسلوب تربيوي واجتماعي من قبل الأسرة ومن العلاقات الاجتماعية التي يبنها مع الآخرين فالأسرة هي القاعدة الأساسية في مدى توفيرها لحاجات الفرد وإشباعها فضلاً عن العلاقات الاجتماعية التي تبنى على أساس المحبة والاحترام المتبادل مع الآخرين، ويتأكد دور التنشئة الاجتماعية حين يفسّر بعض المهتمين بالأمن النفسي بأنَّه الاحساس بالطمأنينة الانفعالية والتي يتمتّع بها الفرد، كونها نتاج لعمليات التنشئة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي بين الفرد والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها.

يرى الباحث أن كل من عوامل الوراثة والبيئة الاجتماعية لها دور مباشر على حياة الطفل ففي بداية حياته يكون متحكم فيه بطريقة مباشرة وغير مباشرة وذلك حسب الوسط والمجتمع الذي وجد نفسه فيه خاصة الأسرة والمدرسة، ومن خلال الرعاية الجيدة أو الحسنة يكتسب التلميذ الثقة في نفسه ويصبح قادر على المشاركة في الحياة ويتمتع بالحرية والاستقلالية في حياته والتي تعطيه شكلاً من أشكال الأمن النفسي لديه.

5- أثر التئمّر على الأمن النفسي للتلاميذ: له تأثيرات صحية واجتماعية ونفسية خطيرة على

الضحايا، نذكر منها:

- ارتفاع نسبة تعرضهم للاكتئاب والقلق والانتحار، واضطرابات نفسية أخرى.
- محاولة حمل أسلحة إلى المدرسة بهدف الدفاع عن النفس.
- التغيب عن المدرسة بسبب الشعور بعدم الأمان وضعف التحصيل الدراسي.
- ضعف التقدير الذاتي.
- عدم السيطرة على النفس أثناء الغضب مما ينجم عنه سلوك تدمير الذات.
- احتمال الإصابة ببعض الأعراض المرضية مجهولة الأسباب كالصداع وآلام المعدة.

إنَّ التعرُّض للتمنُّر يؤثر بشكل كبير في النمو الاجتماعي للتلاميذ، فيدفعهم إلى العزلة الاجتماعية. "ويؤكد شامبيون ورفاقه بأنه على الرغم من وجود عدد قليل من الأصدقاء لدى الضحايا، إلا أنَّ صداقتهم تتسم بالكثير من النزاعات والصدمات"⁽³²⁾. ويتجلى أثر التمنُّر على المتنمِّرين فيما يلي:

- تعاطي الكحول والمخدرات.

- عدم الشعور بالذنب عند إيذاء الآخرين

- الإحرام في المستقبل.

6- أساليب التخفيف من ظاهرة التمنُّر المدرسي:

- تحديد المتنمِّرين والمتنمَّر عليهم داخل الصفوف الدراسية.

- متابعة سلوكيات المتنمِّرين والمتنمَّر عليهم في المدرسة لحين إبلاغ أولياء أمورهم، ثم تسجيل الملاحظات حول سلوكهم في المنزل والمدرسة أثناء وبعد فترة العلاج.

- معالجة التمنُّر بناء على الأسباب التي أدت لوجوده عند التلاميذ من خلال تواصل الأهل مع المدرسة.

- يقوم المرشد المدرسي بدور كبير في علاج ظاهرة التمنُّر، من خلال معرفته لأسباب هذه الظاهرة.

- توطيد الصلة بين الأبناء والآباء عن طريق تدعيم الحوار والتواصل.

- مشاركة الوالدين للتلميذ في حل المشاكل التي يتعرض لها خلال يومه الدراسي.

- منح الأطفال المعتدى عليهم درجة من الاستقلالية الذاتية والثقة في النفس.

- تحلي المعلمين بشخصية مرنة غير متسلطة أثناء تواجدهم في الغرف الصفية⁽³³⁾.

7- الحلول المقترحة للحد من ظاهرة التمنُّر: لقد وضع " ألويس " برنامجاً لمنع التمنُّر وتغيير نظام

المدرسة يتمثل في:

- إنشاء لجنة تنسيق لمنع التمنُّر.

- إجراء استبيان " ألويس " للتمنُّر على مستوى المدرسة.

- توضيح سياسات المدرسة وقواعدها الخاصة بمنع التمنُّر.

- عقد اجتماعات مناقشة منظمة للموظفين.

- توعية وإشراك الآباء والأمهات من خلال الإرشاد والتدريب، بصفتهم شركاء في البرنامج.

- تكثيف المقابلات الإرشادية لهؤلاء الطلاب لمعرفة أسباب المشكلة والعمل على حلها.
- توجيه الطلاب وتوعيتهم حول ظاهرة التنمر وأشكاله وأسبابه لتجنب إلحاق الأذى بالآخرين من خلال حصص التوجيه الجماعي، المقابلات الفردية، والاجتماع مع أولياء التلاميذ.
- التركيز على البرامج الوقائية للحد من التنمر أو الاستقواء " (34).

خاتمة:

إن نمو شخصية الطفل هي نتاج لعملية تفاعل مع الغير، والشخصية الانسانية تنبع في حقيقتها من القوى الاجتماعية التي تؤثر فيها منذ لحظة الميلاد. والشعور بالأمن النفسي يقوم على الشعور بالانتماء وعلى قبول الفرد في الجماعة. وهو ما يجعل من التنمر بوصفه سلوكا هداما للعلاقات الاجتماعية السوية ويقع تأثيره السلبي على شخصية ونفسية التلميذ خاصة في المراحل الأولى من تقدير الذات وبناء الشخصية. ويتضح للباحث أن الأمن النفسي يقوم على أساس طبيعة العلاقات السائدة، وفي شعور الفرد بالانتماء والقبول والمحبة في الوسط الذي يعيش فيه أو يمارس فيه نشاطه. وما يؤكد الأثر السلبي الذي ينتج عن التنمر هو كسر هذه العلاقات فيجرح التلميذ الضحية الى الانطواء واعتزال الجماعة والشعور بالإهانة واحتقار الذات وترزع فيه بذور الكراهية والنقمة على الغير. التلميذ الذي يتعرض للتنمر ولا يدافع عن نفسه يحتقر ذاته ويقترب من الدرجة صفر من أمنه النفسي. ويرتبط الأمن النفسي بمدى تقدير الفرد لذاته وثقته بنفسه، وقدرته على التحمل والتحدي وضبط زمام الأمور للتغلب على جميع المشكلات.

التنمر ظاهرة نفسية وسلوكية بارزة الوجود في الأوساط المدرسية لها أثر مباشر في العلاقات الاجتماعية القائمة بين التلاميذ وتحصيلهم الدراسي وأمنهم النفسي. لذلك أصبح من الضروري توعية ومشاركة الأولياء والعاملين في المدرسة على اختلاف مسؤولياتهم للحد من هذا السلوك وما ينجر عنه من عواقب خطيرة تؤثر على صحة التلاميذ النفسية والجسدية، وعلى مسارهم الدراسي وعلى حياتهم الاجتماعية في المستقبل.

Conclusion:

The development of the child's personality is the result of a process of interaction with others, and the human personality stems in its reality from the social forces that affect it from the moment of birth. And feeling of psychological security is based on a sense of belonging and acceptance of the individual in the group. This makes bullying as a destructive behavior for normal social relations and its negative impact on the personality and psyche of students, especially in the early stages of self-esteem and character building. It is clear to the researcher that psychological security is based on the nature of the prevailing relationships, and in the individual's sense of belonging, acceptance and love in the environment in which he lives or practices his activity. And what confirms the negative impact that results from bullying is the breaking of these relationships, so the victim pupils tend to become withdrawn, withdraw from the group, feel insulted and self-contempt, and the seeds of hatred and resentment are sown on others.

A student who is bullied and does not defend himself despises himself and approaches zero degree of his psychological security. Psychological security is related to the extent of the individual's self-esteem and self-confidence, and his ability to endure, challenge and control matters to overcome all problems.

Bullying is a prominent psychological and behavioral phenomenon in school circles that has a direct impact on the existing social relations between students, their academic achievement and psychological security. Therefore, it has become necessary to educate and participate in the awareness and participation of parents and school personnel, regardless of their responsibilities, to reduce this behavior and the serious obstacles that result from it that affect the psychological and physical health of students, their academic path and their social life in the future.

قائمة المراجع:

- 1- نايفة قطامي ومنى الصرايرة. (2009). الطفل المتنمّر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان. ص36.
- 2- ليلى خالد بدران. (2012). مصادر الدعم الاجتماعي وعلاقتها بالسلوك التنمّري لدى المراهقين رسالة ماجستير في الإرشاد النفسي، جامعة عمان. كلية العلوم التربوية والنفسية. ص23.

- 3- ريم محمد صايل الزعبي. (2015). درجة وعي الطالبات المتدربات بأسباب ظاهرة التنمر في الصفوف الثلاثة الأولى وإجراءاتهن للتصدي لها، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، المجلد الثالث، العدد 12. ص166.
- 4- حنان أسعد خوج. (2012). التنمر المدرسي وعلاقته بالمهارات الاجتماعية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بمدينة جدة. المملكة العربية السعودية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد 13، العدد 4 ص06.
- 5- أسامة حميد حسن الصوفي، فاطمة هاشم قاسم المالكي. (2012). التنمر عند الأطفال وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 35، ص155.
- 6- نايفة قطامي منى الصرايرة. (2009). الطفل المتنمر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان. ص34.
- 7- أسامة حميد حسن الصوفي، فاطمة هاشم قاسم المالكي. (2012). التنمر عند الأطفال وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 35، ص157.
- 8- مسعد أبو الديار. (2012). التنمر لذوي صعوبات التعلم، ط3، الكويت. ص30.
- 9- أبو غزال معاوية. (2009). الاستقواء وعلاقته بالشعور بالوحدة والدعم الاجتماعي، الأردن: مجلة العلوم التربوية المجلد 05 العدد 02. ص90.
- 10- معتر دحيلان الضلاعين. (2015). مستوى الذكاء الانفعالي والتكيف المدرسي لدى الطلاب المتنمرين بمدارس التعليم الأساسي بمحافظة الكرك، جامعة مؤتة. رسالة ماجستير في علم النفس التربوي. ص14.
- 11- الشهري علي. (2009). العنف لدى طلاب المرحلة المتوسطة في ضوء بعض المتغيرات النفسية والاجتماعية في مدينة جدة رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم قري، كلية التربية، ص30.
- 12- علي موسى الصبيحين ومحمد فرحان القضاة (2013). سلوك التنمر عند الأطفال والمراهقين مفهومه، أسبابه، علاجه. مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض. ص43.
- 13- بلماحي دلال وآخرون. (2015). التنمر لدى المراهقين وعلاقته بالتحصيل الدراسي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس. ص22.
- 14- أسامة حميد حسن الصوفي، فاطمة هاشم قاسم المالكي. (2012). التنمر عند الأطفال وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 35، ص158.
- 15- علي موسى الصبيحين ومحمد فرحان القضاة (2013). سلوك التنمر عند الأطفال والمراهقين مفهومه، أسبابه، علاجه. مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض. ص50.
- 16- نايفة قطامي منى الصرايرة. (2009). الطفل المتنمر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان. ص86.

- 17- محمد، حسن مصطفى بكري. (2014). الفروق بين الذكاء الانفعالي وسلوك التنمر لدى طلبة المرحلة الابتدائية في محافظة عكاظ. رسالة ماجستير علم النفس التربوي، عمان. ص24.
- 18- علي موسى الصبيحين ومحمد فرحان القضاة (2013). سلوك التنمر عند الأطفال والمراهقين مفهومه، أسبابه، علاجه. مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض. ص35.
- 19- مصطفى علي مظلوم. (2007). فاعلية برنامج إرشادي لخفض سلوك المشاغبة على طلاب مرحلة الثانوية مجلة كلية التربية العدد 69. ص71.
- 20- نورة بنت سعد القحطاني. (2012). التنمر المدرسي وبرنامج التدخل العدد 211 الرياض كلية التربية جامعة الملك سعود. ص119.
- 21- مصطفى علي مظلوم. (2007). فاعلية برنامج إرشادي لخفض سلوك المشاغبة على طلاب مرحلة الثانوية مجلة كلية التربية العدد 69. ص71.
- 22- زهران حامد عبد السلام. (2002). دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي. الطبعة الأولى. مصر، ص85.
- 23- كمال محمد دسوقي. (1990). قاموس ذخيرة علوم النفس، المجلد الثاني، القاهرة، وكالة الأهرام للتوزيع، ص129.
- 24- الحنفي عبد المنعم. (1994). موسوعة علم النفس والتحليل النفسي. ط4. مكتبة مدبولي. القاهرة، ص770.
- 25- العقيلي عادل بن محمد. (2004). الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية. رسالة مكملة لنيل شهادة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. ص25.
- 26- زهران حامد عبد السلام. (2003). الأمن النفسي دعامة للأمن القومي العربي والعالمي دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي. القاهرة: عالم الكتب للنشر. ص88.
- 27- السيد محمد عبد المجيد. (2004). إساءة المعاملة والأمن النفسي لدى عينة من تلاميذ المدرسة الابتدائية، مجلة دراسات نفسية، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني. ص248.
- 28- القوصي عبد العزيز. (1952). أسس الصحة النفسية. الطبعة الرابعة، القاهرة: مكتبة النهضة العربية المصرية للطباعة والنشر. ص25.
- 29- معوض خليل ميخائيل (1982). علم النفس الاجتماعي، المغرب: دار النشر المغربية للنشر والتوزيع. ص102.
- 30- عبد الرحمن محمد السيد (1998) دراسات في الصحة النفسية، الجزء الأول، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة. ص500.
- 31- معوض خليل ميخائيل (1982). علم النفس الاجتماعي، المغرب: دار النشر المغربية للنشر والتوزيع. ص101.
- 32- نايفة قطامي منى الصرايرة. (2009). الطفل المتنمر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان. ص26.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02 بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

33- بلماحي دلال. (2017). أساليب التخفيف من تنمُّر المراهقين من وجهة نظر الأساتذة والمشرفين التربويين، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر. ص18.

34- مرلين وشنايدر (2014). أسئلة وأجوبة حول برنامج ألويس لمنع التنمر المملكة العربية السعودية، الرياض. ص03.

علاقة أساليب المعاملة الوالدية بظهور السلوك العدواني لدى المراهق المتمدرس

(دراسة ميدانية بمنطقة تمنراست)

فاطمة صادقي أستاذ التعليم العالي

رحمة صادقي أستاذ محاضر أ

جامعة تمنراست الجزائر

مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست

tnourcine@yahoo.fr

rahmasdk@yahoo.fr

الملخص بالعربية:

سعيًا من خلال هذه الدراسة إلى التعرف على مدى دلالة العلاقة الموجودة بين أساليب المعاملة الوالدية ودرجة ظهور السلوك العدواني لدى المراهق المتمدرس بمنطقة تمنراست ، وبعد تحديد مشكلة الدراسة وبغرض إختبار الفرضيات قمنا بإجراء الدراسة الميدانية على عينة مكونة من (110) تلميذاً، وإعتمدنا على مقياس أساليب المعاملة الوالدية المعد من طرف الباحث " عبده سعيد محمد أحمد الصنعاني " وكذا مقياس السلوك العدواني المعد من طرف الدكتور " بشير معمرية "، وقد توصلنا من خلال المعالجة الإحصائية للنتائج إلى القول بوجود علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين أساليب المعاملة الوالدية السلبية ودرجة ظهور السلوك العدواني لدى المراهق المتمدرس بمنطقة تمنراست ، لنقوم أخيراً بتفسير هذه النتائج ووضع توصيات الدراسة.

الكلمات المفتاحية: أساليب المعاملة الوالدية، السلوك العدواني

The relationship of parental treatment methods to the emergence of aggressive behavior among the schooled teenager in Tamanrasset (field study in Tamanrasset)

Sadki Fatma

Sadki rahma

University of Tamanghasset (Algeria)

tnourcine@yahoo.fr

rahmasdk@yahoo.fr

Abstract:

We sought through this study to identify the significance of the relationship between the methods of parental treatment and the degree of aggressive behavior of teenagers in Tamanrasset.

After defining the problem of the study and for the purpose of testing the hypotheses, we conducted a field study on a sample of (110) students, we adopted a scale of methods made by the researcher “Abdo Saeed Muhammad Ahmad Al-sanani” as well as the aggressive behavior scale prepared by “Dr Bachir Muamariah”, Through the statistical treatment of the results, we came to say that there is positive correlation with statistical significance between the methods of negative parenting treatment and the degree of aggressive behavior for the schooled teenager, study recommendations have been made at last after explaining these results.

Keywords: methods of parental treatment, aggressive behavior

مقدمة:

تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي، حيث تهدف إلى إكساب الفرد سلوكاً ومعايير وإتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق معها، وتشترك عدة مؤسسات في عملية التنشئة الاجتماعية منها الأسرة، المدرسة، الأقران، وسائل الإعلام ودور العبادة، إلا أن الأسرة كانت ولا زالت أقوى مؤسسة اجتماعية تؤثر في مكتسبات الإنسان المادية والمعنوية.¹

فالأسرة إذن هي حلقة الوصل بين الفرد والمجتمع، وهي أيضاً الوسط الإنساني الأول الذي ينشأ فيه الطفل أو يكتسب في نطاقها أول أساليبه السلوكية التي تمكنه من إشباع حاجاته وتحقيق إمكانياته والتوافق مع المجتمع.²

ولما كانت التنشئة الوالدية تلعب دوراً كبيراً في حياة الطفل، فهو من خلالها يتعلم إستجابات لمواقف مختلفة وبطرق متعددة، فما السلوك العدواني الذي يظهر على بعض الأطفال إلا وسيلة للتعبير عن نقص حاجة ما لم تشبع في وقتها المناسب، وبذلك يمكن القول أن السلوك العدواني هو سلوك مكتسب من البيئة، أي أن البيئة التي ينشأ فيها الطفل هي عامل أساسي في تنمية ذلك السلوك، وإذا ما إتبع المربون الأساليب الوالدية اللازمة لرعاية هذا السلوك وقاية وعلاجاً، فعندئذ يتم الحد من إنتشاره بين أطفالنا.³

ولا شك أن العدوان موجود منذ القدم ولا يزال قائماً في الحاضر وإن تعددت أنواعه وأشكاله، وفي العصر الحديث يمثل العدوان ظاهرة سلوكية واسعة الانتشار تكاد تشمل العالم بأسره، ولم يعد العدوان مقصوراً على الأفراد، وإنما إتسع نطاقه ليشمل الجماعة والمجتمعات بل ويصدر أحياناً من الدول والحكومات.⁴ ولهذا كان موضوع المعاملة الوالدية والعدوان من أكثر الموضوعات التي حظيت بالدراسة في ميدان علم النفس وغيره من ميادين العلم والمعرفة، وتعود البدايات الفعلية لدراسة هذه الظواهر إلى أوائل القرن الماضي، وذلك عندما تناول فرويد أثر المعاملة الوالدية في إصابة الأبناء بالمرض النفسي، حيث يرى أن ما يزرعه الوالدين في نفوس أبنائهم خلال السنوات الأولى سيظهر لاحقاً على شخصياتهم، إذ تنمي المعاملة القاسية فيهم مشاعر عدم الإطمئنان الذي يجعلهم يلجؤون إلى أساليب توافقية غير مناسبة لجذب الانتباه كالغيرة والعدوان والعزلة، على حين توظف فيهم المبالغة في الحب والحماية الإستعداد للإصابة بالأمراض العصبية.⁵

ويرى أدلر (Adler) أن الخبرات الحياتية التي ينميها الطفل بداية من عملية التواصل والتفاعل مع الراشدين المحيطين به تساهم في تكوين الصورة الأولية لديه عن نفسه ومحيطه، لذا فإن الطفل الذي يتلقى الخبرات والتفاعلات الإيجابية المليئة بمطالب نموه المشبعة لحاجاته، يعيش متزناً متوافقاً مع ذاته ومحيطه، أما الطفل الذي يتعرض للخبرات المؤلمة والمزعجة يتأثر نموه تأثراً سلبياً ويتعثر ويضطرب ويتراجع، وتصبح آثار الألم والقلق تعكر صفو الطفل وتسبب له خللاً في التوازن ما بين الألم والمتعة، وذلك التوازن الأساسي لتطور الطفل النفسي يلعب دوراً هاماً في تحديد موقف الطفل السلبي أو الإيجابي من ذاته ومحيطه.⁶ أما دراسات السلوك العدواني فكانت كثيرة ومتنوعة وتعود بداياتها أيضاً إلى أوائل القرن الماضي، حينما كتب فرويد عن العدوان في كتابه الذي نشر عام (1905)، وتلي ذلك العديد من المؤلفات التي تناولت العدوان نذكر على سبيل المثال كتاب الإحباط والعدوان لدولارد وميلر (Dolard et Milar, 1939)، ثم أعقب ذلك ظهور العديد من النظريات التي تناولت السلوك العدواني، والتي أكدت على أن إحباطات الحياة اليومية تستثير الدوافع إلى العدوان لدى الفرد، أي أنه يلجأ إلى العدوان عندما يمنعه عائق من تلبية حاجاته.⁷

أما عن الدراسات التي تناولت المعاملة الوالدية والسلوك العدواني نذكر من بينها دراسة سميحة نصر (1983) عن التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالعدوان، توصلت إلى نتائج مفادها أن هناك ارتباط بين

العدوان وتأكيد الذات والسلوك الاستقلالي وصلابة التفكير، مما يعني وجود علاقة بين بعض الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وبين عدوانية الأبناء، مع وجود فروق بين الذكور والإناث في العدوان لصالح الذكور.⁸

كما جاء في دراسات عديدة أن أسلوب التذبذب في المعاملة وعدم الإتساق فيها يرتبط بظهور السلوكات العنيفة لدى الأبناء، وأن الآباء في معظم الأسر السيئة والذين كانوا غير متسقين وثابتين في تنشئتهم وعقابهم لأطفالهم، إنما يولدون فيهم المزيد من المخالفات المرتبطة بالعنف.⁹

في نفس الصدد قام كل من جيرى وديانا (Geri et Diana, 1993) بدراسة هدفت إلى فحص العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والإضطرابات السلوكية لدى عينة من أطفال ومراهقين تتراوح أعمارهم بين 8 - 16 سنة، وقد توصلت إلى نتائج مفادها أن أساليب المعاملة الوالدية الخاطئة المتمثلة في الرفض والإهمال وعدم المبالاة، ترتبط بعلاقة موجبة مع القلق والإكتئاب والسلوك العدواني لدى الأفراد. لذا نقول هنا أن الأسرة هي أول صورة للحياة من خلالها ينمو إحساس الفرد بالأمن والتقبل، والمراقبة المتوافقة هي إنعكاس لحياة أسرية مستقرة خالية نسبياً من الصراعات التي يقوم فيها الوالدان بدور مميز في بناء شخصية المراهق من خلال معاملتهم له، والأساليب غير المتوازنة من المعاملة تجعله عرضة للإصابة بالأمراض النفسية.

حيث يؤكد علماء النفس على أن المعاملة السيئة تشعر المراهقين بفقدان الأمن، وتضع في أنفسهم بذور التناقض الوجداني، وتنمي فيهم مشاعر النقص والعجز عن مواجهة مصاعب الحياة، وتعودهم على كبت إنفعالاتهم وتوجيه اللوم إلى أنفسهم، وعندما يكبرون توظف صراعات الحياة الجديدة الصراعات القديمة لديهم فتظهر العصاوية والإكتئاب.¹⁰

ويذكر التراث العلمي بالعديد من الدراسات التي تناولت أثر معاملة الوالدين على نفسية الأبناء، كدراسة بارش وزملائه (Burch and others, 1994) ونويل (Nowel, 1934) والتي تبين منها أن المعاملة الوالدية تؤثر على النمو الجسمي والإنفعالي، وأن المعاملة المتسلطة تؤدي إلى الإنعزال والهدوء غير السوي وعدم القدرة على التعامل مع الآخرين مما يستلزم خضوع الأبناء للعلاج النفسي.

كل ما سبق ذكره دفعنا إلى دراسة العلاقة الموجودة بين أساليب المعاملة الوالدية وظهور السلوك العدواني لدى المراهقين المتمدرسين بمنطقة تمناست، وهنا نطرح التساؤل التالي:

هل توجد علاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والسلوك العدواني لدى المراهقين المتمدرسين بمنطقة تماراست ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل قمنا بصياغة الفرضيات التالية:

- توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين أساليب المعاملة الوالدية والسلوك العدواني لدى المراهق المتمدرس بمنطقة تماراست.
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أساليب المعاملة الوالدية لدى المراهق المتمدرس بمنطقة تماراست تعزى إلى متغير الجنس .
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة السلوك العدواني لدى المراهق المتمدرس بمنطقة تماراست تعزى إلى متغير الجنس .

مفهوم أساليب المعاملة الوالدية :

- أساليب المعاملة الوالدية هي كل سلوك يصدر من الأب والأم أو كليهما ويؤثر على الطفل وعلى نمو شخصيته سواء قصد بهذا السلوك التوجيه والتربية أولاً، ويدخل ضمن المعاملة الوالدية العمليات الآتية :
- التأثير الذي يحدث في سلوك الطفل من جراء إستجابة الوالد أو الوالدة أو كليهما لسلوكه
 - التأثير الذي يحدث في سلوك الطفل من جراء أساليب الثواب والعقاب التي يتخذها الوالد أو الوالدة أو كلاهما بقصد تعليمه وتدريبه .
 - التأثير الذي يحدث في سلوك الطفل من جراء إشراكه في المواقف الإجتماعية التي يتيحها له الوالد أو الوالدة أو كليهما بهدف تعليمه الأساليب الصحيحة للسلوك في نظرهما .
 - التأثير الذي يحدث في سلوك الطفل من جراء التوجيهات المباشرة والتعليمات اللفظية التي يوجهها له الوالد أو الوالدة أو كليهما بقصد توجيهه إلى الأساليب الصحيحة في السلوك
 - التأثير الذي يحدث في سلوك الطفل من جراء التعارض بين سلوك الوالد والوالدة في طريقة تربية الطفل وأسلوب معاملته .¹¹

- أنواع أساليب المعاملة الوالدية:

1- الأساليب الإيجابية للمعاملة الوالدية: نذكر من أهمها ما يلي:

- التقبل: هو من أهم الإحتياجات الإنسانية، حيث يرى بروتون (Preston) أن التقبل ضروري لكي يشعر الإنسان بالطمأنينة في حياته، ويعتقد رونر (Rohner) أنه أمر حاسم في نمو الشخصية، تترتب عليه آثار تنعكس على سلوك الأبناء ونموهم وأدائهم الوظيفي وتقديرهم الإيجابي لأنفسهم ونظرتهم الإيجابية للحياة في مرحلة الرشد.¹²

- المساندة العاطفية: وجود العلاقات العاطفية داخل الأسرة يساعد على النمو السليم لشخصية الطفل، أما تهديد الوالدين لأبنائهم بالحرمان فإنه يساعد على تنشئتهم تنشئة غير سليمة، فقد أظهرت الدراسات أن تقدير الطفل لذاته وتنمية قدراته وتقبله للمعايير والقيم يعتمد في الأساس على تمتعه بالحب والقبول والدفء العاطفي.¹³

- أسلوب الضبط التربوي: يقصد به قدرة الوالدين على التدخل في توجيه سلوك الأبناء في الوقت المناسب، ويكون ذلك بالإقناع تارة وبالعقاب البسيط تارة أخرى، إلا أن بعض الأولياء كثيراً ما يخلطون بين غط الضبط التربوي ونمط السلطوية في معاملتهم وتنشئتهم لأبنائهم، حيث يفرطون في استعمال سلطتهم متسببين في إحباط متكرر لأهم الحاجات النفسية والإجتماعية التي يسعى أبنائهم إلى تحقيقها.¹⁴

- أسلوب التشجيع: هو ميل الوالدين لمساعدة الطفل وتشجيعه والوقوف بجانبه ، يعتبر من أهم أساليب التنشئة الإجتماعية، من خلاله يحاول الوالدين تشجيع أبنائهم على إتباع السلوك المقبول إجتماعياً وترك السلوك غير المقبول، وهنا يستطيع الأبناء أداء دورهم في المجتمع بشكل إيجابي.¹⁵

2- الأساليب السلبية للمعاملة الوالدية: هذه الأساليب تتداخل فيما بينها، نذكر من أهمها ما يلي:

- أسلوب الرفض الوالدي: والذي يث في نفس الطفل روح العدوانية، وينعكس سلباً على شخصيته وعلى تكيفه ونموه النفسي والإجتماعي، فالرفض الذي يشعر به الطفل من والديه قد

ينمي فيه عادات لإجتماعية أو قد يتطور إلى صورة أخرى من صور الأمراض النفسية أو العقلية والتي تصيب من عانوا آلام طفولة محبطة.¹⁶

- الحماية الزائدة: وتعني القيام نيابة عن الطفل بواجباته وهو ما يجعله إتكالياً معتمداً لا يتحمل المسؤولية، غير قادر على الإستقلالية في تفاعلاته مع البيئة ولا على مواجهة مواقف الحياة.¹⁷

- أسلوب التسلط: حيث تقوم التربية هنا على الأسلوب التسلطي من خلال فرض الآراء والتوجيهات على الأبناء دون مناقشة أو تعبير حر للآراء والمشاعر، وهذا النمط يترك آثاراً سلبية على سلوك الطفل، ويشعره بالتعاسة والإنسحاب وعدم الثقة بالآخرين وأحياناً العداوة وسوء التحصيل الدراسي.¹⁸

- أسلوب التذبذب: أي التقلب في معاملة الطفل بين اللين والشدّة وبين التعزيز وعدمه، مما يجعل الطفل في حيرة من أمره دائم القلق غير مستقر بسبب الرسائل المتناقضة التي تصله من طرف الوالدين، ويترتب على هذا النمط شخصية متقلبة متذبذبة.¹⁹

- العوامل المؤثرة في المعاملة الوالدية :

تتعدد العوامل التي تؤثر في أساليب معاملة الوالدين للأبناء ، ونوجز أهم هذه العوامل فيما يلي:

1 -صحة الإبن أو مرضه أو إعاقته:

إن التكوين الجسدي للإبن وصحته وسلامته ومدى إعاقته تجعل الوالدين يتخذان توجهات معينة نحو تنشئة أو معاملته ، فالإبن المريض أو المعاق يحظى بإهتمام زائد من الوالدين كمحاولة لتعويضه عن مرضه أو إعاقته ، ويمكن للوالدين اللذين لهم إبن مريض أو معاق أن تتأثر مشاعر الخجل والقلق وإنكار إعاقته أو مرضه.

وتلعب ردود فعل الوالدين وإتجاهاتها دوراً بالغ الأهمية في تشكيل النمو النفسي الكلي للشخص المعاق، ولعل أكثر ردود الفعل والإتجاهات سلبية على ثقة الشخص المعوق بذاته وإستقلاليته هي قيام الوالدين بالحماية الزائدة له من جهة أو رفضه وعدم قبوله من جهة ثانية.²⁰

2 -المستوى الاجتماعي الإقتصادي للأسرة :

تؤدي الطبقة الاجتماعية دوراً هاماً في تحديد أساليب التنشئة الاجتماعية التي تتبعها الأسرة مع أبنائها ، إذ ترتبط كل طبقة اجتماعية بقيم وثقافة معينة تحدد أساليب المعاملة الوالدية التي يتبعها الوالدان مع الأبناء .

وتشير دراسة الشندويلي (1993) إلى وجود علاقة بين الوضع الاجتماعي والإقتصادي للأسرة وأساليب المعاملة الوالدية ، فهدف آباء المستويات العليا هو حصول أبنائهم على مركز مرموق ، ولكن في بعض الأحيان خبرات الإبن وقدراته لا تمكنه من الوصول إلى هدف والديه مما يؤدي إلى فقد الثقة بينهما ونشوء الصراع بين الإبن والديه .

3 -المستوى التعليمي والثقافي للوالدين :

يؤثر المستوى التعليمي والثقافي للوالدين في عملية التنشئة وعلى أساليب المعاملة التي يستخدمها الوالدان في معاملة أبنائهم ، ذلك أن مستوى ثقافة الوالدين يجعلهما يوظفان معلوماتهما ومعارفهما في أساليب معاملة أبنائهم حسب مراحل نموهم .

وتشير الكتاني (2000) إلى نتائج عدد من الدراسات التي بينت أن الآباء الأقل تعليماً أكثر ميلاً لإستخدام أساليب القسوة والإهمال وأقل ميلاً لإستخدام أساليب الشرح والتفسير مع أبنائهم .

4 -جنس الطفل :

يختلف تعامل الوالدين مع أبنائهم تبعاً لإختلاف جنسهم، وهذا الوضع يكون له أثره في المعاملة الوالدية الاجتماعية التي تحدد مسار النمو الاجتماعي للإبن ، حيث يتعامل بعض الآباء بطرق مختلفة حسب جنس الإبن مدعمين بذلك أنماط السلوك المقبولة فيما يتعلق بكل من الجنسين ، إذ يعلق بعض الآباء أهمية كبرى على الإنجاز والإعتماد على النفس والضبط الإنفعالي والإضطلاع بالمسؤولية بالنسبة للبنين ، وبالمقابل تقل الضغوط الوالدية بالنسبة للبنات فيما يتعلق بالإنجاز والإعتماد على النفس.²¹

تعريف العدوان :

لقد تعددت التعاريف التي حاولت توضيح ماهية العدوان ونذكر منها هنا على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- التعريف التقليدي للسلوك العدواني هو أي سلوك يعبر عنه بأي رد فعل يهدف إلى إيقاع الأذى أو الألم بالذات وبالآخرين، أو إلى تخريب ممتلكات الذات أو ممتلكات الآخرين، فالعدوان سلوك وليس إنفعال أو حاجة أو دافع .
- ويعرف شابلين (Chaplin) العدوان بأنه هجوم أو فعل معاد موجه نحو شخص ما أو شيء ما، وهو إظهار الرغبة في التفوق على الأشخاص الآخرين، ويعتبر إستجابة للإحباط، كما يعني الرغبة في الإعتداء على الآخرين أو إيذائهم والإستخفاف بهم أو السخرية منهم بأشكال مختلفة بغرض إنزال عقوبة بهم .
- ويعرف باندورا (Bandura) العدوان على أنه سلوك يُحدث نتائج مؤذية أو تخريرية أو يتضمن السيطرة على الآخرين جسدياً أو لفظياً، وهذا السلوك يتعامل معه المجتمع بوصفه عدوانياً.
- ويعرف نبيل حافظ ونادر قاسم (1993) السلوك العدواني بأنه سلوك ينطوي على شيء من القصد أو النية يأتي به الفرد في مواقف الإحباط التي يعاقب فيها عن إشباع دوافعه أو تحقيق رغباته المشروعة أوغير المشروعة فتنتابه حالة من الغضب وعدم الإلتزان مما يسبب أذى له أو للآخرين، والهدف منه تخفيض الألم الناتج عن الإحباط والإسهام في إشباع الدافع المحبط فيشعر الفرد بالراحة ويعود الإلتزان إلى شخصيته .²²

الفروق بين الجنسين في العدوان :

لقد دلت العديد من البحوث والدراسات على أن السلوك العدواني يمارس بدرجة مرتفعة لدى الذكور أكثر منه لدى الإناث وذلك في مختلف الأعمار، وأن الذكور أكثر ميلاً إلى العدوان الجسدي أو المادي بينما الإناث تملن إلى العدوان اللفظي غير المباشر الذي يأتي في صورة إهانة أو تحقير، بحيث يكون الضرر والأذى الذي يلحق بالشخص الآخر من جراء هذا العدوان نفسياً أكثر منه مادياً، وأن الذكور عادة يظهرن العدوان المباشر والعدوان الجسدي، ويرجع ذلك إلى أن الذكور أقوى جسدياً وأكثر إثارة بسبب هرمونات الذكورة، كما أن العرف والتقاليد الإجتماعية تشجع الذكور على السلوك العدواني وتوافق عليه، في حين لا توافق عليه عندما يأتي من الإناث، وعلى هذا الأساس يتم تشجيع الأطفال الذكور على

العدوان ضد الأطفال الآخرين، بينما البنات لا تلقى تشجيعاً على ذلك بل يتم معاقبتها على سلوكها العدواني.

ومن الأسباب الأخرى لتفسير إنتشار السلوك العدواني بشكل أوسع بين الذكور مقارنة بالإناث هو توحد الأولاد الذكور بدرجة أكبر من البنات مع النموذج الذكري العدواني، كما أن ظروف التنشئة الاجتماعية تعد هي الأخرى المسؤولة عن ظهور العدوان بشكل كبير لدى الذكور، حيث تتم تنشئة الولد على أنه رجل ويتعين عليه أن يكون قوياً وشجاعاً، في حين تتم تنشئة البنت على أن تكون أكثر هدوءاً وإستكانة وخنوعاً، وينكر المجتمع على الإناث الغضب والإنفجالات الشديدة.²³

عرض وتحليل ومناقشة النتائج:

بغرض معرفة العلاقة الموجودة بين أساليب المعاملة الوالدية وظهور السلوك العدواني لدى المراهق المتمدرس بمنطقة تماراست قمنا بإختبار الفرضيات التالية:

- توجد علاقة إرتباطية بين أساليب المعاملة الوالدية والسلوك العدواني لدى المراهق المتمدرس بمنطقة تماراست.

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أساليب المعاملة الوالدية لدى المراهق المتمدرس بمنطقة تماراست تعزى إلى متغير الجنس .

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة السلوك العدواني لدى المراهق المتمدرس بمنطقة تماراست تعزى إلى متغير الجنس .

العينة المعتمد عليها تضم (110) تلميذاً وتلميذة تمّ إختيارها من وحدة الكشف والمتابعة للصحة المدرسية بمنطقة تماراست والتي يتوافد إليها التلاميذ من مؤسسات تربية مختلفة ، وكانت أعمار أفراد العينة تتراوح ما بين 13 - 16 سنة وبمستوى دراسي يتراوح من الصف الأول متوسط إلى الرابع متوسط.

وبغرض إختبار فرضيات الدراسة إعتدنا على مقياس أساليب المعاملة الوالدية المعد من طرف الباحث " عبده سعيد محمد أحمد الصنعاني " وكذا مقياس السلوك العدواني المعد من طرف الدكتور " بشير معمريه"، والنتائج المتحصل عليها موضحة وفق العرض التالي:

عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفرضية الأولى:

- توجد علاقة ارتباطية بين أساليب المعاملة الوالدية والسلوك العدواني لدى المراهق المتمدرس بمنطقة تلمسان.

من أجل اختبار هذه الفرضية اعتمدنا على مقياس أساليب المعاملة الوالدية المعد من طرف الباحث " عبده سعيد محمد أحمد الصنعاني" وكذا مقياس السلوك العدواني المعد من طرف الدكتور " بشير معمري"، وبعد المعالجة الإحصائية للنتائج جاءت قيمة معامل الارتباط لبيرسون كما يوضحها الجدول التالي:

عدد أفراد العينة	قيمة معامل الارتباط	الدالة
110	0.39	دالة

جدول رقم (01): يوضح قيمة معامل الارتباط بيرسون بين نتائج اختبار أساليب المعاملة الوالدية واختبار السلوك العدواني لدى المراهقين المتمدرسين.

يتضح من خلال الجدول رقم (01) أنه توجد علاقة ارتباطية موجبة متوسطة بين أساليب المعاملة الوالدية والسلوك العدواني لدى المراهقين المتمدرسين بمنطقة تلمسان، حيث كانت قيمة معامل الارتباط بيرسون بين نتائج اختبار أساليب المعاملة الوالدية واختبار السلوك العدواني لدى المراهقين المتمدرسين $r=0.39$. وهي دالة إحصائياً، مما يوضح أنه كلما زادت أساليب المعاملة الوالدية السلبية (الرفض، التفرقة، القسوة، التسلط، الحماية الزائدة، إثارة مشاعر النقص) زاد السلوك العدواني، وبالتالي نقول أن الفرضية الأولى محقة.

بمراجعة الأدب النظري والدراسات السابقة نجد أن هناك مجموعة من الدراسات التي بينت أن هناك علاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والسلوك العدواني، من بينها دراسة " يحيى حمود الأحمرى" التي هدفت إلى دراسة السلوك العدواني وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية لدى عينة مكونة من (370) طالباً في المرحلة الثانوية، حيث إتضح من خلالها وجود علاقة موجبة بين كل من أساليب القسوة والحماية الزائدة والإهمال في المعاملة الوالدية وبين السلوك العدواني، مع وجود علاقة سلبية بين السوء غي معاملة الوالدين وظهور السلوك العدواني لدى الأبناء.

كما نذكر في نفس الصدد دراسة " العربي، 1993" التي كانت حول أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء، وقد طبق الباحث دراسته على عينة تتكون من (200) طالباً من طلاب المدارس الثانوية الحكومية، تتراوح أعمارهم ما بين 16 – 21 سنة، وتوصلت الدراسة إلى نتائج مفادها أنه توجد علاقة إرتباطية دالة بين الأساليب الغير سوية للآباء والأمهات مثل الحرمان والإيذاء الجسدي والإشعار بالذنب وبين السلوك العدواني اللفظي وغير اللفظي لدى الأبناء.

أيضاً تتفق دراستنا مع نتائج دراسة " عوض رثيفة رجب" والتي هدفت إلى دراسة أثر التفاعل بين الإتهامات الوالدية من وجهة نظر الأبناء والبيئة المدرسية على كل من العدوانية وتحقيق الذات لدى تلاميذ الحلقة الثانية من التعليم الأساسي، وذلك على عينة مكونة من (320) تلميذاً في الصف الثالث إعدادي، وأشارت نتائج هذا البحث إلى وجود علاقة إرتباطية موجبة دالة إحصائياً بين السلوك العدواني للآباء والإتهام نحو التسلط والإهمال للوالدين كما يدركه الأبناء، كذلك توجد علاقة إرتباطية سالبة دالة إحصائياً بين السلوك العدواني للآباء والإتهام نحو السوء لدى الوالدين.

وهناك كذلك دراسات أكدت على وجود علاقة سالبة بين أساليب المعاملة الوالدية والعدوان، نذكر من بينها دراسة "مطر أحمد محمد، 1986" التي هدفت إلى التعرف على العلاقة بين السلوك العدواني وبعض التغيرات في الأسرة والمدرسة، شملت عينة تتكون من (359) طالباً من طلاب الصف التاسع بمحافظة الإسماعيلية، وتوصلت إلى وجود علاقة سالبة بين العدوان لدى الأبناء والإتهامات الوالدية للأمهات التي تتسم بالديمقراطية والتقبل، كما بينت وجود علاقة سالبة بين العدوان لدى الأبناء والإتهامات الوالدية للآباء التي تتسم بالإستقلالية والديمقراطية والتقبل، بينما لا توجد علاقة إرتباطية بين العدوان وإتهامات الوالدين التي تتسم بالحماية الزائدة والتسلط.

عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفرضية الثانية:

يعد الإهتمام بأساليب المعاملة الوالدية وتنمية الأساليب السوية حجر الأساس في الوقاية من الإضطرابات النفسية وعاملاً أساسياً للوصول إلى التوافق النفسي والإجتماعي ، وقمنا هنا بدراسة الفرضية التالية:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أساليب المعاملة الوالدية لدى المراهق المتمدرس بمنطقة تمنراست تعزى إلى متغير الجنس.

من أجل اختبار هذه الفرضية إعتدنا على مقياس أساليب المعاملة الوالدية المعد من طرف الباحث " عبده سعيد محمد أحمد الصنعاني"، وجاءت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لهذا الاختبار المطبق على عينة الدراسة كما يوضحها الجدول التالي:

المجموعة	عدد التلاميذ	مقياس أساليب المعاملة الوالدية	
		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الذكور	70	207.9	67.06
الإناث	40	248	24.26

جدول رقم(02): يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأفراد عينة الدراسة في مقياس

أساليب المعاملة الوالدية

يلاحظ من الجدول رقم (02) أن المتوسط الحسابي للذكور في مقياس أساليب المعاملة الوالدية قدر بـ (207.9) وهو أقل من المتوسط الحسابي للإناث والذي قدر بـ (248) في نفس المقياس، أما الانحراف المعياري للذكور قدر بـ (67.06) وهو أعلى من الانحراف المعياري للإناث في هذا المقياس والذي قدر بـ (24.26).

ولفحص ما إذا كانت هذه الفروق بين المتوسطات الحسابية للذكور والإناث في مقياس أساليب المعاملة الوالدية ذات دلالة إحصائية ، عند مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$) تمّ استخدام اختبار t لعينتين غير متساويتين، وكانت القيمة المعيارية للفرق الملاحظ بين المتوسطات الحسابية X1 و X2 هي $t = 2.82$.

أما القيمة الحرجة فنستخرجها بالرجوع إلى الجدول الخاص باختبار t، ونقرأ الدرجة الواقعة عند تقاطع مستوى الخطأ ($\alpha = 0.05$) ودرجة الحرية ($df = 108$) والنتائج المتحصل عليها موضحة في الجدول الموالي:

المجموعة	عدد التلاميذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T المحسوبة	قيمة T الجدولة	مستوى الدلالة
الذكور	70	207.9	67.06	108	2.82	1.98	0.05
الإناث	40	248	24.26				

جدول رقم (03): يوضح الفروق بين الجنسين في مقياس أساليب المعاملة الوالدية

يلاحظ من خلال الجدول رقم (03) أن قيمة t المحسوبة المقدرة بـ (2.82) أكبر من قيمة t الجدولة المساوية لـ (1.98) وهذا عند درجة الحرية (df = 108) ومستوى الخطأ ($\alpha = 0.05$). انطلاقاً من المعالجة الإحصائية للنتائج نقول أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أساليب المعاملة الوالدية تعزى إلى متغير الجنس وهي لصالح الذكور، وبالتالي فإن الفرضية الثانية محققة. هذه النتيجة تتفق مع مجموعة من الدراسات التي بينت أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية في أساليب المعاملة الوالدية تعزى إلى متغير الجنس، من بينها دراسة موسى (1991) التي هدفت إلى الكشف عن طبيعة الفروق بين الجنسين في إدراك أساليب المعاملة الوالدية، تكونت العينة هنا من (120) طالباً و(120) طالبة من كلية التربية بالجامعة الإسلامية في قطاع غزة تتراوح أعمارهم بين (20 – 24) سنة، وتوصل الباحث إلى وجود اختلاف بين إدراك كل من الذكور والإناث لأساليب المعاملة الوالدية، حيث أن الذكور يدركون آباءهم على أنهم أكثر تقييداً لهم أو إكراهاً وتطفلاً وضبطاً، من خلال الشعور بالذنب والعدوانية وعدم الإتساق، وتلقين القلق الدائم وتباعداً سلبياً وإنسحابياً للعلاقة، ويدركون أمهاتهم أكثر ضبطاً لهم من خلال الشعور بالذنب وتلقيناً للقلق الدائم وتباعداً سلبياً ورفضاً. أما الإناث فيدركون آباءهم على أنهم أكثر تقبلاً لهم، مع وجود تساهل شديد أو إندماج إيجابي، ويدركن أمهاتهن على أنهم أكثر تقبلاً لهم وتمركزاً حول الطفل وتقييداً وإندماجاً إيجابياً وتقبلاً للفردية.

أما دراسة المرسي (1996) فقد هدفت إلى التعرف على الفروق بين الجنسين في أساليب التنشئة الاجتماعية كما يدركها الأبناء وتكونت العينة من (200) طالب وطالبة من طلاب الصف الثاني بمحافظة المنوفية، ودلت النتائج على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في إدراكهم لأساليب التنشئة الاجتماعية للوالدين في أسلوب الرفض/ التقبل لصالح الإناث، وفي أسلوب التفرقة/ المساواة لصالح الذكور.

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

يتميز السلوك العدواني سواء لدى الأطفال أو المراهقين بالخطورة، وتمتد آثاره إلى مجالات التفاعل الاجتماعي بل وتتداخل مع العملية التعليمية. وقد قمنا هنا بصياغة الفرضية الثالثة على النحو التالي:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة السلوك العدواني لدى المراهق المتدرب بمنطقة تمرست تعزى إلى متغير الجنس .
من أجل اختبار هذه الفرضية اعتمدنا على مقياس السلوك العدواني المعد من طرف الدكتور " بشير معمري"، وجاءت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لهذا الاختبار المطبق على عينة الدراسة كما يوضحها الجدول التالي:

مقياس السلوك العدواني		عدد التلاميذ	المجموعة
الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي		
13.81	64.6	70	الذكور
6.42	81.6	40	الإناث

جدول رقم(04): يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأفراد عينة الدراسة في -

مقياس السلوك العدواني

يلاحظ من الجدول رقم (04) أن المتوسط الحسابي للذكور في مقياس السلوك العدواني قدر بـ (64.6) وهو أقل من المتوسط الحسابي للإناث والذي قدر بـ (81.6) في نفس المقياس، أما

الإنحراف المعياري للذكور قدر بـ (13.81) وهو أعلى من الإنحراف المعياري للإناث في هذا المقياس والذي قدر بـ (6.42).

ولفحص ما إذا كانت هذه الفروق بين المتوسطات الحسابية للذكور والإناث في مقياس السلوك العدواني ذات دلالة إحصائية ، عند مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$) تمّ استخدام اختبار t لعينتين غير متساويتين، وكانت القيمة المعيارية للفروق الملاحظ بين المتوسطات الحسابية X_1 و X_2 هي $t = 5.80$.

أما القيمة الحرجة فنستخرجها بالرجوع إلى الجدول الخاص باختبار t ، ونقرأ الدرجة الواقعة عند تقاطع مستوى الخطأ ($\alpha = 0.05$) ودرجة الحرية ($df = 108$) والنتائج المتحصل عليها موضحة في الجدول الموالي:

المجموعة	عدد التلاميذ	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T المحسوبة	قيمة T الجدولة	مستوى الدلالة
الذكور	70	64.6	13.81	108	5.80	1.98	0.05
الإناث	40	81.6	6.42				

جدول رقم (05): يوضح الفروق بين الجنسين في مقياس السلوك العدواني

يلاحظ من خلال الجدول رقم (05) أن قيمة t المحسوبة المقدرة بـ (5.80) أكبر من قيمة t الجدولة المساوية لـ (1.98) وهذا عند درجة الحرية ($df = 108$) ومستوى الخطأ ($\alpha = 0.05$). انطلاقاً من المعالجة الإحصائية للنتائج نقول أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة السلوك العدواني تعزى إلى متغير الجنس وهي لصالح الذكور، وبالتالي فإن الفرضية الثالثة محققة.

بمراجعة الأدب النظري والدراسات السابقة نجد أن هذه الدراسة تتفق مع مجموعة من الدراسات نذكر من بينها دراسة عون محسن (1999) عن مظاهر العدوان لدى طلبة المرحلة الثانوية بمحافظات غزة وعلاقتها بالإكتئاب النفسي، أظهرت النتائج أن هناك فروق في مظاهر العدوان ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث لصالح الذكور ، كما أن هناك اختلاف في مظاهر العدوان بين مرتفعي ومنخفضي الإكتئاب لصالح مرتفعي الإكتئاب.

في حين نجد أن دراسة فؤاد هدية (1998) التي بحثت عن الفروق في درجة العدوان بين الذكور والإناث من أبناء المتوافقين زواجياً والغير متوافقين زواجياً، حيث بينت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث من أبناء غير المتوافقين زواجياً في درجة العدوانية، وأن الذكور كانوا أكثر عدوانية مقارنة بالإناث.

بعد عرض ومناقشة نتائج الفرضيات الثلاث نصل إلى القول بوجود علاقة إرتباطية بين أساليب المعاملة الوالدية وظهور السلوك العدواني لدى المراهق المتمدرس بمنطقة تانغست بالجزائر، مع وجود فروق في متغيري الدراسة تعزى إلى الجنس.

التوصيات:

- يجب على الوالدين والمعلمين التعاون لإيجاد بيئة صالحة مقبولة في المنزل تبعث على الرضا والسرور وبيئة تعليمية تحفز على التعلم وتشجع لدى الفرد الميل إلى السلوك المقبول .
- ضرورة إستمرار التواصل بين جيل الآباء وجيل الأبناء مع التركيز على أهمية إشراك الوالدين معاً في تنشئة المراهقين.
- ضرورة عقد دورات ومحاضرات توعوية للوالدين في كيفية التعامل مع الأبناء عامة والمراهقين خاصة.
- التركيز من خلال برامج التوعية الإعلامية والدينية على إستخدام الوالدين لأساليب التوجيه والإرشاد وأسلوب الحوار في التعامل مع الأبناء، لتتخذ العلاقة بين الآباء والأبناء صوراً حوارية أكثر من صور التعليمات والأوامر .
- خلق جو اجتماعي سليم في البيت والمدرسة تسوده المحبة والتعاون والصراحة.... مع التركيز على العمل الجماعي .
- إنشاء مراكز توجيه وإرشاد تقوم بتوجيه الوالدين والأبناء بهدف حل المشكلات بطرق سليمة.

- بث الوعي حول أهمية أساليب المعاملة الوالدية السوية ودورها في نشأة شخصية متزنة مستقرة .
- ضرورة تركيز الدراسات والبحوث العلمية المستقبلية على البيئتين الأسرية والمدرسية بهدف معرفة جميع العوامل والأسباب التي تكمن وراء السلوك العدواني لدى الأطفال والمراهقين.

الهوامش:

1. بشرى عبد الهادي، 2002: 12
2. علاء الدين كفاي، 2009 : 73
3. حاتم الجعافرة، 2008 : 134
4. طه عبد العظيم حسين، 2007 : 190
5. الدسوقي، 1979 : 33
6. ماجدة بماء الدين، 2008: 69
7. طه عبد العظيم، 2007: 191
8. أحمد دحلان، 2003: 11
9. لوكتيا الهاشمي، 2013 : 40
10. الحفني، 1992 : 75
11. بشرى أبوليلة، 2002 : 46
12. آسيا بركات، 2000: 18
13. عبد الله الراشدان، 2005: 25
14. لوكتيا الهاشمي، 2013 : 42
15. عبد الرحمن البليهي، 2008: 33
16. لوكتيا الهاشمي، 2013 : 38
17. سهير كامل، 2001 : 268
18. صالح حسن الداهري، 2008 : 162
19. خليل المعاينة، 2007 : 73
20. عبده سعيد الصنعاني، 2009 : 68 ، 69
21. عبده سعيد الصنعاني 2009 : 69 ، 70
22. طه عبد العظيم حسين، 2007 : 191
23. طه عبد العظيم حسين، 2007 : 206 ، 207

المراجع:

- أحمد محمد عبد الهادي دحلان، "العلاقة بين مشاهدة بعض برامج التلفاز والسلوك العدواني لدى الأطفال بمحافظة غزة"، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية ، غزة، فلسطين، 2003
- آسيا علي راجح بركات، " العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والإكتئاب لدى بعض المراهقين والمراهقات المراجعين لمستشفى الصحة النفسية بالطائف"، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000
- حاتم الجعافرة، " الإضطرابات الحركية عند الأطفال"، دار أسامة للنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، 2008
- خليل عبد الرحمن المعاينة، " علم النفس الاجتماعي"، دار الفكر ناشرون وموزعون، لبنان، الطبعة الثانية، 2007
- سهرير كامل أحمد، " علم النفس الاجتماعي، التنظير والتطبيق"، مركز الإسكندرية، الإسكندرية، 2001
- صالح حسن الداهري، " أساسيات الإرشاد الزواجي والأسري"، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، 2008
- طه عبد العظيم حسين، " إساءة معاملة الأطفال"، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2007
- عبد المنعم الحفني، " موسوعة الطب النفسي"، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992
- عبد الله الراشدان، " التربية والتنشئة الاجتماعية"، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2005
- عبد الرحمن بن محمد بن سليمان البليهي، " أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالتوافق النفسي"، رسالة ماجستير، الجامعة العربية للعلوم الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 2008
- عبده سعيد محمد أحمد الصنعاني، " العلاقة بين الإغتراب النفسي وأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة المعاقين سمعياً في المرحلة الثانوية"، رسالة ماجستير، جامعة تعز، الجمهورية اليمنية، 2009
- علاء الدين كفاقي، " علم النفس الأسري"، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2003
- كمال الدسوقي، " النمو التربوي للطفل والمراهق"، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، 1979
- لوكيا الهاشمي، بوعجوج الشافعي، " سلطة الوالدين وعلاقتها بالصراعات المختلفة لدى المراهقين في الوسط المدرسي"، دار الأيتام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2013
- ماجدة بماء الدين، " الضغط النفسي مشكلاته وأثره على الصحة النفسية"، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008

قياس الاكتئاب التفاعلي لدى المصابين بفيروس كورونا

أ.م.د. مروة سالم نوري

أ.د. سالم نوري صادق

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الصرفة

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

يُعدُّ الاكتئاب التفاعلي نوعاً من أنواع الاكتئاب الذي يعبر الفرد بوساطته عن استجابة عادية تنبئها خبرة مؤلمة، كالفشل في علاقة، أو خيبة أمل، أو فقدان شيء كالعامل، أو وفاة عزيز، أو إصابة بمرض خطير، وما يميز هذا النوع العادي من الاكتئاب، أنَّه يحدث لمُدَّة قصيرة، كما أنَّه عادة يكون مرتبطاً بالموقف الذي أثاره. هدف البحث الحالي: الكشف عن الاكتئاب التفاعلي المرافق للإصابة بفيروس كورونا. تكونت عينة البحث الأساس من (400) مصاب لغاية 2021/2/26، اختيروا بالطريقة العشوائية البسيطة من دائرة صحة محافظة ديالى/ العراق.

ولتحقيق هدف البحث قام الباحثان ببناء اختبار الاكتئاب التفاعلي بالاعتماد على نظرية (Beck, 1997)، ويتكون المقياس بصيغته النهائية من (30) فقرة، وقد تحقق الباحثان من الخصائص السايكومترية للمقياس، إذ جرى استخراج الصدق الطريقتين، وهما: الصدق الظاهري، وصدق البناء، وكذلك استخراج الثبات بطريقة إعادة الاختبار، إذ بلغ معامل الثبات (0.80)، وكذلك جرى استخراج الثبات بطريقة معامل ألفا كرونباخ للاتساق الداخلي، إذ بلغ معامل الثبات (0.83).

وبعد معالجة البيانات إحصائياً باستعمال الاختبار التائي لعينة واحدة، تمَّ التوصل إلى النتائج الآتية: إنَّ الأفراد المصابين بفيروس كورونا يمتلكون أعراض اكتئابية تفاعلية، وفي ضوء نتائج البحث وضع الباحثان عدداً من التوصيات والمقترحات.

Measuring reactive depression in people with coronavirus

Prof. Salem Nuri Sadiq Prof. Marwa Salem Nuri

University of Diyala / College of Education for Human Sciences, Diyala

University / College of Education for Pure Sciences

Abstract:

Reactive depression is a type of depression in which the individual expresses by means of a normal response that is provoked by a painful experience, such as failure in a relationship, disappointment, loss of something such as work, the death of a loved one, or a serious illness, and what distinguishes this normal type of depression is that it occurs For a short period, and it is usually related to the situation that he raised.

The Aim of the current research: To detect the reactive depression associated with infection with Corona virus.

The basic research sample consisted of (400) injured people up to 2/26/2021, they were chosen by a simple random method from the Health Department of Diyala Governorate / Iraq.

To achieve the goal of the research, the two researchers built the reactive depression test based on the theory (Beck, 1997). The scale consists in its final form of (30) items. Likewise, the stability was extracted by the retest method, as the stability factor was (0.80). Likewise, the stability was extracted using the method of the Alphakronbach coefficient for internal consistency, as the stability factor was (0.83).

After processing the data statistically using the T-test for one sample, the following results were reached: Individuals infected with Coronavirus have reactive depressive symptoms, and in light of the research results, the researchers put forward a number of recommendations and proposals.

التعريف بالبحث:

أولاً: مشكلة البحث:

يُعَدُّ الاكتئاب من أكثر الأعراض النفسية انتشاراً، وتختلف هذه الأعراض في شدتها من مريض إلى آخر، ويشعر المريض بالاكتئاب بالأعراض المتعددة، كالسوداوية، والتردد الشديد، وعدم القدرة على اتخاذ القرارات، والشعور بالإثم، والتقليل من قيمة الذات، والمبالغة في تضخيم الأمور التافهة، والأرق الشديد، وفقدان الشهية بأوهام مرضية، والمعاناة من بعض الأفكار الانتحارية (Beck, 1997: 401).

ويُعَدُّ الاكتئاب التفاعلي نوع من أنواع الاكتئاب يعبر الفرد بوساطته عن استجابة عادية تنبئها خبرة مؤلمة، كالفشل في علاقة، أو خيبة أمل، أو فقدان شيء مهم كالعمل، أو وفاة إنسان غالي، أو إصابته بمرض معين، وما يميز هذا النوع العادي من الاكتئاب أنَّه يحدث لمدة قصيرة، كما أنَّه عادة يكون مرتبطاً بالموقف الذي أثاره.

(Beck, 1997: 40)

ونتيجة لانتشار فايروس كورونا في العراق، وأخذ بالارتفاع معدلات الإصابة بين أفراد الشعب العراقي، ولاسيما بعد ظهور كورونا المستجد في الأشهر الأخيرة؛ إذ أثبتت إحصائيات الموقف الوبائي

بتاريخ 2021/2/26 أنَّ معدلات الإصابة بهذا الفيروس بلغ (24726) مصابًا (الملحق 1) قد انعكس انتشار هذا الفيروس إلى تعرّض المصابين باضطرابات نفسية من بينها الاكتئاب التفاعلي، ومن أجل الاستقصاء والتأكيد من مدى دقة إحساس الباحثين بانتشار هذا المرض، قام الباحثان بإجراء استبانة استطلاعية (الملحق 2) جرى عرضها على (30) مصابًا، تبين بواسطتها إجابة المصابين أنَّ (80%) منهم أجابوا بنعم؛ وبذلك أصبح الباحثان أمام تساؤل يحاولوا الإجابة عنه هو: (هل أنَّ المصابين بفيروس كورونا يعانون من الاكتئاب التفاعلي؟) تلك هي المشكلة التي ينبغي تشخيصها والوقوف عندها.

ثانيًا: أهمية البحث وأدبياته:

يُعَدُّ الاكتئاب التفاعلي رد فعل قوي لصدمة عنيفة ومؤثرة؛ نتيجة لموقف صعب، أو عقب مصيبة، كفقدان ثروة، أو فشل اجتماعي، أو اسري، أو عاطفي، أو إصابة الفرد بمرض عضال أو خطير، وهو قصير المدى لا يبقى طويلًا، ومن الممكن شفاؤه ولا يعود للظهور إلاً بعودة وضع مشابه أو خبرة مماثلة للموضع أو الموقف الذي سبب الاكتئاب، ومن أعراض الاكتئاب: اتهام الفرد لذاته، ومعاقبته، والإحساس بالذنب أو الشعور به، وكذلك اضطراب المزاج المصحوب بإحساس فقدان الحماس وانخفاضه، كذلك ظهور أعراض جسيمة التي تتضمن العديد من الشكوى الجسمية، كالأرق، والإرهاك، والصداع الشديد، والسوداوية، وفقدان الشهية، وآلام في الرقبة، وعدم التركيز، وارتفاع ضغط الدم (داكو، 1988: 44-45).

ويتميز الاكتئاب التفاعلي بأنَّه مثل أي عصاب آخر ليس سوى دفاعًا ميكانيزميًا؛ للتخلص من جرعة زائدة من القلق غير محدد المعالم يحمل تهديدًا بالإحباط؛ فيقوم الاكتئاب بالتخفيف من مصدر التهديد؛ بأن يعيش خبرة مثالية؛ وكأنَّ الإحباط قد حدث.

وعلى الرغم من قسوة هذا التخييل، إلاَّ أنَّه يعمل على توازن نفسي لدى الفرد المصاب؛ وذلك لأنَّ النفس لها القابلية على تحمل الإحباط الذي حدث فعلاً، وأصبح أمرًا واقعيًا أكثر من قدرته على تحمل التهديد بالإحباط (إبراهيم، 2008: 136).

ولمعالجة هذا النوع من الاكتئاب يمكن للفرد أن يطلب الاستشارة، أو الدعم، أو يلجأ إلى طرائق وأساليب إدارة الضغوط النفسية، وإتباع الخطوات العملية الصحيحة؛ للحد من مرض الاكتئاب؛ ولكن أحداث الحياة الضاغطة، كانتشار فيروس كورونا بصورة سريعة وواسعة يمكن أن يدفع بالإنسان إلى

الوصول إلى الاكتئاب الشديد، وقد يعيش الأفراد المعروضون للاكتئاب صعوبات حياته ضاغطة، بعد أن يستشري المرض فيهم؛ لذلك لا بُدَّ على الفرد أن يتبع الوسائل جميعها؛ للحد من آثار الاكتئاب على شخصية الفرد (مكتزي، 2013: 62-63).

ويصنف الاكتئاب من حيث الشدة إلى ثلاثة أصناف على النحو الآتي:

1. الاكتئاب الخفيف: يتعكر بسيط في المزاج من وقت لآخر؛ بسبب التغيرات التي تحدث بأسلوب الحياة.

2. الاكتئاب المتوسط: إذ يشعر الفرد بتعكر المزاج بصورة دائمية، وتظهر بعض أعراض المرض الجسدي؛ وهنا يحتاج المصاب إلى مراجعة طبية.

3. الاكتئاب الشديد: يُعدُّ هذا الصنف من أخطر الأصناف التي تهدد حياة الفرد؛ إذ بالإضافة إلى ظهور الأعراض الجسدية، إلّا أنَّه يعاني من التوهّمات والهلوسة التي تدفع به إلى الانتحار (إبراهيم، 2008: 12-13).

أمّا من حيث مسببها فقد اختلفت الأطر النظرية في تفسير مفهوم الاكتئاب؛ إذ أكد أصحاب نظرية التحليل النفسي أمثال فرويد (Freud, 1917) أنَّ الاكتئاب نتج عن الكبت اللاشعوري للصراعات التي حدثت في مرحلة الطفولة، وهذا اللاشعور يتحكم في الإنسان على المستوى الواعي من دون أن يحس؛ ولكن بعد التدوير الذي حدث في نظرية التحليل النفسي أشار علماء النفس التحليليون إلى أنَّ حدوث الاكتئاب جاء بسبب فقدان ما حصل للطفل من حاجات وهو صغير، كقيّمته، وصورته للمقرب منه، وإنَّ حدوث الاكتئاب في الكبر ناتج عن فقدان الطفل الصغير لقيّمته في الصغر، ويبقى الطفل حاملاً هذا الفقدان؛ ممّا يؤدي إلى الاكتئاب في الكبر (Bibring, 1953: 13).

ومن أسباب حدوث الاكتئاب في ضوء هذه النظرية، تعرّض الطفل إلى الرفض في مرحلة الطفولة من فعل الآخرين؛ فإحساس الطفل بالرفض وعدم الاعتناء به من قبل الآخرين يجعله يشعر بالاكتئاب في مرحلة الكبر، وكذلك فإنَّ أسلوب الغضب المتداول في محيط الأسرة، ومعاملة الوالدين له بطريقة مهينة يجعل الطفل يلوم ذاته، وباشتداد عامل الغضب بالمرأى المحيطين به؛ أي يكون صورة عن نفسه بوساطة الآخرين؛ فإنَّ لم يجد محتوى نفسه الإيجابي من الآخرين فسوف لا يستطيع احتواء نفسه السليبي.

وأخيراً فإنّ للمعايير أثر في إصابة الفرد بالاكتئاب؛ فمثلاً أنّ الأشخاص المحيطين بالطفل يطالبونه بمستوى أعلى في الإنجاز؛ فالطفل يكون قناعة أنّه غير قادر على إرضاء الآخرين؛ فيتصور أنّه لا يعجب الآخرين في الأداء (Mash & Wolfe, 1999: 287).

أمّا وجهة نظر المدرسة السلوكية أمثال واطسون وبافلوف فتفترض أنّ الاكتئاب يتعلّق بالتعلّم والخبرة؛ فالمكتئب عندما يشعر بالإحباط فسوف يمارس سلوكاً مكتئباً؛ فسلوكيات المكتئب تعمل بدائرة مغلقة؛ إذ يكرر السلوك نفسه عندما يضطرب؛ لكن لو غيّر المكتئب طريقة سلوكه فسوف يُقبل على الحياة بصورة أفضل (Nolen, 1987: 259-282)، وقد أشارت المدرسة السلوكية إلى أنّ المصابين بالاكتئاب يعانون من تجنب المخاطر، وتجنب الإقدام على الحياة، والإفراط في الأكل والنوم، وكثرة الأفكار التحليلية من غير تصور حقيقي؛ بما يعطي ضعف في البصيرة، وكذلك أكدت المدرسة السلوكية على التحليل الوظيفي السلوكي؛ فالمكتئب عندما ينظر إلى سلوكياته يقول: "ماذا أعمل، وكيف أعمل؟" (الخطيب، 2016: 28-29).

أمّا المدرسة الإنسانية أمثال روجرز وماسلو فقد افترضت أنّ الشخص المكتئب عنده احتياجات لم يستطع الطفل تحقيقها في طفولته (كالحب، والذات، والأمن... إلخ)، وعندما يكبر الشخص وهو يحمل هذه الاحتياجات غير المتحققة في طفولته فسوف يشعر بالنقص في هذه الاحتياجات؛ ولذا سوف يبحث عن تحقيق هذه الاحتياجات بطول الوقت؛ وبذلك فإنّ الاحتياجات غير المتحققة عند الفرد في الطفولة تؤدي إلى الاكتئاب، مثلاً البحث عن قيمته في المجتمع؛ وكذلك افترضت هذه المدرسة أنّ قبول المشروط الفرد لنفسه، يؤدي إلى إصابة الفرد بالاكتئاب؛ لأنّه يشعر أنّ قبول الآخرين له جاء نتيجة فرض شروط عليه، مثلاً: "أنت محبوب بشرط"؛ فلما يكبر الطفل يكون إحساسه غير مقبول إلاّ بشرط، وإذا لم يتحقق الشرط فإنّه غير مقبول، ولا سيّما عندما لا يستطيع تحقيق هذه الشروط؛ لأنّه حدث في الماضي. وبناءً على ذلك فإنّ المدرسة الإنسانية حددت الأسباب التي تؤدي إلى اكتئاب الفرد، وهي: احتياجات غير متحققة، والقبول المشروط، والذات المزيفة، وإخفاق في تحقيق الذات؛ وبذلك سيكون الفرد عرضة للاكتئاب عندما يكون التناقض بين الذات الواقعية والذات الواجبة شديداً من منظور الفرد نفسه ومنظور الآخرين (Higgins, 1989: 93).

أمّا المدرسة المعرفية (أمثال بيك) فتفترض هذه النظرية أنّ الاكتئاب يحدث نتيجة وجود الأفكار المحورية لدى الفرد التي ينتج عنها أفكار ثابتة وسلوكيات، وإنّ هذه الفكرة إنّ لم تتغير سيظل الإنسان

يتعامل مع الآخرين وأحداث الحياة بوساطة هذه الفكرة، وكذلك افترضت هذه المدرسة أنَّ المكتئب لديه افتراضات أساسية تعمل بوصفها قواعد للحياة التي يعيش فيها، مثلاً: "افتراض عن القيمة، إذا لم أعجب النَّاس بنجاحي؛ فأنا ليس لدي قيمة".

هذه الأفكار تزيد من السلبية للفرد؛ وبذلك تؤدي إلى زيادة وشدة الاكتئاب، ومن الافتراضات الأخرى للمدرسة. إنَّ المكتئب يعاني من الأفكار التلقائية، وهي الأفكار السطحية التي يقول الفرد لنفسه: "أنا ليس نافع"، "اليوم مثل الأمس"، "اليوم سوف يكون أسوأ من الأمس"، هذه العبارات تؤثر في مشاعر الفرد وسلوكه؛ وبذلك فإنَّ هذه الأفكار السلبية تجعل المكتئب منعزلاً، ولم يستطع أن يحقق حاجات جديدة، ويحاول أن يستجدي القبول من النَّاس؛ وهذا ما يجعل النَّاس يتجنبونه (Atkinson, 1996: 529).

من استعراض النظريات السابقة اعتمد الباحثان نظرية بيك (Beck, 1997) في بناء مقياس الاكتئاب التفاعلي؛ وذلك للمبررات الآتية:

- تعدد من النظريات الحديثة التي أعطت رؤية واضحة عن متغير الاكتئاب التفاعلي.
 - تُعدُّ من أكثر النظريات تفسيراً للاكتئاب التفاعلي بصورة منطقية، ومقاربة للبيئة العراقية.
 - إنَّ النظرية لا تركز على ما يفعله النَّاس؛ بل على الكيفية التي يرون فيها أنفسهم والعالم المحيط بهم؛ وهذا ينسجم مع طبيعة المجتمع المدروس.
- وتعدُّ دراسة الاكتئاب على قدر كبير من الحيوية والأهمية؛ لأنَّ خطر الاكتئاب في درجاته المرضية لا يقل عن خطر الأمراض الجسمية الشديدة، كأمراض القلب، وقد بيَّنت (Wulsin, 1996) أنَّ مخاطر الاكتئاب سواء بلغ المستوى المرضي، أو ظل في المستوى العصبي تتساوى الأمراض الجسمية المعروفة أو تفوقها بما فيها أمراض القلب، والسكري، وأمراض الجهاز الهضمي، وإنَّ الاكتئاب في أي درجة من درجاته يرتبط بالضعف في الوظائف البدنية والاجتماعية جميعاً (Wulsin, 1996: 74).
- لذلك نحتاج اليوم إلى عملية تشخيص الفرد وما أصابه من أمراض نفسية لغرض علاجه، وإنَّ إغفال عملية التشخيص سوف يترك آثار سلبية في الفرد، والأسرة، والمجتمع؛ إذ تأتي أهمية هذا البحث من أنَّ الكشف عن الاكتئاب التفاعلي لدى المصابين بفايروس كورونا، يغني المعرفة النظرية في هذا الميدان.
- ومن هنا تتجلى أهمية البحث الحالي في الجانبين النظري والتطبيقي.

أولاً: الجانب النظري:

- يُعَدُّ البحث الحالي من الدراسات المحلية التي تهدف إلى الكشف عن الاكتئاب التفاعلي لدى المصابين بفيروس كورونا (على حد علم الباحثين).
- إنَّ البحث تناول شرائح متعددة ومهمة في المجتمع، وهذه الشرائح المصابة بفيروس كورونا بازدياد مستمر؛ بسبب زيادة انتشار وباء كورونا المستجد.
- تسليط الضوء على مفهوم الاكتئاب التفاعلي، وتكوين رؤية واضحة، وإثارة انتباه الباحثين إليه؛ ليكون منطلقاً لدراسات لاحقة.

ثانياً: الجانب التطبيقي:

- أهمية بناء مقياس؛ لغرض تشخيص حالات انتشار الاكتئاب التفاعلي لدى المصابين بفيروس كورونا.
- تزويد الباحثين النفسيين والاجتماعيين بأداة لقياس الاكتئاب التفاعلي لدى المصابين بفيروس كورونا.
- هدف البحث:
- يستهدف البحث الحالي إلى: كشف الاكتئاب التفاعلي لدى المصابين بفيروس كورونا.
- حدود البحث:
- يتحدد البحث الحالي بالمصابين بفيروس كورونا الراقيدين في مستشفى بعقوبة التعليمي التابع لدائرة صحة ديالى، والراقيدين في بيوتهم للعام 2020-2021.
- تحديد المصطلحات:

أولاً: قياس:

- لغة: عرّفه (ابن منظور، 2003): "بمعنى قاس الشيء بقيسه، قياساً، وقياساً، واقتاسه، أو قدره على مثاله" (ابن منظور، 2003، ج3: 560).
- اصطلاحاً: عرّفه (عبدالرحمن، 2008): "بأنه: "عملية وصف المعلومات وصفاً كمياً" (عبدالرحمن، 2008: 18).

ثانيًا: فايروس كورونا:

عرّفته (منظمة الصحة العالمية، 2020) بأنّه: "فيروسات فضلية واسعة الانتشار معروفة بأنّها تسبب أمراضًا تتراوح من نزلات البرد الشائعة إلى الاعتلالات الأشد وطأة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (MERS) ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد (السارس)" (منظمة الصحة العالمية، 2020).

ثالثًا: الاكتئاب التفاعلي:

عرّفه كلّ من:

1. (Bibring, 1953): بأنّه: نتاج عن الكبت اللاشعوري للصراعات التي حدثت في فترة الطفولة، وهذا الشعور يتحكم في الإنسان على مستوى الوعي دون أن يحس، ويظهر الاكتئاب في الكبر؛ بسبب فقدان ما حصل للطفل من حاجات في صغره، ويبقى الطفل حامل على هذا الفقدان؛ ممّا يؤدي إلى الاكتئاب (Bibring, 1953: 13).

2. (Nolen, 1987): بأنّه: شعور الفرد بالإحباط ينتج عنه سلوكًا مكتئبًا؛ بسبب تعرّضه للاضطراب، ويتكرر هذا السلوك في دائرة مغلقة كلّما تكرر الاضطراب (Nolen, 1987: 259).

3. (Higgins, 1989): بأنّه: إخفاق الفرد في تحقيق احتياجاته في طفولته، وشعوره بالقبول المشروط، والذات المزيفة، وإخفاق الذات، والتناقض بين الذات الواقعية والذات الموجبة من منظور الفرد نفسه ومنظور الآخرين (Higgins, 1989: 93).

4. (Beck, 1997): بأنّه: خبرة فقدان وحرمان يكون موضوعيًا واقعيًا، وقد يكون مفترضًا ووهيّا، ويكون مبالغًا بهما، ويدركه الشخص على أنّه فقدان دائم وغير قابل للارتداد، وأنّه انعكاس على الذات وعلى قدرات الشخص؛ ممّا يحدث مفهومًا سالبًا عن الذات بأنّه خاسر (Beck, 1997: 40).

وقد اعتمد الباحثان تعريف (Beck, 1997) الاكتئاب التفاعلي تعريفًا نظريًا؛ وذلك لاعتماد نظريته في بناء المقياس المعد لهذا الغرض.

التعريف الإجرائي: هي الدرجة الكلية التي يحصل عليها المصابين بفايروس كورونا في فقرات المقياس المعد من الباحثين لهذا الغرض.

منهج البحث وإجراءاته:

اعتمد الباحثان على المنهج الوصفي في الدراسة الحالية؛ لملاءمته مع هدف البحث، ويتضمن عرضاً لإجراءات البحث المتمثلة باختيار العينة، وبناء مقياس لمتغير البحث، وإيجاد القوة التمييزية، ومؤشرات الصدق والثبات، فضلاً عن ذكر الوسائل الإحصائية في معالجة بيانات البحث. أولاً: مجتمع البحث:

يقصد بمجتمع الباحث بأنّه: جميع أفراد الظاهرة المراد دراستها يشتركون في صفات محددة، والذين يشكلون موضوع مشكلة البحث. ولهم خصائص واحدة يمكن ملاحظتها (أبو النصر، 2017: 160).

ويتكون مجتمع البحث الأصلي لهذا البحث من المصابين بفيروس كورونا من الذكور والإناث في محافظة ديالى، والبالغ عددهم (24746) مصاباً لغاية 2021/2/26 في ضوء الموقف الوبائي اليومي لجائحة كورونا المستجد في بتاريخ 2021/2/26 الصادر من دائرة صحة ديالى/ العراق. ثانياً: عينة البحث:

يقصد بالعينة كونها نموذجاً يشمل جانباً أو جزءاً من وحدات المجتمع ويعكسه، وتكون ممثلة له؛ بحيث تحمل صفات مشتركة (القندلجي، 2019: 186)، وقد اعتمد الباحثان الطريقة العشوائية في اختيار عينة البحث؛ إذ جرى اختيار عينة من (400) مصاب بفيروس كورونا من الذكور من الراقدين في المستشفى تحت العلاج، والبالغ عددهم (320) مصاباً، ومن الراقدين في بيوتهم، والبالغ عددهم (80) مصاباً.

ثالثاً: أداة البحث:

لغرض تحقيق هدف البحث الحالي استوجب على الباحثين بناء أداة البحث الحالي، وهي بناء مقياس الاكتئاب التفاعلي على وفق نظرية (Beck, 1997) والدراسات السابقة. وقد جرى بناء المقياس للأسباب الآتية:

1. لم يحصل الباحثان على مقياس أجنبي يلائم طبيعة مجتمعنا، وعاداته، ومعاييره.
2. هناك مقاييس عراقية أعدت لشرائح مختلفة ذات طبيعة تختلف عن طبيعة عينة البحث الحالي.

ولبناء أداة تتمتع بخصائص سايكومترية اللازمة لقياس الاكتئاب التفاعلي لدى المصابين بفيروس كورونا، اعتمد الباحثان طريقة (ليكرت) (Liker Method) في بناء أداة بحثهما؛ بوصفها طريقة شائعة الاستعمال؛ وذلك للاعتبارات الآتية:

- تسمح بأكبر تباين بين الأفراد.
- تتيح للمستجيب أن يؤثر درجة، أو يبين شدة مشاعره.
- تجمع عدد من المواقف ذات الصلة بالظاهرة السلوكية المراد قياسها.
- مرنة وسهلة البناء والتصحيح يميل الثبات فيها لأن يكون جيداً، ويعود ذلك إلى المدى الكبير من الاستجابات المسموح بها للمستجيبين.

(Stanley & Hopkins, 1979: 288)

ولغرض بناء مقياس الاكتئاب التفاعلي مرّت عملية البناء بعدد من الخطوات على النحو الآتي:

1. تحديد مفهوم الاكتئاب التفاعلي:

جرى تحديد المفهوم بواسطة الإطار النظري الذي اعتمده الباحثان، وهي نظرية (Beck, 1997).

2. إعداد فقرات المقياس:

لغرض بناء مقياس الاكتئاب التفاعلي قام الباحثان بالإطلاع على الأدبيات والدراسات السابقة، كدراسة (الأوسي، 2020)، وبعد مراجعة الأدبيات والدراسات السابقة، وفي ضوء التعريف النظري والإطار النظري حصل الباحثان على مجموعة من الفقرات.

ولغرض إعداد فقرات المقياس بصورته المتكاملة قام الباحثان بالإجراءات الآتية:

- فرزت الفقرات المتشابهة عن الفقرات غير المتشابهة بين المقاييس المذكورة.
- أخذت الفقرات الملائمة لعينة البحث.
- إعادة صياغة الفقرات المأخوذة بما يلائم مجتمع البحث الحالي.
- صياغة بعض الفقرات الجديدة من الباحثين، وذلك استناداً إلى التعريف النظري والإطار النظري.
- وبلغت عدد فقرات المقياس بالصيغة الأولية (30) فقرة.

3. إعداد تعليمات المقياس:

جرت العناية ببعض الأمور عند وضع تعليمات الاختبار منها:

- أ. كتابة التعليمات بخط واضح ومفهوم.
- ب. توضيح فكرة الاختبار؛ كي لا يكون هناك عدم فهم من قبل المستجيبين للاختبار.
- ت. وضع مثال توضيحي للمستجيبين قبل الاختبار (مجيد، 2010: 31).

4. تحديد أوزان البدائل وطريقة التصحيح:

كان لكل فقرة من فقرات المقياس ثلاثة بدائل، هي: (دائمًا، أحيانًا، أبدًا)، وجرى الاتفاق في عملية تصحيح المقياس على إعطاء الدرجات (1،2،3).

5. عرض الأداة على المحكمين:

بعد أن جرى تحديد مفهوم الاكتساب التفاعلي، وصياغة (30) فقرة بصيغته الأولية، وإعداد تعليماته وطريقة تصحيحه، قام الباحثان بعرض المقياس على مجموعة من الخبراء المختصين في مجال العلوم التربوية والنفسية (الملحق 3)، وقد اعتمد الباحثان نسبة (80%)؛ فأعلى معيارًا لقبول الفقرة، وبعد مراجعة الباحثين لآراء المحكمين جرى التوصل إلى حصول الباحثين على موافقة الخبراء جميعهم بنسبة (100%) على فقرات المقياس وتعليماته، وبدائل المقياس، وطريقة التصحيح بما يتناسب مع هدف البحث وعينته.

6. التحليل الإحصائي لفقرات المقياس:

يقصد بالتحليل الإحصائي لفقرات الاختبار أنه يجب تحليل فقرات المقياس إحصائيًا؛ لغرض "اختيار الفقرات التي تخدم البحث، واستبعاد الفقرات غير المناسبة بإيجاد قوتها التمييزية؛ مما يساعد ذلك على زيادة صدق المقياس وثباته" (Anastasi & Urbina, 1997: 19).

وبعد أسلوب المجموعتين المتطرفتين وأسلوب علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس إجرائين مناسبين في عملية تحليل الفقرات، وفيما توضيح ذلك:

أ. أسلوب المجموعتين المتطرفتين:

يقصد بها: مدى إمكانية فقرات المقياس على تمييز الفروق الفردية بين الأفراد ذوي المستويات العليا والدنيا للسمة المراد قياسها (علام، 2000: 277).

دالة	2.112	0.630	2.222	0.504	2.518	10
دالة	4.095	0.707	2.888	0.663	2.244	11
دالة	2.331	0.675	2.203	0.774	2.500	12
دالة	3.045	0.772	2.966	0.761	2.240	13
دالة	2.251	0.608	0.214	0.605	2.537	14
دالة	2.201	0.762	2.114	0.666	2.481	15
دالة	4.320	0.630	2.407	0.571	2.244	16
دالة	2.087	0.711	2.048	0.656	2.388	17
دالة	3.430	0.764	2.963	0.714	2.401	18
دالة	3.476	0.642	2.185	0.596	2.611	19
دالة	3.181	0.563	2.388	0.495	2.407	20
دالة	2.008	0.693	2.074	0.644	2.333	21
دالة	2.444	0.672	2.333	0.626	2.389	22
دالة	2.780	0.783	2.018	0.630	2.407	23
دالة	2.30	0.655	2.270	0.537	2.555	24
دالة	2.497	0.736	2.166	0.693	2.500	25
دالة	2.780	0.762	2.092	0.666	2.488	26
دالة	2.068	0.588	0.212	0.693	2.481	27
دالة	2.269	0.684	2.240	0.450	2.500	28
دالة	2.301	0.711	2.192	0.714	2.407	29
دالة	2.341	0.743	2.111	0.717	2.596	30

علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس:

جرى استخراج درجة الفقرة بالمجموع الكلي للمقياس باستعمال معامل ارتباط بيرسون (Person – Correlation)، أظهرت المعالجة الإحصائية أنَّ معاملات الارتباط لفقرات المقياس جميعها كانت دالة عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (214)؛ إذ كانت القيمة الجدولية تساوي (1.98) والجدول (2) يبين ذلك

الجدول (2)

معاملات ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس الاكتئاب التفاعلي

الفقرة	معامل الارتباط	النتيجة	الفقرة	معامل الارتباط	النتيجة	الفقرة	معامل الارتباط	النتيجة
1	0.149	دالة	11	0.149	دالة	21	0.203	دالة
2	0.450	دالة	12	0.239	دالة	22	0.256	دالة
3	0.144	دالة	13	0.188	دالة	23	0.224	دالة
4	0.217	دالة	14	0.145	دالة	24	0.197	دالة
5	0.203	دالة	15	0.169	دالة	25	0.199	دالة
6	0.195	دالة	16	0.173	دالة	26	0.174	دالة
7	0.138	دالة	17	0.201	دالة	27	0.212	دالة
8	0.246	دالة	18	0.206	دالة	28	0.237	دالة
9	0.237	دالة	19	0.266	دالة	29	0.184	دالة
10	0.660	دالة	20	0.186	دالة	30	0.217	دالة

الخصائص السايكومترية لمقياس الاكتئاب التفاعلي:

تُعدُّ الخصائص السايكومترية لفقرات المقياس إجراءات علمية مهمة في المقاييس النفسية، وتعدُّ خاصيتا الصدق والثبات من أكثر الخصائص السايكومترية أهمية؛ لأنها قادرة على قياس الظاهرة قياساً دقيقاً؛ وبذلك توفر فرصة حقيقية في اتخاذ القرارات المناسبة لها (الريماوي، 2017: 96). لذلك قام الباحثان باستخراج الصدق والثبات لمقياس الاكتئاب التفاعلي على النحو الآتي:

مؤشرات الصدق:

تحقق الباحثان من صدق المقياس بالطرائق الآتية:

أ. الصدق الظاهري:

جرى التحقق من هذا النوع من الصدق لمقياس الاكتئاب التفاعلي عن طريق عرض المقياس بصورته الأولية على مجموعة من الخبراء والمختصين في التربية وعلم النفس (الملحق 3)؛ وذلك للحكم على مدى صلاحيتها في قياس ما وضعت من أجل قياسه، واعتمد الباحثان معياراً للإبقاء على الفقرة، وهو حصولها على موافقة (80%) فأعلى من الحكمين كما تمت الإشارة إليه سابقاً.

ب. صدق البناء:

يركز هذا النوع من الصدق على الفحص المنظم لمحتوى الاختبار؛ لتحديد ما إذا كان عينة ممثلة لمحتوى الظاهرة المراد قياسها أم لا (ميخائيل، 2016: 165).

وللكشف عن صدق البناء لا بُدَّ من إتباع الخطوات الآتية:

– التعريف بالإطار النظري للسمة المرتبطة بنتائج الاختبار.

– اشتقاق الفرضيات المرتبطة بنتائج الاختبار.

– اختبار صحة الفرضيات والتحقق من ذلك منطقيًا أو تجريبيًا (محاسنة، 2013: 57).

وقد توفر هذا النوع من الصدق في مقياس الاكتئاب التفاعلي بوساطة المؤشرات الإحصائية، وهي: (القوة التمييزية للفقرات بأسلوب المجموعتين المتطرفتين، وعلاقة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس).

مؤشرات الثبات:

لغرض تحقيق هذا الإجراء للمقياس الحالي جرى حساب الثبات بطريقتين:

أ. طريقة إعادة الاختبار:

طبق الباحثان المقياس على عينة عشوائية بلغت (50) مصاباً من مجتمع البحث، وطبق عليهم المقياس، ثم أعيد تطبيق المقياس على العينة نفسها بعد مرور أسبوعين من التطبيق الأول، وبعد أن جرى حساب معامل الارتباط بيرسون بين درجات المستجيبين في التطبيق الأول ودرجاتهم في التطبيق الثاني بلغ معامل الثبات (0.80)، وهو معامل ثبات يمكن الركون إليه.

ب. معامل ألفا للاتساق الداخلي:

وتعتمد هذه الطريقة على اتساق أداء الفرد من فقرة إلى أخرى، وهذا يشير إلى قوة الارتباطات بين الفقرات في الاختبار (Nunnally, 1978: 320)، وقد بلغ معامل الثبات بهذه الطريقة (0.84)، وهو معامل ثبات يمكن الركون إليه.

المقياس بصيغته النهائية:

يتألف مقياس الاكتئاب التفاعلي بصيغته النهائية من (30) فقرة، وثلاثة بدائل للإجابة: (دائماً، أحياناً، أبداً)، وتبلغ أعلى درجة للإجابة (90) درجة، وأدنى درجة (30) درجة (الملحق 4).

التطبيق النهائي للمقياس:

بعد أن تحقق الباحثان من صلاحية أدائي البحث، شرع الباحثان بتطبيقهما على عينة بحثهما الأساسية من المصابين بفايروس كورونا المؤلفة من (400) مصاب من الذكور، وقد امتدت مدة التطبيق (15) يوماً.

الوسائل الإحصائية:

1. الوسط الحسابي؛ لاستخراج متوسط استجابة العينة على المقياس.
2. الانحراف المعياري؛ لاستخراج مدى الاستجابة مع الوسط الحسابي.
3. معامل ارتباط بيرسون؛ لمعرفة مدى ارتباط درجات كل فقرة بالدرجة الكلية للمقياس، واستخراج الثبات بطريقة الاختبار، وإعادة الاختبار للمقياس.
4. معامل ألفا كرونباخ؛ لإيجاد معامل الثبات للمقياس.
5. الاختبار التائي لعينة واحدة؛ لمعرفة مستوى الاكتئاب التفاعلي لدى أفراد عينة البحث.

عرض النتائج ومناقشتها وتفسيرها:

يتضمن عرض النتائج توصيل إليها الباحثان بعد استكمال متطلبات بناء أداة البحث ومناقشة تلك النتائج في ضوء الإطار النظري والدراسات السابقة، ومن ثم الخروج بمجموعة من التوصيات والمقترحات في ضوء تلك النتائج.

وفيما يأتي عرض لنتائج هدف البحث:

قياس الاكتئاب التفاعلي لدى المصابين بفيروس كورونا:

أظهرت النتائج أنَّ المتوسط الحسابي لدرجات عينة البحث على مقياس الاكتئاب التفاعلي قد بلغ (65) درجة، وانحراف معياري قدره (11.234) درجة، وعند مقارنة هذا المتوسط الحسابي بالمتوسط الفرضي للمقياس بلغ (60) درجة، وباستعمال معادلة الاختبار التائي لعينة واحدة، تبين أنَّ القيمة المحسوبة بلغت (3.597)، وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) وبدرجة حرية (399) درجة، وكما هو مبين في الجدول (3)

الجدول (3)

الاختبار التائي لدلالة الفروق بين المتوسط الفرضي والمتوسط الحسابي للمصابين بفيروس كورونا

عدد أفراد العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة	النتيجة
400	65	11.234	60	399	3.597	1.960	0.05	دال إحصائياً

يتبين من الجدول (3) أنَّ الوسط الحسابي لدرجات الاكتئاب التفاعلي لدى أفراد البحث أعلى من المتوسط الفرضي، وكذلك فإنَّ القيمة التائية المحسوبة أعلى من القيمة التائية الجدولية، وهذا يعني أنَّ أفراد عينة البحث المصابين بفيروس كورونا يمتلكون مستوى عالٍ من الاكتئاب التفاعلي، وهو مؤشر سلبي يدعوننا للتشاور بسلامة الجانب النفسي والاجتماعي في حياة شريحة من المجتمع العراقي.

المصادر العربية والأجنبية:

1. إبراهيم، عبدالستار (2008): الاكتئاب والكدر النفسي، فهمه وأساليبه وعلاجه، سلسلة الممارس النفسي، العدد (3)، ط2، دار الكتاب للطباعة، القاهرة.
2. الأوسي، رعد علي حسين (2020): أثر البرنامج الإرشادي العلاجي على أسلوب (ملء الفراغ) في تخفيض أعراض الاكتئاب التفاعلي لدى المسنين في دور الدولة، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالى.
3. الخطيب، جمال محمد (2016): تحليل السلوك التطبيقي، دار الشروق، عمان.
4. داکو، بیسیر (1988): التعب والكآبة والحجل، ترجمة: رعد اسكندر وأركان بثيون، دار التربية، بغداد.
5. الریماوي، عمر طالب (2017): بناء وتصميم الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية، ط1، دار أمجد، عمان.
6. عبدالرحمن، سعد (2008): القياس النفسي، النظرية والتطبيق، ط5، هبة النيل للنشر، القاهرة.

7. علاّم، صلاح الدّين محمود (2000): القياس والتقويم التربوي والنفسي، أساسياته وتطبيقاته وتوجيهاته المعاصرة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
8. القندلجي، عامر (2019): منهجية البحث العلمي، ط1، دار اليازوري للنشر، عمّان.
9. مجيد، سوسن شاكر (2010): الاختبارات النفسية (نماذج)، ط1، دار الصفا، عمّان.
10. محاسنة، إبراهيم محمد (2013): القياس النفسي في ظل النظرية الحديثة، ط1، دار جرير، عمّان.
11. مكنتزي، كوم (2013): الاكتئاب، ترجمة: زينب منعم، ط1، السعودية.
12. منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي، مركز وسائل الإعلام (2020): مرض كورونا (كوفيد 19)، الموقع: <https://www.who.int/news-room/fact-sheets/detail/coronavirus-2019-ncov>.
13. ميخائيل، أمطانيوس نايف (2016): بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية وتقنياتها، ط1، دار الاعصار العلمي للنشر، عمّان.
14. أبو نصر، مدحت أحمد (2017): مناهج البحث في الخدمات الاجتماعية، ط2، مجموعة النيل العربية للطباعة، القاهرة.
15. Anastasi, Anne & Urbina, S. (1997): Psychological Testing, (7th) ed, Prentice Hall, New Jersey.
16. Atkinson, R. (1996): Hillgards Introduction to Psychology Harcourt Brace & Company.
17. Beck, A. (1997): Cogitive Therapies Essential Papers Psychoanalys, Auniversity Press, New York, U.S.A.
18. Bibring, E. (1953): The mechalism of depression. In P. Greenacre (Ed) Affective Disorders, International Universities Press, Now York.
19. Higgins, E. Tory (1989): Self Discrepancy Theory: What Patterns of self – Beliefs Cause People to suffer? Advances in Expeimental Social Psychdogy, Vol. 22.
20. Mash, E., Wolfe, D. (1999): Abnormal Child Psychology, Wadshorth Publishing Company, Bemont, CA.
21. Nolen, Hoeksema, Susan (1987): "Sex differences in unipolar depression, Evidence and theory" Psychological Bullethin 101 (2).
22. Nunnaly, J. C. (1978): Psychometric Theory, 2n ded. Mc Graw – Hill, New York.
23. Stanley, C.J. & Hopkins, K. G. (1979): Edueational and Psychological Measurement and Evaluation Hall, New York.

دراسة القنوزيا البصرية للأشكال لدى الأطفال المتمدرسين المصابين بعسر القراءة

طالبة دكتوراه في الأطفونيا - علوم عصبية معرفية - بديعة حاج عبد الحفيظ

طالبة دكتوراه في الأطفونيا - علوم عصبية معرفية - سامية لعجالي

طالبة دكتوراه في الأطفونيا - علوم عصبية معرفية - هاجر بن عاصم

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله - الجزائر

badiaa.hadjabdelhafid@univ-alger2.dz

samia.ladjali@univ-alger2.dz

hadjer.benassem@univ-alger2.dz

الملخص بالعربية:

ويعد موضوع التعلم من المحاور الأساسية في حياة الطفل حيث يسعى الباحثون إلى محاولة استكشاف مختلف العمليات المعرفية المرتبطة بتحليل، تخزين وتوظيف المعلومات المتلقية لإعادة استعمالها مجددا في المستقبل. ومع ظهور العلوم العصبية أصبحت الدراسات العصبية المعرفية ذات أثر بالغ الأهمية لأجل تحديد طبيعة الاضطرابات المعرفية وأثرها على تعلم مختلف المهارات، وبالتحديد مهارة القراءة التي تعد ضمن آليات التواصل اللفظي فهي من بين أساسيات التعلم. حيث ينطلق التعلم من التعرف على الحرف ثم الكلمة ثم الجملة لأجل إعطاء معنى عام لما يتم قراءته. وهناك العديد من الوظائف المعرفية التي تساهم في عملية القراءة و أي خلل على مستواها يؤدي إلى ظهور اضطرابات في هذه الأخيرة. ومن هنا جاءت فكرة هذه المداخلة التي تندرج ضمن محور دراسات وأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية سعيا منا إلى الكشف عن طبيعة الاضطراب المتعلق بالقراءة من خلال الطرح التساؤل التالي: هل يعاني الطفل المتمدرس المصاب بعسر القراءة من اضطراب في القنوزيا البصرية للأشكال؟

الكلمات المفتاحية: الطفل المتمدرس، عسر القراءة، القنوزيا البصرية للأشكال

The study of visual gnosis shapes in school children with dyslexia
PHD student speech therapy-Cognitive Neuroscience- Badiaa HADJ
ABDELHAFID

PHD student speech therapy-Cognitive Neuroscience- Samia LADJALI
PHD student speech therapy-Cognitive Neuroscience- Hadjer
BENASSEM

University of Algiers 2 ABULKACEM SAADALLAH - ALGERIA
badiaa.hadjabdelhafid@univ-alger2.dz
samia.ladjali@univ-alger2.dz
hadjer.benassem@univ-alger2.dz

Abstract :

The learning topic is among the main axis in children life that lead researchers to explore several cognitive functions related to analysis, storage and the use of the received information to reuse it again in the future. And with the advent of neuroscience the neocognitive studies are becoming increasingly important in order to determinate the nature of cognitive disorders and its impacts in learning many skills especially reading which is considerate among verbal communication mechanisms. The learning start from the recognizing of the letter than the word and the sentence in order to give a meaning to what is reading. There are many cognitive functions that contribute in reading and any disorder in it can make a trouble on it. Hence the idea of the following intervention which falls within studies and researches in Human and Social science axis trying to respond to this question : Do the school children with dyslexia suffer from visual gnosis shapes disorder ?

Keywords: school children, dyslexia, visual gnosis shapes

مقدمة:

يعد موضوع التعلم من المحاور الأساسية في حياة الطفل حيث أصبح أساس الأبحاث التي تدور حول النمو العصبي للطفل من خلال البحث في مختلف العمليات المعرفية المرتبطة والمتكاملة فيما بينها، حيث أن هذه الأخيرة تساهم مع عناصر أخرى في تكوين سيورة معرفية تعليمية يتقيد بها الإنسان فيما يكتسبه ويتعلمه. سواء تعلق الأمر بما هو شفهي أو مكتوب، وأي اضطراب في أحد هذه العناصر سينتج عنه خلل على مستوى الاكتساب والتعلم على حد سواء. وقد أفرزت العديد من البحوث على أن المخ

بصفته المتحكم الرئيسي في كل الوظائف العليا وثيق الصلة بالتعليم الإنساني لاسيما التعلم الأكاديمي والذي يعد ذا أهمية في تطور الطفل خاصة في سنوات التمدرس الأولى، لأن أي صعوبة قد تنعكس سلبا على مستقبله الدراسي وعلى حالته النفسية. لذا نجد دراسات كثيرة تناولت صعوبات التعلم بأنواعها وفسرتها على أنها راجعة لاضطرابات وظيفية في العمليات النفسية المعرفية كالانتباه، الإدراك، الذاكرة... ومن بين اضطرابات التعلم نجد عسر القراءة التي يتمركز حولها بحثنا، فالقراءة نشاط جد معقد تتدخل فيها ميكانيزمات عديدة تساهم في عملية التعلم ككل ومن ثم تساعد في تنمية المهارات واكتساب المعارف. ومع ظهور علم النفس العصبي المعرفي وتطور البحوث في هذا المجال طرأت عدة تغيرات في تناول هذا النشاط المعرفي فأصبحت عملية القراءة تدرس في علاقاتها مع بقية النشاطات المعرفية الأخرى، إلا وأنها بكونها عملية معقدة تستدعي سلامة الجهاز العصبي المركزي عموما ووظيفة القنوزيا البصرية بالتحديد المسؤولة عن معالجة المعلومات البصرية التي تردنا. وقد تم تناول موضوع القنوزيا البصرية من طرف العديد من الباحثين نذكر منهم ميشال حبيب ومنه جاءتنا فكرة انجاز هذه الدراسة ، ففكرة القنوزيا البصرية تعد كمرحلة أولية لمعالجة المعلومة البصرية خلال القراءة التي تعد ذات أهمية في حياة الفرد والمجتمع فهي وظيفة اتصالية محققة للفعل الاتصالي تساهم في نقل المعارف والمعلومات وهي وسيط من وسائط التعلم. فوجود صعوبة على مستوى التعرف على الكلمات المكتوبة ينتج عنه عدم القدرة على فهم النص المكتوب مما يؤدي لظهور عسر القراءة. فكل هذه المعلومات ساقطنا لدراسة القنوزيا البصرية للأشكال تحديدا لدى فئة الأطفال المتدربين المعسرين قرائيا لأجل الكشف عن طبيعتها.

الإشكالية:

يعتبر موضوع عسر القراءة ذا أهمية فهو يثير أحد المواضيع التربوية والمعرفية التي يجري فيها البحث منذ زمن ولم يحسم أمرها، والتي تشكل أبرز الصعوبات التي تعترض سبيل التلميذ في بناء القاعدة الأساسية من التراكيم المعرفي.

وفي دراسة -تحمل عنوان التصوير المخي يكشف أسرار القراءة- أقيمت بفرنسا عام 2013 من طرف المختصين في ميدان اضطرابات التعلم عن طريق التصوير بالرنين المغناطيسي بين أن هناك منطقة بالمخ وهي منطقة التعرف البصري للكلمات والمتواجدة في الفص الصدغي لنصف المخ الأيسر تنشط بشكل طبيعي لدى غير المعسرين قرائيا خلال عملية القراءة كما لوحظ عدم نشاط المنطقة ذاتها لدى المعسرين

قارئاً خلال عملية القراءة. ومنه فإن الباحثون في ميدان علم النفس العصبي يحاولون تحليل بنية هذه السياقات نذكر منها القنوزيا البصرية للأشكال التي هي عبارة عن وظيفة معرفية تحمل قدرات التعرف. وتعتبر القراءة عملية فك التشفير للحروف والقيام بتحويل خطي-فونيمي يليه تجميع الرموز ثم الكلمات لأجل الوصول المعني وباعتبار الرموز الخطية هي عبارة عن أشكال قبل كل شيء فلا بد على القارئ أن يكون قادراً على التعرف عليه للقيام بعملية القراءة وتحليل المعلومات فيما بعد للوصول للمعنى المستنتج وهو ما قد لا يقدر عليه الطفل المتدرب المصاب بعسر القراءة ومنه فإن هذه الدراسة تهدف لتناول ظاهرة عسر القراءة من منظور معرفي عصبي ومواجهتها بالبحث كاضطراب أو خلل وظيفي. كذلك خطورة مشكلة عسر القراءة -التي تضاف لاضطرابات التعلم- على المستوى القومي وما ينجر عنها من حواجز أمام المحصلة المعرفية وما يقود غالباً إلى الرسوب المدرسي. ومما سبق نحاول الإجابة على التساؤل التالي: ما طبيعة القنوزيا البصرية للأشكال لدى الطفل المصاب بعسر القراءة؟

الفرضية:

يعاني الطفل المصاب بعسر القراءة من اضطراب في القنوزيا البصرية للأشكال.

أهمية البحث:

يكتسب موضوع البحث أهمية من خلال:

- موضوع الظاهرة التي يتصدى لدراستها، فهذا البحث يثير أحد المواضيع التربوية والمعرفية التي يجري فيها البحث منذ زمن ولم يحسم أمرها لحد الآن، والتي تشكل أهم وأبرز الصعوبات التي تعترض سبيل التلميذ في بناء القاعدة الأساسية من التراكم المعرفي.
- كونه يشكل مركز تلتقي فيه اهتمامات علم النفس التربوي والمدرسي بالأرطفونيا والعلوم العصبية، وأنه من المواضيع التي لها من الزوايا ما يسمح للعديد من المجالات والفروع بالمساهمة بالبحث فيه.

أهداف البحث:

- إثراء المعرفة العلمية وزيادة الرصيد النظري حول مشكلة صعوبات تعلم القراءة بتوضيح أهم معالمها التي يعترضها الغموض والالتباس.
- تناول هذه الظاهرة التربوية من منظور معرفي عصبي ومواجهتها بالبحث كاضطراب خلل وظيفي معرفي.

- إفادة المختصين القائمين على مساعدة هذه الفئة من التلاميذ بطبيعة القنوزيا البصرية لإعداد برامج وبروتوكولات للتكفل لتؤخذ فيها بعين الاعتبار هاتين القدرتين المعرفيتين.

1- تعريف القراءة:

تعتبر القراءة عملية معقدة تتفاعل فيها عدة ميكانيزمات بصرية، سمعية، حركية إذ يتم من خلالها فك الرموز المكتوبة وربطها بالأصوات التي تناسبها من أجل إدراك وتمييز معانيها ومن ثمة الاحتفاظ بها وتخزينها واسترجاعها وقت الحاجة.⁽¹⁾ (دحال.س، 2005، ص:12)

2- متطلبات عملية القراءة:

تحتاج خطوات عملية القراءة إلى جملة من المهارات لمعالجة الكلمة المكتوبة معالجة معرفية سوية نذكر منها:
1-2 توجه ثابت ومستقر: للقراءة اتجاه ثابت لا بد أن يلتزم به القارئ أثناء معالجته للكلمة، ففي اللغة العربية تتم القراءة من اليمين إلى اليسار ومن أعلى إلى أسفل، فالتوجيه مضبوط ومحكوم بدقة لتتم القراءة بصورة سوية بعيدا عن الأخطاء الشائعة كقلب أو عكس قراءة الكلمة.

2-2 تثبيت الأشكال: لكل كلمة أو حرف شكل موجه، لا بد للقارئ مراعاته للتمييز بين الحروف المتشابهة شكلان والمختلفة اتجاهها مثل ح ع، خ غ ويظهر التشابه أكثر في اللغة اللاتينية مثل: d b, p .q

2-3 توافق القراءة: فاللغة الداخلية تتكون هي الأخرى من رسم بصري حري أو تخطيط للحروف ونطق للكلمات. (Bourcier R, 1979, p:62)

3- أهداف عملية القراءة:

وباعتبار القراءة أحد الأنشطة الأساسية، فأهدافها متمثلة فيما يلي:

- التمكن في نص القراءة بالتعرف على نظام الأصوات، الضوابط والحروف في الكتابة العربية، قيمة علامات الفصل والوصل في النص، ومن ثمة بناء فرضيات حول معانيه.
- تكييف قراءته.

4- تعريف عسر القراءة:

يشير مصطلح عسر القراءة (الديسليكسيا) إلى اضطراب حاد في تعلم القراءة عند مستوى القراءة المناسب- أي خلال فترة أو مرحلة التعلم- للأطفال يتمتعون بقدرات عقلية عادية وذكاء عادي (متوسط أو فوق المتوسط ، بعيدا عن الحالات التي ينخفض حاصل الذكاء لديها عن 90 نسبة)، في غياب أي إعاقة حسية (بصرية، سمعية، عيوب أجهزة النطق).. أو اضطراب جسدي بصفة عامة ، أو اضطراب نفسي- انفعالي، أو حرمان بيئي ثقافي، اقتصادي، اجتماعي...أو نقص في فرص التعليم المناسبة.

5- أعراض عسر القراءة:

- أخطاء بصرية للحروف ذات الأشكال المتشابهة كتابيا
- اضطرابات في الإدراك البصري
- اضطرابات في الذاكرة قصيرة المدى
- زيادة بعض الحروف أو المقاطع
- عدم التمييز بين الحروف المتقاربة لفظا

6- تعاريف الأفتوزيا :

- الأفتوزيا هي اضطراب عصبي راجع لإصابة على مستوى القشرة الدماغية ويظهر كاضطراب يمس التعرف رغم إدراك المعلومات الحسية. (Cambier.J, 2002, p: 121)

- الأفتوزيا لفظ يدل على عدم القدرة على التحليل والتعرف لما نراه أو نسمعه أو نلمسه رغم أن أعضاء الحس غير مضطربة.

(dictionnaire encyclopédique pour tous, le petit Larousse illustré, 1979, p: 46)

- وهي إصابة العمليات التحليلية المعرفية والمميزة بعجز واضح في القدرة على التعرف على الأشياء والأشكال.

(Larousse le grand dictionnaire de la psychologie, 1999 p : 30)

- كما أنها تعرف بعدم القدرة على التعرف على الأشياء مع الاحتفاظ بوظيفة الأعضاء الحسية، فالمصاب عندما نقدم له قطعة نقدية يمكنه وصفها (دائرية، مسطحة، تلمع...) ولكنه غير قادر على التعرف عليها

أو تسميتها، كذلك عندما يسمع صوت صغير القطار يستطيع أن يتعرف على الصوت على أنه صغير ولكن لا يمكنه تمييز هذه الضجة (ضجة القطار). (Sillamy.N, 1979, p: 31) وهي عدم القدرة على التعرف على الأشياء المعروضة لإدراكنا، وهذا الاضطراب لا ينجم عن أي عسر حسي أو خاص بالانتباه أو عسر على مستوى الوعي. (Barbizet.J, 1977, p: 68)

7- مفهوم الأفتوزيا البصرية :

تاريخيا الأفتوزيا البصرية تم اكتشافها بفضل التجارب على الحيوانات (Mun 1877,1880) حيث قام هذا العالم باستئصال ثنائي للباحات ما قبل المخططة Préstriées يتمثل في فقد ردة الفعل والسلوك الناتج عن هذه العملية المسماة « cécité psychique » المسببة مسبقا عن طريق المثيرات البصرية (تترجم كغياب للمطابقة)، في حين أن القدرات البصرية القاعدية للحيوانات كانت سليمة كما كانت تبينه مواقفهم لتجنب الحواجز.

تم التعرف على هذه المتلازمة لدى الإنسان بعد إصابة عصبية توصف بـ غياب الترميز « imperception » (Jakson, 1932) أو حتى غياب الإدراك « asymbolie » وبالفعل فقد تم إنشاء مصطلح الأفتوزيا من طرف فرويد 1891 Freud، حيث عرفه على أنه عجز في مطابقة الأشياء الغير راجع لا إلى نقص في الذكاء العام أو اضطرابات حسية ابتدائية ولا إلى اضطرابات في اللغة. وإذا كان مفهوم عجز في المطابقة البصرية لم يتناقش من قبل، فإن مصطلح الأفتوزيا كما هو معرف قد حظي بانتقادات من طرف بعض العلماء (Bender & Feldman 1972, Bay 1953) الذين كانوا يعتبرون الإخفاق في مطابقة الأشياء كان وبالتحديد دائما نتيجة اضطرابات حسية من مستوى أول وكذا انخفاض في الذكاء العام. و أنه منذ السبعينات فقط أصبح مصطلح الأفتوزيا معترف به ويتم دراسته والبحث فيه عن طريق التعرف عليه كاضطراب ذو أعراض عيادية. (Seron.X, 2000, p: 210)

وهكذا فالمصاب بالأفتوزيا البصرية لا يتعرف على المثير حتى إن كان يراه جيدا. (Eustache.F, 2000, p: 112)

8- أنواع الأفنوزيا البصرية:

إن التحليل المفصل لحالة مصابة بأفنوزيا بصرية أوصل Humphreys و Riddoch 1987 إلى اقتراح إسم أفنوزيا d'intégration أو intégrative ، وقد ميزوا خمسة أنواع للأفنوزيا البصرية بالتركيز على مستوى المعالجة المضطرب، فيقترحون أنه للتعرف على المعالجة البصرية نحتاج للعمليات الست التالية:

أ/ إكتشاف مكونات الأشكال، الخطوط، الجوانب... الخ وحتى توقعهم وتوجيههم حسب مختلف سلاسل التحليل.

ب/ إقامة علاقة بين هذه العناصر لإنشاء مجموعات وتقسيم الشكل من الخلفية.

ج/ إيجاد توجه الشيء كله والتمكن من التعرف عليه حسب مختلف وجهات النظر.

د/ الدخول إلى الذاكرة لتمثيل بنيوي للشيء.

هـ/ الدخول إلى الذاكرة للتمثيل لوظيفة الشيء والأشياء التي تكون عادة مشتركة معه.

و/ التقدم إلى المقارنات بين المعلومات "الإدراكية" (المراحل أ ب ج) والمعلومات المتحصل عليها في الذاكرة (المراحل د هـ).

خمس أنواع من الأفنوزيا البصرية: X.Seron. اعتمادا على ما سبق ذكره يقترح

8-1 أفنوزيا الأشكال:

التي تختص باضطراب في مرحلة الإكتشاف المبدئي لعناصر الشيء وممتلكاتهم أي

(العناصر). (Seron.X, 1998, p :199)

حيث يسمح النظام الحسي للعين بإدراك الشكل ولكن المصاب يعجز عن التعرف عليه، ويشمل هذا الإضطراب الطول، الوضعية، الحجم..

8-2 أفنوزيا الأشكال الهندسية:

أين يكون العجز في التعرف على الأشكال أو الصور المعقدة مع الإحتفاظ بقدرة التعرف على الأشكال المألوفة. (Bérubé.L, 1991, p :33)

: 3-8intégrative الأفنوزيا

تمثل إصابة في السيرورة أين العناصر المكتشفة بصحة لا بد أن تجمع أو تحمل فيما بينها (Seron.X, 1998, p: 199)

فالمصاب غير قادر على القيام بتركيب بصري للتفاصيل التي يدركها، فهو يعجز عن (Séve-Ferrieu.N, loc cit, p : 89). التمييز (مثالا لا يستطيع التمييز بين كرة وبرتقالة)

: 4-8Transformation الأفنوزيا

المصاب بإمكانه إنشاء تمثيل إدراكي مناسب للشيء لكن ليس بإمكانه الانفصال من وجهة نظره الحالية والتعرف على شيء غير مقدم بطريقة كنسية canonique.

: 5-8Sémantique الأفنوزيا الدلالية

تتمثل في عجز على التمثيل في الذاكرة للمعلومات الدلالية التي تخص الشيء المدرك ، والمعالجات الإدراكية متأثرة بشكل عالي بالمعلومات الدلالية تصبح غير مناسبة.

: 6-8D'accès sémantique الأفنوزيا

المعلومات الدلالية متوخرة في الذاكرة تصبح غير قابلة للتنشيط من طرف التمثيل الإدراكي الصحيح والمنشقة من الشيء الذي يبصره.

لخصائص الشيء Locale في هذا الإطار المثير يكون أولا بالتوازي أي معالجة محلية لشكله. نتائج هاتين العمليتين تدمج وتثرى بمعلومات راجعة globale والإكتشاف الكلي للعمق لتسمح بتمثيل مستقل عن وجهة نظر المصاب. من نظام المعالجة هذا ينشق تمثيل مجرد غير متغير ومركز على الشيء لكن مشهدي.

هذا التمثيل أيضا بإمكانه أن يكون مشتق من العمليات المبدئية دون المرور بالتمثيل المركز الملاحظ. (Seron.X, 1998, p :99)

7-8 أفنوزيا الألوان:

أي اضطراب التعرف والتعيين أو تحديد الألوان، فالمصاب غير قادر على تصنيف الأشياء والصور حسب اللون المقترح، ومنطقة الإصابة فضية خلفية يسرى. كما قد نجد اضطراب في التعرف على الرموز الخطية أين يعجز المصاب على التعرف على الأرقام، الحروف والفواصل... ويمتاز هذا الإضطراب بعدم فهم اللغة المكتوبة حتى ولو أراد المفحوص إعادة قراءة إحدى نصوصه الخاصة، ما أن الكلام عادي وفهم اللغة الشفهية سليم كذلك.

8-8prosopagnosie أفنوزيا الوجوه :

يدل هذا الاضطراب على العجز على التعرف على الوجوه المألوفة، ويمتد هذا العجز إلى عدم تعرف المصاب على وجهه من خلال المرآة. كما يسجل العجز عن التعرف على الوجوه المعروفة من خلال الصور الفوتوغرافية، فالمصاب بإمكانه إعطاء وصف دقيق ولا يستطيع التعرف على الشخص. منطقة الإصابة صدغية-قفوية بمعنى أو ثنائية.

(www.alzheimer-montpellier.org/agnosies.html)

9- منهج البحث:

اتبنا في هذه الدراسة منهجا يتناسب مع مجال التخصص المتبع — ميدان العلوم العصبية المعرفية — هو دراسة حالة الذي ارتأيناه الأنسب للموضوع الذي نحن بصدد دراسته. حيث يمكننا من الحصول على معلومات شاملة عن الحالات المدروسة وبطريقة تفصيلية.

10- مجموعة البحث: تتكون مجموعة بحثنا من 5 حالات تتراوح أعمارهم بين 8 و 11 سنة وقد روعي فيها توفر الجنسين (3 ذكور و 2 إناث). كما قد تم إجراء البحث بوحدات الكشف والمتابعة للصحة المدرسية، أين يتم تشخيص الحالات على مستواها من طرف الأخصائيين الأروطونيين. وقد كان دافع اختيارنا لمجموعة البحث بدءا من 8 سنوات لأن القاعدة اللغوية الأولية يتم تكوينها من خلال السنة الأولى والثانية من التعليم الابتدائي أين تتكون لديهم القدرة القرائية، ولأن صعوبات تعلم القراءة لا تفصح عن نفسها بصفة بارزة إلا عند دخول الطفل للمدرسة، ولأن تشخيص اضطراب صعوبات تعلم القراءة يتم بعد خضوع التلميذ لمتدريس عادي مدة سنتين.

11- أدوات البحث:

- المقابلة نصف الموجهة : تم فيها جمع المعلومات اللازمة حول الحالات.
- الملاحظة : وذلك بعد إعطاء نص للمفحوص وملاحظة الأخطاء التي يرتكبها للتأكد من توفر أعراض صعوبات تعلم القراءة.

12- الاختبارات المستعملة:

اختبار الصور المتشابكة (Figures enchevêtrées) هو اختبار مستخلص من بروتوكول تقييم وظائف القنوزيا البصرية المستخلص بدوره من بروتوكول PEGV

Jean-Loui Nespoulpus² ل MT-86

يتكون من 15 لوحة مقسمة لـ 3 أجزاء مكونة من 5 لوحات في كل جزء حسب طبيعة المثير المقدم: فلدينا مثير دلالي، صور هندسية، ومثير على شكل أمبي. نجد في أعلى اللوحة 3 مثيرات متموضعة فوق بعضها منفصلة عن باقي المثيرات الثمانية بخط وعلى الحالة تعيين المثيرات الثلاث الواردة في أعلى اللوحة من بين الثمانية المذكورة آنفا.

وللحصول على النتيجة نقوم بجمع عدد الإجابات الصحيحة التي تعطيها الحالة في وقت يقدر بأقل من 90 ثانية وذلك في كل

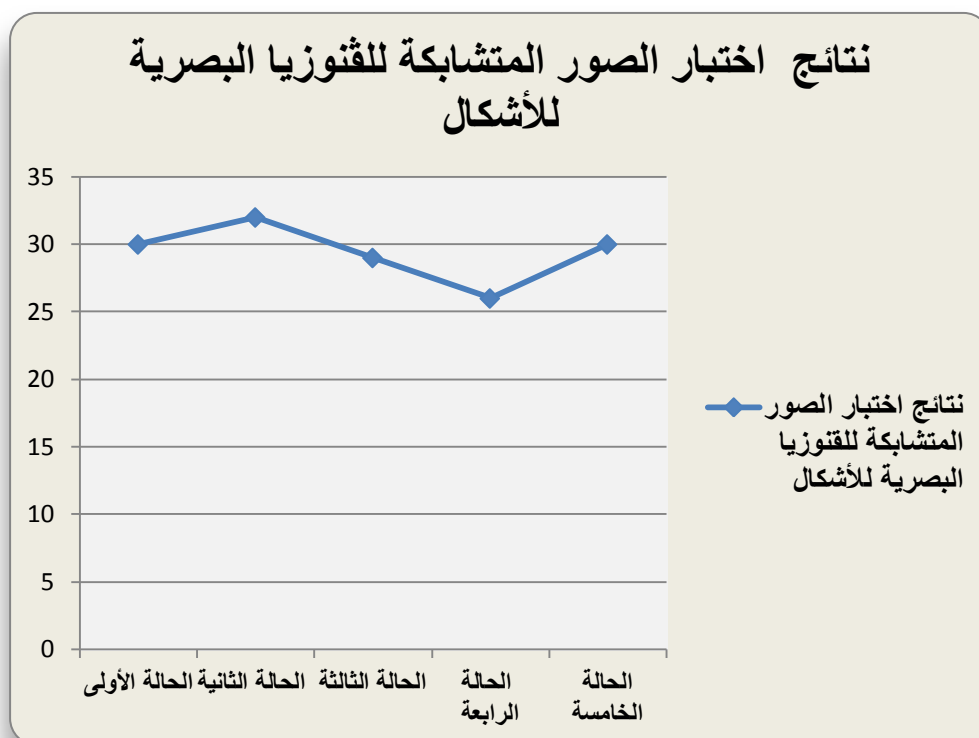
لوحة وإن تحصلت الحالة على مجموع نقاط أقل من 30 فإن

ذلك يعتبر إشارة مرضية ويشير لوجود اضطراب في القنوزيا البصرية للأشكال لديها.

13- عرض نتائج البحث:

وفيما يلي جدولاً نلخص فيه نتائج الحالات الخمس في اختبار الصور المتشابكة (للقنوزيا البصرية للأشكال):

الحالات	نتائج اختبار الصور المتشابهة (الفنوزيا البصرية للأشكال)
الحالة الأولى (س.غ)	30
الحالة الثانية (ن.م)	32
الحالة الثانية (ن.م)	29
الحالة الرابعة (أ.ن)	26
الحالة الخامسة (م.د)	30



14- مناقشة النتائج:

بعد تطبيق الاختبار وتحليل النتائج (كميا وكيفيا) توصلنا إلى نتيجة تفيد وجود اضطراب في القنوزيا، فقد تبين أنه من بين خمس حالات هناك حالتين تعاني من اضطراب في القنوزيا البصرية للأشكال. وما تشمله هذه الوظيفة المعرفية من تعرف، إدراك ومطابقة المعلومات والمثيرات البصرية أيا كان شكلها، حجمها... لدى فئة الأطفال المتدربين المصابين بعسر القراءة. فالقراءة وظيفة معرفية مرتبطة بقدرة القنوزيا أي التعرف الإدراك والتمييز للحروف المكتوبة التي هي قبل كل شيء عبارة عن أشكال وكذا مرتبطة بنظام المفكرة البصرية-الفضائية أحد أنظمة الذاكرة العاملة. فبالتعرف على الشكل المكتوب يتم بناء تمثيل ذهني للمدرك البصري، وفي حالة القراءة المدرك هو الحروف (وظيفة القنوزيا البصرية)، وفي مرحلة لاحقة من معالجة المعلومة البصرية يتم استدعاء واستحضار مختلف التمثيلات الذهنية البصرية المخزنة في الذاكرة. وهو ما يوافق نموذج Riddoch و Humphreys حيث تتم معالجة المعلومة كمرحلة أولى تدعى بالمرحلة "إدراكية" حيث تقوم شبكية العين بمعالجة المعلومة للوصول لوصف شكل المدرك بتنظيم تمثيل بنائي. والمرحلة الثانية "ذاكرية" أين يتم فيها التركيز على وحدة المدرك بالرجوع للوحدات المماثلة له والمخزنة في الذاكرة.

15- الاستنتاج العام:

لقد أسفرت الدراسة الحالية الكشف عن طبيعة القنوزيا البصرية للأشكال لدى التلميذ المصاب بعسر القراءة. فمن خلال النتائج السابقة المتحصل عليها بتطبيق اختبار الصور المتشابهة PEGV للقنوزيا البصرية لأشكال على مجموعة البحث تبين أن هناك اضطراب لدى البعض منهم على مستوى هذه الوظيفة. فالقراءة وظيفة معرفية مرتبطة بقدرة القنوزيا أي التعرف الإدراك والتمييز للحروف المكتوبة والتي هي قبل كل شيء عبارة عن أشكال، فبالتعرف على الشكل المكتوب يتم بناء تمثيل ذهني للمدرك البصري وفي حالة القراءة المدرك هو الحروف وتلك هي [وظيفة القنوزيا البصرية].

خاتمة:

بإتباع المنهج الإكلينيكي انصبت دراستنا حول الكشف عن طبيعة القنوزيا البصرية للأشكال لدى المتدربين المصابين بعسر القراءة، وقد أظهرت هذه الدراسة أن المثيرات البصرية بالخصوص الرموز

المكتوبة في حالة عسر القراءة تتأثر بالقنوزيا البصرية للأشكال والتي تحمل القدرة على التعرف، المطابقة، الإدراك والتمييز بالأخص الأحرف التي تكون لها نفس الشكل. وان هذه القدرة تختص بالمعالجة البصرية للمعلومات والمثيرات أو المدركات ذات الأصل البصري وأي اضطراب وظيفي على مستواها سينعكس سلبا على التعلم الأكاديمي لدى فئة الأطفال المتدربين المعسرين قرائيا.

المراجع:

قائمة المراجع باللغة العربية:

الأنطولوجيات:

1- دحال سهام (2004-2005): دراسة وتحليل استراتيجيات الفهم الشفهي عند الطفل المصاب بصعوبات تعلم القراءة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس اللغوي المعرفي، جامعة الجزائر.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

الكتب:

- 2- BARBIZET J. DUIZABO PH (1977) : Abrégé de neuropsychologie, Ed. Masson, Paris.
- 3- BERUBE L (1991) : Terminologie de neuropsychologie et deneurologie du comportement, Ed. Lachene Lière, Montréal.
- 4- CAMBIEN J (2002) : La mémoire, Ed. Le Cavalier Bleu, Paris.
- 5- EUSTACHE F. FAURE S (2000) : Manuel de neuropsychologie, Ed. Dunod, France, 2ème édition.
- 6- SERON X. JEANNEROD M (1998) : Neuropsychologie humaine, Ed. Mardaga, Belgique, 2ème édition.
- 7- SERON X. VANDER L (2000) : Traité de neuropsychologie clinique Tome 1, Ed. Solal, France.
- 9- SEVE-FERRIEU (2001) : Neuropsychologie corporelle visuelle et gestuelle (du trouble à la rééducation), Ed. Masson, Paris.

القواميس:

- 10- Dictionnaire encyclopédique pour tous, le petit Larousse illustré (1979) : Ed. Larousse, Paris.
- 11- Larousse, Le grand dictionnaire de la psychologie (1999) : Ed. Larousse, Paris.

المواقع الالكترونية:

- 12- www.alzheimer-montpellier.org/agnosies.html/

تجليات الغضب في الشعر الأندلسي

قراءة في نماذج مختارة

م.د. محمد كاظم عجيل

العراق - وزارة التربية - المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار

mkadm1184@gmail.com

الملخص :

يعد الغضب ظاهرة انفعالية تنتاب الإنسان في لحظات معينة ، ويختلف مستوى ظهوره ، ومقدار شدته من شخص إلى آخر ، بحسب نوع المثير الخارجي ، وطبيعة الحالة النفسية للنفس الإنسانية ، ودرجة استيعابها ، وقدرتها على التعامل مع المواقف الانفعالية . وبما أنَّ الشاعر قد حباه الله سبحانه وتعالى بالقدرة على نظم الشعر ، الذي غالباً ما يكون صدى لحالته النفسية ، التي تكون مثقلة بالآلام والهموم والأحزان في بعض الحالات . لذلك سعينا في هذا البحث إلى دراسة مثيرات الغضب وتجلياته في نماذج مختارة من الشعر الأندلسي ، نظراً لما شهدته الحياة في الأندلس - وفي عصورها المتعاقبة - من أطماع خارجية كانت تسعى دائماً للانقضاض على بلاد الأندلس ، والسيطرة عليها من جهة ، فضلاً عن الصراع الشديد بين الأندلسيين للوصول إلى السلطة من جهة أخرى ، وقد أنتج ذلك تمزقاً وتفككاً سياسياً في حالات كثيرة ، انعكس سلباً على أبناء المجتمع ، فكان مدعاة لتفشّي انفعال الغضب عند بعض الشعراء الأندلسيين ، سواء كانوا ضمن منظومة السلطة أو خارجها . فيما كان لبعض القضايا الاجتماعية أثر في بروز انفعال الغضب ، مثل (الشيخوخة ، والعوز ، والصراع بين الشعراء ، وتداعيات العشق) وغيرها .

Manifestations of anger in Andalusian

poetry read in selected models

Dr. Mohammed Kazem Ajeel

Ministry of Education Iraq -

General Directorate of Education in Dhi Qar Governorate

mkadm1184@gmail.com

Abstract:

Anger is an emotional phenomenon that affects a person at certain moments, the level of its appearance and the amount of its severity varies from person to person . We have sought in this research to note the manifestations of anger that affected a number of poets . So we took from Andalusian poetry as an applied field, given what life witnessed in Andalusia – and in its successive eras of external

ambitions , it always sought to attack the country of Andalusia . This has resulted in rupture and political disintegration in many cases , which has negatively affected the members of society , while some social issues had a bearing on the emergence of anger , such as old age , want and conflict between poets and the repercussions of love and others.

Key words : anger , Andalusian poetry , political level , social level .

مدخل

يعد الغضب مظهراً لحالة انفعالية تنتاب الإنسان في لحظة ما ، وقد لا يتم السيطرة عليه في حالات كثيرة ، فالأمر مرتبط بنوع المثير ، الذي يختلف من موقف إلى آخر ، ومن شخص إلى آخر ، فتارة يكون تأثيره شديداً وصادماً ، يجعل من الصعب احتواء آثاره ، وتجاوز تداعياته المؤلمة ، لذلك تصدر من الغاضب ردود أفعال تتسم بالشدّة في بعض الأحيان ، وقد تصل إلى حد العنف ، والتعدّي على من قام بإغضابه ، فيضطر – وتحت تأثيرات الموقف الشعوري – إلى استخدام لغة قاسية ، يقوم بتضمينها عبارات التهديد والترهيب . وتارة أخرى تكون مثيرات الغضب ووقعها خفيفاً ، يمكن معه استيعاب إفرازاته وارتداداته النفسية ، والتصرف أزاءها في حدود المعقول ، في ظل حالة من التوازن بين ترجمة حالة الغضب ، وبين الالتزام بحدود معينة من ضبط الضغط الانفعالي ، وعدم التسليم والانقياد كلياً خلف حالة التعصّب ، التي تتولّد بفعل نوع المثير ، ومدى قدرة الفرد على التعامل معه .

ومما لا شك فيه أنّ الشاعر لا يختلف كثيراً عن الناس الآخرين ، وربما يكون غضبه أشد وأقسى حدّة، وذلك لما يملكه من أحاسيس ومشاعر خاصة ، فضلاً عمّا يطمح إليه في الحصول على مكاسب وامتيازات كثيرة ، تلبيّ رغباته في الوصول إلى مواقع اجتماعية وسياسية وثقافية مرموقة ، لاعتقاده بقيمة منزلته الناتجة من موهبته الشعرية ، التي يرى فيها أغلب الشعراء سبيلاً يوصلهم إلى المجد والرفعة ، والحياة الكريمة . إلا أنّ ذلك لم يكن أمراً يسيراً ، فهم – في الغالب – يعيشون حالة من الصراع والتنافس فيما بينهم ، أو مع السلطة ، وقد يتعرّضون نتيجة لذلك للمكائد والمؤامرات ومحاولات الإقصاء ، الأمر الذي يجعل من الغضب حالة ملازمة لعدد من الشعراء ، حتى أصبحت عند بعضهم أمراً مزاجياً مألوفاً ، لا سيما عند من لا يستطيع التماسك أمام المثيرات الانفعالية ، وحينما يشعر بفقدان السيطرة على مشاعره وأفعاله وأقواله . وهذا الواقع ينطبق على عدد كبير من الشعراء الأندلسيين ، فقد عاشوا حياة مليئة بالتوتر والقلق والاضطراب ، إذ شهدت حالة من التدافع بينهم ، بهدف الوصول إلى الشهرة والعيش الكريم

بالقرب من السلطة الحاكمة ، وفي عصور الأندلس المختلفة . هذا فضلاً عما شهدته الحياة في الأندلس - وفي عصورها المتعاقبة - من أطماع خارجية كانت تسعى دائماً للانقضاض على بلاد الأندلس ، والسيطرة عليها من جهة ، فضلاً عن الصراع الشديد بين الأندلسيين للوصول إلى السلطة من جهة أخرى ، وقد أنتج ذلك تمرقاً وتفككاً سياسياً في حالات كثيرة ، انعكس سلباً على أبناء المجتمع ، فكان مدعاة لتفشي انفعال الغضب عند بعض الشعراء الأندلسيين ، سواء كانوا ضمن منظومة السلطة أو خارجها . فيما كان لبعض القضايا الاجتماعية أثر في بروز انفعال الغضب مثل (الشيخوخة ، والعوز ، والصراع بين الشعراء ، وتداعيات العشق) وغيرها .

وبعد الاطلاع على عدد من تجارب الشعراء الأندلسيين ، وما شهدته من حالات انفعالية غاضبة ، فقد تم تقسيم البحث على تمهيد ومبحثين ، إذ سيكون التمهيد مقتصرًا على دراسة مفهوم الغضب لغة واصطلاحاً ، وبيان إيجابياته وسلبياته . أمّا المبحث الأول ، فميدان عمله البحث في تجليات الغضب في الشعر الأندلسي بفعل المثيرات السياسية ، فيما سيكون المبحث الثاني مختصاً بدراسة المثيرات الاجتماعية.

وقد تركّزت جهود البحث في اختيار نماذج شعرية متنوّعة ، بعضها طغى عليها طابع الحجاج ، الأمر الذي جعلها تقترب من التعبير المباشر ، فغاب عنها البعد الإيحائي بجوانبه الفنية المختلفة . فيما حرصنا في النماذج الأخرى أن تكون مشتملة على التصوير الجمالي ، لا سيما ما يتعلّق بتوظيف وسائل التعبير الفنية (الاستعارة والتشبيه والرمز) ، بوصفها أدوات إيحائية يلجأ إليها الشعراء كثيراً ، للتعبير عن مكونات أنفسهم ، فهي أقدر على إيصال مشاعرهم وأحاسيسهم . إذ إنّها تحقّق غايات دلالية وجمالية تعمل على الارتقاء بالقيمة الفنية للنصوص الشعرية ، وجعلها أكثر فاعلية وقدرة على شد انتباه المتلقي ، ومنحه لذة القراءة والتأويل . وسيقوم البحث بدراسة الأبعاد الإيحائية في الصور الفنية التي تدور حول تجسيد غضب بعض الشعراء الأندلسيين . فيما استعان البحث في بعض المواضع بدور السياق ، من أجل الكشف عن الأبعاد النفسية التي أسهمت في ولادة عدد من النصوص الإبداعية ، فما يتم ذكره من أحداث ترافق شاعراً ما في بعض الحالات ، أضاء الكثير من الجوانب التي أعانت الباحث على الوصول إلى أعماق عدد من الشعراء الأندلسيين ، ومعرفة المؤثرات الخارجية التي أسهمت في تفجير انفعال الغضب لديهم ، الأمر الذي انعكس على عملية فهم النص المنتج.

التمهيد / مفهوم الغضب

تحدثت معاجم اللغة عن الغضب ، فذكر الفراهيدي في معجم العين ((رجل غَضُوبٌ وَغَضِبَ وَغُضِبَ وَغُضِبَ أَي كَثِيرَ الْغَضَبِ شَدِيدِهِ . وَنَاقَةُ غَضُوبٌ : غَبُوسٌ))⁽¹⁾. وذكر ابن منظور أَنَّ ((الْغَضَبُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ شَيْءٌ يُدَاخِلُ قُلُوبَهُمْ ، وَمِنْهُ مَحْمُودٌ وَمَذْمُومٌ ، فَاَلْمَذْمُومُ مَا كَانَ فِي غَيْرِ الْحَقِّ ، وَالْمَحْمُودُ مَا كَانَ فِي جَانِبِ الدِّينِ وَالْحَقِّ ، وَأَمَّا غَضَبُ اللَّهِ فَهُوَ إِنْكَارُهُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ فَيُعَاقِبُهُ))⁽²⁾. وبذلك فإنَّ الغضب في المفهوم اللغوي يعني أَنَّهُ سلوك انفعالي تظهر ملامحه ، ويمكن ملاحظتها على جسد الإنسان والحيوان وأدائهما ، وهو يرتبط بالجانب النفسي كثيراً . وقد ميَّزت معاجم اللغة بين غضب الخالق جلَّ وعلا ، وبين غضب مخلوقاته ، فغضب الله لا يكون الا حينما يعصيه العبد ، لذلك يكون غضبه لحكمة ترتبط بصلاح الإنسان ، وتقويم سلوكه ، وإبعاده عن المعصية . أمَّا فيما يتعلَّق بغضب الإنسان ، فقد حدَّدت معاجم اللغة نوعين من الغضب ، جعلت بعضه محموداً حينما يأتي في نصرة الدين والحق ، وبعضه الآخر يكون مذموماً ، حينما يحصل بفعل أشياء لا علاقة لها بالحق والصواب .

أمَّا تعريف الغضب اصطلاحاً ، فقد ذكر الدارسون والباحثون في الشأن النفسي تعريفات متعددة ، إلا أنَّها تكاد تكون متشابهة في وصف حالة الغضب ومثيراته ، فهو ((استجابة انفعالية حادة ، تثيرها مواقف التهديد أو العدوان أو القمع أو الإحباط أو خيبة الأمل))⁽³⁾. وهذه الاستجابة تحدث كثيراً حينما يتعرَّض الإنسان لموقف عدائي ، إذ ((تصاحب العديد من مواقف الحياة اليومية والتي من شأنها كف أحد نشاطاته ، أو منع أحد أو بعض دوافعه من الإرضاء ، أو شعور الإنسان بأنَّه غُتِبَ أو ظُلِمَ أو تعرَّض للهوان))⁽⁴⁾. والغضب نوع من الكراهية أو النفور والاشتمزاز ، يكنُّه الفرد ضد من اقترف عملاً سيئاً بحقه ، أو حاول أن ينزل الضرر به بصورة مقصودة . وبما أنَّ الغضب مبني على فعل يصيب الفرد في الصميم ، فإنَّه ينتج لديه الرغبة في الانتقام في أحيان كثيرة⁽⁵⁾. ويرى عدد من علماء النفس أنَّ الغضب يترك آثاراً سلبية على أداء الفرد وتفكيره حينما يغضب ، فيعوقه عن مواصلة التفكير بشكل سليم ، ويؤثر على ممارسة النقد الحصيف ، وفحص الأمور والتدقيق فيها ، الأمر الذي لا يعينه على إصدار أحكام دقيقة ومناسبة⁽⁶⁾. وعلى الرغم من ذلك فإنَّ بعض الباحثين في الشأن النفسي وجد في الغضب فوائد إيجابية ، وعدَّه انفعالاً طبيعياً لا بد منه ، إذ لولاه لبقينا في حالة من السكون وعدم الحركة ، فهو قوة خير إذا تم توظيفه بالاتجاه الصحيح ، فالتنفيس عن الغضب أمر مطلوب ، يساعد المرء على التخفيف من وطأة الاستثارة الانفعالية التي تسببها حالات الإحباط ، وإعاقة الأهداف ، ويعينه على الانتصار على

تردده ، والتغلب على العقبات التي تقف حائلاً بينه وبين تحقيق أهدافه⁽⁷⁾. لذلك فالغضب طاقة فعّالة قد تدفع المرء إلى استعادة حقوقه المستلبة ، وتصحيح المسار الخاطئ الذي يحاول الآخرون إجباره على الرضوخ له ، فهو وسيلة من وسائل الردع ، فضلاً عن كونه سبيلاً للتفريغ عن الهموم المتراكمة ، والتسرية عن النفس ، وتخليصها من الأوجاع والآلام ، وآثارها الضاغطة .

الاشتغال التطبيقي

مما لا شك فيه أنّ ظاهرة الغضب حاضرة في أزمنة وأمكنة مختلفة ، إلا أنّها قد تكون بدرجات متفاوتة صعوداً ونزولاً بين الشعوب ، وهذا الأمر رهن بمدى عدالة النظام السياسي ، وقدرته على توفير أسباب العيش الكريم بنسب متساوية بين أفراد الشعب الواحد ، بعيداً عن الظلم والتهميش والإقصاء ، فضلاً عن فاعلية منظومة القيم الأخلاقية في المجتمع ، ودورها في بناء الفرد على أسس صحيحة ، وجعله عنصراً نافعاً يعي دوره ، ويفهم حقوقه وواجباته ، فيمارس نشاطاته الحياتية بثقة عالية ، بعيداً عن الشعور بالنقص ؛ لأنّ خلاف ذلك يسود الغضب ، وتزداد ضراوته ، وهو ما كان يحدث في أغلب العصور القديمة ، التي شهدت صراعات وحروباً دامية ، وطمعاً متعمداً كانت تمارسه أغلب السلطات على نطاق واسع تجاه أبناء المجتمع عامة ، والمنافسين والخصوم بصورة خاصة ، إذ إنّ كثيراً من الأنظمة التي مارست السلطة قديماً جعلت همها إشباع رغباتها ، وتلبية طموحات القائمين عليها . والملاحظ أنّ بلاد الأندلس لم تكن بمنأى عن ذلك ، إذ لم تهدأ فيها الأوضاع طويلاً ، فقد كانت تعج بالتنافس السياسي ، وما أنتجه من صراعات وانقسامات حادة ، فضلاً عن الأطماع الخارجية التي كانت تسعى إلى إنهاء الوجود العربي الإسلامي في أوقات مختلفة من تاريخ الأندلس ، زد على ذلك طبيعة المجتمع الأندلسي ، وتعدد أجناسه وقومياته وأديانه وتوجهاته ، الأمر الذي ولّد حالة من الاضطراب والتفكك المجتمعي في بعض الحالات . هذا فضلاً عن بعض القضايا المرتبطة بشاعر دون آخر ، التي لها بواعثها وآثارها الخاصة. كل ذلك كان سبباً في شيوع ظاهرة الغضب ، وهو ما سيقف عنده البحث في ميدانه الإجرائي .

المبحث الأول / المثيرات السياسية

يرتبط نشاط السلطة في العصور القديمة - وفي أحيان كثيرة - بالعنف والاستبداد وقمع الحريات ، فلا شيء يهم الحاكم سوى الهيمنة ، والتمتع بمغانم السلطة ، والعمل على دوامها ، لذلك كانت عملية الوصول إلى السلطة همّاً يراود الكثير من الطامحين على مر العصور ، بغض النظر عن الوسيلة المتبعة لتحقيق هذا الغرض ، وهذا الأمر لم يكن شيئاً يسيراً ، بل دائماً ما كان مليئاً بالصراعات والنزاعات ،

وحافلاً بالأحقاد والضغائن ، نظراً لكثرة المنافسين والخصوم الذين يعملون على مزاحمة القائمين على السلطة ، ويسعون إلى انتزاعها بمختلف الوسائل والأساليب المشروعة وغير المشروعة . وفي ظل هذه الأجواء المشحونة تصبح حالة الغضب شيئاً مألوفاً وشائعاً على أداء أصحاب السلطة تارة ، والمعارضين لها والساعين للحصول عليها تارة أخرى ، أو من يطاله عقابها .

وهناك مواقف كثيرة في بلاد الأندلس تكشف عن غضب السلطة وانزعاجها من بعض الممارسات التي لا تنسجم مع أفكارها ومصالحها ، حتى أنَّ بعض الأفراد ما أن يصل إلى مبتغاه يبدأ بالتنكر لمن أعانه على إتمام مهمته ، وينسب كل شيء لنفسه بلغة متعالية ، وفي بعض الأحيان يقوم بتصفية مساعديه ، أو إبعادهم عن مركز القرار والسلطة ، إذ ((كانت السلطة السياسية في الماضي تختلف باختلاف أشخاص الحكام ، فهم يجسّدون هذه السلطة ويمارسونها على أنّها امتياز شخصي ، يكتسبونه بفضل مواهبهم أو أشخاصهم))⁽⁸⁾. لذلك يشعر كثير من القائمين على شؤون الحكم بالضيق حينما يسمعون أنّ أحداً يتباهى بفضله عليهم ، أو يحاول التقليل من شأنهم ، الأمر الذي يثير غضبهم فينعكس أثره على خطابهم ، الذي غالباً ما يأتي مشحوناً بالتوتر ، فيكون صدى لانفعالاتهم ومشاعرهم الغاضبة . ومن ذلك ما حدث مع الأمير عبد الرحمن الداخل ، فتذكر الروايات ((ولمّا استقامت له الدولة بلغه عن بعض من أعانه أنّه قال : لولا أنا ما توصّل لهذا الملك ، ولكان منه أبعد من العيوق ، وأنّ آخر قال : سعه أعانه لا عقله وتدييره ، فحرّكه ذلك إلى أن قال :

لا يلف ممتنّ علينا قائل	لولا ما ملك الأنام الداخل
سعدى وحزمي والمهند والقنا	ومقادير بلغت وحال حائل
إنّ الملوك مع الزمان كواكب	نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم أن لا يغفلوا	أبروم تدبير البرية غافل
ويقول قوم سعدّه لا عقله	خير السعادة ما حماها العاقل
أبني أمية قد جبرنا صدعكم	بالغرب رغماً والسعود قبائل
ما دام من نسلي إمام قائم	فالملك فيكم ثابت متواصل ⁽⁹⁾

لقد صدر خطاب الأمير عبد الرحمن عن ذات غاضبة ، أثارها كلام الآخرين ، وأشعل بداخلها نار الغضب ، لذلك لم يتأخّر كثيراً في الرد على افتراءاتهم ، وتفنيد ادّعاءاتهم ، وإبطال ما يعتقدون به على

حد قوله ، إذ وجد في كلامهم انتقاصاً من قدراته ، وتغيباً مقصوداً لتضحياته ، وتهميشاً واضحاً لدوره ، وجهوده العظيمة في بسط نفوذه على بلاد الأندلس ، وإقامة الحكم الأموي فيها ، بعد أن قضى على الفتن والمؤامرات والصراعات الداخلية ، ودفع الأخطار والتهديدات الخارجية ، وكل هذا لم يحصل لولا ذكائه وحنكته وتدبيره وشجاعته وحزمه في معالجة الأمور ، والتعامل مع مختلف الأحداث السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية ، وليس للآخرين المنتقدين ، أو السعد وحسن الطالع فضل فيما حققه الأمير من إنجازات . فهو لم يكن شخصاً مغموراً وأنته السلطة على حين غفلة كما حاول بعض مناوئيه ترسيخه في الأذهان ، بل أعلن أنه كان يحمل مشروعاً سياسياً كبيراً ، يتمثل بإعادة أجداد بني أمية التي طمسها العباسيون في المشرق ، والعمل على إحيائها في الأندلس ، وهذا المهمة كانت مستحيلة ، وربما محض أوهام ، إلا أن الأمير الأموي المهارب من بطش العباسيين ، قد نهض بالأمر على أحسن وجه ، وحقّق آماله وطموحاته ، وجعلها حقيقة ماثلة للعيان .

ويبدو أن ما مرّت به الأندلس من أحداث ، وما شهدته من فتن واضطرابات وصراعات داخلية ، بفعل الرغبة التي كانت تراود الكثير للوصول إلى السلطة ، والأخطار الخارجية التي كانت تسعى إلى تغيير الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي والديني ، وفي عصور الأندلس المختلفة ، كل ذلك ألقى بظلاله على الحياة الاجتماعية والسياسية ، فما أن تمر مدّة زمنية ينعم بها أهل الأندلس بالرخاء والهناء ، حتى يسمعون طبول الحرب تُقرع هنا وهناك ، الأمر الذي جعل المستقبل مجهولاً في أوقات كثيرة ، ويحمل الولايات والنكبات والكوارث ، التي تركت الأسى والحزن يُخيّم على أبناء المجتمع في حالات كثيرة . وفي ظل تلك الظروف الخائفة لجأ بعض الماسكين بالسلطة إلى البحث عن وسائل تعيد إليهم الأمل ، وتشعرهم بالأمان ، ومن ذلك اللجوء إلى (التنجيم) ، بحثاً عن التنبؤ بالمستقبل ومعرفة ما يُخبئ لهم القدر من أحداث ، الأمر الذي جعل من التنجيم سوقاً رائجة ، فزاد الاهتمام بالمنجمين ، حتى أصبحت تنبؤاتهم الفيصل في الكثير من المواقف ، لا سيما في دخول المعارك ، وكشف الخطر الذي يهدّد السلطة ، من أجل الاستعداد له ، وأخذ الحيلة والحذر ، مثلما حدث مع ملك إشبيلية المعتمد بن عباد ، فقد كان يستعين كثيراً بمنجّمه أبي بكر الخولاني ، وهنا تذكر الأخبار ((حينما كانت جيوش المسلمين بالأندلس ، مع حليفهم يوسف بن تاشفين تستعد لخوض معركة الزلاقة ، أمر المعتمد منجّمه أبا بكر بن يحيى الخولاني بأخذ طالع الوقت والنظر فيه ، فوجده أوفق طالع ، فكتب المعتمد إلى يوسف بهذه الأبيات :

غَزَوْ عَلَيْكَ مَبَارَكُ فِي طَيْهِ الْفَتْحِ الْقَرِيبُ
لِلَّهِ سَيْفُكَ إِنَّهُ سُخِطَ عَلَى دِينِ الصَّلِيبِ
لَا بَدَّ مِنْ يَوْمٍ يَكُونُ نُنْ لَهُ أَخْ يَوْمَ الْقَلِيبِ⁽¹⁰⁾

أمّا إذا جاءت الأحداث على خلاف ما يتنبأ به الخولاني ، فإنّ المعتمد لا يتردد في توبيخه ومهاجمته، ومن ذلك حينما دُخل عليه البلد ، فتذكر الروايات أنّ إشبيلية قد هاجمها المرابطون منتصف رجب سنة 484هـ ، فخرج المعتمد لملاقاّتهم ، وظلّت الحال مضطربة بإشبيلية خمسة أيام⁽¹¹⁾. وقد أشار ابن بسّام إلى ذلك بقوله : ((ثم التوت بالمعتمد الحال أياماً يسيرة ، والناس بحضرة إشبيلية قد استولى عليهم الفزع ، وخامرهم الجزع ، يقطعون سبلها سياحة ، ويخوضون نهرها سباحة ، ويترامون من شرفات الأسوار ، ويتولجون مجابي الأقدار ، حرصاً على الحياة ، وحذراً من الوفاة ، فلمّا كان يوم الأحد الموفي عشرين من رجب المؤرخ ، دُخل على المعتمد بعد أن جدّ الفريقان في القتال ، واجتهدت الفئتان في النزال ، وفي أثناء تلك الحال ، وما كان يناجي باله من البلبال ، خاطب أبا بكر المنجم الخولاني بهذه الأبيات :

أَرَمِدْتَ أَمْ بِنُجُومِكَ الرَّمْدُ؟ قَدْ عَادَ ضِدّاً كُلُّ مَا تَعُدُّ
هَلْ فِي حَسَابِكَ مَا تُؤْمَلُهُ أَمْ قَدْ تَصَرَّمَ عِنْدَكَ الْأَمْدُ
قَدْ كُنْتَ تَهْمُسُ إِذْ تُخَاطِبُنِي وَتَخْطُ كَرَهَا إِنْ عَصْتِكَ يَدُ
فَالآنَ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ أَثْرَاكَ غَيَّبَ شَخْصَكَ الْبَلْدُ
وَتَرَاكَ بِالْعِذْرَاءِ فِي عُرْسٍ أَمْ إِذْ كَذَبْتَ سَطَا بِكَ الْأَسَدُ
الْمُلْكُ لَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ وَالْمَوْتُ لَا يَبْقَى لَهُ أَحَدٌ⁽¹²⁾

وهنا ألقت الأجواء السياسية المضطربة بظلالها القاتمة على المعتمد بن عباد ، وأخذ يشعر بقرب زوال ملكه ، فانعكس ذلك على قراراته وتصرفاته ، فبدأ مضطرباً منهياراً ، وقد كان الغضب السمة الغالبة على خطابه الموجه نحو منجمه الخولاني ، الذي كان مقرباً منه ، فيستمع إليه كثيراً ، ويأخذ بآرائه وتوجيهاته ، إلا أنّه لم يسلم من سخطه وتوبيخه ، إذ انحال عليه بالتعريض والتجريح ، بلغة انفعالية غاضبة غلب عليها طابع الازدراء والسخرية ، وحملت معها أصداء حالته النفسية المتأزمة ، التي لم يعد بإمكانه إخفاء آثارها ، فعمل على الاستهزاء بمنجمه ، والانتقاص من معرفته بعلم النجوم ؛ لأنّه لم يتنبأ

بالواقع المرير الذي كان يداهم إشبيلية ومدن أخرى في بلاد الأندلس ، ولم يستطع إضفاء حالة من الأمل والنصر على المرابطين ، تشعر المعتمد بالاطمئنان النفسي ، مثلما كان يفعل في مواقف سابقة ، إذ كان ما يتنبأ به يشكّل مصدر أمنه وسعادته . لذلك بدأ خطابه الانفعالي باستفهام مجازي هدفه توبيخ أبي بكر الخولاني ؛ لأنّه عجز عن إنقاذ سلطته من الانهيار ، ولم يكن سبباً في بقائها ، فكان الاستفهام وسيلة أسلوبية وركيزة أساسية في بناء الخطاب الشعري ، بوصفه أسلوباً تعبيرياً ((يتضمّن طرح الأسئلة والتساؤلات ، فيأخذ بلب المتلقي ، ليلفت نظره لما سيأتي من كلام))⁽¹³⁾. لذلك لجأ المرسل إلى بث شجونه عبر الاستفهام في أكثر من موضع ، بهدف تجسيد تجربته الشعورية ، عبر البوح بمومه وهواجسه ، وخوفه من المستقبل المجهول الذي كان ينتظره بعد أن ضاقت به الأرض بما رحبت . فضلاً عن ذلك فقد اعتمد على وسيلة أخرى هي التكرار ، إذ كرّر دال الرمد في موضعين : (رمدت ، والرمد) ، محاولاً عبر هذا التكرار أن ((يبلور موقفه وحالته التي يعيشها))⁽¹⁴⁾ ، ويؤكد مدى انزعاجه من ضعف قدرات منجمه في صنع أجواء إيجابية تخرجه من مأزقه المؤلم ، بعد أن خرجت الأمور من يده ، ولم يعد قادراً على مواصلة الحكم ، وإنقاذه من الضياع . وفي البيت الأخير كرّر الشاعر (لا يبقى ، وأحد) ، ليكشف عن انفعاله الشديد في ضرورة الإذعان لمعطيات الواقع التي لم تترك له أي مجال للخلاص .

وقد شهدت بلاد الأندلس - وفي مختلف عصورها المتعاقبة - صراعاً محموماً بين الشعراء أنفسهم ، طمعاً في الحصول على المكاسب ، ونيل المغنم عبر العمل في دوائر السلطة الحاكمة ، فكان التنافس السمة الغالبة على علاقة الشعراء بعضهم ببعض ، وأمثلة ذلك كثيرة ، ومن ذلك ما جرى مع الشاعر ابن زيدون إذ انتهب حسّاده ومنافسيه فرصة موت المعتضد بن عبّاد ، وانتقال الملك إلى ابنه المعتمد ، فنسبوا بيتين من الشعر في هجاء المعتضد ، وقاموا بدفع رقعة حرّضوا فيها المعتمد على قتل ابن زيدون ، وكانت الرقعة تحمل أبيات كثيرة منها :

((يا أيُّها الملكُ العليُّ الأعظمُ	إقطعُ ويردي كُـلَّ باغٍ ينأمُ
واحسمُ بسيفك داءَ كلِّ مُنافِقٍ	يُبدي الجميلَ وضدَّ ذلكَ يكتُمُ
لا تتركُنْ للناسِ موضعَ شُبْهَةٍ	واحزمُ فمثلك في العظامِ يحزُمُ
قد قالَ شاعرٌ كِنْدَةَ فيما مضى	بيتاً على مرِّ الليالي يُعلَمُ
لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى	حتّى يُراقَ على جوانبيه الدَّمُ

فلما سمعها المعتمد ، عرف الغرض الذي إليه قصد ، ووقع على ظهر الرقعة ، بهذه القطعة ، وهي من جيد نظامه ، وحر كلامه :

كذبت مناكم صرخوا أو جمجموا	الدين أمتن والمروءة أكرم
خنتم وزمتم أن أخون وإنما	حاولتم أن يستخف يلملم
وأردتم تضيق صدر لم يضق	والسمر في ثغر الصدور تحطم
وزحفتكم بمحالكم لمجرر	ما زال يثبت في المجال فيهم
أنى رجوتم غدر من جرتكم	منه الوفاء وجور من لا يظلم
أنا ذاكم لا البغي يثمر غرسه	عندي ولا مبنى الصنعة يثلم
كفوا وإلا فارقبوا لي بطشة	يلقى السفية بمثلها فيحللم ⁽¹⁵⁾

وهنا اتخذ المعتمد بن عباد من التوقيع وسيلة ، لإبراز حنكته في إدارة الدولة ، وتدير الأمور السياسية، فقد جاء انعكاساً للغضب الذي كان يمر بداخله ، فعمد إلى إبراز حزمه في مواجهة المؤامرات والمكائد التي حاول بعض الشعراء إيهامه بها ، لدواعٍ وغايات شخصية . فالمتآمرون على الشاعر ابن زيدون حشدوا في خطابهم التحريضي مجموعة من الإجراءات اللغوية الدالة على التعبئة ، وشحنوه بالحماسة والعنف ، من أجل أن يكون أشد أثراً وتحفيزاً للمتلقي / المعتمد ، ودفعه إلى تحقيق مآربهم بالانتقام منه ، وتجريده من موقعه في السلطة الحاكمة . إلا أن المعتمد أثبت درايته بالدسائس التي تُحاك ، لذلك سعى إلى إفهام من يسعى إلى فرض إرادته عليه ، أو يحاول تغيير قناعاته بمدى قدرته وبقظته وفطنته الكافية ، التي تعينه على عدم الانجرار خلف المكائد ، وتجعله يضع الأمور في نصابها الصحيح ، بعيداً عن العواطف والمؤثرات الأخرى . وما يثير الانتباه في خطاب المعتمد أنه - وفي ظل تنامي حالة الغضب لديه - قد وظف التعبير الانزياحي ، حينما شبه البغي بالزرع ، بهدف تشكيل صورة إيجابية تجسّد إصراره على تأكيد نفيه القاطع للقبول بأي محاولة يمكن لها أن تعمل على نشوء الظلم بداخله ، مهما كانت الدوافع والغايات والتأثيرات الخارجية . فيما اختار في الصورة الاستعارية الأخرى (ولا مبنى الصنعة يثلم) أن يؤكد استحالة أن ينال أحد من عزيمته ، فيدفعه إلى اتخاذ موقف معين بناء على رغبات الآخرين ومصالحهم الذاتية ، فهو أعرف بمن أساء أو أحسن إليه . وقد ختم خطابه الانفعالي

بلهجة غاضبة اشتملت على التهديد الصريح ، معلناً عن توجُّهه باستخدام القوة والعنف إذا لم يكف الآخرون عن محاولاتهم الرامية إلى إقحامه في تصفية حسابات خاصة .
ولعلَّ من أشد الأشياء مرارة على الإنسان السجن ، فهو مقبرة الأحياء التي تبعدهم عن مسرح الأحداث ، لذلك يكون مبعث الألم والحسرة ، والأمر يكون أشد ضراوة على المبدعين ، نظراً لما يتمتعون به من رقة في المشاعر والأحاسيس ، فضلاً عن دورهم الكبير والمؤثر في الحياة بمختلف جوانبها السياسية والاجتماعية والثقافية ، فما بالك بمن يقدم خدمات كبيرة للدولة ، ويتم إلقاؤه في السجن ، فلا شك يكون أثر ذلك مضاعفاً ، وهو ما حدث مع الشاعر ابن زيدون ، بفعل الصراعات والتنافس بينه وبين الآخرين ، الأمر الذي قاد ابن جهور إلى سجنه ، وهو الذي كان يعمل في خدمته ، وقام بمدحه كثيراً ، لكن ذلك لم يشفع له ، وانتهى به الأمر إلى السجن ، ذلك المكان الذي لم يطق العيش فيه ، فخرجت آهاته وانفعالاته الغاضبة ، ردّاً على ما لحقه من أذى وتعسف ، الأمر الذي أثار غضبه واستياءه من هذا الإجراء التعسفي ، فكتب بيتين من الشعر وجهَّهما إلى ابن جهور ، تضمَّنَا موقفه الغاضب ، قال فيهما:

بني جهور! أحرقتُم بجفائِكُم جناني ولكنَّ المدائحَ تعبقُ
تعدُّونني كالعنبرِ الوردِ إنّما تطيبُ لكم أنفاسُهُ حين يُحرقُ!⁽¹⁶⁾

وهنا عمل ابن زيدون على تذكير بني جهور بدوره ، وما قدَّمه من خدمات لهم ، فخاطبهم بطريقة انفعالية ، تضمَّنت استنكاره لما لمس من إعراض وجفاء ، إذ أنكر عليهم أن يكون فعلهم هذا جزاء لمودته لهم ، وقد صوَّر هذا الموقف تصويراً إيحائياً عبر التعبير المجازي بوسائل متعددة بقوله : (أحرقتُم بجفائِكُم جناني) ، إذ اتَّخذ من التنافر الإسنادي سبيلاً فنياً ، عبر استعارة الحرق للقلب ، للتعبير عن سعة حزنه ولوعته ، وما تركه ذلك من أثر عميق على حالته النفسية ، التي بدت مشاعرها مشحونة بالوجع والأسى ، فهم أحرقوا قلبه بإعراضهم عنه ، متناسين مدائحه لهم ، وما كانت تتضمَّن من طيب الشاء ، فكان وقع ذلك كبيراً عليه ، إذ أشعره بالصدمة والحزن ، ووُلد لديه حالة من الوجع والامتعاض الشديد ، كشف عنها حينما خاطب بني جهور بأنهم بفعلهم هذا قد أساءوا إليه رغم حاجتهم إلى مدحه وثنائه ، مشبِّهاً مدائحه بالمنديل الذي قاموا بإحراقه ليتنعموا برائحته الفوَّاحة . وبذلك فإنَّ القهر من أكثر الأشياء تأثيراً على حياة الإنسان ، الذي يبقى ينتظر الفرصة المناسبة للثأر ورد الاعتبار لذاته التي لحقها الأذى وطالها الألم ، فيلجأ في بعض الأحيان إلى سلوك طريق المقاومة والمواجهة بمختلف الوسائل المتاحة ، إذ إنَّ

((الإنسان المقهور متربص دوماً للمتسلط كي ينال منه ، كلما استطاع وبالأسلوب الذي تسمح به الظروف))⁽¹⁷⁾. لذلك اتخذ ابن زيدون من الشعر وسيلة فاعلة في مواجهة القمع الذي تعرض له على يد أبي حزم بن جهور ، فقام بنظم نص شعري آخر جاء انعكاساً لحالته النفسية التي استولى عليها الغضب ، إذ يقول :

قُلْ لِلزَّيْبِرِ وَقَدْ قَطَعْتُ بِمَدْحِهِ	زَمَنِي فَكَانَ السَّجْنُ مِنْهُ تَوَابِي
لَا تَخْشَ فِي حَقِّي بِمَا أَمْضَيْتُهُ	مَنْ ذَاكَ فِيَّ وَلَا تَوْقَ عَتَابِي
لَمْ تُخْطِ فِي أَمْرِي الصَّوَابَ مُوَفَّقًا	هَذَا جَزَاءُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ! ⁽¹⁸⁾

وهناك مواقف كثيرة تفرض على المرء حالة من التوتر والانفعال ، لا سيما حين لا يحصل على مراده ، بفعل تقاعس الآخر عن أداء ما مطلوب منه ، وعدم شعوره بالمسؤولية المناطة به . فيلجأ الإنسان المتحضر أو المثقف إلى وسائل غير مباشرة للتعبير عن غضبه ، إذ يستعيز عن أسلوب الرد العنيف بأسلوب مهذب كالسخرية ، أو الإيماء ، أو النكتة ، أو الابتسامة ، أو هجوه أو مقاضاته ، بهدف استصغار المغضوب عليه⁽¹⁹⁾. ومن ذلك الموقف الذي واجهه الشاعر ابن عبد ربّه الأندلسي ، إذ يقول :

((سألت بعض موالي السلطان إطلاق محبوس فتلكاً ، فقلت :

حاشا لمثلِكَ أن يُفْلِكَ أسيرا	أو أن يكونَ من الزَّمانِ مُعجِرا
لَبَسْتُ قِوافي الشَّعْرِ فَيْكَ مَدَارِعًا	سوداً وصَلَّتْ أَوْجُهاً وَصُدُورا
هَلَا عَطَفْتَ بِرَحْمَةٍ لَمَّا دَعَعْتُ	وَيْلًا عَلَيْكَ مَدَانِحِي وَثُبُورا
لو أَنَّ لُؤْمَكَ عَادَ جُودًا عُشْرُهُ	ما كَانَ عِنْدَكَ حَاتِمٌ مذكُورا ⁽²⁰⁾

وهنا تبدو نزعة الغضب واضحة على خطاب الشاعر ، الذي جاء بناء على موقف شعر معه بالخيبة والإحباط ، لعدم قدرة الشخص المقصود بالخطاب على تلبية طلبه بإطلاق سراح أحد السجناء ، الأمر الذي أغضب الشاعر ، فعمد إلى إفراغ ما يجيش بداخله من انفعالات ، وسبكها في نص شعري ، يتسع لمشاعره الناقمة التي أخذت بالتزاحم ، ولم يعد بمقدوره كبتها ، واحتواء هيجانها ، لذلك لم يتأخر كثيراً في إطلاقها ، لتأخذ طريقها إلى المتلقي ، فيكون ذلك عملاً إشهارياً يرمي إلى تعريف الآخرين بحقيقة من عجز عن أن يكون على قدر المسؤولية ، فسارع إلى الإيغال كثيراً في هجائه وازدراؤه ، عبر صياغة شعرية جاءت محمّلة بدلالات الاستهجان والنقمة والاحتقار ، فاتخذ من إيحائية الصورة الاستعارية وسيلة فنية

تهدف إلى تقبيح صورة من خذله ، ولم يعمل على إرضائه ، حينما شبّه قصائده بالإنسان وقد لبس مدارعاً سوداً ، وقام بالصلاة ، وفي ذلك إشارة إلى رغبة الشاعر في استصغار الآخر / المهجو وإهانته ، جاعلاً من إيجاءات اللون الأسود علامة على سعة غضبه وانزعاجه ، فعمل على الإفادة من دلالاته الرمزية التي تشير إلى ((الحزن والألم والموت))⁽²¹⁾، في تعضيد دلالات الصورة الاستعارية ، وتأكيد الجانب الإيحائي فيها ، لكي تصبح أكثر تأثيراً ، وأشد وقعاً على المتلقي ، انطلاقاً من أن ((التعبير بالألوان كثيراً ما يكون وسيلة من وسائل التعبير الرمزي ، لما لها من إيجاءات خاصة))⁽²²⁾، تعمل على منح النص المنتج تكثيفاً دلالياً ، وفاعلية تعبيرية تترجم حالة الضيق النفسي الذي أصاب الشاعر ، الأمر الذي يؤكد أن توظيف اللون داخل الصورة الشعرية لم يكن شيئاً اعتباطياً ، ويخلو من المقاصد والدلالات، بل إن ((اختيار اللون داخل في إطار الرؤية التي ينطلق منها الشاعر))⁽²³⁾، ونابع من تجربته الشعورية ، فيعمل المبدع على إضفاء البعد النفسي على نصه عبر اللون الذي يختاره ، وكيفية مزجه مع عناصر النص الأخرى . وقد عزز الشاعر صورة الاحتقار هذه بصورة استعارية أخرى تمثلت بقوله : (دعت وياً عليك مدائحي وثورا) ، مُشبّهاً أشعاره المدحية بالإنسان حينما منحها فعل الدعاء ، الذي هو عمل عبادي يرتبط بنشاطات الإنسان ، وذلك تلبية لرغبته الجاحجة نحو تأكيد معانيه المجاثية الساخرة، وما تصوير قصائده في صورة الداعي بالويل والثبور إلا دليل على تصاعد حالة الغضب ، وهيمنتها على خيال الشاعر ، فعكسها في أدائه الشعري .

المبحث الثاني / المثيرات الاجتماعية

مما لا شك فيه أن الإنسان يواجه في حياته تحولات كثيرة ، سواء على مستوى الجسد ، وانتقاله من مرحلة عمرية إلى أخرى ، أو على مستوى العمل والمعيشة وغيرها ، فيتعرّض في بعض الأحيان لضغوط متنوّعة تثير بداخله الحزن والألم ، فتتم ملاحظتها في لحظات انفعاله وغضبه . والشاعر يستطيع تصوير ذلك عبر آليات الشعر وأدواته الفنية ، لذلك فإنّ هناك عوامل اجتماعية كثيرة أسهمت في دفع عدد من الشعراء الأندلسيين إلى البوح بغضبهم ، فكان لها أثر بيّن في كيفية صياغة خطابهم الشعري ، ومن تلك الدوافع (الشيب) ، بوصفه باعثاً من بواعث إثارة الانفعالات ، إذ غالباً ما يؤدّي إلى فقدان حالة التوازن النفسي ، فيعمل على تأدية دور كبير في خروج المشاعر عن الضبط ، إذ إنّ مرحلة الشيخوخة ترتبط ((بسأم الشاعر من الحياة ، وهي أعق حالات اليأس ، وفيه تكشف الذات الشاعرة عن رغبة ضعيفة في الاستمرار والبقاء ، لضياح الآمال وتبددها ، واشتداد الأزمات ، ومعاكسة الظروف))⁽²⁴⁾،

وغياب الاحساس بالجمال ، فتتوَلَّد لديه حالة من الحزن والألم ، يحاول التعبير عنها بدم الشيب ، والتملُّم من رؤيته . وقد كانت الشيخوخة من أكثر الأشياء التي تثير اشمئزاز الشاعر يحيى بن حكم الغزال ، لا سيما حينما يرتبط الأمر بالجانب الغزلي ، وقد دافع عن موقفه هذا في أكثر من موضع ، فما أن يكون في موقف غرامي حتى تنهال مشاعره التي تنبعث بقوة ، فنراه يقول في أحد المواقف :

قَالَتْ أُحِبُّكَ قُلْتُ كَاذِبَةٌ غُرِّيَ بذا من ليس ينتقد
هذا كلامٌ لستُ أَقبَلُهُ الشَّيْخُ ليس يُحِبُّهُ أَحَدٌ⁽²⁵⁾

لقد أيقن الشاعر أنَّ تقدُّم العمر من أشد الأشياء التي تُؤزِّقه في حياته ، إذ أصابه بشيء من القلق والاضطراب والتأزُّم النفسي ، وهو العالم بضعفه وعجزه وخوار قواه ، فأخذ يشعر بالإذلال في علاقته العاطفية مع النساء ، ويرى أنَّها عديمة الجدوى والفائدة ، انطلاقاً من أنَّ الطاعن في السن يعلم أنَّه قد غادر عصر القدرة والقوة ، فقد فقد مركزته وشموخه ، وتعرَّضت سلطته للزوال ، فتحوَّل من أمر إلى مأمور ، ومن مُهيمن إلى مُهيمن عليه ، وليس أمامه سوى الخضوع لمن هو دونه . لذلك فإنَّ الخطاط مكانته يعود إلى الضعف الذي طرأ عليه في كبره⁽²⁶⁾. الأمر الذي دفع الشاعر إلى إبداء رأيه من دون إبطاء ، وأعلن عن رفضه للعرض الغزلي الذي قُدِّم له من إحدى النساء ، عبر المحاورة التي دارت بينهما ، فكان حازماً في الدفاع عن أفكاره ورؤاه بأسلوب غاضب ، وملئ بالحسرة والندم على ضياع أيام النضارة والشباب . وقد تجلَّى غضبه بقوله : (قَالَتْ أُحِبُّكَ قُلْتُ كَاذِبَةٌ) ، إذ إنَّ قيامه بنعت المرأة التي أباحت له عن مشاعرها بالكاذبة ينبئ عن حالة انفعالية ضاغطة كان يعيشها الشاعر ، أنتجت شعوراً غاضباً جاء نابعاً من ذات غلب عليها التأزُّم النفسي ، بعد أن عبثت بها الشيخوخة ، فأفقدتها الاستمتاع بالجمال الأنثوي ، وأحالتها إلى ذات محطَّمة ، غلبت عليها حالة التشظي ، والشعور بالعدمية والزوال .

ويبدو أنَّ العوز من أكثر الأشياء مرارة على الشعراء ، فقد اضطر عدد من الشعراء الأندلسيين إلى العمل في مهن لم تكن تتلاءم مع طموحاتهم ، ولم تف بمطالبات الحياة ، فسبَّب لهم ذلك حالة من النكد والقلق والتشاؤم ، وإحساس بالغربة ، ومن أبرز أولئك الشعراء ابن صارة الشنتري ، وقد ذكر ابن بسَّام صورة من معاناته بقوله : ((فلَمَّا كان من خلع الملوك ما كان ، أوى إلى إشبيلية أوحش حالاً من الليل ، وأكثر انفراداً من سهيل ، وتبلَّغ بالوراقة وله منها جانب ، وبها بصر ثاقب ، فانتحلها على كساد سوقها ، وخلو طريقها ، وفيها يقول :

أما الوراقة فهي أكلة حرفة
شبهت صاحبها بصاحب إبرة
أوراقها وثماؤها الحرمان
تكسو العراة وجسمها عريان⁽²⁷⁾

لقد أصبح النص الشعري مرآة عكست ما يعانيه الشاعر من آلام الفقر وشظف العيش ، بفعل كساد عمله ، وعدم قدرته على تلبية رغباته ومتطلبات حياته ، فضاقت ذراعاً ، ولم يعد يحتمل بقاء هذا الواقع المؤلم ، لذلك لم يتوان في إظهار تدمره وسخطه ، فأطلق العنان لمشاعره الناقمة لتوثيق معاناته عبر الاستعانة بموهبته الشعرية ، فعمل على بث شحنات من غضبه التي تجلّت في ذم مهنة الوراقة ، فوصفها بأنها من أسوأ المهن ، التي لا تدر على صاحبها شيئاً سوى الفاقة والحرمان . وقد عبّر الشاعر عن انفعاله وألمه عبر التعبير الإيحائي ، فلجأ إلى التصوير البياني ، انطلاقاً من أنّ الصورة ((أداة أساسية من أدوات الشاعر في تشكيل رؤيته الشعرية تشكيلاً فنياً ، والإيحاء بالأبعاد المختلفة لهذه الرؤية))⁽²⁸⁾ . فاستعان بالصورة الاستعارية ، حينما شبه حرفته بالشجرة ، وأتى بصورة استعارية أخرى حين جعل لأوراق الشجرة وثمارها الحرمان ، فجاء المعنى مكثفاً أغنى عن التفصيل ، ليدخل المتلقي في بؤرة معاناته ، وهذا ما قصده الشاعر ؛ لأنّ الصورة كلما كانت أكثر ارتباطاً بالشعور المسيطر على المبدع ، أصبحت أقوى صدقاً ، وأعلى فناً ، وأوسع تأثيراً⁽²⁹⁾ ، الأمر الذي أسهم في إضفاء الفاعلية على النص الشعري ، ومنحه طاقة دلالية جعلته مكثراً بالحزن واللوعة ، ممّا أسهم في تجسيد مشاعر الشاعر وأحاسيسه . وبما ((أنّ الصور في داخل العمل الفني ماهي إلا تجسيد للتجربة أو للحظة الشعورية التي يعانيها الفنان))⁽³⁰⁾ ، فقد لجأ الشاعر إلى الصورة التشبيهية لتجسيد موقفه الشعوري عندما شبه من يعمل بالوراقة بصاحب الإبرة ، وشبه بؤس العمل في الوراقة بالإبرة ، حين تكون مهمتها إكساء العراة ، لكنّها تبقى دائماً في حالة التعرّي ، كذلك الوراقة تسهم في تثقيف الناس ، إلّا أنّها تجلب لصاحبها العوز والحرمان .

ومن الجدير بالذكر أنّ أي توتر عدواني ينتج عن الإحباط يولّد حالة من القسوة ، تتناسب شدّتها مع درجة الإحباط ، وتزداد حدّتها مع تنامي عناصره⁽³¹⁾ ، لذلك تلجأ الذات المحبطة إلى العنف ، بوصفه وسيلة ردع تتيح لها الإفلات من مأزقها ، ومن خطر الاندثار الداخلي الذي يتضمّن هذا المأزق ، فيعمل على إعادة شيء من الاعتبار المفقود إلى الذات ، وفي أحيان كثيرة يكون العنف لغة التخاطب الأخيرة الممكنة في التعامل مع الآخرين ، لا سيما حين يشعر المرء بالعجز عن إيصال صوته عبر وسائل الحوار الطبيعي معهم ، وحين تترسّخ لديه القناعة التامة بالفشل في إقناعهم بقيمته ودوره⁽³²⁾ ، ولا فرق في ذلك بين استخدام أدوات السلاح ، وبين توظيف لغة التهديد التي تحمل في دلالاتها معاني العنف . وهو

الأسلوب الذي لجأ إليه الشاعر ابن زيدون ، إذ كتب قصيدة طويلة إلى أبي عامر بن عبدوس منافسه في حب ولادة ، ضمّنها عتبه وتحذيره ، مذكراً إياه بدوره ، فكانت مليئة بمعاني العنف والتهديد ، إذ يقول :

أَثَرْتُ هَزِيرَ الشَّرَى إِذْ رَضُ	وَنَبَّهْتُهُ إِذْ هَدَا فَاغْتَمَضُ
وَمَا زِلْتُ تَبْسُطُ مُسْتَرْسِلًا	إِلَيْهِ يَدَ الْبَغْيِ لَمَّا انْقَبَضُ
حَذَارٍ حَذَارٍ فَإِنَّ الْكَرِيمَ	إِذَا سِيَمَ حَسَفًا أَبَى فَاغْتَمَضُ
فَإِنَّ سَكُونَ الشَّجَاعِ النَّهْوسِ	لَيْسَ بِمَانِعِهِ أَنْ يَعْرِضُ
وَإِنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تُسْتَزَلُّ	وَإِنَّ الْمَقَادِيرَ لَا تُعْتَرَضُ
إِذَا رِيغَ فَلْيَقْتَصِدْ مُسْرِفٌ	مَسَاعٍ يُقَصِّرُ عَنْهَا الْحَفْضُ
وَهَلْ وَارِدُ الْغَمْرِ مِنْ عِدَّةٍ	يُقَاسُ بِهِ مُسْتَشِفُّ الْبَرَضُ؟
إِذَا الشَّمْسُ قَابَلَتْهَا أَرْمَدًا	فَحَظُّ جُفُونِكَ فِي أَنْ تُغَضُ
أَرَى كُلَّ مُجَرٍّ أَبَا عَامِرٍ	يُسَرُّ إِذَا فِي خِلَاءٍ رَكُضُ
أُعِيدُكَ مِنْ أَنْ تَرَى مِنْزَعِي	إِذَا وَتَرِي بِالْمَنَايَا انْقَبَضُ
فَإِنِّي أَلِيْنُ لِمَنْ لَانَ لِي	وَأَتْرُكُ مَنْ رَامَ قَسْرِي حَرَضُ
وَكَمْ حَرَكَ الْعِجْبُ مِنْ حَائِنٍ	فَغَادَرْتُهُ مَا بِهِ مِنْ حَبَضُ ⁽³³⁾

لقد كشف النص عن استياء ابن زيدون ، وتحامله على ابن عبدوس ، فكان الوعاء الذي امتص غضبه ، واتسع لتصوير خوالج نفسه وآهاته ، فانطلق بحزم وقوة نحو تجسيد حالته الشعورية ، التي اجتاحتها الغضب ، فأخذ على عاتقه استعراض قدراته وقوته في محاولة لكبح جماح ابن عبدوس ، وتحجيم نشاطه وحركته ، بعد أن شعر بخطره ، وهو ينافسه في حب ولادة ، لذلك كان خطابه صدى لحالة الصراع والتنافس التي نشبت بينهما ، وقد عكست لغة التهديد التي تحدّث بها ابن زيدون حقيقة ذلك الصراع ، فكان يمر بحالة من الغليان العاطفي التي نشبت بداخله ، فظهرت جلياً في النص عبر إيراد ألفاظ التهديد والترهيب والتخويف ، لذلك قد يلجأ الإنسان إلى أسلوب العنف ((للتعبير عن شعوه بالإحباط الذي يعانيه ، أو لتفريغ شحنات التوتر والانفعال عنده))⁽³⁴⁾. ويتجلى ذلك في طريقة اختيار الألفاظ الدالة على العنف ، إذ ابتدأ الشاعر خطابه بقوله : (أثرت هزير الشرى إذ رضى) ، فابن عبدوس قد أثار الأسد وجعله ينهض من مكانه غاضباً كما يذكر ابن زيدون ، الذي أكمل هذه النزعة الحماسية الغاضبة

بقوله : (ونَبَّهته إذ هذا فاغتمض) ، لذلك ما على ابن عبدوس إلا أن يتلقى نتائج أفعاله ، ويتهياً لملاقاة صولة الأسد الذي لم يعد رابضاً في عرينه ، وقد خرج عن صمته ليذيق من أراد به السوء الويل ، ولم يتوقف عن تماديه ، وقد مدَّ يد الظلم لمن هو ساكن في مكانه . بعد ذلك أفصح الشاعر عن شدة غضبه ، ودخل في أجواء البوح بمكنونات نفسه عبر أسلوب التحذير ، فكرر لفظة (حذار) في خطابه التحذيري ، من أجل إبلاغ منافسه أنَّ كريم النفس لا يمكن له أن يحتمل الإهانة من الآخرين ، وإذا ما تعرَّض لها انتفض وغضب غضباً شديداً . محذراً خصمه من أنَّ هدوء الشجاع لا يدوم طويلاً ، إذ بإمكانه عض من يحاول الاعتداء عليه ، وفعل (العض) يعد تعبيراً رمزياً يحمل رسالة تحذيرية غاضبة ، تستبطن نزعة التهديد والعنف .

وبناء على ذلك فإنَّ السياق العاطفي هو من يحدّد درجة الانفعال قوة وضعفاً ، إذ يتم اختيار الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية ، حينما يكون الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال ، ومثال ذلك أنَّ المتكلم الذي يكون في حالة من الشعور الجامح يغالي كثيراً في توظيف كلمات معيّنة لا يقصد معناها الحقيقي ، وإنما يحمّلها ما يعتوره من اندفاع وغضب . فيأتي بألفاظ مقصودة تحمل دلالات (القتل والذبح والاحتقار الشديد) ، من دون أن يقصد دلالتها الموضوعية ، إذ لا يعدو ذلك كونه مبالغة في التعبير عن حالته العاطفية ، وتكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية⁽³⁵⁾، لذلك عمد ابن زيدون في هجومه اللاذع على خصمه إلى إفراغ ما يحيش بداخله من مشاعر النقمة ، عبر توظيف لغة شعرية مليئة بالدلالات الرمزية ، تمثّلت بـ (هزير الشرى ، والشجاع النهوس ، والكواكب ، والمقادير ، والشمس) التي تؤكد رغبة الشاعر في تأكيد دلالات القوة التي يتمتع بها . وفي المقابل نجد هناك دلالات رمزية متعدّدة عمد الشاعر إلى إلصاقها بخصمه ، للإيحاء بضعفه وعدم قدرته على مواجهته ، تجلّت في توظيف رمزية (الجمل الصغير)، الذي يشير به إلى ابن عبدوس ، بهدف رسم صورة بائسة تشير إلى تأكيد دلالات عدم قدرة خصمه على مواجهته. وفي السياق نفسه قام بتحذيره من ممارسة المكر والخداع ، فدعاه إلى أن يقتصد ولا يبالغ كثيراً في ذلك ؛ لأنَّه غير قادر على تحمل تبعات أفعاله. ووظّف في صورة أخرى من قصيدته تعبيراً رمزياً آخر تمثّل بـ (رمد الجفون)، وقد تضمّن نزوع الشاعر نحو التهديد والتحذير، وهو يخاطب منافسه ليخبره أنَّ من في عينيه الرمد لا يمكنه مواجهة الشمس ، التي رمز بها إلى قوّته وشجاعته وقدرته على التعامل مع من يريد الإساءة إليه .

ومن الأشياء التي لا بد من ذكرها ، هو أنَّ للعشق ناراً مستعرة لا تخمد جذوتها ، ولا يخفت لهيبها ، إلا في لحظات اللقاء والتواصل . لكن في ظل أجواء البعد والفراق ، وحينما يحدث أمر ما يكدر صفو العلاقة بين العاشقين ، سواء بفعل الحساد والوشاة ، أو عندما تصدر إساءة ما من أحد العاشقين تجاه الآخر ، فإنَّها تزداد ضراوة ، ويشتد أوار الحزن والألم ، وتزداد حدَّة الغضب ، التي ينعكس أثرها على أداء الإنسان ، وتظهر ملامحها جليَّة في خطابه ، فيكون ترجمة للمشاعر الغاضبة التي تنتابه ، وهو ما حدث مع الشاعرة ولادة ، فتذكر الروايات ((كانت لها جارية سوداء بديعة المعنى ، فظهر لولادة أنَّ ابن زيدون مال إليها ، فكتبت إليه :

لو كنت تنصفُ في الهوى ما بيننا	لم تهو جاريته ولم تنخِرْ
وتركتَ غصناً مثمراً بجمالِهِ	وجنحتَ للغصنِ الذي لم يثمرْ
ولقد علمتَ بأنِّي بدرُ السما	لكن ولعتَ لشقوتي بالمشتري ⁽³⁶⁾

الملاحظ أنَّ ولادة كثيراً ما تلجأ إلى توظيف جسدها ، وجعله العنصر الأساس في خطابها الشعري ، انطلاقاً من أنَّ ((الجسد أحد تمثيلات الذات ، وغياب التعبير عن الجسد إنما يمثل إقصاء لكيونة الذات التي تتخذ الجسد موضوعاً لها لتسكنه ، إقصاء الجسد إنما هو تهميش للذات ، ومسبب لاهتزاز كينونتها ، فالجسد يكتمل بالانفعال والفكر والرغبة واللذة جميعاً ، وبغياب أي عنصر من هذه المكونات يصير الإنسان ناقصاً ، وفي حاجة ملحة إلى تعويض نقصه ، كي ما يقع فريسة الأمراض النفسية والبيولوجية التي هي انعكاس للأمراض وللقلق النفسي))⁽³⁷⁾. ويعتقد بعض الدارسين أنَّ ولادة كانت تبحث عن إثارة الرجال وجذب اهتمامهم ، وابن زيدون أحدهم ، بحثاً عن الشهرة والبروز ، وقد اتخذت من جسدها سبيلاً للوصول إلى المجد الذي تصبو إليه ، فتكون قبلة للعاشقين والمعجبين ، وربما تعتمد إلى ذلك بدافع النرجسية والتعالي . إذ إنَّ الشائع عنها أنَّها تحب نفسها أولاً ، فهي مُتعالية ، وتتصرَّف وكأنَّها أميرة حتى حين تعاتب حبيبها⁽³⁸⁾. لذلك أغاضها إهمال ابن زيدون لها ، وميله لجارتها السوداء ، فأثار ذلك غضبها ، وأشعل بداخلها نار الألم والسخط ، فكتبت نصاً شعرياً يحمل تداعيات موقفها الشعوري ، ويجسّد حالتها النفسية التي هيمنت عليها مشاعر الرفض للواقع الذي حاول فرضه ابن زيدون عليها ، إذ إنَّ ((كتابة النص تأتي من منطلق نفسي في الأساس ، لإقصاء حالة شعورية ، أو لتلبس حالة أخرى ، وكلتا الحالتين تمثل محاولة للتغيير))⁽³⁹⁾. فجاء النص الشعري مليئاً بالتوتر الانفعالي ، إذ كشف عن رؤية غاضبة ساخطة ، فكان الشعر وسيلة الشاعرة للبروح بمشاعرها وأحاسيسها ، وفسح المجال للكشف عن

انفعالاتها الغاضبة ، فهي تعتقد أن لا مقارنة بينها وبين جارتها على وفق مقاييس الجمال التي اعتمدتها الثقافة الفحولية ، فعمدت إلى الانجرار خلف تلك الثقافة ، والركون إلى معطياتها واشتراطاتها ، ف ((الجمال من ضمن طقوس الولوج إلى الجسد الحسي ؛ لأنّ الأنثى إن لم تكن جميلة على وفق مرجعيات الثقافة الفحولية ، تُستبعد من أنساق الثقافة الأدبية ، وتصبح في حاشية دونيتها))⁽⁴⁰⁾. وقد أكّدت ذلك عبر قولها : (وتركت غصناً مثمرًا بجمالهِ) ، وقولها : (ولقد علمت بأنني بدرُ السما) ، فاستعارت من الطبيعة الساحرة (الغصن المثمر) ، و (بدر السماء) ، فشبهت نفسها بهما ، بهدف إثارة الآخر/ ابن زيدون ، ولفت انتباهه ، وتذكيره بجمالها . ولم يقتصر الأمر على التغني بجمالها فحسب ، بل عملت على تأكيد ذلك عبر تفعيل ثنائية (الجمال والقبح) في الجسد الأنثوي ، بغية بيان الفوارق بينها وبين جارتها ، التي جعلتها في الهامش بفعل خلوها من معايير الجمال الأنثوي ، التي ركزت عليها الثقافة الذكورية كثيراً ، وقد عبّرت عن ذلك في معرض تأنيبها لابن زيدون بقولها : (وجنحت للغصن الذي لم يثمر) ، وقولها : (لكن ولعت لشقوتي بالمشتري) ، بما يؤكد مدى غضبها وحزنها ، الأمر الذي قادها إلى البوح بمشاعرها ، وتجسيد انفعالاتها حتى لو كان ذلك على حساب بنات جنسها . وفي مواضع أخرى ، نجد أنّ آليات التعبير الجمالية حاضرة في خيال بعض الشعراء ، فيتم الإفادة من إمكاناتها الإيحائية ، عبر توظيفها في مواطن الصراع بين الشعراء ، لا سيما في المواقف التي يقوم بها بعضهم بالتقليل من شعر شاعر آخر ، والظعن بجودة قصائده ، وهو ما حدث مع الشاعر ابن الحداد الأندلسي ، الذي ناله الأذى من منافسيه ، فردّ عليهم قائلاً :

عَجِبْتُ لِعَمَّازَيْنِ عِلْمِي بِجَهْلِهِمْ	وإنّ قناتي لا تليّن على الغمز
تَجَلَّتْ لَهُمْ آيَاتُ فَهْمِي وَمَنْطَقِي	مُبَيَّنَّةَ الإِعْجَازِ مُلْزَمَةَ الْعَجْزِ
وَلَا حَتَّ لَهُمْ هَمْزِيَّةٌ أَوْ حِدِيَّةٌ	وَوَيْلٌ بِهَا وَيْلٌ لَذِي الْهَمْزِ وَاللَّمْزِ
رَمَوْهَا بِنَقْصٍ بَيَّنَتْ فِيهِ نَقْصَهُمْ	وَمَنْ لَمَسَ الْأَفْعَى شَكَا أَلَمَ النَّكَرِ
وإنّ أنكرت أفهامهم بعض همزها	فقد عرفت أكبادهم صِحَّةَ الْهَمْزِ ⁽⁴¹⁾

يبدو أنّ الشاعر ابن الحداد لم يستطع غض الطرف عن الانتقادات التي وجَّهها بعض الشعراء لقصيدته الهمزية كما ذكر في النص السابق ، فأخذ على عاتقه ردع من تطاول عليها ، ورفض أي محاولة للمساس بها من جهة ، وتسليط الضوء على قيمتها الفنية ، والإشادة بجمالها من جهة أخرى . لذلك

حمل خطابه الشعري حالة من الهيجان والانفعال ، إذ هيمنت على أدائه التعبيري الرغبة الشديدة نحو إزاحة الغبن الذي لحقه من الآخرين ، فأفرغ ما يجيش بداخله بحرقه وغضب ، وقد تجلّى ذلك عبر الأداء الأسلوبى ، والبنى الصياغية التي وظّفها في مقطوعته الشعرية . فابتدأ حالة الانفعال بالرد على منتقديه عبر الإشادة بموهبته الشعرية ، إذ عمل على إظهار تعجبه ممّن حاول الطعن بمنزه الإبداعي ، فغاب عليهم أنّهم لم يكونوا على معرفة تامة به ، ولم يعرفوا جيداً قوته وصلابته ، لذلك وصفهم بالجهل ، بعد أن عجزوا عن فهم قصيدته ، وذلك لبلاغتها التي فاقت مداركهم وتصوراتهم على حد قوله . وعلاوة على ذلك فهم ليس باستطاعتهم صوغ قصائد على غرار قصيدته مهما اجتهدوا وكدوا أذهانهم . وبعد ذلك أخذ خطابه يزداد حدة وتعريضاً عبر التناس مع النص القرآني ، مُتمثلاً بقوله تعالى : ((وَلَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ))⁽⁴²⁾ . والإفادة من فيضه الدلالي ، إذ استقى منه دلالات التهديد والوعيد التي تحملها لفظة (ويل) ، وقام بتوظيفها في نصه الشعري ، بهدف مهاجمة خصومه وتهديدهم ، وذلك لتصديدهم له وهو أرفع منزلة منهم كما يعتقد . والملاحظ في النص الشعري أنّ مستوى غضب الشاعر قد ازداد حينما وظّف رمز الأفعى ، انطلاقاً من أنّ الرمز ((يكون لغرض الإيحاء ، أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة))⁽⁴³⁾ . فقد شبّه الشاعر نفسه بالأفعى التي لا يمكن لمسها ؛ لأنّ ذلك يسبّب ألماً ، وفي ذلك تهديد إيجائي أفرزه التعبير الرمزي ، الذي حمل في مقاصده دعوته لخصومه ألا يتعرّضوا له ، ولا يعتدوا على قصائده ، فذلك سيقودهم إلى الهلاك .

وفي بعض الأحيان قد تُصاب علاقة الود والصفاء بين الشعراء الأصدقاء بنوع من العتاب الغاضب ، وعندئذٍ يتحوّل الخطاب الشعري إلى وسيلة لمهاجمة الآخر ، في محاولة لرد الاعتبار ، وإعادة الحقوق إلى أصحابها ، والأمور إلى مسارها الصحيح ، وهو ما جرى بين الشاعرين صفوان بن إدريس ، وابن مرج الكحل ، إذ كانت تسود بينهما حالة من الوئام ، وقد عبّر عن ذلك في مواقف كثيرة ، ومن ذلك ما قاله صفوان مادحاً له :

وإلا فشعرٌ قد أعارتُهُ عينُها فإنّ ابنَ مرجِ الكحلِ بالسّحرِ نافثُ
أما والذي أعطاهُ في الشّعْرِ غايةً أمانِي ابنِ حُجْرٍ عن مداها روائثُ⁽⁴⁴⁾

فيما أشار في موضع آخر من القصيدة ذاتها إلى عمق أواصر المودة والاحترام التي تربطه بالشاعر ابن مرج الكحل ، ومدى استعداده للدفاع عنه ، إذ يقول :

متى رُميتَ بي نصراً تُجَبِّكُ ثلاثةً لساني وودّي والسّريجيّ ثالثُ⁽⁴⁵⁾

إلا أنَّ هذا الأمر لم يدم طويلاً ، وبدأ الخلاف يدبُّ بينهما فتذكر الروايات أن ((اتفق نسب أبي بحر صفوان بن إدريس مع نسب الشاعر محمد بن إدريس المعروف بابن مرج الكحل في اسم الأب إدريس ، وقد حاول ابن مرج الكحل استغلال هذا الاتفاق ، فعاتبه صفوان بقوله :

يا سارقاً جاء في دعواه بالعجبِ	سامحتهُ في قريضي فادّعى نسبي
يُنمى إلى العرب العرباء مُدّعياً	كذلك دعوتهُ للشعر والأدبِ
يا أيُّها المرجُ دُعٍ للبحر لؤلؤهُ	فالدرُّ للبحر ذي الأمواج والصخبِ
هَبْ أنَّ شعرك شعري حين تسرقهُ	أُنّي أنا أنستَ أو أنّي أبوك أبي ⁽⁴⁶⁾

وهنا لم يستطع صفوان إخفاء غضبه ، فخرج عن صمته ، بعد أن سمع بقيام ابن مرج الكحل بانتحال نسبه ، وقد حدث ذلك عقب موقف رواه ابن الأثير بقوله : ((إنَّ المنصور لما سمع مدح أبي بحر ورتاءه للحسين أراد الإحسان إليه ، وتسبَّب بالرؤيا لثلا يكثر عليه الشعراء ، وادّعى عندها محمد بن إدريس المعروف بابن مرج الكحل أنَّه ذلك لتوافق اسمي أبيهما))⁽⁴⁷⁾. وقد أثار هذا الموقف حفيظة صفوان بن إدريس ، فأنجح حالة من السخط والغضب ، لذلك تحلَّى عن مواقفه السابقة التي كان يشيد بها بشاعرية ابن مرج الكحل ، وقدرته على نظم الشعر ، وتفوّقه في ميدانه وأغراضه المختلفة . فعمد إلى تحشيد طاقته الشعرية ، من أجل البوح بما يجيش بداخله من حرقه قادته إلى مهاجمة من أغضبه ، وقد ركّز على مسألة السرقة ، فابتدأ خطابه بأسلوب تعبيرى غاضب (يا سارقاً) ، بما يعكس مدى الغيظ الذي كان يملأ قلبه ، وأخذ يلح على تفكيره ، حتى انبعث محملاً بالسخط والاستهجان . وقد واصل تحسيد مشاعره الغاضبة عبر وسائل فنية متعدّدة ، تمثّلت بتوظيف التكرار في أكثر من موضع في النص ، فقد كرّر فعل الادّعاء وبصيغ مختلفة هي (دعواه ، فادّعى ، مُدّعياً ، دعوته) ، فضلاً عن ذلك فقد كرّر البحر (للبحر ، للبحر) ، والشعر (شعرك ، شعري) ، و (أنّي ، أنّي) ، والأب (أبوك ، أبي) . والتكرار هنا مثّل وسيلة تعبيرية لها مسوغاتها ودلالاتها وغاياتها المقصودة ، التي تهدف إلى تعرية الآخر / ابن مرج الكحل وتجريدته من النسب العربي الأصيل والإبداع الشعري ، وبيان أنَّ كل ما جاء به من باب السرقة والتعدّي على نتاج الآخرين ، وقام بادّعاء ونسبه لنفسه ، فضلاً عن التأكيد على أنَّ لا مجال للمقارنة بينه وبين ابن مرج الكحل على مستويي النسب والشعر . فيما كان التعبير الرمزي حاضراً في النص ، عبر الإفادة من توظيف الأبعاد الرمزية في الطبيعة ، من ذلك (البحر ، واللؤلؤ ، والدر ، والأمواج

، والصخب) ، وهي تحيل في مغزاها الدلالي إلى علو شأنه ، وتوحي بمكانته الشعرية ، فهو البحر في سعته وقدرته ، أمّا الدر واللؤلؤ ، فهما قصائده في جمالها وبهاؤها ، وهو يخاطب ابن مرج الكحل أن يدع الشعر لأهله ، وفي ذلك صرخة غاضبة أطلقها الشاعر ، من أجل إعادة هيبته التي تم الاعتداء عليها ، والانتقاص منها . وقد تجلّت جماليات الصورة الغاضبة بأبهى صياغة تعبيرية عبر التشكيل الإيحائي ببعده الرمزي (فالدر للبحر ذي الأمواج والصخب) ، وفي ذلك إشارة رمزية قصدها الشاعر للإيحاء بقوّته وقدرته على كبح جماح كل من يحاول ادّعاء نسبه ، أو النيل من شعره .

الخاتمة

وبناء على ما سبق ذكره يتّضح أنّ الغضب يمثّل حالة انفعالية تتاب بعض الشعراء في لحظات معيّنة ، ويأتي ردّاً على مثيرات مختلفة يكون مصدرها - في بعض الحالات - الآخر سواء أكان اجتماعياً (الحساد والوشاة والحبيب) ، أو سياسياً (السلطة الحاكمة تارة ، والمنافسين لها تارة أخرى) . وكل هذه المثيرات تعمل على دفع عدد من الشعراء إلى اتّخاذ موقف معيّن ، يعبرون عبره عن مشاعرهم وأحاسيسهم ، ويكشفون عن كيفية تعاملهم مع تداعيات مواقف الغضب ، فيعملون على بيان ما لحقهم من أذى أو تهميش أو اعتداء ، الأمر الذي ينعكس على طريقة تشكيل خطابهم الشعري ، فيكون في الغالب مليئاً بالتوتر ، ومشحوناً بالانفعالات والمشاعر الغاضبة .

وقد لاحظنا فيما سبق أنّ الشعراء الأندلسيين عبّروا عن غضبهم ، وأطلقوا العنان لمواهبهم الشعرية لتقوم بتجسيد مواقفهم الشعورية ، فكانت الأجواء السياسية ، وما أفرزته من اضطراب في بعض الأوقات ، قد تركت أثراً سلبياً على عدد من الشعراء الذين كانوا على رأس السلطة آنذاك ، ممّا أدّى إلى وقوعهم تحت تأثير حالات انفعالية غاضبة ، كشفت عن انزعاجهم من المنتقدين والمنافسين لهم ، وسخطهم على من سعى إلى إقحامهم في صراعه مع الآخرين ، أو من تهاون في أداء واجبه . فيما سجّل البحث صوراً متعدّدة من قيام بعض القائمين على الشأن السياسي بإغضاب عدد من الشعراء ، وتحت ذرائع مختلفة ، الأمر الذي سبّب لهم شعوراً بالتهميش والظلم ، فعمدوا إلى توثيق تلك المواقف التي مرّوا بها ، وعانوا من آثارها المؤلمة ، وسجّلوا اعتراضهم ورفضهم لما لحق بهم .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، فقد تجلّى الغضب عند مجموعة من الشعراء الأندلسيين نتيجة لوقوعهم تحت تأثير ظروف اجتماعية مختلفة ، كان لها أثر كبير في تجاربهم الشعورية ، ومن ذلك (الشيخوخة ، والعوز ، وما حدث من صراع بين بعض الشعراء ، ونار العشق) وغيرها ، إذ عملت على إثارة انفعالاتهم

، فعمدوا إلى صياغتها في قوالب شعرية ، كانت ترجمة لما يمور بداخلهم من مشاعر وأحاسيس ، اجتهدوا كثيراً في سبيل إيصالها إلى المتلقي المقصود بالخطاب الانفعالي .

الهوامش

- (1) العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي : مادة غضب .
- (2) لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفرقي : مادة غضب .
- (3) سيكولوجية الدافعية والانفعالات ، د. محمد محمود بني يونس : 248 .
- (4) علم النفس الاجتماعي ، محمد شحاتة ربيع : 167 .
- (5) ينظر : انفعالات النفس ، رينه ديكرت ، ترجمة : جورج زيتاني : 117 .
- (6) ينظر : أساسيات علم النفس ، د. فاطمة عبد الرحيم النوايسة : 273 .
- (7) ينظر : الغضب أسبابه - أضراره - الوقاية - العلاج ، د. سناء محمد سليمان : 78 .
- (8) الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي ، د. إمام عبد الفتاح إمام : 17 .
- (9) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، تحقيق : د. إحسان عباس : 3 / 42 - 43 .
- (10) ديوان المعتمد بن عبّاد ملك إشبيلية ، جمعه وحققه: د. حامد عبد المجيد ، د. أحمد أحمد بدوي : 53 .
- (11) ينظر : هامش ديوان المعتمد بن عبّاد ملك إشبيلية : 87 .
- (12) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني ، تحقيق : د. إحسان عباس : ق 2 / ج 1 / 56 . والأبيات في ديوان المعتمد بن عبّاد ملك إشبيلية : 87 .
- (13) الجّاهات المديح في شعر إبراهيم بن سهل الإشبيلي الأندلسي - دراسة موضوعية وفنية ، د. عدنان جاسم محمد الجميلي : 167 .
- (14) التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية ، د. موسى ربابعة ، بحث منشور : 174 .
- (15) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ق 2 / ج 1 / 51 - 52 . وينظر : ديوان المعتمد بن عبّاد : 66 - 67 .
- (16) ديوان ابن زيدون ، شرح : د. يوسف فرحات : 196 .
- (17) التخلف الاجتماعي - مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، د. مصطفى حجازي : 44 .
- (18) ديوان ابن زيدون : 49 .
- (19) ينظر : أصول علم النفس ، د. أحمد عزت راجح : 82 - 83 .
- (20) ديوان ابن عبد ربه ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية : 80 .
- (21) اللغة واللون ، د. أحمد مختار عمر : 186 .

- (22) الألوان ودلالاتها السياسية والاجتماعية والنفسية ، محمد بن عبد الله بن آية ، أطروحة دكتوراه : 209 .
- (23) تشكيل الخطاب الشعري - دراسات في الشعر الجاهلي ، د. موسى رابعة : 47 .
- (24) الأمل واليأس في الشعر الجاهلي ، د. كريم حسن اللامي : 111 .
- (25) ديوان يحيى بن حكم الغزال ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية : 45 .
- (26) ينظر : الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية ، آمل قرامي : 906 .
- (27) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ق 2 / ج 2 / 835 . والأبيات في كتاب ابن صارة الأندلسي حياته وشعره ، تأليف : د. مصطفى عوض الكريم : 63 .
- (28) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد : 91 .
- (29) ينظر : النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال : 420 .
- (30) دراسات في النقد الأدبي المعاصر ، د. محمد زكي العشماوي : 300 .
- (31) ينظر : التخلف الاجتماعي - مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور : 190 .
- (32) ينظر : م.ن : 165 .
- (33) ديوان ابن زيدون : 47 - 48 .
- (34) العنف الأسري دراسة منهجية في المسببات والنتائج والحلول ، د. عبد الله أحمد اليوسف : 21 .
- (35) ينظر : المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب ، فاطمة الشبيدي : 36 .
- (36) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : 4 / 205 .
- (37) الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيو ثقافية ، د. هويدا صالح : 231 .
- (38) ينظر : دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، حرَّر بعضها وترجم بعضها الآخر : د. الطاهر أحمد مكي : 88 .
- (39) المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب : 199 .
- (40) الأنساق الثقافية في شعر الفقهاء (247 - 656 هـ) ، زينب علي حسين الموسوي ، أطروحة دكتوراه : 24 .
- (41) ديوان ابن الحداد الأندلسي ، تحقيق : د. يوسف علي طويل : 223 - 224 .
- (42) سورة الهمة : آية 1 .
- (43) السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية ، د. المهدي إبراهيم الغويل : 116 .
- (44) ديوان صفوان بن إدريس المرسى ، جمع وتحقيق : د. أحمد حاجم الربيعي : 100 .
- (45) م.ن : 101 .
- (46) م.ن : 93 .
- (47) تحفة القادم ، لأبي عبد الله محمد بن الأتبار القضاعي البلنسي ، أعاد بناءه وعلّق عليه : د. إحسان عباس : 1 / 219 .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن صارة الأندلسي حياته وشعره ، تأليف : د. مصطفى عوض الكريم ، مطبعة مصر (السودان) ليمتد ، (د.ط) ، (د.ت) .
- أنجاءات المديح في شعر إبراهيم بن سهل الإشبيلي الأندلسي - دراسة موضوعية وفنية ، د. عدنان جاسم محمد الجميلي ، دار العصماء ، دمشق - سورية ، ط1 ، 2012م .
- الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية ، آمال قرامي، دار المدار الإسلامي، ط1 ، 2007م .
- أساسيات علم النفس ، د. فاطمة عبد الرحيم النوايسة ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، (د.ط) ، 2015م .
- أصول علم النفس ، د. أحمد عزت راجح ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ط7 ، 1968م .
- الألوان ودلالاتها السياسية والاجتماعية والنفسية ، محمد بن عبد الله بن آية ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب - الجامعة المستنصرية ، 1995م .
- الأمل واليأس في الشعر الجاهلي ، د. كريم حسن اللامي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 2008م .
- الأنساق الثقافية في شعر الفقهاء (247 - 656 هـ) ، زينب علي حسين الموسوي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة القادسية - كلية الآداب ، 2017م .
- انفعالات النفس ، رينه ديكرارت ، ترجمة : جورج زيتاني ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1993م .
- تحفة القادام ، لأبي عبد الله محمد بن الأتار القضاعي البلسي ، أعاد بناءه وعلّق عليه : د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1986م .
- التخلف الاجتماعي - مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، د. مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - المغرب ، ط9 ، 2005م .
- تشكيل الخطاب الشعري - دراسات في الشعر الجاهلي ، د. موسى رابعة ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ط1 ، 2011م .
- التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية ، د. موسى رابعة ، بحث منشور ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، مجلد5 ، عدد1 ، 1990م .
- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، حرّر بعضها وترجم بعضها الآخر : د. الطاهر أحمد مكّي ، دار المعارف ، ط3 ، 1987م .
- دراسات في النقد الأدبي المعاصر ، د. محمد زكي العشماوي ، دار الشروق - القاهرة ، ط1 ، 1994م .

- ديوان ابن الحداد الأندلسي ، تحقيق : د. يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 1990م .
- ديوان ابن زيدون ، شرح : د. يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط 2 ، 1994م .
- ديوان ابن عبد ربه ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط 1 ، 1979م .
- ديوان صفوان بن إدريس المرسي ، جمع وتحقيق : د. أحمد حاجم الربيعي ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ط 1 ، 2018م .
- ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية ، جمعه وحققه : د. حامد عبد المجيد ، د. أحمد أحمد بدوي ، راجعه : طه حسين ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ط 3 ، 2000م .
- ديوان يحيى بن حكم الغزال ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 1993م .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بشام الشنتريني ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، (د.ط) ، 1997م .
- السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية ، د. المهدي إبراهيم الغويل ، أكاديمية الفكر الجماهيري - ليبيا ، (د.ط) ، 2011م .
- سيكولوجية الدافعية والانفعالات ، د. محمد محمود بني يونس ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان - الأردن ، ط 1 ، 2007م .
- الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي ، د. إمام عبد الفتاح إمام ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ، 183 ، مارس - 1994م .
- علم النفس الاجتماعي ، محمد شحاتة ربيع ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ط 1 ، 2011م .
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ط 4 ، 1423هـ - 2002م .
- العنف الأسري دراسة منهجية في المسببات والنتائج والحلول ، د. عبد الله أحمد اليوسف ، دار المحجة البيضاء ، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 2010م .
- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 2003م .
- الغضب أسبابه - أضراره - الوقاية - العلاج ، د. سناء محمد سليمان ، سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع ، 13 ، القاهرة - عالم الكتب ، 2007م .
- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفيقي ، دار صادر - بيروت ، ط 3 ، 1414هـ .
- اللغة واللون ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتاب للنشر والتوزيع - القاهرة ، ط 2 ، 1997م .

- المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب ، فاطمة الشيدي ، دار نينوى للطباعة والنشر - دمشق ، (د.ط) ، 2011م .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ، (د.ط) ، 1968م .
- النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، نخبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ط) ، 1997م .
- الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيو ثقافية ، د. هويدا صالح ، رؤية للنشر والتوزيع - القاهرة ، ط 2 ، 2015م .

الساباطات ودورها الاجتماعي والأمني بقصور الحكام العثمانيين

بمدينتي الجزائر وقسنطينة

د.مكي حياة

أستاذة محاضرة

بجامعة زيان عاشور بالجلفة الجزائر

cham.hayet@gmail.com

ملخص :

نشأت ظاهرة الساباطات كاستجابة للعوامل الاجتماعية والأمنية في المدينة الإسلامية، حيث تقام على الأزقة والدروب والشوارع. لم يشمل تطور الساباطات التخطيط ومواد البناء بل تعدى إلى تنوع الوظائف فبعدما كان الساباط لربط الأحياء بالشوارع، ولحماية الحكام العثمانيين يؤكد ذلك ما تشتمل عليه من هذه الغرف من عدة مستويات من النوافذ بعضها مفتوح بمستوى أرضية الغرفة، إضافة إلى ما سبق ذكره فقد كان الساباط يؤدي وظيفة حماية حكام الدولة العثمانية بالجزائر حيث اتجه الحكام إلى إقامة الساباطات التي تربط قصورهم بقاعة العرش، كما وجدت مقاعد لتقوم بوظيفة أمنية حيث أن حارس الحي يقوم بالجلوس عليها، إضافة إلى الزخرفة المعمارية والمتمثلة في العقود والأعمدة والتيجان والدعامات والخنيات والبروزات المعمارية وعناصر أخرى وجدت داخل وخارج الساباط وهي عناصر الإنارة والتهوية الطبيعية بظهور مناوئ سماوية وفتحات على الجدران ومدى الاستفادة من ميازيب صرف المياه لإبعاد الضرر عن المارة وإزالة خطر السيول على الساباط.

الكلمات الدالة : السقيفة , الساباط , الجائر العادي , القبو .

D. Hayat Mekki

Zian Achour University - Djelfa -

Title: Archways and Their Social and Security Role in the Palaces of the Ottoman Rulers in Algiers and Constantine

Abstract:

The phenomenon of the archways arose in response to the social and security factors of the Islamic city, as they are built on alleys, paths and streets. The development of the archways did not exclusively include planning and building materials, but rather a diversity of functions. The archway was not limited to connecting neighborhoods to streets, but also protecting the Ottoman rulers, as confirmed by such rooms including several levels of windows, some of which are open to the floor.

In addition to the above, the archway fulfilled the function of protecting the rulers of the Ottoman Empire in Algeria. The rulers tended to

establish the archways, connecting their palaces to the throne room, and there were also seats for the warden, having a security function.

In addition to the architectural decoration, represented by arches, columns, crowns, pillars, arches and architectural projections, other elements found inside and outside the archway, such as the lighting and natural ventilation elements, with the emergence of skylights and openings in the walls, and water drainage gutters which are used to ward off damage from passers-by and eliminate the risk of flooding suffered by the archway.

Keywords : shed , archway , ordinary beam , vault.

1 4 - مدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

كان لظهور العثمانيين بالجزائر دور فعال في إنقاذ البلاد من احتلال إسباني ، لذا قبل السكان بالانطواء تحت لواء الخلافة العثمانية بإسطنبول بعد أن استنجدوا بالأخوين عروج وخير الدين⁽¹⁾، فرابطة الدين هي الدافع الرئيسي لهذا الانطواء ، خاصة أن الصراع آنذاك كان قائما بين المسلمين و الصليبيين ، فقد بدل العثمانيون جهودا تحفظ لهم في التاريخ من اجل حماية الجزائر من التهديدات الاستعمارية طوال ثلاث قرون⁽²⁾، فتعتبر الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر الحديث فترة مهمة ، فهي بغض النظر عن المدة الزمنية التي إستغرقتها و التي تزيد عن ثلاثة قرون (1516 - 1833م)، إلا أنها قسمت إلى عدة مراحل⁽³⁾ بدايتها كانت عند قدوم عروج إلى الجزائر بعد استنجد أهالي البلاد به لطرد الأسبان، و من حسن حظهم انه في الوقت الذي طلبوا فيه النجدة من عروج و صلته إعمانات و إمدادات عسكرية ضخمة من السلطان سليم العثماني تتمثل في أربعة عشر سفينة حربية محملة بالمقاتلين و أسلحة و ذخائر و تجهيزات حربية متنوعة⁽⁴⁾.

فدخل العثمانيون مدينة الجزائر في مطلع القرن السادس عشر للميلاد و هي فترة حرجة كان مسلموا الجزائر منقسمين إلى أحزاب و شيع، و الخطر الإسباني الذي كان يهددهم من جهة أخرى، حيث لبي عروج نداء الأهالي و وصل البلاد أواسط سنة 1516م إلى المدينة عن طريق البحر مع أول شحنة عثمانية تدخل الجزائر، حيث كانت المدينة تحت حكم سالم التومي المنحدر من قبيلة الثعالبة، ثم لحقه أخوه خير الدين رفقة 280 عثمانيا، بمعدات حربية حديثة و سفن أخرى تحت قيادة أخيها إسحاق⁽⁵⁾، فاستقبلهما الأهالي و أعيان البلاد، و بقيا في ضيافتهم عشرين (20) يوما لدرس الخطة التي تمكنهما من الهجوم على العدو، و بعد أن حددا وقت الهجوم توجهوا إلى القلعة و استولوا عليها،

و أخذنا جميع ما بها من مراكب و قتلا جميع الجنود الأسبان و بعدها اختلفا مع حاكم الجزائر أدى إلى قتله⁽⁶⁾، و قيل أن عروج خنقه في حمام داره ثم نصب نفسه ملكا على الجزائر، و أعلن توليه الحكم، و لم يلق معارضة من جانب الأهالي.⁽⁷⁾

و أصبحت الجزائر عاصمة المغرب الأوسط عام (1518م) تحت قيادة "عروج" و أخوه "خير الدين" و الذي انضوت الجزائر في عهده تحت لواء الدولة العثمانية و هكذا أصبحت الجزائر تمثل الإمبراطورية العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط⁽⁸⁾ مقابل ضريبة معينة تدفعها سنويا إلى الباب العالي في إسطنبول، فازدهرت المدينة في فترة ازدهار الدولة العثمانية، و ضعفت المدينة بضعف الإمبراطورية العثمانية.⁽⁹⁾

و بعد أن استقر عروج بمدينة الجزائر بايعه أهلها أميرا على الجهاد، فاتفق المسيحيون على القضاء عليه، فعزمت إسبانيا الهجوم على المدينة، لكن انتصر الجيش العثماني، ما أدى إلى توسيع رقعة الدولة و إنهاء عصر الفتن و الاضطراب⁽¹⁰⁾، فكان العثمانيون يمثلون الجيش و السلطة المركزية أما الجزائريين فيجمعون الضرائب.⁽¹¹⁾

1 2 - مدينة قسنطينة في العهد العثماني:

يصعب علينا أن نحدد بالضبط تاريخ فتح مدينة قسنطينة من طرف العثمانيين، فلقد حدد فايستات (Vayssette) تاريخ دخول العثمانيين إلى المدينة عام (923هـ/1517م)⁽¹²⁾، و لكن يحتمل أن هذا الحدث وقع بعدما فتح خير الدين مدينة تونس نحو سنة (1538م)، و دخلت المدينة ابتداء من هذا التاريخ في مرحلة جديدة و أصبحت لا تخضع لتونس و بحماية و إنما تخضع للجزائر⁽¹³⁾، و من المحقق تاريخيا أن العثمانيين تمكنوا من المدينة اثر حادثة وادي القطن (بين ميلة و قسنطينة) حيث دخلها أترك بونة و تونس سنة (962هـ/1555م) و الحال أنهم تواجدوا بها منذ سنة (941هـ/1535م) و لكننا لا نعلم كيفية هذا الدخول⁽¹⁴⁾، فقد كان هناك اختلاف بين المؤرخين في تحديد تاريخ دخول العثمانيين لمدينة قسنطينة و طريقة استقرارهم، و لازالت هذه النقطة غامضة إلى اليوم، و لقد قسمت الجزائر إلى: بايلك الغرب و بايلك الوسط و بايلك التيطري و بايلك الشرق (بايلك قسنطينة) و هو أول تقسيم عرفته الجزائر، و كانت حدود بايلك الشرق من الشمال البحر ابتداء من طبرقة و تمتد إلى الجنوب عبر تبسة حتى واحات وادي سوف، و من الغرب جبال البيان و قرى بني منصور، و سفوح جبال جرجرة الشرقية و الجنوبية إلى برج حمزة و من الجنوب الصحراء الكبرى⁽¹⁵⁾، و يعد هذا البايك أهم البايكات

و أوسعها، و قسم إداريا إلى أربعة أقسام على كل منها حاكم مستقل عن الآخر و يخضع مباشرة للباي بمدينة قسنطينة و الذي كان نائبا عن الباشاوات بمدينة الجزائر و يحمل لقب الباي⁽¹⁶⁾، و كان للباي سلطة مدنية و عسكرية واسعة و ذلك مقابل دفع ضريبة اسمها (الدنوش) تدفع مرتين في السنة⁽¹⁷⁾، و لقد مر على حكم بايلك قسنطينة عدة بايات خلال فترة حكم العثمانيين فيه، و على حد قول العنترى انه في بداية تقسيم بايلك قسنطينة لم يتم تعيين حاكم عليها لمدة سنتين و أول حاكم هو المدعو رمضان تشو لاق باي (1567-1574م)⁽¹⁸⁾ إلا أن الأستاذ بورويبة يشير إلى أن أول حاكم على بالمدينة هو حسن آغا، و جاء من بعده رمضان باي تشو لاق حاكما على الناحية الشرقية⁽¹⁹⁾، و لقد اعتمدنا على العنترى رغم أنه لم يكن دقيقا في التواريخ، لكنه كان ملما بجميع الأحداث و تسلسلها.

أولا - إشكالية مفهوم ظاهرة الساباطات:

1 - تعريف الساباط:

مما لا شك فيه أن المدينة الإسلامية كانت عبر التاريخ تشترك في عدة ملامح ميزتها عن غيرها من المدن الأخرى بالإضافة للوظائف المتعددة التي كانت تؤديها، متحكما في ذلك الدين الإسلامي لضبط خصوصية الفرد المسلم⁽²⁰⁾، و الساباط يشكل ظاهرة من ظواهر المدينة الإسلامية، لكن ما تعني هذه التسمية وما هو مفهومها؟.

1 4 - لغويا:

جاء في لسان العرب المحيط⁽²¹⁾ ومختار الصحاح⁽²²⁾ و محيط المحيط⁽²³⁾ و معجم البلدان⁽²⁴⁾

الساباط: سقيفة بين حائطين، وفي المحكم: بين دارين، وزاد غيره: من تحتها طريق نافذ، جمع سوابيط و ساباطات، فعل الكلمة سبط.

2 - وظيفة الساباطات:

إن النتائج النهائي لعوامل البيئة المؤثرة على الناحية العمرانية التقليدية، كان نتيجة تفاعل بين ثوابت كالشريعة الإسلامية، والمناخ، وبين متغيرات كالحالة الاقتصادية و التجارية، كما أن هناك عوامل اجتماعية قد تصاحب ظهور عناصر معمارية أخرى تؤدي وظائف معينة، ففي القرى مثلا يجتمع النساء عند مصادر المياه كالآبار.⁽²⁵⁾

كما تؤدي الساباطات وظيفة تجارية باحتوائها على حوانيت ودكاكين⁽²⁶⁾، فانتشار الحوانيت الصغيرة بأروقة المداخل، حيث كانت هاته الحوانيت تطل على الشوارع، ولكل منها واجهة، ولها مصراعان

يستخدم العلوي للصناعة و السفلي عادة لعرض البضائع، ويمتد الحانوت إلى الداخل، والجدير بالذكر أن التجار و الحرفيين كانوا لا يقطنون في دكاكينهم فقد كانت تغلق وتحرس ليلا، وكانت الدروب تقطعها الأزقة التي تغلق عادة بأبواب متينة عند الغروب، وكانت مداخل المنازل الخاصة تتقابل في هذه الأزقة، وعادة ما كان الشارع مغطى بالخشب و الذي يعرف بالسقيفة أو الساباط.⁽²⁷⁾

كذلك بالإضافة إلى وظيفة الساباطات بالأحياء، فقد أدت وظيفة وحدة الجوار في العمارة الإسلامية، لفكرة ربط الشوارع ببعضها تساعد على خلق روابط يومية بين المجتمع، كذلك تقسيم الشوارع إلى مقاطع ذات محاور متكررة تتم إضفاء صورة متجددة دائما⁽²⁸⁾ تبعث كسر الملل في نفس السائر كما ذكرت سابقا.

نظرا للفائدة التي يؤديها الساباط للسكان و للمارة في الطريق أكثر المسلمون من بناء الساباطات، فبذلك استفاد سكان الحي و المارة معا، فعادة الأطفال التجمع و اللعب في الأماكن المظلمة للعب، فكان بذلك الساباط أنسب مكان لتجمع الأطفال، فقد أدى بذلك وظيفة اجتماعية، ويحس بذلك سكان الحي وكأنهم بغرفة وليس بالشارع، حيث كان السكان يهتمون بالمكان تحت الساباط بتنظيفه، كما كان لطول الساباط وأكثرها تغطية للطريق بحيث يشعر السائر أنه يسير في نفق من طول الساباط ومثالنا في ذلك الساباطات التي بالقرى على طول وادي صزعة جنوبي المغرب، هذا ما يؤدي إلى ظلمة شديدة في الطريق وبذلك يمنع تواجد الذباب الذي يكثر بالمناطق كما كان الساباط يستخدم لتخزين التمور، وذلك بفرش الجريد و السعف، ليبر بذلك الهواء الآتي من الطريق لتهوية التمر ويخرج من التوافذ لتجديد الهواء حيث أن الساباط يصل بين دارين ويستخدم كمر بينهما ومن الجهة العلوية تخزن به التمور.⁽²⁹⁾

كان لطول الساباط مسافات صغيرة تترك بدون تسقيف في حكم الملاقف التي تقوم بتوفير الضوء و الهواء، وكذلك حكم المناور السماوية أو الملاقف⁽³⁰⁾ و التي تساعد على تهوية الطوابق التي تعلو الطريق و الغرض من إنشاء الساباطات على الطرق العامة حل مشكلة المناخ وتوسيع مساحة الطوابق العليا من الدور أيضا.⁽³¹⁾ أما الملاقف فدورها تقليل الأتربة و الرمال التي تحملها الرياح في المستوى المنخفض هذا بالإضافة إلى ذكر دورها و المتمثل في التهوية.⁽³²⁾

3 - السياق التاريخي لظاهرة الساباطات في العمارة الإسلامية:

لقد ورد مصطلح " ساباط " لدى العرب منذ السنوات الأولى للهجرة اسم لموقع في ما وراء النهر، كإسم لموقع في العراق، و آخر قريب منه يدعى " مظلم ساباط " و هو عبارة عن منشأة عسكرية، قد يكون شكلها المعماري أو أحد عناصرها مثل السقيفة المبنية بين جدارين و فوقها علو و تحتها طريق والذي يمثل النموذج الأول للساباط⁽³³⁾، و قيل السقيفة هي المكان المظلل كاساباط أو الحانوت بجانب الدار، و كأنه أشار في حديث اجتماع المهاجرين و الأنصار في سقيفة بني ساعدة، إلى أن الجلوس في الأمكنة العامة جائز، و أن اتخاذ صاحب الدار ساباطا أو مستظلا جائز إذا لم يضر⁽³⁴⁾، ثم كان ظهوره بالعهد الأموي حيث كان ظهور الساباط في هذا العهد، فتقليد خلفاء الأندلس لظاهرة الساباط الذي يربط الجامع و القصر حيث أن الحاكم عبد الله، كان شديد الحرص على سلامته خوفا من الاعتداءات، فانشأ ممشى مظلالا (ساباطا) يربط بين الجامع و قصره الذي يحاذيه من جهة الغرب، كما كانت الحال على عهد الأمويين بالشام⁽³⁵⁾، كما انتقل تقليد الساباط من ديار الخلافة الأموية بالشام إلى ديار الخلافة العباسية ببغداد، حيث كانت بالعهد العباسي تبنى القصور و يستعمل في بناء الأعمدة التي تقام عليها السقيفة أو الساباط، و التي كان يقيم بها صاحب الشرطة قرب قصر الذهب ببغداد⁽³⁶⁾، أما في إفريقيا كان الساباط معروفا منذ العهد الأغربي، حيث سئل الفقيه سحنون بن سعيد (160هـ/777م- 240هـ/854م) صاحب المدونة عن إحداث الساباط، و كذلك ذكر في العهد الصنهاجي، في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، فقد أفتى أيضا الفقيه عثمان بن أبي بكر المعروف بابن الضابط الصفاقسي (386هـ/995م-444هـ/1052م) في مسألة تخص الساباط، كما عرضت أيضا على قاضي الجماعة بتونس في العهد الحفصي أبا زيد عبد الرحمن القطان البلوي (كان حيا سنة 701هـ/1302م)، صاحب كتاب " النوازل"، في الأحكام على المذهب المالكي و الذي ينقل عنه ابن الرامي⁽³⁷⁾.

4 - النسيج العمراني لمدينتي الجزائر و قسنطينة:

تتفق المدن الإسلامية جميعا سواء في المشرق أو المغرب في مظهرها العمراني العام أي في طريقة تخطيطها وتوزيع مراكزها العمرانية، وفي أبنيتها عامة باستثناء تفاصيلها الزخرفية أو ما اضطرت إلى إلتماسه بتأثير المناخ أو الموقع أو طبيعة المكان، وتتمثل هذه الظاهرة في المغرب و الأندلس كما تتمثل في مصر و الشام و العراق⁽³⁸⁾، والحماية من المضار فلقد كانت المدن تنشأ إما على هضبة وعرة من الجبل وإما باستدارة بحر أو نهر بها، لا يوصل إليها بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو،

ويتضاعف امتناعها وحصنها⁽³⁹⁾، فيعين إختيار موقع المدينة على دفع الأخطار التي تحدث عند هجوم الأعداء عليها، فلقد برزت الحاجة إلى تحصين المدن منذ القدم، مما أدى إلى بناء الأسوار حول المدن. ويراعى في نشأة المدينة الإسلامية محاور أساسية في التخطيط أن يقدر طرقها وشوارعها، وأن يبنى فيها جامعا في وسطها لتأدية الصلاة ، وان يقدر أسواقها قريبة من الناس، وأن يميز بين ساكنيها بألا يجمع قبائل مختلفة ، في مكان مشترك. وبذلك يعتمد هذا التخطيط على المحاور التالية: المسجد الجامع ودار الإمارة و الخطة.⁽⁴⁰⁾

4-1- النسيج العمراني لمدينة الجزائر:

يتميز موقع مدينة الجزائر بانحداره الشديد باتجاه البحر الذي كان له أثره البالغ على شكل المدينة عبر القرون و الأجيال التي توالى عليها، و من ذلك فإن هندسة الشوارع بقيت ثابتة على مر الزمن لم تتغير إلا في بعض التفاصيل التي كانت تملئها بعض الاحتياجات المتوالة.⁽⁴¹⁾

إن المثل العمراني لمدينة الجزائر لا يختلف كثيرا عن بقية النسيج العمراني في البلاد العربية الإسلامية من حيث أن توزيع نقاط الحياة العامة التي تتركز أساسا في وسط المدينة، و يقوم النسيج العمراني في بلد من البلدان وفق التقاليد الحضارية السائدة في ذلك البلد، و أهم هذه الشروط الحضارية في الجزائر الدين الإسلامي الذي يدعو على المحافظة و التزام الحشمة و عدم التطفل على المنازل.⁽⁴²⁾

لقد كان تقسيم مدينة الجزائر غير دقيق و لا يتناسب و معطيات الموقع، فكان يطلق مثلا على مختلف مناطق الشارع الواحد عدة أسماء و في حالات أخرى كان العديد من الشوارع يخلو من تسمية خاصة، و لا يعرف إلا باسم الحي السكني الذي يمر من خلاله أو المسجد أو مقام الولي أو المدرسة أو الفرن أو المقهى أو المنزل أو الساباط أو المكان الذي يمر بجذاه.⁽⁴³⁾ و تحتوي مدينة الجزائر على عشرون (20) ساباطا موزعا في أحياء و دروب و أزقة القصبة⁽⁴⁴⁾، و تترابط المدينة القديمة عن طريق ستة (6) أبواب مع الميناء و باقي البلاد⁽⁴⁵⁾، و قد قسمت المدينة إلى ست مناطق حضرية حسب موقعها و هي: شارع باب الوادي شارع القصبة وشارع الباب الجديد و شارع باب عزون مركز المدينة؛ شارع البحر⁽⁴⁶⁾

4 1 -النسيج العمراني لمدينة قسنطينة:

مخطط قسنطينة في العهد العثماني، ينقسم إلى أربعة أحياء كما تشير بذلك وثائق الحملة الفرنسية لهذه المدينة، و هذه الأحياء هي: حي القصبة و هو الحي العسكري يقع في الشمال الشرقي

للمدينة، يتميز ببناء قديم في شكل قلعة صغيرة محصنة، سكنها الحاشية التركية، حي الطابية وهو الحي الرسمي الذي يحتضن القصر و المسجد الرئيسي يقع في الشمال الغربي للمدينة، أما حي القنطرة و هو الحي الذي تتركز فيه الطبقة الميسورة من أهل المدينة و بالقرب توجد حارة اليهود (الشارع حاليا) في الجنوب الشرقي للمدينة، و كذلك حي الجابية هو الحي الذي تقطنه الطبقة الاجتماعية المتوسطة و الفقيرة يقع في الجنوب الغربي للمدينة.⁽⁴⁷⁾

و لقد كانت الطرق ضيقة و ملتوية و في بعض الأحيان مسدودة، لم تكن لها في العموم أسماء معينة و كان كل شارع يسمى باسم مالك المنزل الرئيسي الذي ينتهي به الشارع، أو باسم المسجد المجاور له، و أخيرا وجدنا مفترقات طرق صغيرة لها تسميات معينة مثل (كوشة الزيات، عش الشوط.....الخ)، و في بعض الأحيان نجد شارع له عدة تسميات شائعة فالمدينة في الحقيقة مقسمة إلى الكثير من الشوارع الصغيرة (حومة)، هناك عدة طرق تربط قسنطينة من الغرب إلى الشرق: طريق تبدأ من باب الحديد تمر أمام دار الخليفة و التي تؤدي إلى القصبة، طريق تؤدي إلى الكهوف بالقرب من المكان الذي يوجد به رباعي الأعمدة، يقود إلى سوق العصر و يقطع سوق الغزل من فوق⁽⁴⁸⁾ طريق يؤدي من باب الواد إلى رحبة الصوف أين أنشئت ساحة الكسرة (galettes) و شارع يمتد من باب الجابية، مروراً بسوق الزلايقة، ثم زاوية الطريق الوطني على حافة الوادي من هنا يضيق هذا الشارع ليمر أمام زقاق

"الأربعين شريف" ليصل إلى الجهة السفلى لحي "باب الجابية".⁽⁴⁹⁾ و كان بالمدينة سبع قناطر ستة على البلد و واحدة على الوادي كلها إنخدمت و اندثرت و في زمان صالح باي جدد بناء القنطرة الموجودة اليوم⁽⁵⁰⁾، و تحتوي المدينة على (21) ساباطاً موزعين على الأحياء و الدروب و الأزقة.⁽⁵¹⁾

ثانياً: الدراسات الفقهية لظاهرة الساباطات:

1- الأحكام و القوانين المتعلقة بما يماثل ظاهرة الساباطات:

لقد لعبت أحكام الفقه الإسلامي دوراً في معالجة مظاهر العمارة و العمران، و كان له الأثر البالغ في تشكيلها وفقاً لهذه الأحكام، خاصة ما يتعلق بالجدران المشتركة و حق استخدام جدار الجار لوضع خشب السقف أو فتح النوافذ و الملاقف أو بناء الساباطات فوق الطرقات.⁽⁵²⁾

لقد تواجدت ظواهر تشبه ظاهرة الساباطات ترى ما هي هذه الظواهر؟

للإجابة لابد من معرفة كيفية ظهور هذه العناصر، فالمدينة الإسلامية كانت تحدد مساحتها بالأسوار المحاطة بها، و التي أثرت بدورها في استغلالها استغلالا جيدا، كالامتداد الرأسي و ضيق الشوارع الجانبية الذي أدى إلى الاستغناء عن دور الشارع لعنصر تهوية أو إضاءة، و حل محله الفناء الداخلي، و الذي يقوم بهذا الدور، كما أثر ذلك في تلاصق المباني و الامتداد بالرواشن و الأجنحة⁽⁵³⁾ في الطوابق العليا التي تطل على الشارع استغلالا لكل مساحة ممكنة.⁽⁵⁴⁾

كما ترتب على زيادة الكثافة السكانية زيادة كثافة المباني مما أحدث خللا في التركيب العمراني، كأنه أصبح عشوائيا، و أصبحت الطرق ضيقة و ملتوية ذات الساباطات و الطرق غير النافذة، و مبانيها متلاصقة و متماسكة دون ما فراغات بينها، فكانت بعض البيوت بارزة في الطريق، و البعض داخل عنه و هذا من الأسفل، أما من الأعلى فكانت بعض المشرييات⁽⁵⁵⁾ تتلاصق من جوانبها، و تتلاقى مع واجهة حتى تحدث ساباط مركب على جميع الطريق فضلا عن الساباطات الحقيقية.⁽⁵⁶⁾

2-1- العوامل الأمنية و الاجتماعية :

يعد الاعتماد على الكتب الفقهية و التي أوردت أحكاما و ضوابط تحكم ظاهرة الساباطات تبين أن الساباطات ظهرت نتيجة ظروف معينة و عوامل سياسية، اقتصادية و اجتماعية بالإضافة إلى مؤثرات أخرى كالمنافسة و توفر مواد البناء بمدينتي الجزائر و قسنطينة، فهذه الأوضاع السياسية المتدهورة التي نتجت عنها غزوات خارجية بين الدويلات و داخلية بنزاع الاسر الحاكمة فيما بينها، شجعت على إقامة الابواب في جميع المدن الإسلامية⁽⁵⁷⁾ و التي يتم اغلاقها اثناء الليل، ادت الأوضاع الأمنية الصعبة إلى تغيير تخطيط المدينة، فان أي تغيير في العوامل الأمنية و الاجتماعية ستؤدي إلى ظهور الساباطات عند مداخل المنازل بأنواعها.

2-1-1- العوامل الأمنية:

ان وجود الممرات الضيقة التي يمكن التحكم في مداخلها، في بعض الممرات المغطاة (الساباط) و التي عادة ما تكون مظلمة إلى حد ما، يعتمد إلى وضع بعض البروزات الحجرية أو الخشبية داخل الساباطات، يمكن ان يصطدم بها العدو لعدم معرفتهم لموقعها على عكس سكان الحي، و هذا نوع من أنواع التحصين. كما انتشرت أبراج المراقبة و التي تعرف بالمرقب للتنبيه في حال حدوث هجوم، كما ترك أسلوب التحصين و احاطة البلدة بأسوار تأثيرا على تخطيط الشوارع و مقاييسها و اتجاهاتها كما تأثرت الابواب و تخطيطها بالأسوار، بحق طريق على اعتبار ان هذه الابواب هي طريق المدينة و تتحكم

في شكل الطريق موقعا او اتساعا او انخفاضاً او ارتفاعاً⁽⁵⁸⁾. نجد بروزا معماريا من مادة الحجر داخل ساباط بن البوشيبي بمدينة قسنطينة. كما وجدنا ساباط الحوت بالميرالية بمدينة الجزائر و الذي يحمل بيت يشغله وزير البحرية او وكيل الخرج⁽⁵⁹⁾ و هو موجود لحد الان. ادى هذا الساباط وظيفة سياسية حيث فتحت به ثلاثة مداخل عكس الساباطات الاخرى التي لها مدخلين فقط ذلك لاهميته السياسية التي كان ياديهها. كذلك ساباط الديوان بمدينة الجزائر الذي يحمل ديوانا يمثل قاعة العرش وظيفتها الاجتماع بالمسؤولين و الرعاية لمعالجة شؤون الدولة و يمثل ديوان الخلافة للحاكم مصطفى باشا⁽⁶⁰⁾ في العهد العثماني، كما قام ساباط رجم باي بوظيفة سياسية أمنية حيث كان يحمل ممرًا سرّيًا لتنتقل الحاكم دون ان يراه العامة، و هذا تقليد اندلسي. قد روت الكاتبة ايزابيل ابرهات في مذكرتها : " الشجاعة تنتهي عند الدخول للساباط المظلم بقصر القنادسة المنسي من كثرة الظلام الحالك ، حيث يبدو كأنه نفق تحت الارض ، اين تكثر الرطوبة ... و بعد الانتهاء من الصلاة و الرجوع كذلك عبر نفس الساباط ، نظن اننا كنا في حلم مزعج ".⁽⁶¹⁾ نستخلص من هذا الوصف مدى شدة حلقة الظلام بالساباطات، هذا الظلام يدل على الجانب الامني و الدفاعي الذي كانت تقوم بها هذه الساباطات.

2-1-2- العوامل الاجتماعية :

توطدت العلاقات الاجتماعية باقامة حجرة للاجتماعات، و للتألف، و بدافع الانسجام الاجتماعي تبدو المدينة الاسلامية ذات شوارع و ازقة ضيقة حتى تجسد العمارة وحدة الاسرة و استقلالية الافراد اذ يتم تخصيص غرف عامة لكل الاسرة ، و غرف خاصة للابناء المتزوجين و التي عادة ما تكون في الطوابق العليا المحدثه فوق الساباطات، و هكذا استطاعت هذه العمارة تحقيق الخصوصية للافراد في ظل الاسرة الواحدة و تماسكها. فوجود الساباطات التي عملت دور الربط بين البيوت، حتى قامت الاسر بتبادل الاكل بينهما، و اسهمت في المزيد من التألف بين السكان حتى انها مكنت النساء من تبادل الزيارات دون الحاجة الى الخروج من البيت و ليس الحجاب فالعوامل الاجتماعية كان لها تأثير في تشكيل العمارة و المتمثل في تخطيط توزيع المنشآت.⁽⁶²⁾ نجد غرف اقيمت على الساباطات تستغل بدورها من طرف ابناء الاسرة الواحدة حيث يتم التوسع فيها و بالتالي تستطيع الاسرة ان تزوج ابناءها ليزداد عدد الافراد في الاسرة الواحدة مع مراعاة بقاء كل الافراد في منزل واحد، لكن باحداث هذه الساباطات التي تحمل غرف يتم التوسع من جهة و بقاء الافراد مع بعضهم البعض. لقد وجدنا ساباط يسمى بساباط العروسة بمدينة الجزائر.⁽⁶³⁾

حافظت الفرق الإنكشارية المغرب الأوسط على طابعها التقليدي حتى القرن الثامن عشر، حيث كان يتم تجنيد الأوجاق من الأناضول، هذا ما أدى إلى المحافظة على الروابط السياسية بين الجزائر و السلطان، كما ساهم بشدة في المحافظة على الطابع " التركي " لدولة الجزائر⁽⁶⁴⁾، هذا ما وفر الاستقرار للمدينة، فعندما استقرت المغرب الأوسط أصبحت مقرا لحكم مركزي قوي و عاصمة للبلاد طيلة الفترة العثمانية (1518 – 1830 م)⁽⁶⁵⁾، ففضل السياسة المهتمة بالقوى البحرية للعالم المسيحي بالسماح لهم بالتمتع بالميزة المربحة، و الإفلات من الضرائب، و هذا لانشغال الأتراك بجمع الثروة و المال، و عليه تحالفوا مع المغاربة لجمع ثروة طائلة، سمحت بذلك للمغاربة بامتيازات شريطة عدم التدخل بالسياسة.⁽⁶⁶⁾

فبوصول الأتراك و الوصول الهائل للأندلسيين، والذين ساهموا في جعل المغرب الأوسط مدينة مهمة و مزدهرة اقتصاديا بسبب المنافسة⁽⁶⁷⁾، كما ميز ارتفاع الكثافة السكانية في المغرب الأوسط بسبب انضغاط المدينة داخل أسوارها⁽⁶⁸⁾، هذه الكثافة السكانية بسبب تعدد الزوجات⁽⁶⁹⁾، لقد كانت الهجرة الأندلسية عام 1492م، و تلتها هجرة موريسكية، ثم ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية، و صنف السكان، الأتراك و الكراغلة و الحضر و الوافدين " البرانية "، و هناك اليهود حيث يشتغلون فيها في الجهة السفلية.⁽⁷⁰⁾ يعتبر الحكم العثماني في مدينة قسنطينة ملازما لازدهار الحياة السياسية، الاقتصادية و الثقافية و التطور العمراني خاصة في عهد صالح باي⁽⁷¹⁾، حيث استطاع أن يجبر الباشا التونسي على دفع ضريبة للوصاية الجزائرية⁽⁷²⁾، كما تمكن من تأمين بايلك الشرق، و من الناحية العمرانية فإنه أقام المنشآت المعمارية من مسجد و مدرسة و منازل فخمة، كما أسس دارا لضرب النقود بجانب قصره، كما ضمت هذه المنشآت مجموعة من المباني كالدكاكين و الفنادق و المنازل، و مدينة قسنطينة كبيرة تحتضن عدد كبير من السكان و هذه الكثافة واضحة حيث كانت المدينة مكتظة بحيث أن المدينة مبنية كلها من القصبة إلى باب الوادي⁽⁷³⁾، بعدما كان يسكنها قبائل كتامة، أصبح فيها عرب و أمازيغ، و أتراك و هناك المسيحيين و اليهود كذلك.⁽⁷⁴⁾

الخاتمة

لقد حاولت من خلال هذا البحث أن أصل إلى التعريف بظاهرة الساباطات عموماً، و في مدينتي الجزائر و قسنطينة بشكل خاص، و ذلك بالاعتماد على التعريفات اللغوية المتعددة و كذلك من خلال الدراسات الفقهية، إضافة إلى تتبع السياق التاريخي لظاهرة الساباطات في العمارة الإسلامية، كما سعت لشرح الأحكام و القوانين الفقهية المتعلقة بظاهرة الساباطات بعد جمعها و التي تعتبر مختلفة لأنها تابعة لأكثر من مذهب.

و استطعت تصنيف الساباطات حسب محاور الحركة بالمدينتين خلال العصر العثماني، حيث أن الحالة السياسية، الاقتصادية و الاجتماعية كان لها التأثير المباشر في ظهور الساباطات بهذه الأخيرة، و بالتالي انعكس هذا على ترابط و تجاور الأسر الجزائرية ضمن نسيج عمري موحد، و ذلك للسعي على تماسك الأسرة و بقائها مع بعضها، الشيء الذي دفع البحث على مساحات سكنية إضافية للتوسع من جهة، و لبقاء أفراد الأسرة الواحدة مع بعضها البعض من جهة ثانية، هذا ما أدى إلى انتشار الساباطات بالمدينتين، حيث كانت تربط الدور و الأحياء و بالتالي كان لها أثرها الإيجابي بالنسيج العمراني للمدينتين و الذي أثر بشكل واضح على الحالة الاجتماعية للناس، لما يوفره من ظل بالأماكن التي يلتقي و يجتمع بها الناس، كما يحمي من العوامل المناخية المتغيرة.

أثرت الساباطات بشكل مباشر على محاور الحركة بالمدينتين رغم تواجدها القليل حيث نجد (20) عشرون ساباطاً بمدينة الجزائر، و (21) واحد و عشرون ساباطاً بمدينة قسنطينة، خلال العصر العثماني، اندثر جزء كبير منها.

تغيرت طبيعة استعمال الساباطات، حيث أن بعض منها كانت تستغل كورش صناعية و أصبحت اليوم تقوم بوظيفة سكنية، هذا راجع ربما لازمة السكن بزيادة عدد الأفراد بالأسرة الواحدة، أو لتناقص امتهان الحرف و الصناعات التقليدية.

كما كان لوثائق المحاكم الشرعية و سلسلة بيت المال الدليل في معرفة الفترة التي كان بها الساباط يشغل محل للسكن أو التجارة على حد سواء.

ظهور الساباطات كان لدوافع اجتماعية، و لتأدية وظائف تخص الحياة اليومية للناس، بالإضافة إلى الدور المهم الذي كانت تؤديه هذه الساباطات من الناحية المناخية من حماية للمارة من مختلف العوامل المتغيرة للمناخ، بالإضافة إلى تلطيف الجو، و هذه وظائف هامة للساباط و

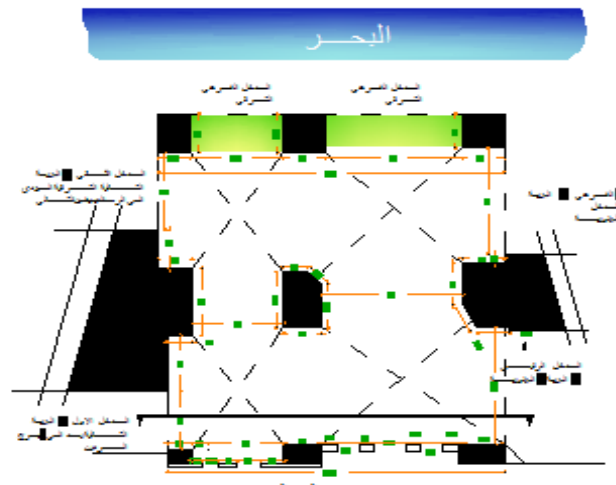
التي انعكست إيجابيا على الحياة الاجتماعية للناس من توفير لفضاءات إضافية للالتقاء و مشاركة الحياة بالتجاور جنبا إلى جنب.

الملاحظ من خلال الدراسة الميدانية و كذلك من خلال المخططات لمدينتي الجزائر و قسنطينة، أن كثافة الساباطات تكون بالجوار من المساجد و هذا مرتبط بالوازع الديني، حيث يتجمع الناس بعد الصلاة في هذه الأماكن، كما أن بيوت الصلاة المعلقة لمسجدين بمدينة الجزائر كانت تحملها ساباطات، و بيت صلاة معلقة لمسجد واحد بمدينة قسنطينة كان يحملها ساباط أيضا، و أن هذه الكثافة للساباطات كانت تتناقص كلما اقتربنا من الأحياء التي كانت تسكنها الطائفة اليهودية، حيث و جدنا المنطقة الرابعة بمدينة الجزائر خالية تماما من تواجد أي ساباط، بينما بمدينة قسنطينة و جدنا ساباطا واحدا بحومة السواري.

و لكن مع كل هذا الإثراء بالساباطات ضمن النسيج العمراني لمدينتي الجزائر و قسنطينة لاحظت واقع الإهمال و الفوضى لهذه الساباطات، فبعضها اندثر و الآخر مهدم، و الباقي بين الجيد في الأماكن المهمة و البقية بحالة متوسطة معرضة كلها للإهمال و منه للاندثار، لاحظت بمدينة الجزائر تسرب المياه بالجدران و الأرضية، مما تسبب في تدهور حالة الساباطات، و نفس الشيء بمدينة قسنطينة، كون القصبة بشكل منحدر، فالمياه بالأرضية دائمة التدفق مما أثر و سوف يغير في حالة الساباطات المتبقية، و عليه فإن الصيانة و ترميم هذه الساباطات جد ضروري، لاعتبارها جزء من النسيج العمراني بالمدينتين، و حفظها كتراث معماري، و التي تعبر عن هوية الجزائري العربية المسلمة.

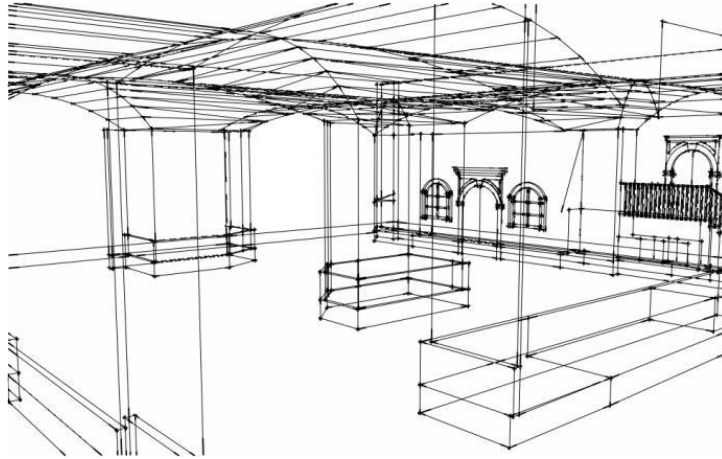


لوحة رقم 1 ساباط الحوت بمدينة الجزائر



مخطط رقم (01) ساباط الحوت.

سنة 1860 ع.مسيح



شكل رقم (01) / سباط الحوت

– منظر السباط من الجهة الشمالية الشرقية و الذي يمد للرصيف الشمالي.

الهوامش :

¹ – نور الدين (عبد القادر)، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م، ص 53، 54.

² – أصلهم من جزيرة الأرخبيل يقال لها مدلي، و كان أبوهما يعقوب جنديا في العسكر الحارس للجزيرة، فتزوج من بنت أحد النصارى اليونانيين فرزق منها بأربعة بنين، إسحاق و عروج و خضر (خير الدين) و إلياس، و كانوا يسافرون في البحر كقراصنة، انظر:

– نور الدين (عبد القادر)، المرجع السابق، ص 47.

³ – صالح (فركوس)، تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، دار العلوم، الجزائر، 2005م، ص 104 .

⁴ – ناصر الدين (سعيدوني)، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر، 1984م، ص 9.

⁵ – علي (حنوف)، تاريخ منطقة جيجل قديما و حديثا، منشورات الأنيس، الجزائر، 2007، ص 62 .

- ⁶ - عبد القادر (حليمي)، مدينة الجزائر - نشأتها و تطورها قبل 1830م، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م، ص 161، 164 .
- ⁷ - مسعود (مجاهد)، تاريخ الجزائر، ج1، الجزائر، 1963، ص 79 .
- ⁸ - Michelle Nadia Dib et autre, op-cit, p.7 .
- ⁹ - عبد القادر (حليمي)، المرجع السابق، ص 170 .
- ¹⁰ - أحمد توفيق (المدني)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا(1492-1792م)، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1976م، ص 179، 183 .
- ¹¹ - (A.), Ravéreau, la casbah d'Alger et le site créa la ville, sindbad, Paris, 1970, p.39.
- ¹² - (E.), Vayssette, « Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517 a 1837 » in « Receuil des notices et mémoire de la société Archéologique de la province de Constantine 1867, édition bouchene, Constantine, 2002, p.p. 39, 44. »
- ¹³ - رشيد (بوروينة)، قسنطينة، سلسلة الفن و الثقافة، وزارة الإعلام و الثقافة، الجزائر، 1980م، ص 63 .
- ¹⁴ - عبد الرحمن (الجيلالي)، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص 88 .
- ¹⁵ - (بن العنتري)، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها، مراجعة و تقديم و تعليق: يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص 18 .
- ¹⁶ - فلة موساوي (القشاعي)، المرجع السابق، ص 14 .
- ¹⁷ - رشيد (بوروينة)، المرجع السابق، ص 63 .
- ¹⁸ - (بن العنتري)، المصدر السابق، ص 30 .
- ¹⁹ - رشيد (بوروينة)، المرجع السابق، ص 66 .
- ²⁰ - سعيد (ناصر)، المدينة الإسلامية، دراسة في نشأة التحضر، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 2005، ص 62 .
- ²¹ - محمد بن مكرم (ابن منظور) (ت:711هـ)، لسان العرب المحيط، ج3، تقديم: عبد الله العلايلي، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف (خياط)، دار الجيل، دار لسان العرب، لبنان، (1408هـ/1988م)، حرف السين، ص 87، فعل سبط .
- ²² - محمد بن أبي بكر (الرازي)، مختار الصحاح، ضبط وتخرىج وتعليق مصطفى ديب البغا، ط4، دار الهدى، الجزائر، 1990، باب السين، ص 188، فعل سبط .
- ²³ - المعلم بطرس (البستاني) (ت:1303هـ)، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1987م، ص 393، باب السين، فعل سبط .
- ²⁴ - ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (البغدادى)، معجم البلدان، مج 3، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 166، باب السين و الألف وما يليهما .

²⁵ - جميل عبد القادر (أكبر)، عمارة الأرض في الإسلام، مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية، ط3، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان، (1419هـ-1998م)، ص22، 28.

²⁶ - جميل عبد القادر (أكبر)، المرجع السابق، ص 11.

²⁷ - ر.ب(سرجنت)، المدينة الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد (تعليق)، اليسكومورافجر، اليونسكو، 1983م، ص 104

²⁸ - إلهام حسين (دحدوح)، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية حوالي (442-665هـ/1051-1247م)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب للدراسات، جامعة القاهرة، (1421هـ/2000م)، ص 28.

²⁹ - جميل عبد القادر (أكبر)، المرجع السابق، ص 266، 267.

³⁰ - الملقف: جمع ملاقف، يسمى أيضا :بذهنج، فتحة ترتفع عن سطوح الأبنية في الأماكن الحارة مائلة للسقف مغلقة الجوانب ما عدا الجهة التي تواجه تيارات الهواء الرطب لتتلقفه فينحدر إلى الطوابق السفلى ويحل محل الهواء الحار الذي يصعد إلى أعلى مما يخلق تيارا هوائيا رطبا باستمرار حتى في غياب الرياح، أنظر: عبد الرحيم (غالب)، موسوعة العمارة الإسلامية عربي- فرنسي- انجليزي، ط1، بيروت، (1408هـ/1988م)، ص 405.

³¹ - سعد عبد الكريم (شهاب)، بلدة القصر، أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر العربية، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية، 2009م، ص 88.

³ - محمد (أبو رحاب)، العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين دراسة أثرية معمارية، دار القاهرة، 2008م، ص 524.

³² - مراد (الزبيدي)، " تحقيق رسالة " تحقيق المناط في عدم إعادة الساباط " للشيخ بيرم الثاني و الزيل عليها"، مجلة " قراءات في الفكر المعماري و العمراني العربي و الإسلامي"، منشورات فقهاء تونس، المعهد العالي لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، (1429هـ/2008م)، ص 401.

³³ - أحمد بن علي بن حجر (العسقلاني)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أخرجه و صححه و حققه: محب الدين (الخطيب)، رقم كتبه و أبوابه و أحاديثه: محمد فؤاد (عبد الباقي)، راجعه: قصي محب الدين (الخطيب)، ط 1، ج 4، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، (1407هـ/1986م)، ج 5، ص 130، 131.

³⁴ - كارل (بروكلمان)، تاريخ الشعوب العربية من 1948م إلى 1968م، ترجمة: بن أمين فارس و البعكي منير، دار العلم للملايين، بيروت، ص 297.

³⁵ - صالح محمد (علي)، معالم بغداد الإدارية و العمرانية، دراسة تخطيطية، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، العراق، 1988م، ص 17، 18.

³⁶ - مراد (الزبيدي)، المرجع السابق، ص 402.

³⁷ - إلهام حسين (دحدوح)، المرجع السابق، ص

- ³⁸ - السيد عبد العزيز (سالم)، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م، ص 19.
- ³⁹ - محمد عبد الستار (عثمان)، المدينة الإسلامية، عمارة سدوس التقليدية، دراسة أثرية معمارية، دراسة حالة، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية، 1999م، ص 96، 100 .
- ⁴⁰ - بدر الدين (بلقاضي) و مصطفى (بن حموش)، تاريخ و عمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبيير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص 121.
- ⁴¹ - محمد الطيب (عقاب)، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 1999م، ص 35، 36.
- ⁴² - بدر الدين (بلقاضي) و مصطفى (بن حموش)، المرجع السابق، ص 122.
- ⁴³ - La revue Africaine, p. .
- ⁴⁴ - Louis Fontugne, op-cit, p. 10.
- ⁴⁵ - بدر الدين (بلقاضي) و مصطفى (بن حموش)، المرجع السابق، ص 123.
- ⁴⁶ - بدر الدين (بلقاضي) و مصطفى (بن حموش)، المرجع السابق، ص 122.
- ⁴⁷ - (E.), Mercier, op-cit, p. 48.
- ⁴⁸ - عبد العزيز (فيلاي)، مدينة قسنطينة، دراسة التطور التاريخي و البيئة الطبيعية، دار البعث، قسنطينة- الجزائر، 1984م، ص 93، 95.
- ⁴⁹ - فلة موساوي (القشاعي)، الرفيف القسنطيني اقتصاديا و اجتماعيا في أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، الجزائر، 1982م، ص 119، 120.
- ⁵⁰ - محمد الهادي (العروق)، مدينة قسنطينة دراسة جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، 1984م، ص 80.
- ⁵¹ - محمد عبد الستار (عثمان)، العمارة الفاطمية، المرجع السابق، ص 210.
- ⁵² - يستعمل (ابن الرامي) مصطلح جناح و عسكر و الروشن، الأجنحة: هي الإخراج التي تعمل على الحيطان في الشوارع فلا تمتنع، و هي كذلك الرفوف و الغرف الخارجية من الأبنية أنظر:
- محمد عبد الستار(عثمان)، الإعلان بأحكام البنين، دراسة أثرية معمارية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (1408 هـ/ 1988 م)، ص 149 .
- ⁵³ - محمد عبد الستار (عثمان)، المدينة الإسلامية، المرجع السابق، ص 158.
- ⁵⁴ - المشربية: شرفة خشبية بارزة عن جدار البيت، تلعب دور النافذة في الطوابق العليا و تكون عادة على مستوى أرض الغرفة، يرى من في داخل المسكن خارجه من دون أن يُرى، و هي إما أن تصنع من قطعة خشبية صغيرة مخروطة و متداخلة و مجمعة ضمن أطر تجعل منها غرفة صغيرة مستطيلة المسقط أو مضلعة أو مسطحة الجدران، و إما أن يأخذ مسقطها شكل نصف دائرة و بالتالي تأخذ هي شكل نصف أسطوانة، أنظر:

- عبد الرحيم (غالب)، موسوعة العمارة الإسلامية عربي- فرنسي- انجليزي، ط1، ، بيروت، (1408هـ/1988م)، ص 384.

⁵⁵ - جميل عبد القادر (أكبر)، المرجع السابق، ص 9.

(56) - صالح (المذلول)، المدينة العربية الإسلامية - أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية، الرياض، 1994م.، ص 26,20

(57) - سعد عبد الكريم (شهاب)، انماط العمارة التقليدية، المرجع السابق ص 279

(58) - Esquer, histoire de l'algerie en images ou le XVIème siècle jusqu'à (G), 1871-bibliothèque des introuvables, Paris, 2008, p9.

(59) - مصطفى باشا : تولى السلطة فيما بين (1112هـ/1700م - 1117هـ / 1705م)

(60) - isabelle,(Elberhardt), Ecrits sur le sable, grasset,Paris,décembre 1998.p.256

(61) - سعد عبد الكريم (شهاب)، انماط العمارة التقليدية، المرجع السابق، ص 277

(62) - ميسون علي (ابداح)، المرجع السابق ص 78

⁶³ - أندريه (ريمون)، العواصم العربية عماراتها و عمرانها في الفترة العثمانية، تعريب: قاسم طوبر، ط1، دار المجد، دمشق، 1986م، ص 56، 57 .

⁶⁴ - عبد الله بن محمد (الشويهد)، قانون أسواق الجزائر (1107 - 1117 هـ) - (1695 - 1705م)، تحقيق و تعليق: ناصر الدين سعيد وني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006، ص 24، 25.

⁶⁵ - (G.), Guianchain, op-cit, p.5.

⁶⁶ - (A.), Ravéreau, op-cit, p.38.

⁶⁷ - أندريه (ريمون)، المرجع السابق، ص 44 .

⁶⁸ - عائشة (غطاس)، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700 - 1830م مقارنة اجتماعية- اقتصادية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000م، ص 253.

⁶⁹ - (C.), Chevallier, op-cit, p.17,19.

⁷⁰ - عبد العزيز (فيلاي)، مدينة قسنطينة، دراسة التطور التاريخي و البيئة الطبيعية، دار البعث، قسنطينة- الجزائر، 1984م، ص 79.

⁷¹ - رشيد (بوريبة)، المرجع السابق، ص 91.

⁷² - الحاج أحمد (المبارك)، تاريخ حاضرة قسنطينة، صححه و علق عليه: نور الدين عبد القادر، الجزائر، 1952م، ص 8 .

⁷³ - عبد القادر (دحدوح)، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، (2010/2009م)، ص 218، 220 .

⁷⁴ - محمد عبد الستار (عثمان)، العمارة الفاطمية، المرجع السابق، ص 210.

المصادر :

- ابن المبارك (الحاج احمد)، تاريخ حاضرة قسنطينة، صححه و علق عليه: نور الدين عبد القادر، الجزائر، 1952م.
- ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم) (ت:711هـ)، لسان العرب المحيط، تقديم: عبد الله العلايلي، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، دار الجيل، دار لسان العرب، لبنان، (1408هـ/1988م).
- ابن العتري (محمد صالح)، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها، مراجعة و تقديم و تعليق: يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2007م.
- الرازي (محمد أبو بكر)، مختار الصحاح، ط4، ضبط و تحرير و تعليق: مصطفى ذيب البغا، دار الهدى، الجزائر، 1990م.
- المدني (أحمد توفيق)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492 - 1792م)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1976م.
- العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أخرجه و صححه و حققه: محي الدين الخطيب، ط1، ج4، دار الريان للتراث، القاهرة، (1407هـ/1986م).

المراجع :

- أبو رحاب (محمد السيد محمد)، العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين دراسة أثرية معمارية، دار القاهرة، 2008م.
- أكبر (جميل عبد القادر)، عمارة الأرض في الإسلام، مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية، ط3، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان، 1419هـ.
- بروكلمان (كارل)، تاريخ الشعوب العربية من 1948م إلى 1968م، ترجمة: بن أمين فارس و البعبيكي منير، دار العلم للملايين، بيروت.
- بلقاضي (بدر الدين)، بن حموش (مصطفى)، تاريخ و عمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007م.
- بورويبة (رشيد)، قسنطينة، سلسلة الفن و الثقافة، وزارة الإعلام و الثقافة، الجزائر، 1980م.

- الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.
- الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، تاريخ المدن الثلاث الجزائر، المدينة، مليانة بمناسبة عيدها الألفي، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2007م.
- حلومي (عبد القادر علي)، مدينة الجزائر - نشأتها و تطورها قبل 1830م، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م.
- خنوف (علي)، تاريخ منطقة جيجل قديما و حديثا، منشورات الأنيس، الجزائر، 2007م.
- ريمون (أندريه)، العواصم العربية عماراتها و عمرانها في الفترة العثمانية، تعريب: قاسم طوير، ط1، دار المجد، دمشق، 1986م.
- سالم (السيد عبد العزيز)، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م.
- سرجنت (ر.ب)، المدينة الإسلامية، ترجمة: احمد محمد تعلق، السيكمورانجر، اليونسكو، 1983م.
- سعيدوني (ناصر الدين)، دراسات و أبحاث في تاريخ جزائر العهد العثماني، سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر.
- شهاب (سعيد عبد الكريم)، أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر العربية، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية، 2009م.
- الشويهد (عبد الله بن محمد)، قانون أسواق الجزائر (1107 - 1117هـ/1695-1705م)، تحقيق و تعليق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م.
- عبد الستار(محمد عثمان)، عمارة سدوس التقليدية، دراسة أثرية معمارية، دراسة حالة، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية، 1999م.
- عبد الستار(محمد عثمان)، المدينة الإسلامية، مطابع الرسالة، الكويت، 1988م.
- عبد الستار(محمد عثمان)، موسوعة العمارة الفاطمية، العمارة الفاطمية (الحرية- المدنية- الدينية)، ط1، دار القاهرة، القاهرة، 2006م.
- عبد القادر (نور الدين)، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م.
- العروق (محمد الهادي)، مدينة قسنطينة دراسة جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، 1984م.
- عقاب (محمد الطيب)، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007م.

- العلي (صالح محمد)، معالم بغداد الإدارية و العمرانية، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1988م.
- فركوس (صالح)، تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، دار العلوم، الجزائر، 2005م.
- فيلاي (عبد العزيز)، العروق (محمد الهادي)، مدينة قسنطينة، دراسة التطور التاريخي و البيئة الطبيعية، دار البعث، قسنطينة- الجزائر، 1984م.
- ناصف (سعيد)، المدينة الإسلامية، دراسة في نشأة الحضرة، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 2005م.
- الهذلول (صالح بن علي)، المدينة العربية الإسلامية - أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية، الرياض، 1994م.
- الزبيدي (مراد)، تحقيق: المناط في عدم إعادة الساباط للشيخ الثاني و الزيل عليها، مجلة قراءات في الفكر المعماري و العمراني العربي و الإسلامي، منشورات وحدة فقهاء تونس، المعهد العالي لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، (1429هـ/2008م).
- عبد الستار (محمد عثمان)، في شوارع المدينة الإسلامية و طرقاتها، مجلة العصور، م2، ج2، دار المريح للنشر، لندن.
- البستاني (المعلم بطرس) (ت:1303هـ)، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1987م.
- غالب (عبد الرحيم)، جروس (بروس)، موسوعة العمارة الإسلامية عربي- فرنسي- انجليزي، ط1، ، بيروت، (1408هـ/1988م).
- دحدوح (إلهام)، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية حوالي (442-665هـ/1051-1247م)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب للدراسات، جامعة القاهرة، (1421هـ/2000م).
- دحدوح (عبد القادر)، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، (2010/2009م).
- غطاس (عائشة)، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م مقارنة اجتماعية- اقتصادية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000م.
- القشاعي (فله موساوي)، الريف القسنطيني اقتصاديا و اجتماعيا في أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، الجزائر، 1982م.
- الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان، مج3، دار صادر، بيروت، د.ت.

التغلغل البريطاني في الصين
حروب الأفيون انموذجاً (1860 – 1939)
أ.م.د كفاح جمعة وجر الساعدي
العراق / الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم التاريخ
dr.kefahrashid@gmail.com

الملخص

سعت بريطانيا للتغلغل في الصين بهدف التجارة لاسيما بعد قيام الثورة الصناعية في بريطانيا وحاجتها للأسواق الكبيرة والمواد الأولية، لكنها اصطدمت بسياسة العزلة التي اتبعتها الصين ونظام الاكتفاء الذاتي فلم تكن الصين بحاجة إلى استيراد البضائع الأجنبية، فضلاً عن قصر التعامل مع الأجانب على ميناء كانتون فقط مما عرض التجارة البريطانية إلى خسائر فادحة، فحاولت معالجة الأمر عن طريق البعثات الدبلوماسية لكنها فشلت بسبب تشدد الحكومة الصينية فلجأت إلى وسيلة أخرى لتعويض الخسارة عن طريق تصدير الأفيون إلى الصين الذي جلب لها أرباح طائلة، لكنه أضر بالصين من جميع النواحي فحاولت الحكومة منعه بالقوة مما أدى إلى توتر الوضع بين الطرفين إذ قررت بريطانيا غزو الصين وكسر عزلتها عن طريق العمل العسكري فاتخذت من اعتراض الصين على تجارة الأفيون ذريعة لإعلان الحرب التي انتهت بهزيمة الصين وتوقيعها على معاهدات مذلة جعلت الصين مستعمرة للدول الأجنبية .

الكلمات المفتاحية : التغلغل، البريطاني، الصين

British Penetration in China Opium wars as a model (1939-1860)

Assit Proff D. Kefah Jumaa Wiger Al-Saadi
Iraq / Al-Mustansiriya University / College of Arts / Department of
History
dr.kefahrashid@gmail.com

Abstract:

Britain Sought to Penetrate China with the aim of trade, especially after the industrial revolution in Britain and its need for large markets and raw materials, but it collided with the policy of isolation followed by China and the system of self-sufficiency, so China did not need to import foreign goods, as well as restricting dealing with foreigners to the port of Canton only. Exposing British trade to heavy losses, so it tried to address the matter through diplomatic missions, but it failed due to the hardening of the Chinese government, so resorted to another way to

compensate for the loss by exporting opium to China, which brought it huge profits, but it hurt China in all respects, so the government tried to prevent it by force, which led To the tense situation between the two sides, as Britain decided to invade China and break its isolation through military action, so it used China's objection to the opium trade as an excuse to declare war that ended in the defeat of China and its signing of humiliating treaties that made China a listener of foreign countries.

Keywords: Bangs, british, china

تمهيد : الاقتحام الاوربي للصين

تقع الصين في الجزء الشمالي من نصف الكرة الشرقي وتحتل القسم الشرقي من قارة اسيا، تبلغ مساحة الصين حوالي 9,6 مليون كيلو متر مربع وبذلك فهي تأتي بالمرتبة الثالثة في المساحة بعد الاتحاد السوفيتي وكندا، ويصل طول حدودها الى 5500 كم من الشمال الى الجنوب، وعرضها حوالي 5200 كم من الشرق الى الغرب ⁽¹⁾.

كان نظام الحكم في الصين يعتبر الامبراطور هو ابن السماء وممثل الكائن الاعلى على الارض ولم تكن هناك ادارة او وزارة للشؤون الخارجية في الصين اذ لم تعترف بوجود دولة اخرى مساوية لها في العالم وهكذا عاشت الصين لمراحل طويلة من تاريخها بمعزل عن العالم فكانت ترفض اي اتصال مباشر بالعالم الخارجي انطلاقاً من نظرية (امبراطورية الوسط) فكان الصينيون يعتقدون ان العالم ماهو الا مربع والصين دائرة في وسط هذا المربع، لذا كانت حكومة بكين ترفض ارسال سفارات الى الخارج مادامت تعتبر الدول الاخرى تابعة لها والتي يجب عليها ان ترسل وفودها الى بكين لاداء الجزية للامبراطور، وتجسدت تلك النظرة للاجانب من خلال مراسيم الكوتو التي يخضع لها السفراء الاجانب عند مقابلتهم للامبراطور فكانوا يجبرون على السجود في حضرته ثلاث مرات ⁽²⁾.

ارتبطت معرفة الاوربيين بالصين بالعلاقات التجارية اذ كانت للإمبراطورية الرومانية علاقات مع الصين على طريق الحرير المار عبر أواسط اسيا وأوروبا الشرقية ومن ثم إلى الخليج العربي أو البحر الأحمر فالبحر المتوسط وأوروبا، فضلاً عن المبشرين المسيحيين الذين وفدوا إلى الصين منذ القرن السابع للميلاد، وكذلك الرحالة أمثال الايطالي ماركو بولو الذي عمل في البلاط الامبراطوري الصيني عام 1275 واقام فيها اكثر من 17 عاماً عمل خلالها مستشاراً وشغل مناصب حكومية عدة وبعد عودته الى اوربوا دون

كل خبرته ومعرفته بأحوال الصين السياسية والاقتصادية والاجتماعية في رحلته المشهورة التي شكلت حافزاً للاوربيين للتوجه الى الصين⁽³⁾

وبعد اكتشاف راس الرجاء الصالح 1498 أصبح البرتغاليون سادة البحار الشرقية وسعوا للوصول الى الصين والمتاجرة معها، وفي عام 1517 وصلت اول بعثة رسمية برتغالية الى الصين برئاسة توماس بيريز (Thomas Perez) الذي حمل رسالة من نائب الملك البرتغالي في الهند الى امبراطور الصين، لكنه لم يوفق في هذه البعثة ولم يحظ بمقابلة الامبراطور بسبب المعلومات التي وصلت من قبل حكام الملايو التابعين لحكومة الصين والتي افادت بان للبرتغاليين نوايا توسعية في الصين فاصدر الامبراطور امراً بارجاعهم الى الساحل وسجن بيريز وظل هناك حتى وفاته عام 1523. لم يمنع هذا الامر المساعي البرتغالية للوصول الى الصين ففي عام 1557 تمكنوا من الحصول على حق النزول والاستئجار في جزيرة مكاو⁽⁴⁾.

في الوقت ذاته سعت اسبانيا للوصول الى الصين والمتاجرة مع حكومتها بعد استقرارها في الفلبين، لكن حظها لم يكن اوفر من البرتغال فلم ينجحوا في اقامة علاقات دبلوماسية وتم وضع قيود على نشاطهم التجاري في كانتون. اما هولندا فسعت هي الاخرى للوصول الى الصين لاسيما بعد تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية عام 1602 وكانت افضل من غيرها اذا قدم الهولنديون مساعدة للمانشو (1644-1911) في صراعهم مع اسرة المينغ (1368-1644)، وفي عام 1656 وصلت الى بكين سفارة هولندية بهدف تقديم الجزية وقام اعضاؤها باداء مراسيم الكوتو فسمح لهم بحق المجيء الى بكين كل ثمان سنوات لاداء الجزية⁽⁵⁾

أما التوسع الفرنسي الذي اتخذ بوجه عام شكل إرسال المبشرين الفرنسيين إلى الهند الصينية فقد تلاشى بسبب تعصب هؤلاء المبشرين، ولما كان هناك تنافس بين الانكليز والفرنسيين للسيطرة على الهند، ونتيجة لخسارة فرنسا في صراعها مع بريطانيا على الهند، الأمر الذي جعلها تولي اهتمامها نحو الهند الصينية⁽⁶⁾.

سعت بريطانيا الى اقامة علاقات تجارية مع الصين منذ القرن السابع عشر، لاسيما بعد تأسيس شركة الهند الشرقية عام 1600، وحاولت الاستعانة بالهولنديين من خلال الاتفاق الذي وقع بينهما عام 1619 لكن المنافسة بينهما ادت الى انتهاء هذا الاتفاق، فسعوا للتعاون مع البرتغاليين وفي عام 1637 تم تجهيز حملة بقيادة القبطان جيمس ودل (James Woodl) الذي حمل خطاب توصية

من نائب الملك البرتغالي إلى حاكم مكاو بهدف الإبحار مع الصين، لكن المحاولة باءت بالفشل، ولم ينجحوا في الحصول على حق انشاء مصنع في كانتون حتى عام 1685 ثم فتحت كذلك مركزا تجارياً في نانجيو⁽⁷⁾.

اما روسيا فانها توجهت للصين عن طريق البر خلافا للدول الاخرى وسعت الى اقامة علاقات دبلوماسية تجارية معها وفي عام 1689 وقعت اول معاهدة بين الصين وروسيا عرفت بمعاهدة (نيرجنسك)، فضلا عن معاهدة (كيكتا) التي وقعت عام 1727⁽⁸⁾.

المبحث الاول : حرب الافيون الاولى 1839-1842

اولا : سياسة العزلة وموقف البريطاني منها

اثارت مسألة ازدياد التنافس الاجنبي على الصين وسعي معظم الدول الاجنبية الى اقامة علاقات دبلوماسية وفتح الموانئ للتجارة مخاوف اسرة المينغ الامر الذي دفعها الى اتخاذ سياسية العزلة، واستمرت اسرة المانشو على السياسة نفسها، بل انها اوكلت مهمة الاشراف على التجارة مع الاجانب الى نقابة من التجار الصينيين يكونوا بمثابة وسيط بين التجار الاوربيين والتجار الصينيين ومنحتهم أمر الاشراف على التجارة وصار هؤلاء يعرفون عند الاوربيين باسم الكوهونغ اي التجار المخولين رسميا وكان عددهم يتراوح بين (6-12) تاجراً، فضلا عن ذلك حددت الحكومة الصينية منذ عام 1757 ميناء كانتون ليكون الميناء الوحيد المفتوح امام التجار الاجانب ولايسمح لهم بالابتجار مع اي ميناء صيني اخر⁽⁹⁾.

لم يقتصر الامر عند هذا الحد بل ان الصينيين عاملوا الاجانب معاملة قاسية جدا فكانوا تحت رقابة صارمة فلا يسمح لهم بالخروج من حيهم والاختلاط بالاهالي او التنزه الا بصحبة موظف صيني صغير ، كما لم يسمح لهم بجلب نسائهم الى كانتون بل حتى رسائلهم كانت تخضع لرقابة الكوهونغ، ويعود هذا التشدد الى الاخبار التي كانت تصل الى الامبراطور المتعلقة بالجرائم التي كان الاجانب يرتكبونها سواء في القرصنة في البحار او الهجوم على المدن والقرى وان السبب الحقيقي لاقامة العلاقات مع الصين هو للتوسع والعدوان وليس التجارة⁽¹⁰⁾.

من ناحية اخرى كان لمسألة الاختصاص القضائي اثر في زيادة العداء بين الاجانب والصينيين اذ كانت محاكمة الاجانب تتم وفق القوانين الصينية التي كانت تتسم بالشدة، ففي عام 1780 نفذ حكم

الاعدام ببحار فرنسي لانه ارتكب جريمة قتل دفاعاً عن نفسه، وفي عام 1784 ارغم الصينيون البريطانيون على تسليم بحار بريطاني لاعدامه بسبب قتله امرأتين صينيتين عن طريق الخطأ⁽¹¹⁾ .

وزيادة على ذلك لم تكن الصين بحاجة للبضائع الاجنبية اذ كانت تتبع سياسة الاكتفاء الذاتي، في حين كان الاجانب يعتمدون في تجارتهم على السلع المهمة من الصين كالشاي والحبر والمنسوجات الفاخرة وكانوا يسعون الى فتح ابواب الصين عنوة لاسيما بعد الخسارة التي تكبدوها بسبب امتناع الصينيون عن شراء بضائعهم⁽¹²⁾ . ولابد من القول ان شركة الهند الشرقية كانت من اكثر الشركات تضرراً اذ كانت تحتكر كل تجارة الصين وخاصة الشاي لذا اخذ تجارها بالضغط على حكومتهم لفتح ابواب الصين بالقوة واقامة علاقات دبلوماسية بينهما⁽¹³⁾ .

وفقا لذلك بذلت بريطانيا محاولات عدة للاتصال بالامبراطور الصيني بشكل مباشر عن طريق البعثات الدبلوماسية، وفي عام 1787 اوفدت أول بعثة الى الصين برئاسة اللورد كاثكارت (Cathcart) الا انه توفي قبل ان يصل وعاد بقية افراد البعثة دون تحقيق الهدف⁽¹⁴⁾ .

في عام 1793 وصلت بعثة دبلوماسية اخرى برئاسة اللورد مكارتني (McCartney) ضمت مجموعة من العسكريين والاطباء وكانت محملة بالهدايا الثمينة وسعى مكارتني الى عقد معاهدة تجارية، لكن الصينيين عاملوا البعثة على انهم تابعين لهم فاجبروا اعضاء البعثة على رفع لافتة كتب عليها باللغة الصينية (السفير الذي يحمل الجزية من بلاد الانجليز)⁽¹⁵⁾ .

على اية حال جاء رد الامبراطور الصيني مخيباً للأمال اذ بعث برسالة الى الملك البريطاني جورج الثالث (1760-1820) رداً على رسالته جاء فيها " اننا نملك كل شيء ولانملك وزناً للأشياء العجيبة ولسنا بحاجة الى مصوغات بلادكم "⁽¹⁶⁾

لم يمنع هذا الامر البريطانيون من مواصلة مساعيهم ففي اب 1816 وصلت بعثة الى بكين برئاسة اللورد أمهرست (Amherst) يحمل المطالب السابقة نفسها، الا ان نتيجتها لم تكن افضل من البعثات التي سبقتها بل ان الامبراطور شيا شنغ (shia shangh) (1796-1820) امر بطرد المبعوث الى كانتون بعد رفضه تأدية مراسم الكوتو. وهكذا اعلنت بكين رسمياً بأنها سترفض استقبال اية بعثة دبلوماسية انكليزية في المستقبل⁽¹⁷⁾

ازدادت الامور سوءاً بعد عام 1834 اذ الغت الحكومة البريطانية احتكار شركة الهند الشرقية للتجارة الاسيوية وتم فتح الباب امام جميع التجار البريطانيين للتجارة مع الصين مما سبب مشكلة مع تجار

الكوهونغ فطلبت السلطات الصينية ارسال مسؤول يشرف على التجارة البريطانية في الصين، فارسل اللورد وليم نابيير (William Napier) في العام نفسه وحال وصوله قدم طلبات حكومته واراد الدخول في مفاوضات مباشرة مع الحكومة الصينية وليس عن طريق الكوهونغ، تضمنت المطالب البريطانية السماح لهم بالتجارة مع مختلف الموانئ وليس الاقتصار على ميناء كانتون فقط، عقد معاهدة تجارية مع الصين تسمح للتجار مزاوله اعمالهم بحرية وعدم خضوعهم للقوانين الصينية⁽¹⁸⁾ ، الا ان طلبه رفض من قبل الكوهونغ ولم يسمح له باجراء اتصال مع الحكومة، فتوتر الوضع وامر نابيير السفن بالتقدم الى داخل الصين فتصدت له القوات الصينية واجبرته على التراجع والمغادرة الى مكاو ومات بعد اسبوعين⁽¹⁹⁾

وفي عام 1836 تولى شارلس اليوت (Charles Elliott) المهمة من بعده وقدم مطالب نابيير نفسها، لكن دون جدوى فلم يحصل على رد للمخاطبات التي قدمها الى نائب الامبراطور عن طريق الكوهونغ مما اضطره الى مغادرة كانتون ومثل ذلك فشلا ذريعا للحكومة البريطانية واصبح الامر يتعلق بالكرامة⁽²⁰⁾ . لذا أصبحت بريطانيا على قناعة تامة بضرورة غزو الصين وكسر عزلتها عن طريق العمل العسكري لاسيما مع التطور الهائل الذي شهدته انذاك من تاسيس امبراطوريتها في الهند وانتصاراتها في اوروبا فاتخذت من اعتراض الصين على تجارة الافيون ذريعة لاعلان الحرب⁽²¹⁾ .

على الجانب الاخر كانت الاوضاع الداخلية في الصين متردية لاسيما في عهد الامبراطور تاوكوانغ (Taoukwang) (1821-1850) اذ كان يفتقر للكفاءة والحزم فضلا عن ترددي حالته الصحية، الامر الذي اسهم في انتشار الدسائس والمؤامرات بين امراء المانشو الاعضاء في المجلس الكبير والسكرتارية العظمى وبين رجال ونساء القصر وتدخلهم في الحكم. فضلا عن ذلك كانت الاوضاع الاقتصادية متردية جدا بسبب فيضانات النهر الاصفر وعدم وجود اهتمام بالسدود والقنوات، وكذلك الضرائب الثقيلة التي فرضت على الشعب فادت هذه العوامل الى ظهور حركة معارضة للمانشو تمثلت بالجمعيات والحركات السرية التي هدفت الى اسقاط النظام⁽²²⁾ .

على اية حال لم يكن الافيون مجهولا لدى الصينيين اذ استخدموه للاغراض الطبية في حدود ضيقة، لكن تعودهم عليه للمتعة يعود الى البرتغاليين الذين جلبوه من الهند بداية القرن الثامن عشر، تجدر الاشارة الى ان البريطانيين كانوا يصدرون الافيون سرا الى الصين فوصلت اول شحنة عام 1781 ونظرا لمنع تجار الكوهونغ انتقلت تجارته الى جزيرة صغيرة تسمى لنتن

ليتسلمه التجار الصينيون ويعبئونه بصناديق اصغر ثم يهربونه الى داخل كانتون من خلال الرشاوي (23).

وهكذا اخذت تجارة الافيون بالتسرب الى داخل الصين وعلى سبيل المثال بلغ مجموع ماتسرب من الافيون خلال السنوات 1820-1839 اكثر من 214 الف صندوق، فضلا عن تفشيه بين معظم فئات المجتمع الصيني ووفقاً للتقرير الذي صدر عام 1835 فان اكثر من مليوني صيني اعتادوا على تعاطي الافيون منهم موظفون كبار في البلاط وملاك الاراضي والصناع والتجار ، بل انه انتشر حتى بين الرهبان والنساء والاطفال (24).

لم يقتصر الامر عند هذا الحد بل ان الافيون انتشر واستشرى بين جنود وضباط الجيش الصيني مما اضعف قواهم، فضلا عن الاثار الاقتصادية التي استنزفت موارد الصبن المالية حتى وصل الانفاق على هذه التجارة الى 100 مليون تايل، في حين ان موارد الخزينة لم تتجاوز 40 مليون تايل مما ادى الى حدوث ازمة مالية اسفرت عن ارتفاع سعر صرف العملة الفضية بالعملة النحاسية، وكان الفلاحون والحرفيين من اكثر المتضررين اذ كان عليهم ان يدفعوا الضرائب بالعملة الفضية في حين انهم كانوا يتقاضون اجورهم بالعملة النحاسية (25).

حاولت حكومة المانشو مواجهة الامر من خلال اصدار عدد من المراسيم التي فرضت حظر على المتاجرة به او تعاطيه، بل انها فرضت وفق مرسوم عام 1816 جلد ضباط الجيش الذين يتعاطون المخدر كما تم سجن عدد من تجار الافيون، الا ان هذه المراسيم اهملت بسبب الارباح الطائلة التي كان يجنيها التجار البريطانيون والرشاوي التي كان يحصل عليها الموظفين الصينيين لاستمرار هذه التجارة (26).

ازاء ذلك ونتيجة لضغط الرأي العام وخشية الحكومة من الاخطار ظهرت اراء عدة في البلاط الصيني للوقوف بوجه هذه التجارة اذ دعا البعض الى منع هذه التجارة بشكل كلي، في حين دعا البعض الاخر لاسيما المستفيدين منها الى التساهل حتى يمكن احكام السيطرة عليها، اما الراي الاخر فحذر من المنع نظرا للنتائج الوخيمة المترتبة على هذا الاجراء ودعا الى اهمال الموضوع حتى يفقد اهميته، وفي عام 1839 قرر الامبراطور تاو كوانغ تحويل حاكم كانتون لين تسي هسو (Lin Zi Hsu) لايكاف تجارة الافيون (27).

وقبل اتخاذ اي موقف سعى لين الى عرض المسألة على الحكومة البريطانية معتقداً ان مايجري من تهريب للافيون هو من قبل التجار لذا ارسل برسالة الى الملكة فكتوريا (Victoria) (1819-1901) جاء فيها " لقد فكرنا في الامر فتبين لنا ان هذه المادة الضارة يصنعها غدرا مدبرون للشر مكرة تحت سيادة شعبكم الشريف ، ولا مرء عندي انكم وانتم ذوو الرئاسة الشريفة لم تأمروا بزراعة هذه المادة وبيعها"، ثم يضيف قائلاً " ان بريطانيا نفسها لا يسمح للناس فيها بتدخين ذلك المخدر ، فاذا سلمنا انه على مثل هذه الدرجة من الضرر الويل ، فكيف تقدمون على الاستفادة بتعريض الغير لتأثيره المؤذي ، وترون ذلك متفقاً مع ما تآمر به السموات". الا ان نداءات لين ذهبت ادراج الرياح اذ كانت الحكومة البريطانية على علم تام بتجارة الافيون، بل انها شجعتها نظراً لما تدره عليهم من ارباح⁽²⁸⁾.

وفقاً لذلك امر لين في 18 اذار 1839 التجار الاجانب باعداد جرد بما لديهم من افون مخزن في السفن لاتلافه، كما امرهم بالتوقيع على تعهد بعدم جلب الافيون مرة اخرى، لكن شارلس اليوت اصدر تعليمات للتجار البريطانيين بعدم تنفيذ الاوامر فقام لين بمحاصرتهم لمدة ثلاثة ايام فاضطروا الى تسليم الافيون وقام لين باحرقه امامهم في حفل كبير⁽²⁹⁾.

لم يقتصر الامر عند هذا الحد، بل ان لين تسي هسو أمر البحارة الاجانب بتوقيع تعهد عند دخول اي سفينة تجارية للميناء بان لا تحمل افون وفي خلافه تتم مصادرة الافيون واعدام المسؤول عن ذلك، فضلاً عن الاستعدادات العسكرية اذ اشرف بنفسه وبالتعاون مع القائد البحري قوان تيان يي على تدريب القوات الصينية البحرية وزاد من عدد المدافع والتحصينات. كما شكل قوة بحرية اضافية تضم الجنود وعدد من صيادي الاسماك اطلق عليهم شجعان الماء. في الوقت ذاته كان اليوت يرسل التقارير الى حكومته يحثها فيه على ضرورة القيام بعمل عسكري ضد الصين⁽³⁰⁾.

جاءت اللحظة الحاسمة عند قيام بعض البحارة البريطانيين بعصيان في مدينة كانتون أسفر عن مقتل احد الصينيين، فطلب لين من اليوت تسليم الجناة لمحاكمتهم لكنه رفض فقام لين بمنع السفن من توريد المواد الغذائية إلى هونغ كونغ البريطانية وامر الصينيون بمحاصرة السفن البريطانية⁽³¹⁾.

ثانياً: اندلاع الحرب

اتخذت بريطانيا من هذا الحادث ذريعة لاعلان الحرب على الصين فقامت السفن البريطانية باطلاق النار على السفن الصينية في الخامس من ايلول 1839 واغرقت عددا منها فبدأ مايعرف ب

حرب الأفيون الأولى، وأصدر الامبراطور الصيني أوامره في 26 تشرين الثاني بإيقاف كل تجارة مع بريطانيا ابتداءً من العام المقبل واستعداداً للحرب بتقوية الدفاع الساحلي وبناء الحصون وتم تجنيد خمسة آلاف متطوع من السكان المحليين⁽³²⁾.

وفي حزيران عام 1840 وصل بحر الصين الجنوبي أسطول بريطاني بقيادة جورج اليوت () حاول اقتحام ميناء كانتون لكنه فشل بسبب التحصينات الكبيرة، فالتجّه الى إقليم اموي في مقاطعة فوكين غير ان الهجوم فشل للمرة الثانية، وفي الرابع من تموز هاجم الاسطول البريطاني ميناء تنجهاي بخليج كوشان، وابتدت القوات الصينية والسكان مقاومة شديدة لكنهم لم يتمكنوا من صد الهجوم لاسيما مع عدم وجود التحصينات الكافية فسقط الميناء بيد القوات البريطانية⁽³³⁾.

أثار هذا الامر فزع الامبراطور الصيني فسعى للتفاوض مع البريطانيين وتم عزل لين تسي هسو باعتباره المسؤول عن الحرب، وعين شي شان (Shi Shan) بدلا عنه وبعد وصوله الى كانتون امر بإزالة التحصينات وانزال المدفعية من القلاع اظهارا لحسن النية لكن القوات البريطانية استغلت الموقف وبدأت بقصف المواقع الصينية، فأسرع الأخير للتفاوض معهم وتوقيع اتفاقية (شويني) التي نصت على تسليم هونغ كونغ الى البريطانيين، دفع غرامة قدرها 6 مليون دولار من الفضة، فتح كانتون للتجارة البريطانية⁽³⁴⁾.

عد الامبراطور هذه المعاهدة اهانة للحكومة الصينية فقام بعزل شي شان ومحاكمته ومصادرة امواله وعين حفيده يي شان حاكماً على كانتون بمساعدة احد القادة العسكريين وفي 27 كانون الثاني 1841 أعلن الامبراطور الحرب على بريطانيا بصورة رسمية فاستؤنفت الحرب. وعلى الجانب البريطاني تم تعيين هنري بوتنفر (HenryButtenfer) بدلا عن شارلس اليوت في حزيران 1841 ووصلت التعزيزات البريطانية الى الصين ووصل عدد قواتهم الى 12 الف مزودين باحدث الاسلحة وقاموا بغزو ساحل الصين من عدة مناطق واحتلت اموي وتنجهاي وكانتون وشنغهاي وتغلغل الى داخل البلاد بهدف السيطرة على القناة الكبرى وقطع شريان الملاحة بين الشمال والجنوب⁽³⁵⁾.

رافق ذلك اعمال سلب ونهب وحرق للقرى وقتل المدنيين، الا ان الصينيين دافعوا بشكل بطولي عن مدّهم وانضم لهم عشرات الاف من سكان القرى، الا ان نخاذل الحكومة والفرق الشاسع في التسليح وعدم تنظيم المقاومة ادى الى هزيمتهم، وعند وصول القوات البريطانية الى تشيكانغ أصبحت

تحدد نانكينج المدخل الرئيس لبكين قررت حكومة المانشو وضع حد نهائي للقتال بالتسليم دون قيد او شرط⁽³⁶⁾.

انتهت الحرب بهزيمة الصين وتوقيع معاهدة نانكينج (Nanking) 29 اب 1842 التي نصت على :

- 1 - فتح خمسة موانئ للتجارة البريطانية
- 2 - تسليم جزيرة هونغ كونغ لبريطانيا
- 3 - دفع غرامة قدرها 6 مليون دولار تعويضا عن الأفيون الذي تم احرقه
- 4 - تخفيض قيمة الضرائب
- 5 - تمتع بريطانيا بحق الدولة الاولى
- 6 - الغاء نظام الكوهونغ⁽³⁷⁾.

وفي تشرين الثاني 1843 تم التوقيع على ملحق للمعاهدة اختص بالقضايا الجنائية فاصبح للاجانب محكمة خاصة بهم، ولن يخضعوا للقوانين او المحاكم الصينية مثل السابق⁽³⁸⁾. وهكذا انحت هذه المعاهدة العزلة الصينية التي استمرت لآكثر من قرنين ، كما اثبتت ضعف حكومة المانشو في التصدي للغزو الاجنبي، واشرت الى بداية مرحلة جديدة من الامتيازات الاجنبية اذ سارعت معظم الدول الاجنبية لعقد معاهدات والحصول على امتيازات⁽³⁹⁾.

ففي عام 1844 تم توقيع معاهدة (وانغ هيا)⁽⁴⁰⁾ (wanghai hayaa) الأمريكية - الصينية، وبموجبها حصلت الولايات المتحدة الأمريكية على الامتيازات كلها التي منحت لبريطانيا، فضلاً عن امتيازات أخرى أوسع نطاقاً، وفي العام نفسه وقعت المعاهدة الفرنسية - الصينية إذ تمكنت فرنسا من فرض معاهدة (وامبوا) (Wambua) على الصين وبموجبها حصلت فرنسا على ما تمتعت به بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن ذلك اصبح للبعثات الكاثوليكية حرية الوعظ والتنصير، كما تقرر عدم خضوع الصينيين لعقوبات قضائية في حال اعتناقهم الديانة المسيحية⁽⁴¹⁾. كما حصلت كل من بلجيكا والبرتغال والنرويج والسويد على امتيازات مشابهة للإمتيازات التي حصلت عليها بريطانيا⁽⁴²⁾.

المبحث الثاني : حرب الافيون الثانية 1856-1860

تضافرت اسباب عدة ادت الى اندلاع حرب الافيون الثانية منها ماهو مباشر واخر غير مباشر ، بالنسبة للاسباب غير المباشرة تمثلت برغبة الدول الاجنبية بتعديل المعاهدات الموقعة مع الجانب الصيني لانها لم تلب طموحاتها في التوغل الى المناطق الداخلية في الصين ولم تتمكن من اقامة تمثيل دبلوماسي لها في بكين⁽⁴³⁾ .

لذا قدم ممثلو بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية طلباً مشتركاً الى نائب الامبراطور عام 1854 تضمن عدد من المطالب اهمها فتح كل المناطق الداخلية في الصين بالاضافة الى جميع المدن الواقعة على الشاطئ للتجارة البريطانية، مشروعية تجارة الافيون، الغاء رسوم الترانسيت الداخلية على البضائع البريطانية، السماح للمبعوثين الاجانب بالاقامة في بكين او على الاقل السماح لهم بالاتصال مباشرة بالمسؤولين المركزيين في حكومة المانشو، السماح للمثليين الدبلوماسيين الامريكيون للاقامة في بكين، رفع جميع القيود المفروضة على التجارة الامريكية في الصين، الغاء جميع القيود على نشاط الامريكيين⁽⁴⁴⁾ .

تجدر الاشارة الى ان الدول الاجنبية استغلت مسألة انشغال حكومة المانشو بالتصدي لثورة (التاينغ) التي اندلعت منذ عام 1850 والتي كانت تهدف الى اقتلاع النظام من الجذور فاستعملت اسلوب التهديد عند تقديمها للمطالب، ومن جانبها كانت حكومة المانشو مضطرة لمهادنتهم ففي عام 1855 دخل ممثلو الدول الثلاث في مفاوضات مباشرة مع بكين لكنها انتهت بالفشل عند ذلك صممت بريطانيا وفرنسا ارغام الصين بالقوة على تنفيذ مطالبها⁽⁴⁵⁾ .

جاءت الفرصة المناسبة عام 1856 التي عدت بمثابة السبب المباشر للحرب اذ قامت السلطات الصينية بتفتيش السفينة الصينية (لوركا- ارو) اي السهم التي كانت ترفع العلم البريطاني قرب كانتون وكان على متنها احد القراصنة المطلوبين للسلطات الصينية فتم حجز طاقمها فعدت بريطانيا ذلك اهانة لها وطالبت السلطات الصينية بالافراج عنهم وتقديم اعتذار، لكن اهمال الطلب دفع القوات البحرية البريطانية الى قصف مدينة كانتون والاستيلاء عليها بعد اخذ الموافقة من حكومة لندن فبدأت حرب الافيون الثانية⁽⁴⁶⁾ . شاركت فرنسا بريطانيا في حربها ضد الصين بسبب مقتل احد مبشريها ويدعى (شايلدين) بعد ان القي القبض عليه عام 1856 بتهمة انتهاك حرمة القانون فاتخذت فرنسا ذلك ذريعة لاعلان الحرب على الصين⁽⁴⁷⁾ .

لم تكن حالة الصين في هذه الحرب افضل من حالتها في الحرب الاولى ولم يكن هناك تكافؤ بين القوات المتحاربة فقد شاركت 23 سفينة حربية بريطانية و13 سفينة حربية فرنسية وحوالي 6000 من الجنود البريطانيين والفرنسيين وقامت القوات المتحالفة باحتلال كانتون والقاء القبض على حاكمها ونفيه الى الهند، وعندها طالبوا باجراء مفاوضات رسمية مع بكين لعقد معاهدة جديدة واشتركت مهم في هذا الطلب كل من الولايات المتحدة الامريكية وروسيا على الرغم من عد اشتراكهم في الحرب، الا ان حكومة الصين رفضت الطلب (48). فتوجهت القوات المتحالفة شمالا واحتلت حصون تاكو في ايار 1858 التي تحمي بكين من الشرق ثم احتلوا تيانجين على بعد ثمانين ميلا من بكين فاضطرت حكومة المانشو الى طلب الصلح (49).

وفقا لذلك تم التوقيع على معاهدات (تيانجين) (Tianjin) عام 1858 مع روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا تضمنت:

- 1 - منح الدول الغربية امتياز فتح سفارات لها في بكين مع حرية انتقال المبشرين في البلاد.
- 2 - منحهم امتياز الملاحة في نهر اليانغتسي، فضلاً عن فتح أحد عشر ميناء امام التجارة الأجنبية.
- 3 - إعفاء الأجانب من الخضوع للقضاء الصيني، وتشكيل محاكم مختلطة للنظر في الخلافات التي تقع بين الطرفين.
- 4 - تخفيض قيمة الضرائب على البضائع الأجنبية إلى (2.5%).
- 5 - فرض غرامة حرية على الصين مقدارها (8) ملايين تاييل.
- 6 - إقرار مبدأ التسامح الديني مع المسيحيين (50).

لم ينته الامر عند هذا الحد، بل ان الخلاف وقع بين الطرفين حول مسألة التصديق على المعاهدات وتبادل وثائق ابرامها، ففي الوقت الذي اشترط فيه البريطانيون والفرنسيون ان يكون التصديق بعد عام في بكين ويجب ان يتم على مستوى عال من الممثلين الرسميين، اصر الجانب الصيني على تصديقها في شنغهاي كما تردد الامبراطور في التصديق على المعاهدة لانها تسمح باقامة الاجانب وعوائلهم في بكين خلافا لما جرت عليه السياسة الصينية كما اصر ايضا على مسألة اجراء مراسيم الكوتو (51).

وعندما حان موعد التصديق على المعاهدات وصل المبعوث الروسي عن طريق البر اما مبعوثو الدول الثلاث الاخرى فوصلوا عن طريق البحر وارادوا ان يصلوا بقواربهم الى بكين عبر نهر ييهو ، الا ان المدينة كانت مهددة من قبل ثوار التاينغ وكان النهر معززا بالتحصينات العسكرية فطلب منهم سلك الطريق البري فامثل ممثل الولايات المتحدة الامريكية، في حين رفض ممثلو بريطانيا وفرنسا تنفيذ الامر وحاولا شق طريقهما عبرالنهر بالقوة فاطلق عليهم الصينيون النار واجبروهم على التراجع⁽⁵²⁾ .

على اثر ذلك تجدد القتال واعادت القوات المشتركة التي بلغ تعدادها 18 الف مقاتل بريطاني وفرنسي مع 41 سفينة حربية و143 ناقلة جنود بريطانية واكثر من 60 سفينة فرنسية احتلال تيانجين في اب 1860 ثم تقدمت نحو بكين واحتلتها في تشرين الاول⁽⁵³⁾

لم يجد الامبراطور الصيني امامه من وسيلة غير الهروب مع زوجته الى جيهول في الشمال تاركا اخاه كوانج (kawanij) يتولى مواجهة الاجانب . خلال ذلك الوقت اقتحمت القوات المشتركة بكين ودمرت الاحياء والمنازل ونهبت المتاجر، ثم قامت بتدمير القصر الامبراطوري الذي كان اية من ايات الجمال وتم نهب كل مقتنياته من كنوز وتحف ورياش⁽⁵⁴⁾

على اية حال انتهت الحرب عام 1860 بالتوقيع على اتفاقيات بكين التي نصت على

- 1 - منح السفراء الأجانب حق الإقامة في بكين.
- 2 - ضم جزيرة (كولون) الصينية إلى القاعدة البريطانية في (هونج كونج).
- 3 - فتح ميناء تيانتنس أمام التجارة الأجنبية.
- 4 - إقرار شرعية الإتجار بالعمال الصينيين.
- 5 - السماح للمبشرين باستئجار او اشراء الاراضي في اي مقاطعة
- 6 - تاسيس دائرة للشؤون الخارجية عرفت بالادارة العامة للشؤون المتعلقة بالامم الاجنبية⁽⁵⁵⁾

يمكن القول ان هذه المعاهدات غير المتكافئة التي فرضت على الصين شكلت نظام المعاهدات الصادم الذي لم تتحرر الصين منه حتى منتصف القرن العشرين، إذ كانت الوسيلة التي تحولت الصين من خلالها إلى دولة شبه مستعمرة، فإن أقطاع أجزاء من الصين ومنحها للدول الغربية مهد الطريق أمام التوغل الاستعماري الغربي بشكل اكبر داخل الصين، فضلاً عن أنَّ هذه المعاهدات أثرت بشكل عميق في علاقات الصين مع الغرب، ويمكن أن نعد ان الحرية التي منحت للمبشرين المسيحيين يعني منحها تسامحاً أكبر، ولطالما كانت هذه البعثات التبشيرية مدمرة للارث الثقافي الصيني، فضلاً عن أنَّ منح

الأجانب حرية أكبر للتجارة كان يعني تدمير الإقتصاد الصيني فتدثرت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وهذا كله شكل بداية لإنحلال حكم أسرة المانشو وضعفها وانهارها⁵⁶.

الهوامش

- ¹ (شيوي قوانغ، جغرافية الصين، ترجمة محمد ابو جراد ، ط1، بكين، 1987، ص 1
- ² (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين الحديث 1516- 1911، ص 26- 28
- ³ (منتهى طالب، موجز تاريخ اسيا الحديث والمعاصر، بغداد، 2010، ص 20
- ⁴ (نوري عبد الحميد العاني واخرون، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر، بغداد، 2006، ص 7؛ رافت غنيمي الشيخ واخرون، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر، مصر، 2004، ص 17
- ⁵ (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ،،، ص 45-53
- ⁶ (منتهى طالب، المصدر السابق، ص 14
- ⁷ (ك. م. بانيكار ، اسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة احمد خاكي ، القاهرة ، 1962، ص 79- 80 ؛ صلاح احمد هريدي ، تاريخ الشرق الاقصى الحديث والمعاصر ، الاسكندرية ، 2011، ص 26-27
- ⁸ (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ اسيا ... ، ص 9 ؛ تشسترا بين ، تاريخ الشرق الاقصى موجز تاريخي ، ترجمة حسين الحوت، القاهرة ، 1958، ص 50
- ⁹ (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ... ، ص 66
- ¹⁰ (محمد العزب موسى ، حرب الافيون ، مصر ، 1968، ص 22
- ¹¹ (تشسترا بين ، المصدر السابق ، ص 61
- ¹² (أ. ابشتاين، مولد الصين الشعبية من حرب الافيون الى التحرير، ترجمة حسني تمام ، القاهرة ، 1957، ص 5 .
- ¹³ (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ... ، ص 68
- ¹⁴ (ك. م. بانيكار ، المصدر السابق ، ص 80
- ¹⁵ (محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 35
- ¹⁶ (هيلدا هوخام ، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين ، ترجمة اشرف محمد كيلاني ، القاهرة، 2002، ص 284
- ¹⁷ (محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 35- 36 ؛ جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، ترجمة لجنة من الاساتذة الجامعيين ، بيروت ، 1997 ، ص 126
- ¹⁸ (جلال يحيى ، الشرق الاقصى الحديث والمعاصر ، مصر ، 1985، ص 42

-
- ¹⁹ (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ... ، ص 70 ؛ ك. م. بانيكار ، المصدر السابق ، ص 129)
- ²⁰ (جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص 41)
- ²¹ (المصدر نفسه ، ص 41-42 ؛ ك. م. بانيكار ، المصدر السابق ، ص 130-131)
- ²² (نوري العاني ، تاريخ الصين ... ، ص 71-72)
- ²³ (المصدر نفسه ، ص 75)
- ²⁴ (قسم تاليف كتب تاريخ الصين الحديث ، حرب الافيون ، دار النشر باللغات الاجنبية ، بكين ، 1979 ، ص 17)
- ²⁵ (نوري عبد الحميد العاني وآخرون ، تاريخ اسيا ... ، ص 11)
- ²⁶ (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ... ، ص 76)
- ²⁷ (لين بي ، موجز تاريخ الصين ، 1840-1919 ، دار النشر باللغات الاجنبية ، بكين 1965 ، ص 5 ؛ محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 52)
- ²⁸ (محمد عودة ، الصين الشعبية ، القاهرة ، 1955 ، ص 15 ؛ هيلدا هوخام ، المصدر السابق ، ص 286 .)
- ²⁹ (المصدر نفسه ، ص ؛ المصدر نفسه ، ص 287)
- ³⁰ (قسم تاليف كتب تاريخ الصين الحديث ، المصدر السابق ، ص 29)
- ³¹ (منتهى طالب ، المصدر السابق ، ص 24)
- ³² (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ... ، ص 78)
- ³³ (لين بي ، المصدر السابق ، ص 8)
- ³⁴ (محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 60)
- ³⁵ (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ... ، ص 79)
- ³⁶ (محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 64 ؛ قسم تاليف كتب تاريخ الصين الحديث ، المصدر السابق ، ص 38)
- ³⁷ (منتهى طالب ، المصدر السابق ، ص 18 ؛ ميلاد المقرحي ، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر شرق اسيا (الصين ، اليابان ، كوريا) بنغازي ، 1997 ، ص 40)
- ³⁸ (جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص 45 ؛ ميلاد المقرحي ، المصدر السابق ، ص 40)
- ³⁹ (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ... ، ص 80 ؛ رافت غنيمي وآخرون ، المصدر السابق ، ص 19)
- ⁴⁰ (للمزيد عن بنود هذه المعاهدة ينظر قسم تاليف كتب تاريخ الصين الحديث ، المصدر السابق ص 93-94 .)
- ⁴¹ (جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص 46-47)
- ⁴² (منتهى طالب ، المصدر السابق ، ص 18)
- ⁴³ (نوري عبد الحميد العاني وآخرون ، تاريخ اسيا ... ، ص 13)

- ⁴⁴ (محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 109؛ عفاف مسعد العبد ، دراسات في تاريخ الشرق الأقصى ، الاسكندرية ، د.ت ، ص 55
- ⁴⁵ (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ... ، ص 83
- ⁴⁶ (عفاف مسعد العبد، المصدر السابق ، ص 56 ؛ أ. ابشتاين ، المصدر السابق ، ص 25
- ⁴⁷ (فوزي درويش ، الشرق الأقصى الصين واليابان (1853-1972) ، د.م، 1997، ص 57
- ⁴⁸ (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ...، ص 83
- ⁴⁹ (محمد عل القوزي وحسان حلاق ، تارسخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر ، بيروت ، 2001، ص 91
- ⁵⁰ (منتهى طالب ، المصدر السابق ، ص 20 ؛ ميلاد المقرحي ، المصدر السابق ، ص 43
- ⁵¹ (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ...، ص 84
- ⁵² (جواهر لال نهرو، المصدر السابق ، ص 131
- ⁵³ (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ...، ص 85
- ⁵⁴ (عفاف مسعد العبد ، المصدر السابق ، ص 58
- ⁵⁵ (نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ اسيا ...، ص 14
- ⁵⁶ (منتهى طالب ، المصدر السابق ، ص 19

المصادر

- 1 - ابشتاين ، مولد الصين الشعبية من حرب الافيون الى التحرير ، ترجمة حسني تمام ، القاهرة، 1957.
- 2 - تشستر بين ، تاريخ الشرق الأقصى موجز تاريخي ، ترجمة حسين الحوت ، القاهرة، 1958 .
- 3 - جلال يحيى ، الشرق الأقصى الحديث والمعاصر ، مصر، 1985 .
- 4 - جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، ترجمة لجنة من الاساتذة الجامعيين ، بيروت، 1997 .
- 5 - رافت غنيمي الشيخ واخرون ، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر، مصر ، 2004.
- 6 - شيوي قوانغ ، جغرافية الصين ، ترجمة محمد ابو جراد ، ط 1 ، بكين، 1987.
- 7 - صلاح احمد هريدي ، تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر ، الإسكندرية، 2011
- 8 - عفاف مسعد العبد ، دراسات في تاريخ الشرق الأقصى ، الإسكندرية، د.ت
- 9 - فوزي درويش ، الشرق الأقصى الصين واليابان (1853-1972) ، د.م، 1997.
- 10 قسم تأليف كتب تاريخ الصين الحديث، حرب الافيون، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، 1979.
- 11 ل. م. بانيكار ، اسيا والسيطرة الغربية ، عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة احمد خاكي ، القاهرة ،

-
- 12 لين بي ، موجز تاريخ الصين ، 1840-1919، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين 1965
 - 13 محمد العزب موسى ، حرب الأفيون ، مصر ، 1968
 - 14 محمد عل القوزي وحسان حلاق ، تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر ، بيروت ، 2001
 - 15 محمد عودة ، الصين الشعبية ، القاهرة ، 1955،
 - 16 منتهى طالب ، موجز تاريخ اسيا ، بغداد ، 2010
 - 17 ميلاد المقرحي ، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر شرق اسيا (الصين ، اليابان ، كوريا) بنغازي، 1997
 - 18 نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين الحديث 1516-1911، بغداد، 2003
 - 19 نوري عبد الحميد العاني وآخرون ، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر ، بغداد ، 2006.
 - 20 هيلدا هوخام ، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين ، ترجمة اشرف محمد كيلاي، القاهرة 2002،

اشكالية الطائفة اليهودية في الدراسات الأكاديمية الجزائرية

د/ة / يسمينة سعودي أستاذة محاضرة (أ)

جامعة الجزائر 2 ابو القاسم سعد الله، الجزائر

saoudiyasmina248@gmail.com

الملخص بالعربية:

تهدف هذه الدراسة الى الوقوف والتمعن في اشكالية الطائفة اليهودية في الجزائر من منظور أكاديميها من خلال الدراسات المجازة ، وهذا بعد جرد بعدد من الرسائل الأكاديمية المتعلقة بالذكوراء والمجستير المجازة في قسم التاريخ بجامعة الجزائر2 ونهدف الى إلقاء الضوء على الاتجاهات الموضوعاتية لواقع هذه الطائفة، وما إشكاليات المطروحة في هذا الموضوع ، التي يرون فيها ان اليهود فئة موجودة في المجتمع الجزائري يتمتعون التجارة في الفترة العثمانية وما ان وقعت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي بدأت الطائفة تعود تدريجيا الى الساحة السياسية والاقتصادية في الجزائر لما كسبته من تأييد من السلطات الاستعمارية بل وأصبح اليهودي في المجالس المنتخبة ليصبح هذا العنصر قوة يضغط على الادارة لتوسيع نشاطاته الى ان خضعت الادارة الفرنسية وأصدرت مرسوم "كريميو" لتجنيس اليهود.

رغم السياسات الاستعمارية المتعاقبة التي حاولت بث السموم في المجتمع الجزائري من سياسة فرق تسد وإثارة العنرات بين القبائل وتجنيس اليهود وتسليطهم على الجزائريين الذين يعانون الأمرين .. أمر الاستعمار الفرنسي، وأمر اليهود.. الا ان هذا لم يجد سبيلا عند الجزائريين، وهو ما وقفت اليه هذه الكتابات والتي وقفت مطولا عند بسالة الشعب الجزائري مثل عمل الاستاذ كركار عبد القادر الذي اظهر في عمله ردود الفعل عن مشروع التجنيس بين 1830 و 1900 ، وفي أطروحة الدكتوراه يتناول اشكالية اليهود وعلاقتهم بين الاندماج والمعاداة بينما عرج الاستاذ مناصرية الى النشاط الصهيوني في الجزائر بين 1897 و 1962 ، وهو الطرح الذي تبناه الاستاذ خيثر عبد النور في اشكالية اليهود الجزائر بين 1870 إلى 1962. بينما تناولته ن نجوى طوبال بمدينة الجزائر في فترة 1700 إلى 1830 من خلال سجلات المحاكم الشرعية، بينما الباحثة بونداوي وهيبة تعود لهذه المسألة في بلاد المغرب الى العصور القديمة .

الكلمات المفتاحية: الطائفة اليهودية، الجزائر، الدراسات الأكاديمية، قسم التاريخ ، الفترات التاريخية، الباحثين الجزائريين.

The problematic of the Jewish community in the Algerian academic studies

Yasmina Saoudi Professor Lecture a PhD in modern history and contemporary

**University of Algiers 2 Abul-Qasim Saadallah, Algeria
com.gmail@248saoudiyasmina**

Abstract :

This study aims to examine the problematic of the Jewish community in Algeria from the perspective of its academics through licensed studies, and this is after an inventory of a number of academic theses related to doctorates and accredited masters in the Department of History at the University of Algiers 2 and we aim to shed light on the thematic trends of the reality of this sect, and what are the problems raised In this matter, in which they see that the Jews are a group present in Algerian society, professing trade in the Ottoman period, and once Algeria fell under the French occupation, the sect began to gradually return to the political and economic arena in Algeria, as it gained the support of the colonial authorities, and even became the Jew in the elected councils to become This element is a force that pressures the administration to expand its activities until the French administration subjugates and issues a "Cremio" decree to naturalize Jews.

Despite the successive colonial policies that attempted to spread toxins in Algerian society, such as the policy of divide and block and stir up strife between tribes, naturalize Jews, and dominate them over the Algerians who are suffering from both issues ... the French colonial issue, and the Jews' order ... but this did not find a way for the Algerians, which is what I stood up to. These writings, which stood at length at the valor of the Algerian people, were like the work of Professor Karkar Abdelkader who showed

In his work Reactions to the project of naturalization between 1830 and 1900, and in his doctoral thesis he deals with the problem of the Jews and their relations between integration and hostility, while Professor Manasria referred to the Zionist activity in Algeria between 1897 and 1962, which is the proposal adopted by Professor Khaither Abdel Nour in the problem of the Jews of Algeria between 1870 to 1962. While Najwa Tobal addressed it in the city of Algeria in the period 1700-1830 through the records of the Sharia courts, while the researcher Bondawi Wahiba goes back to this issue in the Maghreb to ancient times.

Keywords: The Jewish community, Algeria, academic studies, history department, historical periods, Algerian researchers.

مقدمة:

يعتبر موضوع تاريخ الطائفة اليهودية في الجزائر من أهم القضايا التاريخية الحساسة لما لها من انتماء وخصوصية ثقافية وهي الحقائق التي تدعمها تواجدهم عبر العصور في الجزائر.

وتاريخ يهود الجزائر شهد في مساره الطويل وامتداده الزمني منعرجات حاسمة، وهو ما ترمي إليه هذه الدراسة الى توضيح ذلك والتمعن في اشكالية هذه الطائفة في الجزائر من منظور أكاديميها وذلك من خلال الدراسات المجازة، وهذا بعد جرد عدد من الرسائل الأكاديمية المتعلقة بالدكتوراه والماجستير المجازة في قسم التاريخ بجامعة الجزائر²، ونهدف الى إلقاء الضوء على الاتجاهات الموضوعاتية لواقع هذه الطائفة، وما إشكاليات المطروحة في هذا الموضوع، والتي يرون فيها ان اليهود فئة موجودة في المجتمع الجزائري يتمتعون التجارة في الفترة العثمانية وما ان وقعت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي بدأت الطائفة تعود تدريجيا الى الساحة السياسية والاقتصادية في الجزائر لما كسبته من تأييد من السلطات الاستعمارية بل وأصبح اليهودي في المجالس المنتخبة ليصبح هذا العنصر قوة يضغط على الادارة لتوسيع نشاطاته.

رغم السياسة الاستعمارية الفرنسية المتعاقبة التي حاولت بث السموم في المجتمع الجزائري من سياسة فرق تسد وإثارة النزعات بين القبائل وتجنيس اليهود وتسليطهم على الجزائريين الذين يعانون الأمرين .. أمر الاستعمار الفرنسي، وأمر اليهود.. وما حملته من اغراءات مجسدة في مرسوم كريميو لتجنيس يهود الجزائر الا ان هذا لم يجد سبيلا عند الجزائريين، وهي الاشكاليات التي سهر عبيها الأكاديميين الجزائريين من خلال أبحاثهم للإجابة عنها لما لهذا الموضوع من أهمية وتداعياته على المجتمع الجزائري، فكيف تناولت الدراسات الجزائرية الطائفة اليهودية عبر فتراتها التاريخية من القلم وصولا الى المعاصر؟ وكيف كانت العلاقة التي جمعت اليهود بمختلف مكونات المجتمع الذي كانوا يعيشون بينهم وما هي عاداتهم، قوانينهم، وكيف تواجدها عبر مختلف مناحي الحياة؟

وقد وقفنا عند المنهج الاحصائي لجرد الأعمال المجازة من سنة 1967 الى سنة 2020، لقسم التاريخ بجامعة الجزائر والتي وصلت الى 11 عملا بين ماجستير ودكتوراه وقد استثنينا في هذه الدراسة أعمال الباحثين الجزائريين الذين تناولوا موضوع اليهود في غير الجزائر، كما اعتمدنا على التحليل والمقارنة الحوادث الخاصة باليهود، من باب أننا أعتمدنا على اربع رسائل غطت كل المراحل التاريخية للجزائر، مع العودة تارة الى اعمال جزائرية تناولت الموضوع، و التي وقفت مطولا عند بسالة الشعب الجزائري الذي

واجه الاستعمار واليهود في نفس الوقت مثل رسالة الباحث كركار عبد القادر الذي اظهر في عمله ردود الفعل عن مشروع التجنيس بين 1830 و 1900 ، وفي أطروحة الدكتوراه يتناول اشكالية اليهود وعلاقتهم بين الاندماج والمعاداة، بينما عرج الاستاذ مناصرية الى النشاط الصهيوني في الجزائر بين 1897 و 1962 ، وهو الطرح الذي تبناه الاستاذ خيثر عبد النور في اشكالية اليهود الجزائريين بين 1870 إلى 1962. بينما تناولته نجوى طوبال بمدينة الجزائر في فترة 1700 إلى 1830 من خلال سجلات المحاكم الشرعية، والباحثة بونداوي وهيبة عادت لهذه المسألة في بلاد المغرب الى العصور القديمة وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما يأتي:

1-الفترة القديمة:

لقد تناولت الباحثة وهيبة بونداوي اشكالية اليهود في بلاد المغرب في العصور القديمة⁽¹⁾ وركزت في اشكاليتهما على الظروف التي قادت اليهود للقدوم الى شمال افريقيا وماهي المسالك التي سلکوها الى بلاد المغرب، وماهي مواقع استقرارهم مع رصد تفاعلهم في المنطقة وقد عادت الباحثة في رصد اول وجود للجماعة اليهودية ببلاد المغرب إلى عهد الامبراطور تيتوس 179م، الذي قام بتهجير حوالي ثلاثين ألف يهودي الى اقليم برقة ومنها الى باقي شمال افريقيا، ليتوزعوا بعد ذلك في المناطق الساحلية والداخلية والمتاخمة للصحراء، ومع تزايد عدد اليهود ببرقة، قاموا بثورة ضد الرومان ولم تحمد حتى عهد الامبراطور ترابانوس 98-117م ففر اليهود الى بعض مدن الشمال الافريقي.

في نظر الباحثة أن التمرد الثاني لليهود سنة 135-138 ضد الرومان، هدم الامبراطور هدرانوس القدس السبب في انتشارهم بأعداد كبيرة ومتزايدة في حوض البحر المتوسط، وكانت المنطقة الجغرافية المدروسة ضمن المناطق التي استقطبت هؤلاء بسبب تسامح أهلها مع اليهود من ناحية، ومعاداتهم بدورهم للرومان من ناحية أخرى⁽²⁾.

وقد ربطت المحجرة اليهودية إلى بلاد المغرب القديم بأسطورة قديمة مذكورة في "سفر الأخبار" التي تتحدث عن شيشناق وحروبه مع بريمع ابن سلمان، كما تحدثت نسخ من التوراة عن القائد يوهاب Johab قائد جيوش سليمان، الذين هم البربر وتعقيهم من فلسطين إلى صحراء بلاد المغرب، حيث وصل حتى الأراضي المغربية، وقد عثر على نقش يقال أنه كتب على حجر يطلق عليه "حجر سليمان" و أين يقول "على ما تعقب جوهاب البربر"⁽³⁾ ، أما دخولهم إلى بلاد المغرب فيكتنفه الغموض نظرا للطابع

الأسطوري خاصة تلك المتعلقة باليهود إذ تشير إحداها إلى كون الملك سليمان هو الذي أرسل جالية إلى المغرب بحثا عن مصادر الذهب، ويذهب البعض للاستدلال بذلك بنص هيرودوت الذي يتحدث عن التجارة الصامتة التي كانت تتم على السواحل الأصلية مع الفنيقيين الأوائل، كما ذكرت رواية أخرى مفادها أن إبراهيم عليه السلام تزوج امرأة اسمها كيتورة، وأنجبت منها أبناء أحدهم سمي إفير Ephraim وهو الذي قام بحملة إلى ليبيا Lybia واستولى عليها وأسكن بها أبناءه الذين سموها إفريقيا نسبة إلى اسمه⁽⁴⁾.

وتعددت الروايات التي ذكرتها الباحثة بونداوي في قدوم اليهود⁽⁵⁾ إلى أنها استقرت إلى أن هجرة اليهود لبلاد المغرب القديم كان نتيجة حروبهم ضد جيرانهم بالشرق القديم، وفصلت بعد ذلك في الدوافع أو الأسباب والتي ربطتها بثلاث عوامل وهي:

أ- العامل الديني: تعتبر التوراة دين قمر وشمس وكواكب وبخضوع اليهود للبطالة والerman وفرضوا عليهم الثقافة الهيلينية مع تعرض طوائفهم لضربات سهل في الاندماج في المجتمعات التي رحلوا إليها فأثروا وتأثروا لمن حولهم، فاستمالوا إلى دينهم عددا من الأمم، خاصة وأن قبائل بربرية تؤمن بالشمس والقمر والنجوم مثل اليهود، فأروا أن تعاليم اليهودية أقرب إلى عقلية العرب والبربر من المسيحية.

فترتبت الأفكار التوحيدية والتعاليم اليهودية التي سارعت في انهيار الوثنية، وفي تغيير الوعي الديني لدى البربر، كما تمكنت بعض المصطلحات والمفاهيم الجديدة مثل البحث والحساب والميزان، والجحيم... أن تدخل قاموس البربر، فأروا أن اليهودية شريعة متكاملة لم تقتصر على العبادة والأخلاق بل تناولت الحياة من جميع نواحيها⁽⁶⁾.

ب- العامل الاقتصادي:

يتفق الجميع أن إشغال اليهود بجمع الثروة السبب في جعلهم يقصدون بلاد المغرب وذلك بعد الرجوع من السبي البابلي وتحولهم إلى ارستقراطيين محافظين يعيشون وسط الحرير والنعيم يخالطون عليه القوم من غير اليهود فأخذ اليهود يأترون على من حلوا بينهم لحمايتهم وحماية تجارتهم وإيوائهم من الاضطهاد، ولذلك قبلوا دخول القبائل البربرية ودفع الإتاوات ليأمنوا من غارات البربر أثناء مرورهم بتجارقتهم، فلذلك

اقتنعت الباحثة أن من أسباب الشتات اليهود هو التجارة، فأصبحوا يقيمون داخل المغرب القديم لا يعينهم الدين ونشره بقدر رعايتهم بالمال و استثماره⁽⁷⁾.

ج-العامل الاجتماعي:

عمل اليهود في تزييف حقائق على أنهم والبربر أبناء عم يجعل الأمم كلها من سلالة آدم ثم إبراهيم لمحاولة كسب تعاطف سكان المغرب لمواجهة الاضطهاد الذي تعرضوا اليه من الرومان، فقاموا بالبحث عن الحماية يثقون فيها فوجدوا المصاهرة سبيلا لذلك، فتكللت بظهور أسماء يهودية ذات أصول بربرية مثل عائلة خلفون، اللبدي...، خاصة وأنهم وجدوا أنماطا متشابهة للحياة الزراعية والتجارية التي كانوا يعيشونها في فلسطين⁽⁸⁾ ولتقارب

ولهذا تؤكد الباحثة في دراستها أن الأطروحات التي استند اليها المؤرخون في تاريخ استقرار اليهود بالجزائر يطرح تاريخين اوله يعود إلى العهد الفنيقي و لقرطاجي أي إلى حوالي تسعة قرون قبل الميلاد، وثانيها تجزم بأن هذا الاستقرار يعود إلى العهد الروماني، وترجح الباحثة الرأي الثاني لواقعيته والاعتماد الباحثين فيه على آثار وشواهد مادية وبذلك يعود إلى أزيد من 2000 سنة، وهذا بدافع المصالح التجارية حينما والظروف الأمنية والسياسية حينما اخر، لتشهد الجزائر أبرز المحركات اليها في عهد "تيتوس" الذي دمر القدس سنة 70 م، حيث فر من سلم من القتل والأسر الى شمال افريقيا، فضلا عن الذين طردوا من روما الى شمال افريقيا على متن 12 سفينة⁽⁹⁾.

وهكذا تكون اليهود المستقر الأرحم لليهود في ظل التناحرات السياسية، ويكونوا علاقات الصداقة وود وتجارة حيث ينهي الباحث عيسى شنوف بذكر النقوش والكتابات اليهودية التي خلدت بذلك بكل من قسنطينة وسطيف، ففي سطيف وجدت بيعة خلال القرن الثالث تؤكد كتابتها نذرية "أفيليا استرجوديام، أفليوس جانرياريوس باترسيناغوغ"⁽¹⁰⁾.

ولما عرفت نوميديا (الجزائر القديمة) مكانة هامة في العالم الروماني بإعتبارها مطمورة روما، وتحتل تجارة الحبوب مع روما وبلاد الإغريق مكانة هامة، مما جعل اليهود الذين اشتهروا في بالتجارة والمبادلات مستقرا لا اشتغال بالتجارة واعرف مما حسن من أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية وزادوا نموهم الديموغرافي شهادة الباحثان اليهوديان ريتشارد عيون وبرنار كوهين⁽¹¹⁾ تمارس الرعي والزراعة في أوقات كساد التجارة وانعدام

الأمن، فكانوا هم الذين ربطوا التجارة الخارجية لبلدان شمال افريقيا الضفة الجنوبية لحوض المتوسط، كما تولوا عملية تصدير القمح النوميدي إلى روما ويستوردون منها ما تحتاجه بلدان المغرب من بضائع. هذا التطور جعلهم يطورون حياتهم الاجتماعية- الدينية حسب التعاليم اليهودية وذلك بالاتصال الدائم مع زعماء الروحيين وكبار الحاخامات بفلسطين التي بقيت في ذاكرة الجماعة اليهودية حيثما كانت رمزا مقدسا للديانة اليهودية، رغم المضايقات الرومانية ، إلا أن اهتمام الزعماء الروحانيين للكنيسة المسيحية بشمال افريقيا وبروما على رأسهم القديس أغستين وجيروم، يظهرن التخوف من التآمر اليهودي على الديانة المسيحية التي كانت في أوج انتشارها في شمال افريقيا، وهكذا سن هؤلاء حملات معادية لليهود التي جاءت بسبب تخوفهم من قانون كركلا سنة 212 الذي منع حق المواطنة لجميع الناس الحرار دون العبيد، مما أعطى لليهود فرصة دعم نفوذهم الاقتصادي وحريةهم الثقافية والدينية⁽¹²⁾.

2- الفترة الاسلامية

لقد تناولت الدكتورة فاطمة بوعمامة في رسالتها لنيل الدكتوراة في تاريخ الوسيط موضوع اليهود في المغرب الاسلامي⁽¹³⁾ حيث ركزت دراستها في فترة زمنية محددة في القرنين 7 و 9 / 13 و 15 م وهذا للتحويلات التي حدثت في المنطقة وهما سقوط الدولة الموحدية وانقسام المغرب الاسلامي إلى دويلات، وما أحدثته هجرة اليهود القادمين من اسبانيا (الميوغوراشيم) وما أحدثته من تغيير البنية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ومن هنا مربط الفرس لدى الباحثة حيث ركزت في جانب مهم على خصائص ومميزات المجتمع اليهودي في بلاد المغرب، وماهي شرائعهم ومن اين يستمدون قواهم وكيف كان تعاملهم مع المسلمين والسلطة الحاكمة وهل هناك تأثير وتأثير مع المجتمعات التي يعيشون معها. وهنا تعود الباحثة إلى مراحل تواجد اليهود بالمغرب والذي أرجعته الى العهد الفينيقي الذي تراه مبني على فرضيات لتستقر في اثبات وجودهم في المنطقة مع الاحتلال الروماني لشمال افريقيا، اما في الحقبة الاسلامية في القرن 13 الى 15، حاولت الباحثة ابراز الوضع الجديد الذي عرفه اليهود في ظل الدول الاسلامية الثلاث (الزيانية، المرينية، الحفصية) التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية وطبيعة العلاقة القائمة بينها وبين اليهود.

حيث أثبتت الباحثة أن لليهود تشريعين اساسيين هما التوراة والتلمود، حيث يحمل هذا الأخير نفس قداسة التوراة رغم انه من وضع حاخامات، حيث تظهر الباحثة أن اليهود انقسموا إلى فرق دينية وأكثر

هذه الفرق انتشارا ببلاد المغرب فرقة القرائين وفرقة الربانيين، هذه الأخيرة أكثرهم عدد لأنها تؤمن بالتوراة والتلمود، كما سن اليهود مصادر أخرى للتشريع وهي الرسبوسنة والتكانوت وهي عبارة عن اجتهاد رجال الدين تعنى بقضايا اجتماعية واقتصادية لا تملك حلولاً في التوراة، فبذلك فإن تشريعات اليهود خاصة لكل ألوان التطور مادام يخدم مصلحتهم، ونجم هذا التطور تواجد فئتين بالمغرب، فئة تسمى بالتوشايم تعمل بنصوص التوراة والتلمود وهم يهود من الأهالي يتواجدون في المناطق الداخلية والصحراوية، والثانية تسمى بالميجوراشيم تعمل بتكانوت الجزائر او قشتالة في فاس ويعمل بها يهود اسبانيا من اللاجئين وبعض من اليهود من الأهالي في المدن الكبرى⁽¹⁴⁾

كما ركزت الباحثة في دراستها على الأحياء الخاصة باليهود في المغرب الأدنى ولأقصى والتي قامت لحمايتهم من المسلمين الذين كانوا يثرون ضدهم و لهذا فقد فرض عليهم المسلمون زي خاص للتمييز بينهم وبين المسلمين، حتى وإن لم يلتزم به بعض أثرياء اليهود وأصحاب النفوذ.

كما ناقشت الباحثة ظروف تعايش اليهود مع المسلمين وأكدت حسن المعاملة لوجود تبادل الهدايا بينهم⁽¹⁵⁾ وظهر أن تأثر عادات وتقاليدهم بعبادات المسلمين.

وأبرزت الباحثة تأثر عادات المسلمين مثل الصداق والطلاق بدفع النفقة، حرص اليهود على الطهارة... كما تميزت الحياة الاجتماعية عند اليهود بكثرة اعيادهم إلا أن يهود المغاربة انفردوا بعيدي الميمونة والهيلولة، كما بينت الباحثة قساوة التشريع اليهودي على المرأة، مع استبعاد البنت مع المراث في حالة وجود الذكور إلا أن مع بداية القرن 14 و15 عدلوا بعض القوانين التي أصبحت للبت في الحق في الميراث كما حددت الشريعة موقفها من المرأة التي يراها هي المسؤولة الأولى في المحافظة على الشريعة داخل المنزل⁽¹⁶⁾

اما فيما يخص النشاط الفكري عند اليهود فقد تبين أن الفكر اليهودي مقيد بالتوراة والتلمود ويظهر ذلك من خلال برامج التعليم، وطبيعته هذا التعليم جعلت من الشخص اليهودي متعصب لانتمائه وعدم قبوله للإسلام، بالرغم من أنه يعيش في بيئة اسلامية

كما أبرزت الباحثة أن في فترة دراستها لليهود لم يكن هناك ابداعا فكريا في المغرب واكتفوا بنقل ما تركه اسلافهم كما نقلوا عن المسلمين، مثل الشعر متأثرين بشعراء العرب وبالفلسفة الإسلامية، إلا أن اليهود في تلك الفترة برعوا في الترجمة لإمامهم الكامل باللغة العربية ولغات اوروبية مما سهل لهم بإقامة

علاقات مع الأوربيين ، كما كان لمتزجي اليهود دور هام لتعريف الدول النصرانية بثقافة العرب والمسلمين⁽¹⁷⁾

لستقر الباحثة في كون اليهود دور كبير في التجارة سواء التجارة الداخلية او المبادلات الخارجية مع أوروبا مستغلين نفوذهم من خلال توزيعهم وتنظيمهم المحكم في الطريق التجاري الرابط بين المدن الساحلية للمغرب الإسلامي وبلاد السودان كما كان لليهود حركة تجارية واسعة مع مصر والهند والصين، ومرد نجاح تجارتهم لوجود شركاء ووكلاء في الداخل والخارج، وهكذا احتكر اليهود تجارة الذهب، كما برع يهود المغرب في الصياغة و الدباغة وصناعة الخشب، كما ذهبت الباحثة للقول أن حكام المغرب الاسلامي اعتمدوا على اليهود كمفاوضين مع الدول الأوربية لتمكنهم من اللغات والترجمة وعلى رأسهم اسحاق بردونيل ، وجودا وابراهيم فانا⁽¹⁸⁾

أظهرت دراسة الأستاذة بوعمامة أن تولي اليهود للمناصب في الدولة المرينية كالوزارة ورئاسة الشرطة، ونفوذهم السياسي أحدث ثورات ضدهم بسبب تجاوزهم لشرع الاسلامي بعدم تقيدهم بقانون أهل الذمة مثل ثورة عبد الكريم المغيلي التي انتهت لوجود اليهود في منطقة التوات⁽¹⁹⁾

3- الفترة الحديثة

مما لا شك في أن البحث في وضعية اليهود أثناء مرحلة حكم الدايات⁽²⁰⁾، و هي مرحلة هامة جدا من تاريخ الجزائر كما تراه الباحثة نحوى طوبال، يثير الكثير من الفضول التاريخي ويطرح جملة من التساؤلات، نظرا لخصوصية الدينية-العرقية لهذه الطائفة من جهة، وانطلاقا من الدور الحساس الذي لعبوه اليهود في تاريخ الجزائر من حية ثانية، إذ اعتبروا من بين الأسباب التي نخرت جسدها وزادوا ضعفا حتى سقطت تحت وطأة الاحتلال الفرنسي سنة 1830. فقد حرص اليهود عمى استغلال هذه الأوضاع السياسية و الإدارية لصالحهم، ففرغوا لتحقيق المكاسب الاقتصادية والمالية، وعمموا عمى الاحتكاك والتقرب من الفئة الحاكمة وموظفي الجهاز الإداري، فاستحوذوا على احتكارات تجارية، باستعمال وسائل مختلفة كالرشوة و القرب بالهدايا ثمينة والقروض المالية والتجسس في الداخل والخارج لحساب البعض... الخ، فساهمو بذلك في نشر الفساد والرشوة بين موظفي الإدارة . كما نجحوا أيضا في تهميش المنافسين من التجار المسممين، وبذلك سيطر اليهود على مقاليد التجارة الخارجية، التي تعتبر عصبيا اقتصاديا حساسا

إن بداية استقرار عناصر يهودية ليفورنية بمدينة الجزائر يعود إلى النصف الثاني من القرن السابع عشر، عموماً أن توافدهم استمر طيلة القرن الثامن عشر ميلادي وعرفوا باليهود الميفورنيين أو "اليهود الفريجة" وقد تمتعوا بامتيازات خاصة، إذ شملتهم امتيازات حظي بيه الفرنسيون خصوصاً والأوروبيون عموماً لدى الدولة العثمانية من بينها إعفاء من دفع أغلب الغرامات والمساهمات التي كان يدفعها باقي اليهود حيث اعتبر اليهود الميفورنيين رعايا أوروبيين، شملتهم حماية القنصل الفرنسي مباشرة كما تميزوا عن باقي أبناء ملتهم في الملابس إذ ارتدوا الأزياء الأوروبية أما عن سبب استقرارهم بالمدينة، فيبدو أن ذلك حدث بتشجيع كبير ومباشر من دوق توسكانيا فتحولوا بفعل علاقاتهم العائلية مع يهود مدينة الجزائر، إلى وسطاء نامين ما بين الولايات العثمانية (الجزائر وتونس وطرابلس، والمدن الأوروبية ولاسيما في عملية اقتداء الأسرى وبيع الغنائم البحرية، فحققوا من وراء هذه التجارة أرباحاً طائلة، ونتيجة ممارستهم لمثل هذه الأعمال تدعمت وتقوت صلتهم بالدول المسيحية، كما دفع هذا النشاط بالكثير من مقيم في البداية إلى الاستقرار المؤقت بالمدينة، ثم تحولوا إلى الإقامة الدائمة، وكانت الامتيازات التي حظيوا بها حافزاً لذلك وقد تميزت الأعمال التجارية لليهود الليفورنيين بطابعها العائلي، فبعض العائلات رأت أن من الحكمة إنشاء فروع ووكالات لشركائهم في كل من الجزائر وتونس وطرابلس، وعينوا أقاربهم مشرفين لهذه الفروع، بهدف تسهيل الصفقات التجارية ومن أبرز هؤلاء التجار الذين استقروا بمدينة الجزائر في أواخر القرن 17م، نذكر وا وكوين وصموئيل نانريكان وموسى كوين وباروخ لوصاد وموسى كل من: بن دحمان وساكوتو سحاق... إلخ وان كانت معظم المصادر تشير إلى خط الهجرة المعروف من مدينة ليفورنو باتجاه مدينة الجزائر، فإن ذا فيمبيني "Phillipini" يشير إلى وجود تيار هجرة معاكس أي من مدينة الجزائر نحو مدينة ليفورنو، ابتداء من منتصف القرن السابع عشر ميلادي واستمر طوال القرن الثامن عشر، وقدرت نسبة اليهود الوافدين إلى ليفورنو من مدينة الجزائر مع نهاية القرن، بـ 13% من مجمل اليهود المقيمين بميفورنو. وتعود هذه الهجرة بالدرجة الأولى إلى عوامل اقتصادية، ورغم أنها شملت فئات اجتماعية مختلفة من اليهود، إلا أن الغالبية تشكلت من اليهود المغامرين والباحثين عن فرص العمل والارتزاق في ميناء ليفورنو، ومن التجار الباحثين عن الثروة وعنّص فضاءً أوسع لتجارة، هذا بالإضافة لظروف الإقامة المشجعة والمعاملة الحسنة التي تيمّح بيا سمطات مدينة (31) ليفورنو، نظراً للمكاسب المادية التي كان يتحصل عليها الحكام من جراء ازدهار تجارة الغنائم البحرية وما يجب ذكره أن هجرة اليهود الميفورنيين إلى مدينة الجزائر قد اختلفت

عن باقي المحجرات نظرا لكونها هجرة اختيارية فاستقراهم كان لأسباب اقتصادية-تجارية بالدرجة الأولى، على عكس المحجرات اليهودية الأخرى والتي كانت اضطرارية.

و قد شكل اليهود الميفورنيون قوة اقتصادية بالمدينة ونشطوا حركة التجارة بين موانئ ضفتي البحر المتوسط واستفادوا من علاقاتهم التجارية في أوروبا عموما، ومن صالتهم العائلية مع اليهود الأوروبيين خصوصا، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الاستقرار اليهودي بمدينة الجزائر لم يكن عشوائيا، فالازدهار الاقتصادي الذي عرفته المدينة تأتي من عوائد النشاط البحري .ومن ثمة أضحت مدينة الجزائر نقطة جذب واستقطاب لهؤلاء اليهود الذين أصبحوا وسطاء ملمين في عملية اقتداء الأسرى و تجارة الغنائم البحرية⁽²¹⁾

ركزت الباحثة نجوى طوبال على أماكن إقامة اليهود حيث ترى أنهم فضلوا الانتشار في المنطقة السفلى من مدينة الجزائر ، حسب ما ذكرته المراجع اليهودية ، وما أكدته الدراسات الحديثة، و عادت لتستدل بدراسة التي قام بها "بن حموش"، والذي حاول رصد مراكز تجمع اليهود بالمدينة وتوصل إلى أن نسبة كبيرة من سكانات اليهود تركزت في القسم السفلي منيا وبصفة خاصة حول قصر الداوي، واعتبر هذه المنطقة من أهم المناطق التي أقام فيها اليهود أما المنطقة الثانية، فهي القريبة من باب الوادي حيث توجد بيعة اليهود الكبرى، في حين جاءت المنطقة الواقعة على طول شارع البوزة والسوق الكبير في المرتبة الثالثة⁽²²⁾ وترى الباحثة أن مرد اختيار هذا الموقع يعود لخصائص و المميزات التي يتمتع بها الجزء السفلي، وقد اتخذ الشارع الرئيسي الرابط بين باب الوادي وباب عزون، معهما لمفصل بينو وبين الجزء العلوي المعروف بالجبل، ويمتد هذا الأخير إلى الغرب من الشارع المذكور، في حين يمتد الجزء السفلي إلى الشرق منه. وهذا القسم يسميه طال "Tall Shuval" شوفال ومن قبمو "اندريو ريمون" بـ "المركز" و"القلب النابض" لمدينة حيث حدث بو تمركز وتجمع المؤسسات الحيوية لمبالد . كما تجمعت في الجزيرة والمؤسسات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، فبالإضافة إلى لقصر الداوي، وجد بهذا القسم أهم مساجد المدينة، كالجوامع الأعظم والجوامع الجديد وجامع السيدة، كما وجدت به المقاهي الرئيسية والأسواق ودكاكين الحالفين .

ذهب "بن حموش" إلى القول بأنه، على خالف حالة اليهود في تونس والقاهرة حيث خصصت لهم حارة، فإنه ال توجد في سجلات البابليك أية إشارة إلى وجود حي خاص باليهود بمدينة الجزائر باستثناء

الشارع الذي يطمق عميو زنقة اليهود والذي يدعى أحيانا حومة اليهود ، و ما يجب ذكره في هذا الصدد، هي الإشارة الصريحة التي وردت في أحد العقود، ودلت عمى وجود "حارة اليهود"، وقد فياً عر الموثق بذه التسمية التي ال تدع مجال ألي التباس أو شك في حين ورد في عقد آخر إشارة ضمنية إليها بعبارة "...الدار الكائنة في الحارة" .. ونميل إلى الاعتقاد أن الموثق يشير إلى حارة اليهود . لكن وجود حي خاص، عرف بـ "حارة اليهود" حسب الباحثة يدل على ظاهرة الانغلاق الاجتماعي التي أشارت إليها أغلب المصادر الأوروبية المعتمدة في هذه الدراسة، بل إن بعض المؤرخين اليهود المهتمين بدراسة أوضاع الجماعات اليهودية المستقرة ببلاد المغرب يرون بأن تجمع اليهود في أحياء خاصة في مدن المسلمين، يدل عمى مستوى الحرية الذي تمتعوا به، فقد سمح ليم بالتجمع في مكان واحد، باعتبارهم مجموعة عرقية وإثنية، وهذا شبيه بوضع الجماعات الحرفية التي كانت كل واحدة منيا تقطن بنفس الحي فالأمر ال يختلف كثيراً، وهذا ال يعني الانعزال عن بقية السكان⁽²³⁾

4- الفترة المعاصرة:

عشية الاحتلال الفرنسي كان عدد اليهود يقدر بحوالي 40 ألف في كل الإيالة ، بينما تقدم مصادر أخرى، 3 ألف، حيث كانوا يعيشون في المدن كالجنازير وقسنطينة، يمارسون دينهم بكل حرية تحت إدارة حاخاماتهم.

يبرز اليهود في الترجمة بين أرباب الدولة والقناصل الأجانب ونذا احتكار التجارة الخارجية للجزائر⁽²⁴⁾ غير ان بحلول الاستعمار الفرنسي عرض اليهود الجزائر الى صدمة حضارية ثقافية حسب الباحث بما حمله من إغراءات لليهود الذين كانوا مبهرين بما حققه إخوانهم من اندماج في الحضارة الغربية و الذي جاء بعد تنازلات عديدة من لدن هؤلاء، فجاء مرسوم كريميو لتجنيس يهود الجزائر إلا أنه جاء في وقت ميزه ظهور موجة عارمة لنزعة معادية لليهود عالميا سبب قدره هؤلاء في الاندماج في مجتمعات دول العالم التي يتواجدون فيها⁽²⁵⁾، كما أن انتقاهم من اهالي أفارقة إلى (أقدام سوداء) فرنسيين، وهنا حاول البحث في تجاوب اليهود مع هذه المتغيرات وكيف تكيفوا معها، رغم الرفض الشعبي لهذا المقترح من حكومة فيشي حيث ربط الباحث إشكالية بمعلمين تاريخيين هامين هما سنة 170 والذي يحمل تحول يهود الجزائر إلى فرنسيين بفعل مرسوم كريميو، ومن ثم بروز نزعة المعادة ضدهم في ظل الاندماج الرسمي لهم، وسنة 1945 فهي تعود إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، والتي مثلت لليهود نهاية الكابوس الذي عاشوه في ظل نظام

فيشي وعودة التطبيع التدريجي بعد القضاء على التهديد النازي، والذي بدأ في استغلال التشهير بجرائمه لصالح الصهيونية العالمية لتحقيق اهدافها، وحتى الجماعات اليهودية المندمجة لتحقيق المزيد من المكاسب والحماية الدولية، وخاصة بعد ظهور الو. م. أ التي تبنت فكرة تحرير اليهود وادماجهم⁽²⁶⁾.

ومن كل هذه المنطلقات استقر الباحث إلى إشكالية مهمة والتي دائما محل إثارة من اليهود وهي معادة الشعوب لهم وما دوافع ذلك؟ وفيما تتجلى تلك المعادة، وماهي السياسة التي اتبعتها الإدارة الفرنسية لدمج اليهود، وأسئلة أخرى مرتبطة بالعلاقة، والمواقف المختلفة.

فقد طرح الباحث قضية معادة السامية في الجزائر⁽²⁷⁾ وأرجع أسبابها إلى ادعاء اليهود بقدسية مجموعتهم البشرية وأنهم أمة، وهو ما يستبعده الباحث في ظل التطورات التاريخية⁽²⁸⁾.

فاتخذت أشكالا متعددة بين المذابح والاضطهاد المباشر في مجتمعات أوروبا الشرقية، والنضال السياسي والحملات الصحفية، وكانت نزعة المعادة تجلت في ظهور الفكر الصهيوني الذي تحول إلى حركة معادية تتغذى من الحقد والكراهة.

وتعددت مظاهر معادة اليهود في الجزائر وتزامنت الحركة في بدايتها مع الصدى الذي تركته أحداث 1882 في روسيا في عهد الاسكندر الثاني ضد اليهود الذين ذهبوا ضحية مذابح، كما تزامنت مع اشتداد قضية دريفوس الشهيرة 1894 في فرنسا⁽²⁹⁾.

علاوة على أن المعادة جاءت من قبل المستوطنين اثر صدور قرار التجنيس، حيث ظهر اول رابطة مضادة للسامية في مدينة مليانة سنة 1871 ثم حملت ضدهم الرابطة المعادية لليهود التي تأسست سنة 1892، بشعار المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية وأدى ذلك لظهور رابطات اخرى سنوات 1894 و 1896⁽³⁰⁾، كما زاد نشاطهم مع القرن العشرين بحضور ممثلين من شمال افريقيا في المؤتمر الصهيوني الاول المنعقد ببازل السويسرية بمشاركة أحد يهود قسنطينة الذي شارك عدة مرات في عضوية المجلس المحلي بعد هزيمة المعادين لليهود في انتخابات 1902.

كما كانت جامعة الجزائر مخبر لمعادة اليهودية، فانتقلت المعادة من الصحف والجمعيات إلى مدرجات الجامعة⁽³¹⁾، إذ ظهرت ما بين 1885 و 1905 حوالي 22 جريدة معادية لليهود باللغة الفرنسية⁽³²⁾.

ورغم نشاط الحركة الصهيونية إلا أن صداها لم يكن واسعا في أوساط يهود الجزائر باستثناء يهود مدينة قسنطينة الذين أرسلوا خطابا في سبتمبر 1897 إلى رئيس المؤتمر ثيودور هرتزل شرحوا له فيه أن الصهيونية حظيت بإهتمام واسع في أوساطهم، وانتشرت بينهم، كما أعربوا له عن تأييدهم الكامل لقرار المؤتمر الصهيوني⁽³³⁾، رغم ذلك، فإن عدد المنخرطين في المنظمة الصهيونية سنة 1919 كان ضعيفا قدر بـ 24 عضوا في العاصمة، و 30 عضوا في مستغانم و 129 في تلمسان و 197 في المدينة⁽³⁴⁾.

تعد حركة إدماج اليهود من أبرز الأحداث في تاريخ الاجتماعي وقد مرت بمحطات في العالم من قوة ضغط على الأنظمة الحاكمة بما يمتلكونه اقتصاديا، بينما في الجزائر كانوا تحت الاحتلال الفرنسي حيث سعى اليهود للإدماج فرنسا لإقناع الحكومات الفرنسية المتعاقبة رعاية يهود الجزائر ومنحهم الامتيازات تساعدهم في الوسط الفرنسي، ليصاغ قانون كريميو في انتظار الاندماج الاجتماعي.

ولتحقيق اندماج فعلي كان على السلطة استعمال آليات هامة لأجل ذلك بداية بفرنسة اليهودية الجزائر بإصدار أممية سان كلود في 9 نوفمبر 1845 والتي تضع اليهودية الجزائرية على النمط الفرنسي، كما استعملت المدرسة لدمج الجيل الجديد ولحت الأممية بتكوينهم أيضا دينيا، لتكون المدارس اليهودية متنوعة من حيث البرامج، يتكفل المعلمون اليهود بالمواد الدينية أما المعلمون الفرنسيون بالقراءة والكتابة والحساب واللغة الفرنسية⁽³⁵⁾.

ورغم هذه الإغراءات بقي اليهود منغلقيين محافظين بخصوصيتهم المحلية فتمركزوا في المدن الكبرى كالعاصمة وعنابة والبليدة و المدية ووصلوا إلى مناطق الجنوب كالوادي⁽³⁶⁾ كما تطور اليهود تجارهم بحلول الفرنسيين حيث تحولوا إلى وسطاء وهذا ما مكّنهم من احتكار عدة مجالات، وخاصة أنهم دخلوا إلى قطاع جديد ونشطوا فيه وهو مجال العقارات والأراضي بحكم ثروتهم المالية، أصبحوا يشترون من المستوطنين الأراضي أو حتى الاستلاء عليها عن طريق الرهن ثم الشراء⁽³⁷⁾

أما الجانب الاجتماعي فقد شهدت تحولا هاما بعد مرسوم كريميو، حيث أصبح اليهود سادة بمقدورهم إلى فرنسيين، لينقل إلى المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي على حساب الأهالي المسلمين، وازداد أغنياءهم ثروة، وهي التي كانت تقود الجماعة اليهودية في الجزائر⁽³⁸⁾، أما في الجانب الثقافي فظهرت مجموعة من الفنانين اليهود الذين بقوا متعلقين بتراثهم الجزائري والذين لم تفلح مدرسة جول فيري ولا

مدارس الرابطة الإسرائيلية العالمية، ولا القهر الثقافي الفرنسي في اقتلاعهم منه، نظرا لعمق اندماجهم في المحيط الثقافي الجزائري⁽³⁹⁾ بينما تفرنست الممارسات الدينية الأم.

تميزت العلاقة بين اليهود والمستوطنين الأوروبيين بالجزائر، خاصة بعد الجمهورية الثالثة التي انتهجت سياسة استيطانية لصالح الوافدين الجدد بالتوتر والمعادة خاصة بعد تحسن أحوال اليهود وازدهار تجارتهم، في وقت أصيب انتاج تجارة الكروم لدى المستوطنين بانحيار وتعرضهم لإفلاس، اما علاقاتهم بالسكان المسلمين فقد شهدت اختلال للتوازن بين الطرفين لصالح اليهود خاصة بعد تغيير وضعهم القانوني، حيث كان القانون من بين الدوافع لقيام ثورة المقراني والحداد، ولم يظهر الجزائريين عداوة تجاه الجزائر ولا استحسان للإجراءات المتخذة ضدهم، ولعل ابرز حدث شهده مسار العلاقات أحداث قسنطينة⁽⁴⁰⁾ 1934، أين ذهب ضحيتها 23 يهودي واربعة جزائريين⁽⁴¹⁾.

ومن هذا الباب سعت اليهودية الفرنسية أن تحتضن نظيرتها في الجزائر، فكانوا يشعرون تجاههم بالعطف والوصاية وبالمقابل فقد وجدت الأرستقراطية اليهودية في الجزائر مساندة من رجال المال اليهود في فرنسا، فكان مسار الاندماج طويلا بداية باستنساخ المؤسسات اليهودية الفرنسية على اليهودية الجزائرية ودمجها معا، حتى غدت الكونزستورات المحلية لوهراة وقسنطينة مسؤولة امام الكونزستور المركزي لفرنسا مباشرة.

وقد جاء قرار التجنيس نتيجة المجهودات التي قام به اليهود الفرنسيون على جانب الدعم المعنوي من أطراف خارجية متنفذة كالفرع الفرنسي من أسرة آل روتشيلد.

ولعل كريميو كان يمثل رمز هذه الرابطة، حيث وجد يهود فرنسا في هذا الوزير اليهودي خير سند لهم وقد قام بزيارة الجزائر أكثر من 17 مرة قبل إصداره لقانون كريميو الشهير.

وقد ربطت اليهود علاقة بالسلطة الفرنسية فأشركتهم في الادارة إلى أن وصلت إلى قرار تجنيسهم الجماعي والذي لقي معارضة شديدة من المستوطنين إلى درجة أن أسرع المسؤولين الفرنسيين بحل الادارة بإعطاء الاستقلالية المالية للجزائر وانساء المندوبيات المالية وهذا من أجل التخلص من مشكلة معادة اليهود⁽⁴²⁾.

ومع انحيار فرنسا امام المانيا سنة 1940، وقيام حكومة فيشي، كانت توسع أفكار النازية المعادية لليهود بإصدار قرارات قمعية ضد اليهود باعتبار فرنسا غير المحتلة منطقة استداع لليهود⁽⁴³⁾، كما

انتهجت حكومة فيشي نفس المنحى بإقرار وضعين واحد في أكتوبر 1940 و الثاني في جوان 1941 لليهود، حيث ذهب الفرنسيون أبعد في ذلك بإلغاء مرسوم كريميو في 18 أكتوبر، واغلقت الوظائف المالية والتعليمية أمام اليهود في المهن الحرة، وتم مساومتهم في حقوقهم السياسية بالأهالي المسلمين⁽⁴⁴⁾.

ولتطبيق الاجراءات المعادية لليهود في الجزائر شكل جهاز اداري يكرس بنشاطاته للمشاكل اليهودي في مارس 1941، كما أورد بقانون تنظيم الاقتصاد في 2 جويلية 1941 لتصفية كل تأثير يهودي في الاقتصاد، إلا أن سقوط حكومة فيشي وحلول حكومة فرنسا الحرة في الجزائر التي ألغى كامل قرارات سابقةها واقرار مرسوم كريميو من جديد بعد ضغوطات اجنبية وامريكية والوطني اليهودي⁽⁴⁵⁾

من خلال ما سبق ذكره يتضح أن الأكاديميين الجزائريين أولوا اهتماما ملحوظا للفئات الاجتماعية المكونة للمجتمعهم في كل فترات التاريخ، وتتفق جل الدراسات على الاضطهاد الذي عرفه اليهود في اوروبا وحتى يهدم القدس في المرحلة القديمة باضطهادهم من طرف الرومان ليجدوا بلدان المغرب ملذا لهم، حيث يستقطبهم المغرب الاوسط ثم الجزائر في الفترة العثمانية وفترة الاحتلال الفرنسي، لنجد التعايش بين هذه الطائفة والمجتمع المحلي الا ان هذا التعايش سيعرف تحولا مع الدخول الفرنسي الذي رفع من شأن اليهود بسن مرسوم كريميو لتجنيسهم، وهو ما أثار غيض الجزائريين، ونشهد الفترة بعض المناوشات. ويبقى

¹ وهيبة بونداوي، اليهود في بلاد المغرب في العصور القديمة 814م، 430م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، اشراف أ.د/ محمد الهادي حارش، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، السنة الجامعية، 2012/2010.

2 نفسه، ص 59

3 نفسه، ص ص أ- ب (من المقدمة)

4 حديجة حمش، الساطير وتاريخ شمال افريقيا، أطروحة لنيل شهادة دكتور في التاريخ والأركيولوجيا، الرباط، 2003-2004، ص. 194.

5 بونداوي، المرجع السابق، ص ص 59-69.

6 نفسه، ص 71

7 نفسه، ص 72

-
- 8 نفسه، ص 74
- 9 فوزي سعد الله، يهود الجزائر، هؤلاء المجهولين، شركة دار الأمة والطباعة والترجمة، الجزائر
- 10 عيسى شنوف، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة، الجزائر، ص 24.
- 11 يونداوي، المرجع السابق، ص ص 134-135
- 12 نفسه، ص ص 137-138
- 13 فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الاسلامي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف د/ خالد كبير علال، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، السنة الجامعية 2009/2008
- 14 نفسه، ص 260
- 15 نفسه، ص 261
- 16 نفسه، ص 262
- 17 نفسه، ص 263
- 18 نفسه، ص 264
- 19 نفسه، ص 265
- 20 نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700-1830) - المحجرات و أماكن الاقامة - مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 3، ديسمبر 2010، ص 3
- 21 نفسه، ص 4
- 22 نفسه، ص 5
- 23 نفسه، ص 5-6
- 24 عبد القادر كركار، يهود الجزائر وعلاقتهم بين الاندماج والمعاداة 1870-1945، أطروحة لنيل شهادة دكتوراة العلوم في تاريخ المعاصر، إشراف أ. د. / مسعودة مجاوي، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، 2015-2016، ص.33.
- 25 نفسه، ص 2
- 26 نفسه، ص 4.
- 27 نفسه، ص 46.
- 28 نفسه، ص 272.
- 29 نفسه، ص 70.

-
- 30 يوسف مناصرة، النشاط الصهيوني في الجزائر 1897-1962، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص 84.
- 31 كركار، المرجع السابق ص 72
- 32 علجية دوداح، الاندماج الاجتماعي الثقافي للطائفة اليهودية في الجزائر من الاحتلال الفرنسي إلى الاستقلال (دراسة سوسيوتاريخية)، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، رسالة لنيل شهادة الماجستير، السنة الجامعية 1998-1999، ص 93
- 33 يوسف مناصرة، المرجع السابق، ص 90
- 34 علجية دوداح، المرجع السابق ص 101.
- 35 يوسف مناصرة، المرجع السابق، ص 90.
- 36 للمزيد في الموضوع أنظر الفصل الثاني من رسالة كركار، المرجع السابق، ص 139-186.
- 37 كركار. المرجع السابق، ص 185.
- 38 كركار، ص 185
- 39 نفسه، ص 185
- 40 نفسه، ص 231
- 41 نفسه. ص 220.
- 42 نفسه. ص 269.
- 43 نفسه. ص 269.
- 44 نفسه. ص 270.
- 45 نفسه. ص 270

قائمة المراجع:

- 1- سعد الله فوزي، يهود الجزائر، هؤلاء المجهولين، شركة دار الأمة والطباعة والترجمة، الجزائر.
 - 2- شنوف عيسى، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة، الجزائر.
 - 3- مناصرة يوسف، النشاط الصهيوني في الجزائر 1897-1962، دار البصائر، الجزائر، 2008.
- الرسائل الجامعية:
- 4- بوعمامة فاطمة، اليهود في المغرب الاسلامي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف د/ خالد كبير علال، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، السنة الجامعية 2008/2009.

-
- 5- بونداوي وهيبة، اليهود في بلاد المغرب في العصور القديمة 814م، 430م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، إشراف أ.د/ محمد الهادي حارش، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، السنة الجامعية، 2012/2010.
- 6- حمش خديجة، الساطير وتاريخ شمال افريقيا، أطروحة لنيل شهادة دكتور في التاريخ والأركيولوجيا، الرباط، 2003-2004.
- 7- دوداح علجية، الاندماج الاجتماعي الثقافي للطائفة اليهودية في الجزائر من الاحتلال الفرنسي إلى الاستقلال (دراسة سوسيو تاريخية)، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، رسالة لنيل شهادة الماجستير، السنة الجامعية 1998-1999،
- 8- كركار عبد القادر، يهود الجزائر وعلاقتهم بين الاندماج والمعاداة 1870-1945، أطروحة لنيل شهادة دكتور في العلوم في تاريخ المعاصر، إشراف أ. د. / مسعودة بجاوي، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، 2015-2016.
- 9- نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700-1830) - الهجرات و أماكن الإقامة- مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 3، ديسمبر 2010.

مقارنة بين طبقات الشعب في النظام الساساني والحيري

م. م. محمد سلمان حمود عوده الصافي

جمهورية العراق/ وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية ذي قار/ قسم تربية قلعة سكر

Alsafi2015msh@gmail.com

الملخص

كانت الشعوب في عصر قبل الاسلام ولا سيما المجتمع الساساني والمجتمع الحيري تقسم طبقات السكان الى عدة فئات حسب كل مجتمع والرؤية التي يتبناها نظامه السياسي وبغض النظر عما كانت قائمة عليه من هذه التقسيمات فأما تقسيمات بغيظه ولدت كراهية بين المجتمع الواحد وخصوصا ما كانت منها تتبع مراقبة صارمة وتمنع الانتقال بين فئاتها الا ما ندر (المجتمع الساساني). يقابله حرية واسعة في المجتمع الحيري في الانتقال. من اسباب اختيار هذا الموضوع هي معرفة تمسك الامبراطورية الساسانية بنظام الطبقات وماهي اهم اسسه. ان المدى الزمني لموضوع البحث هو من القرن الثالث الى السابع الميلادي، ومكانيا هو كافة حدود الامبراطورية الساسانية ومن ضمنها مملكة الحيرة. وقد اثار البحث موضوع الاسس العامة وكيفية تقسم الشعب في نظام الطبقات الذي تعود جذوره الى ما قبل الساسانيين. تم تقسيم الدراسة الى مقدمة ثلاثة مباحث وخاتمة: -

استعرض المبحث الاول تقسيمات المجتمع الساساني خصوصياته والحالات النادرة التي تحدث في الانتقال الى الطبقة الاعلى.

تناول المبحث الثاني التقسيمات في المجتمع الحيري وتطرق الى خصوصيات فئاتها.

ناقش المبحث الثالث ما توصل له البحث اي نتيجة المقارنة بين المجتمعين.

ختم البحث في الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: طبقات الشعب، الساساني، الحيرة.

**A comparison between the classes of the people in the Sasanian and
Hariri system**

Assistant Lecturer Mohammed Salman Hammoud Odeh

Al-Safi

**Republic of Iraq / Ministry of Education / General Directorate of Dhi
Qar Education / Department of Qalat Sakar Education
Alsafi2015msh@gmail.com**

Abstract:

The People of pre Islam era particularly, the Sasanians society and AL Hirian society divide the classes of population into Several types according to each society and the vision of his political system. Regardless what these divisions are set up, it is hateful divisions produced the hake among the society, especially it is followed by a strict control and prevent the movement among them (Sasanian society). In return a wide freedom of movement in AL- Hirian society. One of the reasons for choosing this topic is to know the holding of Sasanian empire in the classes system and what are the most his Principles. The time range of the search is from the third to the seventh century A. D. and As place all the borders of Sasanian Empire including the Kingdom of Al-Hirah.

The search rosined general Principles and how to divide the society into layers which go back to pre- Sasanian times. The study is divided into introduction, three sections and ending. The first section reviewed Sasanian's society divisions, its Peculiarities and the rare Cases which happen in the transition to the upper class. The second section deals with the divisions in Al- Hirian society and reviewed the Peculiarities of their Categories. The third section discussed the result of Comparison between the two societies. The search ended with the list of Sources and references.

المبحث الاول: طبقات المجتمع الساساني

كانت الاسرة تقوم على السلطة الأبوية او أكبر افرادها وحرمان الزوجة من الحرية بالنسبة الى زوجها مع انها كانت عند اربي ايران افضل من اربي الشعوب الاخرى وكان الاولاد يتبعون تبعية محضة وكان رئيس الاسرة في العهود القديمة هو القاضي والقائم بالآداب العقائد والمشرف على تنفيذها في ان واحد لان الطقوس الدينية بسيطة جدا فلم يكن دورا بارزا لرجال الدين وكان اجراء الطقوس الدينية وتقديم القرابين من واجب رؤساء العوائل⁽¹⁾.

كان تقسيم طبقات الشعب قبل الساسانيين مقسم الى ثلاث طبقات هي

1. طبقة رجال الدين

2. طبقة رجال الحرب

3. طبقة الزراع

وهذا التقسيم الإداري يرجع إلى الزمن القديم وهو ما ذكر في الأوستا الحديثة وهناك طبقة رابعة هي طبقة الصناع⁽²⁾.

لكن اردشير الاول (226-240 م) أجري تغيير على هذا النظام وجعله على الشكل التالي

1- طبقة رجال الدين

2- طبقة رجال الحرب

3- طبقة الكتاب - كتاب الدواوين

4- طبقة الفلاحين والصناع

وكان يعتقد ان انتقال اي فرد بين الطبقات يعتبر فساد الملك لذلك وضع حدود صارمة لكل الطبقات حتى لا يسمح لأي ممتحن ان يغير مهنته الا تحت شروط خاصة يعينها الموبدة والمرايضة من رجال الدين⁽³⁾.

لكن اردشير جعل لهذه القاعدة استثناء ووضع قيودا شديدة لهذا الاستثناء فامر رؤساء الطبقات الاربع انهم توسموا في احداً من ابناء المهنة امارات الرشد والخير او راوه ذا بطش وقوة وشجاعة او ذا فضل او فطنة ان يعرضوه عليه وكان الملك يحيل هذا المختار الى الموبدة والمرايضة لأبداء رأيهم فيه بعد ان يختبروه فاذا وجدوه اهلاً لان ينتسب الى الطبقة الجديدة رفعوا امره الى الملك فيأمر بألحاقه الى الطبقة الجديدة⁽⁴⁾.

فيذكر ان كسرى انوشروان رأى في منامه رؤية عجز عن تفسيرها المفسرون وعندما عرضت على صبي اسمه (يزرجمهر) تمكن من تفسيرها تفسيراً صحيحاً فسر الملك بذلك وكرمه ورفع مرتبته واخذ من ذلك اليوم بالترقي فاصبح معلماً لابن انوشروان (هرمز) ثم ارتفعت مرتبته حتى اصبح الوزير الاول له ، ويذكر ان سابور الثاني (309-379م) قد رفع مرتبة صبي اسمه (درشامات) فجعله اميراً لأحدى الكور في ارمينيا لما ابداه من شجاعة فائقة انقذ بها سابور الثاني من الموت في معركة مع الكوشانيين⁽⁵⁾.

كان النظام الطبقي صارماً جداً لدرجة الباس والمسكن كما جاء في كتاب تنسر (وميز الاشراف عن محترفة المهنة باللباس والمراكب والزينة كما ميزت ازواجهم بثياب الحرير والقصور العظيمة)⁽⁶⁾.

وكان من رسم ملوك الفرس ان يلبس اهل كل طبقة ممن في خدمته لبسة لا يلبسها احد في غير تلك الطبقة فاذا وصل الرجل الى الملك عُرف بلبسته صنعته والطبقة التي هو فيها فكان الكتاب جميعاً يلبسون لبستهم المعهودة فاذا سافر الملك تزينوا بزى المقاتلة⁽⁷⁾.

كان لكل طبقة من الطبقات رئيس، فكان (ايران سباهذ الاصبهذ) على راس رجال الحرب و(الموبدان موبد) على راس رجال الدين وايران دبيريدي او (دبيران مهيست) على راس طبقة الكتاب

والطبقة الرابعة يرأسها وستريوشانسالار او وستريوشيد او (هنجشيد) وهي طبقة عامة الشعب، وإلى جانب رئيس كل طبقة من الطبقات الاربعة يوجد عارض يكون مسؤولاً امام رئيس طبقته مهمته احصاء اهل طبقته اي عمل جرد لهم باسمائهم وكذلك (مفتش) مهمته تعليم افراد طبقته من الصغار المهنة المحدده او العمل لطبقتهم⁽⁸⁾ .

وهناك تقسيم اجتماعي اخر ظهر في ايام الاولى من الدولة الساسانية ويرجع من غير شك الى دولة البرت، وكان هذا التقسيم مشار اليه في النقش المسطور بلغيتين في حاجي اباد، حيث يذكر الملك شابور الاول رمية سهمه المشهورة التي رميت في حضور امراء الدولة (شهر داران) ورؤساء او افراد العائلات الكبيرة عامة (واسبوران) والعظماء (بزركان) والاحرار او النبلاء (ازادان) وليس من اليسير تحديد الصلة بين هذا التقسيم الذي لا يشمل غير الطبقات الممتازة والتقسيم الاخر الذي يتعلق بالشعب عامة، فان هذه الصلة لم تكن واحدة دائماً وبالجملة فان نظام الطبقات كان غامضاً جداً⁽⁹⁾ .

والطبقات الاربعة هي :-

الطبقة الاولى: الاساور من ابناء الملوك وهي الطبقة العليا في المجتمع

الطبقة الثانية:- النساك وسدنة بيوت النار اي رجال الدين

الطبقة الثالثة:- الاطباء والكتاب والمنجمون، اي طبقة اهل العلم والمعرفة

الطبقة الرابعة:- الزراع والمهان واضرابهم اي الطبقة الدنيا من السكان⁽¹⁰⁾ .

كان افراد الطبقة الاولى يحملون لقب ملك وهذا مسوغ ان يكون لقب ملك ايران شاهنشاه اي ملك الملوك، وتشمل هذه الطبقة اولاً الامراء التابعين الذين يحكمون في اطراف الدولة وحكام الامارات التي كانت خاضعة لحماية ايران والذين ضمن لهم ملك ايران نظير خضوعهم الامارة لهم ولأبنائهم من بعدهم مع الالتزام وضع قواتهم الحربية تحت سيطرة الملك وقد يؤدون له جزية معينة⁽¹¹⁾ .

الطبقة الاولى:- وهي الطبقة العليا او الممتازة وهي الطبقة الارستقراطية في المجتمع الساساني وتشمل اربعة فئات وهي (النبلاء، الاسياد، العظماء، الاشراف) وهي اقل الطبقات الاجتماعية افراداً في المجتمع الساساني ولكنها تتمتع بنفوذ كبير وتستحوذ على الثروة والسلطة وتحت سلطتها ادارة الدولة

1 -النبلاء ويمثل الملك راس هذه الفئة وهو قمة النظام السياسي والاداري في الحكومة الساسانية

وقد اتخذ الملوك لقب شاهنشاه ملك الملوك واتخاذهم هذا اللقب يعد من أبرز التغيرات التي صاحبت قيام الدولة اذ كان الكتاب العرب يسمون السابقين في الدولة البارثية ملوك الطوائف.

2 -الاسياد وهم البيوتات او الاسر السبعة (واسبهران) وهي فئة مكونة من رؤساء الاسر السبعة

ذات السيادة والنفوذ والتيوالي في مقدمتها الاسرة الساسانية (الاردوانية) ثم اسرة قارن وسورين واسباهد وهي اسر بارثية الاصل كانت تحمل لقب بملو اي بارثي، ثم اسرة زيك وسيندياد

ومهران وهي اسر نسبت نفسها للبارثين ايضا وهذه الاسر ظل عددها وامتيازاتها متوارثة منذ العهد الاخميني (550ق.م - 331م) ⁽¹²⁾.

3 -العظماء وهذه الطبقة تضم اعلى ممثلي الادارة من اللذين تسند اليهم تدابير امور الدولة وهؤلاء غالبا ما يكونوا ملازمين لفئة الاسياء وافرادها هم كبير الوزراء او رئيس الوزراء وكانت زمام السلطة بيد رئيس الوزراء يمارسها تحت رقابة الملك فهو ينوب عنه عند غيابه (ملك الملوك) ، وهو المسؤول (رئيس الوزراء) ايضا عن الشؤون السياسية الداخلية والخارجية ويوقع المعاهدات والاتفاقيات مع الدول الاجنبية، وفي بعض الاحيان توكل له مهمة قيادة الجيش اثناء المعارك ⁽¹³⁾.

4 -الاشراف (ازادان) وتضم هذه الفئة الفرسان وهم عماد الجيش الساساني وعلى قوتهم وشجاعتهم تعتمد نتيجة المعركة وكانوا يتكونون من عدة فرق وهي
أ - الاساور الخالدون (فرقة الخالدين) معظمهم من الطبقة العليا وعددهم (10000) رجل من اصول فارسية وايرانية.
ب -الاساور الفدائيون وهو الجنود الذين امتازوا بالجرأة وتحدي الموت اي القوات الخاصة او الفرقة الانتحارية.

ت -الاساور المتطوعون وهم فرقة من الجند المرتزقة أصلهم من القوقاز والديلمة والهون والارمن من اصول غير فارسية.

الطبقة الثانية وضمت النساك وسدنة بيوت النار (رجال الدين)، فمن الامور المهمة التي اولى الملك اردشير عنايته هي احياء الديانة الزرادشتية وجعلها الديانة الرسمية للبلاد، ولهذه الطبقة تقسيمات كهنوتية عدة تبدأ من المغان وهو بالأصل اسم قبيلة ميدي قديمة، وكان لها امتياز الرياسة الروحية في ديانة الماديين القائمة على عبادة الالهة المتعددة، وبعد ان اجتاحت الزرادشتية للأقاليم العربية والجنوبية (ميديا وفارس) صار المغان السادة الروحانيين للدين الجديد.

الطبقة الثالثة وهذه الطبقة ضمت اهل العلم والمعرفة من الاطباء والكتاب والمنجمين وطبقة الكتاب قد اضافها اردشير بن بابك الى السلم الهرمي الطبقي للمجتمع الساساني، والاهتمام بها يعود الى ان وثائق الدولة الرسمية واوامرها الملكية ومراسلاتها كانت متوقفة على بلاغة هؤلاء وبراعتهم في صياغة الالفاظ لذلك أكرمهم وقرّبهم منه.

الطبقة الرابعة الزراع واصحاب المهن (الحرفيون) وغيرهم اي الطبقة الدنيا وتضم الفلاحين الفقراء ويشكلون غالبية السكان الايراني وهؤلاء على الرغم من كونهم احرارا في الواجهة النظرية والقانونية الا انهم

كانوا يباعون مع الارض وكانوا يجبرون على الخدمة العسكرية لحفظ الامن وتنفيذ اوامر حكام الولايات في اوقات السلم ويزج بهم في الحرب عندما يتطلب الامر ذلك.
اما الصناع والحرفيين فكانوا يعملون في منازلهم او في دكاكين صغيرة⁽¹⁴⁾.
وكانت هذه المراتب الطبقيّة لمملكة فارس تضم (600) مرتبة على حسب ترتيبهم لها⁽¹⁵⁾.

المبحث الثاني: طبقات السكان في مملكة الحيرة

في اوائل القرن الثالث الميلادي قدمت قبائل تنوخ اليمنية الى منطقة الحيرة فأقامت مع ابناء جنسهم من العرب القدماء، وكان جذيمة الابرش المعروف بالوضاح هو اول من استجمع له الملك في ارض العراق ضم له العرب وغزا بالجيوش وكان جذيمة قد ادعى النبوة والبس نفسه ثوب الكهنة بعد ان دان له الملك في الحيرة مما ادى الى ارتفاع شأنه وعلو مكانته بين اهالي المدينة⁽¹⁶⁾.
وقد قسم الاخباريون سكان الحيرة الى ثلاث طبقات وهي التنوخ والعباد والاحلاف وهؤلاء في نظرهم قبائل متعددة فيها من عدنان وفيها من قحطان وقد ذكروا ان في لهجة اهل الحيرة هجينة ورجعوا سببها الى اختلاف هؤلاء العرب بمن كان يفد عليهم من النبط ممن كانوا يثيرون الاحداث فيلجئون الى هذا المكان ولذلك شابت لهجتهم رطانة نبطية⁽¹⁷⁾.

اولا: التنوخ

وهم العرب الذين سكنوا المضال وبيوت الشعر والوبر غربي الفرات بين الحيرة والانبار وما فوقها. وقد اطلق اسم التنوخ لانهم تحالفوا على التنوخ اي الإقامة في هذه المنطقة للاشتغال في الزراعة او لرعي الابل والمواشي، ويلاحظ ان هؤلاء التنوخيين الذين سكنوا في بادي الامر في الضواحي من الحيرة والانبار وغيرها وقد نجحوا في اقامة كيان سياسي لهم⁽¹⁸⁾.
ان تنوخ هم اعراب الحيرة لا حضرها واهل مدرها كانوا يعيشون اطرافها وحولها على نقيض العباد⁽¹⁹⁾.

ثانيا العباد

وهم نصارى العرب من اهل الحيرة فقط لذا فغيرهم لا يشملهم هذا اللقب وقد ابتنوا بها المنازل فهم حضر مستقرون تعبدوا لملوكهم وكان سبب تسميتهم ان انهم لما قاتلهم سابور الاكبر اتخذوا شعارا لهم يا عباد الله فسموا بالعباد، وقيل لانهم كانوا يعبدون الله فسمو بهذا الاسم لزهدهم وقيل انهم لما وفدوا على كسرى وكانوا خمسة منهم وسألهم عن اسمائهم وكانت اسمائهم تبدا بكلمة عبد وهم عبد المسيح وعبد الليل وعبد الله وعبد عمرو وعبد يسوع، فقال كسرى انتم كلكم عباد فسمو عباد، وقد اشتهروا بنصرانيتهم ومعرفتهم القراءة في عهد جهلها اكبر الشعراء النوايع، وكانوا يبيعون الخمرة في الحيرة، وكانوا صيارفة⁽²⁰⁾.

ثالثا الاحلاف

وهم الذين لحقوا اهل الحيرة ونزلوا فيها ولم يكونوا في الاصل لا من تنوخ ولا من العباد، الذين دانوا لأردشير، ويقع تحت اسم الاحلاف كل القبائل التي تدين بالولاء لسلطة المناذرة ويتوقف عدد هذه القبائل عدد هذه القبائل على امتداد ونفوذ سلطة المناذرة من جهة واعتراف هذه القبائل بسيادة المناذرة وسلطانهم عليهم من جهة اخرى⁽²¹⁾.

كان هناك من اهل الحيرة جماعة من النبط وكان بينهم جماعات من الفرس ومن اليهود. والنبط هم بقايا العراقيين القدماء وكان ايضا الوثنيين التي كانت لهم اصنام في الحيرة مثل الات والعزى وسبد، وكان معظم النصارى على المذهب النساطرة وهو المذهب الذي شجعه الفرس في بلادهم نكاية بالروم كما كان هناك ايضا من النصارى اليعاقبة⁽²²⁾.

المبحث الثالث: مقارنة بين طبقات الشعب في النظام الساساني والحيري

من خلال ما مر بنا من تفاصيل السكان في المجتمع الساساني والمجتمع الحيري نلاحظ ما يلي:

- ان طبقات المجتمع الساساني وما سبقهم كانت عندهم على اساس الهى ديني فهي اوامر زرادشت، اما طبقات المجتمع الحيري فهي على اساس اتفاقيات قبلية سياسية اجتماعية اقتصادية.
- في المجتمع الساساني الديانة عندهم هي الزرادشتية فهي دين الدولة الرسمي، اما في المجتمع الحيري فهي متعددة ومتنوعة فمنهم النصارى ومنهم عبدة الاوثان فقد كانت الاوثان في الحيرة وأشهرها الات والعزى، ومنهم اليهود.
- في المجتمع الساساني لا يسمح بالانتقال بين طبقات المجتمع الا بعض الاستثناءات النادرة جدا، بينما في المجتمع الحيري لم يكن هناك ما يمنع.
- تم توزيع السكان في المجتمع الساساني حسب الاصل والمهنة، بينما في المجتمع الحيري فهي على اساس قبلي اجتماعي.
- التعليم في المجتمع الساساني محصور في الطبقات العليا ولا يسمع لعامة الشعب بالتعلم باستثناء مهنة المفتش التي كان يعلم بها المهنة، اما المجتمع الحيري فلا توجد محظورات على التعليم فقد درس العباد واجادوا في اللغات فحذقوا العربية والفارسية والآرامية.
- كان السكن والملبس محدد في نوع الطبقة عند الساسانيين بينما كان المجتمع الحيري مقسم مركز المدينة للعباد والاطراف الى التنوخ بينما البعيدة الى الاحلاف.
- كانت المهنة لا تتغير في المجتمع الساساني بينما في المجتمع الحيري مباحة للجميع وهي ان التنوخ لهم الزراعة واما العباد فهم اهل حذاقة وثقافة واعمال فنية.

- كانت المساكن مميزة بالشكل حسب الطبقات في المجتمع الساساني مثلما هي في الحيرة فقد بنى العباد البيوت، والمضال وبيوت الشعر والوبر فهي للتتوخ.
- كانت الملوك يتناوبون على اساس الوراثة لم يختلف عنه في الحيرة.

الخاتمة

اتضح من خلال البحث ان نظام الطبقات كانت متمسكة به الطبقة الحاكمة وطبقة النبلاء وذلك لتفضيلهم على سائر المجتمع، كما بين البحث ان طبقات المجتمع الحيري كانت أكثر رفاهية قياسا بالمجتمع الساساني الذي احكم قبضته على هذا النظام وقد منح حق الانتقال بين الطبقات لحالات نادرة جدا لمن يتمكن ان يثبت جدارته في المجتمع وامام الجمع ثم يخضع لاختبارات عدة ثم ترفع توصية للملك بالموافقة على نقله. كما بين البحث المقارنة بين النظامين الساساني والحيري والفروقات الشاسعة بينهما مع انهما كانا تقريبا في دولة واحدة حيث تفرض الامبراطورية الساسانية ارادتها على الملوك في الحيرة.

(1) حسن بيرنيا، تاريخ ايران القلم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، المطابع الاميرية، القاهرة 2006، ص 90.

(2) ارثر كريستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، بيروت، ص 85.

(3) الجاف، حسن كريم، تاريخ ايران السياسي من التاريخ الاسطوري حتى نهاية الدولة الطاهرية، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2008، ج 1، ص 86؛ خطاب، شيت، قادة فتح بلاد فارس (ايران)، دار الفتح، ط 1، بيروت 1965، ص 19.

(4) المطيري، عبد الحليم عبد علي، النظم الادارية للدولة الاسلامية في العراق (224-636م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد كلية الآداب قسم التاريخ، 2007، ص 43.

(5) الحيدري، علي هادي، الاحوال الاجتماعية في الدولة الساسانية (224-651م)، رسالة ماجستير في جامعة بابل كلية التربية قسم التاريخ، ص 162.

(6) المطيري، النظم، ص 51.

(7) الجهشيار، ابي عبد الله محمد بن عبدوس ت313هـ، كتاب الوزراء والكتاب، مطبعة عبد الحميد احمد، ط 1، مصر 1938، ج 1، ص 2.

(8) الجاحظ، كتاب التاج في اخلاق الملوك، تحقيق احمد زكي باشا، د.م، 1914، ص 25؛ الموسوي، جواد مطر وآخرون، طبقات المجتمع الساساني، مجلة كلية الاداب، العدد 68، ص 78.

(9) كريستنسن، ايران، ص 86-87.

(10) الموسوي، طبقات، ص 7 كان 8.

(11) كريستنسن، ايران، ص 87-88.

- (12) كرستنسن ، ايران، ص 90،
- (13) المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والاشراف، دار صادر، بيروت، ص 102.
- (14) الموسوي، طبقات، ص 79-88.
- (15) المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والاشراف، دار صادر، بيروت، ص 104.
- (16) محمود، محمود عرفة، العرب قبل الاسلام احوالهم السياسية والدينية واهم مظاهر حضارتهم، دار الثقافة العربية، ص 89-90.
- (17) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط2، 1993، ج 3، ص 166.
- (18) الطبري، محمد بن جرير ت 310 هـ، تاريخ الطبري، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط 2، مصر، ج 1، ص 610؛ جرجي زيدان، العرب قبل الاسلام، مطبعة الهلال، ط 2، مصر 1922، ج 1، ص 200؛ الجميلي، احمد حسين واخرون، النشاط الاقتصادي في مملكة الحيرة قبل الاسلام، مجلة جامعة للعلوم الانسانية، العدد 2، مجلد 1، 2015، ص 302.
- (19) جواد علي، المفصل، ج 3، ص 169.
- (20) غنيمة، يوسف رزق، الحيرة المدينة والمملكة، مطبعة دنكور، بغداد 1936، ص 16-17، جواد علي، المفصل، ج 3، ص 169؛ جرجي زيدان، العرب، ج 1، ص 200.
- (21) الجميلي، احمد حسين واخرون، النشاط، ص 303.
- (22) جواد علي، المفصل، ج 1، ص 171-172.

المصادر والمراجع

1. ارثر كريستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، بيروت.
2. الجاحظ، كتاب التاج في اخلاق الملوك، تحقيق احمد زكي باشا، د.م، 1914.
3. الجهمشيري، ابي عبد الله محمد بن عبدوس ت313هـ، كتاب الوزراء والكتاب، مطبعة عبد الحميد احمد، ط 1، مصر.
4. الطبري، محمد بن جرير ت 310 هـ، تاريخ الطبري، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط 2.
5. المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والاشراف، دار صادر، بيروت.
6. غنيمة، يوسف رزق، الحيرة المدينة والمملكة، مطبعة دنكور، بغداد 1936.
7. الجفاف، حسن كريم، تاريخ ايران السياسي من التاريخ الاسطوري حتى نهاية الدولة الطاهرية، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2008.
8. حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، المطابع الاميرية، القاهرة 2006.
9. الحيدري، علي هادي، الاحوال الاجتماعية في الدولة الساسانية (224-651م)، رسالة ماجستير في جامعة بابل كلية التربية قسم التاريخ.

-
10. المطيري، عبد الحليم عبد علي، النظم الادارية للدولة الاسلامية في العراق (224-636م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد كلية الآداب قسم التاريخ.
11. الجميلي، احمد حسين وآخرون، النشاط الاقتصادي في مملكة الحيرة قبل الاسلام، مجلة جامعة للعلوم الانسانية، العدد 2، مجلد 1، 2015.
12. الموسوي، جواد مطر وآخرون، طبقات المجتمع الساساني، مجلة كلية الآداب، العدد 68.
13. جرجي زيدان، العرب قبل الاسلام، مطبعة الهلال، ط 2، مصر.
14. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط 2، 1993.
15. محمود، محمود عرفة، العرب قبل الاسلام احوالهم السياسية والدينية واهم مظاهر حضارتهم، دار الثقافة العربية.

بيتيليانوس الاسقف الدوناتي
سعيدة اويحي استاذة محاضرة (أ)
جامعة الجزائر 2 ابو القاسم سعد الله الجزائر
Saidaouyahia@gmail.com

الملخص:

يُعتبر بيتيليانوس من أهم الأساقفة الدوناتيين المشهورين في الكنيسة الإفريقية، في أواخر القرن الرابع الميلادي، ومن الشخصيات المرموقة التي برزت في المناظرة التي عُقدت في قرطاج عام 411م. عُرف بفضل خطبه وانتقاداته ورسائله الموجهة للقديس أوغسطين، حيث اقترح عليه في إحدى رسائله الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية، بسبب ما اعتبره "تلوثاً للأرواح" من خلال تكرار المعمودية. كان بيتيليانوس في البداية محامياً بارعاً ومتحدثاً محمكاً قبل اختياره أسقفاً لمدينة سيرتا (قسنطينة حالياً)، في حوالي عام 395م. ومن أعماله الرئيسية: كتاب ضد الكنيسة الكاثوليكية، رسائله ضد القديس أوغسطين وكتاب حول المعمودية. كما ألقى العديد من الخطب في مناظرة قرطاج خلدت اسمه في تاريخ الكنيسة الإفريقية. الكلمات المفتاحية: بيتيليانوس؛ القديس أوغسطين؛ نوميديا؛ قرطاج؛ الدوناتية؛ إفريقيا.

Petilianus, a donatist Bishop
Saida ouyahia lecturer
Algiers 2 university Abou el Kacem Saadallah Algeria
Saidaouyahia@gmail.com

Abstract:

Petilianus is regarded as the most important and famous Donates bishop in Africa Church, in the late 4 century; it a distinguish character, he was known for debating in Carthage held in 441 B.C., he known as speeches and criticism and letters sent to the Saint Augustine who propose to him in one of his letter to be separate from the catholic church for what he considered as spirit contamination through repeating baptism.

At the beginning, Petilianus was a great lawyer, good speaker before he was chosen as bishop of Cirta town (Constantine at present) in 395, from its works we note: a book criticizing the Catholic Church, letter criticizing the bishop the Saint Augustine and a book on Baptism. He, also, present many preaches in debates in Carthage, he immortalize its name through history of African church.

Keywords: Petilianus; Saint Augustine; Numidia; Carthage; Donatian; Africa.

المقدمة

لا شك أن البحث في جذور الفكر الجزائري و أعلامه ، كالبحت عن ذلك الشبح الذي يتوارى كلما حاولنا الاقتراب منه و الكشف عنه، والسبب في ذلك يكمن في التهميش من جهة، وفي قلة المصادر، من جهة أخرى. لقد وُجد العلم و الفكر في الجزائر منذ القدم، حيث نشأ فيها علماء وأدباء، عبّروا عن أنفسهم وعما يُخالجهم، سواء أكان باللغة البونية¹، أو اليونانية، أو اللاتينية، وهناك من أنشأ أدبا دون أن يدّونوه، فكان نقله شفويا في العديد من اللهجات المحلية.

1- اللاتينية و التبشير المسيحي في إفريقيا

لقد رافق انتشار المسيحية في إفريقيا والدعوة إليها، استعمال اللغة اللاتينية في أوسع نطاق، وصارت وسيلة للترقية الاجتماعية والعبادة والتبشير بها، كما عملت السلطة الرومانية منذ احتلالها للمنطقة على إزاحة اللغة اليونانية، وتهميش اللغة البونية، واللغة الأصلية (الأمازيغية)²، فالحياة الحضرية جعلت عددا كبيرا من سكان المناطق المحتلة يتعلمون اللاتينية كونها لغة المعاملات الإدارية، فهي مفروضة في المحاكم، و المجالس البلدية، و في مختلف المكاتب، الأمر الذي جعل هذه الأخيرة تنتشر في المناطق التي يتواجد فيها الرومان³، و مع استعمالها في الكنيسة ازداد انتشارها بين الناس، تُرتل بها الصلوات، وتُحَرَّر بها شواهد القبور، فاحتلت بذلك الصدارة دون أن تقضي على اللغة الأصلية التي استطاعت الحفاظ على مكانتها، والدفاع عن وجودها، خاصة في نوميديا⁴ و موريطانيا، والمناطق الغير الخاضعة للسيطرة الرومانية⁵، حيث ظل سكانها يتحدثون بها.

رغم أن الدعوة إلى المسيحية كانت باللغتين البونية و الأمازيغية، إلا أنها كانت دائما ديانة لاتينية في إفريقيا، فالأناجيل لم تُترجم إلى اللغة المحلية (الامازيغية)، مثل ما كان بالنسبة للسريانية و القبطية و الأرمنية و القوطية، كما كان جل الأدب المسيحي باللغة اللاتينية، وهو الحال نفسه بالنسبة للطقوس التي كانت تُقام باللاتينية، ما عدا بعض المناطق التي يتطلب فيها التبشير المسيحي معرفة اللغتين البونية و الامازيغية⁶.

2- رواد الأدب اللاتيني في الجزائر

لقد ساهم العديد من الكتاب الأفارقة في إثراء الفكر و الأدب اللاتيني، من حيث الكم و الجودة ، ذلك ما جعل الباحث مونصو بول (Monceaux Paul)، يرى في اللغة اللاتينية المكتوبة من طرف الأدباء الأفارقة، ذات ميزة خاصة، وصيغ فريدة من نوعها، تكاد تجعل منها لغة خاصة بإفريقيا. و برز في الأدب اللاتيني العديد من الأدباء و المفكرين الجزائريين، ضمنهم الأديب ماركوس كورنيليوس فرونتو (Lucius Marcus Cornelius Fronto)⁷، أصيل مدينة سيرا⁸، و لوكيوس أبوليوس (Lucius Apuleius)⁹، ابن مدينة مادور (مداوروش)¹⁰، الذي كان أحد أعمدة الأدب اللاتيني. كما خرج منها أعلام في اللاهوت المسيحي، مثل مينوكيوس فليكس (Minucius Felix)¹¹، و دوناتوس (Donatus)، الملقب بدوناتوس الكبير¹²، و بارمنيانوس (Parmenianus)¹³، و أوبطاميلي (Optat de Mileve)¹⁴، أسقف مدينة ميله في نوميديا، و القديس أوغسطين (Saint Augustin)¹⁵، أسقف مدينة هيبو (عنابه)، و غيرهم.

و تميز ضمن الأدب اللاتيني في الجزائر الأدب الدوناتي الذي يكاد مجهولا نوعا ما في النقد المعاصر، رغم شهرته و غزارته خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، فلم يُنشر منه سوى أربعة أو خمسة كتب دوناتية: ثلاثة عظات أو علاقات بعلم الاستشهاد (relations martyrologiques)، و القواعد السبعة (De septem regulis) لتيكونيوس (Tyconius)¹⁶.

3- الدوناتية و الأدب الدوناتي

شهدت الكنيسة الإفريقية خلال القرن الرابع الميلادي صراعًا داخليًا أدى إلى انقسام كبير بين مُريديها، بل قض على فكرة الكنيسة الجامعة لكلّ المسيحيين، فالمركز الذي نالته كنيسة قرطاج في عهد الإمبراطور قسطنطين (307-337م)¹⁷ أفقدها قيمتها المعنوية لدى الطبقة الكادحة التي كانت وقودًا لنيران الاضطهاد من قبل، حيث انحرفت تدريجيًا عن مبادئها النضالية، في نظر تلك الطبقة الضعيفة من المسيحيين، وقطعها عن ماضيها المليء بالتضحيات، من أجل ترسيخ مبادئ المسيحية الأولى في نفوسهم، ومن ثمّ حقّ لهم مناهضة الكنيسة التي تحلّت- في نظرهم- عن المبادئ الأولى ومعارضة سلوكها المتخاذل

مع السلطة، حيث نددوا بمواقفها السياسية التي أتت برجال السلطة والأثرياء ممن كانوا يُسوِّطونهم العذاب بالأمس إلى حظيرة الكنيسة¹⁸.

وهكذا كان تنصّر السلطة الرومانية ومساندتها لكنيسة قرطاج عاملاً أساسياً في تفاقم الخلافات بين المسيحيين الأفارقة¹⁹، وانقسامهم إلى تيارين دينيين اتخذاً أبعاداً سياسية، تيار مؤالٍ للسلطة الرومانية وعلى رأسه الكنيسة الرسمية في قرطاج²⁰، وتيار مُعارض لهيمنة السلطة على الكنيسة وعلى رأسه الكنيسة الدوناتيّة²¹.

ماذا نعني بالكنيسة الدوناتيّة؟ وما هي الأسباب الكامنة وراء انشقاقها عن الكنيسة الرسمية في قرطاج؟
أ- ظهور الدوناتيّة:

رافق ظهور المسيحية في إفريقيا تكوّن العديد من المذاهب الدينية أبرزها الدوناتيّة التي استقطبت اهتمام العديد من الباحثين والمؤرخين، وذلك من خلال البحث عن ماهيتها، وخصائصها، وعلاقتها بمختلف الثورات التي قامت في المنطقة، إبان القرن الرابع الميلادي وبعده، منها ثورة فيرموس (Firmus)²²، وثورة جيلدون (Gildon)²³.

وتُعتبر الأخبار المستقاة من كتابات أوبطاميلي (Optat de Mileve)²⁴، أسقف مدينة ميله في نوميديا، و القديس أوغسطين (Saint Augustin)، أسقف مدينة هيبو (عنايه)، من أهم المصادر المتحدّثة عن الدوناتيّة، حيث ورد فيها الجدل الذي كان رائجاً بين الدوناتيين والكاثوليكين خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين. كما نجد ضمن الكتابات المعاصرة للدوناتيّة محضر المناظرة التي جرت بين الكاثوليكين والدوناتيين في قرطاج عام 411م. وفي الدراسات الحديثة، تُعتبر أبحاث مونصو بول (Monceaux, Paul)²⁵ قيمة، حيث تطرق فيها إلى الجوانب الاجتماعية والسياسية التي ساهمت في ظهور الدوناتيّة، وعلاقتها بالثورات التي عرفتها إفريقيا خلال المنتصف الثاني من القرن الرابع الميلادي.

ب- تعريف الدوناتيّة:

احتلّت الدوناتيّة مكانة هامة في تاريخ المسيحية في إفريقيا، حيث كانت محلّ جدل ونقاش كبيرين بين الباحثين حول جذورها وأصولها ومناطق انتشارها، فالمؤرخون اعتدوا استعمال تسمية "الدوناتيّة" استناداً

إلى المصطلح المستعمل من طرف أوبطاميلي و أوغسطين على الحركة الدينية المناهضة للسلطة الرومانية وكنيسة قرطاج الموالية لها، ونسبة إلى أحد زعمائها الكبار، الأسقف دوناتوس²⁶، الذي حمل راية رفض الخضوع لإرادة السلطة الحاكمة، و وقف في وجه أساقفة كنيسة قرطاج الذين رضوا التحالف مع السلطة الرومانية، والاحتماء بها، وفق شروط، رأى فيها، انحرافا عن مبادئ المسيح عليه السلام، وعن القواعد التي كانت تُسير وفقها الكنيسة الإفريقية شؤونها الداخلية، والتي دأبت على احترامها وتطبيقها منذ عهد القديس كبريان²⁷، أسقف كنيسة قرطاج وقبله، إذ يُعتبر موقف أساقفة قرطاج، في نظر الأسقف دوناتوس، تراجعاً صريحاً عن المسيحية، وردّة دينية، وخيانة لضحايا الاضطهاد.

و الدوناتية، حسب تعريف مونصو بول²⁸، هي انشقاق إفريقي صرف، نشأت في قرطاج ونوميديا، ولم تخرج ما وراء البحر، ولم يكن لها أتباع خارج إفريقيا، في حين كان تأثيرها كبيراً فيها، حيث تطوّرت بشكل ملحوظ، من حركة مناوئة للكنيسة في قرطاج، بسبب نزاع نظامي بين عدّة أساقفة، إلى مذهب قويّ وحيويّ، مؤسّس لكنيسة مستقلة، معارضة للكنيسة الرسمية، محافظة على المبادئ الأصلية للمسيحيين الأوائل، رافضة أيّ مساومة مع السلطة الحاكمة، والخضوع لشروطها وإرادتها، ممّا جعل أتباعها يتعرّضون للاضطهاد، والتّنكيل، و تكسب تأييداً شعبياً كبيراً.

ج- الكنيسة الدوناتية:

بدأت الأزمة في الكنيسة الإفريقية بعد اضطهادات الإمبراطور الروماني دقلديانوس، في ظروف تشبه تلك التي أعقبت عمليات الاضطهاد في عهد الإمبراطور ديسيوس، والتي تسببت في مشكلة المرتدين وتعميد الهراطقة، فالأسقف كبريان نجح بفضل حنكته وحكمته في وإد الخلاف، ليُحوّل دون تفاقمه، رغم محاولة كنيسة روما وضع أنفها في الشؤون الداخلية للكنيسة الإفريقية، حيث استطاع تثبيت العقيدة المسيحية، والحفاظ على الكنيسة الموحدة، وذلك بوضع قواعد ثابتة²⁹، وجعلها أساساً ترتكز عليه الكنيسة الإفريقية التي قادها تقريبا عشر سنوات، إلا أنّ الصّراع الذي دبّ في الكنيسة ذاتها بعد نصف قرن من الزّمن، أدّى إلى حدوث انشقاق كبير في صفوفها.

لا نعرف تاريخ بداية الانشقاق الدوناتي نظراً للغموض الذي انتاب ظهوره³⁰، لكن يبدو من الوثائق الإدارية والكنسية التي تعود إلى القرن الرابع الميلادي³¹، أن سبب الانشقاق في الكنيسة الإفريقية يرجع إلى ارتداد عدد كبير من المسيحيين عن دينهم، ومحاولتهم العودة مرة أخرى إلى أحضانها، ومنهم

الأكليروس (الأساقفة) الذين ضعفت همّتهم أمام تهديدات السلطات الحاكمة في البلاد، و سلّموا لها نسخًا من الكتب المقدّسة خلال اضطهادات الإمبراطور دقلديانوس ما بين 303 و 305م، فكانوا من المتخاذلين، ولقبوا بالمسلمين (Traditores)³²، إضافة إلى المرتدّين (Lapsi)³³، وعلى عكس هؤلاء المتخاذلين، صمد إخوانهم من المسيحيين وتمسّكوا بدينهم، وتحملوا عذاب السّجون، بل أُعِدِم البعض منهم، فأولئك الصّامدين "المقرّين بعقيدتهم" اتخذوا موقفًا متطرّفًا، من هؤلاء المتخاذلين والمرتدّين، ورفضوا التعامل معهم، و ربط آية صلة بهم بعد اضطهادات عام 305م.

لقد أثارت فضيحة تسليم الكتب المقدّسة غضبًا كبيرًا في وسط المسيحيين الأفارقة، وأصبح تصريح شهداء أبيثينا (Abithina)³⁴ القائل بضرورة انفصال المسيحيين الصّامدين عن المتخاذلين والمتظاهرين بالكفر اتّقاء التعذيب بمثابة قانون، على المسيحيين الأطهار الالتزام به وتطبيقه، إذ قارن النّاس بين خيانة رؤساء الكنيسة من بينهم منصور يوس³⁵، وبين صمود شهداء أبيثينا الذين قاموا مقام المسؤولين المتخلّين عن واجبهم³⁶، فطردوا بوحى من أنفسهم، المرتدّين من حظيرة الكنيسة، ورفضوا كل من تجاوب مع الخونة، ذلك ما أثار الحماس حولهم، خاصّة في نوميديا، وأصبح عملهم بمثابة الميثاق الاجتماعي والدّيني³⁷، و هذا الأمر أدى إلى ردّة فعل متباينة بين أكليروس الكنائس الإفريقية، وانقسموا إلى فريقين: الفريق الأول: اتهم هؤلاء الأساقفة بالخيانة، واعتبروهم قد خسروا رحمة الرب، ولم يعودوا مسيحيين، وأن شعائر التعميد، و رسامة الأساقفة التي تجري على أيدي هؤلاء الأساقفة باطلة، و طالب أصحاب هذا الفريق أن تتمّ الأسرار المقدسة على أيدي قساوسة طاهرين، و اعتبروا أن الأسرار التي تتم على أيدي قساوسة غير جديرين بذلك باطلة.

أما الفريق الثاني: فقد ظلّ على اعتقاده أنّ الأسرار المقدسة تتوقف على منصب القسيس، وليس على صفاته الشخصية.

لقد تبنى الأساقفة في نوميديا الرأي الأول، ووقفوا ضدّ منصور يوس، أسقف قرطاج، بسبب تخاذله أمام السلطات، واتّهموه بتسليم الكتب المقدّسة، ورفضوا الاعتراف بشرعية أسقفيته على كنيسة قرطاج، واعتبروه غير جدير بهذا المنصب، وحتى شعائر التعميد و رسامة الأساقفة التي تجري على أيدي أمثاله باطلة، كونهم خرجوا من رحمة الرب، ولم يعودوا من المسيحيين، إلّا أنّ عجز أولئك الأساقفة إثبات التهم

المنسوبة إلى منصور يوس حال دون فصله من منصبه، بل استطاع تبرئة ساحته³⁸، لذلك ظلّ في أسقفية حتى وفاته سنة 311م، ولم يحدث أيّ انشقاق أو انفصال في عهده حسب ما جاء على لسان القديس أوغسطين الذي قال: "ما عساي أن أجيب؟ في عصره (منصور يوس) وحتى يوم وفاته لم ينفصل أحد من الشعب عن الوحدة الكاثوليكية (...)"³⁹.

لم تتضح معالم الانشقاق في الكنيسة الإفريقية إلاّ بعد وفاة الأسقف منصور يوس، وتعيين مكانه كايكيليانوس (Cæcilianus) الذي كان شماساً لديه، إذ تمّ ذلك في غياب أساقفة نوميديا، وهو ما اعتُبر خرقاً للأعراف والتقاليد في الكنيسة الإفريقية. وما زاد من تأزم الوضع واعتراض هؤلاء هو سيامة هذا الأخير من طرف أشخاص مشكوك في نزاهتهم، أمثال فيليكس أبثوغي (Félix Abthugni) الذي اتُّهم، هو أيضاً، بتسليم الكتب المقدسة للوثنيين⁴⁰.

لم يكن الإجماع تاماً على اختيار كايكيليانوس أسقفاً للكنيسة قرطاج، حيث اتُّهم بسوء معاملته للمسيحيين السّجناء خلال الاضطهادات، وقطع المؤونة على المرشدين المسجونين، ومنع إخوانهم في الدّين من زيارتهم، بل شتّت بالسّوط ثَمَل المتظاهرين أمام سجن أبيتينا⁴¹، وهو السبب الذي استغلّه الأساقفة التّوميدون لكسب تأييد الجماهير، إذ التقت مصالح هؤلاء مع ادّعاءاتهم، واجتمعوا للنظر في قضية انتخاب كايكيليانوس، و تمّ خلال الاجتماع إدانة هذا الأخير، وقرروا عدم الاعتراف بشرعية تنصيبه أسقفاً، وقاموا برسم أسقف جديد يدعى ماجورينوس (Majorinus)⁴² بدلا عنه سنة 312م، و أرسلوا رسائل إلى جميع الأساقفة، يُطلعونهم على الإجراءات التي تمّ اتخاذها في هذا الاجتماع، غير أنّ ماجورينوس قضى نحبه في ظرف قصير وخلفه دوناتوس (Donatus) الملقب بدوناتوس الكبير⁴³.

ويُعتبر اجتماع أساقفة نوميديا في مكان آخر، ورفضهم عقده في الكنيسة الكاثوليكية في قرطاج سنة 312م، من الأسباب المباشرة لظهور الانشقاق الدّوناتي⁴⁴، وتكرّس فعلياً في عهد دوناتوس الذي لعب دوراً هاماً في تقوية الكنيسة الجديدة التي ظهرت كأُتْم الكنيسة الحقيقية. وبقيت الكنيسة الكاثوليكية برئاسة كايكيليانوس الذي ظلّ على رأس الكنيسة القرطاجية حتى وفاته⁴⁵، وتطورت الكنيسة الدّوناتية بزعامة الأسقف دوناتوس (Donatus) الذي لعب دوراً فعّالاً في كسب قاعدة شعبية واسعة، وذلك بفضل حنكته ودهائه وشخصيته الفذة، وطريقة تسيير شؤون كنيسته، ومع مرور الزمن والحزن تبلورت

أفكار الدونانية واحتوت المطالب الاقتصادية والاجتماعية للطبقة المحرومة و المعوزين والمظلومين، وسعت للتخفيف من آلامهم⁴⁶، الأمر الذي ساعد على انتشارها بكثافة والتحاق عدد كبير من المسيحيين الكاثوليكين بحظيرة الكنيسة الدونانية .

و هكذا تركز الانشقاق في الكنيسة الإفريقية التي يبدو أنّ الظروف مهيأة لبداية عهد مسيحيّ جديد، حافل بالأحداث والصراعات، بلغ تأثيرها جميع المستويات، و لم ينحصر الصراع بين الكنيستين في المستوى التنظيمي بين أساقفة الفريقين، بل امتدّ إلى مستويات أخرى في إفريقيا، كانت له علاقة بالتطورات السياسية والاجتماعية السائدة آنذاك، ففي الميدان السياسي اتخذت الكنيستان موقفاً مختلفاً من السلطة الرومانية⁴⁷، فالدونانيون نعتوا خصومهم الكاثوليكين بالمتخاذلين والمتواطئين مع السلطة، واعتبروا أنّ المسيحية الحقيقية هي التي يدافعون عنها، وأنهم ورثة المبادئ الصحيحة، وكنيستهم هي كنيسة الشهداء⁴⁸. في حين وصف الكاثوليكون خصومهم الدونانيين بكلّ ما يجعلهم خارجين عن الكنيسة الشرعية، وحملوهم مسؤولية الأحداث التي انجرت وراء تصرفاتهم اللامسؤولة والمتطرفة⁴⁹، وفي الميدان الاجتماعي انقسم سكان إفريقيا إلى فئات مؤيدة وأخرى مناوئة لإحدى الكنيستين⁵⁰. وفي الميدان الثقافي أدى الصراع إلى بروز شخصيات فذة نذكر منهم على سبيل المثال القديس أوغسطين (Saint Augustin) الذي دفعه الجدل الكلامي مع الدونانيين إلى إعادة النظر في أفكاره حول الكنيسة وفي اللاهوت، في حين ألّف بارمينيانوس (Parmenianus) (355-393م) كتابا دافع فيه عن الدونانية⁵¹.

4-رواد الأدب الدوناني

نجد في الدراسات الحديثة المهتمة بالأدب الدوناني أعمال الباحث مونصو بول (Monceaux, Paul) التي تُعد منطلقاً لمختلف الأبحاث التي جاءت بعدها، حيث خصّص الأجزاء الأخيرة من كتابه "التاريخ الأدبي لإفريقيا المسيحية من الأصول إلى غزو الوندال" للحديث عن الدونانية وروادها، وجمع أجزاء معتبرة من مؤلفات غودانتوس (Gaudentius)⁵²، وبارمينيانوس (Parmenianus)، وتيكونيوس (Tyconius)، وبريميانيوس (Primianus)⁵³، وكرسكونيوس (Cresconius)⁵⁴... الخ، بالإضافة إلى الرسائل والخطابات التي أُلقيت في مناظرة

قرطاج 411م، وأجزاء من مرافعات محامين دوناتيين أمام قضاة رومان، نذكر منهم على سبيل المثال بيتيليانوس (Petilianus)⁵⁵.

فمن هو بيتيليانوس؟ وما هو سبب تحوله من راهب كاثوليكي إلى أسقف دوناتي ومدافع عن مذهبهم؟

5- بيتيليانوس الأسقف الدوناتي

تُعتبر الأخبار المستقاة عن القديس أوغسطين (Saint Augustin)، أسقف هيبو (عنايه)، من أهم المصادر المتحدثة عن الأدباء الدوناتيين، حيث ورد فيها الجدل الذي كان رائجاً بينهم والكاثوليكين، خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين. وكان أحد أهم الجدليين الدوناتيين بيتيليانوس (Petilianus)، الذي كان راهباً في الكنيسة الكاثوليكية، قبل أن يتم انتخابه أسقفاً للكنيسة الدوناتيين في سيرتا، ومنذ ذلك الحين، صار أحد زعماء الدوناتيين، ومدافع شرس عن مذهبهم⁵⁶.

أ-مولده و نشأته:

وُلد بتيليانوس بمدينة سيرتا من أبوين كاثوليكين، كان محامياً بارعاً، ورجل قانون ناجح وداهية، تمّ اختياره أسقفاً بطلب من أبناء مدينته سيرتا⁵⁷، ما بين عام 395 و 400م⁵⁸. وُصف بأنه خطيب مفعّو⁵⁹، من أبرز الأساقفة المتدخلين في مناظرة قرطاج، إذ كان أكثرهم بلاغة وعلماً⁶⁰، ففي جلسة 3 جوان 411م، أعلن أنّ المسيحية الحقيقية، هي التي يدافع عنها الدوناتيون بكلّ إخلاص، بل اعتبرهم ورثة المبادئ المسيحية الصّحيحة⁶¹، وكنيستهم هي كنيسة الشّهداء⁶².

يُعتبر بيتيليانوس زعيم الدوناتيين بلا منازع، المجادل الوحيد الجدير بمواجهة القديس أوغسطين، من بين الأساقفة الدوناتيين المعاصرين له⁶³، لعب دوراً هاماً في مناظرة قرطاج 411م، و عرف كيفية وضع خبرته السابقة كمحام في خدمة كنيسته، إذ كان من أهم المحامين المدافعين عنها، وأكثرهم حملاً و مهارة⁶⁴. اقترأ أوغسطين بعلمه و بلاغته و فصاحته⁶⁵، وهو الانطباع الذي تركه في كتاباته، حيث ألف كتاباً حول تعاقب الأساقفة الدوناتيين، ما بين 398 و 399م. وفي عام 405م، نُفي بيتيليانوس خارج وطنه لعدة سنوات، على إثر إصدار مرسوم الوحدة بين الكنيستين، ومجموعة من القوانين ضد الدوناتية، في 12 فبراير سنة 405م، حيث اعتبرت هذه الأخيرة، هرطقة وخارجة عن القانون⁶⁶، لذا وجب مصادرة كنائسها،

ونفي زعمائها⁶⁷، غير أن بيتيليانوس شارك في مناظرة قرطاج 411م، إذ كان أحد المحامين السبعة المخولين للدفاع عن الدوناتية⁶⁸. كما ورد اسمه ضمن قائمة الأساقفة الدوناتيين، الذين حضروا مجمع ديني عُقد سنة 418م، و الذين بلغ عددهم 30 أسقفا⁶⁹، لكن بعد ذلك لم نسمع عنه أي شيء.

ب- مؤلفاته:

لقد اشتهر بيتيليانوس برسائل الهجاء ضد الكنيسة الكاثوليكية، وانتقاداته العديدة للقديس أوغسطين⁷⁰، فمن أهم مؤلفاته، تعاقب القساوسة الدوناتيين (389/398م)⁷¹، "هجاء الكنيسة الكاثوليكية"، "رسالة عن الكنيسة الكاثوليكية"، "هجاء أوغسطين"، مقال عن "الانشقاق الماكسيماني"⁷²، وآخر عن "التعميد الثاني"، كما ألقى العديد من الخطابات في مناظرة قرطاج.

في حدود عام 398 أو 400م، دعا القديس أوغسطين، في رسالة خاصة زعماء الدوناتية في سيرتا، لمناقشة قضايا محل الخلاف بينهم وبين الكنيسة الكاثوليكية، لكنهم رفضوا دعوته⁷³. وفي عام 400 وجه بيتيليانوس رسالة للقساوسة الدوناتيين بعنوان: "رسالة إلى الكهنة والشمامسة الدوناتيين ضد الكنيسة الكاثوليكية" (Epistula ad presbyteros et diaconos donatistas adversus Catholicam)، عالج فيها القضايا العالقة بالنسبة للدوناتيين، أسباب الانشقاق، واقترح قطع العلاقة مع الكنيسة الكاثوليكية، متهما إياها بتكرار المعمودية، لأنه في نظره، تُفسد أرواح المعمدين، فهو يرى أن صحة التعميد تتوقف على طبع المعمد مثلما أن قوة البناء تتوقف على الأسس التي وُضع عليها، واستند في ذلك إلى الأقوال المذكورة في الإنجيل، كما اتهم الكنيسة الكاثوليكية بالاضطهاد والتقليد، واختتم رسالته بابتهالات والدعاء للدوناتيين و صب اللعنة على خصومهم⁷⁴.

كما ورد عن مونسو بول منشور لبيتيليانوس يرجع إلى عام 401م، عنوانه بـ "رسالة إلى أوغسطين" (Epistula ad Augustinum)، جمع منه عدة أجزاء، تضمنت عبارات مشينة ضد القديس أوغسطين، حيث وصفه بالمتأمر المانوي، والساحر، والمدنس للمقدسات. و إضافة إلى ما ذكر سابقا، حصل مونسو بول، على أجزاء من رسالة بيتيليانوس الثانية، كانت موجهة إلى أوغسطين، أيضا، عنوانها بـ: "سمة واحدة للمعمودية" (Traité De Unico baptismo)، إلى جانب سلسلة من الخطابات التي ألقاها في مناظرة قرطاج، حيث واجه فيها ندا لند القديس أوغسطين ممثل الكنيسة الكاثوليكية.

وفي إطار المحاور و الجدلية التي قام بها زعماء الكنيسة الدوناتية و كبار أساقفتهم مع الكاثوليكين، ألف أوغسطين ثلاثة كتب في "الرد على بيتيليانوس" (Contra litteras Petiliani)، ما بين 400 و 403م، ردّ فيها على الانتقادات الموجهة إليه، حيث أجاب في ردّه الأول على الرسالة التي أرسلها بيتيليانوس، ضمنها في بداية سنة 400م (الكتاب الأول من "الرد على رسالتي بيتيليانوس")، ثم بصورة مطولة في رده الثاني، حوالي سنة 400م (الكتاب الثاني من "الرد على رسالتي بيتيليانوس"). وفي هذا الردّ، استعمل القديس أوغسطين طريقة حوار مباشر مع خصمه، بحيث كان يورد رسالة بيتيليانوس فقرة بفقرة، ويحجب على كل واحدة بالترتيب، وفي الأخير، دعا خصمه إلى الجواب، فلي بيتيليانوس الطلب، وكتب "الرسالة إلى أوغسطين" (Epistula ad Augustinum)، في نفس السنة 401م على ما يبدو، جاء ردّ أوغسطين على تلك الرسالة حوالي سنة 403م (الكتاب الثالث من "الرد على رسالتي بيتيليانوس").

لقد لعب القديس أوغسطين⁷⁵، بعد تعيينه أسقفا على كنيسة هيون (Hippo) (عنابة)، دورا كبيرا في تأليب السلطة الرومانية ضد كنيسة الدوناتيين، باستعمال شتى الوسائل، بما في ذلك الدعوة إلى استخدام القوة⁷⁶، حيث سخر كل خصاله و إمكانياته لخدمة كنيسته، و إضعاف كنيسة خصومه الدوناتيين، وإبراز علاقتهم بأعمال العنف التي كان يقوم بها الدوارون (Circoncillions)⁷⁷، الذين كانوا يهاجمون رجال الدين الكاثوليكين و كنائسهم، فحسب أوغسطين، فإن الدوارين كانوا أداة بيد الدوناتيين، ومن ثمّ حمل أساقفتهم كل المسؤولية في عنف هؤلاء، لذلك طلب بعقد اجتماع الأساقفة الكاثوليك بقرطاج في جوان 404م، وأصدروا في ختامه قرارات، اعتبروا فيها الدوناتية بدعة، منافية لقوانين السلطة، وأرسلوا الشكاوى ضد الدوناتيين إلى الإمبراطور هونوريوس⁷⁸، للتدخل بالقوة ضدهم، حيث كان يُهيئ الجو لتدخل السلطة الزمنية في الخلاف الديني، وبطلب من مجمع الأساقفة الكاثوليكين في قرطاج لمحاربة الهرطقة⁷⁹. ولم يلبث الإمبراطور هونوريوس أن أصدر في 12 فبراير سنة 405م، مرسوم الوحدة بين الكنيستين، و مجموعة من القوانين ضد الكنيسة الدوناتية، قرر فيها توحيد الكنيستين لصالح الكاثوليكين، واعتبار الدوناتية هرطقة، وخارجة على القانون، و أمر بمصادرة كنائسها و نفي زعمائها⁸⁰. لم يتقبل الدوناتيون تدخل الإمبراطور في شؤون الكنيسة الإفريقية بهذه الطريقة، فأحداث باغاي الدامية، التي وقعت سنة 347م، تركت جروحا عميقة في نفوسهم، وكان الأسقف بيتيليانوس (Petilianus)

يُردّد، في ذكرى تلك اضطهادات في وجه خصومه الكاثوليك قائلاً: "إنّ الكتاب المقدّس يقول لا تقتل أخاك، وأنتم قتلتمونا، ولا تأخذ متاع غيرك، وأنتم نهبتم أملاكنا، واعتبرتموها ملكاً لكم(....)"⁸¹. لقد استند بتيليانوس في كلامه إلى إنجيل متى الذي ورد فيه: "وَإِذَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذُنَهُ. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "رَدِّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لِأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ"⁸².

خاتمة

لم يكن بيتيليانوس، أسقف سيرتا، محامياً بارعاً وخطيباً مفوّهاً فقط، بل كان زعيماً بالفعل للمذهب الدوناتى، حيث أبان عن مواهب في الهجاء و البلاغة، و اشتهر برسائل الهجو، التي وجهها إلى القديس أوغسطين، وكتابه عن التعميد، لكنه فقد، بل ربما تمّ حرّقه من طرف الكاثوليكين تحت قيادة القديس أوغسطين أثناء عملية مصادرة الكنائس الدوناتية، إلى جانب مؤلفات لأساقفة دوناتيين آخرين، ورد ذكرها عند بعض رجال الدين الكاثوليك، منها كتاب: "الروح القدسية"، للقديس دوناتوس الأكبر، و رسائل موجهة إلى أوغسطين من طرف غودانتوس، أسقف تيمقاد، حيث وُصف بأنه رجل من حديد، تمكن من منع مصادرة كنيسته، مهدداً بحرقها وحرّقه نفسه معها إن تقرر ذلك، ولم تُصادر بالفعل، لقد بدأ في توجيه رسائل جدلية قوية إلى أوغسطين لم تصلنا طبعاً.

لقد أضحى من الواجب إعادة النظر، بصفة حاسمة، في الكتب التي صاغها الكتاب الكاثوليك عن الأدب الدوناتى و الدوناتيين، فالقديس أوغسطين مثلاً، صوّر خصومه على أنهم أناس غير قادرين على فهم الكتاب المقدس، في حين أنه، أقر بنفسه، بعلم و فصاحة الأسقف بيتيليانوس، حين أجابه في إحدى رسائله: "ليست العبقريّة هي التي تنقصك، لكن قضيتك سيئة"، المقصود بذلك الدوناتية، التي صار يدافع عنها بيتيليانوس في خطبه، بل عُرف في التاريخ من خلال الرسائل التي وجهها إلى القديس أوغسطين، يدعوه فيها إلى الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية، لأسباب عديدة، منها اضطهاد الكاثوليكين وتخاذلهم، الأمر الذي جعل أوغسطين يرد عليه، فيما عُرف بـ "رسائل ضد بيتيليانوس".

الهوامش:

- ¹ اللغة البونية: هي لغة القرطاجيين، تنتمي إلى عائلة اللغات السامية.
- ² اللغة الامازيغية: هي لغة السكان الأصليين (الامازيغ) في شمال إفريقيا.
- ³ لم تعرف روما الحقد العنصري و لا التعصب الديني، و لكنها لم ترض لأسباب سياسية بان تعوض اللغة اللاتينية لغة أخرى. قال القديس أوغسطين: "إنّ الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم الشعوب لم تفرض على المغلوبة منها سيطرتها السياسية فحسب بل لغتها أيضا". شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي و البشير سلامة، النشرة الخامسة، الدار التونسية للنشر، 1985، ص 248.
- ⁴ نوميديا: كانت مملكة في شمال إفريقيا عرفت أوج توسعها في عهد الملك ماسينسيا (الجزائر حاليا و جزء من تونس و ليبيا الشرقية)، قسمت من طرف الاحتلال الروماني في بداية القرن الثالث إلى ثلاث أقاليم: إقليم إفريقيا البروقصلية، إقليم نوميديا، إقليم موريطانيا القيصرية.
- Leclercq, Dom. H., l'Afrique chrétienne, librairie Victor le coffre, Tome1, Paris, 1904, p.44.
- ⁵ Duchesne, L., histoire ancienne de l'église, Tome1, sixième éd., librairie Thorin et fils, Fontemoing éditeurs et Cie, Editeurs, Paris, 1911, p.390.
- ⁶ فوزية كرتي، الدين والمجتمع بالشمال الإفريقي من سنة 180م إلى سنة 430م "نموذج المسيحية"، رسالة لنيل الدراسات العليا في التاريخ، السنة الجامعية 1998-1999، ص 156.
- ⁷ ماركوس كورنيليوس فرونتو: إفريقي الأصل، عاش في القرن الأول الميلادي. فصيح اللسان و بارع في فن الخطابة. درس اللغة اليونانية و اللغة اللاتينية. عُين قنصلا في عهد الإمبراطور انطونيوس عام 143م. ذاع صيته في النحو والبلاغة، لذا كلفه الإمبراطور نفسه لتعليم ابنه الأميرين ماركوس اوريليوس و لوكيوس فيروس. كان محبا للأدب اللاتيني القلم. ترك مجموعة من الرسائل التي كان يبعثها لتلميذه ماركوس اوريليوس الإمبراطور.
- Ibba, A. et Traina, G., l'Afrique romaine (69-439 ap. J.-C.), Bréal, 2006, pp.168-169.
- ⁸ سيرتا: عاصمة مملكة نوميديا (قسنطينة حاليا).
- ⁹ وُلد أبوليوس لوسيوس في حوالي سنة 125م و توفي في 180م، كان يقول أن نصفه نوميدي و آخر جيتولي، كان أبوه احد الحاكمين الاثنيين في أوائل القرن الثاني الميلادي. تلقى تعليمه الأول في مدينته مادور، مسقط رأسه، ثم تابع دراسته في قرطاج و آخرها أثينا استكمل ثقافته خلال رحلات قام بها إلى إيطاليا و اليونان و آسيا الصغرى و توقف خلال رحلاته في طرابلس، تأثر بالأفلاطونية التي ظل يدرسها طيلة حياته. يُعتبر من أشهر الكتاب الأفارقة ومحاضر محبوب، ذو لغة جميلة و ذات رونق و نضارة بالرغم من أنها صعبة و غامضة في بعض الأحيان، احتفظت لنا الأزاهير بثلاث و عشرين من خطابات

جمع احد المعجبين به "كباقة" جمعت أجمل زهور بلاغته. من أهم أعمال أبوليوس كتابه "مسح الكائنات" لكن هذا المؤلف عُرف باسم آخر هو "الحمار الذهبي" وهو اوديسا من المغامرات التي يقوم بها شاب تحول إلى حمار بفعل السحر.

-Gostynski, T., au sommet de pensée humaine, la littérature de l'Afrique du nord, librairie chatr Ahmed, Marrakech, pp.17-38.

¹⁰ مادور أو مداوروش: مدينة تقع في شرق الجزائر.

¹¹ ماركوس مينوسيوس فليكس أصيل مدينة سيرتا، صاحب كتاب اوكتافيوس الاعتراضات المألوفة الموجهة ضد المسيحيين

ألفه في حدود النصف الأول من القرن الثالث الميلادي، كان محاميا نشيطا استقر بروما.

-Mattei, P., le christianisme antique de Jésus à Constantin, Armand colin, Paris, 2008-2009, pp. 210-211.

¹² دوناتوس "الكبير" الزعيم الدوناتي المشهور الذي قاد كنيسته بعدئذ إلى غاية وفاته عام 355م.

-Brisson, J.P., Autonomisme et christianisme dans l'Afrique romaine de Septime Sévère à l'invasion vandale, Paris, De Boccard, 1958, p. 237.

¹³ بارمنيانوس (Parmenianus): أسقف دوناتي من قرطاج (من 355م إلى 393م) خلف دوناتوس، متفتح و

خطيب ومجادل كبير، عبقرته أكسبته شهرة كبيرة. كتب خمس مؤلفات لقيت اعتراضا كبيرا عند أوبطاطا الميلي. لا يترك فسحة لخصومه، أظهر بأن الكاثوليك خانوا الأولون في ممارسة العنف.

-Prévôt, F.et autres, Afrique romaine 69- 439, Atlante, 2006, pp. 327-328.

¹⁴ أوبطاطا الميلي (Optat de Mileve): لا نعرف تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته بالضبط عاش حوالي ما بين 320م

و392م، كتب مؤلفه في أواخر سنة 366م، كاثوليكي، دخل في المساجلة الفقهية مع الدوناتيين، عنوان كتابه: "اتفاق ضد الدوناتيين".

-Labrosse, M. : Traité contre les donatistes(De Shismate donatistarum) Tome1, livre I, II et T.2, livres II, IV.

¹⁵ القديس أوغسطين (Saint Augustin): ولد بمدينة تاغست (سوق أهراس بالجزائر) في 13 نوفمبر 354م،

مات في 28 أوت 430م بعنابة التي كان أسقفا بكنيستها منذ 395م، ترك عدة كتابات أهمها الاعترافات

(Confessions) التي تحدث فيها عن جوانب من حياته.

¹⁶ تيكونيوس Tyconius (أو Ticonius ، أو Tichonius Africanus): هو عالم لاهوت مسيحي و

فقيه دوناتي، كان أحد أكثر المفكرين إثارة للأفارقة الكنيسة في القرن الرابع الميلادي. ألف كتابا بعنوان "التعليق على

نهاية العالم" والعمل الثاني بعنوان "القواعد"، وله أول أطروحة حول التأويل الكتاب المقدس في الغرب اللاتيني. لقد ضاع

عمله حول تعليق نهاية العالم، بقي كتاب القواعد على حاله. امتدت شهرة تيكونيوس كمفكرة وكاتب دوناتي. كان

أوغسطين مفتونا من قبل فكر المؤلف الدوناتي، ولخص القواعد السبعة لتيكونيوس في "كتابه العقيدة المسيحية" (De Doctrina Christiana).

-Pamela Bright, the book of rules of Tyconius, Its Purpose and Inner Logic, university of Notre Dame Press, Notre Dame, Indiana, ©1988 University of Notre Dame Press, p.2.

¹⁷ قسطنطين: إمبراطور روماني يعرف أيضا باسم قسطنطين العظيم. وُلد في بنايسوس (حاليا نيس بصربيا) عام 28م و توفي سنة 337م ببينثينا (حاليا ازميت بتركيا) ، أول إمبراطور روماني دخل إلى المسيحية، قام بدور بارز في تاريخ الكنيسة الأولى، جعل من المسيحية الديانة الرسمية للدولة الرومانية، كما تدخل في المشاكل الكنسية، حيث دعا إلى عقد أول مجمع مسكوني في العالم في نيقية عام 325م.

-Constantine the Great; Flavius Valerius Constantinus, Encyclopedia Donald Mac Gillivray Nl, Britannica, 2015 .

¹⁸ محمد البشير شنييتي، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 282-283.

¹⁹ Eusèbe de Césarée, Histoire Ecclésiastique, V- VIII, textes grecs et traduction française par Emile Grapin, librairie Alphonse Picard et fils, Paris, 1911, X, 5, 15-17.

²⁰ بعد اعتراف قسطنطين بالديانة المسيحية أصدر أمرا إلى أنولينوس، بروتستانت إفريقي، لترميم الكنائس التي تهدمت وتسهيل تقسيم الأموال التي يحتاجها كايكليانوس، أسقف كنيسة قرطاج، من أجل توزيعها على أساقفة الكنائس وعلى المحتاجين والمتضررين من عمليات الاضطهاد، وهذا يُظهر جليا انحياز الإمبراطور قسطنطين إلى أسقف كنيسة قرطاج دون غيره من الأساقفة في إفريقيا، و تؤكد ذلك في الرسالة التي بعثها إلى أنولينوس يأمره فيها الوقوف إلى جانب كايكليانوس ضد المنشقين. والرسالة الثانية التي بعثها إلى كايكليانوس وعده فيها بنصرته على المنشقين، بل طلب منه الاستعانة بالبروتستانت ضدهم إذا لزم الأمر.

-Eusèbe de Césarée, Histoire Ecclésiastique, V-VIII, textes grecs et traduction française par Emile Grapin, librairie Alphonse Picard et fils, Paris, 1911, X, 5, 15-17 ; X, 7, 1 ; X, 6, 1-5.

-Maier, J.-L., le dossier du donatisme, Tome1, des origines à la mort de Constance II (303-361), Akademie-Verlag, Berlin, 1987, pp.138-140.

²¹ الكنيسة الدوناتيية سُميت نسبة إلى زعيمها المشهور "دوناتوس الكبير".

-Decret, F., Le christianisme en Afrique du nord, édition du Seuil, Paris VIe, 1996, p. 139 ; Monceaux, P., H.L.A.C, le donatisme, Tome 4, pp. 20-37.

²² فيرموس (Firmus) ينحدر من أسرة أمازيغية قوية. كان أبوه نوبل أحد ملوك القبائل المورية. ثار ضد الرومان في موريطانيا القيصرية ما 372م و 375م، لكن قبض عليه و انتحر.

Prévôt, F. et autres, op.cit, p. 325.

²³ جيلدون (Gildon) هو اخو فيرموس، انخرط في الجيش الروماني سنة 385م أصبح قائدا لكل القوات العسكرية الرومانية في إفريقيا بلقب "دوق". أعلن ثورته ضد الرومان عام 397م، رفض الاعتراف بالإمبراطور هونوريوس وتبعية إفريقيا لامبراطورية الغرب و أحالتها إلى إمبراطورية الشرق التي كان على رأسها الإمبراطور اركاديوس. فقام هونوريوس بإرسال جيش لمحاربتها وانتهت ثورته بموته عام 398م.

Prévôt, F. et autres, op.cit, pp. 325-326.

²⁴ أويطا الميلبي (Optat de Mileve): لا نعرف تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته بالضبط عاش حوالي ما بين 320م و 392م، كتب مؤلفه في أواخر سنة 366م، كاثوليكي، دخل في المساجلة الفقهية مع الدوناتييين، عنوان كتابه: اتفاق ضد الدوناتييين (De Shismate donatistarum) .

-Labrosse, M.: Traité contre les donatistes, T.1, livre I, II et T.2, livres II, IV.

²⁵ Monceaux, P., H.L.A.C, Tome 4, le donatisme, Paris, Ernest Leroux Editeur, 1912.

²⁶ Decret, F., op.cit, p. 139.

²⁷ الأسقف كبريان (205-258م): كان كاهنا ثم شيم أسقفا على كنيسة قرطاج عام 248 أو 249م، واجه مشاكل عديدة بعد اضطهاد ديسيوس منها مشكلة المرتدين ذلك دفعه لتأليف كتاب حول المرتدين بعنوان "في المرتدين" (De lapsi) و"في وحدة الكنيسة" (De unitate ecclesiae). و في حدود عام 255م ظهرت مشكلة شرعية معمودية الهراطقة، كان يعتبرها باطلة، لكن فاليريانوس حكم عليه بالاعدام قبل أن يجدحلا لهذه المسألة. حيث اعدم بقطع رأسه عام 258م. يحتفل بذكرى استشهاد بحسب التقويم الروماني يوم 16 أيلول. الموسوعة العربية المسيحية: نؤمن باله واحد/كبريانوس أسقف قرطاج.

²⁸ Monceaux, P., H.L.A.C., Tome 4, p. 4.

²⁹ لمعرفة القواعد التي وضعها القديس سبريان يُنظر:

-Poole, G.-A., Histoire de la vie et des temps de Saint Cyprien évêque de Carthage et martyr, ouvrage traduit de l'anglais par le diacre Pontius, et d'une dissertation préliminaire par François-Zenon Collombert, chapitres 3 et 4, librairie catholique de Périsse frères, Lyon, Paris, 1841.

³⁰ Monceaux, P., H.L.A.C., Tome4, pp. 193-194.

³¹ هي وثائق إدارية ترجع الى ما بين 314م و 330م. الراجع أنّ بعض رجال الدّين الكاثوليكين قاموا بجمعها في ملفّ خاصّ، بغرض المساجلة الكلامية مع الدّوناتيّين.

-Duchesne, L., "le dossier du donatisme", M.E.F.R., 1890, p. 627 ; p. 649.

³² المسلمّين (Traditores): مصدر الفعل اللّاتيني ترانسدو (Trado ou transdo) بمعنى سلّم إلى وعملية تسليم الكتب المقدّسة عرفت في التّصوُّص بـ Traditio، والمسلّم أو الخائن Traditor.

-Félix Gafiot, dictionnaire, Latin- Français, Hachette-livre, 2001.

³³ المرتدّون (Lapsi): هم المسيحيّين "الذين سقطوا" أو "الذين أخطأوا" من الفعل اللّاتيني: lapsus (سقط) أي الذين سقطوا في المحرمات. Gafiot, Félix, dictionnaire, Latin-Français.

³⁴ أبيثينا (Abithina أو Autina)، كانت مدينة صغيرة في حوض مجردة بتونس، هي حاليًا "خرائب شهود الباطن" قرب مدينة "مجاز الباب" بتونس.

-Beshaouch, " sur la localisation d'Abitina, La cité des célèbres martyrs africains" C.R.A.I., 1976, V120, N°2, pp. 255-266.

³⁵ منصوريوس (Mensurius): كان أسقف كنيسة قرطاج، كان في رأي الشّعب من المتخاذلين لاستعماله أساليب لا تُشرّفه كمستول أول عن الكنيسة لتفادي التعذيب. Brisson, J.P., op.cit, p. 127.

³⁶ سقط العديد من الشّهداء من مدينة أبيثينا حيث بلغ عددهم حوالي 49 شهيدا وعلى رأسهم الكاهن ساتورينيوس حسب ما جاء في قصّة آلامهم، كانوا مجتمعين في منزل اوكتافيوس فليكس لإقامة طقوسهم الدينية، فجيئوا بالجنود الذين اعتقلوهم يوم 12 فيفيري عام 304م وحُكم عليهم بالإعدام من طرف انولينوس بسبب مخالفتهم مرسوم الإمبراطور القاضي بإعدام كل المسيحيّين الذين يمارسون شعائرتهم الدينية.

-Maier, J.-L., le dossier du donatisme, Tome1, des origines à la mort de constance II (303-361), Akademie-Verlag. Berlin, 1987, pp.57-90.

³⁷ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 296.

³⁸ Monceaux, P, H.L.A.C., Tome 4, pp.11-12.

³⁹ Augustin, St., De unico baptismo, XIII, 29. Œuvres complètes de saint Augustin traduction M. Raulx, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869, T. XIII, p. 562.

⁴⁰ Monceaux, P, H.L.A.C., Tome 4, p.18.

⁴¹ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 296.

-أعلن كاسيليانوس عن نيته في العفو عن كل الكهنة الذين خانوا العقيدة أثناء اضطهادات دقلديانوس وسلموا الأناجيل لسلطاته لحرقها. سيد احمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري، الطبعة الثانية منقحة و مزودة، الناشر دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص 437.

⁴² ماجورينوس (Majorinus) ترأس الاجتماع الذي حضره اثنا عشرة أسقفًا سنة 305م، وأغلبيتهم، إن لم يكن جُلهم، أصبحوا من الدوناتيين بعد مرور سبع سنوات على هذا الاجتماع من بينهم: دوناتوس، فكتور، مارينوس، دوناتوس من قالمة، يتمان، فيليكس، سكوندوس الصغير، نابور وغيرهم. وهناك من يعتبر الاجتماع الذي عُقد بسيرتا في يوم 5 مارس 305م بداية ظهور الحركة الدوناتية كون المجمع أصدر قرارا رفض فيه ما اتخذ مجمع قرطاج من إجراءات، تتعلق بموقف الكنيسة من قرارات الإمبراطور الخاصة بمحاربة المسيحية، ومصادرة ممتلكات الكنائس والكتب والوثائق المقدسة.

-Leclercq Dom H., op.cit, p. 316; Monceaux, P, H.L.A.C., T.4, pp.14-19.

⁴³Brisson, J.P., op.cit., p. 237.

⁴⁴Monceaux, P., H.L.A.C., Tome 4, p. 20.

⁴⁵Maier, J.-L., l'épiscopat de l'Afrique romaine, vandale et byzantine, Helvetica Romana XI, Bibliothèque Rome, 1973, p. 453.

⁴⁶Ibba, A. et Traina, G., op.cit, p. 164.

⁴⁷ لقيت الكنيسة الكاثوليكية الدعم من طرف السلطة في روما، فبعد انتصار قسطنطين على خصمه سنة 312م بعث رسالتين إلى بروقنصل إفريقيا انولينوس و إلى كايكيليانوس يُبلغهما فيهما قراره بتصفية اضطهاد المسيحيين وإرجاع الممتلكات إلى الكنيسة التي يتزعمها كايكيليانوس.

-Eusèbe de Césarée, Histoire Ecclésiastique, V-VIII, X, 5, 15-17 ; X, 7, 1 ; X.

⁴⁸Monceaux, P., H.L.A.C., Tome 4, p. 20.

⁴⁹Lepelly, Cl., "Déclin ou stabilité de l'agriculture africaine au bas empire ? A propos D'une loi de l'empereur Honorius, Antiquités Africaines, Tome 1, 1967, p. 139.

⁵⁰Monceaux, P., H.L.A.C., Tome 4, p. 4.

⁵¹Prévôt, F. et autres, op.cit, pp. 327-328.

⁵² غودانتينوس (Gaudentius): هو أسقف دوناتي، تولى رئاسة كنيسة تيمقاد (تموقادي) سنة 398م، خلفا للأسقف اوبتاتوس التيمقادي الذي وقف إلى جانب الثائر جيلدون في ثورته ضد الرومان. كان أحد أهم المحامين المخولين للدفاع عن المذهب الدوناتي في مناظرة قرطاج 411م. و في 420 م هدد بحرق نفسه مع اخوانه لمنع مصادرة كنيسته.

-Monceaux, P., les ouvrages de Gaudentius, évêque donatiste de Thamugadi (Timgad) au temps d'Auguste, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres Année 1906 /50-5 / p. 314.

⁵³ برميانوس (Primianus): أسقف دوناتي خلف بارميانوس على كنيسة الدوناتيين في قرطاج عام 393م.

-Decret, F. et Fantar, M., l'Afrique du nord dans l'antiquité, des origines au 5^{ème} siècle, Payot, Paris, 1981, p.161-162.

⁵⁴ كرسكونيوس (Cresconius): اسقف دوناتي، لا نعرف عنه إلا من خلال رد أوغسطين عليه. كان "نحوي" (grammaticus) يعلم قواعد النحو و الأدب للأطفال، قبل أن يلج أبواب البلاغة و الفنون. ورد اسمه في رسالة كتبها أوغسطين ضد الدوناتية، حوالي 405-406م، بعنوان "الرد على كريسكونيوس النحوي والدوناتي (Contra Creconium Grammaticum et donatistam) خاطب فيها الدوناتي كريسكونيوس (Cresconius)، جاءت ردا على رسالة مفتوحة وجهها كرسكونيوس للقديس أوغسطين، دافع فيها عن الدوناتية و الأسقف بيتيليانوس، في حدود 401م، و لم يعرف ذلك إلا في سنة 405م.

-محمد المبكر، شمال إفريقيا القديم، حركة الدواوين و علاقتها بالدوناتية (305-429م)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2001، ص 315.

⁵⁵ بتليانوس قس دوناتي في سيرتا، ألف كتابا حول تعاقب القساوسة الدوناتيين 389/398م، شارك في مناظرة قرطاج 411م، و في مجمع ديني عُقد سنة 418م.

-Serge, L., Acte de la conférence de Carthage, Collection, sources chrétiennes, N°194, 195, Paris, le Cerf (1972-1975). Tome1, 1972, p.281.

⁵⁶ Le Blohec, Y., histoire de l'Afrique romaine 146 Av. J.-C. 439- ap J.-C., éditions, A. et J. Picard, Paris, 2005, p.243.

⁵⁷ Serge, L., op.cit, p.281.

⁵⁸ Henry Wace and William, Petilianus, a Donatist bishop, Dictionary of Christian Biography and Literature to the End of the Sixth Century.1911, pp.830-831.

⁵⁹ André Huard, Le berbère... lumière de l'occident, nouvelles éditions latines, 1984, Paris, p.100.

⁶⁰ Abbé A et Traina, G., op.cit., p.204.

⁶¹ Henri Irénée Marrou, André Mandouze, Anne Marie La Bonnardiere, Prosopographie de l'Afrique chrétienne (303-533), éditions du centre nationale de la recherche scientifique, 1 janvier 1982, pp.892-893.

⁶² Monceaux, P., H.L.A.C., Tome4, 1912, p. 20.

⁶³ Ibid., H.L.A.C., Tome 5, p.85.

⁶⁴ Lepelley Claude. Les sénateurs donatistes. In: Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, 1990, 1992. p.54.

⁶⁵Monceaux, p., la littérature donatiste, les ouvrages de Petilianus, comptes rendus des séances de l'Académie des inscriptions et belles lettres, 50eme année, n°4, 1906, p.227.

⁶⁶Serge, L., op.cit, p. 18.

-صدرت عدة قوانين ضد الدوناتية عام 405م إلى جانب مرسوم الوحدة نذكر ضمنها:
-12فيفري 405م: مرسوم الوحدة بين الكنيستين (Edictum de Unite) و أربعة قوانين ضد الدوناتية، احدها يعتبر الدوناتية هرطقة. ⁶⁷Brissson, J.-P., op.cit, pp.265-266

⁶⁷Monceaux, P., H.L.A.C., Tome 4, p.259.

⁶⁸Henry Wace and William, op.cit, pp.830-831.

⁶⁹Serge, L., op.cit, p.281.

⁷⁰شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص310.

⁷¹Serge, L., op.cit, p. 18.

⁷²بعد وفاة الأسقف الدوناتى بارميانوس وقع الاختيار في مجمع مدني عُقد في قرطاج عام 393م على الأسقف بريميانوس لكنه لقي معارضة شديدة من طرف الشماس ماكسيميانوس الذي انشق عن الكنيسة الدوناتية رافضا الاعتراف بأسقفيته على رأس الكنيسة الدوناتية، ففي 26 جوان 393م عقد مجمعا دينيا في مدينة قيسوس بمقاطعة بيزاسين بحضوره حوالي مائة أسقف وتم اختياره على رأس الكنيسة بدل بريميانوس.

-Decret, F., op.cit, pp.161-162.

-أصبحت الكنيسة الدوناتية مقسمة على نفسها إلى جماعتين: جماعة بريميانوس تمثل الأغلبية تتواجد خاصة في نويدا و جماعة ماكسيميانوس تتواجد في المناطق الشرقية خاصة في البروقنصلية.
شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص305.

⁷³Henry Wace and William, op.cit, pp.830-831.

⁷⁴Monceaux, p., la littérature donatiste, les ouvrages de Petilianus, p.227.

⁷⁵كان القديس أوغسطين مستشارا لاورليوس، أسقف قرطاج في سنة 391م، و صديقا له، ثم انتخب أسقفا لكنيسة عنابة سنة 395م. منذئذ صار تاريخ إفريقيا المسيحية مرتبطا بتاريخه بالنسبة للمؤرخين الغربيين. تقول عنه الموسوعة الفرنسية "يونيفرساليس": "ولد القديس أوغستين مواطنا رومانيا، هو من رومان إفريقيا، عاش مخلصا ثابت الإخلاص للحضارة الرومانية".

-Encyclopaedia Universalis, Tome 2, p.796.

⁷⁶ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص298.

⁷⁷ كلمة لاتينية مركبة من جزأين : circum و cella. circum تعني دائر أو حول. أما cella معناها مستودع المؤن (من زيوت أو خمر أو حبوب). و بهذا المعنى فكلمة Circumcelliones تعني أولئك الذين يدورون حول مخازن المؤن. Gaffiot, Félix., dictionnaire latin-français, p.119 ; p.130.

⁷⁸ قسم الامبراطور ثيودوسيوس (379-395م) قبل وفاته على ولديه العرش الامبراطوري، حيث أصبح القسم الشرقي بقيادة اركاديوس (395-408م) والقسم الغربي تحت حكم هونوريوس (395-423م).

-سيد احمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري، الطبعة الثانية منقحة ومزودة، الناشر دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص 437 ، ص476-477.

⁷⁹ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص305-307.

⁸⁰ Serge, L., op.cit, p. 18.

⁸¹ Augustin, St., contra litteras Petilian Libri Trè, II, LXXXVIII, 195, B.A.30, 1967, pp.462-463.

⁸² الإنجيل، العهد الجديد، الترجمة العربية من اللغة الأصلية ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، الطبعة الثامنة، القاهرة، 2005 ، إنجيل متى: 52-51/26.

قائمة المراجع

-الإنجيل، العهد الجديد، الترجمة العربية من اللغة الأصلية ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، الطبعة الثامنة، القاهرة، 2005 ، إنجيل متى: 52-51/26.

-سيد احمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري، الطبعة الثانية منقحة ومزودة، الناشر دار النهضة العربية، القاهرة، 1991

-شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي و البشير سلامة، النشرة الخامسة، الدار التونسية للنشر، 1985 .

-فوزية كرتي، الدين والمجتمع بالشمال الإفريقي من سنة 180م إلى سنة 430م "نموذج المسيحية"، رسالة لنيل الدراسات العليا في التاريخ، السنة الجامعية 1998-1999.

-محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

—محمد المبكر، شمال إفريقيا القديم، حركة الدواوين و علاقتها بالدوناتية(305-429م)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الاولى 2001.

- André Huard, Le berbère... lumière de l'occident, nouvelles éditions latines, 1984, Paris.
- Augustin, St., contra epistulam parmiani libri tres; Bibliothèque Augustinienne, Paris 28, 1963(trad. G. Finaert).
- Augustin, St., contra litteras Petiliani Libri Très, II, LXXXVIII, 195, B.A.30, 1967. (Trad.:G.Finaert; introduction et notes par B. Quinot).
- Augustin, St., De unico baptismo, XIII, 29. Œuvres complètes de saint Augustin traduites pour la première fois en français, sous la direction de M. Raulx, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869, Tome XIII.
- Batiffol, P., Le catholicisme de Saint Augustin, 4^{ème} édition, librairie le coffre, Paris, 1929.
- Beshouch, " sur la localisation d'Abitina, La cité des célèbres martyrs africains" C.R.A.I., 1976, V120, N°2.
- Brisson, J.P., Autonomisme et christianisme dans l'Afrique romaine de Septime Sévère à l'invasion vandale, Paris, De Boccard, 1958.
- Cornevin, R., histoire de l'Afrique, Tome1, Payot, Paris, 1967.
- Cyprien, Th, Unité de L'Eglise, Traduction par M. de Genoude, Adrien Le Clère, Sapia, 1842.
- Decret, F., Le christianisme en Afrique du nord, édition du Seuil, Paris VIe, 1996.
- Decret, F. et Fantar, M., l'Afrique du nord dans l'antiquité, des origines au 5^{ème} siècle, Payot, Paris, 1981.
- Duchesne, L., "le dossier du donatisme", M.E.F.R., 1890.
- Duchesne, L., histoire ancienne de l'église, T.1, sixième éd., ancienne librairie Thorin et fils, Fontemoing éditeurs et Cie, Editeurs, Paris, 1911.
- Encyclopedia -Donald Mac Gillivray Nl, Britannica, 2015 .
- Eusèbe de Césarée, Histoire Ecclésiastique, V- VIII, textes grecs et traduction française par Emile Grapin, librairie Alphonse Picard et fils, Paris, 1911.
- Félix Gafiot, dictionnaire, Latin- Français, Hachette-livre, 2001.
- Hadot, P. et Meslin, M., "A propos du donatisme, archives du sociologie des religions", 1957, V. 4
- Henri Irénée Marrou, André Mandouze, Anne Marie La Bonnardiere, Prosopographie de l'Afrique chrétienne (303-533), éditions du centre nationale de la recherche scientifique, 1 janvier 1982.

- Henry Wace and William, Petilianus, a Donatist bishop, Dictionary of Christian Biography and Literature to the End of the Sixth Century.1911.
- Ibba, A. et Traina, G., l'Afrique romaine (69-439 ap. J.-C.), Bréal, 2006.
- Gostynski, T., au sommet de pensée humaine ,la littérature de l'Afrique du nord, librairie chatr Ahmed, Marrakech.
- Mattei, P., le christianisme antique de Jésus à Constantin, Armand colin, Paris, 2008-2009.
- Labrosse, M. : Traité contre les donatistes, T.1, livre I, II et T.2, livres II, IV .
- Le Blohec, Y., histoire de l'Afrique romaine 146 Avant J.-C. 439- après J.-C., éditions, A. et J. Picard, Paris, 2005.
- Leclercq, Dom. H., l'Afrique chrétienne, librairie Victor le coffre, T.1, Paris, 1904.
- Lepelley Claude, Les sénateurs donatistes. In: Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, 1990, 1992.
- Lepelly, Cl., "Déclin ou stabilité de l'agriculture africaine au bas empire ? Apropos D'une loi de l'empereur Honorius, Antiquités Africaines, Tome 1, 1967.
- Mattei, P., le christianisme antique de Jésus à Constantin, Armand colin, Paris, 2008-2009 .
- Maier, J.-L., l'épiscopat de l'Afrique romaine, vandale et byzantine, Helvetica Romana XI, Bibliothèque Rome, 1973.
- Maier, J.-L., le dossier du donatisme, Tome1, des origines à la mort de constance II (303-361), Akademie-Verlag, Berlin, 1987.
- Monceaux, P., Histoire de littéraire de l'Afrique chrétienne, Tome 4, Le donatisme, 1912.
- Monceaux, P., Histoire de littéraire de l'Afrique chrétienne, Tome 5, Saint Optât et les premiers écrivains donatistes, 1920.
- Monceaux, P., les ouvrages de Gaudentius, évêque donatiste de Thamugadi (Timgad) au temps d'Auguste, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Année 1906 /50-5.
- Monceaux, p., la littérature donatiste, les ouvrages de Petilianus, comptes rendus des séances de l'Académie des inscriptions et belles lettres, 50eme année, n°4, 1906.
- Pamela Bright, the book of rules of Tyconius, Its Purpose and Inner Logic, university of Notre Dame Press, Notre Dame ,Indiana, ©1988 University of Notre Dame Press.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02 بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

-Prévôt, F. et autres, Afrique romaine 69- 439, Atlande, 2006.

-Serge, L., Acte de la conférence de Carthage, Collection, sources chrétiennes, N°194, 195, 224 Paris, le Cerf (1972-1975). Tome 1: introduction générale, 1972.

دور غولدا مائير في سياسة إسرائيل تجاه أفريقيا (1956-1974)

م.د علي رزاق ظاهر

جمهورية العراق - وزارة التربية - مديرية تربية ذي قار

a07802877588@gmail.com

الملخص باللغة العربية :

تكتسب دراسة النشاط السياسي للشخصيات الصهيونية أهمية كبيرة، للتعرف على الفكر الصهيوني واستراتيجيات الحركة الصهيونية عن كثب، لاسيما الشخصيات التي شاركت في إقامة دولة (إسرائيل)، التي تتبنى تنفيذ أهداف الحركة الصهيونية على جميع المستويات وفي جميع مناطق العالم، وتسعى باستمرار الى توسيع نفوذ الأفكار الصهيونية وايدولوجيتها بين مختلف الشعوب بشكل عام والقارة الأفريقية بشكل خاص.

تعد غولدا مائير من أبرز الشخصيات الصهيونية التي أدت دوراً مهماً في التغلغل الصهيوني في القارة الأفريقية للمدة (1956-1974) التي تولت فيها مناصب رسمية في (إسرائيل) كوزيرة للخارجية ورئيس وزراء، ومهندسة السياسة الصهيونية في هذه القارة، فقد وضعت في أولوياتها كسب الدول الأفريقية الناشئة منذ الوهلة الأولى لحصولها على استقلالها والتخلص من براثن الاستعمار الغربي لها، واستعملت طرق وأساليب سياسية واقتصادية مختلفة للنفوذ الى دول القارة الأفريقية الفتية، لتنفيذ سياستها الصهيونية بهدف تأمين المصالح الإسرائيلية فيها، وكسر عزلتها الدولية.

الكلمات المفتاحية: غولدا مائير، سياسة، إسرائيل، افريقيا.

Golda Meir's Role in Israel Political Toward Africa (1956-1974)

Dr. Ali Razzaq Dhafer

Republic of Iraq- Ministry of Education – Thi Qar Department

Abstract:

The study of the political activity of the Zionist figures is great importance, to identify the Zionist thought and the strategies of the Zionist movement closely, especially the figures who participated in the establishment of the State (Israel), which adopts the implementation of the goals of the Zionist movement at all levels

and in all regions of the world, and constantly seeks to expand the influence of ideas Zionism and its ideology among the various peoples in general and the African continent in particular.

Golda Meir is one of the most prominent Zionist figures who played an important role in the Zionist penetration on the African continent in period (1956-1974), during which she held official positions in (Israel) as Minister of Foreign Affairs and Prime Minister. She was the architect of Zionist politics on this continent; she had a high priority to gain the support of the emerging African States from the first moment of their independence from Western colonialism, and she used various political and economic methods to control on countries of the African continent to achieve her Zionist policy with the aim of securing Israeli interests there and breaking its international isolation.

Keywords: (Golda Meir – Political – Israel – Africa)

المقدمة

ارتبطت (إسرائيل) مع دول القارة الأفريقية بعلاقات متفاوتة ومتنوعة على وفق المصالح الإسرائيلية، وبشكل عام فإنها ارتبطت بعلاقات رسمية مع العديد من الدول الأفريقية، وجاءت دول القرن الأفريقي في سلم أولويات الحكومات الإسرائيلية لأهميتها في تأمين النطاق الأمني لـ(إسرائيل)، وجعلها وسيلة ضغط على الدول العربية، وجسدت غولدا مائير (Golda Meir)⁽¹⁾ مثالا حيا على عمق التفكير الجدي للقادة الصهاينة للتواجد في القارة الأفريقية وتحقيق الأهداف الصهيونية فيها، فقد جعلت من الساحة الأفريقية مسرحا للصراع السياسي مع الدول العربية بشكل عام ومصر بشكل خاص.

أدركت غولدا مائير منذ توليها منصب وزير الخارجية (1956-1965) ومنصب رئيس الوزراء (1969-1974)، أهمية الساحة السياسية والاقتصادية الأفريقية بالنسبة لـ(إسرائيل)، فعملت على دعم الدول الأفريقية عسكريا واقتصاديا لكسبها الى جانبها، ونجحت في إقامة علاقات دبلوماسية على مستوى السفارة مع العديد من هذه الدول، وفتح قنصليات في دول أخرى، لتأمين الوجود الإسرائيلي فيها، وترسيخ وتأمين مصالحها هناك، ولضمان حماية تجارتها الخارجية.

جاء هذا البحث من مقدمة وثلاثة محاور، تناول المحور الأول نشأة وطبيعة العلاقات الإسرائيلية الأفريقية، والثاني سلط الضوء على نشاط غولدا مائير في القارة الأفريقية للمدة (1956-1968)، أما المحور الثالث فقد بين نشاطها في القارة الأفريقية للمدة (1969-1974).

اولاً. نشأة وطبيعة العلاقات الإسرائيلية الأفريقية

انطلاقاً من طبيعة نشأة (إسرائيل) المصطنعة في المنطقة ومحاولتها تقويض أسس ودعائم الأمم القومي العربي؛ أذا سعت إلى إنشاء علاقات مع الدول الأفريقية مبنية على أساس تحقيق مجموعة من الأهداف التي تخدم مصالحها في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن أهم هذه الأهداف كسر العزلة الدولية التي فرضتها عليها الدول العربية، وكسب تأييد الدول الأفريقية من أجل تسوية الصراع العربي الإسرائيلي، والعمل على تحقيق أهداف أيديولوجية توراثية خاصة بتقلم (إسرائيل) على أنها دولة (نموذج) لشعب الله المختار، والسعي لتحقيق الأمن الإسرائيلي وضمان هجرة اليهود الأفارقة إلى (إسرائيل)، فضلاً عن بناء قاعدة استراتيجية لتحقيق الهيمنة الإقليمية⁽²⁾.

لم يكن لدى (إسرائيل) حضوراً واسعاً على الساحة الأفريقية بعد السنوات الأولى من قيامها، على الرغم من تأكيد زعماء الحركة الصهيونية على العلاقات الثقافية والاجتماعية، واقتصرت علاقاتها مع ليبيا وأثيوبيا فقط⁽³⁾، اذا تعد ليبيا أكثر دولة أفريقية ساندت (إسرائيل) منذ إعلان قيامها، فبادرت إلى تأييد قرار تقسيم فلسطين عام 1947 الصادر عن الأمم المتحدة، كما أنها أول دولة أفريقية عقدت اتفاقية صداقة وتعاون معها، كما بادرت أثيوبيا بعدها بإقامة علاقات رسمية مع (إسرائيل)⁽⁴⁾، فسعت هاتين الدولتين لـ(إسرائيل) بإقامة علاقات دبلوماسية مع دول أفريقية جديدة⁽⁵⁾.

ثانياً. نشاط غولدا مائير السياسي في القارة الأفريقية (1956-1968)

بدأت (إسرائيل) بتأسيس علاقات دبلوماسية على نطاق واسع مع الدول الأفريقية منذ منتصف الخمسينيات من القرن الماضي⁽⁶⁾، وتزامن ذلك مع بداية تحرر دول هذه القارة من الحكم الاستعماري،

من خلال هيئات إسرائيلية غير رسمية مثل المستدروت (Histadrut)⁽⁷⁾ والاتحاد الاشتراكي الدولي، ومن ثم طورت علاقتها مع هذه الدول عبر القنصليات الإسرائيلية هناك⁽⁸⁾، وافتتحت وزارة العمل الإسرائيلية غولدا مائير الاتصالات الرسمية بلقائها مع وفد من حزب الأمة السوداني في لندن يوم 17 حزيران 1954، ثم أجرت لقاءات عديدة مع بعض الساسة السودانيين في باريس بحث فيه امكانية تقديم مساعدات إسرائيلية للسودان⁽⁹⁾.

استلمت غولدا مائير في 21 حزيران 1956 وزارة الخارجية الإسرائيلية في ظل حكومة دافيد بن غوريون (David Ben Gurion)⁽¹⁰⁾ خلفا لموشيه شاريت (Moshe Sharet)⁽¹¹⁾ الذي استقال منها⁽¹²⁾، والتي كانت تخضع لسيطرة رئيس الوزراء فضلا عن سيطرته على وزارة الدفاع أيضا، وكان على من يتولى هذا المنصب ان يكون المنفذ للخطوط التفصيلية التي يضعها هو بنفسه⁽¹³⁾.

حاولت غولدا مائير استعمال صلاحياتها كوزيرة للخارجية لتوجيه السياسة الإسرائيلية على وفق رؤيتها السياسية، لكنها اصطدمت بموقف دافيد بن غوريون الذي رفض قيامها بإطلاق أي تصريح دون الرجوع إليه، وهذا كان واضحا منذ الأول من تموز عام 1956 حينما أبدت رغبتها أثناء اجتماعها مع أعضاء الهيئة الدبلوماسية الإسرائيلية في الأمم المتحدة في أن تعلن بنفسها عن إكمال انسحاب (إسرائيل) من الأراضي العربية المحتلة عام 1956، حذرهما أحد أعضاء الهيئة الدبلوماسية الإسرائيلية، بأنه ينبغي عليها أخذ موافقة دافيد بن غوريون قبل إقدامها على هذا الأمر، وإلا ستُعد خائنة إذا ما خالفت هذه التعليمات، مما اضطرها إلى الاتصال هاتفيا بدافيد بن غوريون طالبة منه السماح لها بإعلان الانسحاب الا انه رفض رفضا قاطعا، وفي اثر ذلك قررت غولدا مائير أن تتوجه الى خط سياسي آخر مختلف عن الخط السياسي لابن غوريون، فاختارت ان تركز في سياستها على الدول الأفريقية والآسيوية وأمريكا اللاتينية، تاركة السياسة الخارجية العامة له، وبالأخص تجاه الدول الكبرى والأمم المتحدة وحتى الدول العربية⁽¹⁴⁾.

فوجهت غولدا مائير أنظارها إلى القارة الأفريقية، لإدراكها إمكانية ان يكون التأثير فيها كبير لصالح السياسة الإسرائيلية، ولكون الساحة السياسية الآسيوية مبهمة بالنسبة لها، ماعدا الصين والهند التي كانت لها علاقات مع (إسرائيل)⁽¹⁵⁾، وكانت وجهة نظرها في حينه ان القارة الإفريقية ستصبح واحدة من المناطق المميزة في العالم، ويمكنها ان تبدأ معها من الصفر، وساعدها في ذلك الموقف الايجابي لبعض الزعماء الأفارقة، بعد أن أبدوا إعجابهم بما حقته (إسرائيل) من إنجازات، فأقبلت على استدراج هؤلاء القادة لزيارتها واطلاعهم على المنجزات الإسرائيلية المتحققة⁽¹⁶⁾، وكانت على قناعة تامة بان (إسرائيل) هي الأقرب أيديولوجياً إلى أفريقيا، وإنها اعتمدت على الشخصيات الإسرائيلية التي لا تحوم عليها شبهات فساد في مساعدة البلدان الأفريقية، ولم تكن تهدف من ذلك جني الأرباح المباشرة لـ(إسرائيل) فقط بل تهيئة القارة لتكون مساندة لـ(إسرائيل) في جميع المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وادركت ان (إسرائيل) يمكنها ان تؤثر في الدول الأفريقية منذ اليوم الأول لإقامة العلاقات معها، على العكس من بعض الدول الأوروبية ودول آسيا وأمريكا الجنوبية التي كانت تكن العداء لـ(إسرائيل) ومن الصعب التأثير عليها، كما تأملت من أن إقامة علاقات مع الدول الأفريقية قد يؤدي الى كسر الحصار المفروض على (إسرائيل) بطريقة سلمية، وأبدت استعداد (إسرائيل) لتزويد هذه الدول الأفريقية الفقيرة بالخبرات والموارد البشرية، بهدف ضمان وقوف هذه الدول الى جانبها في المحافل الدولية والأمم المتحدة، بالتزامن مع ضمان شراء هذه الدول المنتجات الإسرائيلية من الأسمدة والآلات والتكنولوجيا والبذور والكيمياويات وقد عدت الدول الأفريقية حديثة النشأة آنذاك أن (إسرائيل) نموذجاً مناسباً لها لسد احتياجاتها، وإنها لن تشكل خطراً على أنظمتها حديثة التكوين ويمكنها مساعدتهم في بناء بلدانهم⁽¹⁷⁾.

نتيجة لتطور العلاقات بين (إسرائيل) وبعض الدول الأفريقية نشب خلاف بين وزارة الدفاع ووزارة الخارجية الإسرائيلية حول طبيعة التعامل معها؛ فقد أبدت وزارة الدفاع رغبتها في التعاقد مع الدول

الأفريقية لبيع أسلحة لها، ولم يشأ رئيس الوزراء الإسرائيلي بن غوريون التدخل في هذا الخلاف، وكانت الغلبة فيه لوزارة الخارجية غولدا مائير التي أسست سياسة خارجية متينة مع هذه الدول⁽¹⁸⁾.

وفي مطلع عام 1957 أنشأت (إسرائيل) مرفأً بحرياً حديثاً في مدينة إيلات الإسرائيلية، فأصبح بإمكان التجار ورجال الأعمال النفاذ من خلاله إلى ساحل أفريقيا الشرقي، كما سمحت الحكومة الإسرائيلية في مطلع عام 1958 لشركة (سوليل بونه) (Solel Boneh)⁽¹⁹⁾ بالحصول على امتيازات واسعة في أثيوبيا في كافة المجالات، وحققت هذه الشركة مكاسب جمة منها، إذ عمدت إلى استعمال المواد الأولية الإسرائيلية في بناء المنشآت الأثيوبية، بدلا من مواد البناء المتوفرة فيها⁽²⁰⁾.

حانت الفرصة الأولى لزيارة غولدا مائير إلى القارة الأفريقية في صيف 1958، والتي تعد أول زيارة رسمية على مستوى رسمي رفيع⁽²¹⁾، فوصلت إلى منروفيا عاصمة ليبيريا، وهي في طريقها إلى غانا لحضور مؤتمر الأمم الأفريقية المقام في مدينة أكرا عاصمة غانا، واستقبلها الرئيس الليبيري (وليام توبمان) (William Tubman) (1944-1970) بحرارة، ولاحظت أثناء زيارتها إلى ليبيريا أن هناك تناقض في المستوى المعاشي للأفارقة، فمنهم من يتمتع بحياة الرفاهية والقصور والبذخ من جهة، مقابل معاناة غالبية الشعب من الفقر والجهل من جهة أخرى، كما لاحظت وجود انقسامات عرقية بين القبائل، فكونت وجهة نظر مفادها منح الحكام الجدد الفرصة لتوحيد البلاد في مرحلة بداية الإستقلال، وبناء البنية التحتية لبلدانهم والعمل على الوصول إلى الحكم الديمقراطي، وربط مشاريع مساعداتها للقادة الأفارقة بشكل شخصي وليس مع دولهم، ومن هؤلاء القادة الرئيس الليبيري (وليام توبمان) والغانى (كوامي نكروما) (Kwame Nkrumah) (1909-1972)، والكونغوي (موبوتو سيس سيكو) (Mobutu SeseSeko) (1930-1997)، والأوغندي (ميلتون أوبوتي) (Mitlon Oboti) (1925-2005)، في مقابل قيام هؤلاء بإغلاق الطريق أمام التحركات السياسية للدول العرية، ولم تقدم غولدا مائير أي التزامات لليبيريا خلال هذه الزيارة⁽²²⁾.

كما زارت في طريقها الى غانا كل من السنغال وساحل العاج ونيجيريا، ورافقها في هذه الزيارة كل من السفير الإسرائيلي في ليبيريا أيهود ابرئيل (Ebrael Aihod) ويعقوب تسور (JacubTsor)⁽²³⁾ السفير الإسرائيلي في فرنسا⁽²⁴⁾.

تبين لغولدا مائير من خلال مشاركتها عام 1958 في مؤتمر الأمم الأفريقية، أن الدول الأفريقية متناقضة في علاقتها مع العرب و(إسرائيل)، وأنها تصوت في قضايا النزاع العربي- الإسرائيلي لصالح العرب في المحافل الدولية وفي أفضل الأحوال فإنها تتخذ موقفا محايداً أو تمتنع عن التصويت، بسبب انتماء هذه الدول الى كتلة دول العالم الثالث، في الوقت الذي تقيم علاقات مع (إسرائيل)، وتتلقى المساعدات منها، وقد بذلت غولدا مائير مساعٍ حثيثة في أثناء هذا المؤتمر لإقناع قادة الدول الأفريقية لإظهار الشجاعة والوقوف الى جانب (إسرائيل) في المحافل الدولية⁽²⁵⁾.

طالبت غولدا مائير في أثناء توقفها بمدينة باريس في طريق عودتها إلى (إسرائيل) بعد انتهاء المؤتمر، المجتمع الدولي ببذل جهود حقيقية لمساعدة الدول الأفريقية للنهوض بواقعها الاجتماعي والاقتصادي⁽²⁶⁾، ووعدت بتقديم مساعدات عينية للدول الأفريقية لمكافحة الفقر والعوز، وفي أثر ذلك اخذت وزارة الخارجية الإسرائيلية تنفيذ ذلك على عاتقها عن طريق إرسال البعثات التدريبية الى هذه الدول لمساعدتها في القطاعات الزراعية والصحية والتعليمية، واستقبال العديد من النساء الأفريقيات للدراسة في (إسرائيل)، مما جعل الفكر الأفريقي إيجابياً تجاه (إسرائيل)⁽²⁷⁾.

أسفر نشاط غولدا مائير السابق عن توقيع اتفاقية اقتصادية (إسرائيلية-ليبيرية) في كانون الثاني 1959 والتي تعد ثالث اتفاقية وقعتها (إسرائيل) بعد الاتفاقيتين مع حكومة هولندا والولايات المتحدة الأمريكية⁽²⁸⁾.

نتيجة النجاحات التي حققتها نشاطات غولدا مائير في القارة الأفريقية في الجانب الاقتصادي شجعها على الاستمرار بسياستها تجاه أفريقيا، فزارتها مرة أخرى في أواخر كانون الأول 1959، وشاركت

في احتفالات الكاميرون بمناسبة استقلالها في الأول من كانون الثاني 1960، كما زارت في طريق عودتها الى (إسرائيل) كل من غانا وليبيريا ثم توجهت الى سيراليون وغامبيا، ثم زارت غينيا والتقت بالرئيس (أحمد سيكوتوري)⁽²⁹⁾، ووصفت زيارتها الى غينيا بغير المجدية كونها لم تجد لغة تفاهم مشتركة بينها وبين رئيسها الذي وصفته بالمتشدد، وعلى الرغم من هذا فان (إسرائيل) قدمت في أعقاب هذه الزيارة مساعدة لغينيا وهي عبارة عن بناء مدرسة ثانوية فنية في العاصمة (كونكاري)⁽³⁰⁾.

أزداد التغلغل الإسرائيلي في القارة الأفريقية في ستينيات من القرن الماضي؛ نتيجة للمتغيرات الدولية والإقليمية المختلفة، وحصول عدد كبير من الدول الأفريقية على استقلالها في أثناء تلك المدة، زيادة على العزلة التي كانت تعاني منها (إسرائيل) على الصعيد الآسيوي⁽³¹⁾، ففي أوائل عام 1960 وعندما كانت الدول الأفريقية تسعى للحصول على الدعم الدولي من منظمة الأمم المتحدة لإدانة التجارب النووية الفرنسية في الصحراء الأفريقية، أوضحت غولدا مائير بأن (إسرائيل) تقف الى جانب الدول الأفريقية وأنها ستصوت لمصلحة هذه الدول، وبذلك نجحت سياستها في تمتين علاقات إسرائيل مع دولها، فافتتحت أكثر من ثلاثين سفارة إسرائيلية في أفريقيا، وأكدت بأنها تفتخر بالبرنامج التعاوني الذي نفذته مع الدول الأفريقية وما قدمته (إسرائيل) من مساعدات فنية لدعمها أكثر من غيرها من دول العالم، وأكدت ان (إسرائيل) لا ترمي من ذلك جني مكاسب مقابل ذلك⁽³²⁾.

استغلت (إسرائيل) الصعوبات التي واجهتها الدول الأفريقية بعد إستقلال أغلبها عن الدول المستعمرة لها في أثناء عام 1960، المتمثلة بالتخلف الاقتصادي والاجتماعي وعدم وجود كوادر مؤهلة لبناء دولهم على وفق الأسس الحديثة، وحاجتها الى إقامة علاقات دبلوماسية مع بقية دول العالم للحصول على مساعدات مالية واقتصادية وعسكرية، فسارعت وزارة الخارجية الإسرائيلية الى الاعتراف بالدول الأفريقية المستقلة حديثاً، وإقامة علاقات دبلوماسية معها، والسعي لعقد اتفاقيات تجارية وتوطيد

العلاقات الثقافية معها، وإيفاد الخبراء لها، وتحويل بعض الأغاني الأفريقية الى اللغة العبرية وبها في مناسبات مختلفة⁽³³⁾.

فأنشأت (إسرائيل) في منتصف عام 1960 شركتين لصيد الأسماك في أثيوبيا، برأسمال مشترك بين البلدين، هدفت منه ظاهريا رفع مستوى الاقتصاد الأثيوبي، أما حقيقة الأمر فهي محاولتها توفير مصدر غذائي للصهاينة في فلسطين نتيجة الحصار الذي فرضته عليها الدول العربية⁽³⁴⁾، وفي السنة نفسها تمكنت الشركات الإسرائيلية من الحصول على نسبة 40% من أسهم الشركة الوطنية الغانية للبناء التي بنت مقر حزب المؤتمر الوطني الحاكم في غانا⁽³⁵⁾.

أما على الصعيد السياسي فقد سارعت (إسرائيل) في 5 آب 1960 بالاعتراف بجمهورية فولتا العليا بعد أن أعلنت استقلالها في اليوم نفسه، وأقامت معها علاقات دبلوماسية على مستوى السفارة، كما أعلنت عن تخصيص 154 زمالة دراسية لطلبتها⁽³⁶⁾.

تعرضت غولدا مائير داخليا لهجوم من قبل وسائل الإعلام الإسرائيلية بسبب اعتمادها في علاقتها مع القادة في البلدان الأفريقية بدلا من تعزيز علاقتها مع حكومات البلدان نفسها، وقد دافعت هي عن هذه السياسة بحجة صعوبة تغيير موقف الدول الأفريقية ويجب الاعتماد على القادة فقط، وأصررت على موقفها اذ أصدرت أوامرها في مطلع عام 1961 إلى سفراء (إسرائيل) في غانا ومالي وأوغندا لإبداء اعتراض (إسرائيل) على مواقف هذه الدول في مؤتمر الدول الأفريقية الذي عقد في الدار البيضاء في العام نفسه، وحضره زعماء الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المغربية وليبيا والجزائر ومالي وغانا وغينيا، الذي أقر وثيقة الدار البيضاء التي أكدت على الحقوق الفلسطينية المشروعة واستنكار المؤتمر الشديد لسياسة (إسرائيل) المستمرة والمناصرة للإستعمار⁽³⁷⁾.

نجحت غولدا مائير في 9 تشرين الأول 1961 بكسب أصوات (11) دولة أفريقية مؤيدة لمقترحها الذي قدمته الى الجمعية العامة للأمم المتحدة، القاضي بإقامة حوار مباشر مع مصر للتفاوض

حول السلام على الرغم من فشلها في تمرير القرار في الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومقابل هذا قدمت (إسرائيل) مشروع قرار لدى الأمم المتحدة يقضي بفرض عقوبات على دولة جنوب أفريقيا لانتهاجها سياسة الفصل العنصري، وأدى ذلك إلى إعلان دولة جنوب أفريقيا قطع العلاقات مع (إسرائيل)⁽³⁸⁾.

أدخلت غولدا مائير تعديلات جوهرية على سياستها الخارجية تجاه أفريقيا في مطلع عام 1962، هدفت إلى تقوية الروابط مع الدول الأفريقية في أعقاب صدور وثيقة الدار البيضاء⁽³⁹⁾، فقد كرست جهداً ووقتاً كبيرين في التنسيق مع هذه الدول وحضرت العديد من احتفالات أعياد الاستقلال لها، فزارت في هذه السنة للمرة الثالثة القارة الأفريقية، وشملت زيارتها أثيوبيا والتقت مع أفراد عائلة الإمبراطور الأثيوبي هيللا سيلاسي (Hila Silasi)⁽⁴⁰⁾، كما زارت في العام نفسه تنزانيا وأوغندا وجمهورية مالاغاسي (مدغشقر)، والتقت بالرئيس المرتقب لكينيا (جومو كنياتا) (Jomo Kenyata)⁽⁴¹⁾ التي كانت لاتزال تحت الاحتلال البريطاني⁽⁴²⁾.

أعطت زيارات غولدا مائير إلى الدول الأفريقية ثمارها في جميع المستويات، وتمكنت من كسر عزلة (إسرائيل) السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد زار زعيم النقابات العمالية الكينية (المستر بومبا) (Mr. Bomba) (إسرائيل) في عام 1962، وأجرى فيها محادثات مع ممثلي منظمة المستدروت من أجل قبوله النقابات العمالية الكينية على غرار منظمة المستدروت⁽⁴³⁾، وعقدت في العام نفسه معاهدة صداقة إسرائيلية-غابونية أصبحت بموجبها الغابون المزود الأول لخشب المعاكس إلى (إسرائيل) والكافور والقهوة والفسق والقطن والخروع والزيوت بأسعار واطقة، وفي المقابل تستورد الغابون من (إسرائيل) السمك ومواد البناء والسلع الكهربائية وإطارات السيارات⁽⁴⁴⁾، كما زار الرئيس الغابوني ليون مبا (Leon Mba) (1902-1967) (إسرائيل) في 6 أيار 1963 للمشاركة في احتفالات قيام (إسرائيل)، ووصل في اليوم التالي رئيس جمهورية أفريقيا الوسطى ديفيد دافو (David Dacko) (1930-2003) إلى القدس ودعا الزعماء العرب إلى تحقيق السلام مع (إسرائيل)، وأعقبه وصول

رئيس جمهورية ساحل العاج هوفيت بوانييه (Houphouet-Boigny) (1905-1993) الى ميناء حيفا حاملا عشرة آلاف شجرة صنوبر، ودعا العرب إلى إجراء مفاوضات مباشرة مع (إسرائيل) لإحلال السلم في المنطقة، كما أرسلت كينيا وتنزانيا وفودا نقابية الى (إسرائيل) للاطلاع عن كثب على تجربة المستدروت، وتوقيع دول مالاي و النيجر وساحل العاج وفولتا العليا ورواندا اتفاقيات تعاون مع (إسرائيل) في العام نفسه⁽⁴⁵⁾.

حفزت النجاحات التي حققتها غولدا مائير على الساحة الأفريقية في المدة الماضية للقيام بجولة رابعة لتلك الدول في عام 1963، فوصلت إلى كينيا بمناسبة استقلالها وانتخاب جومو كنياتا رئيسا لها، وفي إثر هذه الزيارة ترسخت العلاقة بين البلدين وأنشأت علاقات دبلوماسية بينهما، وافتتحت السفارة الإسرائيلية في العاصمة نيروبي، وتمكنت (إسرائيل) من إنشاء قاعدة عريضة من الموالين لها في هذا البلد، ونشطت في مجال الدعم الإنساني ببناء الملاجئ للإيتام بهدف توفير وجه حضاري وإنساني لـ(إسرائيل)، كما وجهت غولدا مائير الحاخامات في هذه المدة للقيام بعمليات التبشير بالديانة اليهودية، ما أدى الى اعتناق الاف الكينيين لها واصبحوا فيما بعد من ذوي النفوذ سياسي القوي وذراعا لـ(إسرائيل) في كينيا، فعملوا على تمتين العلاقات بين البلدين، وساعدوا أصحاب رؤوس الأموال على احتكار مراكز اقتصادية مهمة في الدولة الكينية، وبشكل خاص في مجال التجارة وإدارة المزارع⁽⁴⁶⁾.

وتجدر الإشارة الى انه كانت هناك متغيرات دولية وإقليمية عديدة استثمرتها غولدا مائير لإنجاح سياستها في أفريقيا، أهمها حصول العديد من دولها على استقلالها من الاستعمار وتأسيس منظمة الوحدة الأفريقية⁽⁴⁷⁾.

استكملت غولدا مائير نشاطها في القارة الأفريقية فزارتها في عام 1964 على الرغم من الإرهاق الجسدي الذي كانت تعاني منه، في أثر اصابتها بالسرطان، فقد زارت دولة زامبيا (روديسيا الشمالية) والتقت برئيسها كينيث كاوندا (Kenneth Kauanda) (1924-1991) للمشاركة في

احتفالات الاستقلال واحتفظت لها بمكانة مميزة في قلب الشعوب الأفريقية وقادتها⁽⁴⁸⁾، ثم وصلت الى السنغال فالكونغو ثم نيجيريا⁽⁴⁹⁾.

قدمت غولدا مائير استقالتها في خريف عام 1965، نتيجة تطور الأحداث السياسية الداخلية في (إسرائيل) وما آل إليه الصراع السياسي داخل الحكومة الإسرائيلية بين دافيد بن غوريون وليفي اشكول (Levi Eshkol)⁽⁵⁰⁾، وتولي الأخير لرئاسة الوزراء فأعربت عن عدم رغبتها بالعمل كوزيرة للخارجية في وزارته، زيادة على تقديمها لمسوغاتها الشخصية الأخرى التي تمثلت باكتشاف الأطباء إصابتها بمرض السرطان وضرورة خلودها للراحة لمدة من الزمن⁽⁵¹⁾، وكان عمرها آنذاك 67 عاماً، وحظيت باحترام جميع أعضاء حزب الماباي (Mabai)⁽⁵²⁾ بعد استقالتها، كما انها احتفظت بعضويتها التنفيذية في الحزب، وعضويتها في الكنيست⁽⁵³⁾.

نلاحظ ان المدة التي تولت فيها غولدا مائير وزارة الخارجية الإسرائيلية (1956-1965) ترسخت فيها العلاقات الإسرائيلية -الأفريقية بشكل كبير، وتمكنت من ملء الفراغ السياسي الذي خلفه انسحاب الدول الاستعمارية من أغلب الدول الأفريقية.

وعلى الرغم من الانعكاسات السلبية التي تركتها حرب حزيران 1967 على مواقف الدول الأفريقية، الا ان غولدا مائير استمرت في جهودها التي ابتدأتها في القارة الأفريقية، وتمكنت من إقناع الحكومة الإسرائيلية بتقديم دعم مباشر لمتمردي جنوب السودان الانفصاليين في هذه السنة، فأنشأت لهم معسكرات للتدريب العسكري في أوغندا وأثيوبيا وكينيا فضلاً عن تدريبهم في جنوب السودان بإشراف ضباط وجنود من الوحدات الإسرائيلية الخاصة (المظليين وقوات من اللواء جولاني)، اذ دعت غولدا مائير في عام 1967 رئيس الحركة الانفصالية في جنوب السودان (جوزيف لاقو) (Joseph Laqo) (1931-2017) لزيارة (إسرائيل) والتقت به في القدس، واتفقت معه على تزويد حركته بالأسلحة الحديثة والمتطورة التي شملت قذائف الهاون والصواريخ المضادة للدبابات ومدافع خفيفة من غنائم حرب

1967 وتم نقلها الى جنوب السودان عبر أثيوبيا وساهمت كينيا بتزويد الطائرات التي تنقل الأسلحة بالوقود⁽⁵⁴⁾.

انعكست جهود غولدا مائير في توثيق علاقات (إسرائيل) مع الدول الأفريقية بمساندة هذه الدول لمواقف (إسرائيل) ضد العرب في الأمم المتحدة في أثر العدوان الإسرائيلي في حزيران عام 1967، إذ انها لم تتخذ مواقف حاسمة في تأييد العرب، فقد أيدت 16 دولة أفريقية غير عربية (إسرائيل) من أصل 38 دولة في الأمم المتحدة، بينما أيدت 10 دول فقط الموقف العرب⁽⁵⁵⁾.

عملت غولدا مائير للمدة من عام 1967 لغاية عام 1969 في الحفاظ على علاقات (إسرائيل) مع الدول الأفريقية بعد أن أصابها الفتور نتيجة قيام بعض الدول العربية، وشعورها بالقلق من تقديم ليبيا مساعدات مالية كبيرة للدول الافريقية، ووعدت بتقديم مساعدة لتشاد قيمتها (92) مليون دولار امريكي، وكان النصيب الأكبر من المساعدات الليبية لموريتانيا ونيجيريا⁽⁵⁶⁾.

وفي ضوء تلك التطورات أشارت غولدا مائير على الساسة الاسرائيليين بضرورة عدم ترك الساحة الافريقية، وإدامة العلاقات مع دولها، فزار أعضاء من الكنيست الإسرائيلي دولة جنوب أفريقيا، ودعوا بعض الشخصيات السياسية لزيارة القدس، كما قام عضو الكنيست الإسرائيلي جوزيف اميل (Joseph Amil) برحلة الى العاصمة جوهانسبيرغ في منتصف كانون الأول 1969 مستصحبا معه عدد من الشباب الإسرائيلي، لتنظيم عدد من دورات القيادة الاجتماعية هناك⁽⁵⁷⁾.

يبدو لنا انه منذ تولي غولدا مائير منصب وزير الخارجية في (إسرائيل) في منتصف الخمسينيات ولغاية استقالتها من المنصب عام 1965، انخرطت حملتها السياسية باتجاه دول أفريقيا الجنوبية الفتية، التي حصلت على استقلالها في أثناء هذه المدة، عن طريق إقامة علاقات دبلوماسية وتوثيق علاقاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية معها، ما جعل العلاقات الإسرائيلية - الأفريقية تمر (بالعصر الذهبي)

في أثناءها، واستمرار غولدا مائير بنشاطها السياسي تجاه القارة الأفريقية على الرغم من تقديم استقالتها مستغلة منصبها السياسي في الحزب وعضويتها في الكنيست.

ثالثا. نشاط غولدا مائير السياسي في القارة الأفريقية (1969-1974)

على الرغم من استقالة رئيسة الوزراء من منصب وزير الخارجية عام 1965، إلا أنها احتفظت بمكانتها السياسية على الساحة الإسرائيلية، حتى وفاة رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي إشكول في شباط 1969⁽⁵⁸⁾، وتجدد الصراع بين أعضاء حزب العمل الإسرائيلي على رئاسة الوزراء، الذي كان مؤجلا حتى موعد انتخابات الكنيست الإسرائيلي المرجو عقدها في كانون الأول 1969⁽⁵⁹⁾.

قرر أعضاء حزب العمل اسناد منصب رئيس الوزراء المؤقت الى غولدا مائير، لما لمسوه منها من نجاحات على الساحة السياسية الداخلية والخارجية في أثناء المدة السابقة⁽⁶⁰⁾، واستلمت غولدا في 17 آذار 1969 منصب رئاسة الوزراء بشكل رسمي، وألغت الحكومة الاسرائيلية الرابعة عشر⁽⁶¹⁾، فعملت على ترسيخ التواجد الاسرائيلي في افريقيا عن طريق المدارس اليهودية، وأوفدت وفداً اسرائيلياً في أيار 1969 برئاسة شمعون بيريز (Simeon Peres)⁽⁶²⁾، الى دولة جنوب افريقيا للاطلاع على واقع هذه المدارس والقيام بحملة لجمع التبرعات لها، لضمان استمرار وجودها في القارة الأفريقية⁽⁶³⁾.

استمرت حكومة غولدا مائير بتوثيق علاقاتها مع الدول الأفريقية، ف وقعت اتفاقية للتعاون الزراعي مع أنيوييا في 23 حزيران 1969، تقوم بموجبها الحكومتان الإسرائيلية والأنثيوبية بتأسيس شركة زراعية مشتركة تستثمر مزرعة تبلغ مساحتها عشرون الف دونم جنوب العاصمة الأنثيوبية أديس أبابا بزراعة القطن، على أن تقوم هيئة إسرائيلية من خمسة أشخاص بإدارة هذه المزرعة، ووفرت (إسرائيل) من جانبها الأدوات الزراعية والأسمدة والمبيدات وجميع الاحتياجات الزراعية الأخرى، ما ولد ارتياحا لدى إمبراطور أنيوييا هिला سلاسي الذي أشاد بالدور الذي تؤديه (إسرائيل) في بلاده⁽⁶⁴⁾.

انتهجت حكومة غولدا مائير تجاه أوغندا نفس الأسلوب السياسي الذي انتهجته مع الدول الأفريقية الاخرى، فقد عززت تبادل الزيارات بين المسؤولين الإسرائيليين والأوغنديين، فزار وزير الخارجية الإسرائيلي أبا ايابان (Abba Eban)⁽⁶⁵⁾ العاصمة الأوغندية كامبالا في 27 حزيران 1969، وعملت على تنشيط التعاون الاقتصادي معها، فوقعت شركة (ورد Word) الإسرائيلية اتفاقا مع الحكومة الأوغندية عقدا بقيمة 17 مليون دولار لإنشاء مساكن وشق الطرق، وشجعت حكومة غولدا مائير الشركات الإسرائيلية على عقد صفقات تجارية مع أوغندا لتزويدها بالمنتجات الإسرائيلية المختلفة منها مكيفات الهواء والبرادات، اما على الصعيد الثقافي فقد وقع السفير الإسرائيلي في أوغندا مع وزير الثقافة والتنمية الأوغندي اتفاقية ثقافية لتعزيز السياحة والثقافة والعلوم والرياضة بين البلدين⁽⁶⁶⁾.

أبرمت الشركات الإسرائيلية في 25 تموز 1969 عقداً مع إمبراطور أثيوبيا هيلا سلاسي، لتزويد مزارعه الخاصة بعنابر لحزن الحبوب، وفي مطلع تشرين الثاني 1969 اتفقت أثيوبيا و(إسرائيل) على إنشاء مشروعا زراعيا مشتركا كبيرا في وادي عواش الأثيوبي، تقوم بموجبه (إسرائيل) بتزويد أثيوبيا بالخبرات التكنولوجية الحديثة⁽⁶⁷⁾.

ارسلت غولدا مائير وفدا الى دولة جنوب افريقيا لجمع التبرعات لبناء وترميم المدارس اليهودية في جنوب افريقيا برئاسة النائب العام الإسرائيلي جدعون هاوزنر (Gideon Hausner)، الذي نجح بجمع تبرعات تقدر ب(143) الف دولار، لصيانة المدارس اليهودية⁽⁶⁸⁾.

وفي السياق نفسه كان من الطبيعي أن تسعى غولدا مائير في عام 1969 إلى زيادة التغلغل الإسرائيلي في افريقيا بعد النجاحات التي حققتها، فعملت على التعاون مع كينيا في جميع المجالات مستغلة السخط الذي تبديه الأوساط الكينية على الجمهورية العربية المتحدة واتهامها بتزويد الثوار الكينيين بالسلاح عن طريق الحكومة الصومالية، وإغلاقها قناة السويس الذي اثر سلبا على الاقتصاد الكيني،

فوجهت دعوات رسمية للمسؤولين الكينيين لزيارة (إسرائيل)، إذ دعت وزير التعليم الكيني لزيارة (إسرائيل) وعند عودته من الزيارة ادلى بتصريحات ومؤيدة لـ(إسرائيل) وضد العرب⁽⁶⁹⁾.

سعت غولدا مائير في تشرين الأول عام 1969 الى كسب اليهود التنازيين الذين لم يغادروها أبان حرب عام 1967 بعد تعرضهم للتهديد بالقتل نتيجة مساندتهم اسرايل في الحرب، ووقوفهم ضد سياسة الحكومة التنازية، المساندة للعرب والمنددة بالعدوان الاسرائيلي، فوجهت الشركات الاستثمارية الاسرائيلية لمساعدتهم بزيادة الاستثمار داخل تنزانيا⁽⁷⁰⁾.

لغرض استثمار الموقف الكيني الغاضب تجاه الجمهورية العربية المتحدة، عملت حكومة غولدا مائير على زيادة التعاون التجاري معها، فشاركت 80 شركة إسرائيلية في معرض نيروبي الاقتصادي الدولي في مطلع تشرين الثاني 1969، وتأكيداً على حسن العلاقات بين البلدين زار جومو كينيا رئيس جمهورية كينيا الجناح الاسرائيلي فيه يوم 7 تشرين الثاني 1969⁽⁷¹⁾.

أعيد انتخاب غولدا مائير في 15 كانون الأول 1969 رئيسة للوزراء للمدة (1969-1974) بعد فوز الائتلاف الذي تنتمي اليه في انتخابات الكنيست الإسرائيلي بأغلبية ساحقة⁽⁷²⁾، وعززت في أثناء مدة توليها رئاسة الوزراء علاقة (إسرائيل) مع الدول الأفريقية غير العربية، وتمكنت من التغلغل في جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية فيها، وكان من أهم دوافع هذه السياسة التصدي للنفوذ العربي في تلك البلدان⁽⁷³⁾.

استمرت افتتحت حكومة غولدا مائير بتوثيق علاقاتها مع الدول الافريقية، ففي 8 كانون الثاني 1970 أسست خط جوي دائم بين (إسرائيل) وأثيوبيا⁽⁷⁴⁾، وتمكنت في شباط 1970 من رفع درجة التمثيل الدبلوماسي الزامي في تل أبيب الى مستوى السفارة، على الرغم من أن مواقف زامبيا السياسية في المحافل الدولية كانت الى جانب العرب، وبشكل خاص ما يتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي في الأمم المتحدة⁽⁷⁵⁾.

كما سعت حكومة غولدا مائير الى توثيق علاقتها بغانا، فقام المسؤولون الإسرائيليون بتبادل الزيارات مع المسؤولين الغانيين، وإيلاء الاهتمام بهم فقد حضر وزير خارجية (إسرائيل) أبا إيبان في 15 نيسان 1970 حفل تناول الغذاء بمناسبة انتهاء مهام السفير الغاني في تل أبيب⁽⁷⁶⁾.

عملت حكومة غولدا مائير منذ مطلع عام 1971 على خلق تواجد عسكري إسرائيلي في دول القارة الأفريقية، فقد أوفدت رئيس أركان الجيش الإسرائيلي حاييم بارليف (Haeem Barlive) (1924-1994) بزيارة سرية الى أثيوبيا، قام في إثنائها بإجراء محادثات مع قائد القوات البحرية الأثيوبية، وتفقد مواقع أثيوبية عسكرية عديدة، وأقترح على الحكومة الأثيوبية إقامة شبكة رادارات على الشواطئ الأثيوبية بهدف مراقبة عمليات تهريب الأسلحة من اليمن الى أثيوبيا، وتزويد البحرية الأثيوبية بعدد من الزوارق والصواريخ البحرية الإسرائيلية، على أن يقوم الجنود الإسرائيليون بالعمل عليها، لحين إكمال الجنود الأثيوبيون التدريب على استخدامها⁽⁷⁷⁾.

أوفدت حكومة غولدا مائير رئيس الكنيست الإسرائيلي روبين بركات (Robert Barakat) الى ليبيريا في 4 اب 1971 للاشتراك في مراسيم تشييع الرئيس الليبيري الراحل وليام توبمان، واستغل هذه الزيارة للقاء الرئيس الليبيري الجديد وليام تولبرت (William Tolbert) (1913-1980)، وأكد اثناء حديثهما على ضرورة تحسين العلاقات بين البلدين⁽⁷⁸⁾.

بلغت الصادرات الإسرائيلية الى نيجيريا في اثناء الأشهر الأولى من عام 1971 (2,5) مليون دولار مقابل (3,5) مليون دولار في اثناء عام 1970 بأكمله، وصرح السفير الإسرائيلي بن يعكوب (Bin Yaaqub) في العاصمة النيجيرية لاغوس بأن (إسرائيل) تخطط لزيادة صادراتها الى نيجيريا، كما أشار إلى أن نيجيريا تحتل المركز الأول في الصادرات الإسرائيلية، وانها لاتزال مديونة لـ(إسرائيل) بمبلغ (110) مليون دولار⁽⁷⁹⁾.

وتمكنّت حكومة غولدا مائير في اثناء عام 1972، من تنمية التعاون الاقتصادي مع اثيوبيا، وبلغت قيمة الصادرات الإسرائيلية الى أثيوبيا (4,3) مليون دولار، واستوردت منها ما قيمته (2,9) مليون دولار، وشمل التعاون الاقتصادي بين البلدين المجال الزراعي والصناعي والسياحة⁽⁸⁰⁾.

أصبحت حكومة غولدا مائير بخيبة أمل في مطلع شباط عام 1972، بعد أن زار الرئيس الأوغندي عيدي أمين (1925-2003) ليبيا، وأعلن عن دعمه للعرب في صراعهم مع الصهيونية، وأعترف بحق الشعب الفلسطيني للعودة الى وطنه، وفي أثر ذلك اجتمع السفير الإسرائيلي في العاصمة الأوغندية داوود لاوور (David Laor) مع الرئيس الاوغندي في 18 شباط وطلب منه تفسيراً عن تصريحه الأخير، وبرر الرئيس عيدي أمين ذلك بأنه يسعى لتأمين المصالح الأوغندية فقط وليس تقوية العلاقات مع الجانب العربي⁽⁸¹⁾.

طلب الرئيس الأوغندي عيدي أمين في 23 آذار 1972 من (إسرائيل) سحب بعثتها العسكرية التي تقوم بتدريب العسكريين الاوغنديين من بلاده⁽⁸²⁾، وأعلن في 25 آذار أنه لن يتم شراء الأسلحة من (إسرائيل) وسيتم طرد جميع شركائها من اوغندا، كما صرح وزير الخارجية الأوغندي وانومي ميبوي (Wanomi Miboy) في اليوم نفسه انه تم اطلاق سراح جميع الإسرائيليين الذين اعتقلوا في أوغندا وجرى إبعادهم الى كينيا، وبرر تدهور العلاقات بين البلدين بسبب مهاجمة الصحف الإسرائيلية للرئيس الأوغندي خلال الاشهر الماضية، وقيام رعايا إسرائيليين بالدخول الى المعسكرات الاوغندية دون أي تصريح من حكومته⁽⁸³⁾.

تسلمت السفارة الإسرائيلية في العاصمة الأوغندية كمبالا في 30 آذار 1972 إشعاراً من الحكومة الأوغندية بوجوب إغلاق السفارة في مدة أقصاها عشرة أيام، وأعلن الرئيس الأوغندي عيدي أمين أن أغلاق السفارة الإسرائيلية بسبب الاعمال التخريبية التي يقوم بها الموظفون الإسرائيليين في أوغندا، كما اتهم (إسرائيل) بقيامها ببيع طائرات مستعملة لبلاده، ونفى الادعاءات التي ترجع قطع العلاقات مع

(إسرائيل) بسبب حصولها على مساعدات مالية من ليبيا⁽⁸⁴⁾، وأعرب عن مخاوفه من قيام الإسرائيليين بتخريب بنى المنشآت التحتية التي أنشأتها الشركات الإسرائيلية⁽⁸⁵⁾.

وصرح السفير الإسرائيلي في أوغندا، عند عودته الى تل أبيب في 22 نيسان 1972، أن زيار الرئيس الأوغندي الى ليبيا ومصر كان لها أثر كبير في اتخاذه قرار قطع العلاقات مع إسرائيل، واستبعد أن يطرأ أي تحسن على العلاقات بين البلدين ما دام الرئيس الأوغندي عيدي أمين في الحكم⁽⁸⁶⁾.

عززت حكومة غولدا مائير من علاقتها مع دولة جنوب أفريقيا عام 1972، بسبب وجود جالية يهودية كبيرة فيها، وتوطدت العلاقات بين البلدين أكثر عندما قررت دولة جنوب أفريقيا رفع درجة تمثيلها الدبلوماسي الى درجة قنصلية⁽⁸⁷⁾، وشهد عام 1972 اكبر حملة إسرائيلية لجمع التبرعات للمدارس اليهودية في دولة جنوب أفريقيا، بسبب شحة الأموال فيها لتمويل رواتب المعلمين وتسديد فواتير المدارس فضلا عن الأزمة المالية التي عانت منها الوكالة اليهودية وعدم تمكنها من دعم هذه المدارس، فزارت عضوة الكنيست زينا هارمان (Zena Harman) دولة جنوب أفريقيا في نيسان 1972، واطلقت حملة نسائية لجمع التبرعات، ثم اعقبها رئيس الوكالة اليهودية لويس بينكوس (Louis Pincus) بزيار جوهانسبيرغ في اب 1972، من أجل اقناع المنظمات هناك للتبرع للمدارس اليهودية وتقديم المنح والقروض لها، وأوصى مجلس الوزراء الإسرائيلي بإنشاء صندوق موحد لجمع التبرعات لهذه المدارس، كما اوفدت غولدا عددا من المسؤولين الإسرائيليين الى دولة جنوب أفريقيا لاستئناف حملة جمع الأموال، على الرغم من حدوث سوء تفاهم بين الحكومتين أثر على هذه الحملة وتسبب في وقف تحويل الأموال الى (إسرائيل)⁽⁸⁸⁾.

على الرغم من تحسن العلاقات بين (إسرائيل) ودولة جنوب أفريقيا، الا أن (إسرائيل) وقفت بالضد من سياسة حكومة دولة جنوب أفريقيا العنصرية في المحافل الدولية من أجل تلميع صورتها أمام الدول الأفريقية، وبعد حرب تشرين الأول عام 1973 مع الدول العربية أصبحت (إسرائيل) أكثر عزلة،

وقامت أغلب الدول الأفريقية بقطع علاقاتها معها، ما جعل حكومة غولدا مائير تغير سياستها تجاه دولة جنوب أفريقيا لكسر هذه العزلة، فأخذت تمتنع عن التصويت على قرارات منظمة الأمم المتحدة التي تدين السياسة العنصرية لهذه الدولة⁽⁸⁹⁾.

يبدو لنا أن تعاون (إسرائيل) مع دولة جنوب أفريقيا يهدف الى تطويق الدول الأفريقية المتعاونة مع الدول العربية، كما أن دولة جنوب أفريقيا هدفت الى كسر العزلة التي فرضت عليها من جانب المجتمع الدولي لانتهاجها سياسة التمييز العنصري.

انتخبت غولدا مائير مرة أخرى لشغل المنصب نفسه للمدة (1974-1977) بعد تشكيل حكومة إسرائيلية ائتلافية في 7 آذار 1974 من الأحزاب الحاكمة فيها⁽⁹⁰⁾، إلا أنها اضطرت الى تقديم استقالتها من المنصب في 10 نيسان 1974 في اثر اضطراب الساحة السياسية الإسرائيلية⁽⁹¹⁾.

الخاتمة

توصل البحث الى النتائج الآتية:

1. أن غولدا مائير تعد من أبرز الشخصيات السياسية في الحركة الصهيونية التي أدت دوراً فعالاً ومهماً في تحقيق الأهداف والمصالح الإسرائيلية في القارة الأفريقية، وعدت مهندسة السياسة الإسرائيلية في هذه القارة.
2. استعملت غولدا مائير بعد توليها منصب وزير خارجية عام 1956، طرقاً وأساليباً سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية، لتحقيق نجاح سياستها في أفريقيا، تختلف عن الطرق والأساليب التي استعملتها (إسرائيل) في المدة التي سبقت توليها هذا المنصب، ومنصب رئيس الوزراء، التي كانت معتمدة على تأمين النطاق الاسرائيلي الأمني فقط.
3. اعتمدت غولدا مائير في تنفيذ سياستها في أفريقيا على كسب الشخصيات المؤثرة والفاعلة في الساحة السياسية الأفريقية، بدلا من الاعتماد على العلاقات السياسية مع الدول الأفريقية.

4. على الرغم من فشلها في تنفيذ سياستها في بعض البلدان الأفريقية، لكنها حققت نجاحاً كبيراً في بلدان أفريقية أخرى، وتمكنت من توثيق العلاقات السياسية والاقتصادية، بافتتاحها عدداً من السفارات الإسرائيلية فيها، وجعل الشركات الإسرائيلية ذات نفوذ اقتصادي في هذه البلدان.
5. نجحت غولدا مائير في إنشاء عدد من القواعد العسكرية الإسرائيلية في بعض الدول الأفريقية، لتكون مصدر ضغط على الحكومات العربية والأفريقية المناوئة للسياسة الإسرائيلية.

الهوامش

- (1) غولدا مائير: (1978-1989) ولدت في كييف وهاجرت مع أسرتها الى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1906 ثم الى إسرائيل عام 1921، عينت عام 1946 مسؤول الجناح السياسي في الوكالة اليهودية، واصبحت أول سفير إسرائيلي في الاتحاد السوفيتي عام 1948، تولت منصب وزير للخارجية الإسرائيلية (1956-) ورئيسة وزراء للمدة (1974-1969). للمزيد من التفاصيل ينظر: يغال عيلام، **الف يهودي في التاريخ الحديث**، ترجمة عدنان أبو عامر، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، 2006، ص135.
- (2) حمدي عبد الرحمن، الاختراق الاسرائيلي لافريقيا، دار الكتب القطرية، قطر، 2015، ص15-17.
- (3) Naomi Chazan, **Challenges For A New Era”, in The African Institute of the American Jewish Committee, Israel And Africa Assessing The Past Envisioning The Future**, African Institute of the American Jewish Committee, HarlodHrtog School, Tel Aviv University, May 2006, p 9.
- (4) عبد الناصر سرور، **السياسة الاسرائيلية تجاه افريقيا (جنوب الصحراء) بعد الحرب الباردة**، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد5، العدد2، 2010، ص157.
- (5) اريّة عوديد، **إسرائيل وأفريقيا-العلاقات الإسرائيلية-الأفريقية**، ترجمة: عمرو زكريا خليل، المؤسسة المصرية للتسويق والتوزيع (امدكو)، القاهرة، 2014، ص23.
- (6) عبد الناصر سرور، المصدر السابق، ص157.
- (7) المستدروت: الاتحاد العام للعمال العبريين في ارض (إسرائيل)، أنشئ عام 1920 ويمثل العمود الفقري للاقتصاد العمالي الصهيوني، اسهم في توطين المهاجرين الصهاينة ويعد اتحاد عمالي يقوم ببناء وطن جديد ودولة جديدة لليهود ومؤسسة صهيونية استيطانية بالدرجة الأولى وللطلاغ أكثر على مهام وعمل وتنظيمات المستدروت. عبد

- الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، 1999، مج 7، ص 182-183؛ عادل حامد الجادر، **الهستدروت**، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج 3، العدد الأول، كانون الثاني 1974، ص 35-85.
- (8) أول خطوة تجاه توسيع (إسرائيل) علاقاتها الرسمية بدول القارة الأفريقية جاءت في أثر افتتاحها القنصلية الإسرائيلية في العاصمة الغانية أوكرا عشية إعلان استقلالها في عام 1956. للمزيد من التفاصيل ينظر: Naomi Chazan op. cit., p. 4.
- (9) ضم وفد حزب الأمة السوداني كل من الصديق المهدي، الابن الأكبر للمهدي، ومحمد أحمد عمر نائب الأمين العام لحزب الأمة. براهيم يوسف حمادة، الدور الاسرائيلي في انفصال جنوب السودان وتداعياته على الصراع العربي-الاسرائيلي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا- جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، نابلس، 2014، ص 67.
- (10) دافيد بن غوريون: (1886-1973) ولد في بولندا وهو زعيم صهيوني عمالي وسياسي إسرائيلي، انضم إلى جماعة عمال صهيون عام 1904، وهاجر إلى فلسطين عام 1906، أسهم في عام 1930 بإنشاء حزب الماباي، كما انتخب عضواً في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية 1937، وقام بنفسه بإعلان قيام (إسرائيل) عام 1948، وتولى رئاسة الوزارة مرات عديدة كان آخرها عام 1963. ينظر: عبد الوهاب محمد المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، مج 7، المصدر السابق، ص 147-148.
- (11) موشيه شاريت: (1894-1965) سياسي صهيوني من أصول روسية، هاجر مع عائلته إلى فلسطين في عام 1906، درس في الاستانة ولندن ثم عاد إلى فلسطين في العام 1925، وبعد قيام دولة (إسرائيل) أصبح وزيراً للخارجية ثم رئيساً للوزراء (1953-1955)، قدم استقالته من وزارة الخارجية في العام 1956، لكنه ظل يؤدي دوراً فاعلاً في الحياة السياسية حتى وفاته في 7 تموز 1965: مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، الموسوعة التاريخية الجغرافية، دار رواد النهضة، بيروت، 1994، ج 1، ص 392؛ يغال عيلام، المصدر السابق، ص 214.
- (12) غولدا مائير، غولدا مائير (يوميات قادة العدو) الحقد، ترجمة: منير بهجت حيدر وسمية أبو الهيجا، دار المسيرة للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص 218.
- (13) Yaacov Bar- Siman- Tov, Ben- Gurion and Sharett: conflict management and great power constraints in Israeli Foreign Policy, Middle Eastern Studies, Vol 24, 1988 - Issue 3, p.351.

-
- (14) Robert Slater, Robert Slater, **Golda the Uncrowned Queen of Israel A pictorial Biography**, San Mateo Public Library, America, 1981, pp.126-131.
- (15) Ibid. p.137.
- (16) بدأ اهتمام جولدا بالقارة السوداء من خلال اطلاعها على كتابات (ثيودور هرتزل)، مؤسس الحركة الصهيونية الذي أشار في كتاباته الى ضرورة مساعدة المظلومين في أفريقيا. للمزيد من التفاصيل ينظر:
- Meron Medzini, Golda Meir A Political Biography, Yediot Aharonot: Sifrei Hemed, Tel-Aviv, 2008, pp.291-312 .
- (17) Ibid., p.313-314.
- (18) Marie Syrkin, Golda Meir Israel's Leader, G.P. Putman's Sons, New York, 1969, p.316.
- (19) سوليل بونيه: مؤسسة يهودية تابعة للهستدروت تعمل على تدريب الموظفين من المهاجرين اليهود الجدد وتوفير المساكن لهم. ينظر: غولدا مائير، اعترافات غولدا مائير بين الطموح الشخصي.. والطموح الدولي، اعداد: محمد ثابت، مراجعة: عبد العزيز السباعي، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ص84.
- (20) سليمان أبو زيد، أفريقيا بين مخالب إسرائيل، منشورات جريدة الدنيا الجديدة، بيروت، 1964، ص15-16.
- (21) عامر خليل احمد عامر، السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه أفريقيا: السودان أنموذجاً، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2011، ص47.
- (22) Meron Medzini, op. cit., p.316-317.
- (23) يعقوب تسور: ولد عام 1937 سياسي إسرائيلي أصبح عضواً في الكنيست الإسرائيلي العاشر والثاني عشر، ينتمي الحزب العمل الإسرائيلي. ينظر:
- https://knesset.gov.il/mk/arb/mk.asp?mk_individual_id_t=587
- (24) اريّة عوديد، المصدر السابق، ص31.
- (25) Meron Medzini, op. cit., p.316.
- (26) عامر خليل احمد عامر، المصدر السابق، ص47.
- (27) هبة محمد البشبيشي، أفريقيا في الفكر السياسي الصهيوني منذ عام 1948، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2018، ص35.
- (28) عامر خليل احمد عامر، المصدر السابق، ص47.
- (29) احمد سيكوتوري: (1922-1984) ولد في قرية فارانا في مناطق المالينكا، التحق بالدرسة الصناعية الفرنسية، بعد تخرجه من الثانوية عمل موظف في شركة فرنسية، انضم الى الحزب الديمقراطي الغيني عام 1948، وأصبح

- الأمين العام لنقابة العمال الاتحاد الفيدرالي الأفريقي عام 1956، ناضل من أجل استقلال غينيا من الاستعمار، أصبح رئيس الوزراء عام 1957. للمزيد من التفاصيل ينظر: زوليخة فارس وسكينة عالم، **الاستعمار الفرنسي في غينيا ودور احمد سيكوتوري في حركة التحرر (1900-1960)**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الجليلي بو نعامة بخميس مليانة، 2017، ص 78 وما بعدها.
- (30) اريه عيديد، المصدر السابق، ص 33.
- (31) ديمتري ك. بونومايوف، **سياسة إسرائيل في أفريقيا الاستوائية، التوسع الصهيوني بين 1958-1973**، ترجمة، عماد الدين حاتم، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، 1984، ص 130.
- (32) Benyamin Neuberger, **Israel's Relations with the Third World (1948-2008)**, research paper No.5, Tel Aviv university, October 2009, p.12.
- (33) يوسف روكز، **أفريقيا السوداء سياسة وحضارة**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1986، ص 89.
- (34) سليمان أبو زيد، المصدر السابق، ص 16-17.
- (35) المصدر نفسه، ص 27.
- (36) Foreign Relations of the United State, 1969-1976, , Vol-6, Doc. No. 2, Document on Africa 1973-1976, Washington, January 26, 1973, p.6. (Hereafter will be cited as: F.R.U.S.)
- (37) حمدي عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 36؛
- Marie Syrkin, op. cit. p.317.
- (38) Ibid., p.318.
- (39) حمدي عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 40؛
- Marie Syrkin, op. cit., p.317.
- (40) هيلاسيلاسي: (1892-1976) إمبراطور إثيوبيا حكم لأكثر من 40 سنة، أدى دورا مهما في تحريرها من الاستعمار الإيطالي، وعمل من أجل الوحدة الأفريقية، أصبح حاكما لإقليم سلالة في سن الرابعة عشر، ثم توج عام 1928 ملكاً على شوا، وبعدها أصبح إمبراطوراً على إثيوبيا سنة 1930. مسعود الخوند، المصدر السابق، ص 114.
- (41) جوموكيناتا: ولد عام 1890 في مقاطعة الكيكوبو، درس في كنيسة اسكتلندا التبشيرية وتعلم مهنة النجارة، أسس صحيفة المصلح عام 1928، أكمل دراسته الجامعية في بريطانيا، وحصل على شهادة في علم الاجناس

عام 1931، سافر الى الخارج لمدة 15 سنة ثم عاد اليها في عام 1946، وانتخب في عام 1947 رئيسا لرابطة الكيكيويو، اشترك مع الفلاحين في ثورتهم واصبح مطلوبا من سلطات الاستعمار عام 1952 فتم اعتقاله واطلق سراحه عام 1953. للمزيد من التفاصيل ينظر: عز الدين عبد الكريم، جوموكيناتا ودوره في حركة التحرر الكينية (1947-1963)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية-جامعة جيلالي بو نعامة بخميس مليانة، 2018، ص24 وما بعدها.

(42) اريه عديد، المصدر السابق، ص33.

(43) سليمان أبو زيد، المصدر السابق، ص19.

(44) المصدر نفسه، ص29.

(45) عامر خليل احمد عامر، المصدر السابق، ص49.

(46) نائل عيسى جودة، السياسة الخارجية الاسرائيلية تجاه منطقة القرن الافريقي واثرها على الامن القومي العربي 1991-2011، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية - جامعة الازهر، غزة، 2013، ص37.

(47) أياذ عبد الكريم مجيد، السياسة الإسرائيلية في أفريقيا-اثيوبيا إنموذجا-، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 10، كانون الأول 2010، ص58.

(48) Marie Syrkin, op. cit., p.319.

(49) اريه عديد، المصدر السابق، ص34.

(50) ليفي اشكول: (1895 - 1969) ولد في روسيا، وهاجر لفلسطين عام 1914، وعين عام 1949 عضوا في الوكالة اليهودية ورئيس قسم الاستيطان الزراعي التابع لها، وتمكن من تأسيس 371 مستوطنة، وحين بدأت أفواج الهجرة اليهودي تأتي الى فلسطين عقب (إسرائيل) عمل مديراً عاماً لوزارة الدفاع بين عامي 1950-1951، ثم عين وزيراً للزراعة والتطوير، ثم وزيراً للمالية، وبقي في منصبه هذا حتى تم انتخابه رئيساً للحكومة عام 1963، ولدورتين متتاليتين حتى وفاته عام 1969: مسعود الخوند، المصدر السابق، ص386. يغال عيلام، المصدر السابق، ص28-29.

(51) Robert Slater, Op. Cit., p.155.

(52) حزب الماباي: أكبر الأحزاب الإسرائيلية، تأسس في عام 1930 بتوحيد حزبي هابوعيل هاتسعير وحادوت هاعفودا، بهدف إقامة حزب صهيوني اشتراكي، وترأس المشهد السياسي في (إسرائيل) منذ قيامها عام 1948 حتى عام 1977. للمزيد من التفاصيل ينظر: جاسم محمد شغيت، حزب عمال ارض اسرائيل (الماباي) 1930-1968 دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة البصرة،

-
- 2017، ص54-55؛ رشاد عبدالله الشامي، صراع القوى والانتخابات الإسرائيلية القادمة، مجلة السياسة الدولية، العدد16، السنة الخامسة، ابريل (نيسان) 1969، ص29.
- (53) Robert Slater, Op. Cit., p.157.
- (54) ابراهيم يوسف حمادة، المصدر السابق، ص71.
- (55) عامر خليل احمد، المصدر السابق، ص31.
- (56) FROUS., 1969-1976, , Vol-6, Doc. No. 2, Document on Africa 1973-1976, Washington, January 26, 1973, p.8.
- (57) American Jewish Year Book 1969, Editor: Morris Fine, Vol.70, New York, 1970, p.455.
- (58) **Jean F. Blashfield, Golda Meir Leading Women, Marshall Cavendish, 2011, p.90.**
- (59) رشاد عبد الله الشامي، المصدر السابق، ص37.
- (60) **Peggy Mann, The Life Israel's Prime Minister, Mitchell, London, 1972, p.229.**
- (61) Robert Slater, Op. Cit., pp.183.
- (62) شمعون بيريز (1923-2016): سياسي إسرائيلي، ولد في بولندا، وهاجر الى فلسطين عام 1934، انضم لمنظمة الهاجانا عام 1949، وشغل منصب وزير الدفاع (1974-1977)، ووزير الخارجية (1987-1988) و(1992-1995)، ثم شغل منصب رئيس وزراء إسرائيل (1984-1986) و(1995-1996). للمزيد من التفاصيل ينظر، يغال الون، المصدر السابق، ص181.
- (63) American Jewish Year Book 1969, Editor: Morris Fine, Vol.70, New York, 1970, p.454.
- (64) شحادة موسى، علاقات اسرائيل مع دول العالم 1967-1970، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ابو ظبي، 1971، ص234-235.
- (65) أبا ايان (1915-2002): دبلوماسي وسياسي يهودي ولد في مدينة كيتانوف في جنوب افريقيا، نشأ وتلقى تعليمه في بريطانيا، خدم في جهاز المخابرات البريطاني برتبة ملازم اول خلال الحرب العالمية الأولى، وعمل ما بين عامي 1938-1940 محاضرا في جامعة كامبردج، وانضم عام 1946 للدائرة السياسية في الوكالة اليهودية، وعين عام 1948 سفيرا لـ(إسرائيل) لدى الأمم المتحدة، وعين ما بين عامي 1950-1959 سفيرا في واشنطن، وفي عام 1949 انتخب عضوا في الكنيست عن حزب الماباي، وشغل ما بين عامي 1960-

-
- 1963منصب وزيراً للتربية والتعليم، ثم نائباً لرئيس الحكومة، وفي عام 1966 عين وزيراً للخارجية حتى عام 1974: يغال عيلا م: المصدر السابق، ص 6-7.
- (66) شحادة موسى، المصدر السابق، ص 441.
- (67) المصدر نفسه، ص 234-235.
- (68) American Jewish Year Book 1969, Editor: Morris Fine, Vol.70, New York, 1970, p.454.
- (69) شحادة موسى، المصدر السابق، ص 440.
- (70) المصدر نفسه، ص 444.
- (71) المصدر نفسه، ص 440.
- (72) The Jerusalem Post, December 10, 1969.
- (73) جاء اهتمام غولدا مائير بهذه البلدان لوجود جالية يهودية تقدر بـ (120) ألف فرد.
- American Jewish Year Book 1970, Editor: Morris Fine, Vol.71, New York, 1970, p.5010-512.
- (74) شحادة موسى، المصدر السابق، ص 234-235.
- (75) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1970، بيروت، 1974، ص 746.
- (76) المصدر نفسه، ص 747.
- (77) الإدارة العامة للإعلام الأفريقي، تطور السياسة الإسرائيلية تجاه أفريقيا، مجلة آفاق أفريقية، العدد 10، المجلد 36، 2012.
- (78) صحيفة الانباء الاسرائيلية، 5 اب 1971، العدد 854.
- (79) صحيفة الأنباء الإسرائيلية، 16 آب 1971، العدد 863.
- (80) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1972، بيروت، 1976، ص 423.
- (81) المصدر نفسه، ص 424.
- (82) صحيفة الانباء الاسرائيلية، 24 آذار 1972، العدد 1048.
- (83) صحيفة الأنباء الإسرائيلية، 26 آذار 1972، العدد 1049.
- (84) صحيفة الأنباء الإسرائيلية، 31 آذار 1972، العدد 1053.
- (85) صحيفة الرأي الأردنية، 31 آذار 1972، العدد 237.
- (86) صحيفة الأنباء الإسرائيلية، 23 نيسان 1972، 1070.
- (87) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1972، بيروت، 1976، ص 423.

(88) American Jewish Year Book 1972, Editor: Morris Fine, Vol.73, New York, 1973, p.484.

(89) United Nation, General Security, Assemble Council, Relation between Israel and South Africa Report of the Special Committee against Apartheid, September 13, 1976, p.9.

(90) نسرين محمود حمزة، انتخابات الكنيست الإسرائيلية وبرنامج حزب العمل الحاكم، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج3، العدد الأول، كانون الثاني 1974، ص57.

(91) جابهت غولدا مائير عند محاولتها تشكيل وزارتها الجديدة قضيتين الأولى على المستوى الحزبي المتمثلة بظهور فصيل معارض لها داخل حزب العمل، الذي أصبح أقوى من الفصيل المؤيد لها، وبالتالي أدركت بأنه لا يمكن أن يكتب لحكومتها القادمة النجاح، أما القضية الأخرى فكانت على المستوى الحكومي حول تولي موشي ديان منصب وزير الدفاع في حكومتها، فكان توليه لهذا المنصب يعني تمرد حزب أحذوت هاعفودا ومن ثم الانسحاب من الحكومة، أما إذا ما أجبر موشي ديان على الانسحاب من المنصب فإن ذلك يعني انسحاب أعضاء حزب رافي من الحكومة، وستكون حكومتها ضعيفة. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Robert Slater, Op. Cit., p.260; Meron Medzini, Op. Cit., p.636 ; Francine Klagsbrun, Francine Klagsbrun, **Lioness: Golda Meir and the Nation of Israel Hardcover**, Schocke, Tel-Aviv, 2017, p.321.

المصادر:

المصادر الأجنبية:

- American Jewish Year Book 1969, Editor: Morris Fine, Vol.70,71,73.
- Benyamin Neuberger, **Israel's Relations with the Third World (1948-2008)**, research paper No.5, Tel Aviv University, October 2009.
- Francine Klagsbrun, **Lioness: Golda Meir and the Nation of Israel Hardcover**, Schocke, Tel-Aviv, 2017.
- **Jean F. Blashfield**, Golda Meir Leading Women, Marshall Cavendish, 2011.
- Marie Syrkin, **Golda Meir Israel's Leader**, G.P. Putman's Sons, New York, 1969.
- Meron Medzini, Golda Meir A Political Biography, **Yediot Aharonot: Sifrei Hemed**, Tel-Aviv, 2008.
- Naomi Chazan, **Challenges For A New Era**”, in The African Institute of the American Jewish Committee, Israel And Africa Assessing The

Past Envisioning The Future, African Institute of the American

Jewish Committee, Harlod Hrtog School, Tel Aviv University, May 2006.

- Peggy Mann, **The Life Israel's Prime Minister**, Mitchell, London, 1972.
- Robert Slater, Robert Slater, **Golda the Uncrowned Queen of Israel A pictorial Biography**, San Mateo Public Library, America, 1981.
- Yaacov Bar- Siman- Tov, **Ben- Gurion and Sharett: conflict management and great power constraints in Israeli Foreign Policy**, Middle Eastern Studies, Vol 24, 1988 - Issue 3.

الوثائق الأجنبية

- Foreign Relations of the United State, 1969-1976, Vol-6.
- United Nation, General Security, Assemble Council, Relation between Israel and South Africa Report of the Special Committee against Apartheid, September 13, 1976.

المصادر العربية

- إبراهيم يوسف حمادة، الدور الاسرائيلي في انفصال جنوب السودان وتداعياته على الصراع العربي-الاسرائيلي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا-جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، نابلس .
- الإدارة العامة للإعلام الأفريقي، تطور السياسة الإسرائيلية تجاه أفريقيا، مجلة آفاق أفريقية، العدد 10، المجلد 36، 2012.
- اريه عوديد، إسرائيل وأفريقيا-العلاقات الإسرائيلية -الأفريقية، ترجمة: عمرو زكريا خليل، المؤسسة المصرية للتسويق والتوزيع (امدكو)، القاهرة، 2014.
- أياد عبد الكريم مجيد، السياسة الإسرائيلية في أفريقيا-اثيوبيا إنموذجاً-، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 10، كانون الأول 2010.
- غولد مائير، اعترافات غولد مائير بين الطموح الشخصي.. والطموح الدولي، اعداد: محمد ثابت، مراجعة: عبد العزيز السباعي، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014.
- جاسم محمد شغيت، حزب عمال ارض اسرائيل (الماباي) 1930-1968 دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة البصرة، 2017.
- حمدي عبد الرحمن، الاختراق الاسرائيلي لافريقيا، دار الكتب القطرية، قطر، 2015.
- ديمتري ك. بونومايوف، سياسة إسرائيل في أفريقيا الاستوائية، التوسع الصهيوني بين 1958-1973، ترجمة، عماد الدين حاتم، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، 1984.

- رشاد عبدالله الشامي، صراع القوى والانتخابات الإسرائيلية القادمة، مجلة السياسة الدولية، العدد 16، السنة الخامسة، ابريل (نيسان) 1969.
- زولبخة فارس وسكينة عالم، الاستعمار الفرنسي في غينيا ودور احمد سيكوتوري في حركة التحرر (1900-1960)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الجليلي بو نعامة بخميس مليانة، 2017.
- سليمان أبو زيد، أفريقيا بين مخالب إسرائيل، منشورات جريدة الدنيا الجديدة، بيروت، 1964.
- شحادة موسى، علاقات اسرائيل مع دول العالم 1967-1970، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ابو ظبي، 1971.
- عادل حامد الجادر، الهستدروت، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج 3، العدد الأول، كانون الثاني 1975.
- عامر خليل احمد عامر، السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه أفريقيا: السودان أنموذجاً، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2011.
- عبد الناصر سرور، السياسة الاسرائيلية تجاه افريقيا (جنوب الصحراء) بعد الحرب الباردة، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد 5، العدد 2، 2010.
- عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 7، دار الشروق، القاهرة، 1999.
- عز الدين عبد الكريم، جوموكيتانا ودوره في حركة التحرر الكينية (1947-1963)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة جليلي بو نعامة بخميس مليانة، 2018.
- غولدا مائير، غولدا مائير (يوميات قادة العدو) الحقد، ترجمة: منير بهجت حيدر وسمية أبو الهيجا، دار المسيرة للطباعة والنشر، بيروت، 1979.
- مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج 1-ج 2، دار رواد النهضة، بيروت، 1994.
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1970، بيروت، 1974.
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1972، بيروت، 1976.
- نائل عيسى جودة، السياسة الخارجية الاسرائيلية تجاه منطقة القرن الافريقي واثرها على الامن القومي العربي 1991-2011، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية - جامعة الازهر، غزة، 2013.
- نسرين محمود حمزة، انتخابات الكنيست الإسرائيلية وبرنامج حزب العمل الحاكم، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج 3، العدد الأول، كانون الثاني 1974.

-
- هبة محمد البشبيشي، أفريقيا في الفكر السياسي الصهيوني منذ عام 1948، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2018.
 - يغال عيلا، ألف يهودي في التاريخ الحديث، ترجمة عدنان أبو عامر، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، 2006.
 - يوسف روكز، أفريقيا السوداء سياسة وحضارة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1986.
- الصحف
- The Jerusalem Post, December 10, 1969.
 - صحيفة الأنباء الإسرائيلية.
 - صحيفة الرأي الأردنية.

الانترنت

- https://knesset.gov.il/mk/arb/mk.asp?mk_individual_id_t=587

لوكيوس أبوليوس أشهر مفكري العالم القديم

يفصح نادية /أستاذة محاضرة أ

جامعة الجزائر "2" أبو القاسم سعد الله – الجزائر

yefsahn53@gmail.com

الملخص باللغة العربية:

يتطرق هذا البحث الى دراسة شخصية بارزة في تاريخ شمال افريقيا القديم، ألا وهو المفكر الافريقي الجزائري المعروف باسم "لوكيوس أبوليوس"، والذي يعتبر من أشهر مفكري العالم القديم. كان أبوليوس كاتباً مرموقاً في عصره بين أدباء الثقافة العالمية، فقد نافس اللاتينيين والإغريق، وخلف مؤلفات عديدة في مجالات مختلفة كالفلسفة والتاريخ والموسيقى والشعر والحساب وعلم الفلك وعلوم أخرى، ومن أشهر مؤلفات أبوليوس، كتابه الذي يحمل عنوان التحولات (الحمار الذهبي)، الذي تميز فيه بروعة الوصف وبراعة الأسلوب والفكاهة والتشويق والإثارة، مما جعل منه أول مؤلف مشهور في التاريخ القديم، تناول فيه أبوليوس موضوع المسوخ (تحول الانسان الى حيوان).

أثرت رواية الحمار الذهبي في الرواية الغربية الحديثة بشكل كبير، وبدأ الاهتمام بها في الأدب الإنجليزي منذ مطلع القرن السابع عشر، واقتبس منها أدباء ومسرحيين كثيرين من الانجليز والفرنسيين والإسبان والإيطاليين وغيرهم، مواضيع أعمالهم، كما تأثر بها أدباء من الوطن العربي. لكنهم لم ينسبوا الى صاحبها، بل اعتبروها مجرد أسطورة يونانية أو رومانية. الكلمات المفتاحية: لوكيوس أبوليوس، المفكرين ، الجزائر القديمة، الأدب، الرواية.

Lucius Apuleius, the most famous thinker of the ancient World

Dr. Yefsah Nadia

University of Algiers 2 Aboulkacem Saad Alah

yefsahn53@gmail.com

Abstract:

This present research focuses on the study of a prominent figure in the ancient history of North Africa, namely the African Algerian thinker known under the name of "Lucius Apulius", considered one of the most famous and prominent thinkers of the ancient world. Apuleius was a distinguished writer of his time and amongst writers of the world culture, he competed with the Latinos and the Greeks and left many works in different fields such as philosophy, history, music, poetry, arithmetic, astronomy and other sciences. Among the most famous writings of Apuleius and one that distinguishes him was his book entitled Metamorphoses

(The Golden Donkey). It contains the splendour of description, ingenuity of style, humour, suspense, and excitement, which made it the first famous book in ancient history in which he dealt with the subject of mutants (the transformation of man into animal).

The Golden Donkey greatly influenced modern Western novel, and its interest began in English literature from the early 17th century; many writers and dramatists from the English, French, Spanish, Italians and others borrowed from it, the subjects of their work, as well as the influence of writers from the Arab world. However, they did not attribute it to its owner, but rather considered it as Greek or Roman myth.

Keywords: Lucius Apuleius, thinkers, ancient Algeria, literature, novel.

المقدمة:

تعد دراسة المفكرين القدامى، الأفارقة بشكل عام والجزائريين بشكل خاص، من المواضيع المهمة التي نسعى للكتابة والبحث فيها، لأنها تمثل جزء من التاريخ الثقافي والفكري للمنطقة، وتعرفنا بمساهمات هؤلاء في إثراء الانتاج العلمي والتاريخي والفلسفي المحلي والعالمي قديما أو حديثا.

ومما يلفت الانتباه أن مفكرا وعالما مثل لوكيوس أبوليوس لم يحض بالاهتمام الوافي الذي يليق بهذه الشخصية، رغم بروزه ضمن أدباء الثقافة العالمية القديمة، كما أن أغلبية العلماء والباحثين الذين تطرقوا إليه اتهموه بالتقليد والنقل على غيره من المفكرين الاغريق واللاتنيين المعاصرين له، متجاهلين في ذلك دوره واسهاماته في الأدب المحلي والعالمي القديم.

وعليه فان الاشكالية الرئيسية تنطلق من شخصية لوكيوس أبوليوس للتعريف بها، وكذا الوقوف عند أشهر مؤلفاته، ولاسيما روايته الموسومة "التحولات" التي تناول فيها موضوع المسوخ، واكتشاف جمال هذه الرواية الفني والأدبي ومدى تأثيرها على الأدب الغربي والعربي، و محاولة رد الاعتبار لدور هذا المفكر في التأليف والابداع.

ولقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التاريخي، الذي يمزج بين الوصف من خلال رصد وتتبع الأحداث التاريخية، استنادا الى المعلومات التي نقلتها الينا المصادر الكتابة والمراجع المختلفة، والمنهج التحليلي قصد الوصول الى دور أبوليوس في إثراء المكتبة التاريخية، وتأثير مؤلفاته في الأدب العالمي،

والبحث عن الأسباب التي دفعت ببعض المؤرخين الى ادراج أبوليوس ضمن المفكرين اللاتنيين المتأثرين بالاغريق.

1 - نشأة أبوليوس:

ولد لوكيوس أبوليوس أو أفولاي اسمه المحلي في النصف الأول من القرن الثاني، حوالي 125م في مدينة مادور، التي تعرف اليوم باسم مداوروش في ولاية سوق أهراس بالجزائر، وتوفي في حوالي 180م، ينحدر أبوليوس من أسرة غنية، فقد كان والده من أعيان المدينة التي شغل فيها عدة مناصب سياسية كمنصب نائب رئيس البلدية، تزود أبوليوس منذ صغره بالعلم والمعرفة، فكانت البداية في مدرسة مسقط رأسه، ثم أرسل بعد ذلك الى مدرسة عامة في مدينة قرطاجة، وتفوق في دراسته بشكل لافت للنظر، بعدها انتقل الى أثينا أين تابع دروسا في الهندسة والخطابة والموسيقى والشعر، ولكن كان للفلسفة الأفلاطونية مكانة خاصة في نفسه¹.

وفي طريق عودته أبوليوس من الشرق (الاسكندرية) الى بلده، اشتد عليه المرض، فتوقف في طرابلس، حيث نزل ضيفا عند احدى أصدقائه الذي عرض عليه فيما بعد الزواج من والدته المدعوة "إميليا بودنتيلا" (Emilia Pudentilla)، وقد كانت أرملة ثرية وأم لولدين، لكن أبوليوس تردد في بداية الأمر، ثم قرر الزواج منها مع أنها لم تكن جميلة وتكره حوالي عشر سنوات، عارضت أسرة زوج بودنتيلا السابق وابنها الثاني المدعو إميليانوس هذا الزواج وثاروا عليه بشدة، واتهموه باللجوء الى السحر والشعوذة لإيقاع المرأة في حبه².

قدم أبوليوس للمحاكمة في مدينة صبراتة التي كانت حينذاك مقر محكمة الحاكم الروماني، وهناك دافع عن نفسه دفاعا رائعا استعمل فيه عبارات قوية وحجج مقنعة، وسخر من غباوة وجهل متهميه الذين لم يفرقوا بين الفلسفة والسحر، فتمكن من الخلاص والنجاة من جميع التهم التي وجهها اليه أعداءه الذين حسدوه على جماله الفائق، وذكائه الخارق وعلمه العميق، ولقد دون مرافعته عن نفسه فيما بعد وألفها في كتابه المعروف «بالدفاع» (Apologia)³.

لم تقلل هذه التهمة من عزيمة أبوليوس ومن المضي في مسيرته الفنية، فرغم كونه محاميا، الا أنه فور عودته الى قرطاجة مدينة العلم والثقافة التي عشقها ومجدها كثيرا في مؤلفاته، بدأ في القاء الخطب والمحاضرات لطلبة الثقافة والأدب، وسرعان ما اكتسب اعجاب سكان المدينة الذين أصبحوا يتزاحمون في

الأماكن التي كان يلقي فيها خطبه، فنال شهرة كبيرة في وسط أهل قرطاجة الذين أقاموا له تمثالا شرفيا في حياته،⁴ وذل أبوليوس يلقي محاضراته وخطبه في قرطاجة والتي كانت أحب الانشغالات الى نفسه لسنوات عديدة، الى أن عجز عنها فتفرغ للكتابة والتأليف.⁵

2 هوية أبوليوس:

كان أبوليوس فخورا بهويته الأمازيغية⁶ وثقافته الإفريقية، لم يملكه في يوم من الأيام أي نوع من الشعور بالخجل من أصله، اذ كان يعترف بانتمائه الى الوطن العريق الذي منه الملكين النوميديين "سيفاكس"⁷ و"ماسينيسا"⁸، ويقول عن أصله مايلي: "أنا نصف جيتولي"⁹ ونصف نوميدي"¹⁰، ويضيف ويقول أن الوطن ليس هو فقط البلد الذي ولدنا فيه، وانما هو كذلك المنطقة أو المناطق التي عشنا فيها واستقينا منها علومنا ومعارفنا¹¹.

هذا، وقد اعترف به كذلك أهل بلده الصغيرة "مادور" وشيدوا تمثالا على شرفه، لكنه لم يعثر عليه للأسف، فقد بقيت منه سوى الحجرة الرخامية التي كانت بمثابة القاعدة التي بني فوقها هذا التمثال (أنظر الشكل)، والتي تعرضت بدورها لعدة كسور، مما أثر على النص المنقوش عليها، فضاع السطر الأول منه والذي يكون قد ذكر فيه اسم أبوليوس، ونقرأ في باقي الأسطر ما يلي: "... الى الفيلسوف الأفلاطوني، زخرقة مواطنو مدينة مادور، بمرسوم مجلس البلدية، على حساب المجتمع"¹².



بقايا قاعدة تمثال نقش عليها اهداء قدمه سكان مادور على شرف أبوليوس.

عن: Lancel(S), l'Algérie antique de Massinissa à Saint augustin, éd. Place des victoires, Paris, 2014, p.205

رغم ذلك، فهناك من الباحثين الأجانب والعرب من انتقدوا أفولاي وأدرجه ضمن الأدباء اللاتينيين، محاولين في ذلك طمس هويته الأمازيغية، ومن بين هؤلاء نشير الى الكاتب الفرنسي "إميل فاكيه" (Emile Faguet)¹³ الذي صنف أبوليوس في كتابه الموسوم "مدخل الى الأدب" ضمن المفكرين اللاتينيين المتأثرين والمقلدين للاغريق، ويظهر هذا التأثير حسب رأيه في رواية "الحمار الذهبي" التي ألفها أفولاي، حيث قال عنه أنه مجرد روائي خيالي، معقد للغاية، وهو نفس الحكم الذي أصدره الباحث المغربي "حميد لحداني"¹⁴ عندما أدرجه كذلك ضمن الأدباء المتأثرين الذين اعتمدوا في أعمالهم على اللغة اللاتينية، ونعته بلقب "القصاص اللاتيني".

لكن، استنادا الى بعض المراجع الحديثة، فانه يبدو أن سبب اعتماد المفكرين الأفارقة على اللغة اللاتينية في تأليف أعمالهم، كان بسبب فرض الرومان المحتلين للغتم وثقافتهم، وسعيهم لطمس الثقافة المحلية الأصلية، وليس السبب في قصر اللغة الوطنية، مثلما يدعي البعض¹⁵.

3 أشهر مؤلفات أبوليوس:

كان أبوليوس كاتباً مرموقاً في عصره بين أدباء الثقافة العالمية، اذ نافس اليونانيين واللاتينيين رغم تأثره بهم، فوضع مؤلفات عديدة في الفلسفة والتاريخ والموسيقى والشعر والحساب وعلم الفلك، والعلوم الطبيعية والفلاحة وعلم الأسماك وغيرها، ولكن لم يصلنا من خطبه ورسائله وأشعاره وكتاباتة الفنية والعلمية إلا القليل¹⁶، ومن أهم آثاره نذكر ما يلي:

أ - الدفاع (Apologia):

عبارة عن مرافعة طويلة دافع من خلالها أبوليوس عن نفسه ردا عن الاتهامات الباطلة والسخيفة التي وجهتها له عائلة زوج "بودنتيلا" السابق وابنها "إميليانوس"، تناولها حسب ترتيب تلك الاتهامات، وأما الأولى فكانت حول جماله اللافت للنظر وبلاغته الفائقة، والتي رد عنها أنه لا يحق لأحد أن يلوم ما وهبته الطبيعة، ثم يعترف أنه بلغ تلك الدرجة العالية من العلم والبلاغة لأنه كرس حياته كلها لدراسة الآداب والفنون، و عن تهمه السحر فيقول أنه كان يشتري السمك بصفة مستمرة ليأكله، وليعتمد عليه في

دراساته الحيوانية، وبخصوص ارغام بودنتيلا على الزواج منه واستعانتة في ذلك على السحر، فأخبرهم أنه لم يكن يرغب في الزواج منها، وأن ابنها هو الذي عرض عليه هذا الأمر، ولم يطمع من ثروتها بدليل أنها لم تذكره في وصيتها، أما فيما يتعلق بانتمائه الى البلد الواقع بين نوميديا وجيتوليا، فيقول أنه يفتخر بأصله وأنه سبق أن أشار الى ذلك من قبل، وقد استعان في مرافعته بأسلوب قوي وساحر في نفس الوقت¹⁷.

ب - الأزاهير (Florides):

ضم هذا الكتاب مجموعة من الخطب والمحاضرات التي ألقاها أبوليوس على جمهوره الواسع، وربما يدل اسمها "الأزاهير" على أنها خطب معتبرة من بين المجموعة الكبيرة التي قدمها أبوليوس في حياته، ويبدو أن هدفه من وراء هذه الخطب هو اظهار قدراته البلاغية والمعرفية الواسعة قصد إثارة إعجاب مستمعيه وتسليتهم¹⁸.

ولقد قسمت الأزاهير الى أربعة كتب، يحتوي الأول منها على سبع خطب، من بينها الخطبة السابعة التي أشار فيها الى قوة وعظمة الاسكندر الأكبر، وتضمن الكتاب الثاني ست خطب، وصف في احداها البيغاء، حيث يقول عنه أنه يردد كل الكلام الذي تعلمه، فاذا علمته كلاما قبيحا فانه لن يتوقف أبدا عن تكراره، الا اذا قطعت له لسانه أو أعدته في أقرب وقت ممكن إلى غابته، ويحتوي الكتاب الثالث على ثلاث خطب، يتقدم أبوليوس في خطبته الأولى بالشكر الى الحاكم الروماني إميليانوس سترابون (Emilien strabon) الذي أقام تمثالا على شرفه، ونجد في الكتاب الرابع ست خطب، تحدث فيها عن اسكليبياديس (Asklepiades)، وعن كراتس (Krates)¹⁹.

ج - التحولات (Métamorphoses):

ان أكثر المؤلفات التي نالت إعجاب جمهور أبوليوس الواسع هو كتابه الذي يحمل عنوان "التحولات" والذي جعل منه أول مؤلف مشهور في التاريخ القديم²⁰، تناول فيه موضوع "المسوخ" أو تحول الانسان الى حيوان، وهذه القضية قديمة وجدت في كثير من الملاحم وفي طقوس وعقائد شعبية، ففي "أوديسية" الشاعر اليوناني هوميروس، مسخ أصحاب "يوليوس" إلى خنازير، كما توجد في أشعار يونانية أخرى قصائد ومقطوعات موضوعها قصص المسخ التي ضاع منها الكثير²¹.

تدور هذه الرواية حول شاب يدعى "لوكيوس" بطل القصة، اتجه نحو مدينة "تسالي" (Thessalie) في بلاد الاغريق لأمر تخص أسرته، فنزل ضيفا على رجل بخيل اسمه "ميلو"، كانت له زوجة ساحرة تدعى "بامفيليا" تتحول إلى أشكال مختلفة إذا دهنت نفسها بأنواع من الزيوت الخاصة بالمسح و التحويل، فطلب "لوكيوس من عشيقته "فوتيس" أن تدهنه ليتحول الى طائر، لكنه تحول إلى حمار بعدما أخطأت فوتيس خادمة بامفيليا الساحرة في اختيار المرهم المناسب للمسح، و هكذا يتعرض لوكيوس الحمار لكثير من العذاب والجوع والقسوة، فظل أسير المعاناة والتنكيل والاضطهاد في أيدي الكثير من البشر بما فيهم اللصوص والأشرار، ولم يتمكن من العودة الى هيأته البشرية إلا على يد كاهن يحرس معبد الإلهة "إيزيس" التي استجابت لدعوات وتضرعات لوكيوس²².

جاءت رواية التحولات في أحد عشر كتابا، تناولت بالإضافة الى الحدث الرئيسي قصص طويلة وقصيرة متفرعة ليست لها علاقة وطيدة بالنص الأصلي، وأغلب الظن أن أبوليوس كتبها أو بدأ في كتابتها أيام إقامته بروما، وكانت الرواية قد عرفت منذ عهد القديس أغسطين باسم "الحمار الذهبي، وقد يكون هو من أطلق عليها هذا الاسم²³.

4 جمال رواية "التحولات" الفني والأدبي:

مزج أبوليوس في روايته التحولات أو الحمار الذهبي بين الواقع والخيال والسحر، معتمدا في ذلك على روعة الوصف وبراعة الأسلوب والفكاهة والتشويق والإثارة الجنسية والرعب والفخامة، فكانت قمة في الجمال، تدفع القارئ الى الاستمتاع والانفعال بما فيها من جوانب عاطفية كثيرة، فقد اعتبرها البعض رمز العلاقة بين النفس الإنسانية والحب السماوي، ولها كذلك قيمة تاريخية ثابتة، فهي مصدر مهم لمعرفة الديانات الوثنية المنتشرة في الامبراطورية الرومانية في ذلك العصر والتي أثرت في المسيحية، وعلى الأخص عبادة الإلهة "إيزيس"²⁴.

وإذا كانت "التحولات" قد قدمت لنا أبوليوس بصفته روائيا بارعا، وقدمته لنا خطبه "الدفاع والأزاهير" بصفته خطيبا، فإن كتبه الأخرى تقدمه لنا بصفته فيلسوفا، وكان متمكنا من اللغة اليونانية واللغة اللاتينية، ومزج بينهما في بعض مؤلفاته كالأزاهير، وربما كان يبحث عن الشهرة والتفوق على الرومان من خلال هذا التنوع²⁵.

5 -تأثير رواية "الحمار الذهبي" على الرواية الغربية والعربية:

أثرت رواية الحمار الذهبي في الرواية الغربية بشكل كبير، فاقترنت روايات ومسرحيات وكذلك لوحات زيتية مواضيعها من هذه القصة، ولاسيما ما تعلق بالشطر العاطفي المتمثل في قصة "الحب والنفس" أو "آمور وبسيشة" (Amor et Psyche) التي احتواها الكتاب الرابع من الفقرة 21 الى الفقرة 35 والكتاب الخامس، والتي ترويها امرأة عجوز لتسليّة الفتاة المختطفة المدعوة "خريطة"²⁶، وتعتبر أجمل خرافة في رواية الحمار الذهبي وأروع قصة في الآداب القديمة على الإطلاق، والتي كان لها أثر متميز في مختلف الفنون العالمية، رغم أننا نلاحظ عدم اسناد معظم هؤلاء الفنانين الذين اقتبسوا هذه القصة الى صاحبها أبوليوس، واعتبروها موروث ثقافي يوناني أو لاتيني.

ولقد بدأ الاهتمام بهذه القصة في الأدب الإنجليزي منذ مطلع القرن السابع عشر، فكتب "هي شاتل" (Chettle.H) مسرحية ضائعة تحت عنوان "الحمار الذهبي وكويبدو وبسيشة"، وكذلك "ش. مارميون" (Sh.Marmion) في قصيدة مطولة بعنوان "أسطورة كويبدو وبسيشة"، وتناولها في الأدب الاسباني "كالدرون دي لباركا" (Calderon de la Barca) في مسرحية بعنوان "لا يتحرر الحب من الحب"، كما تناولها "أونتونيو دي سوليس" في مسرحيته "انتصارات الحب والسعادة"، أما في الأدب الفرنسي فتناولها الشاعر "جان دي لافونتين" (Jean de la Fontaine) في روايته "غراميات بسيشة وكويبدو"، ويمكن أن نضيف الى ذلك ما كتبه عنها في القرن التاسع عشر "ألفونس دي لامرتين" (Alphonse de Lamartine) في كتابه "موت سقراط"²⁷، دون أن ننسى حكايات "دي كاميرون" للايطالي (بوكاشيو)²⁸. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أهمية رواية أبوليوس وعمق تأثيرها في الأدب الأوربي الحديث.

أما في الأدب العربي الحديث، فقد روى قصة آمور وبسيشة كل من "دريني خشبة"، وفؤاد "جرحي بربارة"، وأمين سلامة، لكنهم لم ينسبوا كذلك الى صاحبها، بل اعتبروها مجرد أسطورة يونانية أو أسطورة يونانية رومانية²⁹.

الخاتمة: وفي نهاية هذا البحث توصلنا الى الاستنتاجات التالية:

لوكيوس أبوليوس أو أفولاي مؤلف افريقي جزائري، اعترف به أهل بلدته الصغيرة مادور، وشيدوا له تمثالا نقش عليه اهداء قدم على شرفه، كما نال شهرة كبيرة في وسط أهل مدينة قرطاجنة الذين كانوا يتزاحمون في الأماكن التي كان يلقي فيها خطبه.

برع أبوليوس في فنون كثيرة ومختلفة كالخطابة والرواية والشعر والفلسفة، وتميز بأسلوب قوي وخيال واسع مكّنه من كسب معجبين وأنصار كثيرين، وبرز بين أدباء الثقافة العالمية، ونافس اليونانيين والاعريق، فألف كتب عديدة، أشهرها: "الدفاع"، "الأزاهير" و"التحولات" أو المعروف كذلك بعنوان "الحمار الذهبي"، هذا الأخير الذي تضمن رواية تناول فيها موضوع المسوخ، كانت قمة في الجمال، تميزت بروعة الوصف وبراعة الأسلوب، رغم ذلك اتهم بالسحر والنقل على غيره من طرف أعدائه.

أضاف أبوليوس الى رواية الحمار الذهبي فقرات كثيرة وتفنن في أسلوبها، مثل قصة "أمور وبسيسة" التي أثرت بشكل واسع في الرواية الغربية والعربية الحديثة، واقتبس منها بعض الأدباء والمسرحيين والفنانين مواضيع أعمالهم، وان لم يسندوها الى صاحبها واعتبروها مجرد أسطورة يونانية أو رومانية، الا أن هذه الرواية تحتسب ضمن مؤلفات لوكيوس أبوليوس المفكر الإفريقي الجزائري، رغم محاولة الكثير طمس أصله وهويته، والاستخفاف بأعماله، ومساهماته في إثراء الأدب العلمي القديم والحديث.

الهوامش:

¹ - لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الانسانية، ترجمة أبو العيد دودو، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2004، ص.6.

² - المرجع نفسه، ص.8.

³ - Apulée, Apologie, op.cit, t. II, trad. Victor Betolaud, éd. Garnier frères, libraires éditeurs, S.D, www.remacle.org.

⁴ - Apulée, l'Ane d'or ou les Métamorphoses, traduction et notes Pierre Grimal, éd. Gallimard, Paris, 1975, préface, p. 21.

⁵ - لوكيوس أبوليوس، المرجع السابق، ص.10.

⁶ - الأمازيغية، نسبة للأمازيغ، السكان الأصليين لمنطقة شمال إفريقيا الذين انحدروا من القفصيين مؤسسوا الحضارة القفصية منذ العصر الحجري الوسيط، واستمروا بعد ذلك يعمرون هذه البلاد، التي عرفت اجتياحات متتالية كان مصيرها الزوال تباعا، وظل وجود السكان الأصليين وجودا حيا وأصيلا، رغم محاولات البعض نفي الأصل الأمازيغي في المنطقة واللجوء إلى روايات وفرضيات خيالية وغريبة، لمزيد من المعلومات، أنظر: محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص. 185-201.

⁷ - سيفاكس نوميدي، ذكرته النصوص القديمة لأول مرة كملك المازيسيل (نوميديا الشرقية) ابتداء من عام 220 ق.م، لا نعرف تفاصيل كثيرة عن بداية توليه العرش نظرا لصمت المصادر حولها، برز دوره خلال الحرب البونية الثانية، حيث كان في البداية حليف القرطاجيين لينقلب ضدهم عام 213 ق.م لرغبته في استعادة إقليم من قرطاجة، ليحالفهم من جديد بعد نقل الرومان الحرب إلى إفريقيا، قتل عام 203 ق.م، لمزيد من المعلومات أنظر: فتيحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213-46 ق.م، منشورات أبيك، 2007، ص. 115-118.

⁸ - ماسينيسا أو "م س ن س ن" (MSNSN)، اسم محلي ويعني سيدهم، ولد عام 238 ق.م، والده يدعى غايا ملك نوميديا الشرقية، أما والدته فلا نعرف عنها شيئا سوى أنها كانت كاهنة وتساعد ابنها في الحكم، حيث كان يستشيرها ويأخذ بنصائحها في بعض أمور المملكة، وترافقه في حروبه، تدرب ماسينيسا على ركوب الخيل والصيد منذ صغره وتعلم المبارزة ورمي الرمح مما ساعده على أن يكون فيما بعد قائدا عسكريا بارعا يحقق دائما الانتصارات على أعدائه: للمزيد من المعلومات أنظر:

Kadra-Hadjadji (H), Massinissa le grand africain, éd.Casbah, Alger, 2014, p.49-54.

⁹ - الجيتول (Gaetulus) باللغة اللاتينية أو "إغودالم في اللغة المحلية أو جدالة في اللغة العربية، برزت هذه القبيلة في العصر الحجري الحديث، كان سكانها بدوا ممتازين، اتضح دورهم جليا في فترة الخيول، فكانوا فرسان وسائقو عربات قبل عصر الجمال، امتدوا بين المحيط الأطلسي وفزان وتميزوا بكونهم رعاة ومحاربين أشداء، لمزيد من المعلومات أنظر: محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، عين مليلة، الجزائر، دار هومة، 2013، ص. 75-76.

¹⁰ - نوميدي أو نوميديين وهم من سكان مملكة نوميديا التي بدأت المصادر الكلاسيكية تتحدث عنها ابتداء من أواخر القرن الثالث قبل الميلاد مع بداية الحروب البونية، وخلال هذه الفترة كانت مقسمة إلى قسمين: نوميديا الشرقية وكان على رأسها الملك غايا، ونوميديا الغربية وعلى رأسها الملك سيفاكس، وكانت تشمل الجزائر وجزء من تونس، لمزيد من المعلومات، أنظر: نادية يفصح، المظاهر الحضارية في نوميديا من القرن الثالث قبل الميلاد إلى بداية الاحتلال الروماني "الحياة الاجتماعية والثقافية"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ القديم، 2017-2018، ص. 19-28.

¹¹ - Apulée, Apologie, op.cit, t. II.

¹² - Lancel (S), op.cit, pp. 204, 205.

- ¹³ - Faguet Emile, Initiation litteraire, éd. Hachette et Cie, Paris, 1913, p. 42.
- ¹⁴ - لحداني حميد، الرواية المغربية و رؤية الواقع الاجتماعي، "دراسة تكوينية بنيوية"، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص.301.
- ¹⁵ - شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، الجزء الأول، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1969، ص. 252.
- ¹⁶ - المرجع نفسه، ص ص. 10، 11.
- ¹⁷ - Apulée, Apologie, op.cit, t. II.
- ¹⁸ - لوكيوس أبوليوس، المرجع السابق، ص.14.
- ¹⁹ - Apulée, Florides, op.cit., I, II, III, IV.
- ²⁰ - Lancel (S), op.ci, pp.205, 206.
- ²¹ - جميل حمداوي، الحمار الذهبي لأبوليوس أول عمل روائي في الفكر الانساني والأمازيغي، الحوار المتمدن، العدد 1924، المغرب، 23/5/2007-04:06.
- ²² - Apulée, l'Ane d'or ou les Métamorphoses, op.cit., I- XI.
- ²³ - لوكيوس أبوليوس، المرجع السابق، ص ص. 15، 16.
- ²⁴ - لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي أو التحولات، ترجمة عمار الجلاصي، أعدده للنشر موحده أومادي، (د.م.ن)، 2000، ص ص. 4، 5.
- ²⁵ - لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي أول رواية في التاريخ الانسانية، المرجع السابق، ص ص. 31، 32.
- ²⁶ - Apulée, l'Ane d'or ou les Métamorphoses, op.cit., livre IV, 28-35 ; livre V.
- ²⁷ - لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي أول رواية في التاريخ الانسانية، المرجع السابق، ص ص. 27، 28.
- ²⁸ - لوكيوس أبوليوس، تحولات الجحش الذهبي، تر.علي فهمي حشيم، الطبعة الثالثة، مركز الحضارة العربية، (د.م.ن)، 1999، ص.7.
- ²⁹ - لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي أول رواية في التاريخ الانسانية، المرجع السابق، ص.29.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا- باللغة العربية:

- 1 - جميل حمداوي، الحمار الذهبي لأبوليوس أول عمل روائي في الفكر الانساني والأمازيغي، الحوار المتمدن، العدد 1924، المغرب، 2007.
- 2 - شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1969.

- 3 ختيحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213-46 ق.م، منشورات أبيك، 2007.
- 4 لحمداني حميد، الرواية المغربية و رؤية الواقع الاجتماعي، "دراسة تكوينية بنيوية"، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985.
- 5 لوكيوس أبوليوس، تحولات الجحش الذهبي، تر. علي فهمي حشيم، الطبعة الثالثة، مركز الحضارة العربية، (د.م.ن)، 1999.
- 6 لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الانسانية، ترجمة أبو العيد دودو، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2004.
- 7 لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي (أو التحولات)، ترجمة عمار الجلاصي، أعده للنشر محمد أومادي، (د.م.ن)، 2000.
- 8 محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
- 9 -محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، عين مليلة، الجزائر، دار هومة، 2013.
- 10 -نادية يفصح، المظاهر الحضارية في نوميديا من القرن الثالث قبل الميلاد الى بداية الاحتلال الروماني "الحياة الاجتماعية والثقافية"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ القديم، 2017-2018.

ثانيا- باللغة الأجنبية:

- 11- Apulée, l'Ane d'or ou les Métamorphoses, traduction et notes Pierre Grimal, éd. Gallimard, Paris, 1975.
- 12- Apulée, Apologie, trad. Victor Betolaud, éd. Garnier frères, libraires éditeurs, www.remacle.org.
- 13- Faguet Emile, Initiation litteraire, éd. Hachette et Cie, Paris, 1913.
- 14- Kadra-Hadjadji (H), Massinissa le grand africain, éd.Casbah, Alger, 2014.
- 15- Lancel (S), l'Algérie antique de Massinissa à Saint augustin, éd. Place des victoires, Paris, 2014.

نور الدين زنكي بين مبادرة التحرير واغتنام ضرب الصليبيين حارم أنموذجا

م.م. وميض خالد كافي فليح المدلج

ملاك وزارة التربية - مديرية تربية الانبار - العراق

wmydkhaldh@gmail.com

ملخص:

شكلت الحروب الصليبية أهمية كبيرة في تاريخ الاسلام وذلك لما ابدوه المسلمون من شجاعة في مقاومة الحملات الصليبية وظهر قادة حققوا الانتصارات ومنهم الملك العادل نور الدين محمود زنكي الذي حرر الكثير من المدن والقلاع خلال فترة حكمه من سنة ٥٤١هـ الى ٥٦٩هـ ومنها حارم التي هي حصن حصين وكورة جلييلة وقد قويت شوكة المسلمين في بلاد الشام ضد الفرنج الصليبيين بقوة الخلفاء العباسيين المقتفي لأمر الله والمستنجد بالله اللذين عاصرا فترة حكم نور الدين زنكي وجاء بحثي هذا لتسليط الضوء على فترة مهمة من فترات الصحو الإسلامية وحث الأمة على العمل بما قام به المسلمون في تلك الفترة المضنية.

فقد تناولت في الفصل الاول حارم - ونور الدين زنكي وتكلمت عن حارم تسميتها وأهميتها لكونها كورة جلييلة وفيها الكثير من البساتين وكانت تسمى بدمشق الصغرى وتطوقت الى موقع حارم المهم بين انطاكية وحلب وذكرته نبذة تعريفية عن اسم ونسب نور الدين زنكي ووصفه وجانب من شخصيته وجاء الفصل الثاني عن جهود القائد نور الدين زنكي من اجل تحرير حارم من السيطرة الصليبية وبدأ محاولاته لتحريرها من سنة ٥٤٤هـ وتكرر ايضا سنة ٥٥١هـ وتم الصلح في تلك السنة على نصف اعمال حارم وفي سنة ٥٥٧هـ حاول القائد نور الدين اخذ حارم ولكن لم تنجح تلك المحاولة الى ان قدر الله لهم النصر والفتح المبين في شهر رمضان سنة ٥٥٩هـ فقتل واسر الالاف من الصليبيين والروم والارمن واودعت في خاتمة البحث النتائج التي توصلنا اليها والله الحمد.

الكلمات المفتاحية: حارم نور الدين زنكي الصليبيين

Nour al-Din Zangi between the liberation initiative and seizing the striking of the Crusaders is harim as a model

M.M. Wamid Khaled Kafi Faleh Medlej

The owners of the Ministry of Education- Anbar Education Directorate – Iraq
wmydkhaldh@gmail.com

Abstract:

The Crusades were of great importance in the history of Islam because of the courage they showed by Muslims in resisting the Crusades and the emergence of leaders who achieved victories, including the just king Nur al-Din Mahmoud Zinki, who liberated many cities and castles during his reign from the year 541 AH

to 569 AH, including Harim, which is a fortified fortress and Kora. Great, and the Muslims' thorn in the Levant against the Crusader Franks was strengthened by the power of the Abbasid caliphs who were pursuing the command of God and seeking help from God who lived through the reign of Nur al-Din Zangi, and this research came to shed light on an important period of the Islamic awakening and urged the nation to do what Muslims did in that period Luminous.

In the first chapter I dealt with Harem-and Nur al-Din Zangi and talked about Harim's name and its importance because it is a venerable region with many orchards and it was called in Little Damascus. On the efforts of the leader Nur al-Din Zangi in order to liberate Harim from the Crusader control and he began his attempts to liberate it from the year 544 AH and was also repeated in the year 551 AH, and reconciliation was completed in that year on half of Harim's works. May God grant them victory and conquest shown in the month of Ramadan in the year 559 AH, so he killed and captured thousands of Crusaders, Romans and Armenians. And I deposited in the conclusion of the research the results that we have reached, thank God

Keywords: Harem, Nur al-Din Zangi, the Crusaders

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المقدمة

لقد كان اختيارنا لموضوع البحث هذا لتسليط الضوء على جانب مشرق من تاريخ الإسلام وهو ظهور رجال مؤمنون بالله يحملون على عاتقهم الدفاع عن الإسلام من الهجمة الصليبية فكان القائد نور الدين محمود زنكي في مقدمة الركب لتحرير المدن والقلاع من السيطرة الصليبية وكانت من بين تلك المدن هي مدينة حارم موضوع البحث وقد كانت عدة محاولات لتحرير حارم الى ان تحقق النصر والفتح العظيم في رمضان سنة 559هـ.

وقسمت بحثي هذا الى فصلين: الأول عنوانه حارم ونور الدين زنكي وقسمت هذا الفصل الى مبحثين تناولت في المبحث الأول حارم تسميتها وأهميتها وموقعها ومساحتها. المبحث الثاني عن نور الدين زنكي اسمه ونسبه وشخصيته.

اما الفصل الثاني: فكان بعنوان جهود نور الدين زنكي لتحرير حارم من السيطرة الصليبية وقسم الفصل الى مبحثين الأول محاولات التحرير بقيادة نور الدين زنكي والمبحث الثاني تحرير حارم من السيطرة الصليبية سنة 559هـ.

واودعت في الخاتمة النتائج التي توصلنا اليها في بحثنا هذا.

ولله الحمد

الفصل الأول

حارم ونور الدين زنكي

المبحث الأول: حارم

المبحث الثاني: نور الدين زنكي

المبحث الأول/ حارم

تسميتها وأهميتها:

حارم كسر الراء وهي كورة عظيمة شديدة التحصين على طريق انطاكية وهي تتبع إداريا لحلب وهي فاعل من الحرمان او من الحریم كأنها لخصانتها يجرمها العدو وتكون حرما لمن فيها.¹ وتأتي أهمية حارم من ما ذكر بوجود قرى ومزارع وبساتين فيها عيون عليها طواحين وهي بما تسمى دمشق الصغرى لكثرة الفواكه وسكانها يتكلمون العربية وكلهم مسلمون.

واما القضاء ففيه العربي والتركمان والكرد.²

وتتجلى أهميتها لخصانتها وكونها كورة كبيرة فيها أشجار كثيرة ومياه.³

الموقع والمساحة: -

حارم على الضفة الشرقية لنهر العاصي.⁴ غربي حلب.⁵ وتبعد عن انطاكية اثني عشرة ميلا.⁶

واما مساحتها فيذكر السيراقي "تبلغ عشر مائة وتسعة وعشرين ألفاً وسبعمائة ذراعاً باليد عشرة فراسخ ونصف وثلاث مسافات ما بين منبج وحلب عشرة فراسخ ونصف وثمان.⁷

وبسبب موقع حارم الاستراتيجي المهم ما بين حلب وأنطاكية جعلها هدفاً للحملات الصليبية ولكن على الرغم من ذلك فقد قدر الله سبحانه وتعالى للأمة الإسلامية ان تنهض بوجود قادة عظام يدفعون عن الامة هذه المحجمات.

المبحث الثاني / نور الدين زنكي

اسمه - ولقبه

نور الدين محمود الملك العادل ليث الإسلام صاحب الشام تقي الملوك ناصر أمير المؤمنين⁸ السلطان أبو القاسم محمود بن زنكي بن قسنقر ولد سنة 511هـ وتوفي في دمشق سنة 569هـ وهو من ملوك الاتابكة.⁹

نسبه / هو ابن أبي سعيد عماد الدين قسيم الدولة الاتابك زنكي بن الأمير الكبير اقسنقر السلطان التركي ملك الملوك ينتسبون الى قبيلة ساب يو التركية.¹⁰

وصفه / كان اسمر اللون ذات صورة حسنة لا يوجد في وجهه شعر سوى ذقنه طويل القامة¹¹.

شخصيته / قال ابن الاثير طالعت تاريخ الملوك قبل الإسلام وفي الإسلام وبعد لم أجد ملكاً من بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أفضل سيرة من القائد نور الدين زنكي في تحريره للعدل والانصاف فقد كرس نهاره وليله على جهاد يستعد له وعدل ينشره ويرفع الظلم عن الناس واما عن عبادته وزهده وعلمه فكان على الرغم من اتساع ملكه وذخائر بلاده الكثيرة فانه كان لا يلبس ولا يأكل ولا يتصرف في شيء الا من ما اشتراه¹².

كان نور الدين مجاهداً متمسكاً بالشرعية صاحب البر والاقواف وعمر في الموصل الجامع النوري وهو الذي يستغرق الوصف في مناقبه وكان مهيباً قلماً روجع¹³. وكان حسن الخط وكان يكثر من القراءة ويصلي في جماعة ويصوم ولا يتكبر ويتشبه بالعلماء والابرار ويتحرى في قوته ومن نظر اليه يجد منه جلال السلطان وله هبة الملوك¹⁴. وكان يسعى لتحقيق اهدافه بأقل جهد والخسائر ولا يتردد في أساليب المكر والخداع¹⁵. وكان بالمعركة ثابت القدم ويجيد الرمي شديد الضرب يقدم أصحابه ويطلب الشهادة ويدعوا الله ان يحشره في بطون السباع وحواصل الطير¹⁶

لقد سار نور الدين زنكي على خطى من قبله من الصالحين وكان من بينهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز حيث كتب له العلامة الشيخ معين الدين عمر بن محمد بن خضر الاربلي السيرة لهذا الخليفة لكي يسير نور الدين على منهاجها.¹⁷

الفصل الثاني

جهود نور الدين زنكي لتحرير حارم من السيطرة الصليبية

المبحث الأول: محاولات التحرير بقيادة نور الدين زنكي

المبحث الثاني: تحرير حارم من السيطرة الصليبية سنة 559هـ

المبحث الأول/ محاولات التحرير بقيادة نور الدين زنكي

لا بد لنا قبل ان نشرع بالحديث عن محاولات نور الدين زنكي لتحرير حارم ان نبين تاريخ سيطرة الفرنج الصليبيون على حارم وكانت حارم بأيدي الروم الى سنة 477هـ وفيها استولى عليها سليمان بن قتلمش وقد استولى على انطاكية وغيرها وبقيت بأيدي المسلمين الى سنة 491هـ وفيها ملك الفرنج انطاكية وحارم وغيرها وزادوا في تحصينها وجعلوها ملجأ لهم وشنوا الغارات على المسلمين ولم تزل في أيديهم الى سنة 559هـ وفيها اخذها نور الدين منهم بعد حرب مهولة¹⁸

برز القائد نور الدين زنكي الذي وحد الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين¹⁹. وكان هو القوة الأساسية في الشام في الفترة من 541هـ الى سنة 569هـ²⁰. وقد نجح في توحيد الشام من حوران جنوباً الى الرها شمالاً استطاع من إقامة دولة إسلامية موحدة بقيادته عاصمتها دمشق²¹. وفي هذه الفترة كان الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله امير المؤمنين وكان قد اشتدت شوكته واستظهر على كل مخالف له²². ولهذا قويت شوكت المسلمين في بلاد الشام ضد الفرنج الصليبيين.

واما عن اعمال السلطان نور الدين التي قوت من شكيمة المسلمين في بلاد الشام ضد الفرنج الصليبيين هو بناء اسوار قلاع الشام ومدنها كلها منها حمص ودمشق وحماه وحلب وبلبك وشيزر وغيرها²³. وافتتح من بلاد الروم عدة حصون منها مرعش وبهستا وافتتح من بلاد الفرنج اعزاز وبانياس²⁴. وقال أبو الفرج ابن الجوزي: جاهد وانتزع من الكفار نيفا وخمسين مدينة وحصناً²⁵. وفي سنة 544هـ بدأ المجاهد نور الدين محمود حملاته لاستعادة حارم من ايدي الفرنج الصليبيين حصر القائد نور الدين محمود قلعة حارم فحشد البرنس حاكم انطاكية الفرنج الصليبيين وساروا لقتال نور الدين وقتلوا²⁶ وخرب رضى حصن حارم ثم ذهب الى قلعة انب فحاصرها أيضاً فتجمع الفرنج مع البرنس حاكم انطاكية وحارم وساروا ليرحلوا نور الدين زنكي عن انب فالتقوا وقتلوا اشد قتال وبتدأ نور الدين الحرب في هذا اليوم فأهزم الصليبيين اشد هزيمة فقتل واسر منهم جمعاً كثيراً فقتل حاكم انطاكية البرنس وكان طاغيا من طغاة

الفرنج²⁷. وحمل رأسه إلى حلب وأسر أصحابه²⁸. وملك انطاكية من بعد البرنس ولدته يميند وهو طفل. وتزوجت أمه باخر يسمى البرنس²⁹

وفي سنة 551هـ توجه الملك نور الدين زنكي ببعض عسكره إلى حلب في يوم الثلاثاء 24 صفر ووصل إليه نبأ الفرنج وعيشتهم في أعمال حلب³⁰. وحاصر نور الدين زنكي حصن حارم وضيق الخناق عليها فاجتمعوا الصليبيون ومضوا إلى نور الدين زنكي فكاتبهم يعرفهم بقوة المسلمين³¹. وكانت قلعة حارم منيعة في محور المسلمين وهي ليميند صاحب انطاكية فتحشد الصليبيون بالقرب منها وعن بعد ومضوا نحوها ليرحلوا نور الدين عنها وكان بالحصن داهية يرجعون إلى رأيهم ويعرفون عقله فقال لهم: أنا نستطيع الحفاظ على القلعة وما بنا من ضعف فلا تجازفوا باللقاء فإنه إن انتصر عليكم أخذها وغيرها فاري مطاولته فصالحوه على نصف حارم فاتفقوا على ذلك³².

وفي سنة 557هـ نازل نور الدين زنكي قلعة حارم وهي للفرنج لمدة³³. حاصرها وعزم على قتالها فامتنعت عليه لكثرة من فيها من فرسان الصليبيين ورجالاتهم وشجعانهم ولحصانتها ولما علموا بذلك الفرنج حشدوا فرسانهم واستعدوا ومضوا إليه ليرحلوا نور الدين عنها فلما رأى نور الدين أنه لا يمكنه أخذ الحصن عاد إلى بلاده³⁴.

المبحث الثاني/ تحرير حارم من السيطرة الصليبية في سنة 559هـ

معركة حارم 559هـ: وهي المعركة التي نشبت بين المسلمين بقيادة نور الدين زنكي والصليبيين الذين كسروا فيها شر كسرة انتهت بأسر البرنس يميند صاحب انطاكية وعدد من الأمراء والقادة وقد وقعت في شهر رمضان³⁵.

وقبل أن ندخل في تفاصيل هذه المعركة لا بد لنا أن نتكلم عن الظروف التي مهدت لتلك المعركة وهي أن نور الدين جمع جنوده وتوجه عام 558هـ لغزو طرابلس وانتهى إلى البقيعة فباغتتهم الفرنج واثنوا فيهم واستطاع نور الدين أن ينجوا منهم إلى بحيرة مرس بالقرب من حمص³⁶ فقام القائد نور الدين بتفريق الأموال والسلاح وغير ذلك من الآلات فعاد العسكر كأثم لم يصابوا³⁷ وأقبل على الاجتهاد والجد والاستعداد للجهاد وغزوة العدو في وسط داره وليمحو سمة الوهن وليرتق ذلك الفتق ويعيد هيبة الملك³⁸. واستنجد السلطان المجاهد نور الدين وأرسل إلى أخيه صاحب الموصل قطب الدين مودود وإلى صاحب حصن كيفا فخر الدين وإلى صاحب ماردين نجم الدين أبي وغيرهم من أصحاب الأطراف فلما اجتمعت العساكر ساروا نحو حارم³⁹.

فقام نجم الدين ألي الارتيقي صاحب ماردين بالتوجه الى قلعة حارم ونصب المجانيق عليها فجاءتها نجدات الفرنج من كل ناحية واجتمع طائفة من ملوكهم وعلى الكل يميند صاحب انطاكية فكشفوا عن حارم ورحل عنها صاحب ماردين⁴⁰. الى ارتاح طمعاً ان يتبعوه فيتمكن منهم ليعدهم عن بلادهم إذا لقوه⁴¹ وارتاح هذه: قرية كبيرة عامرة من عمل حلب بالقرب من حارم وكان لها حصن مذكور وحولها ضياع تضاف اليها⁴². ثم علم الفرنج الصليبيين عجزهم عن لقاءه فعادوا الى حارم فأبغهم نور الدين مع ابطال المسلمين فلما تقاربوا اصطفوا للقتال⁴³. لما التقى الجمعان او قبيلة انفراد القائد نور الدين زنكي عند تل حارم وسجد لربه ومرغ وجهه ودعا وقال يا رب هؤلاء عبيدك وهم أولياؤك وهؤلاء عبيدك وهم اعداؤك⁴⁴. وقال أيضاً في دعائه يا سيدي من محمود في البين الدين دينك والجند جندك وهذا اليوم هو فافعل ما يليق بكرمك⁴⁵. وكانت عدة الفرنج والروم والارمن في غزوة حارم ثلاثون ألف بين فارس وراجل⁴⁶.

فبتدأ الصليبيون بالحملة على ميمنة المسلمين وفيها جند حلب وصاحب الحصن فانهمز المسلمون فيها وتبعهم الصليبيون فقبل كانت تلك الهزيمة من الميمنة على اتفاق دبر له وهو ان يتبعهم الفرنج فيبعدها عن راجلهم فيميل عليهم من بقي من المسلمين بالسيوف فيقتلوهما فاذا رجع فرسانهم لم يجدوا راجلاً يلحون اليه فكان الامر على ما دبر له فان الصليبيين لما تبعوا المنهزمين عطف زين الدين علي في جند الموصل على راجل الفرنج فأفناهم قتلاً واسراً ورجع خيالتهم فعاد المنهزمون على اثارهم فلما وصل الفرنج رأوا انهم قد هلكوا وقد احدث المسلمون بهم من كل جانب فاشتدت المعركة وقامت على ساق وكثر القتلى في الصليبيين وتمت عليهم الهزيمة فمال حينئذ المسلمون عن القتل الى الاسر⁴⁷. وكان في جملة الاسرى سلطان انطاكية يميند وصاحب طرابلس وابن جوسلين والدوك مقدم الروميين وزاد عدد القتلى منهم (10) الاف⁴⁸. فتم النصر من الله للمسلمين وتحرير حارم من الفرنج الصليبيين في شهر رمضان الكريم سنة 559هـ⁴⁹ وغنم ما فيها من الخيل والأموال والسلاح والخيام وغير ذلك ورجع الى حلب بالأسارى والغنائم وأمتلات منهم حلب⁵⁰.

وقد استغنى نور الدين زنكي فقال قوم يقتل الجميع وقال اخرون يفتدى بهم فختار نور الدين ان يفتدى بهم فأخذ منهم 600 ألف دينار معجلاً وسلاحاً وخيلاً.

وبيع الواحد بدينار⁵¹. ووزعها نور الدين على العساكر وأعطى من الأموال الكثيرة والتحف الى اخاه وصاحب الحصن وعادوا الى اوطانهم⁵². وقيل ان صاحب انطاكية ييمنت باع نفسه بمال عظيم أنفقته القائد المجاهد نور الدين زنكي في الجهاد⁵³.
فقد كان تحرير حارم من السيطرة الصليبية ضربة موجعة للفرنجة والروم معاً فقد اضعفت شوكتهم وقويت شوكة المسلمين لانتصارات جديدة.

الخاتمة

- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات من خلال بحثنا هذا توصلنا الى نتائج وهي:
- ان حارم لها أهمية كبيرة لخصانتها وهي سميت حارم لأنها تحرم على العدو.
 - وتتجلى أهميتها لوجود البساتين والمياه ولمزارع وسميت بدمشق الصغرى.
 - ولموقعها المهم على الضفة الشرقية لنهر العاصي بين حلب وأنطاكية جعلها هدفاً للحملات الصليبية
 - ظهور قائد عسكري محنك قادر على تحقيق الانتصارات وهو نور الدين محمود زنكي.
 - برزت شخصية نور الدين زنكي من خلال الصفات التي امتاز بها منها التقوى ومخافة الله وحبه للجهاد لنصرة الإسلام.
 - من خلال محاولات القائد نور الدين زنكي لتحرير حارم نتعلم منه المثابرة لتحقيق الهدف.
 - على الرغم من هزيمة المسلمين في نوبة البقيعة الا ان القائد نور الدين زنكي عمل على الجد والاجتهاد والاخذ بثأره من الصليبيين.
 - وكان من أسباب النصر في معركة حارم 559هـ هو اجتماع المسلمين على كلمة واحدة وهي رفع راية الجهاد ضد الصليبيين.
 - وكان تحرير حارم ضربة موجعة للفرنجة والروم فقد قتل واسر منهم الالاف وضعفت شوكتهم.

¹ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص205

² الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج1، ص381

³ ابن المستوفي، تاريخ اربل، ج2، ص462

⁴ الصلابي، القائد المجاهد نور الدين زنكي شخصيته وعصره، ص248

- 5 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 293
- 6 الصلابي، صلاح الدين الايوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ص 463.
- 7 السيرافي، رحلة السيرافي، ج 1، ص 97.
- 8 الصلابي، القائد المجاهد نور الدين زنكي شخصيته وعصره، ص 17
- 9 ابن المستوفي، تاريخ اربل، ج 2، ص 446.
- 10 الصلابي، القائد المجاهد نور الدين زنكي شخصيته وعصره، ص 17.
- 11 ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج 5، ص 188.
- 12 ابي شامة، عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 1، ص 33.
- 13 الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تدمري، ج 39، ص 376.
- 14 الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج 20، ص 533.
- 15 الصلابي، القائد المجاهد نور الدين زنكي شخصيته وعصره، ص 298.
- 16 الصلابي، عصر الدولة الزنكية، ص 195.
- 17 الصلابي، الدولة الاموية عوامل الازدهار وتداعيات الانحيار، ج 2، ص 373.
- 18 الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج 1، ص 379.
- 19 الصلابي، القائد المجاهد نور الدين زنكي شخصيته وعصره، ص 243.
- 20 بنيامين، رحلة بنيامين، ص 57.
- 21 الصلابي، القائد المجاهد نور الدين زنكي شخصيته وعصره، ص 243
- 22 ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ج 1، ص 510
- 23 ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج 1، ص 409
- 24 ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج 5، ص 185.
- 25 الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج 20، ص 533
- 26 ابن فضل الله، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج 27، ص 34
- 27 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 171
- 28 سبط ابن العجمي، كنوز الذهب في تاريخ حلب، ج 1، ص 201
- 29 الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج 3، ص 81.
- 30 ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص 512.
- 31 الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج 3، ص 82

- 32 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 227.
- 33 محمد كرد علي، خطط الشام، ج 2، ص 32.
- 34 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 293.
- 35 ابن المستوفي، تاريخ اربل، ج 2، ص 463.
- 36 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، ج 5، ص 288
- 37 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 308.
- 38 ابي شامة، عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 1، ص 416.
- 39 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 308.
- 40 الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، بشار عواد معروف، ج 12، ص 22
- 41 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 309
- 42 ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج 4، ص 1652
- 43 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 309
- 44 ابي شامة، عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 1، ص 419.
- 45 الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تدمري، ج 39، ص 386.
- 46 ابن بدران، منادمة الاطلال ومسامرة الخيال، ص 217.
- 47 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 309
- 48 الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، بشار عواد معروف، ج 12، ص 22
- 49 ابن فضل الله، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج 27، ص 78
- 50 الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، ج 1، ص 472.
- 51 محمد كرد علي، خطط الشام، ج 2، ص 33
- 52 الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، ج 1، ص 472
- 53 ابي شامة، عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 1، ص 419.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

- ابن الاثير، عز الدين علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني "ت، 630هـ".
- 1 - الكامل في التاريخ، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، طبعة 1، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، "1997".
- بنيامين، التطيلي الراي بنيامين بن الراي يونة النباري الاسباني، "ت، 569هـ".
- 2 - رحلة بنيامين التطيلي، طبعة 1، المجمع الثقافي أبو ظبي، "2002".
- الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي، "ت، 626هـ".
- 3 - معجم البلدان، طبعة 2، دار صادر بيروت، "1995".
- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي، "ت، 808هـ".
- 4 - تاريخ ابن خلدون، "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، تحقيق/ خليل شحادة، طبعة 2، دار الفكر بيروت، "1988".
- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس احمد بن محمد بن إبراهيم بن ابي بكر البرمكي الاربلي، "ت، 681هـ".
- 5 - وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق/ احسان عباس، دار صادر - بيروت - ج، 1 "1900".
- 6 - وفيات الاعيان، طبعة 1، دار صادر - بيروت، ج، 5، "1994".
- الدمشقي، عبد القادر بن محمد النعيمي، "ت، 927هـ".
- 7 - الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، طبعة 1، دار الكتب العلمية، "1990".
- الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز. "ت، 748هـ".
- 8 - سير اعلام النبلاء، تحقيق/ مجموعة من المحققين بأشراف شعيب الارناؤوط، طبعة 3، مؤسسة الرسالة، "1985".
- 9 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق/ عمر عبد السلام التدمري، طبعة 2، دار الكتب العربي- بيروت، "1993".
- 10 تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق/ بشار عواد معروف، طبعة 1، دار الغرب الإسلامي، "2003".
- سبط ابن العجمي، موفق الدين أبو ذر احمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، "ت، 884هـ".
- 11 كنوز الذهب في تاريخ حلب، طبعة 1، دار القلم حلب، "1417هـ".
- السيراي، أبو زيد حسن بن يزيد، "ت، 330هـ".
- 12 رحلة السيراي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، "1999".

أبي شامة، شهاب الدين أبو قاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، "ت، 665هـ".
13 عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق/ الزبيق، طبعة 1، مؤسسة الرسالة - بيروت، "1997".

ابن العليم كمال الدين، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، "ت، 660هـ".
14 بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق/ د. سهيل زكار، دار الفكر، "د - ت".
ابن فضل الله، شهاب الدين أحمد بن يحيى القرشي العدوي، "ت، 749هـ".
15 مسالك الابصار في ممالك الامصار، طبعة 1، المجمع الثقافي، أبو ظبي "1423هـ".
ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن اسد بن علي بن محمد، التميمي، "ت، 555هـ".
16 تاريخ دمشق تحقيق/ د. سهيل زكار، طبعة 1، دار احسان للطباعة والنشر - دمشق، "1983".
ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك اللخمي الاربلي، "ت، 637هـ".
17 تاريخ اربل، تحقيق/ سامي بن سيد خماس الصقار وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، "1980".

قائمة المراجع الحديثة

- ابن بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد، "ت، 1346هـ".
1 - منادمة الاطلاع ومسامرة الخيال، تحقيق/ زهير الشاويش، طبعة 2، المكتب الإسلامي - بيروت، "1985".
الصابي، علي محمد محمد.
2 - القائد المجاهد نور الدين زنكي شخصيته وعصره، طبعة 1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - مصر، "2007".
3 - عصر الدولة الزنكية، طبعة 1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - مصر، "2007".
4 - صلاح الدين الايوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، طبعة 1، دار المعرفة، بيروت - لبنان، "2008".
5 - الدولة الاموية عوامل الازدهار وتداعيات الانحيار، طبعة 2، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، "2008".
الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، "ت، 1351هـ".
6 - نهر الذهب في تاريخ حلب، طبعة 2، دار القلم - حلب، "1419هـ".
محمد كرد علي، محمد بن عبد الرزاق بن محمد، "ت، 1372هـ".
7 - خطط الشام، طبعة 3، مكتبة النوري - دمشق، "1983".

دور إسماعيل أنور باشا السياسي والعسكري المؤثر في الدولة العثمانية
(1904-1922 م)

م.د. ساهرة حسين محمود

جامعة البصرة / العراق saheraedu@yahoo.com

الملخص بالعربية:

بين طيات أوراق التاريخ العثماني شخصيات تتلى ، كانت قد أثرت في تغير التاريخ والسبب في نشأة الحاضر. وقد نجد إن تلك الشخصيات كانت قد طمرت بشكل كلي ، حيث لا يشار لها إلا بشكل جزئي ، فلم يتم إعطاءها حقها الذي تستحقه . وهناك بعضاً من المؤرخين كانت له نظرة من زاوية واحدة ، قد ظلم بها تلك الشخصية متناسياً وتاركاً ، ما كان لهذه الشخصية من دور سياسي أو عسكري براق ؛ قد سطره من أجل وطنه ومن أجل المبادئ التي كانت الإيدولوجية التي يسير عليها . ومن تلك الشخصيات التي وجدنا بأنها لم تأخذها حقها لإبراز دورها ، في أعظم إمبراطورية كانت ، وفي أصعب الأوقات التي كانت تمر بها هي شخصية إسماعيل أنور باشا.

إن شخصية إسماعيل أنور باشا العسكرية والسياسية ، لعبت دوراً مهماً في نهاية الدولة العثمانية . لقد نشأ في وقت كانت حركة التغريب (العولمة الغربية) ، تفرض نفسها على العالم ، بسبب إن تلك العولمة الغربية كانت تحمل الأفكار القومية والوطنية ، إذ نشأت حركة القوميين الأتراك ، الذين كانوا يدعون إلى القومية التركية والتي تسمى باللغة التركية (Türkçülük) ؛ هذه الحركة التي نتجت عنها الحركة المهمة التي لا تزال أفكارها القومية موجودة في تركيا لحد الآن ، تلك الحركة هي حركة تركيا الفتاة (الاتحاد والترقي) ، والتي كانت بداياتها قد شكلت منذ القرن السابع عشر للميلاد ، عندما قررت الدولة العثمانية بتعليم اللغة الفرنسية وأرسل الطلاب للدراسة في أوروبا . فكانت شخصية إسماعيل أنور باشا في مواجهة ثلاثة تيارات فكرية وهي التيار الإسلامي للدولة العثمانية ومبادئ تلك الدولة والثاني هو المجال العسكري الذي كان يخدمه فيه ، وعليه مواجهة المخاطر التي تواجه السلطنة العثمانية . أما التيار الثالث هو التيار الفكري القومي التركي المتمثل بالاتحاد والترقي . هذا بالإضافة إلى إن إسماعيل أنور باشا كان صهر العائلة السلطانية ، حيث كان زوج حفيذة السلطان عبد المجيد الثاني (1922-1923 م) ، كل تلك الأمور كانت هي المؤثر في رسم حياة إسماعيل أنور باشا العسكرية و السياسية.

وقد نشأ عن هذا البحث المتواضع مقدمة ومحوران وخاتمة وهي :

المحور الأول : إسماعيل أنور باشا حياته الاجتماعية و العسكرية.

المحور الثاني : دوره في السياسة العثمانية .

الكلمات المفتاحية: إسماعيل أنور باشا، الدولة العثمانية ، الاتحاد والترقي .

Ismail Anwar Pasha's Influential Political and Military Role in the Ottoman Empire (1904-1922 A.D.)

Lec.Dr.Sahira Hussein Mahmoud Al-Samri

Basra University / Iraq

saheraedu@yahoo.com

Abstract :

Among the history papers, there are several prominent figures who have influenced the course of history and have a fundamental role in the emergence of the present. And we might see that a large number of them has been forgotten and is rarely mentioned. These personalities did not get their full right of attention and research. Also, some historians have a view from one angle, and he oppressed that character, leaving and forgetting what this character had of the brilliant political or military role he played for the sake of his homeland and for the principles on which he was based. Be guided. And among those personalities that we found that they did not take their right to highlight their role, in the greatest empire, and in the most difficult times they went through, the character of Ismail Anwar Pasha.

Ismail Anwar Pasha's military and political personality played an important role in the end of the Ottoman Empire. It arose at a time when the Westernization movement (Western globalization) was imposing itself on the world, because that Western globalization was carrying national and patriotic ideas, as the movement of Turkish nationalists arose, who were calling for Turkish nationalism, which is called in the Turkish language (Türkçülük) : This group resulted in an important movement whose nationalist ideas still exist in Turkey until now, that movement is the Young Turk movement (Union and Progress), whose roots were dating to the seventeenth century AD, when the Ottoman Empire decided to teach the French language and send students to study in Europe. The personality of Ismail Anwar Pasha was in the face of three ideological currents, which are the Islamic trend of the Ottoman state and the principles of that state, and the second is the military field in which he served, and he had to face the dangers. Facing the Ottoman Sultanate. The third was the Turkish nationalist intellectual trend represented by union and progress. In addition, Ismail Anwar Pasha was the son-in-law of the royal family, where he was the husband of the granddaughter of Sultan Abdul Majid II (1922-1923 AD). All these matters influenced the drawing of Ismail Anwar Pasha's military and political life.

Keywords: Ismail Anwar Pasha's, Ottoman Empire, Union and Progress

المقدمة

الدولة العثمانية في سنواتها الأخيرة كانت هناك عليها تأثيرات إيجابية وتأثيرات أخرى بسبب المستجدات التاريخية غير ايجابية ، ومع ذلك فبين الحين والآخر تظهر هناك عدة شخصيات تتجسد فيها عنوان البطولة والتضحية من أجل الوطن ، وتثبت نظرية أبن خلدون بأن الظروف الصعبة هي من تخلق الرجال. ومن تلك الشخصيات التي رسمت صورة عظيمة إيجابية لبلدها مع ما كان لها من سلبيات بسبب الذات البشرية ، التي جعل الله تعالى فيها الخير والشر والصواب والخطأ ، فسطر لنا التاريخ العثماني شخصيات عظيمة وذو أهمية ومنها شخصية أنور باشا .

لقد خلقت ظروف الدولة العثمانية بطبيعتها التي أتسمت بالقتال والفتح للبلدان ونشر الدين الإسلامي ، شخصية أنور باشا مع الأخذ بنظر الاعتبار المؤثرات العائلي والاجتماعي الذي يدركه ويفهمه الشخص حين بلوغه . فشخصية أنور باشا لقنة عنوان النبيل والشجاعة والشهامة من والده ، الذي كان ذو عمل مهم في الدولة العثمانية ومن بيته وعراقه نسبه ، وتم صقل ذلك بتعاليم الدين الإسلامي وحب البلد والدفاع عنه وعن الشرف والأرض والمقدسات ، بالإضافة إلى دراسته الأكاديمية و الاجتماعية والعسكرية التي جعلته يرتقي في خدمة الدين والدولة .

ولكن مع كل تيار هناك خط أو تيار جانبي ممكن أن يؤدي الزيادة فيه إلى الاتجاه المعاكس في العمل . فقد كان المؤثر الغربي الذي لم يؤثر في أنور باشا فقط ، بل في جميع الذين عاصروه في تلك المدة و اطلعوا على بداية النهضة الأوربية والتراجع الذي تجسد في بلاده . فقد كان عمله ملحقا عسكريا في أحد الدول الأوربية المؤثر الجانبي الذي جعله يفرط في محاولة تغير الظروف السيئة التي تحيط ببلده ، بالإضافة إلى ظهور الفكر القومي والوطني في العالم ، فجعلته بمالملك من صلاحيات أن تكون له سلبيات. يتصطدم الباحث العربي الذي لا يجيد اللغة التركية بقلّة المصادر العربية التي تخص هذه الشخصية العظيمة ، مما يضطره إلى اللجوء للترجمة للأستعانة بالمصادر التركية والأجنبية .

المحور الأول : إسماعيل أنور باشا حياته الاجتماعية والعسكرية

يدعى بأسم أنور باشا وأسمه في سجل الولادات إسماعيل أنور باشا ، كانت مشيئة الرحمن أن يولد في المدة الأخيرة من حياة أهم الدول العظمى حينها ، وهي الدولة العثمانية ليكون فيها الرجل العسكري

والسياسي المؤثر في صناعة الجزء الأخير من تاريخها الطويل⁽¹⁾. فكانت ولادته في 22 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1922م، في منطقة ديوانبولوندا في إسطنبول، والده حاجي أحمد باشا في إنشاءات في منظمة الأشغال العامة (وهو أيضاً أحد المنفيين من مالطا)⁽²⁾ أما والدته هي عائشة ديلارا هانم، ويشاع بأن أمه من أصل ألباني. ويعود نسبه من جهة أبيه إلى أتراك الكافكوز، وتتألف عائلته من خمس أطفال كان هو الأكبر بينهم. عمل والده حاجي أحمد باشا مسؤول علمي في وزارة الأشغال العامة (وزارة الأشغال العامة)، ثم تم تعيينه في الفوج الأمني السلطاني فأصبح باشا مدنياً، وكانت طفولته متوزعة في مدن مختلفة. أما زوجة أنور باشا فهي نجية سلطان أبنه أخت السلطان محمد رشاد (1909-1918م)، وبهذا حصل على تسمية الصهر السلطاني⁽³⁾. ووصفت مجلة التايمز الأمريكية أنور باشا بأنه متوسط القامة، صفاته الجسدية ببشرة ليست أغمق من الجلد الأوروبي، ويحرص على التصرف بحجل، وصاحب قيافة تجذب النساء⁽⁴⁾.

كانت بداية تعليمه الابتدائي بعمر الثالثة في مدرسة قريبة من منزل عائلته، بعدها التحق بمدرسة فاتح الابتدائية وأضطر إلى ترك تلك المدرسة، بسبب أن والده كان قد تم تعيينه في منطقة أخرى تدي (ماناستير). ورغم صغر سنه تم قبوله في عام 1889م، بمدرسة الرشدية مناستير العسكرية (دراسة متوسطة) وتخرج منها عام 1893م، واصل تعليمه بدخوله إلى إعدادية المناستير العسكرية حيث عندما دخلها كان في المركز الخامس عشر، وفي عام 1896م تخرج منها في المركز السادس⁽⁵⁾. وانتقل إلى الكلية الحربية (الأكاديمية العسكرية) وأنهى دراسته فيها عام 1899م، متخرجاً منها برتبة ملازم رابع مشاة، وأثناء دراسته في الكلية الحربية، تم اعتقاله مع عمه خليل باشا الذي كان لا يزال طالباً مثله، وحوكم في محاكم يلدز وأطلق سراحه. وتخرج من أكاديمية الحرب (الأركان الحربية) في 23 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1902م، حاصلاً على المركز الثاني وبرتبة نقيب، وقد تم وضعه قائد للسرية الأولى لفوج ماناستير للمدفعية الثالثة عشر⁽⁶⁾.

بعد خدمته في مختلف الوحدات العسكرية في بيتولا وكوتشان وسكوبي، في عام 1904م، وفي منطقة كولغاسي تم ترقية إلى نقيب متقدم ورائداً في 30 آب / أغسطس عام 1906م، وفي تشرين الأول / أكتوبر عام 1907م، تم تكليفه بمطاردة قطاع الطرق في ماناستير. أستمّر في منصبه هذا حتى عام 1908م، فكان يجاهد ضد العصابات البلغارية. ولعب دوراً مهماً في تطوير فكرة القومية، وأصيب

في ساقه أثناء الاشتباكات معهم ومكث بالمستشفى لمدة شهر، بسبب عمله في هذه المنطقة ، فحصل على وسام الاستحقاق المجيدية الرابعة والثالثة الذهبي و وسام العثمانية الرابع⁽⁷⁾.

(1) أحداث 31 آذار/ مارس عام 1909 م الإسطنبولية

في 5 آذار/ مارس عام 1909 م ، تم تعيين أنور باشا ملحقاً عسكرياً في برلين ، وبهذا قد تعرف على الثقافة الألمانية وتأثر بها . عاد بها مؤقّتاً إلى بلاده بسبب اندلاع حادثة 31 مارس في إسطنبول. فالتحق بالقوات العسكرية التي كانت بقيادة محمود شوكت باشا ، التي تم تحريكها من سالونيك إلى إسطنبول لقمع التمرد، بينما كان جيش أخمد العصيان يستعد لدخول إسطنبول تغيرت القيادة فتم تعيين محمود شوكت باشا قائدا للجيش ، و تولى أنور باشا رئاسة أركان الحركة بدلاً عن مصطفى كمال بك القولغاسي⁽⁸⁾ . أمر محمود شوكت باشا الجيش بالتقدم إلى إسطنبول ليلة 23 -24 نيسان / أبريل . كانت أكثر نقاط المقاومة شدة للمتمردين في ثكنات المناطق تاشكيشلا وداود باشا وتقسيم ، وأستمرت الاشتباكات الدموية على مدار اليوم، بعد أن قمع جيش الحركة التمرد في إسطنبول ، توجهت قواته إلى قصر يلدز، بعد يومين من الحصار في 27 نيسان / أبريل ، دخل جيش أخمد التمرد القصر وسيطر عليه بعد قمع التمرد ، تم عزل السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909 م) ، وحل محله السلطان محمد رشاد ، في حكومة إبراهيم حقي باشا التي تم تشكيلها و تسليم منصب وزير الحرب إلى محمود شوكت باشا ، وليس إلى أنور باشا كما كان متوقعاً⁽⁹⁾ . وعند حدوث تمرد في شكودرا عام 1911 ، عاد أنور باشا إلى البلاد مرة أخرى وعمل على قمع التمرد ، على الرغم من أنه أُنقل إلى برلين بعد قمع التمرد ، إلا أنه عاد عند هجوم الإيطاليين على ليبيا⁽¹⁰⁾ .

(2) حرب طرابلس الغرب

تم قبول أعضاء لجنة الاتحاد والترقي فكرة أنور باشا والتي تتلخص في شن حرب عصابات ضد الإيطاليين ، وشرعوا بسرعة بأرسال قادة كانت قد برزت أسمائهم في ساحات القتال أمثال السيد مصطفى كامل القولاغسي والرائد فتحي اقيار الذي كان الملحق العسكري العثماني في باريس. أنطلق أنور باشا بتاريخ 25 أيلول/ سبتمبر عام 1911 م ، على متن سفينة من إسطنبول و كان متخفياً ، حيث سافر متنكراً أولاً بزي طبيب ثم تاجر سوري ، فوصل الإسكندرية بتاريخ 15 تشرين الأول/ أكتوبر عام

1911 م ، وبعد رحلة صعبة للغاية على الجمال ، عبر إلى طرابلس الغرب في 22 تشرين الأول/ أكتوبر عام 1911 م ⁽¹¹⁾ . ترأس القوات في بنغازي ودرة ، وتمكن من حشد 20 ألف شخص بالكرامة التي اكتسبها من خلال كونه صهر الأسرة الحاكمة وسيطر على المنطقة بطبع النقود باسمه ⁽¹²⁾ . وبعد عام من الصراع غادر المنطقة بتاريخ 25 تشرين الثاني / نوفمبر عام 1912 م ، حيث تم استدعاؤه إلى إسطنبول مع ضباط أترك آخرين عند بدء حرب البلقان ، و تمت ترقيته إلى رتبة مقدم في عام 1912 م ، بسبب بسألته القتالية ضد القوات الإيطالية ⁽¹³⁾ .

(3) حرب البلقان وهجوم الباب العالي

مع حدوث حرب البلقان الأولى غادر أنور باشا مع زملاءه من الضباط مدينة بنغازي الليبية ، هذا وقد أستطاع أنور باشا أن يلعب دوراً مهماً في إيقاف تقدم جيوش العدو في منطقة جاتالاجا ، ومع نهاية حرب البلقان الأولى بحزيمة الدولة العثمانية ، كانت مفاوضات مؤتمر لندن تقترب فيها موافقة المندوب كامل باشا حول منطقة مدييه وعينز المقترحة لهم في المؤتمر المذكور. فقرر الاتحاديين مع أنضمام أنور باشا إليهم في الاجتماع الذي عقد بينهم ، على أن يتم الضغط على الحكومة عن طريق إقامة إنقلاب ⁽¹⁴⁾ . وبتاريخ 23 كانون الثاني / يناير عام 1913 م ، وقعت غارة على الباب العالي وقد كان أنور باشا يتمتع بالدور القيادي في هذه العملية و خلال هذا الهجوم قتل وزير الحرب ناظم باشا من قبل أحد الاتحاديين و كان يدعى يعقوب جميل ، مما أجبر أنور باشا محمد كامل باشا أن يوقع أستقالته وقام بزيارة السلطان وأستطاع أن يقنعه أن يصبح محمود شوكت باشا وزير أعظم ؛ وبهذا كان أستيلاء لجنة الاتحاد والترقي على السلطة عن طريق هذا الأنقلاب العسكري ⁽¹⁵⁾ .

بعد هذه الأحداث لم يختار أنور باشا مقاومة البلقان في الجبهات ، بل توجه إلى منطقة أدرنه ومع أنتصاره وقدرته على تحرير المنطقة ، وذلك قد أدى إلى زيادة شهرته ومكانته ، ولأجل ذلك حصل على لقب (فاتح أدرنه) ، و تمت ترقيته إلى رتبة عقيد بتاريخ 18 كانون الأول / ديسمبر عام 1913 م ⁽¹⁶⁾ ، وبعدها بمدة قصيرة ترقى إلى رتبة جنرال بتاريخ 5 كانون الثاني / يناير عام 1914 م ، بعد ذلك مباشرة أصبح وزيراً للحرب ، خلفاً لأحمد عزت باشا الذي أستقال . و في هذه الأثناء بتاريخ 5 آذار/ مارس 1914 م ، علم تزوج أنور باشا من أمينة ناسية سلطان ، ابنة شقيق السلطان محمد رشاد ، في

حفلة زفاف أقيم في قصر دامات فريد باشا في بالتاليماني ، وأصبح "داماد شاهرياري" أي (صهر السلطان) ⁽¹⁷⁾.

(4) أنور باشا وزير الدفاع

من بعد أن أصبح أنور باشا وزير للدفاع تجسدت أفكاره ، التي يتشارك فيها مع الاتحاديين في التجديد والتطوير ، من خلال إصلاحاته في الجيش العثماني ، وأجرى بعض الترتيبات في الجيش فقام بتطهيره من أكثر من ألف ضابط عجوز وضع الضباط الشباب في مناصب مهمة ⁽¹⁸⁾ ، وبسبب عمله ملحقاً عسكرياً في ألمانيا سابقاً ، وتأثره بالثقافة الألمانية طبق الأسلوب الألماني بدلاً من النموذج الفرنسي في نظام الجيش ، وكذلك قام بتعيين العديد من الضباط الألمان كمستشارين في الجيش العثماني ، و قام بفصل معظم ضباط الفوج وعمل على تحديد شباب الجيش ⁽¹⁹⁾ . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل قام بتغيير الزي الرسمي للقيافة العسكرية العثمانية ؛ و حاول زيادة معرفة القراءة والكتابة في الجيش ولهذا الغرض طبق ابجدية للحروف وقد سميت بالكتابة الأنورية ، وأستمرت وزارة الحرب تحت إدارة أنور باشا في حكومة سعيد حليم باشا ، التي تأسست بعد اغتيال محمود شوكت باشا ، و حكومة طلعت باشا التي شكلت في عام 1917 م ، حتى 14 تشرين الأول / أكتوبر عام 1918 م ⁽²⁰⁾.

(5) أنور باشا والحرب العالمية الأولى

أن العزلة على الساحة الدولية والرغبة في التخلص من الضغط الاقتصادي ، لبريطانيا العظمى وفرنسا في المقام الأول ، الذي دفع الإمبراطورية العثمانية إلى الاتفاق مع ألمانيا . وكانت جمعية الاتحاد والترقي قد وظفت أنور باشا لأجل ضمان الاتفاق مع ألمانيا ، بأعبائه كان قد عمل ملحقاً عسكرياً في برلين ، وفي بداية الأمر رفض السفير الألماني في إسطنبول (هانس فون) تدخل ومقترحات أنور باشا ، ولكن بسبب ضغط سلطات مملكة النمسا - المجر على ذلك السفير ، تم توقيع الاتفاق بتاريخ 2 آب / أغسطس عام 1914 م ، و بالرغم من كون هذا الاتفاق سرياً ، إلا ان الدولة العثمانية حاولت المحافظة على حياديتها ، وكانت تعلن لسفراء الدول عن ذلك باستمرار . إلا أن الحدث الأهم الذي أدخل الدولة العثمانية في الحرب كان فتح مضيق الدردنيل لمرور سفينتين ألمانيتين ، إلى البحر الأسود وقصف الموانئ الروسية ⁽²¹⁾ . وكانت هاتان السفينتان قد هربتا من البحرية البريطانية ، ودخلتا المياه الإقليمية العثمانية

ووصلت إلى مضيق الدردنيل بتاريخ 10 آب / أغسطس عام 1914م. وأحضرت سفينة إرشادية عثمانية هذه السفن التي لجأت إلى الدردنيل إلى منطقة آمنة ، مروراً بحقول الطوربيد التي كانت موجودة سابقاً في المضائق ، وتم حفظ تلك السفينتين بأذن من أنور باشا ، ولأجل التهرب من مسؤولية الحادث تم شراء تلك السفينتين من المانيا⁽²²⁾.

وبعد منح الموافقة للقيصر الروسي لمهاجمة ميناء سيفاستابول (Sivastapol) ، وبذلك دخلت الدولة العثمانية الحرب رسمياً بتاريخ 29 تشرين الاول / أكتوبر عام 1914 م ، وخلال ذلك أنعدم التمويل العثماني وخسرت البلقان ومصر وطرابلس، وعلى الرغم من هذا الضعف العسكري نتيجة حروب البلقان التي مرت بها الدولة العثمانية ، تم إصلاح هذا الهيكل في أقل من عامين بفضل لجنة الأتحاد والترقي ، وتم إثبات النجاح في إنشاء جيش جديد . كما غيرت حكومة الأتحاد والترقي نظام الفوج في هيكل الجيش وأرسلت الضباط المدرسين إلى الوحدات الفعالة ، وإحالة ضباط الفوج الكبار في السن إلى التقاعد أو نقلهم في الوحدات الخلفية ، ومع ذلك لا يمكن رؤية التغيير الإيجابي في هيكل الموظفين العسكريين من الناحية التكنولوجية والأسلحة بسبب عدم كفاية الموارد المالية⁽²³⁾.

كما تمت ترقية رتبة أنور باشا إلى رتبة جنرال عند القبض على الجنرال البريطاني تاونشند في كوت العمارة عام 1917 م ، والنجاحات التي تحققت ضد الروس في جبهة القوقاز . و بعد الحرب العالمية الأولى تولى أنور باشا إدارة العملية العسكرية كوزير للحرب ، وقد شيع بأنه دمية المانية يحاول تلبية رغباتهم ، وذلك ليس صحيحاً فقد أظهرت الوثائق الألمانية نفسها ، أن أنور باشا كان في صراع مع المسؤولين العسكريين الألمان حول قضايا مختلفة⁽²⁴⁾ . وكانت القيادة الفعلية الوحيدة لأنور باشا خلال الحرب العالمية الأولى على الجبهة القوقازية ، على الرغم من اعتراضات القادة في الجبهة على ذلك ، إلا أنه واصل العمليات العسكرية القيادية في ظل ظروف شتوية قاسية ، وغادر الجبهة بتاريخ 10 كانون الثاني / يناير عام 1915 م ، عندما قتل جزء كبير من الجيش قوامه نحو 90 ألف جندي ، بسبب تجاهلهم في منطقة ساريكاميش في الدولة العثمانية وقد عرفت هذه الحادثة بأسم (عملية ساريكاميش) أو من أستشهد على أيدي الروس ، بصرف النظر عن هذا أتهزت هيبة أنور باشا ، الذي لم يكن بمثابة نشطاً خلال هذه الحرب بسبب هذه الهزيمة. و مع أستقالة حكومة طلعت باشا بتاريخ 14 تشرين الأول/ أكتوبر عام 1918 م ، أنهت وزارة الحرب في عهد أنور باشا⁽²⁵⁾.

المحور الثاني : دوره في السياسة العثمانية

(1) أنور باشا وتهجير الأرمن

كان أنور باشا على علم بأن الأرمن المحليين قاتلوا جنبا إلى جنب مع الجيوش الروسية ، ضد الإمبراطورية العثمانية خلال حرب 93 عامي (1877-1878 م) ، وأنهم قد تمردوا في الجزء الخلفي من الجبهة ، طلب ببرقية سرية أرسلها إلى وزير الداخلية طلعت باشا بتاريخ 2 أيار/ مايو عام 1915م ، بإخراج الأرمن المتمردين من المنطقة . وبدأت الممارسة المعروفة باسم "إعادة توطين الأرمن" من قبل طلعت باشا، وتم سن قانون الترحيل ودخل حيز التنفيذ في 27 أيار/ مايو 1915 م (26).

(2) أنور باشا ونشاطاته خارج البلاد

هرب أنور باشا مع قادة آخرين من لجنة الاتحاد والترقي بتاريخ 1-2 تشرين الثاني / نوفمبر عام 1918م ، على متن غواصة ألمانية من أرنافوتكوي إلى أوديسا وعلى أثر ذلك ، تم تسريح أنور باشا من الجيش بتاريخ 1 كانون الثاني / يناير 1919م . فكان أنور باشا أكثر الناشطين والمغامرين من الاتحاديين الذين تركوا البلاد ، و بعد أن ترك أنور باشا أصدقائه في سيفاستابول خطط للذهاب إلى القوقاز، و كان السبب الرئيس لذلك هو الاستيلاء على القوات التي تتكون من الجيشين اللذين أسسهما في الشرق وتشكيل حكومة مؤقتة مركزها باكو؛ وهكذا سيحاول استعادة الوطن بقواته ، لهذا ترك طلعت باشا مجموعته (27).

تمكن أنور باشا من الوصول إلى موسكو بعد رحلة مغامرة، بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى موسكو في منتصف عام 1920 م ، كانت القوقاز تحت الحكم البلشفي، فذهب أنور باشا مع جمال باشا و بدري بك إلى أفغانستان، حيث كان دكتور بهاتين شاكروخليل باشا هناك ورحب قادة البلاشفة بأنور باشا ، حيث التقى بأشهر القادة الشيوعيين مثل لينين ورايك وتشيتشيري وزينوفيف (28).

سافر من باكو إلى موسكو في شهر تشرين الأول / أكتوبر عام 1920 م ، ومن هناك إلى برلين وروما، وبعدها عاد إلى باتومي عبر برلين وموسكو وخطط للعبور إلى الأناضول ، ولم يستطع أنور باشا شق طريقه إلى الأناضول ، إثر موقف أنقرة من الاتحاديين ومنه والإجراءات التي اتخذها نائب محافظ طرابزون سامي ثابت بك ، والنجاحات السياسية التي تطورت بعد أنتصار سكاريا. توجه أنور باشا أولاً

نحو آسيا الوسطى مع الروس وجاء إلى طشقند في تشرين الأول/ أكتوبر عام 1921 م ، عبر تبليسي وباكو وعشق أباد وميرف ، فغادر طشقند في 8 تشرين الثاني / نوفمبر عام 1921 م ، قائلاً إنه ذهب للصيد مع مجموعة مؤلفة من ثلاثين شخصاً⁽²⁹⁾.

بعد أن غادر أنور باشا طشقند ، بدأ في قيادة الحركات الوطنية التركستانية ضد الروس ، في بخارى الشرقية ، وجمع قبائل البسمشة وتولى قيادة زمام الأمور، فكانت الأصطدامات الأولى ناجحة ، ومع ذلك فإن نجاحهم لم يدم طويلاً وتم إطلاق النار عليه في 4 آب/ أغسطس عام 1922 م ، خلال الهجوم ضد القوات البلشفية بالقرب من دوشانبي⁽³⁰⁾.

(3) أعماله في تنظيم الاتحاد والترقي

بدأ أنور باشا الذي قضى شتاء عامي (1918-1919 م) ، في برلين بإخفاء هويته ، في إعادة تنظيم الاتحاد والترقي ، فالتقى بالسياسي والصحفي السوفيتي كارل راديك ، الذي كان في برلين للمشاركة في الانتفاضات الثورية في ألمانيا ، وبدعوة منه أنطلق إلى موسكو ، و في محاولته الثالثة تمكن من السفر إلى موسكو في عام 1920 م ،⁽³¹⁾ حيث التقى وزير الخارجية السوفيتي شيشيرين ، وكذلك التقى بلينين ومثل ليبيا وتونس والجزائر والمغرب في المؤتمر الأول لشعوب الشرق الذي انعقد في باكو بتاريخ 1-8 أيلول / سبتمبر عام 1920 م ، إلا أن هذا المؤتمر لم يحقق نتائج مهمة ، فعاد إلى برلين في تشرين الأول / أكتوبر عام 1920 م . وبعد اغتيال طلعت باشا في 15 آذار/ مارس عام 1921 م ، أصبح القائد الرئيس للجنة الاتحاد والترقي⁽³²⁾.

التقى أنور باشا ، الذي ذهب إلى موسكو مرة أخرى في عام 1921 م ، مع المندوبين الأتراك برئاسة بكير سامي بك ، الذين أرسلتهم حكومة أنقرة إلى موسكو ، على الرغم من رغبته في الانضمام إلى حركة النضال الوطني في الأناضول ، إلا أنه لم يتم قبوله ، فأراد بعض النقيابين السابقين في الجمعية الوطنية التركية الكبرى منه ، أن يحل محل مصطفى كمال باشا. وفي تموز / يوليو عام 1921 م ، اجتمعت لجنة الاتحاد والترقي في باتومي ، كان أنور باشا يأمل في دخول الأناضول كمنقذ عندما بدأ الهجوم اليوناني على أنقرة في 30 تموز / يوليو ، إلا أن هذا الأمل قد تلاشى مع الانتصارات المتحققة في ساحة معركة سقاريا⁽³³⁾.

(4) جهوده لتأسيس اتحاد إسلامي

بهدف توحيد مسلمي آسيا الوسطى ضد الاستعمار البريطاني ، وإقامة اتحاد إسلامي في تشرين الأول / أكتوبر عام 1921 م ، ذهب أنور باشا من باتومي إلى بخارى مع مجموعة من الأتباعين و كوشوباشي حاجي سامي وهو أحد القادة السابقين لتنظيم (تشكيلاتي مخصوصة) الموصوفين بتأسيس الاتحاد الإسلامي⁽³⁴⁾، وكتب المؤرخ مراد بردقجي ، بان لديه وثائق مكتوبة بخط اليد تعود لأنور باشا يؤكد فيها : " بأنه ليس من أصحاب الحركة الطورانية ، ولكنه إسلامي ، وأنه قد بذل جهودًا كبيرة لتأسيس الدولة الإسلامية ودعم حركة البصمجية ، الذين قاتلوا ضد الروس ، وكان قد دعم انقلاب البصمجية " ⁽³⁵⁾. في شباط / فبراير عام 1922 م ، أستولى على منطقة دوشانبي مع قوات البسماشي التي كان قد جمعها تحت قيادته ، وأستولى على الحامية السوفيتية هناك. ثم سار نحو خراسان وطلب من قوات الجيش الأحمر الانسحاب من بخارى وخراسان. و بعد هزيمته في معركة كفيران في 28 حزيران /يونيو عام 1922م، فأضطر إلى التراجع باتجاه الجبال⁽³⁶⁾. خلال عيد الأضحى في 4 آب /أغسطس عام 1922 م ، في طاجيكستان بالقرب من بلجيككا ، وفي قتال ضد البلاشفة الروس بقيادة أغوب ملكوفيان ، قُتل بقذيفة هاون ودُفن في قرية جيحين⁽³⁷⁾ ، وتم نقل رفاته إلى إسطنبول على متن طائرة عسكرية في 3 آب / أغسطس عام 1996 م ، ودفن بعد صلاة الجنازة في 4آب / أغسطس عام 1996 م ⁽³⁷⁾.

الخاتمة

يتناول البحث موضوع شخصية أنور باشا وهو جزء مهم من تاريخ الدولة العثمانية، حيث يسلط الضوء على شخصية تعتبر من الشخصيات الهامة على الإطلاق ، والتي قد تكون أهميتها تفوق سلاطين الدولة أنفسهم ، وتشكلت شخصية أنور باشا بين مزيج من التنوع ، حيث كان هذا الرجل من القادة العسكريين العثمانيين الأوائل والمتقدمين في ساحات المعركة ، هذا ومع أنتمائه لجمعية الاتحاد والترقي ومن ثم أخذ في الارتقاء في المناصب حتى تولى أخيراً وزارة الحربية . فوقعته هذه الشخصية بين المحافظة على النظام السلطاني العثماني ، بما يتوجب عليه قسمه العسكري وبين التيار الفكري المتجدد القومي ، الذي ينادي بالقومية التركية والمتمثل بجمعية الاتحاد والترقي ، وبين هذا الصراع كانت شخصية أنور باشا متوازنة ومع ظهور عامل جديد يرجح الطرف السلطاني وهو زواجه من بيت العائلة السلطانية ،

وشاءت الأقدار أن يصبح حامل لقب الصهر السلطاني . إلا أننا نرى أنه مع هذا التطور الأخير أن أنور باشا له تأثير في صدور الفرمانات العثمانية ، وأحداث العديد من التطورات والتغيرات في الإمبراطورية العثمانية ، الأمر الذي جعلته من الشخصيات المؤثرة في الدولة العثمانية ، نظراً لأنه أصبح فرداً من تلك العائلة السلطانية .

أما العامل الآخر الذي أثر في شخصية أنور باشا وهو مستحدث ، فهو تأثره بالثقافة الألمانية بسبب عمله ملحقاً عسكرياً في برلين ، فبهذا قد زادت أرحية الميول للتجديد والتطور والخروج من القالب العثماني القديم ، مع أنه حاول الموازنة في ذلك إلا أنه يلاحظ عليه بعض الأخطاء التي ارتكبها ، تشير إلى ميوله إلى جهة الاتحاد والترقي ، ومن تلك الأخطاء التي قصمت ظهر الدولة العثمانية مشاركته في الانقلاب على الباب العالي ، لأجل الضغط على مفاوضات الحكومة في مؤتمر لندن ، والخطأ الثاني بسبب الغرور العسكري لديه كان من أسباب دخول الدولة العثمانية إلى الحرب العالمية الأولى عام 1914 م .

تلخص الحياة العسكرية لأنور باشا بتخرجه من المدرسة العسكرية ، ثم التحاقه بجمعية الاتحاد والترقي ، وشارك مع باقي الأعضاء في الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ م ، التي طلبت من السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909 م) ، وإعادة الدستور . كما أكتسب شهرة في عام ١٩١١ م ، بعد عودته من ليبيا عند سماعه هناك بأخبار عن نية الحكومة العثمانية تسليم أدرنه إلى البلغار ، لهذا قام مع بعض الجنود بأقتحام مجلس الوزراء ، وأطلاق النار على ناظم باشا ووقتها حاول الاتحاديون تلفيق تلك التهمة لشخص آخر ، ولكن لما ثبتت عليه تلك التهمة تمكنوا من إقناع السلطان محمد رشاد الخامس (1909-1918 م) ، بإصدار فرمان للعفو عنه ، وهو من الفرمانات التي قلما يصدرها السلطان . وقد تلا تلك الأحداث حرب البلقان الأولى والثانية وما أبداه أنور من دور هام في هذه الأحداث ، حتى فتحه لمدينة أدرنه وإسترجاعها ، كان له الصدى الأكبر في الساحة السياسية التركية ، وهو ما هبأه لتولي المناصب الأعلى فيما بعد . والجدير بالذكر أن أنور باشا وباقي زعماء جمعية الاتحاد والترقي عندما تولوا زمام الحكم كانوا عديمي الاحترام للدستور .

ولقد كان للذكاء الذي أتصف به قد جعله يصل للمناصب العليا في شبابه ، فتم إعطاؤه قيادة الجيش كاملة بالرغم من أنه لم يقيم حتى بقياده كتيبة في الجيش العثماني ، بل وبعد مدة وجيزة صار ناظراً

للحرية، ومع ذلك نجح في تجهيز الجيش العثماني بصورة جيدة خلال مدة قصيرة جداً ، بجهود جبارة وتمكن من تأسيس قوة برية ذات طاقة حربية عالية وأزال هزيمة حرب البلقان . لقد كان لأنور موقفاً مختلفاً عن أي رجل سياسي عثماني ، فكان أنور باشا أول من سنّ نظام ترحيل الأرمن في الدولة العثمانية ، وذلك كإجراء وقائي للدولة العثمانية ، ولكنه لم يكن أول من يعمل به في ذلك العصر بل سبقته روسيا القيصرية بذلك مع أرمن روسيا بإبعادهم عن مناطق الحرب.

الهوامش

- (1) Şimşir, Bilal N. Malta sürgünleri, Bilgi Yayınevis, Ankara,2009,s.50 .
- (2) M. Şükrü Hanioglu, Enver Paşa, Türkiye Diyanet Vakfı ,İslam Ansiklopidisi 11. Cilt ,s.262.
- (3) Mazower, Mark (2004), Salonica, City of Ghosts: Christians, Muslims and Jews 1430-1950, HarperCollins, s. 255.
- (4) Yavuz Haykır , THE NEW YORK TIMES'TA İSYANDAN İKTİDARA ENVER PAŞA , Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi ,Yıl/Year: 2019 – Sonbahar ,Sayı, 45. S.375.
- (5) Aydemir, Şevket Süreyya , Makedonya'dan Ortaasya'ya Enver Paşa, Remzi Kitabevi, İstanbul, 1992.s.100.
- (6) İlyas Kara, Basmacılık Hareketi'nde Enver Paşa'nın Rolü, Mimar Sinan Güzel Sanatlar Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Tarih Anabilim Dalı Ortaçağ Tarihi Programı Yüksek Lisans Tezi, İstanbul 2009,s.35.
- (7) Kösoğlu, Nevzat ,Şehit Enver Paşa.: Ötüken Neşriyat, İstanbul, 2013,s.20
- (8) M. Şükrü Hanioglu, Enver Paşa, Türkiye Diyanet Vakfı ,İslam Ansiklopidisi 11. Cilt ,s.262.
- (9) Aysal, Necdet. "Örgütlenmeden Eyleme Geçiş: 31 Mart Olayı" ,TTK ,Ankara ,2015,s.75.
- (10) عبد المولى صالح الحرير ، مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب ، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي ، ليبيا ، 1979 ، ص 20 .
- (11) Aydemir, Şevket Süreyya. Enver Paşa Cilt II, Remzi Kitabevi, İstanbul, 2013,s.42.
- (12) Enver Paşa'nın Trablusgarp Günlüğü, Türk Tarih Kuram Yayınları, İstanbul, 2015, s. 124.
- (13) Ahmet Altıntaş, Osmanlı İmparatorluğu'nun Tehcir Kararı Alması ve Uygulanması, Afyon Kocatepe Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi, Cilt 7, Sayı 1, Haziran 2005,s.50.

- (14) Cemil Paşa , İstibdat – Meşrutiyet – Cumhuriyet Devrinde 80 Yıllık Hatıralarım, İstanbul Üniversitesi Yayınları ,İstanbul ,1982 ,s.35.
- (15) A. F. Türkgeldi, Görüp İşittiklerim, s. 78-79
- (16) Y. H. Bayur, Türk İnkılabı Tarihi, TTK,Ankara,2010,s.270
- (17) Hanefi Bostan, Said Halim Paşa,İrfan Yapımcılık ve Ticaret ,İstanbul 2005, s. 36-37.
- (18) M. Şükrü Hanioğlu, Kendi Mektuplarında Enver Paşa,Der Yayınları :61, İstanbul, 1989, s. 253
- (19) Mehmet Burak . Durdu, Enver Paşa'nın Hayatı ve İngiliz Belgelerindeki Düşün Raporu, Kastamonu Eğitim Dergisi Cilt 13 No:1 Mart 2005
- (20) M. Şükrü Hanioğlu,a.g.e.s.253
- (21) İbrahim Kamil, Enver Paşa'nın Birinci Dünya Savaşı Sırasında Balkanları Tefteşi İle İlgili Bilinmeyen İki Belge, Trakya Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi 83 ,Aralık 2016 Cilt 18 Sayı 2.s.79.
- (22) Hüseyin Cahit Yalçın, Talat Paşa'nın Hatıraları, Cumhuriyet Kitapları,Ankara, 1999, s. 26.
- (23) Joseph Pomiankowski, Osmanlı İmparatorluğu'nun Çöküşü “1914-1918 I. Dünya Savaşı”, Çev: Kemal Turan, İstanbul, 1990, s. 78-79.
- (24) M. Şükrü Hanioğlu,a.g.e.s.260.
- (25) Armaoğlu, Fahir, 20. Yüzyıl Siyasî Tarihi (1914-1995), 19. Baskı, Timaş Yay., İstanbul, 2014,s.25.
- (26) Ahmet Altıntaş, Osmanlı İmparatorluğu'nun Tehcir Kararı Alması ve Uygulaması, Afyon Kocatepe Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi, Cilt 7, Sayı 1, Haziran 2005,s.15.
- (27) Tarık Zafer Tunaya, Siyasal Partiler, C. III,İletişim Yayınları ,ankara ,2010 s. 574-575.
- (28) Hasan Ünal, İttihat ve Terakki Liderlerinin I. Dünya Savaşı Sonrası Yurt Dışı Faaliyetleri (1918-1922), (Yayımlanmamış Yük. Lis. Tezi) Ankara 1985, s. 130-147.
- (29) Cabir Doğan, Enver Paşa'nın Yurt Dışındaki Hayatı ve Mücadelesi, (Süleyman Demirel Üniversitesi Sos. Bil. Ens. Yayımlanmamış Yük. Lis. Tezi) Isparta, 1998, s. 81-120.
- (30) Tarık Zafer Tunaya,a.g.e.s.575
- (31) Hasan Ünal,a.g.e.s.140.
- (32) Tarık Zafer Tunaya, Türkiye'de Siyasal Partiler 3: İttihat ve Terakkî: Bir Çağın, Bir Kuşağın, Bir Partinin Tarihi, İstanbul 1989,s.58.
- (33) Zafer Toprak, “İttihat ve Terakkî'nin Paramiliter Gençlik Örgütleri”, Boğaziçi Üniversitesi Dergisi, VII, İstanbul 1979, s. 95-113.

- (34) M. Şükrü Hanioğlu , İttihat ve Terakkî , Türkiye Diyanet Vakfı ,İslam Ansiklopidisi 11. Cilt ,s.467.
- (35) H. B. Paksoy, Türk tarihi toplumların mayası ve uygarlık, Kültür Sanal Yayınları ,İzmir, 1997,s.170.
- (36) Cabir Doğan, a.g.e. s. 81-120.
- (37) M. Şükrü Hanioğlu,a.g.e.s.6.
- (38) Fahri Türk, Enver Paşa'nın Naaşının Tacikistan'dan Türkiye'ye Getirilişinin Türk Basınında Yansımaları, Trakya Üniversitesi yayınları , Trakya ,2015.s.50.

المصادر

- (1)Ahmet Altıntaş, Osmanlı İmparatorluğu'nun Tehcir Kararı Alması ve Uygulaması,Afyon Kocatepe Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi, Cilt 7, Sayı 1, Haziran, 2005.
- (2)Armaoğlu, Fahir, 20. Yüzyıl Siyasî Tarihi (1914-1995), 19. Baskı, Timaş Yay., İstanbul, 2014
- (3)Aydemir, Şevket Süreyya, Makedonya'dan Ortaasya'ya Enver Paşa, Remzi Kitabevi, İstanbul, 1992.
- (4)Aydemir, Şevket Süreyya. Enver Paşa Cilt II, Remzi Kitabevi, İstanbul, 2013
- (5)Aysal, Necdet. "Örgütlenmeden Eyleme Geçiş: 31 Mart Olayı", TTK ,Ankara ,2015.
- (6)Cabir Doğan, Enver Paşa'nın Yurt Dışındaki Hayatı ve Mücadelesi, (Süleyman Demirel Üniversitesi Sos. Bil. Ens. Yayınlanmamış Yük. Lis. Tezi) Isparta, 1998.
- (7)Cemil Paşa , İstibdat – Meşrutiyet – Cumhuriyet Devrinde 80 Yıllık Hatıralarım, İstanbul Üniversitesi Yayınları ,İstanbul ,1982.
- (8)Enver Paşa'nın Trablusgarp Günlüğü, Türk Tarih Kuram Yayınları, İstanbul, 2015.
- (9)Fahri Türk, Enver Paşa'nın Naaşının Tacikistan'dan Türkiye'ye Getirilişinin Türk Basınında Yansımaları, Trakya Üniversitesi yayınları , Trakya ,2015.
- (10)H. B. Paksoy, Türk tarihi toplumların mayası ve uygarlık, Kültür Sanal Yayınları ,İzmir, 1997.
- (11)Hanefi Bostan, Said Halim Paşa,İrfan Yapımcılık ve Ticaret ,İstanbul 2005.
- (12)Hasan Ünal, İttihat ve Terakki Liderlerinin I. Dünya Savaşı Sonrası Yurt Dışı Faaliyetleri (1918-1922), (Yayımlanmamış Yük. Lis. Tezi), Ankara 1985.
- (13)Hüseyin Cahit Yalçın, Talat Paşa'nın Hatıraları, Cumhuriyet Kitapları,Ankara, 1999.
- (14)İbrahim Kamil, Enver Paşa'nın Birinci Dünya Savaşı Sırasında Balkanları Teftişi İle İlgili Bilinmeyen İki Belge, Trakya Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi 83 ,Aralık 2016 Cilt 18 Sayı 2.

- (15) İlyas Kara, Basmacılık Hareketi'nde Enver Paşa'nın Rolü, Mimar Sinan Güzel Sanatlar Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Tarih Anabilim Dalı Ortaçağ Tarihi Programı Yüksek Lisans Tezi, İstanbul 2009.
- (16) Joseph Pomiankowski, Osmanlı İmparatorluğu'nun Çöküşü "1914-1918 I. Dünya Savaşı", Çev: Kemal Turan, İstanbul, 1990,
- (17) Kösoğlu, Nevzat , Şehit Enver Paşa, Ötüken Neşriyat, İstanbul, 2013.
- (18) M. Şükrü Hanioğlu , İttihat ve Terakkî , Türkiye Diyanet Vakfı ,İslam Ansiklopidisi 11. Cilt .
- (19) M. Şükrü Hanioğlu, Enver Paşa, Türkiye Diyanet Vakfı ,İslam Ansiklopidisi 11. Cilt .
- (20) M. Şükrü Hanioğlu, Kendi Mektuplarında Enver Paşa, Der Yayınları :61, İstanbul, 1989, s. 253
- (21) Mazower, Mark (2004), Salonica, City of Ghosts: Christians, Muslims and Jews 1430-1950, HarperCollins.
- (22) Mehmet Burak . Durdu, Enver Paşa'nın Hayatı ve İngiliz Belgelerindeki Düşün Raporu, Kastamonu Eğitim Dergisi Cilt 13 No:1 Mart 2005
- (23) Şimşir, Bilal N. Malta sürgünleri, Bilgi Yayınevi, Ankara, 2009.
- (24) Tarık Zafer Tunaya, Siyasal Partiler, C. III, İletişim Yayınları ,ankara ,2010 .
- (25) Tarık Zafer Tunaya, Türkiye'de Siyasal Partiler 3: İttihat ve Terakkî: Bir Çağın, Bir Kuşağın, Bir Partinin Tarihi, İstanbul 1989.
- (26) Y. H. Bayur, Türk İnkılabı Tarihi, TTK, Ankara, 2010.
- (27) Yavuz Haykır , THE NEW YORK TIMES'TA İSYANDAN İKTİDARA ENVER PAŞA , Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi , Yıl/Year: 2019 – Sonbahar , Sayı, 45.
- (28) Zafer Toprak, "İttihat ve Terakkî'nin Paramiliter Gençlik Örgütleri", Boğaziçi Üniversitesi Dergisi, VII, İstanbul 1979.
- (31) عبد المولى صالح الحرير ، مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب ، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي ، ليبيا، (1979) .

المحدث علي بن عبد الله المديني البصري

(161هـ - 234هـ)

أ.د. إبراهيم محمد علي مرجونة

كلية الاداب - جامعة دمنهور - جمهورية مصر العربية

أ.م.د. مروان سالم نوري م.د. وئام عاصم أسماعيل

كلية التربية الاساسية - جامعة ديالى - جمهورية العراق

الملخص:

هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد، وكنيته ابو الحسن، واشتهر بأبن المديني نسبة الى مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، اذ ولد سنة (161هـ) في مدينة البصرة التي اشتهرت بازدهار علم الحديث والرواية فيها.

نشأ علي بن المديني في مدينة البصرة متعلماً ومعلماً، وهي في عز اوجها الحضاري، وبنائها الفكري، والتقاء بعدد كبير من شيوخ بلده، واصبح علماً من اعلام مدينة البصرة، وتعلم رواية الحديث، وكان ابيه (عبد الله) راوياً ومحدثاً مشهوراً، وفي وسط هذه العائلة الكريمة التي عنيت بالحديث والرواية والعلم نشأ علي بن عبد الله المديني كما اثرت في مسيرته، وجعله راوياً طيب السمعة.

اما عن صفاته واخلاقه فقد عرف بالصدق في قوله وعمله، وقد وثقه معظم المؤرخين واثنوا عليه، فقد ذكره المؤرخين بأن علي المديني كان من اعلام اهل عصره بالحديث وصدقهم، كما عرف بسعة حفظه في الحديث، وعلى ممارسته لنقد الرجال وتشخيص علل الحديث لديهم، كما اشتهر بالدقة والامانة العلمية.

اماعقيدته وتدينه عرف بأنه لم يتحيز الى احد الفرق الاسلامية المتعددة والمختلفة في آراءها ومبادئها، اذ كان بعيداً عن التطرف والمغالاة في الآراء وظل مقتدياً بشيوخه في اتباع اهل السنة لانه كان يستمد علمه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

اما طريقته في طلب العلم والمعرفة فقد اخلص المديني في نيته في طلب العلم وجعلها نية صادقة موجهة للعلم والتعلم، اما طريقته في حصوله على العلم اذ انه حرص على اختيار شيوخه الذين تلقى عنهم العلم والذين كانوا من الثقات الحفاظ المتقين، ومن المعلوم انه لازم شيوخه في البصرة وطول مجالستهم التي اكتسب منها علم شيوخه واخلاقهم التي اوصلته الى ان يكون علماً من اعلام السنة النبوية الشريفة، يرحل اليه من جميع الافاق، وقد اعتمد المديني في طريقته مذاكراته على الحفظ في بدأ تلقيه العلم، وبعد علم الحديث من اهم العلوم التي درسها واتقنها حتى اصبحت رواياته موضع اهتمام المحدثين ولاسيما انه ثقة متفق على حديثه.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02. بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

اما آثاره العلمية فقد ألف علي بن المديني في الحديث مصنفات كثيرة العدد جليلة القدر وكان من المكثرين في التأليف في رواية الحديث.

كما تلقى علي بن المديني العلوم المختلفة على يد العديد من المشايخ وكان لهم الاثر الكبير في تكوين شخصيته العلمية والثقافية والاجتماعية، فضلاً عن تلامذة الذي اخذ عنه عدد اكثر من طلبة العلم في عصره.
اما وفاته فقد توفي علي بن المديني ليومين بقيا من ذي القعدة سنة اربع وثلاثين ومئتين للهجرة.
الكلمات المفتاحية: المحدث، علي، عبدالله، المديني، البصري

**The Storyteller Ali Bin Abdullah AL-Madini AL-Basri
(161-234 A.H.)**

Ibrahim Muhammad Ali Marjouna

Faculty of Arts - Damanhour University – Egypt

dr- morgona@yahoo.com

Marwan Salem Nuri WEAM ASSIM ISMAEL

Faculty of Basic Education - Diyala University – Iraq

marwansalem1983@gmail.com Weamasem245@gmail.com

Abstract:

He is Ali bin Abdullah bin Jaafar bin Najih bin Bakr bin Saad, whose nickname is Abu al-Hasan, and was famous for Ibn al-Medina in relation to the city of the Messenger of God (may God bless him and grant him peace), as he was born in the year 161 AH in the city of Basra, which was famous for the flourishing of hadith knowledge and narration in it. Ali bin Al-Medini grew up in the city of Basra, educated and educated, and it is in the glory of its civilization, its intellectual construction, and his meeting with a large number of elders of his town, and he became one of the flags of the city of Basra, and he learned the narration of hadith, and his father (Abdullah) was a famous narrator and narrator, and in the midst of these The noble family, which was concerned with hadith, narration and science, was brought up by Ali bin Abdullah Al-Madini as it influenced his career, and made him a reputable narrator. As for his qualities and morals, he was known for his truthfulness in his statement and his work, and most historians have trusted him and praised him. Historians have mentioned that Ali al-Medini was the one who knew and trusted the people of his time in hadiths, as he was known for his ability to memorize it in hadith, and for his practice of criticizing men and diagnosing the causes of hadith they have. Scientific accuracy and honesty. His beliefs and religiosity was known that he did not take sides with one of the various Islamic sects that differed in their opinions and principles, as he was far from extremism and exaggeration in opinions and remained imitated by his sheikhs in

593

the followers of the Sunnis because he used to derive his knowledge from the Noble Qur'an and the noble Prophet's hadith. As for his method of seeking knowledge and knowledge, he concluded the Medina in his intention to seek knowledge and made it a sincere intention directed to knowledge and learning. As for his method of obtaining knowledge, as he was keen to choose his elders from whom he received knowledge and who were of trustworthy, pious preservation, and it is known that he was necessary for his elders in Basra and the length and sitting of them from which he acquired the knowledge of his sheikhs and their morals, which led him to be one of the flags of the noble Prophet's Sunnah, to be transmitted to him from all horizons, and in his method of studying his studies he relied on memorization when he began to receive knowledge, and hadith science is considered one of the most important sciences that he studied and mastered until His novels have become the object of modern interest, especially since he is an agreed trust in his hadith. As for his scholarly effects, Ali ibn al-Madini wrote many great-numbered compilations in the hadith, and he was among the many authors in the narration of the hadith. Ali bin Al-Madini also received various sciences at the hands of many sheikhs, and they had a great impact on the formation of his scientific, cultural and social personality, in addition to his students, from whom more students of knowledge were taken from him in his era. As for his death, Ali bin Al-Mudaini died for two days, and he remained from Dhu al-Qi'dah for a year of thirty-four Hijra.

Key words: Al-Muhaddith, Ali, Abdullah, Al-Madina, Al-Basri

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد.

لقد أعطيت مدينة الرسول ﷺ (المدينة المنورة) للحضارة العربية الإسلامية خلاصة فكرها، وقدمت للتاريخ مشاهير أعلامه في الشعر والنثر واللغة والنحو، كما وقف في مسجدها، مسجد الرسول ﷺ قادة الفكر الإسلامي، من الفقهاء والمفسرين والمحدثين، ودوت في أروقتها أصوات الفقهاء، والمحدثين والرواة والمبدعين، ومع هذا كله فقد ظلت الدراسات موزعة بين جوانب المعرفة الأخرى التي أسهمت فيها هذه المدينة في الدراسات التي تناولتها.

اختتمت فكرة جمع جوانب الفكر المدني في السيرة النبوية والمغازي ودراسته من خلال الوقوف عند أحد الرواة المهمين وهو علي بن عبد الله المدني البصري الذي لم تفرد به دراسة مستقلة رغم أهميته من بين

الرواة، وهكذا وقع الاختيار منطلقين من أهمية الموضوع وضرورات دراسته، وهي بلا شك تهدف إلى إكمال المسيرة العلمية التي بدأها السلف الصالح والذين جعلوا من مدينة الرسول ﷺ المدينة المنورة منارةً للعلم ورمزاً للمعرفة، وإن هؤلاء العلماء الذي خلدهم التاريخ لا بد من متابعة آثارهم والوقوف عند عطائهم الشرائع لأحياء للأجداد، وتذكيراً بالعطاء الطيب، وكانت مدرسة المدينة المنورة وعلمائها ومحدثوها، يمثلون الصفحات الأولى من التاريخ العربي الإسلامي، ومن هنا كان واجبنا الكشف عن كنوز هذا التراث العربي.

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى عدة فقرات رئيسية منها المقدمة و اسمته وكنيته و أصله ونسبه و ولادته و نشأته و أسرته و صفاته و أخلاقه و عقيدته و تدينه و علومه و معارفه و آثاره العلمية وسيرته العلمية و شيوخه وتلاميذه و وفاته و الخاتمة فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع.

اسمه وكنيته :

هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد ⁽¹⁾ وكنيته أبو الحسن، واشتهر بأبن المديني - بفتح الميم - وكسر الدال، نسبة إلى مدينة رسول الله ﷺ والنسبة إليها بهذه الصفة قليلة وأكثر ما ينسب إليها المديني بدون ياء، وإنما أصلها منها ⁽²⁾.

أصله ونسبه:

تتفق أغلب كتب التراجم على أن ولادته ونشأته بالبصرة، فهو بصري ولا يوجد خلاف في ذلك، نسبة إلى مدينة البصرة، فيقال له: البصري، ويقال له السعدي بن بكر نسبة إليهم نسبة ولده وهو مولى عروة بن عطية السعدي. ⁽³⁾

ولادته:

ولد علي بن المديني في مدينة البصرة سنة (161هـ). ⁽⁴⁾

نشأته و أسرته:

نشأ علي بن المديني في مدينة البصرة متعلماً ومعلماً، وهي في أعز أوجها الحضاري، وبنائها الفكري، والتقى بعدد كبير من شيوخ بلده ⁽⁵⁾، وتنقل بينهم من أجل أن يستنير من علومهم ويتحلى بصفاتهم وأخلاقهم، وبذلك أصبح علي بن المديني عالماً من اعلام مدينة البصرة، وتعلم رواية الحديث ⁽⁶⁾ كما جالس علي بن المديني كثير من المحدثين أمثال حماد بن زيد ⁽⁷⁾ وسفيان بن عيينه ⁽⁸⁾ وآخرون ⁽⁹⁾

ولحرصه الكبير على التعلم أصبح علي بن المديني علماً من اعلام مدينة البصرة واشتهر فيها بوصفه احد اشهر محدثيها وفقهائها⁽¹⁰⁾.

اما عن طفولته فان المصادر قديماً وحديثاً لم تحدد الملامح الاولى لنشأة علي بن المديني وانما اوضحت المصادر التاريخية نتاجاته الفكرية والثقافية في مجال الرواية بعد ان عرف من علماء ومفكري مدينة البصرة.

اما عن ابيه (عبد الله) فتشير المصادر التاريخية انه كان راوياً ومحدثاً مشهوراً، حيث روى عن غير واحد من مشيخته امثال أنس بن مالك⁽¹¹⁾ وروى عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق⁽¹²⁾ وعنه ابنه⁽¹³⁾ وفي وسط هذه العائلة الكريمة التي عنيت بالحديث والرواية، والعلم نشأ علي بن المديني كما اثر في سيرته، وجعله راوياً طيب السمعة.

وفيما يخص المستوى المعاشي الذي عاشه علي بن المديني فقد كان فقيراً وحاله متدنية قبل رحلته في طلب العلم، وكما يؤكد ذلك انه كان مولى عروة بن عطية السعدي⁽¹⁴⁾ وقد اوضحت بعض المعاجم اللغوية معنى المولى وهو ((المالك والعبد المعتقد))⁽¹⁵⁾ ومن خلال ذلك يتضح لنا انه مملوك لشخص اخر يعمل في خدمته، ولذا اقترن اسمه به.

صفاته واخلاقه

كما عرف بسعة حفظه والتبحر في الحديث⁽¹⁶⁾ زيادة على ممارسته لنقد الرجال وتشخيص علل الحديث لديهم⁽¹⁷⁾ وبذلك كان علي بن المديني يعتمد في حفظ احاديث بعض المهتمين حتى لا يأتي احدهم ويقلبه، وقد قال ابو غسان (ت 219هـ): جاءني علي بن المديني فكتب عني عن عبد السلام بن حرب، احاديث اسحاق بن ابي فروه⁽¹⁸⁾ فقلت، أي شيء تصنع بها ؟ قال: اعرفها لا تقلب⁽¹⁹⁾ فضلاً عن ذلك عرف علي بن المديني انه كان من الحفاظ البارزين في عصره، وبذلك وثقه المؤرخون من بعده، وثنوا عليه بعبارات الثناء، حيث قال فيه الذهبي، حافظ العصر وقوة ارباب هذا⁽²⁰⁾ وقال ابن ابي يعلى في كتابه⁽²¹⁾ الحفاظ المبرز، وقال الخطيب في تاريخه، هو الحديث في عصره والمقدم على حفاظ وقته⁽²²⁾.

وقد ظهرت هذه الصفات الحميدة في علي بن المديني نتيجة نشأته في اقدم مركز من مراكز الحركة الفكرية والعلمية آنذاك الا وهي البصرة التي كانت زاخرة بالعلم والعلماء، الذين اشتهروا بالدقة والامانة العلمية في تفاسيرهم ومروياتهم واحاديثهم.

عقيدته وتدينه

على الرغم من ظهور الكثير من الفرق الإسلامية المتعددة والمختلفة في آرائها ومبادئها في الحقبة التي عاشها علي بن المديني، إلا أنه لم يتحيز إلى أحد منها ولم ينته إليها وكان موقفه منها موقفاً معتدلاً وظل يسير على نهج أهل السنة والجماعة بعيداً عن التطرف والمغالاة في الآراء وظل مقتدياً بشيوخه في اتباع السنة النبوية، لأنه كان يستمد علمه من القرآن والحديث النبوي⁽²³⁾ وكان من الحفاظ البارزين للحديث النبوي⁽²⁴⁾ لذا أطلق عليه بحفاظ عصره⁽²⁵⁾ والمقدم على الحفاظ⁽²⁶⁾.

علومه ومعارفه

1- طريقته في طلب العلم.

كانت نية علي بن المديني نية صادقة مخلصه في طلب العلم متمثلاً بقول رسول الله (ﷺ): ((انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى))⁽²⁷⁾، لقد اخلص المديني في نيته في طلب العلم وجعلها نية صادقة موجهة للعلم والتعلم بدليل أنه ترك التجارة ومنافعها وصب جل عنايته ووقفه للعلم والتعلم، كما أنه ابتعد عن الأمراء والتقرب منهم طمعاً بمنصب أو مال، بل أنه على العكس من ذلك فقد ابتعد عنهم، زاهد بكل شيء إلا حبه للعلم والتعلم⁽²⁸⁾. ويبدو أن للمديني طريقة اتبعها وسار عليها في حصوله على العلم والمعرفة إذ أنه حرص على اختيار شيوخه الذين تلقى عنهم العلم، والمتبع لشيوخ المديني يجد أنه أغلبهم من الشيوخ الثقات الحفاظ المتقنين، وهذا الكلام ليس جزافاً وإنما من جاء من علماء الحديث والجرح والتعديل والثناء عليهم، فكانت فائدتهم للمديني فائدة كبيرة ونفعوه منفعة عظيمة ولا سيما شيوخه الذين أكثر من الأخذ عنهم مثل أباه، وحماد بن زيد⁽²⁹⁾ وهيثم بن بشير⁽³⁰⁾ وسفيان بن عيينه⁽³¹⁾ وجرير بن عبد الحميد⁽³²⁾ ويحيى بن سعيد⁽³³⁾ وهشام بن يوسف⁽³⁴⁾.

وقد أشاد ابن حبان بشيوخ المديني فهم من (الفقهاء المتقنين والحفاظ المتورعين)⁽³⁵⁾ فضلاً عن ذلك فإن المديني حرص على طول الملازمة لشيوخه، ومن المعلوم أن ملازمة شيوخه في البصرة وطول مجالستهم من العوامل المهمة لتنمية معلومات الطالب ومضاعفتها إذ توفر له من المعارف والمعلومات ما لم يتوفره لغيره ممن لم يوفقوا لملازمة أساتذتهم وطول مجالستهم، فكان المديني من الطلاب الذين يدركون هذه المسألة إذ أنه كان على يقين قاطع من أهمية ملازمة الشيوخ، فقد لازم المديني عدداً من كبار شيوخه فاكتمل منهم علمهم وأخلاقهم، ومن لازمهم أباه كما لازم حماد بن زيد ويزيد بن زريع وآخرون⁽³⁶⁾.

وكان الى جانب طول الملازمة للشيوخ الكبار التي اكتسب منها علم شيوخته واخلاقهم والتي اوصلته الى ان يكون علماً من اعلام السنة النبوية الشريفة يرحل اليه من جميع الافاق، وقد اعتمد المديني في طريقة مذكراته على الحفظ في بدء تلقيه العلم⁽²⁷⁾.

2- علمه بالحديث

ان من ابرز ما تميز به علماؤنا الافاضل سعة علومهم ومعارفهم اذ لم يختصوا بمجال او علم معين، وانما يتميزوا بعلوم ومعارف متنوعة، وهذا ما يتميز به علي بن المديني وهو علمه بالحديث. يعد علم الحديث من اشهر العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى، اذ الاحكام مبينة عليهما، ومستنبطة منها⁽³⁸⁾، وهو علم يشتمل على نقل اقوال النبي (ﷺ) وافعاله⁽³⁹⁾، ومن هذا المنطلق كان علي بن المديني ضليعاً بهذا العلم، وبدأت اهتماماته مبكرة، بدراسة الحديث، ورواياته، في مدينة البصرة حتى وفاته⁽⁴⁰⁾ كان علي بن المديني يتمتع بمكانة علمية متميزة في البصرة، وعد في تسمية محدثي المدينة⁽⁴¹⁾ وكانت رواياته موضع اهتمام المحدثين، ولا سيما انه ((ثقة متفق على حديثه))⁽⁴²⁾.

3- اقوال العلماء فيه

يعد علي بن المديني احد تلك الشخصيات التي زودت معظم المصادر التاريخية بالكثير من الروايات، ولذلك كان علي بن المديني موضع تقدير، واحترام اغلب العلماء، وقد اثنى عليه كثير من العلماء ممن جاءوا بعده، حيث حضى علي بن المديني بالمدح والثناء من قبل المؤرخين والمحدثين نظراً لما كان يتمتع به من صفات العلماء، وقد قيل عنه الكثير، حيث قال ابو حاتم الرازي: ((كان احمد لا يسمعه انما يكنه بتحليلاً له: قال وما سمعت احمد، وقد بلغ قيامه وقعوده ولباسه وكل ما يقوله ويفعل))⁽⁴³⁾ وكان علي بن المديني فقيهاً متقناً حافظاً ورعاً، وقد ذكر ابن ابي حاتم هذه الصفة بقوله: ((سألت ابي رحمه الله عن احمد بن حنبل⁽⁴⁴⁾ وعلي بن المديني: ايهما كان احفظ ؟ قال: كان في الحفظ احمد افقه، وكان علي افهم بالحديث⁽⁴⁵⁾ وقال البخاري فيه: ((ما استصغرت نفسي عند احد الا عند علي المديني))⁽⁴⁶⁾ وقال النوري: ((واجمعوا على جلالته وامامته وبراعته في هذا الشأن وتقدمه على غيره))⁽⁴⁷⁾ وقال النسائي ((كأن الله خلق علي بن المديني لهذا الشأن))⁽⁴⁸⁾ وقال الذهبي: ((واما علي بن المديني فإليه المنتهى في معرفته علل الحديث مع كمال المعرفة بنقد الرجال وسعة الحفظ والتبحر في هذا الشأن بل لعله فرد زمانه في معارفه))⁽⁴⁹⁾ وقال ابن حجر: ((ثقة ثبت امام))⁽⁵⁰⁾ كما نال علي بن المديني احترام وتقدير شيوخته، حيث قال فيه شيخه سفيان بن عيينه: ((لكنت اتعلم منه أكثر مما يتعلم

مئي))⁽⁵¹⁾ وقال النسائي: ((كأن الله خلقه للحديث))⁽⁵²⁾ كما قال البغدادي: ((المدني هو المقدم على حفاظ وقته))⁽⁵³⁾ وقال الذهبي: ((واما علي بن المدني فاليه المنتهى في معرفة علل الحديث ومعرفته بنقد الرجال وسعة الحفظ والتبحر في هذا الشأن، بل لعله فرد زمانه في معناه))⁽⁵⁴⁾.

وقال ابن حجر: ((ان علي بن المدني اعلم الناس بحديث رسول الله وخاصة بحديث سفين بن عينية))⁽⁵⁵⁾ وقال الامام احمد: ((لا اجد الحديث الا عند علي بن المدني))⁽⁵⁶⁾ وقال ابو داود: ((ابن المدني اعلم من الامام احمد باختلاف))⁽⁵⁷⁾ ونتيجة لبصره وعلمه يعلل الحديث فقد اثنا عليه الائمة و اشاروا بمعرفته التامة بعلل الحديث ومن اقوالهم: قول ابي حاتم: ((كان ابن المدني اعلم الناس في معرفة الحديث وعلله))⁽⁵⁸⁾ وقال ابن حجر: ((اعلم اهل عصره بالحديث وعلله))⁽⁵⁹⁾ وقال الذهبي: ((اليه المنتهى في معرفة علل الحديث النبوي))⁽⁶⁰⁾ وقال ابن الاثير: ((وكان من اعلم اهل زمانه بعلل حديث رسول الله (ﷺ)))⁽⁶¹⁾ وقال ابو داود: ((ان المدني اعلم باختلاف الحديث من احمد بن حنبل))⁽⁶²⁾ وفي تاريخ الخطيب البغدادي: ((سئل الفرهاني عن يحيى بن معين وعلي بن المدني واحمد وابي خيثمة))⁽⁶³⁾ فقال: علي بن المدني فاعلم بالحديث والعلل، ويحيى اعلم بالرجال واحمد بالفقه، وابو خيثمة النبلاء))⁽⁶⁴⁾ ونتيجة لامكانياته العالية وعلمه الواسع في الحديث وعلله، لذا اخذ شيوخه يستفيدون منه، وقد صرح بعضهم بذلك، حيث قال شيخه يحيى بن سعيد القطان⁽⁶⁵⁾: ((كنا نستفيد منه اكثر مما يستفيد منا))⁽⁶⁶⁾ وقال سفين بن عينية: ((يلوموني على حب علي، والله كنت اتعلم منه اكثر مما يتعلم مئي))⁽⁶⁷⁾.

آثاره العلمية

الف ابن المدني في الحديث مصنفات كثيرة العدد جليلة القدر، قال النووي: ((كان علي احد ائمة الاسلام المبرزين في الحديث وله مائتي مصنف لم يسبق الى معظمها ولم يلحق في كثير منها، ولم يبق منها الا (الاسامي والكنى، والطبقات، واختلاف الحديث، ومذاهب انقرضت))⁽⁶⁸⁾. وقد اورد الحاكم ابو عبد الله في كتابه معرفة علوم الحديث فهرست مؤلفاته نقله محمد بن صالح الهاشمي قال: سمعت الشريف القاضي ابا الحسن محمد بن صالح الهاشمي قاضي القضاة يقول: هذه اسامي مصنفات علي بن المدني:-

1 - كتاب الاسامي والكنى - ثمانية أجزاء

2 - كتاب الضعفاء - عشرة أجزاء

- 3 - كتاب المدلسين - خمسة أجزاء
- 4 - كتاب اول من نظر في الرجال وفحص عنهم - جزء
- 5 - كتاب الطبقات - عشرة أجزاء
- 6 - كتاب من روى عن رجل لم يره - جزء
- 7 - كتاب علل المسند - ثلاثون جزءاً
- 8 - كتاب العلل لاسماعيل القاضي - اربعة عشر جزءاً
- 9 - كتاب علل حديث ابن عيينه - ثلاثة عشر جزءاً
- 10 - كتاب من لا ينجح بحديثه ولا يسقط - جزآن
- 11 - كتاب الكنى - خمسة أجزاء
- 12 - كتاب الوهم والخطأ - خمسة أجزاء
- 13 - كتاب قبائل العرب - عشرة أجزاء
- 14 - كتاب من نزل من الصحابة سائر البلدان - خمسة أجزاء
- 15 - كتاب التاريخ - عشرة أجزاء
- 16 - كتاب العرض على المحدث - جزآن
- 17 - كتاب من حدث ثم رجع عنه - جزآن
- 18 - كتاب يحيى وعبد الرحمن في الرجال - خمسة أجزاء
- 19 - كتاب سؤلاته يحيى - جزآن
- 20 - كتاب الثقات والمثبتين - عشرة أجزاء
- 21 - كتاب اختلاف الحديث - خمسة أجزاء
- 22 - كتاب الاسامي الشاذة - ثلاثة أجزاء
- 23 - كتاب الاشرية - ثلاثة أجزاء
- 24 - كتاب تفسير غريب الحديث - خمسة أجزاء
- 25 - كتاب الاخوة والاحوات - خمسة أجزاء
- 26 - كتب من يعرف باسم دون اسم ابيه - جزآن
- 27 - كتاب من يعرف باللقب - جزء

28 كتاب العلل المفارقة - ثلاثون جزءاً

29 كتاب مذاهب المحدثين - جزءان (69)

شيوخه:

تلقى علي بن المديني العلوم المختلفة على يد العديد من المشايخ، وكان لهم الأثر الواضح في تكوين شخصيته العلمية والثقافية والاجتماعية، وقد رتبنا بعض شيوخه بحسب الحروف (الف باء) مع بيان وفياتهم.

1 - جرير بن عبد الحميد (ت - 187-188هـ)

هو جرير بن عبد الحميد الضبي، الكوفي بن قرط بن هلال بن أبي قيس بن أمية، الضبي الرازي، أصله من الكوفة (70) وقد سمي جرير بن عبد الحميد بـ (الآبي) (71) كنيته أبو عبد الله، ولد سنة 107هـ (72) وقيل سنة 110هـ (73) روى عن سليمان الأعمش وحمزة بن حبيب الزيات وسفيان الثوري، وروى عنه عبد الله بن المبارك، توفي سنة 181هـ، ويحيى بن معين وغيرهم كثيراً (74).

2 - جعفر بن سليمان (ت 178هـ)

هو جعفر بن سليمان الضبي الحرشي، البصري، أبو سليمان مولى بني حر وكان ينزل في بني ضبيعة، روى عن ثابت ومالك بن دينار وأبي عمران الجوني ويزيد الرشك، روى عنه بن المبارك وأبو الوليد الطيالسي والحسن بن الربيع، مات في رجب سنة ثمان وسبعين ومائة (75).

3 - حماد بن زيد (ت 179هـ)

هو حماد بن زيد بن درهم الأزوي الجهضمي أبو اسماعيل البصري الأزرق توفي سنة (179هـ)، من الحفاظ المتقنين كان ضريراً من أهل الورع في الدين ممن كان يقرأ حديثه كله، قال أبو حاتم: ((ما رأيت بالبصرة أفقه من حماد بن زيد)) (76) كذلك وثقه أحمد وابن سعد (77).

4 - سفيان بن عيينه (ت 198هـ)

هو سفيان بن عيينه بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي، سكن مكة، توفي سنة (198هـ)، وله إحدى وتسعون عاماً، عني بعلم السنن وواظب على جمعها والتفقه فيها إلى أن مات، وكان ثقة ثباتاً كثيراً الحديث، حجة (78)، قال العجلي: ((كوفي ثقة ثبت في

الحديث وكان حسن الحديث يعد من حكماء اصحاب الحديث⁽⁷⁹⁾، وثقه ابن معين وابو حاتم، وقال ابن حجر: ((ثقة حافظ فقيه امام حجة الا انه تغير حفظه بآخره))⁽⁸⁰⁾.

5 -عبد العزيز الدراوردي (ت 187هـ)

هو عبد العزيز بن محمد الدراوردي، وهو مدني ثقة⁽⁸¹⁾ ويكنى ابو محمد⁽⁸²⁾، ويقال كان اصله من قرية من قرى فارس يقال لها دراورد، وكان جده منها، وهو مولى جهينة، وهو بن محمد بن ابي عبيد⁽⁸³⁾ وتحدث بن ابي خيثمة فيما كتب الى قال: سمعت مصعب الزبيري يقول مالك ابن انس يوثق الدراوردي⁽⁸⁴⁾، وتحدث محمد بن حمويه بن الحسن قال: سمعت ابا طالب قال: كان معروفاً بالطلب، واذا حدث من كتابه فهو صحيح⁽⁸⁵⁾، وقال يحيى بن معين: ((الدراوردي اثبت من فلج وابن الزناد وابي اوسيس، الدراوردي، ثم ابي حاتم⁽⁸⁶⁾ توفي سنة 187هـ.))⁽⁸⁷⁾

6 -معتمر بن سليمان (ت 187هـ)

هو معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي ابو محمد البصري يلقب بالطفيل، توفي سنة (187هـ)، وقد جاوز الثمانين عاماً، اجمعوا على توثيقه وجلالته ووصفه بالعبادة⁽⁸⁸⁾، وقد وثقه الذهبي⁽⁸⁹⁾ و ابن حجر⁽⁹⁰⁾.

7 -هشام بن يوسف (ت 197هـ)

هو هشام بن يوسف الصنعائي، ابو عبد الرحمن الانباوي قاضي صنعاء، توفي سنة (197هـ) قال ابو حاتم: ((ثقة متقن))⁽⁹¹⁾ وقال عبد الرزاق: ((ان حدثكم القاضي فلا عليكم ان تكتبوا عن غيره))⁽⁹²⁾ وثقه العجلي، وذكره ابن حبان ضمن ثقاته⁽⁹³⁾.

8 - هيثم بن بشير (ت 183هـ)

هو معاوية، هيثم بن بشير بن القاسم بن دينار بن ابي حازم السلمي، الواسطي⁽⁹⁴⁾، ولد سنة 104هـ، وقيل اول سنة 105هـ، اصله من واسط، وقد انتقل قديماً الى بغداد⁽⁹⁵⁾، روى عنه سليمان بن الاعمش وابن شهاب الزهري، وروى عنه سقية بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وجريز بن عبد الحميد وابو نعيم (الفضل بن دكين) واحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم⁽⁹⁶⁾ وهو محدث العصر، ثقة، ثبت، وقد وصف بأنه كثير الحديث، يدلس كثيراً، مفسر، مقرئ، فقيه قال عنه حماد بن زيد: ((ما رأيت محدثاً انبل من هيثم))⁽⁹⁷⁾ وقال يزيد

بن هارون: ((ما رأيت احفظ من هيثم الا سفيان، وقيل عنه ايضاً احفظ للحديث من الثوري))⁽⁹⁸⁾ وقال ابو حاتم: ((لا يسأل عن هيثم في صلاحه وصدقه وامانته))⁽⁹⁹⁾ توفي 183هـ⁽¹⁰⁰⁾.

9 - يحيى بن سعيد (ت 198 هـ)

هو ابو سعيد القطان، يحيى بن سعيد بن فروخ، التميمي، من اهل البصرة ولد سنة 120هـ، وهو امير المؤمنين في الحديث، الامام، الكبير، ثقة، متقن، امام، قدوة، من كبار التاسعة⁽¹⁰¹⁾ سمع الاعمش، و هشام بن عروة، وسفيان الثوري، وثقه بن الحجاج، وخلف كثير، وسمع منه، احمد بن حنبل ويحيى، وابو خيثمة⁽¹⁰²⁾ توفي سنة 198هـ⁽¹⁰³⁾.

10 يزيد بن زريع (ت 182 هـ)

هو يزيد بن زريع، ويقال التميمي، ابو معاوية البصري الحافظ توفي سنة (182 هـ)، من اورع اهل البصرة واتقنهم⁽¹⁰⁴⁾، وقال احمد: ((اليه المنتهى في الثبوت بالبصرة))، وقال ابن حجر: ((ثقة ثبت))⁽¹⁰⁵⁾.

تلاميذه

مثلما اخذ علي بن المديني عن عدد كبير من الشيوخ، فقد اخذ عنه عدد اكثر من طلبة العلم في عصره، وفيما يأتي موجز لبعض تلاميذه مرتبة على حسب الحروف (الف باء) وهم:-

1 - ابو بكر الصاغاتي (ت 270 هـ)

هو محمد بن اسحاق بن جعفر بن ابي بكر الصاغاتي، احد الاثبات المتقنين مع صلابه في الدين واشتهار بالسنة واتساع في الرواية سكن بغداد ورحل في طلب العلم وكتب عن اهل البلاد وسمع يعلى بن عبيد الطنافسي وجعفر بن عون العمري وسمع منه هارون وابو بكر ابن داود الاصبهاني وعبد الله بن احمد وآخرون وذكره الدارقطني فقال كان ثقة وفوق الثقة، مات يوم الخميس لتسع خلون سنة سبعين ومائتين⁽¹⁰⁶⁾.

2 - ابو حاتم (-)

احمد بن عبد العزيز ابو حاتم الوراق مناظر قال ابن طاهر وضع حديثاً⁽¹⁰⁷⁾.

3 -احمد بن حنبل (ت 241هـ)

هو الامام ابي عبد الله احمد بن حنبل بن هلال الشيباني المزوي الوائلي، ولد في بغداد سنة 164هـ، وتنقل بين الحجاز واليمن ودمشق، وسمع من كبار المحدثين، ونال قسطاً وافراً من العلم والمعرفة، حتى قال فيه الشافعي: ((خرجت من بغداد فما خلفت فيها رجلاً افضل ولا افقه من ابن حنبل))، توفي سنة 240هـ⁽¹⁰⁸⁾.

4 -الحسن البزار (-)

هو محمد بن ابراهيم بن يوسف يعقوب ابو الحسن البزار الكعبري حدث عن ابي الفضل العباس بن الفضل العباس بن موسى الهاشمي، روى عنه ابو الفتح عبد الواحد بن محمد بن مسرور وذكر انه سمع منه ببغداد وقال ما علمت من امر إلا خيراً⁽¹⁰⁹⁾.

5 -حميد بن زنجويه (-)

هو حميد بن زنجويه السنسوري سمع النضر بن شميل⁽¹¹⁰⁾

6 -الزعفراني (ت 369 هـ)

هو الامام الحافظ ابو سعيد الحسيني بن محمد بن علي الاصبهاني سمع لبغوي وابن صاعد ومنه ابو النعيم، وقال كان بندار بلدنا في كثير الاصول والحديث صاحب معرفة واتقان صنف المسند والتفسير والشيوخ، مات سنة تسع وستين وثلاثمائة⁽¹¹¹⁾.

7 - صالح بن محمد جزره (-)

هو صالح بن عبد الله بن محمد بن علي البلخي الحافظ⁽¹¹²⁾.

8 -علي بن احمد بن النضر (ت 295هـ)

هو علي بن احمد بن النضر بن عبد الله بن مصعب ابو غالب الازوي وهو اخو محمد بن احمد بن النضر، سمع سعيد بن سليمان الواسطي ويحيى بن يوسف الزمي وعاصم بن علي، وعلي بن المديني وروى عنه جعفر بن محمد الخلدي وعبد الله بن اسحاق الخراساني وابو بكر الشافعي وكان يسكن بالجانب الغربي من بغداد، وقال الدارقطني هو ضعيف، اخبرنا الحسن بن ابي بكر عن احمد كامل في يوم الثلاثاء لعشر خلعت من رجب سنة خمس وتسعين ومائتين، توفي ابو غالب علي بن احمد النضر في بغداد⁽¹¹³⁾.

9 - محمد بن محمد الباغددي (بعد 300هـ)

هو محمد بن محمد بن سليمان الباغددي الحافظ البغدادي ابو بكر مشهور بالدليس مع الصدق والامانة، مات بعد الثلاثمائة، قال الاسماعيلي لا اتهمه ولكنه يدلس، وقال ابي المظفر لا ينكر منه الا التدليس، وقال الدارقطني يكتب عن بعض الصحابة ثم يسقط بين وبين شيخه. (114)

10 محمد يحيى (221 هـ)

هو محمد بن يحيى ابن حبان بن منقذ بن عمران الامام الفقيه الحجة ابو عبد الله الانصاري البخاري المازني المدني حفيد الصحابي الذي كان يخدم من البيوع ويقول لاخلابة حدث عن ابي عمر رافع بن خديح وانس بن مالك، مات سنة احدى وعشرين ومائتين، وهو ابن اربع وسبعين سنة. (117)

وفاته

توفي علي بن المديني ليومين بقيا من ذي القعدة سنة اربع وثلاثين ومائتين. (119)

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله واصحابه اجمعين.
بعد ان فرغنا بعون الله من بحثنا، الذي توخينا فيه الوصول الى الحقيقة التاريخية سنحاول اجمال ما توصل اليه البحث من نتائج وبالشكل التالي:

1 - هو عبد الله بن المديني: ولد سنة (161هـ) في مدينة البصرة التي اشتهرت بازدهار علم الحديث والرواية فيها.

2 - نشأ علي بن المديني في مدينة البصرة متعلماً ومعلماً، وهي في عز اوجها الحضاري، وبنائها الفكري، والثقة بعدد كبير من شيوخ بلده. واصبح علماً من اعلام مدينة البصرة، وتعلم رواية الحديث وكان ابيه (عبد الله) راوياً ومحدثاً مشهوراً، وفي وسط هذه العائلة الكريمة التي عنيت بالحديث والرواية، والعلم نشأ علي بن عبد الله المديني كما اثرت في مسيرته، وجعله راوياً طيب السمعة.

3 - اما عن صفاته و اخلاقه: عرف بالصدق في قوله وعمله، وقد وثقه معظم المؤرخين واثنوا عليه، فقد ذكره المؤرخين بأن علي كان من اعلم اهل عصره بالحديث واصدقهم، كما عرف بسعة

حفظه في الحديث، وعلى ممارسته لنقد الرجال وتشخيص علل الحديث لديهم، كما اشتهر بالدقة والامانة العلمية.

4 - عقيدته وتدينه: عرف بأنه لم يتحيز الى احد الفرق الاسلامية المتعددة والمختلفة في آراءها ومبادئها، كان بعيداً عن التطرف والمغالاة في الآراء وظل مقتدياً بشيوخه في اتباع اهل السنة لانه كان يستمد علمه من القرآن والحديث النبوي.

5 - طريقته ومعارفه: اخلص المديني في نيته في طلب العلم وجعلها نية صادقة موجهة للعلم والتعلم، اما طريقته في حصوله على العلم اذ انه حرص على اختيار شيوخه الذين تلقى عنهم العلم والذين كانوا من الثقة الحفاظ المتقنين، ومن المعلوم انه لازم شيوخه في البصرة وطول مجالستهم التي اكتسب منها علم شيوخه واخلاقهم التي اوصلته الى ان يكون علماً من اعلام السنة النبوية الشريفة، يرحل اليه من جميع الافاق، وقد اعتمد المديني في طريقته مذكراته على الحفظ في بدء تلقيه العلم ويعد علم الحديث من اهم العلوم التي درسها واتقنها حتى اصبحت رواياته موضع اهتمام المحدثين ولا سيما انه ثقة متفق على حديثه.

6 - آثاره العلمية: ألف علي بن المديني في الحديث مصنفات كثيرة العدد جليلة القدر وكان من المكثرين في التأليف في رواية الحديث.

7 - شيوخه: تلقى علي بن المديني العلوم المختلفة على يد العديد من المشايخ وكان لهم الاثر الكبير في تكوين شخصيته العلمية والثقافية والاجتماعية.

8 - تلاميذه: اخذ عنه عدد أكثر من طلبة العلم في عصره.

9 - وفاته: توفي علي بن المديني ليومين بقيا من ذي القعدة سنة اربع وثلاثين ومئتين للهجرة.

الهوامش

(1) الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت463هـ)، تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، مصر، 1931، ج2، ص 458 ؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ)، تذكرة الحفاظ، ط4، دار احياء التراث العربي . بيروت، 1374هـ، ج2، 428 ؛ ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني (ت852هـ)، تهذيب التهذيب، ط1، دار الفكر، بيروت، 1984، ج7، ص 306.

(2) البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت256هـ)، التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986، ج2، ص 284 ؛ ابن ابي حاتم، ابو محمد عبد الرحمن بن ادريس التميمي

- الرازي (ت327هـ)؛ الجرح والتعديل، ط1، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الدكن، الهند، 1952، ج1، ص 193.
- (3) ابن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1975، ج2، ص39؛ ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن (ت571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ، ج9، ص394.
- (4) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج2، ص394؛ السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد القادر احمد، ط1، بيروت، 1991، ج1، ص266.
- (5) الشيرازي، ابو اسحق ابراهيم بن علي الشافعي (ت476هـ)، طبقات الفقهاء، تحقيق خليل المسي، دار القلم، بيروت، د.ت، ص103.
- (6) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج2، ص39، و ج1، ص403.
- (7) حماد بن زيد: هو حماد بن زيد بن درهم الازدي الجهضمي ابو اسماعيل البصري الأزرق توفي سنة (179هـ)، من الحفاظ المتقنين، كان ضريراً من اهل الورع في الدين ممن كان يقرأ حديثه كله، قال ابو حاتم، ما رايت بالبصرة أفقه ابن حماد بن زيد، كذلك وثقه احمد وابن سعد. ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج3، ص139؛ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت230هـ)، الطبقات الكبرى (القسم المتمم)، تحقيق زياد محمد منصور، ط2، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1408هـ، ج5، ص498؛ ابن حبان، ابو حاتم محمد البستي (ت345هـ)، مشاهير علماء الامصار، تحقيق م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1959، ص157، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج3، ص166.
- (8) سفيان بن عينة: هو سفيان بن عينة بن ابي عمران ميمون الهلالي ابو محمد الكوفي، سكن مكة، توفي سنة (198هـ). ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج5، ص497-498؛ ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص149-150؛ المزني، جمال الدين ابو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (ت742هـ)، تهذيب الكمال في اسماء الرجال، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998، ج4، ص105.
- (9) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص103.
- (10) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج2، ص39، و ج1، ص403.
- (11) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر الانصاري الخزرجي، وكان رجلاً من الانصار عرف بالورع والتقوى، كان صبيّاً حينما قدم النبي (ص) الى المدينة، وأقام في خدمة الرسول (ص) عشر سنين، ثم نزل البصرة وعاش فيها طويلاً ولعله اخر من توفي بالبصرة من الصحابة سنة (93هـ)، وكان محدثاً أكثر من فقيهاً. ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ج1، ص37؛ ابن حبان، التقات تحقيق السيد شرف الدين احمد، ط1، دار الفكر، بيروت، 1975، ج3، ص4؛ الكلاباذي،

- احمد بن محمد بن الحسن (ت398هـ)، رجال صحيح البخاري، تحقيق عبدالله الليثي، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1407هـ، ج1، ص 86 ؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج1، ص 329 ؛ ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992، ج1، ص 126 ؛ السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت911هـ)، اسعاف المبطل برجال الموطأ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر 1969، ج1، ص 6.
- (12) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق.
- (13) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص 103.
- (14) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج2، ص 39 ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج9، ص 394.
- (15) الفيروزيادي، محمد بن يعقوب (ت817هـ)، القاموس المحيط، ط2، بيروت، 1987، ص 1732.
- (16) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج2، ص 428 ؛ ابن حجر تهذيب التهذيب، ج7، ص 307.
- (17) المدني، علي بن عبدالله بن جعفر بن نجيح السعدي البصري (ت234هـ)، منهجه في نقد الرجال، بيروت، ط1، ص 139.
- (18) اسحاق بن ابي فروه: هون اسحاق بن محمد بن اسماعيل بن عبدالله بن ابي فروه الفردي المدني الاموي مولاهم صدوق كف فسء حفظه من العاشرة، مات سنة ستة وعشرون، وقد روى عن عبد الحكيم بن ابي ثروة وعبيدة بنت نابل، ونافع بن ابي نعيم، وقال ابن ابي حاتم: سمعت ابي وأبا زرعه يقولان ذلك وقالوا يعد من المدينين، قال وسمعت ابي يقول كان صدوقاً ولكنه ذهب بصره ربما لقت الحديث وكتبه صحيحه وكتب ابي وابا زرعه عنه ورويا عنه ؛ ابن ابي حاتم، اخرج والتعديل، ج1، ص 820، ابن حجر، تقريب التهذيب، ج1، ص 102.
- (19) ابن حبان، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق محمد اباهيم زايد، د.ت، ج1، ص 73.
- (20) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج2، ص 15 ؛ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دارالمعرفة، بيروت، 1963، ج3، ص 138 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غير، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط2، مطبعة حكومة الكويت، اللويت، 1984، ج1، ص 418.
- (21) ابن يعلى، احمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (ت307هـ)، طبقات الحنابلة، دمشق، 1984، ج1، ص 225.
- (22) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج11، ص 458.
- (23) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج2، ص 39.
- (24) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج2، ص 428 ؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج7، ص 307.
- (25) ابي يعلى، طبقات الحنابلة، ج1، ص 225.
- (26) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ص 458.

- (27) البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت256هـ)، صحيح البخاري، دار الفكر للنشر، بغداد، 1986، باب ما جاء ان الاعمال بالنية، ج1، ص 20 ؛ النووي، الحافظ ابو زكريا محيي الدين بن شرف (ت676هـ)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تحقيق عبدالله احمد ابو زينة، دار العلوم الحديثة، بيروت، 1970، باب الاخلاص واحضار النية، ص 11.
- (28) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج1، ص 403.
- (29) تنظر ترجمة في شيوخ المدني، ص 11.
- (30) تنظر ترجمة في شيوخ المدني، ص12.
- (31) تنظر ترجمة في شيوخ المدني، ص11.
- (32) تنظر ترجمة في شيوخ المدني، ص10.
- (33) تنظر ترجمة في شيوخ المدني، ص 13.
- (34) تنظر ترجمة في شيوخ المدني، ص 12.
- (35) انظر: ابن حبان، مشاهير علماء البصرة، ص 157 ؛ ابن حبان، الثقات، ج6، ص 145 ؛ المزي، تهذيب الكمال، ج3، ص 281.
- (36) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص 103.
- (37) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج11، ص 458.
- (38) السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562هـ)، ادب الإملاء والاستملاء، تحقق سعيد محمد اللحام، ط1، مكتبة الهلال، 1989، ص 9.
- (39) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية تحقيق احمد عمر هاشم، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985، ص 6.
- (40) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج1، ص 403.
- (41) تاريخ بغداد، ج11، ص 458.
- (42) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج1، ص 403.
- (43) الجرح والتعديل، في مقدمته، ص 319، و ج1، ص 193.
- (44) احمد بن حنبل: هو احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني المروزي، نزيل بغداد ابو عبدالله، احد الأئمة: ثقة حافظ فقيه حجة، توفي سنة (241هـ)، وله سبع وسبعون سنة، ابن حجر، تقريب التهذيب، ج1، ص 24.
- (45) المدني، العلل ومنهجه في نقد الرجال، ج2، ص 139.
- (46) التاريخ الكبير، ج2، ص 284.

- (47) النووي، الحافظ ابو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت676هـ) تهذيب الاسماء واللغات، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996، ج1، ص 350.
- (48) النسائي، ابي عبد الرحمن احمد بن شعيب (ت303هـ)، السنن الكبرى، تحقيق محمد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة، بيروت، 1411هـ، ج1، ص 121.
- (49) ميزان الاعتدال، ج3، ص 138.
- (50) تقريب التهذيب، ج2، ص 39.
- (51) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج1، ص 403.
- (52) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج1، ص 403.
- (53) تاريخ بغداد، ج11، ص 458.
- (54) العبر، ج1، ص 418، الميزان، ج3، ص 138، تذكرة الحفاظ، ج2، ص 39.
- (55) تقريب التهذيب، ج2، ص 39، تهذيب التهذيب، ج7، ص 349.
- (56) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج2، ص 39.
- (57) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج2، ص 39 ؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج7، ص 349 ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج2، ص 428.
- (58) الجرح والتعديل، في مقدمته، ص 319، و ج1، ص 193.
- (59) تقريب التهذيب، ج2، ص 39.
- (60) الميزان، ج3، ص 138.
- (61) ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ج3، ص 115.
- (62) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج11، ص 458 ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج2، ص 428 ؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج7، ص 349 ؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج2، ص 39.
- (63) ابي خيثمة: هو ابو بكر احمد بن ابن ابي خيثمة الحافظ الكبير المجهور، (ت297هـ) ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعلي أبو زيد، ط4، مؤسسة الرسالة (بيروت - 1986)، ج11، ص 492-493.
- (64) البغدادي، ج11، ص 458.
- (65) تنظر ترجمته في شيوخ المديني، ص.
- (66) ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج1، ص 193.
- (67) النووي، تهذيب الاسماء واللغات، ج1، ص 350.
- (68) تهذيب الأسماء واللغات، ج1، ص 350.

- (69) الحاكم النيسابوري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله (ت405هـ)، معرفة علوم الحديث، تحقيق السيد معظم حسن، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1397هـ، ص 39.
- (70) ابن سعد، البقات الكبرى، ج7، ص 381 ؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج2، ص 214 ؛ ابن حبان، التقات، ج6، ص 145.
- (71) الآبي: و (اية): هي بلدة تقابل ساوة تعرف بين العامة بأوة فلاشك فيها وأهلها شيعة وأهل ساوة سنة ؛ ياقوت، ابو عبدالله بن عبدالله الحموي البغدادي (ت626هـ)، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج1، ص 50.
- (72) السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562هـ)، الانساب، ط1 دار الجنان، بيروت، 1408هـ، ج1، ص 59.
- (73) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7، ص 381 ؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج2، ص 214 ؛ ابن حبان، التقات، ج6، ص 145 ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7، ص 263.
- (74) الباجي، ابو الوليد سليمان بن خلف بن سعد (ت474هـ)، التعديل والتجريح، تحقيق ابو لبابه حسين، ط1، دار اللواء، الرياض، 1406هـ، ج1، ص 410 ؛ المزني، تهذيب الكمال، ج4، ص 543.
- (75) ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج2، ص 481.
- (76) ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج3، ص 139 ؛ ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص 157 ؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج3، ص 9-11.
- (77) الطبقات الكبرى، ج5، ص 498 ؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج3، ص 10.
- (78) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج5، ص 497-498 ؛ ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص 149-150 ؛ المزني، تهذيب الكمال، ج4، ص 105.
- (79) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج4، ص 105.
- (80) ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج4، ص 227 ؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج1، ص 312.
- (81) العجلي، احمد بن عبدالله بن صالح (ت261هـ)، معرفة التقات، تحقيق عبد العليم عبد العظيم، ط1، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1405هـ، ج2، ص 97.
- (82) الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق محمد عوامة، ط1، دار القبلة الثقافية الاسلامية، جدة، 1992، ج1، ص 658.
- (83) ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج5، ص 395.
- (84) ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج5، ص 395.
- (85) ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج5، ص 395.
- (86) ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج5، ص 395.

- (87) الذهبي، الكاشف، ج1، ص 658.
- (88) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج2، ص 103-105 ؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج10، ص 204 – 205.
- (89) ميزان الاعتدال، ج4، ص 142.
- (90) تقريب التهذيب، ج2، ص 263.
- (91) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج5، ص 548 ؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج11، ص 51.
- (92) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج9، ص 581.
- (93) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج11، ص 51-52 ؛ تقريب التهذيب، ج2، ص 320.
- (94) الشافعي، محمد بن ادریس ابو عبدالله (ت204هـ)، كتاب الامم، ط2، دار الفكر، بيروت، 1403هـ، ج1، ص 157.
- (95) الشافعي، الام، ج1، ص 157 ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج4، ص 87.
- (96) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7، ص 313 ؛ ابو حاتم، الجرح والتعديل، ج9، ص 115 ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، ص 248.
- (97) المزي، تهذيب الكمال، ج30، ص 281 ؛ الذهبي، ميزان لاعتدال، ج4، ص 307.
- (98) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، ص 248 ؛ ميزان الاعتدال، ج4، ص 307.
- (99) ابو حاتم، الجرح والتعديل، ج9، ص 115.
- (100) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7، ص 313 ؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج2، ص 242 ؛ ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص 208.
- (101) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص 140 ؛ السمعاني، الأنساب، ج4، ص 519 ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، ص 298 ؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج2، ص 303.
- (102) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص 140 ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، ص 298.
- (103) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص 146 ؛ السمعاني، الانساب، ج14، ص 519.
- (104) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7، ص 289 ؛ ابن حبان، مشاهير علماء البصرة، ص 162 ؛ الذهبي، الكاشف، ج3، ص 277.
- (105) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج11، ص 285.
- (106) تقريب التهذيب، ج2، ص 364.
- (107) مقصد الارشد في ذكر اصحاب الامام احمد، ج1، ص 373.
- (108) الذهبي، المعنى في الضعفاء، تحقيق نور الدين زعتر، دار المعارف، ط1، سوريا، 1971، ج1، ص 46.
- (109) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج1، ص 24.

- (110) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص 412.
- (111) مسلم، ابو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)، الكنى والاسماء، تحقيق عبد الرحيم محمد احمد القشيري، ط1، السعودية، 1984، ج1، ص 79.
- (112) السيوطي، طبقات الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ج1، ص 384.
- (113) الذهبي، المقتفى في سرد الكنى، تحقيق محمد صالح عبد العزيز مراد، مطابع الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، 1408هـ، ج1، ص415.
- (114) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج11، ص 316.
- (115) ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني (ت852هـ)، طبقات المدلسين، تحقيق عاصم بن عبدالله القزويني، ط1، مكتبة المنار، عمان، 1403هـ، ج1، ص 44.
- (116) الذهبي، المقفى في سرد الكنى، ج1، ص 415.
- (117) البخاري، التاريخ الكبير، ج2، ص 284.

المصادر العربية

- ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ)،
- 1 - اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
- ابن ابي حاتم، ابو محمد عبد الرحمن بن ادريس التميمي الرازي (ت327هـ)،
- 2 - الجرح والتعديل، ط1، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الدكن، الهند، 1952.
- الباجي، ابو الوليد سليمان بن خلف بن سعد (ت474هـ)
- 3 - التعديل والتجريح، تحقيق ابو لبابة حسين، ط1، دار اللواء، الرياض، 1406.
- البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت256هـ)
- 4 - التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986.
- الحاكم النيسابوري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله (ت405هـ)
- 5 - معرفة علوم الحديث، تحقيق السيد معظم حسن، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1397هـ.
- ابن حبان، ابو حاتم محمد السبتي (ت345هـ)
- 6 - مشاهير علماء الامصار، تحقيق م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1959.
- 7 - التفقات، تحقيق السيد شرف الدين احمد، ط1، دار الفكر، بيروت، 1975.
- 8 - المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق محمد ابراهيم زايد، د.ت.
- ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني (ت852هـ)

- 9 - تهذيب التهذيب، ط1، دار الفكر، بيروت، 1984.
- 10 - تقريب التهذيب، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط2، بيروت، 1975.
- 11 - الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992.
- 12 - طبقات المدلسين، تحقيق عاصم بن عبدالله القزويني، ط1، مكتبة المنار، عمان، 1403هـ.
الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت463هـ)
- 13 - تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، مصر، 1931.
الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ)
- 14 - تذكرة الحفاظ، ط4، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1374هـ.
- 15 - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1963.
- 16 - العبر في خبر من غير، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1984.
- 17 - سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط وعلي ابو زيد، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.
- 18 - المغني في الضعفاء، تحقيق نور الدين زعتر، دار المعارف، ط1، سوريا، 1971.
- 19 - المقتفى في سرد الكنى، تحقيق محمد صالح عبد العزيز مراد، مطابع الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، 1408هـ.
- 20 - الكاشف في معرفة فن له رواية في الكتب السنينة، تحقيق محمد عواد، ط1، دار القبلة، جدة، 1992.
السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ)
- 21 - طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد القادر احمد، ط1، بيروت، 1991.
ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت230هـ)
- 22 - الطبقات الكبرى (القسم المتمم)، تحقيق زياد محمد منصور، ط2، مكتبة العلوم والحكمة، المدينة المنورة، 1408هـ.
- السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562هـ)
- 23 - ادب الاملاء والاستملاء، تحقيق سعيد محمد اللحام، ط1، مكتبة الهلال، 1989.
- 24 - الانساب، ط1، دار الجنان، بيروت، 1408هـ.
السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت911هـ)
- 25 - اسعاف المبطأ برجال المؤطا، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1969.
- 26 - طبقت الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

- الشافعي، محمد بن ادريس ابو عبدالله (ت204هـ)
- 27 - كتاب الام، ط2، دار الفكر، بيروت، 1403هـ.
- الشيرازي، ابو اسحق ابراهيم بن علي الشافعي (ت476هـ)
- 28 - طبقات الفقهاء، تحقيق خليل الميس، دار القلم، بيروت، د.ت.
- العجلي، احمد بن عبدالله بن صالح (ت261هـ)
- 29 - معرفة التقات، تحقيق عبد العليم عبد العظيم، ط1، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1405هـ.
- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن (ت571هـ)
- 30 - تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ.
- الفيرزبادي، محمد بن يعقوب (ت817هـ)
- 31 - القاموس المحيط، ط2، بيروت، 1987.
- الكلاباذي، احمد بن محمد بن الحسن (ت398هـ)
- 32 - رجال صحيح البخاري، تحقيق عبدالله الليثي، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1407هـ.
- المديني، علي بن عبدالله بن جعفر بن نجح السعدي البصري (ت234هـ)
- 33 - منهجه في نقد الرجال، ط1، بيروت، د.ت.
- المزي، جمال الدين ابو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (ت742هـ)
- 34 - تهذيب الكمال في اسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998.
- مسلم، ابو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)
- 35 - الكنى والاسماء، تحقيق عبد الرحيم محمد احمد القشيري، ط1، السعودية، 1984.
- النسائي، ابي عبد الرحمن احمد بن شعيب (ت303هـ)
- 36 - السنن الكبرى، تحقيق محمد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة، بيروت، 1411هـ.
- النووي، الحافظ ابو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت676هـ)
- 37 - تهذيب الأسماء واللغات، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996.
- ياقوت الحموي، ابو عبدالله بن عبدالله الحموي البغدادي (ت626هـ)
- 38 - معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ابي يعلي، احمد بن علي بن المثنى الموصلية التميمي (ت307هـ)
- 39 - طبقات الحنابلة، دمشق، 1984.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02. بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المراجع

الشرقاوي، حسن

40 - الاخلاق الاسلامية، مؤسسة المختار، القاهرة، 2000.

المص، بدر عبد الرزاق.

41 - اخلاق المسلم وآدابه، مكتبة الفلاح، القاهرة، 1993.

موسى، محمد يوسف.

42 - الأخلاق في الإسلام، مؤسسة العصر الحديث، بيروت، د.ت.

تثمين التراث المادي بجهة بني ملال-خنيفرة (المغرب) ورهان تنمية الجاذبية السياحية؛

المشاهد الطبيعية بمدينة بني ملال نموذجا

د. محمد الزبير،¹ د. ونورالدين طاهير²

1 باحث في التهيئة والتنمية الترابية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب

ezoubairmed@gmail.com

2 باحث في التدبير والتنمية الترابية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

nouredine.tahir@usmba.ac.ma

ملخص :

يعتبر التراث بنوعيه (المادي واللامادي) من المكونات الأساسية لهوية أي مجال ترابي، حيث يعكس تراكماته الحضارية، والثقافية، وجذوره التاريخية، كما يشكل أحد العوامل المهمة في جاذبيته السياحية. وقد حاولنا، من خلال هذه المقالة، الإجابة عن إشكالية موضوعها المتمثلة في كيفية إرساء دعائم أساسية لتثمين التراث المادي بجهة بني ملال خنيفرة، كأداة لتقوية جاذبيتها السياحية وضمان مقومات استمراريته، مع اتخاذ التراث التاريخي والطبيعي لمدينة بني ملال (عاصمة الجهة) نموذجا، وتبين لنا جليا من خلال عملية التشخيص والتحليل التي أنجزناها وفق نموذج الدراسة SWOT، أن جهة بني ملال-خنيفرة بما فيها (عاصمتها الجهوية) مجال ترابي غني بموارده التراثية، خاصة، الطبيعية والمشاهدة، وما ينقصه هو إرساء استراتيجية للتثمين والتسويق في إطار مشروع ترابي تنموي برؤية واضحة، ومنهجية، وشاملة، تركز على إرادة الفاعل المحلي في تعزيز وتقوية الجاذبية الترابية خاصة السياحية منها.

الكلمات الأساسية : السياحة - التراث المادي - الجاذبية الترابية - جهة بني ملال خنيفرة.

**Valuing the material heritage in the Béni-Mellal Khénifra region (Morocco)
and striving to develop the tourist attraction; Natural scenes in the Béni-Mellal
city as a model**

Dr. Mohammed EZOUBAIR¹ et Dr. Nouredine TAHIR²

¹ Researcher in planning and territorial development, Hassan II University, Casablanca, Morocco.

² Researcher in management and territorial development, Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fès, Morocco.

Abstract :

Both types of heritage (material and immaterial) are essential components for any space territorial identity. As it reflects the accumulations of civilization, culture and historical roots and the important factors in its attractiveness. We have

tried, through this article, to answer the problem of his subject, which is how to lay basic foundations for the valuation of the tangible heritage between Béni-Mellal Khénifra region, as a tool to strengthen its tourist attraction and ensure their continuity. So we took the natural heritage in the city of Béni-Mellal as the capital of the study model, and it was revealed through the diagnostic process that we have completed according to the SWOT study model, As it became clear that the Béni Mellal Khénifra region, including its (its regional capital), is a space territorial rich in heritage resources, especially natural and scenic ones, which lacks only the establishment of a strategy for valuation and marketing within the framework of a development project with a clear, integrated and comprehensive vision, based on the enhancement and strengthening of the territorial attractiveness, especially tourism.

Keywords: Tourism - Material heritage - Territorial attractiveness – Béni-Mellal Khénifra region.

تقديم :

يعتبر قطاع السياحة مكونا مهما في النسيج الاقتصادي المغربي، لأنه يساهم في خلق الثروة وجلب العملة الصعبة، وتشغيل اليد العاملة، وترويج منتجات الصناعة التقليدية، وتنشيط قطاع الخدمات (النقل، والمطاعم، والفنادق، وغيرها)، إلا أن هذا القطاع يبقى رهينا بمستوى تنمية جاذبية المجالات الترابية، خاصة المستوى الجهوي منها، في ظل تبني المغرب لورش الجهوية المتقدمة من خلال دستور سنة 2011. وقد أصبحت الجاذبية السياحية التي تستند على تهمين المؤهلات والموارد الترابية المحلية (التراث المادي واللامادي)، من الأهداف الأساسية عند وضع المخططات التنموية الجهوية، باعتباره أحد أوجه الميزات التنافسية المساهمة في تنمية الجاذبية السياحية المحلية. وفي هذا الإطار، تعتبر جهة بني ملال-خنيفرة من بين أهم جهات المملكة المغربية الاثنا عشر التي تمتلك تراثا ماديا غنيا ومتنوعا، يشكل هوية، وثقافة، وقيم، وحضارة المجتمع، ينقصه التهمين والترويج (التسويق الترابي).

إن اختيارنا لموضوع الجاذبية السياحية من خلال تهمين التراث بجهة بني ملال-خنيفرة نابع من قناعتنا على أن تهمين التراث، خاصة التراث المادي، سيكون له بالغ الأثر في تحريك النشاط الاقتصادي وتحقيق التنمية المحلية، باعتبارها رهانا منشودا، خاصة على طول الشريط الجبلي بهذه الجهة. ولن يتحقق هذا المسعى إلا من خلال رؤية استراتيجية واضحة تركز أولا على تشخيص شامل ودقيق للمؤهلات التراثية المحلية بها، وبتسليط الضوء على تبني تصورات لأنشطة سياحية إيكولوجية تحافظ على هذا التراث، مع تقديم مقاربات لتهمينه، وتعزيزه، وتقويته، ليشكل أداة لتنمية الجاذبية السياحية واستدامتها.

1 - إشكالية الموضوع وفرضيته :

لقد قامت فكرة هذه الدراسة على تحليل مضمون الإشكالية الأساسية التي نسعى لمعالجتها في هذه المقالة، والتي تتمثل في السؤال التالي: كيف يمكن إرساء دعائم أساسية لتثمين التراث بشكل يساهم في خلق جاذبية سياحية بجهة بني ملال-خنيفرة وضمان مقومات استمراريته؟ وتستدعي الإجابة عليها، الانطلاق من وضع فرضية أساسية، تمت صياغتها كالتالي: يساهم تثمين التراث بكل أنواعه في تحقيق جاذبية سياحية بجهة بني ملال-خنيفرة.

2 - أهمية الموضوع :

يكتسي موضوع تثمين التراث المادي بجهة بني ملال-خنيفرة ورهان تنمية الجاذبية السياحية بها، في كونه آلية ذات أهمية بالغة للرفع من الجاذبية السياحية، وفي تسليطه الضوء على إحدى مكونات التراث الجهوي الذي يغفل عن تناوله العديد من الباحثين في التنمية الترابية، بالإضافة إلى اعتباره دراسة مجالية (مقارنة جغرافية) تساهم في ربط الصلة بين الأجيال الماضية والأجيال الحالية رغم كل التحولات والتغيرات المستمرة، والإكراهات والتحديات المطروحة.

3 - منهجية العمل والأدوات المستعملة :

اعتمدنا في معالجة إشكالية موضوعنا منهجا علميا حديثا في التشخيص والتحليل، والمتمثل في مقارنة سوات «SWOT/AFOM» التي تعتبر من بين أفضل الأدوات المستخدمة في التشخيص ووضع الاستراتيجيات، والتي قام بوضعها الباحث الأمريكي ألبرت هامفري (Albert HUMPHREY) في عقدي الستينات والسبعينات من خلال بحثه بجامعة ستانفورد بولاية كاليفورنيا.¹

تحليل SWOT باللغة الإنجليزية² أو AFOM/FFOM باللغة الفرنسية³ هو أسلوب يستخدم في التشخيص والتحليل الاستراتيجي من خلال دراسة وتقييم أربع نقاط رئيسية، وهي: نقاط القوة، ونقاط الضعف (تشخيص داخلي)، والفرص المتاحة، والمخاطر أو التهديدات المحتملة (تشخيص خارجي).⁴ وقد تطور هذا النموذج وظهر بعده عدد من النماذج التحليلية التي تخدم نفس الفكرة في التحليل والتقييم.⁵

خطاظة رقم 01 : مكونات المصفوفة الرباعية SWOT أو AFOM

إيجابيات مساعدة	سلبيات مؤذية	
Strengths نقاط القوة Forces/Atouts	Weaknesses نقاط الضعف Faiblesses	تحليل داخلي
Opportunities الفرص Opportunités	Threats المخاطر Menaces	تحليل خارجي

المصدر: نورالدين طاهير، (2019)⁶

إن تشخيص نقاط القوة ونقاط الضعف والفرص المتاحة والمخاطر المحتملة للتراث السياحي بتراب جهة بني ملال-خنيفرة، يسمح لنا بالحصول على لوائح تشكل قاعدة لوضع الأولويات وتحديد الأهداف قصيرة، ومتوسطة، وطويلة الأمد، ومنطلقا لوضع استراتيجية عمل تساهم في التنمية. وقد ساعدنا تشخيص إشكالية موضوع دراستنا المتعلق بتراث وعلاقته بالجاذبية السياحية، في معالجتها والإحاطة بها، وفق المحاور الموالية.

المحور الأول : قراءة في المفاهيم المهيكلية لإشكالية الموضوع

وقبل التطرق لحثيات الموضوع، سنقوم في هذا المحور الأول من المقالة، بتسليط الضوء على المفاهيم المفاتيح الأساسية المؤطرة والمهيكلية لإشكالية هذه الدراسة (السياحة، والتراث المادي، والجاذبية التراثية، وجهة بني ملال خنيفرة)، وتوضيح بعض الغموض الذي يلف تعريف مصطلحاتها، وتحليل مضمونها لفهم العلاقات التي تربط بينها.

1 - السياحة:

تعتبر سفرا ونشاطا بشريا يقوم به الإنسان، وذلك بالتنقل من مكان إلى آخر، وخلال فترة زمنية محددة بهدف "الترفيه، وتوفير الخدمات المتعلقة بهذا النشاط، والسائح هو ذلك الشخص الذي يقوم بالتنقل لغرض السياحة لمسافة ثمانين كيلومترا على الأقل من منزله"⁷. ويشير القرآن الكريم للسياحة في قوله تعالى في سورة التوبة "فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين"، وكذلك في سورة قريش "إيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت

الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف". وتعترفها منظمة السياحة العالمية (OMT) على أنها "الأنشطة التي يقوم بها الأشخاص أثناء سفرهم والإقامة في أماكن خارج بيئتهم المعتادة لفترة متتالية لا تتجاوز سنة واحدة، وذلك للترفيه أو للعمل أو لأغراض أخرى"⁸. وتشكل السياحة ظاهرة عبرت عليها مختلف المعارف الإنسانية والتخصصات العلمية بكونها "وسيلة حضارية من وسائل الإعلام والدعاية تمثلت في شخصية السائح"⁹ باعتباره كل من يسافر للاستجمام، أو لزيارة الأهل والأصدقاء، أو للعمل، أو لحضور لقاء، أو مؤتمر، وقد ظهرت كلمة "سائح" في إنجلترا عام 1800، وبعد ثلاث سنوات، تم استخدامها في اللغة الفرنسية مع إدخال تعديلات على التعريف الذي تم تقديمه خلال القرن التاسع عشر، كما يلي: "يقصد بالسائح كل المسافرين الذين لا يسافرون إلى الدول الأجنبية بدافع الفضول والكسل فقط، بل حتى الذين يقومون بجولة في البلدان التي اعتادوا زيارتها وعادة ما يكونون مواطنوها. ويقال إنه مسافر إنجليزي في فرنسا، وفي سويسرا وفي إيطاليا"¹⁰، وحسب منظمة الأمم المتحدة (سنة 1963)، فهو "كل زائر مؤقت للبلد المضيف لأي بلد غير غرض العمل لمدة تقل عن أربعة وعشرين ساعة ولا تزيد عن إثنا عشر شهرا"¹¹. وقد أصبح الاهتمام بقطاع السياحة من الأولويات الاقتصادية باعتبارها مصدرا أساسيا للدخل، فمنذ الفترة الاستعمارية، اهتمت المخططات السياحية بعدد من المناطق، أهمها، إنشاء محطات سياحية شتوية بإفران، ومحطات شاطئية بالحمدية، ومنذ بزوغ فجر الاستقلال وضعت الدولة المغربية مخططات للنهوض بالاقتصاد الوطني وبالقطاع السياحي. وتؤكد الوثائق الرسمية أن المغرب راهن ومنذ السنوات الأولى للاستقلال على السياحة كقاطرة للإقلاع الاقتصادي وتحقيق التنمية الاجتماعية، برصده لرؤوس أموال كبيرة استثمرت في تشييد الطرق، وبناء الفنادق، والمركبات، والمخيمات السياحية، وفي بناء مؤسسات وطنية تهتم بالسياحة (المكتب الوطني المغربي للسياحة، والقرض العقاري والسياحي)، وأخرى جهوية (شركة تجهيز خليج طنجة، وشركة تجهيز خليج أكادير)، وبإصدار التشريعات اللازمة للنهوض بهذا القطاع، مستفيدا من الاستثمارات الأجنبية والوطنية، وكانت المناظرة الوطنية للسياحة التي احتضنتها مدينة مراكش يوم العاشر من يناير من سنة 2001 تحت الرعاية الفعلية لعاهل البلاد الملك محمد السادس قاطرة نحو جلب ما لا يقل عن 10 ملايين سائح في أفق 2010.

ويمثل التراث التاريخي والفني مجالات هاما للسياحة، إذ "تتدفق أعداد هائلة من السائحين سنويا إلى الأماكن ذات الإرث الحضاري ذائع الصيت"¹²، بالإضافة إلى المواقع الطبيعية والمناطق الجبلية ذات الهواء النقي التي يقصدها السائحون "لاتقاء أمراض الجهاز التنفسي"¹³. فالسياحة الجبلية أصبحت "ضرورة استراتيجية

للتنمية المحلية في المناطق الجبلية، خاصة المناطق التي لا تمتلك مقومات تنمية كافية"¹⁴، لأنها تساهم في التعريف بثقافة الساكنة، وفي توفير فرص الشغل، وفي إيقاف نزيف الهجرة القروية، بالإضافة إلى النهوض بأوضاع الساكنة من خلال محاربة كافة أشكال الفقر والإقصاء والهشاشة الاجتماعية. وهكذا، فإن السياحة "تقوم على عنصرين أساسيين : الحفاظ على سلامة المحيط البيئي والاهتمام به لكي يكون مقصدا سياحيا يجذب السياح، وتأمين التراث الطبيعي للمجالات السياحية وتحويلها إلى مراكز استقطاب من أجل إنعاش الاقتصاد وتحقيق التنمية المحلية لساكنتها"¹⁵.

2 التراث (المادي واللامادي) :

يمثل "التراث موضوعا جغرافيا بالمعنى الذي قدمه M. C. Robic سنة 1995، ويختلف حسب كل مجال أرضي"¹⁶ فهو كل إرث تم إنتاجه من طرف الحضارات السالفة، وورثه الخلف الذي ينقله بدوره إلى الأجيال القادمة، سواء في ميادين العلم، والفكر، واللغة، والأدب، والفلسفة، والدين، والفن، والعمران، والفلكلور، والاقتصاد. فالتراث يعبر عن التاريخ المادي واللامادي لحضارة معينة، ويتمثل في المباني الأثرية، والأساطير الشفهية، وفي التعبيرات المرئية، والمسموعة، والمقروءة، والروحية، كما يضم الهوية الثقافية، والذاكرة الجماعية، والقيم الانسانية، ويمكن من خلاله "لأفراد مجموعات ثقافية واجتماعية أخرى التعرف على ثقافة معينة"¹⁷. فالتراث المادي يتضمن التراث المعماري، الديني (المساجد، والكنائس، دور العلم، والأضرحة، والزوايا، والقصور، والمنازل، والأسواق، والمراكز الصحية، والحمامات)، والتراث الأثري (الحرف، والمهارات اليدوية الأصيلة)، والصناعات التقليدية، المتوارثة عبر الأجيال (الحزف، والفخار، والنحاس، والزجاج، والصياغة، والحياكة، والتطريز، والنسيج، والغزل)، ثم التراث المنقول (العادات، والتقاليد الشعبية، والفولكلور)، والتي تكون مرتبطة بالزمن والمواقف (رأس السنة الهجرية، وعاشوراء، والمولد النبوي، وموسم الحج، وشهر رمضان، وميلاد السيد المسيح عليه السلام). أما التراث اللامادي (التراث المعنوي) يتضمن كل أشكال التعبير التقليدي الذي حافظت عليه المجتمعات، وهي : التقاليد والتعابير الشفهية، وفنون الفرجة، والممارسات الاجتماعية، والمظاهر الاحتفالية، والمعارف المرتبطة بالطبيعة والكون، والأخرى المتعلقة بالصناعات التقليدية، بالإضافة إلى الأعمال، والتمثلات، والمعارف، والأدوات، بالإضافة إلى المهرجانات والمواسم ذات الطابع الديني والفلكلوري (الزوايا، والتبوريدة، ومواسم أحيادوس بالأطلس المتوسط، وأحواش بالأطلس الكبير، واعبيدات الرمي).

ويعتبر التراث المادي (الموروث التاريخي والطبيعي) بحمولتها الرمزية، والثقافية، والروحية، والتراث اللامادي من جهة أخرى، من أهم العوامل التي يمكن أن تسهم في الرفع من تنافسية وجاذبية المجالات الترابية، ومن فتح آفاقا واعدة لتعزيز الجاذبية السياحية، والتسويق الترابي، والتنافسية المحلية، خاصة تلك التي تعاني من ضعف الإمكانيات والموارد الاقتصادية.

وكما سبق الإشارة، فإن التراث باعتباره تراكما حضاريا وثقافيا خلفته الأجيال عبر القرون، "يعكس أهمية الأشياء التي تذكرنا بالآباء والأجداد، أي تلك التي تربطنا بالأسلاف والتاريخ"¹⁸، فهناك من يحصره فيما هو ثقافي من قيم وأنماط عيش، وآخر فيما هو معماري من بنايات فخمة وقصور، وآخر فيما هو فني وإبداعي من نقش وفكر وحكاية¹⁹. وهناك من يراه تراثا طبيعيا و"موروثا حضاريا وثقافيا للأمة بمختلف ظواهره وتحليلاته على المستوى التاريخي والفكري والأدبي والفني، ويمثل الشاهد في عصرنا على تلك الأمة عبر التاريخ"²⁰، كما يمكن أن يشمل "الهوية الثقافية والذاكرة الجماعية للماضي"²¹، وكل المكونات القروية، والحضرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتاريخية. فهو مرجعية تاريخية وثقافية محددة للهوية والانتماء، في ظل التحولات المجتمعية المتسارعة، وبذلك فمن الضروري أن نستفيد من "التراث لتطوير الحاضر وتحديد من أجل المستقبل"²².

وباختصار، ينقسم التراث إلى نوعين؛ تراث مادي "غني ومتنوع، يشمل التراث الطبيعي والبشري، بكل مكوناته البيئية، والاجتماعية، والثقافية، والتاريخية، والعمرانية، وبكل جوانبه المادية، والمعنوية، وأشكاله القارة والمنقولة"²³، لأنه جزء من تاريخ وأصالة المجتمعات، وتطورها عبر الزمن، ويشمل المعالم، والآثار، والمبتكرات، والمؤلفات، والرسوم، والمناهج، والمسالك، والطرق. وتراث معنوي ورمزي (لامادي)، في شكل "مجموعة حية ومتجددة، من الممارسات، والمعارف، والتصورات، التي تسمح للأفراد والجماعات بالتعبير عن تصوراتهم للعالم، من خلال مجموعة من الأنساق القيمة والمعايير الأخلاقية"²⁴، التي تنتقل عبر الأجيال، وتسمح لهم بالشعور بالهوية والاستمرارية، كما تنمي فيهم احترام الثقافات الأخرى. ويتضمن: الموسيقى، وفنون العزف، والعادات الاجتماعية، العبادات أو الأعياد، والمعرفة، والتعامل مع الطبيعة، والحرف، والمنتجات التقليدية"²⁵.

3 - الجاذبية الترابية :

هي مفهوم مركب من مصطلح الجاذبية ومصطلح الترابية، ويمكن تحديده حسب المعجم كما يلي؛ جذب الشيء : شده إليه. والجذب أو الجاذبية هي تلك القوة التي يؤثر فيها جسم على آخر دون أن يكون

هناك اتصال ظاهر بين الجسمين²⁶. وجاذبية المجال تعرف بأنها " قدرة تراب ما على جذب أنشطة اقتصادية مختلفة وعوامل إنتاج دينامية (مقاولات، وأحداث مهنية، ورؤوس أموال، إلخ) خلال مدة زمنية معينة"²⁷، إلا أن هذا التعريف يختصر مفهوم الجاذبية الترابية في الجانب الاقتصادي فقط (الجاذبية الاقتصادية)، شأنها في ذلك شأن العديد من التعاريف الأخرى، مثل تعريف "فابريس حاتم" الذي يؤكد بأن الجاذبية الترابية هي " قدرة مجال ترابي معين على توفير شروط تقنع الفاعلين المعنيين بتوطين مشاريعهم بتراب معين دون آخر"²⁸، ويميز بين ثلاث مقاربات للجاذبية الترابية : المقاربة الكلية التي تشمل التراب في كليته، والمقاربة المتوسطة التي تركز على قطاع من الأنشطة فقط، والمقاربة الجزئية التي تستهدف مشروعا معينا. والحقيقة أن الجاذبية الترابية تتضمن قطاعات ومجالات أخرى، والتي يعتبرها التسويق الترابي أهدافا عامة لاستراتيجيته، نذكر منها : الجاذبية السياحية، والجاذبية الاقتصادية والجاذبية السكانية (السكان المؤهلة)، ثم جاذبية الأحداث (العلمية والثقافية والرياضية إلخ).

إن تبني استراتيجية للجاذبية الترابية يستلزم إدماجها داخل المشروع الترابي كمكون أساسي في إطار رؤية على الأمدين المتوسط والبعيد²⁹. ومن خلال ذلك، فالمجالات الترابية القوية والمتوازنة هي التي تعتمد في سياستها الترابية على استراتيجية للجاذبية تركز على الموارد والقدرات الذاتية لمجالاتها، الأمر الذي يتماشى مع سياسات اللامركزية، واللامركزية، والجهوية المتقدمة، في إطار المقاربة الأفقية والمندمجة. كما يتم قياس جاذبية المجالات الترابية من خلال قدرة مجال ترابي معين على توفير ظروف معيشية جيدة لسكانته (الجاذبية السكانية) من جهة، وقدرته على خلق الثروة والحفاظ على تنافسيته الاقتصادية (الجاذبية الاقتصادية) من جهة ثانية، وكذا قدرته على جلب واستقطاب السياح (الجاذبية السياحية) من جهة ثالثة، وهو موضوع دراستنا بالمجال الترابي لجهة بني ملال-خنيفرة.

4 - جهة بني ملال-خنيفرة :

تقع جهة بني ملال-خنيفرة وسط التراب الوطني المغربي، على مساحة إجمالية تصل إلى 28374 كلم²، أي ما يعادل 4% من مساحة التراب الوطني، وتتكون من خمسة أقاليم (بني ملال، وأزيلال، والفقيه بن صالح، وخنيفرة، وخريبكة) و 135 جماعة ترابية، 119 منها قروية و 16 حضرية. ويبلغ عدد سكان الجهة حوالي 2581703 نسمة حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014 (أي ما يقارب 7.45% من سكان المغرب). وكما تؤكد المعطيات الإحصائية أن اقتصاد الجهة يتركز على خمس قطاعات انتاجية أساسية وهي؛ الفلاحة، والمناجم، والتجارة، والصناعة، والسياحة.³⁰

فما هي المؤهلات الطبيعية والبشرية لجهة بني ملال-خنيفرة ؟

المحور الثاني : التشخيص الترابي للجاذبية السياحية بجهة بني ملال-خنيفرة

تتميز جهة بني ملال خنيفرة بمزايا اقتصادية مهمة، وبظروف طبيعية محفزة، وبموارد وإمكانات بشرية مساعدة، بإمكانها الإسهام في خلق صورة جيدة وتقوية الجاذبية السياحية بالموازاة مع المسلسل التنموي الذي تم إرساؤه منذ عقدين من الزمن.

1 -المؤهلات الطبيعية والبشرية والسياحية والترفيهية نقط قوة بجهة بني ملال-خنيفرة :

توجد جهة بني ملال-خنيفرة في موقع استراتيجي مهم وسط المغرب، تتخللها سلسلة جبال الأطلس الكبير والمتوسط، وسهل تادلة الشاسع، وهضبة الفوسفاط، وتعد من بين أغنى الجهات من حيث الموارد، والمجالات الفلاحية، والأكثر تجهيزا على المستوى الوطني، وتشهد تحولات مجالية، واقتصادية، واجتماعية، متسارعة، بتداخل الإمكانات البشرية المتوفرة، والمناظر الطبيعية والجيولوجية الواسعة.

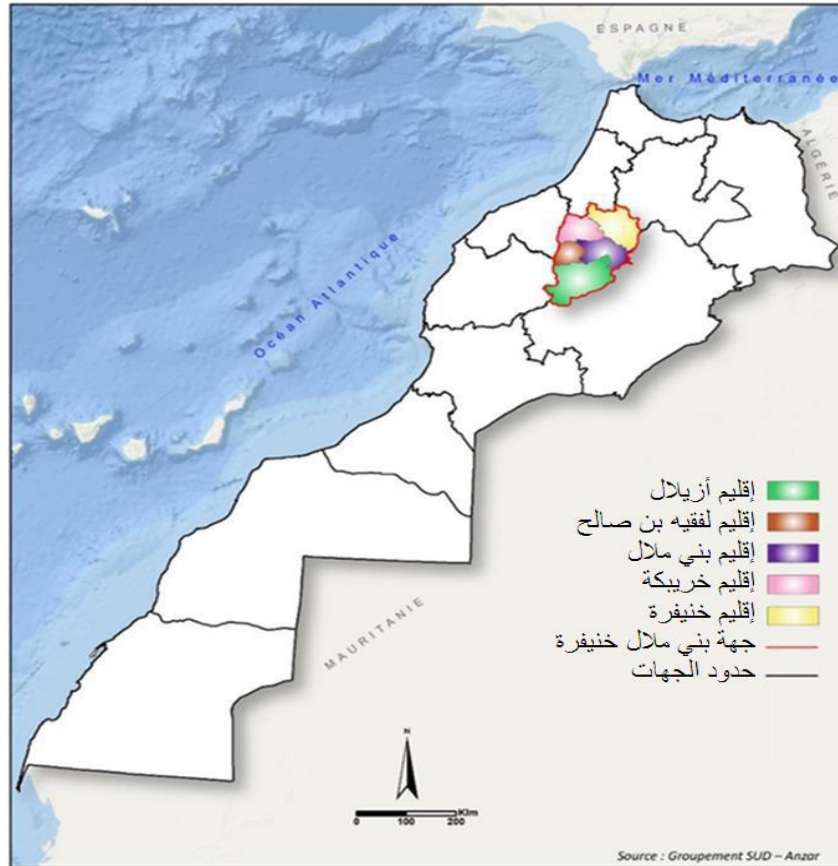
1-1-تمتاز جهة بني ملال-خنيفرة بمؤهلات طبيعية مهمة :

تصنف جهة بني ملال-خنيفرة في المرتبة الخامسة على الصعيد الوطني، من حيث الموارد الطبيعية، والمعدنية، والمائية، بوجود 15 سدا، و7 أنظمة تحويل للمياه، كما تضم حوالي 10% من المساحات الفلاحية الصالحة للزراعة على الصعيد الوطني، و15% من المساحة الوطنية المسقية، وحوالي 37% من المجال الغابوي، وتتميز بإنتاج فلاحى متنوع "أشجار الزيتون، والحوامض، والخضر، والشمندر، والحبوب، والحليب واللحوم" كما أنها تتوفر على مجالات ذات مؤهلات سياحية مهمة، خاصة منتزه "جيوبارك مكون (Géo Parc Mgone)" الذي حظي باعتراف منظمة اليونسكو منذ سنة 2014.

أ- موقع وموضع جهة بني ملال-خنيفرة في قلب المغرب :

تقع جهة بني ملال-خنيفرة وسط المملكة المغربية، وتمثل حوالي 4% من التراب الوطني، على امتداد 28.374 كلم²، وحوالي 65% منها تمثل مناطق جبلية. تحدها جهات غنية؛ من الشمال الرباط-سلا-القنيطرة، ومن الغرب جهة الدار البيضاء-سطات ومراكش-آسفي، ومن الشمال الشرقي فاس-مكناس، ومن الجنوب والجنوب الشرقي درعة تافيلالت، كما توضح ذلك الخريطة أدناه.

خريطة رقم 01 : موقع جهة بني ملال-خنيفرة بالنسبة للتراب الوطني بالمغرب

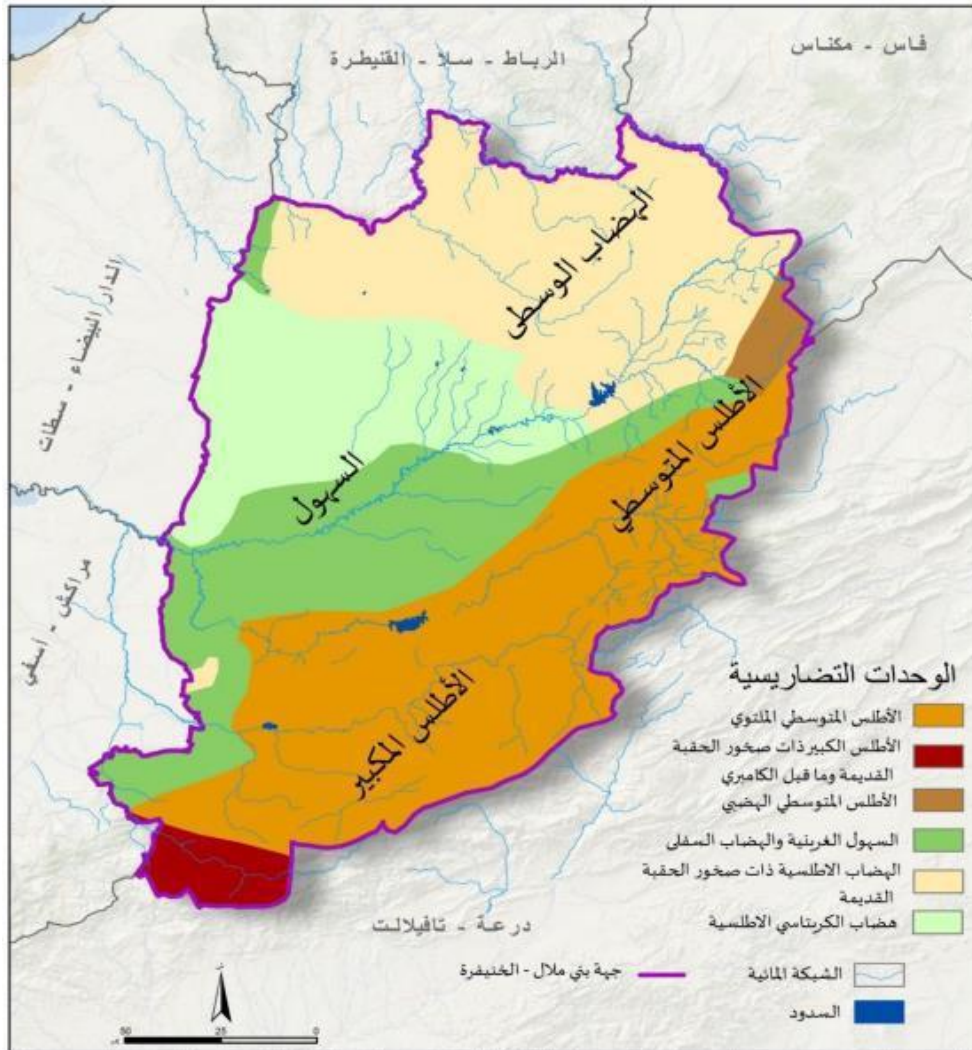


المصدر : التصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة بني ملال-خنيفرة³¹

ب- تتميز الطبوغرافية بجهة بني ملال-خنيفرة بالتنوع وبمؤهلات جبلية في المستوى

تشكل الأوساط الطبيعية لجهة بني ملال-خنيفرة من جبال، وسفوح، وهضاب عليا، وسهول، وتعتبر منطقة الدير بما نقطة تلاقي السهل الواسع وسلاسل جبال الأطلس، ومنيع أهم مجاري المياه، بالإضافة إلى توفرها على غطاء نباتي طبيعي غني ومتنوع، كما يتبين ذلك من معطيات الخريطة أدناه.

خريطة رقم 02 : الأوساط الطبيعية مؤهلات مهمة بجهة بني ملال-خنيفرة

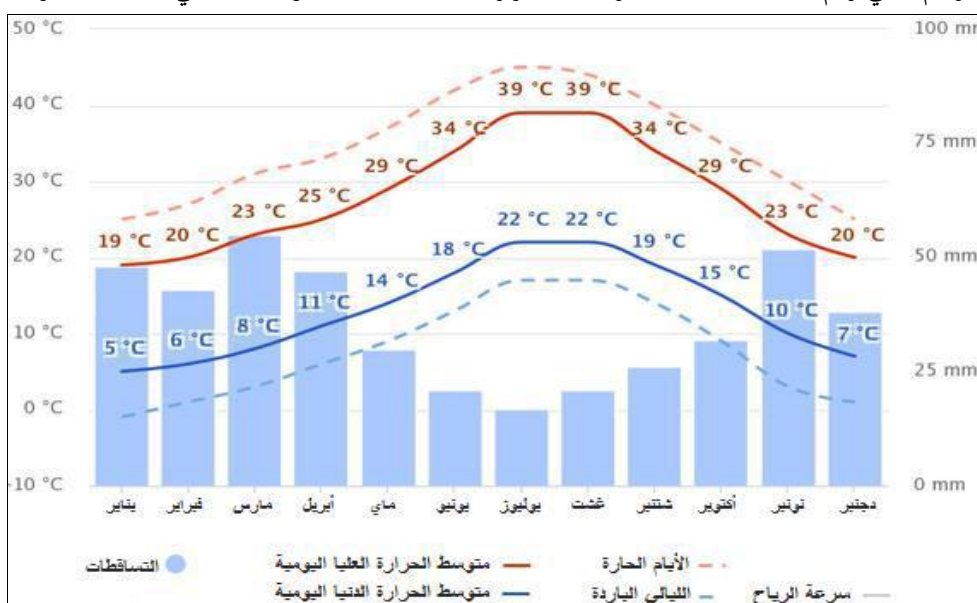


المصدر: التصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة بني ملال-خنيفرة.³²

يوجد بالقسم الشمالي لجهة بني ملال خنيفرة جزء من الهضبة الوسطى الممتدة في اتجاه الغرب عبر هضبة الفوسفات على ارتفاع يتراوح بين 600 و 1200 مترا، وبالقسم الجنوبي الغربي سهل تادلة الذي يعتبر أول مجال سقوي بالمغرب العربي من حيث المساحة، على ارتفاع يتراوح بين 400 و 700 مترا، ويخترقه وادي أم الربيع على مساحة تصل إلى 3500 كلم². وتتواجد بالقسم الشرقي سلسلة جبال

1-2- تنوع المعطيات المناخية للجهة عامل مساعد على استقطاب السياح :

رسم بياني رقم 01 : معدلات درجات الحرارة والتساقطات السنوية بجهة بني ملال-خنيفرة



المصدر : مديرية الأرصاد الجوية (SRAT ص : 17)

يتبين من المعطيات المناخية المتعلقة بجهة بني ملال-خنيفرة، أنها تتميز بتساقطات مطرية يغلب عليها الضعف وعدم الانتظام، إذ تتراوح بين 550 ملمترا و1000 ملمترا كمعدل سنوي بالمناطق الجبلية وشبه الرطبة مع طقس بارد، وأقل من 250 ملمترا في السهل والهضبة شبه الجافة مع سيادة طقس حار. أما بخصوص درجات الحرارة، فهي تتراوح ما بين درجتين مئويتين بالمناطق الجبلية في الشتاء، و40

درجة مئوية بالسهل والهضبة خلال فصل الصيف. وتتساقط الثلوج على المرتفعات ابتداء من 900 مترا، مما يؤثر على مجاري المياه بشكل كبير، خصوصا عند ذوبانها في فصلي الربيع والصيف. وعموما، يسود بالجهة مناخ يغلب عليه الطابع القاري، بارد جدا في الشتاء، وحار بشكل مفرط مع سيادة رياح الشرقي في الصيف بالخصوص.

1-3- تزخر جهة بني ملال-خنيفرة بخصائص بشرية مهمة :

إن الحديث عن الدينامية الديمغرافية بجهة بني ملال-خنيفرة من خلال توزيع السكان على مستوى الأقاليم، وتطورهم، حسب طبيعة الوسط الجغرافي ونوعه، سيمكننا من معرفة التباينات السوسيو-مالية والتحوليات التي تشهدها الجهة عند وضع أي مخطط تنموي يأخذ بعين الاعتبار تثمين التراث في خدمة السياحة بها، وذلك بالتركيز على جاذبيتها بشكل يرقى بها لمسايرة ورش الجهوية المتقدمة.

أ- عدد سكان جهة بني ملال-خنيفرة يطبعه التوازن بين أقاليمها :

بلغ عدد سكان جهة بني ملال خنيفرة³³ حسب معطيات الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014 حوالي 2.520.776 نسمة، مقابل 2.309.596 في 2004، أي ما يعادل 7,45% من مجموع سكان المغرب، وذلك بزيادة قدرها 211.180 فردا. ويطلع هذا التوزيع السكاني التوازن بين الأقاليم، إقليم بني ملال بحوالي 550.678 نسمة، وإقليم أزيلال بحوالي 554.001 نسمة، وإقليم الفقيه بن صالح بحوالي 502.827 نسمة، وإقليم خريبكة بحوالي 542.125 نسمة، وإقليم خنيفرة بحوالي 371.145 نسمة.

جدول رقم 01 : تطور ساكنة جهة بني ملال-خنيفرة حسب الأقاليم وأوساطها الحضرية والقروية

الإقليم	عدد السكان سنة 1994			عدد السكان سنة 2004			عدد السكان سنة 2014		
	حضري	قروي	المجموع	حضري	قروي	المجموع	حضري	قروي	المجموع
أزيلال	61 973	392 941	454 914	81 699	422 802	504 501	100684	453 317	554 001
بني ملال	238806	197 317	436 123	275984	212 541	488 525	326008	224 670	550 678
لفقيه بن صالح	147699	285 926	433 625	171326	286 167	457 493	205720	297 107	502 827
خنيفرة	156876	175 398	332 274	192809	167 124	359 933	228567	142578	371 145
خريبكة	294680	186 159	480 839	326674	172 470	499 144	377 760	164 365	542 125
مجموع الجهة	900034	1 237741	2 137775	1048492	1 261084	2 309596	1 238739	1 282037	2 520 776

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014

ورغم تسجيل نمو ديمغرافي مهم وتزايد سكاني كبير بالجهة وأقاليمها الخمسة، إلا أن تطور الساكنة الحضرية ترافقه معدلات مرتفعة للهجرة القروية، وبذلك يمكن إرجاع ارتفاع نسب التمدن بأقاليم الجهة إلى ضعف عدد السكان الذين لا زالوا يعيشون بالوسط القروي بسبب الهجرة الجماعية الريفية المتوالية (أنظر الخريطة رقم 03 بأن التوزيع المجالي لساكنة الجهة).

فاس - مكناس

الرباط - سلا - القيطرة

الدار البيضاء - سطات

مراكشي - أسفي

بني ملال

أزيلال

تافيلالت

عدد الساكنة

- 1 000 نسمة
- 5 000 نسمة
- 10 000 نسمة
- 50 000 نسمة
- 100 000 نسمة

الارتفاعات ب (متر)

- أقل من 500
- ما بين 500 و 1 000
- ما بين 1 000 و 1 500
- ما بين 1 500 و 2 000
- أكثر من 2 000

جهة بني ملال - الخنيفة

حدود الأقاليم

حدود الجماعات

حدود الجهات

50 25 0

التشخيص الاستراتيجي التربوي"، 2019. ص: 24.

تتكون جهة بني ملال خنيفرة من خمسة أقاليم، و 15 دائرة، و 135 جماعة، منها 16

631

الأقاليم	الجماعات (الحضرية)	الجماعات (القروية)	مجموع الجماعات	الدوائر
بني ملال	4	18	22	4
الفقيه بن صالح	3	13	16	3
أزيلال	2	42	44	6
خنيفرة	2	20	22	3
خريبكة	5	26	31	3
مجموع الجهة	16	119	135	15

المصدر : التصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة بني ملال-خنيفرة، تقرير التشخيص الاستراتيجي الترابي، ماي 2019. ص: 12.

1-4- المؤهلات السياحية والترفيهية بجهة بني ملال-خنيفرة :

إن جهة بني ملال-خنيفرة كما سبق وذكرنا، غنية بمؤهلاتها الطبيعية، ومواردها المائية، وتنوع مجالها الجبلي والغابوي، وهذه الإمكانيات باعتبارها عوامل محفزة، يمكنها أن تنعكس إيجابا على تطوير القطاع السياحي الذي لا زالت تنتظره مجهودات والتفاته للإسهام في التنمية الجهوية، إذ تؤكد المعطيات أن عدد الوحدات السياحية المصنفة بالجهة لم يتعدى 3.5% خلال الفترة ما بين 2006 و 2015 من مجموع الوحدات السياحية المصنفة على المستوى الوطني.

أ- تتوفر جهة بني ملال-خنيفرة على تجهيزات مهيكلية وبنيات تحتية محترمة :

تخترق جهة بني ملال-خنيفرة شبكة من الطرق بشكل غير متكافئ بين الأقاليم، خاصة بأزيلال وخنيفرة التي تخترقها بشكل غير منظم. وتتمثل الشبكة الطرقية في الطريق السيار رقم 08 الرابط بين بني ملال والدار البيضاء، وأيضا، في الطرق الوطنية رقم 08 و 12 و 23 و 25 و 29، والتي تم تحسينها وهيكلتها، خاصة بالمحالات القروية ، ويزيد تطوير الشبكة الطرقية المتواجدة في المناطق النائية والجبليّة وهيئتها من الرفع من جاذبية الجهة، لأنها تساهم في فك العزلة عنها، وتحسين ظروف ساكنتها المعيشية، بتقليص مظاهر الفقر والهشاشة الاجتماعية، وتوفير فرص أفضل للحصول على الخدمات، الصحية، والتعليمية، والشغل، والماء،

والطاقة، وبلوغ الأسواق والمرافق الأساسية. وتطعيم هذه الشبكة الطرقية ووسائل النقل بالمطار يعد إسهاما جديدا لجاذبية الجهة في جلب السياح، وفي تحقيق أهداف التنمية الجهوية.

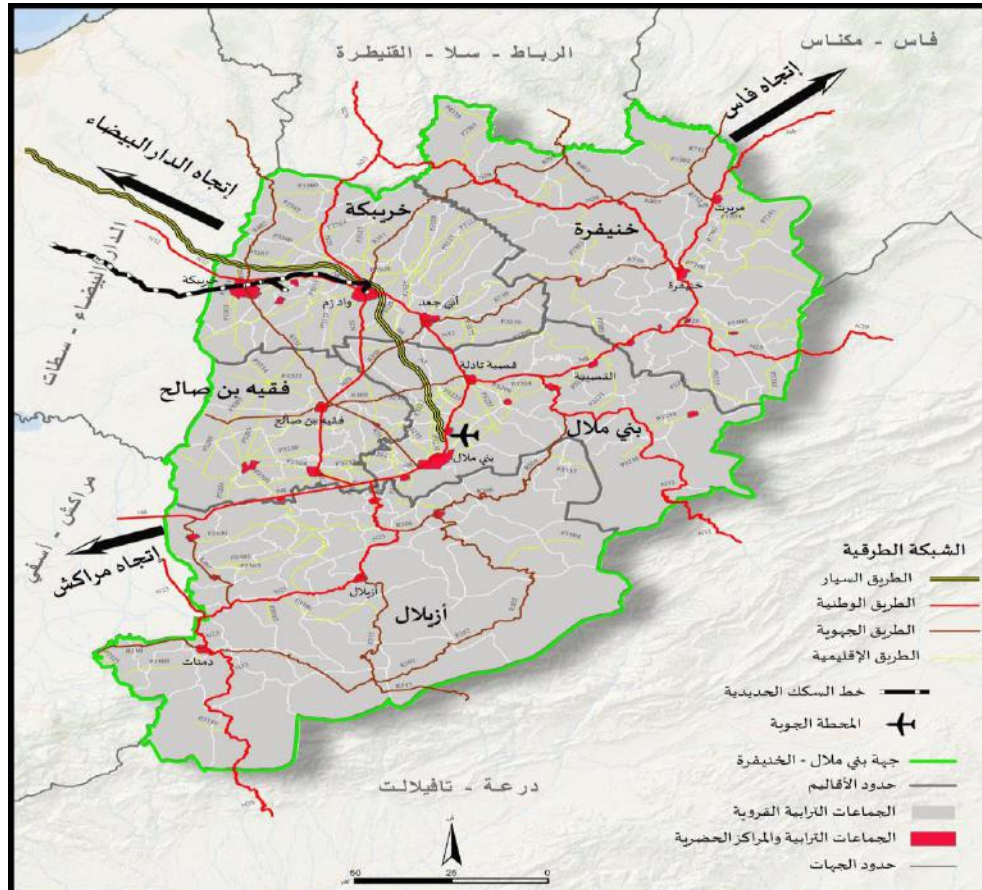
ب- المطار الدولي لبني ملال إسهام جديد في جاذبية الجهة لجلب السياح :

لقد تم تدشين مطار بني ملال سنة 2014، على مساحة تقدر بـ 170 هكتار (منها 1500 متر مربع خاصة بتجهيزات الطيران)، بهدف تسهيل عودة الجالية المغربية المقيمة بالخارج، خاصة بإيطاليا وإسبانيا، والتي تنحدر من بني ملال والمناطق المجاورة لها، وبغية تقوية البنيات التحتية السياحية للجهة وتسهيل الوصول إلى المدينة، وقد تمت تهيئته باعتباره مطارا دوليا، وذلك بتوسعة ممر الطيران إلى 2500 مترا طولا و45 مترا عرضا، وإضافة بنيات استقبال كافية (قدرة استيعابية لفائدة 150000 مسافرا في السنة، ومحطة لوقوف الطائرات مساحتها 1500 متر مربع تسع لطائرتين متوسطتين من حجم بوينغ 737 وإيرباص 320، ومكان لتوقف العربات يسع لـ 100 مكان).

ورغم تطور رحلات النقل التجاري بين 2014 و2015 بمطار بني ملال، إلا أن مجموع الرحلات خلال نفس الفترة عرف انخفاضا بحوالي 500 رحلة. ويعزى هذا الانخفاض إلى تقلص رحلات الطائرات الخاصة (هواة ومحترفو رياضة القفز بالمظلات والطيران الشراعي)، والرحلات التجريبية لسلامة المطار خلال سنة 2014. لكن معدل هذه الحركات الجوية يبقى جد ضعيف مقارنة مع مثيلاتها الوطنية.

أما بالنسبة لحركة المسافرين بمطار بني ملال، فقد سجلت سنة 2015 ما مجموعه 30 376 مسافرا، مقابل 17 423 681 مسافرا على المستوى الوطني، أي بمعدل 0.2%، وهو معدل ضعيف جدا، ويجد تبريره في وجود رحلتين فقط كل أسبوعي من وإلى مدينة ميلانو الإيطالية، وباقي الرحلات هي رحلات داخلية.

خريطة رقم 04 : الشبكة الطرقية بجهة بني ملال خنيفرة



المصدر : التصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة بني ملال-خنيفرة، "ميثاق التهيئة والتنمية المحلية 2021 -

2045"، 2020، ص: 20

ج- عدد المؤسسات السياحية والإيواء ودورها في تنشيط القطاع السياحي :

يتضح من معطيات تقرير التشخيص الاستراتيجي الترابي للتصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة بني ملال-خنيفرة، أن عدد المؤسسات السياحية المصنفة بجهة بني ملال خنيفرة انتقل من 36 مؤسسة سنة 2006 إلى 157 مؤسسة سنة 2015، بمتوسط زيادة يعادل 19.7%، مقابل 10.1% وطنيا.

جدول رقم 02 : تطور عدد المؤسسات السياحية بجهة بني ملال خنيفرة

السنوات	عدد الوحدات بالجهة	نسبة الزيادة السنوية (%)	عدد الوحدات على المستوى الوطني	نسبة الزيادة السنوية (%)	العدد الجهوي / العدد الوطني (%)
2006	36	-	1354	-	2,6
2007	45	25	1544	14	2,9
2008	55	22	1720	11,4	3,2
2009	61	11	1806	5	3,4
2010	63	3,3	2003	10,9	3,1
2011	61	-3,2	2188	9,2	2,8
2012	65	6,5	2521	15,2	2,6
2013	146	124,6	3006	19,2	4,8
2014	154	5,5	3199	6,4	4,8
2015	157	1,9	3509	9,7	4,5

المصدر : التصميم الجهوي لإعدادات التراب لجهة بني ملال-خنيفرة، تقرير التشخيص الاستراتيجي الترابي، ماي 2019. ص: 69.

ولا تمثل المؤسسات السياحية المصنفة بالجهة سوى 3.5% من نظيراتها على الصعيد الوطني. ويتبين أيضا، أن المتوسط السنوي لعدد الغرف السياحية بالجهة بلغ خلال الفترة ما بين 2006 و 2015 حوالي 1680 غرفة، بما يعادل نسبة 2% تقريبا من المعدل الوطني الذي يقارب 85.054 غرفة. وبالرغم من هذا التطور التصاعدي والمتواصل لعدد الغرف السياحية بالجهة، إلا أن حصة الجهة من عدد الغرف بالمؤسسات السياحية المصنفة لا تتجاوز 2.2% سنة من المجموع الوطني خلال سنة 2015.

ويبدو أن الضعف الذي يتم تسجيله بخصوص الدينامية السياحية بالجهة أمر يتناقض مع المؤهلات الطبيعية، والتراث التاريخي، والثقافي، والمواقع الجميلة بها (شلالات أزود، وبحيرة بين الوديان، والوديان الكبيرة، وغابة الأرز)، كما أنها عاصمة ثقافية غنية ومتنوعة بأشهر المواسم والمهرجانات الثقافية، الشيء الذي يتطلب مضاعفة الجهود لتحسين ظروف الإقامة (الفنادق المصنفة وغير المصنفة) وحسن توزيعها، ومرافق الترفيه، والمقاهي، والنوادي الليلية، والمطاعم، والمحلات التجارية، والبنيات التحتية، وتعزيز الربط بين مختلف المواقع السياحية بالجهة وأيضاً، والمدن السياحية المجاورة مراكش، وفاس، لاستقطاب تدفقات السياح، مع تعزيز الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، ودعم وتثمين الصناعة التقليدية ذات الحموله التاريخية والثقافية، وجعلها رافعة للتنمية السياحية.

2- تحديد الاختلالات الطبيعية والبشرية باعتبارها نقط الضعف :

تتخلل البنية البيئية لجهة بني ملال-خنيفرة اختلالات بالرغم من مؤهلاتها الطبيعية والبشرية المهمة، وتتمثل في الانتشار الواسع للتراث المشيد وتدهوره بشكل مستمر ومتواصل، وفي هشاشة أوساط التراث الطبيعي، مع نقص في تهيئة وتأهيل المواقع التراثية، وأيضاً، في عزلة العديد من المجالات القروية ذات الأهمية التراثية، واكتظاظ كبير في الأنسجة العمرانية التاريخية، وغياب التمويلات الضرورية والمناسبة للحفاظ عليه، بالإضافة إلى تراجع الصناعة التقليدية واقتصارها على العمل في البيت فقط، وقلة الوعي بأهمية الموارد التراثية المحلية مثل النباتات العطرية في تحقيق التنمية، خاصة في ظل ضعف إقامة المهرجانات والمواسم للإشهار وبث الإشعاع، خاصة عندما نعلم أن انتماء أغلبية الأسر بهذه المواقع إلى الفئات الفقيرة، التي تنخرها البطالة، والأمية، والتهميش الاجتماعي، وضعف التكوين. أي أن النشاط السياحي لا يرقى إلى مستوى السياحة المتاحة بالجهة بسبب عدم كفاية الترويج لها.

3- ورش الجهوية المتقدمة أبرز الفرص المتاحة للنهوض بالتراث في مجال السياحة :

تتمثل الفرص المتاحة للنهوض بالتراث السياحي بالجهة في موقعها الاستراتيجي بالقرب من المراكز الاقتصادية الرئيسية للمملكة، وأيضاً، في الانخراط المتزايد للفاعلين على المستوى الوطني في تفعيل المقاربة التراثية، عبر تنزيل مضامين الجهوية المتقدمة وسياسة اللاتمركز التي تعطي للجهات اختصاص زيادة الجاذبية التراثية للجهة وتقوية تنافسيتها الاقتصادية من خلال إنعاش القطاع السياحي وفق رؤية 2030 لتطوير السياحة بالمغرب، إضافة إلى البرنامج الوطني لفك العزلة عن العالم القروي (الريفي) مما يعطي لجهة بني ملال خنيفرة فرصة تعزيز الولوجية إلى المناطق الجبلية ذات التراث الطبيعي والمشهدي الفريد والمتميز.

4- منافسة جهة مراكش آسفي أهم المخاطر التي تهدد الجاذبية السياحية بالجهة :

وبالرغم من كل الفرص المتاحة، يجب أن نحتاط من المخاطر التي تهدد الجاذبية السياحية لجهة بني ملال خنيفرة والتي يمكن أن نوجزها في منافسة جهة مراكش آسفي سياحياً. فهذه الجهة بعاصمتها الدولية مدينة مراكش تعتبر الوجهة الأولى سياحياً بالمغرب، وتستفيد من المؤهلات السياحية الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة، خاصة بإقليم أزيلال، للترويج لوجهتها العالمية (شلالات أزود، المدارات الجبلية، التراث والمشاهد الطبيعية، والسياحة الإيكولوجية عامة)، في ظل ضعف

الترويج السياحي بالجهة. بالإضافة إلى ذلك، تعتبر المخاطر الطبيعية أهم تهديد للجاذبية السياحية بالجهة خاصة مع توالي سنوات الجفاف وقلة التساقطات المطرية في الثلاث سنوات الأخيرة، دون أن ننسى التأثيرات السلبية للفيضانات وانجراف التربة بالمجال الجبلي بالجهة، خاصة في الفصول المطيرة، على المعالم التراثية المادية (الطبيعية والمشهدة).

جدول رقم 02: خلاصة تركيبيية لمصفوفة AFOM الخاصة بتشخيص الجاذبية

السياحية بجهة بني ملال خنيفرة

نقط القوة	نقط الضعف
موقع جهة بني ملال-خنيفرة في قلب المغرب طوبوغرافية متنوعة ومؤهلات جبلية في المستوى تنوع المعطيات المناخية للجهة عامل استقطاب للسياح تجهيزات مهيكلية وبنيات تحتية وطرقية محترمة مواقع سياحية متنوعة تراث طبيعي ومشهدي غني وواعد	المهجرة القروية نحو المراكز الحضرية هشاشة الساكنة بالمجالات الجبلية ضعف التسويق الترابي (السياحي) تدهور التراث المعماري و هشاشة أوساط التراث الطبيعي اكتظاظ كبير في الأنسجة العمرانية التاريخية ضعف الجاذبية السياحية
الفرص	المخاطر
رؤية 2030 للسياحة بالمغرب ورش الجهوية المتقدمة سياسة اللامركزية سياسة اللامركزية الإداري سياسة فك العزلة عن العالم القروي	المنافسة السياحية لجهة مراكش آسفي توالي سنوات الجفاف وقلة التساقطات المطرية الفيضانات وانجراف التربة بالمجال الجبلي

تحليل داخلي

تحليل خارجي

المحور الثالث : تمييز التراث المادي بمدينة بني ملال عاصمة الجهة

تحتضن جهة بني ملال خنيفرة تراثا (طبيعيًا، وتاريخيًا، وثقافيًا، ...) غنيا ومتنوعا، بإمكانه تنشيط سياحتها، وتعزيز تنميتها الاقتصادية. فالتراث الطبيعي يتكون من البحيرات الطبيعية بالأطلس المتوسط والكبير، ومن السدود والبحيرات، ومن المشاهد الجبلية والغطاء الغابوي الممتد على مساحات شاسعة، تنمو بها أنواع مختلفة من النباتات الطبية والعطرية. والتراث المعماري يتمثل في المواقع الأثرية، والمعالم التاريخية، بالإضافة إلى المنتجات الحرفية التي تساهم في الجاذبية السياحية، وفي استقطاب الزوار.

1- التراث المادي مؤشر استجابة للسياحة ومصدر هام في عائداتها بجهة بني ملال-خنيفرة :

سنتطرق في هذه النقطة إلى أهم خصائص التراث المادي (التاريخي، والطبيعي) بجهة بني ملال خنيفرة، وتنوعه، وغناه، خاصة بمدينة بني ملال كنموذج لدراسة حالة، والدعوة للمحافظة عليه وتثمينه.

1-1 تحظى جهة بني ملال-خنيفرة بتراث مادي غني يساهم في استقطاب جزء من السياح :

تشكل المدن القديمة، والبنائات العتيقة، والمساجد العريقة، والقصبات، والقصور، والزوايا، وأضرحة الأولياء الصالحين، والمغارات، والمتنزهات السياحية، والصناعة التقليدية أهم معالم التراث العمراني بالجهة.

أ- المؤهلات العمرانية والثقافية بجهة بني ملال-خنيفرة :

إن تنوع التراث المادي "الذي يشمل مجموع إنتاجات الإنسان المادية من مآثر تاريخية، وبنائات عمومية، وحصون، ومواقع تاريخية، ويشكل مظهرًا من مظاهر النظام الثقافي ذو قيم وأهمية، من خلال احتوائه على الثقافة"³⁴، بجهة بني ملال-خنيفرة يعد من مقومات السياحة بها، خاصة السياحة الثقافية (زيارة المواقع الأثرية، والمعالم التاريخية، والمتاحف، واستكشاف الصناعات التقليدية المحلية).

* **الزوايا والأضرحة :** هي عبارة عن مسجد صغير يجمع بين الوظيفة التعليمية والمدرسة الدينية التبعية، وبين إيواء الواردين عليه من المحتاجين وإطعامهم مجانًا. وقد انتشر بمدن وقرى جهة بني ملال-خنيفرة، خاصة بالمدن التاريخية بكل من بني ملال، وأبي الجعد، ودمنات، فالعديد من الزوايا لعبت دورًا كبيرًا في تلقين الدين، ونشر المعرفة، بتعدد طرقها الصوفية "القادرية، والتيجانية، والدراوية، والعيساوية، والشرقاوية، وتعرف قمة احتفالها ليلة المولد النبوي الشريف، وليلة القدر المباركة. ومن أهم هذه الزوايا والأضرحة نجد ضريح مولاي الحسن الأول، والزوايا التيجانية، والزوايا الناصرية، والزوايا القادرية، والزوايا الدراوية، والزوايا العيساوية بدمنات، والزوايا الشرقاوية بأبي الجعد، بالإضافة إلى زاوية مولاي بوعزة، وزاوية أحصال، وزاوية الصومعة، وأغلبها عبارة عن مساجد تقام بها الصلوات، ولكنها تشهد الإهمال والتقهقر بسبب عامل الزمن.

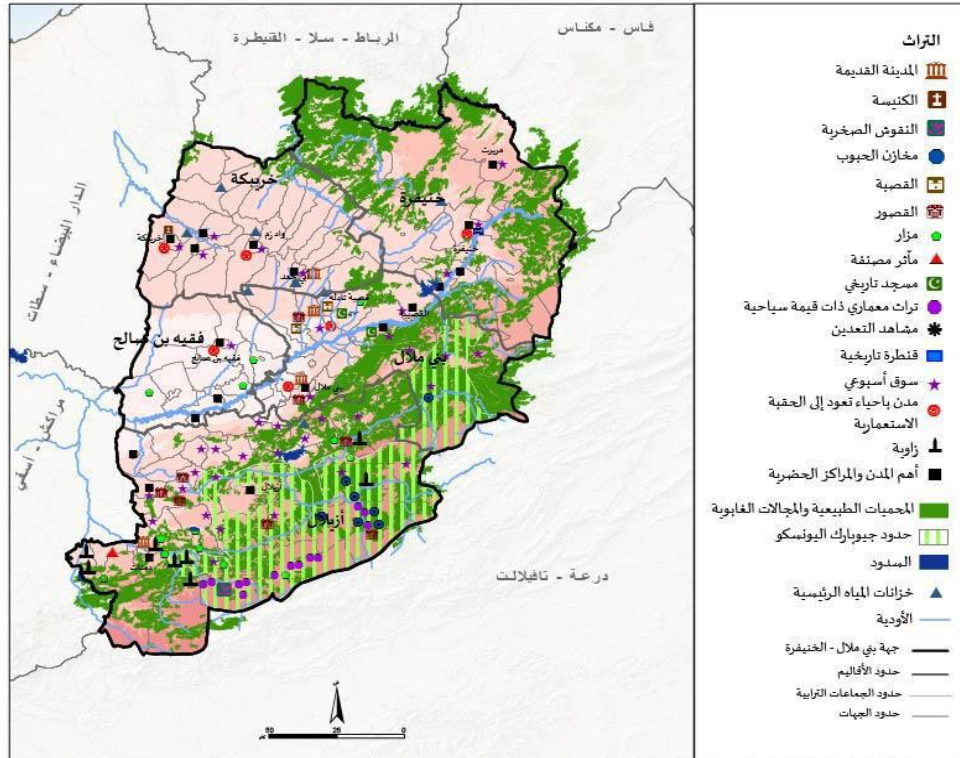
* **القصبات والقصور** : تتجسد في العديد من المنشآت التاريخية (مدن تاريخية، وقصور، وقصبات)، باعتبارها موروثا تاريخيا، شاهدة على ثقافة وتاريخ المنطقة، وأهمها؛ قصر أيت التباع، وقصر الزيدانية، وقصر أحنصال، وأيضا، قصبة زاوية الشيخ، وقصبة تادلة، وقصبة قصر علي وموحي، وقصبة فشتالة.

ب- المنتزهات والفضاءات العمومية :

يتشكل التراث المادي من التراث الطبيعي أيضا، بوجود عدد من المنتزهات الطبيعية السياحية، والمواقع المائية، والمناظر البانورامية، ومناطق الثلوج، وأهمها : **الشلالات** (شلالات أزود، وشلالات عيون أم الربيع)، **القناطر** (قنطرة أم الربيع بقصبة تادلة، والقنطرة الطبيعية إيمي نيفري بدمنات)، **المغارات** (مغارة أيت امحمد، ومغارة جبل تافراوت، ومغارة إيمي نيفري، ومغارة إيفر ياسفرد). بالإضافة إلى **المحطات السياحية** (محطة عين أسردون ببني ملال، ومحطة أغبالو نوحليمة بالقصيبة).

ويمكن من خلال تبيين هذا التراث المادي الطبيعي، بالمناطق الجبلية وشبه الجافة التي تعاني من محدودية الموارد، من خلق جاذبية سياحية تكون لها انعكاسات إيجابية على التنمية المحلية للسكان، وعلى سبيل المثال؛ يستمد إقليم أزيلال ومعه جهة بني ملال خنيفرة إشعاعه الدولي بوجود شلالات أزود، والهضبة السعيدة لوادي بوكماز، والمنتزه الوطني الجيولوجي "مكون" بقدر ما يستمد منها أهمية المجال السقوي لحوض تادلة.

خريطة رقم 5: التراث المادي (التراث الطبيعي والثقافي والتاريخي) بجهة بني ملال خنيفرة



المصدر : التصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة بني ملال-خنيفرة، تقرير التشخيص الاستراتيجي الترابي، ماي 2019. ص: 239.

1-2 رهان تهمين التراث المادي بمدينة بني ملال كموروث متنوع يصارع البقاء:

لا تخفى أهمية التراث في عكس تاريخ وحضارات الأمم، خصوصا تلك التي لا يوجد لها إلا شواهد ضئيلة متفرقة، فالتراث أنجع وسيلة لصناعة التميز وإبراز الهوية الوطنية والكشف عن ملامح خصوصيتها، عطفًا على تغذية العقل الجماعي ومده بالقيم، إلى جانب إسهامه في تشكيل الوعي العام، ولهذا كان الحفاظ عليه ونشره ونقله عبر الأجيال والحرص على ضمان استمراريته مسؤولية الجميع بلا استثناء.³⁵

وتتوفر مدينة بني ملال ومحيطها، على مادي تراث طبيعي متعدد المواقع والمشاهد وتاريخي أثري متنوع ومهم، إلا أنه لا يرقى إلى المستوى المطلوب، يجب تهمينه.

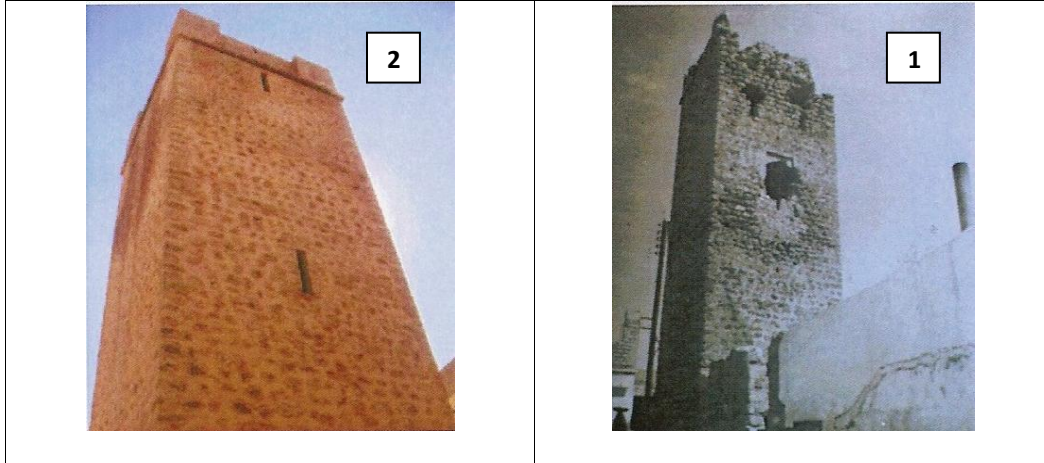
أ- التراث التاريخي والأثري مهدد بالاندثار:

تزخر مدينة بني ملال بمآثر تاريخية يعود أصلها إلى عهد الدولة الموحدية خلال القرن 12 الميلادي، وأهمها؛ المدينة القديمة، وبرج الصومعة، وقصر العين، تستوجب الصيانة ورد الاعتبار. * أولوية رد الاعتبار للمدينة القديمة : أسس المولى إسماعيل قصبة بلكوش سنة 1688 ميلادية، وشكلت مع زاوية الصومعة التي أسست قبلها (القرن الثاني عشر)، النواة الأولى لمدينة "داي" سابقا وبني ملال حاليا. وبهدف حمايتها، تمت إحاطتها ببروج مراقبة، تتصل فيما بينها بسور يرسم حدودها. ولعبت المدينة القديمة التي تشكلت على مراحل زمنية دورا مهما في الميدان التجاري كحلقة وصل بين فاس ومراكش ومعبرا للقوافل التجارية. وفي بداية القرن التاسع عشر تم إحداث قصور بجوار القصبة محاطة بأسوار تتخللها أبواب تغلق ليلا، وهي: قصر بنحمو، وقصر الأبيض، قصر بوجوج بيبان، وقصر البوهرة. وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهرت أحياء أخرى تحمل أسماء القبائل التي تكونها وهي أحياء أولاد سعيد، وأولاد حمدان، وامغيلة.

لقد وصف الرحالة الفرنسي شارل دو فوكو (Charles DE FOUCAULD) مدينة بني ملال سنة 1883 ميلادية، بأنها "مدينة نظيفة، وأزقتها واسعة، ومنازلها جديدة بنيت بشكل جيد، وتستمد ازدهارها من الحقول الخضراء المجاورة لها ذات الفواكه التي ترى من بعيد".³⁶ وفي بداية القرن العشرين أثناء وجود الاستعمار الفرنسي، تم هدم بعض أبوابها لفتح ممرات للطرق، واحتفظت بالأبواب الأخرى والأسوار الموصولة بها إلى غاية السبعينات من القرن الماضي، حيث هدمت أغلبها نتيجة تهالكها وسقوطها، إضافة إلى عوامل أخرى مثل غزو التمدين.

* برج الصومعة أقدم بناية بالمدينة: يشكل منارة للزاوية الدينية سيدي أحمد بن أبي القاسم، بني من طرف دولة المرابطين سنة 1164 ميلادية، وكان يطلق عليه "حصن داي"، ويوجد حاليا بحي الصومعة في سافلة جبال "تاصميت" قرب المنتزه السياحي "عين أسردون".

صورة مركبة رقم 01 : صورة فوتوغرافية مركبة لبرج الصومعة في سنة 1982 وفي سنة 2013



المصادر : المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط 1982، وصورة من SDAU - 2013

- الصورة رقم 1 : صورة لبرج الصومعة أخذت سنة 1982 من طرف أحد طلبة المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط وتبين حالة المعلمة التي بدأت في التدهور والاهتراء. الصورة مأخوذة من الجانب الغربي للبرج.

- الصورة رقم 2 : صورة لنفس البرج أخذت سنة 2013 من الجانب الجنوبي، بعد عملية الترميم ورد الاعتبار التي عرفها البرج.

* قصر عين أسردون أو قلعة العين منارة بني ملال : أحدث قصر العين أو قلعة العين، على مساحة تناهز 600 متر مربع وعلى ارتفاع حوالي 700 متر عن سطح البحر، خلال القرن التاسع عشر (عهد السبيبة) بهدف مراقبة عين أسردون.

صورة مركبة رقم 02 : صور فوتوغرافية مركبة لقصر عين أسردون من زوايا مختلفة



المصدر : صور أخذت من شبكة الأنترنت (أنظر : نورالدين طاهير، مرجع سابق، 2019)

أربع صور جانبية وأفقية لقصر العين أو قصر عين أسردون، أخذت من الأعلى ومن الأسفل ومن الداخل، حيث يسمح موقعه وارتفاعه بأخذ نظرة مقطعية للمدينة.

ويضم هذا القصر أربع أبراج بارتفاع 25 متر تطل على سهول تادلة، وتسمح بمراقبة الجهات الأربع للعين وللمدينة أيضا. وقد شارك في بناء القلعة كل من قبائل بني ملال، وبني موسى، وبني عمير، واعياط، وواويزغت، وتمت إعادة بنائها خلال الاستعمار الفرنسي، ثم تهدم جزء منها في الستينيات، فأعيد بناؤه في بداية السبعينيات، وقد تم ترميمها كليا في نهاية السبعينيات.³⁷

ب- التراث الطبيعي والمشهدي بمدينة بني ملال فريد ومتنوع :

يضم التراث الطبيعي والمشهدي لمدينة بني ملال مجموعة من المواقع الطبيعية، والجغرافية، والعيون المائية الغنية والمتنوعة.

* **مشهد طبيعي غني ومتنوع** : تتميز مدينة بني ملال بمناظرها الطبيعية الخضراء، وبمياه عيونها الجارية. فرغم الزحف العمراني على حساب المواقع الطبيعية والفلاحية (مواقع الزياتين)، يشكل المشهد الطبيعي العنصر التراثي المهم على مستوى المدينة. وعلى غرار باقي مناطق المغرب، يعاني هذا التراث الطبيعي ببني ملال من ضعف الاهتمام به وحمايته، رغم أنه يمنح لنا عرضا متنوعا : الدير، والمجاري المائية، والغطاء النباتي، والمناظر الطبيعية.

* **موقع جغرافي بدير أطلس بني ملال** : بعرض يتراوح ما بين 6 و 10 كيلومترات، يشكل الدير الذي تقع به مدينة بني ملال نقطة التماس والالتقاء بين جبال الأطلس وسهل تادلة تحت قدم جبل تاصميت، أهم مميزات المدينة الجغرافية. هذا الموقع الجغرافي والمجال الطبوغرافي يقدم للسكان وللزوار رؤية مقطعية رائعة لسهول تادلة المسقية بخلفية جبلية لأطلس بني ملال، تختلف رؤيتها باختلاف مستويات علو الدير الذي يعرف، للأسف، غزو السكن غير القانوني (حي أورير، وحي أوريع، وحي عين الغازي).

* **العيون المائية والمواقع الطبيعية** : تعرف بني ملال بمياه عيونها المتعددة، نذكر منها عين أسردون³⁸ التي تعتبر أشهرها على المستوى الوطني وحتى الدولي، بصبيب مائي يبلغ في المتوسط 1200 لتر في الثانية. كما توجد بالمدينة عيون أخرى كعين **تامكنونت** بصبيب مائي يقدر بـ 300 لتر في الثانية، وعين **القصابي (3 ل/ث)**، وعين **سيدي بوعقوب**، وعين **داي** التي اختفت نتيجة التمددين بالجهة الشمالية للمدينة. وقد لعبت هذه العيون دورا كبيرا في جذب السائكة واستيطانها بالمدينة، كما أنها لا زالت تزود المدينة بالماء الصالح للشرب والسقي (خصوصا عين أسردون). إضافة إلى ذلك، تعتبر هذه العيون مصدرا حياة لحدائق ومنتزهات طبيعية مجاورة لها، من أبرزها حدائق عين أسردون، وحديقة تمكنونت قرب مقر عمالة بني ملال وولاية جهة بني ملال-خنيفرة.

صورة مركبة رقم 03 : صور فوتوغرافية مركبة للمنتزه السياحي عين أسردون



المصدر : صور أخذت من شبكة الأنترنت (أنظر : نورالدين طاهر، مرجع سابق، 2019)

تبين الصورة المركبة أعلاه أربع صور فوتوغرافية من مواقع وزوايا مختلفة

لمنتزه عين أسردون بمدينة بني ملال، وتظهر الموارد المائية التي توفرها هذه

العين والفضاءات الخضراء المتواجدة بالمنتزه.

ورغم وجود مؤهلات سياحية غاية في الأهمية بمدينة بني ملال ومحيطها الإقليمي والجهوي، فإن "هناك نقاط ضعف يجب تداركها للرفع من القيمة السياحية لهذه المدينة الرائعة مع إطارها الجهوي؛ وتتمثل في وجود نسيج عمراني تلقائي، وضعف وسائل الترفيه في المجالات الخاصة بالترفيه داخل المدار الحضري، بما فيها المسارح، والمتاحف، وحمامات السباحة، والملاعب، مما يندر بصعوبة الحفاظ على التدفقات السياحية على مدى أيام متعددة، بالإضافة إلى قلة علامات التشوير الضرورية لتوجيه السياح الأجانب، خاصة المتوجهين نحو شلالات أزود"³⁹. وزيادة على هذه السلبيات التي تحدثنا عنها، يشهد المجال الطبيعي لـ "بين الويدان" تلوثا، لأن مياه مسابح أغلب الإقامات السياحية القريبة منه يتم تصريفها في نهر بين الويدان في ظل غياب شبه تام لقنوات الصرف الصحي، مما يؤثر سلبا على حياة الأسماك المتواجدة بالنهر. لدى من الواجب حماية التراث

المادي بمدينة بني ملال عاصمة الجهة، وبجهة بني ملال-خنيفرة ككل.

2 -التوجهات الاستراتيجية لحماية التراث المادي المتاح ولتنمية سياحية مستدامة :

يتبين من كل ما تطرقنا له في المحاور السابقة، أن جهة بني ملال-خنيفرة تتميز بتنوع الموارد التراثية، وغناها وامتدادها إلى المناطق القروية، بمعنى أن هناك تغطية للتراث والموارد التراثية لكامل تراب الجهة، مع قدرة هذا التراث على المقاومة والتأقلم مع مختلف التحولات، إلا أنه يشهد مشاكل تتمثل في غياب المدن التاريخية الكبرى، وتوالي مخاطر التدهور والإتلاف الذي تهدد المعمار التاريخي الموجود، ثم تهميش الحرف التقليدية جراء المنافسة الصناعية وضياع العديد من المهارات الأصيلة المرتبطة بها، بالإضافة إلى التخلي التدريجي عن الاهتمام بالتراث اللامادي، وعن الوعي بأهميته في تغذية الذاكرة الجماعية تحت تأثير العصرية والحداثة، مما يندر بالتأثير على الهوية الثقافية للجهة ككل.

2-1 التوجهات الاستراتيجية لجاذبية سياحية مستدامة :

إنه لمن الصعب إعادة إنتاج التراث المادي في الظروف الراهنة، لدى لا يجب تركه عرضة للاستعمال العشوائي الذي قد يعرضه للإتلاف، مما سيضر بمصالح الأجيال الحالية والمقبلة. وكما تقول الأدبيات بأن التراث "أصبح موضوع الساعة ومكونا أساسيا في سياسة إعداد التراث، حيث أولاه التصميم الوطني لإعداد التراث والتسمية المستدامة عناية كبيرة"⁴⁰، وأيضا التصميم الجهوي لإعداد التراث، وبذلك، "غدا يشغل مكانة جد متميزة كأحد أهم الموارد التراثية"⁴¹، ومكونا أساسيا من مكونات الثقافة المحلية، والذاكرة الجماعية، ومصدرا للثروة، وعامل اطمئنان وسكينة، في خضم تحولات المجتمع الدولي المتسارعة.

وعلى هذا الأساس، فإن تتمين هذا التراث والحفاظة عليه والرفع من مؤشرات الجاذبية السياحية ووقعها بجهة بني ملال خنيفرة، يتطلب العمل على ترسيخ قيم التضامن والتعاون لتحقيق التنمية على مختلف الأصعدة، وذلك بإذكاء شعور الانتماء انطلاقا من التاريخ والتراث المشترك لمختلف المكونات البشرية لهذه الجهة، ويجعله في صلب الرؤى الاستراتيجية، وذلك لتفادي المشاكل والمعوقات بالقطاع السياحي ورسم آفاق مستقبلية واعدة.

2-2 التراث المادي ورهان الجاذبية السياحية المستدامة:

إن تتمين التراث وتطويره بجهة بني ملال خنيفرة سيفتح آفاقا واعدة لجاذبيتها وتنمية السياحة بأهم مواقعها، وقد تطرق المخطط الجهوي لإعداد التراث لذلك، من خلال رسم كل المبادرات والمشاريع التي تم إنجازها أو التي تمت برمجتها على المستوى الجهوي والإقليمي والمحلي، تنفيذها للاستراتيجيات الوطنية،

وخاصة المنتزه الجيولوجي "جيو-بارك مكنون" الذي يحظى بصيت دولي.

- على مستوى التعمير والإسكان، هناك دراسة معمارية تحت عنوان "تصميم التهيئة للإنقاذ"، تسعى للتدخل في الأنسجة السكنية القديمة بهدف حماية وضمان استمرار التراث المشيد كأساس للهوية ورافد للتنمية؛

- على مستوى التنمية السياحية للعالم القروي ومخطط المغرب الأخضر، هناك رؤية 2020 تركز التي على تقوية أربعة دعائم أساسية، تتمثل في الأصالة، والتنوع، والجودة، والاستدامة، بهدف إغناء العرض الثقافي، وخلق عرض "طبيعي تكميلي" كمنتج خلاق ذو جودة عالية؛

- على مستوى التواصل، هناك إحداث مسارات تربط بين المجالات السياحية، وتساهم في تهيئة الموارد الطبيعية والثقافية للجهة، وإنعاش السياحة في المناطق الجبلية والقروية؛ ومن أهم المشاريع بها، تتمثل في إحداث المحطات الخضراء قرب سد الحنصالي، وسد الوردة، وتهيئة موقع شلالات أزود، وإنشاء حظيرة الديناصور بجماعة سيدي بولخلف لتعزيز المنتزه الجيولوجي "جيو-بارك مكنون"، وإقامة نادي البلدية بتغالبوت؛

- على مستوى تهيئة وإنعاش سلع وخدمات الاقتصاد الاجتماعي والتضامني المحلي، وتطوير أسواق منتوجاته، تم تشجيع مختلف مبادرات الاستثمار فيه، مع ضمان التغطية الاجتماعية لمنحطيه، وتطوير آليات التتبع، والتقييم، واليقظة، والتواصل؛

- على مستوى الحفاظ على الموروث الثقافي بالجهة، تم اتخاذ مبادرات تتضمن الحفاظ على ثروات الجهة من الوحيش، والغطاء النباتي، وتقوية وإعادة الاعتبار لمآثرها التاريخية، وتأمينها، خاصة، مشروع تنمية الأطلس الكبير الوسطي، وذلك بالاستفادة من وجود المنتزه الجيولوجي "جيو-بارك مكنون"، عبر تعبئة وتشجيع المبادرات المحلية المرتبطة بالتنمية الترابية محليا. وتجدر الإشارة إلى أن المنتزه الجيولوجي "جيو-بارك مكنون" قد أنشئ منذ سنة 2000 بمبادرة من جمعية حماية التراث الجيولوجي بالمغرب، والذي تم تصنيفه من طرف منظمة اليونسكو سنة 2014 كأول منتزه جيولوجي بالمغرب والعالم العربي، يمتد على مساحة 12.791 كلم² ويغطي 15 جماعة بالجهة.

خاتمة :

نستخلص في ختام موضوعنا أن جهة بني ملال-خنيفرة تتوفر على إمكانات كبيرة (أنواع التراث المختلفة المتاحة في كل منطقة) لا تزال غير مستغلة بما فيه الكفاية، ويمكن أن تلعب دورا رائدا في بناء الهوية، وفي الترويج الثقافي بمختلف تلويناته وأشكاله، الأمر الذي يجعلنا نقوم بتقديم اقتراحات لتأمين

التراث وإسهامه في تعزيز الجاذبية السياحية، بهدف تحقيق التنمية على كافة المستويات، الاقتصادية، والثقافية، والبيئية، والسياسية، والاجتماعية بهذه الجهة، كما يلي :

- ❖ مضاعفة الجهود لترميم وصيانة التراث المشيد في الوسط الحضري والقروي.
 - ❖ اختيار وتثمين المواقع التي تحتزن جزء من ذاكرة الأحداث التاريخية للأجداد، باعتبارها أقطاب للجاذبية السياحية.
 - ❖ خلق موارد جديدة للمساهمة في التمويل الذاتي لعمليات الترميم والصيانة المتواصلة، وتقديم مبادرات تحسيسية بإشراك المجتمع المدني تساهم في التخفيف من ضغط الممارسات السلبية التي تؤدي إلى تدهور المنشآت والموارد الطبيعية وإطار العيش.
 - ❖ ترشيد استعمال الموارد غير المتجددة خصوصا في الوسط القروي والمناطق الجبلية، مع إنعاش وتطوير النشاط الثقافي الأصيل.
 - ❖ تثمين كل المبادرات التي تسعى إلى الحفاظ على التنوع الكبير في المخزون والمكونات التراثية الجماعية، والقدرة على تثمين ورفع من قيمة هذا الموروث، وإمكانية الترويج له وتسويقه، وتطوير عاداته، باعتباره يمس شريحة مهمة من السكان، خاصة سكان البوادي والقرى الجبلية، لأن الإنتاج الزراعي غير قادر على تلبية جميع احتياجات سكان الأرياف ذوو الدخل المحدود بهذه المناطق.
 - ❖ تطوير التراث الطبيعي والمهارات الفنية في المناطق ذات الموارد الجبلية المحدودة، والاستفادة من الفوائد الإيجابية بتنمية التراث، بهدف خلق جاذبية تعطي إشعاعا وصورة إيجابية من أجل تسويق تراثي يصل إلى المستوى الدولي، خاصة بمحيط المواقع التراثية بـجبال أزيلال، وعلى سبيل المثال، شلالات أزود، ووادي آيت بوجماز، والمنتزه الجيولوجي "جيو-بارك مكون".
 - ❖ اللجوء إلى تبني استراتيجية للتسويق التراثي للجهة في شقها السياحي، تروم تعزيز جاذبيتها وتخصيصها الوطني كوجهة للسياحة "البيئية أو الجبلية"
- وهذا ما يؤكد لنا أن التراث بشقيه المادي واللامادي قادر على فتح آفاق واعدة لتعزيز التسويق والقدرة على التنافسية للمجال التراثي، ويمكن للحمولة الرمزية، والثقافية، والروحية، هي الأخرى خلق إشعاع يمكن أن يتجاوز السياق المحلي، من خلال المواسم الثقافية والدينية، والفنون الموسيقية "أحيدوس أطلس الأوسط"، و"أحواش أطلس الكبير"، و"عبيدات الرمي"، وغيرها.

الهوامش:

- ¹ - مجيد الكرخي، "التخطيط الاستراتيجي المبني على النتائج"، مطبعة الريان، قطر، 2014، ص : 200.
- ² - **SWOT** : Strenghts, Weaknesses, Opportunities, Threats
- ³ - **FFOM /AFOM**: Forces (Atouts) ، Faiblesses, Opportunités et Menaces.
- ⁴ - A. DESREUMAUX, X. LECOCQ, V. WARNIER, « **Stratégie** », Pearson Education, France, 2006, P : 58.
- ⁵ - مجيد الكرخي، مرجع سابق، ص : 201.
- ⁶ - نورالدين طاهير، "التسويق الترابي كآلية للتدبير والتنمية الحضرية - مدينة بني ملال نموذجا"، أطروحة دكتوراه في الجغرافيا البشرية، نوقشت بتاريخ 2019/06/29 برحاب جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس، 2019، ص : 23.
- ⁷ - أ. أدهم وهيب مطر، "التسويق الفندقي ومبيع وترويج الخدمات السياحية والفندقية الحديثة"، -978: ISBN 9933-22-048-8، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع دمشق-جرمانا-الأس الشرقي، الطبعة الأولى سنة 2014، ص : 17.
- ⁸ - Abderrahmane OUALI ALAMI, Sabah SERRHINI, « **Le tourisme à Fès est-il au service de l'artisanat ?** », Ouvrage Collectif, La Recherche Géographique au Maroc et la Question du Développement, dépôt légal 2020MO3581, 2020, P : 66 et 67.
- ⁹ - زهير عبد الله، "القطاع السياحي في المغرب؛ الواقع والأفاق -دراسة تحليلية نقدية مقارنة-"، شركة البادر للنشر والتوزيع الرباط، 1991، ص : 7.
- ¹⁰ - Abderrahmane OUALI ALAMI, Sabah SERRHINI, « **Le tourisme à Fès est-il au service de l'artisanat ?** », Op. Cité, P : 66.
- ¹¹ - زهير عبد الله، "القطاع السياحي في المغرب؛ الواقع والأفاق -دراسة تحليلية نقدية مقارنة-"، مرجع سابق، ص : 9.
- ¹² - سعيد صفدي الدين الطيب؛ "مقومات التنمية السياحية في ليبيا دراسة في الجغرافية السياحية"، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب من قسم الجغرافيا، جامعة القاهرة كلية الآداب قسم الجغرافيا، سنة 2001، ص : 14.
- ¹³ - سعيد صفدي الدين الطيب، "مقومات التنمية السياحية في ليبيا دراسة في الجغرافية السياحية"، مرجع سابق، ص : 14.
- ¹⁴ - نسرین بنبراح، "تثمين استثمار التراث المادي واللامادي في تنمية السياحة الجبلية المستدامة : نموذج جماعة مقريصات إقليم وزان"، مجلة المجال والتنمية "التراث والسياحة"، العدد 4، الإيداع القانوني 2018PE0017، يوليو 2019، ص : 333.

- ¹⁵ - محمد فتحي، عبد المالك السلوي، محمد سعيد قروق، " السياحة البيئية وأثرها على التنمية المحلية بجماعة مولاي بوسلهام"، مجلة المجال والتنمية "التراث والسياحة"، العدد 4، الإيداع القانوني 2018PE0017، يوليو 2019، ص : 308.
- ¹⁶ - Rachid EL ANSARI, « **Patrimoine et développement régional au Maroc** », Institut National d'Aménagement et d'Urbanisme (INAU) – ASRDLF 2013, http://www.asrdlf2013.org/IMG/pdf/C_-_El_Ansari_-_Patrimoine_et_developpement_regional_au_Maroc.pdf, P : 4. (الاطلاع يوم الأحد 2021/02/21)
- ¹⁷ - JENNAN(L) , Pierre-Antoine LANDEL et Nicolas SENIL, « **la patrimoine une ressource pour le développement, Expériences de mise en œuvre de pôles d'Economie du patrimoine au MAROC** », cahiers Géographiques, FLSHDHAR El Mehraz-FES , N° 314/2007, P : 8.
- ¹⁸ - نسرين بنبراح، "تثمين استثمار التراث المادي واللامادي في تنمية السياحة الجبلية المستدامة : نموذج جماعة مقريصات إقليم وزان"، مرجع سابق، ص : 329.
- ¹⁹ - جواد أبو زيد، "المدينة القديمة لفاس: تراث وركيزة للتنمية"، مجلة دفاتر جغرافية، عدد مزدوج 4/3 مطبعة أنفو-برانت، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس، 2007. ص : 35.
- ²⁰ - إبراهيم الحيسن، "التراث الشعبي الحساني العناصر والمكونات"، الطبعة الأولى، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2004، ص : 20.
- ²¹ - أحد تعاريف منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة.
- ²² - جواد أبو زيد، "المدينة القديمة لفاس: تراث وركيزة للتنمية"، مرجع سابق، ص 36.
- ²³ - مديرية إعداد التراث الوطني، "الحوار الوطني حول إعداد التراث، خلاصات تركيبيّة عن الورشات المحلية حسب الجهات"، 2000، ص: 5.
- ²⁴ - حماني أفضلي، "الثقافة والتنمية البشرية"، منشورات عالم التربية، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006، ص: 82.
- ²⁵ - جمال عليان، "الحفاظ على التراث الثقافي؛ نحو مدرسة عربية للحفاظ على التراث الثقافي وإدارته"، عالم المعرفة، العدد 322، ديسمبر 2005، ص : 60.
- ²⁶ - معجم المعاني : www.almaany.com (consulté le 20/02/2021 à 18 :00)
- ²⁷ - عبد الرحيم السريغيني ومن معه: "الجماعات الترابية وتفعيل جاذبية المجالات الحضرية : بلدية العطاوية نموذجاً". في مجلة المجال والتنمية، في موضوع "التسويق الترابي رهان للتنمية المحلية"، العدد 3، 2018، ص 26.

²⁸- Fabrice HATEM : « **Le marketing territorial : principes, méthodes et pratiques** », Editions EMS, management et société, Paris, 2007, p : 21.

²⁹- Idem, P : 143.

³⁰- الأرقام مستسقة من معطيات الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014.

³¹- التصميم الجهوي لإعدادات التراب لجهة بني ملال-خنيفرة، تقرير "التشخيص الاستراتيجي الترابي"، 2019. ص:

11.

³²- التصميم الجهوي لإعدادات التراب لجهة بني ملال-خنيفرة، تقرير المرحلة الثالثة "التوجهات الاستراتيجية ومجالات المشاريع"،

2020. ص: 15.

³³- المندوبية السامية للتخطيط، معطيات الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014.

³⁴- جمال عليان، "الحفاظ على التراث الثقافي، نحو مدرسة عربية للحفاظ على التراث الثقافي وإدارته"، مرجع

سابق، ص: 61.

³⁵- لحسن مقران، "التراث المادي واللامادي والواحات"، مقالة إلكترونية بجريدة هسبريس الإلكترونية بتاريخ

2015/12/26.

³⁶- Charles DE FOUCAULD, : « **Reconnaissance au Maroc (1883-1884)** » Éd.

L'Harmattan, coll. « Les introuvables », 1^{ère} partie, Paris, 1985, p : 63.

³⁷- المصطفى عربوش، "بني ملال حاضرة تادلا/أزيلال، التاريخ والتراث"، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،

2014، ص: 161.

³⁸- كلمة "أسردون" تعني بالأمازيغية "البغل". وتنسب هذه التسمية إلى الرواية الشعبية التي تقول بأنه كان هناك رجل أمازيغي

يقوم بتحويل ماء العين بمخرج لها بأعالي جبل تاصميت، ثم كان يأتي على ظهر بغل ليفاوض سكان بني ملال بالمال والذهب

من أجل إعادة فتح ممراتها نحو منبعها الحالي. وبعد محاولات عدة للإبتراز ترصدوا له وعلموا مكان تحويل مجرى المياه، ثم قاموا

بقتله.

³⁹- محمد الزبير: "الدينامية الحضرية والتنمية المجالية بمدينة بني ملال" أطروحة دكتوراه في الجغرافيا وتهيئة المجال،

نوقشت بتاريخ 2015/05/12 برحاب جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار

البيضاء، 2015، ص: 159.

⁴⁰- بوشتي الخزان - محمد حمحيق، "المدينة القديمة بفاس تراث إنساني بين التهميش والإنقاذ"، مجلة دفاتر

جغرافية، عدد مزدوج 4/3 مطبعة أنفو- برانت، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، 2007، ص:

30.

⁴¹- P. LANDEL : « **Invention de patrimoine et création de territoire, La notion de ressource territoriale** », à l'occasion de 10 ans du CERMOSSEN, laboratoire territoire, CERMOSSEN, France, 2004, p : 1.

المراجع المعتمدة :

- أدهم وهيب مطر، 2014 : "التسويق الفندقى ومبيع وترويج الخدمات السياحية والفندقية الحديثة"، ISBN: 978-9933-22-048-8، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع دمشق-جرمانا-الأس الشرقي، الطبعة الأولى.
- إبراهيم الحيسن، 2004: "التراث الشعبي الحساني العناصر والمكونات"، الطبعة الأولى، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش.
- " البحث الجغرافي بالمغرب وسؤال التنمية"، مؤلف جماعي، تنسيق د. زهير النامي، تقديم د. حسن المباركي، الإيداع القانوني 2020MO3581، المطبعة Société Super Copie Sarl، 2020.
- المصطفى عربوش، 2014 : " بني ملال حاضرة تادلا/أزيلال، التاريخ والتراث " الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء (623 ص).
- بوشى الخزان ومحمد حميق، 2007 : "المدينة القديمة بفاس تراث إنساني بين التهميش والإنقاذ"، مجلة دفاتر جغرافية، عدد مزدوج 4/3 مطبعة أنفو- برانت، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرارز، فاس.
- جمال عليان، 2005 : "الحفاظ على التراث الثقافي؛ نحو مدرسة عربية للحفاظ على التراث الثقافي وإدارته"، عالم المعرفة، العدد 322.
- جواد أبو زيد، 2007 : "المدينة القديمة لفاس: تراث وركيزة للتنمية"، مجلة دفاتر جغرافية، عدد مزدوج 4/3 مطبعة أنفو- برانت، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرارز، فاس.
- حماني أفللي، 2006 : "الثقافة والتنمية البشرية"، منشورات عالم التربية، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- زهير عبد الله، 1991 : "القطاع السياحي في المغرب؛ الواقع والأفاق -دراسة تحليلية نقدية مقارنة-"، شركة البيادر للنشر والتوزيع الرباط.
- سعيد صفي الدين الطيب، 2001 : "مقومات التنمية السياحية في ليبيا دراسة في الجغرافية السياحية"، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب من قسم الجغرافيا، جامعة القاهرة كلية الآداب قسم الجغرافيا.
- لحسن مقران، 2015 : "التراث المادي واللامادي والواحات"، مقالة إلكترونية بجريدة هسبريس الإلكترونية بتاريخ 2015/12/26
- مجيد الكرخي، 2014 : " التخطيط الاستراتيجي المبني على النتائج"، مطبعة الريان، قطر (306 ص).
- محمد الزبير، 2015: "الدينامية الحضرية والتنمية المجالية بمدينة بني ملال" أطروحة دكتوراه في الجغرافيا وتهمية المجال، نوقشت بتاريخ 2015/05/12 برحاب جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء، 392 ص.
- محمد فتحي، وعبد المالك السلوي، ومحمد سعيد قروق، 2019 : " السياحة البيئية وأثرها على التنمية المجالية

بجماعة مولاي بوسلهام"، مجلة المجال والتنمية "التراث والسياحة"، العدد 4، الإيداع القانوني 2018PE0017، يوليو 2019.

- نسرين بنرياح، 2019 : "تثمين استثمار التراث المادي واللامادي في تنمية السياحة الجبلية المستدامة : نموذج جماعة مقريصات إقليم وزان"، مجلة المجال والتنمية "التراث والسياحة"، العدد 4، الإيداع القانوني 2018PE0017.
- نورالدين طاهير، 2019: " التسويق التراثي كآلية للتدبير والتنمية الحضرية - مدينة بني ملال نموذجا. " أطروحة دكتوراه في الجغرافيا البشرية، نوقشت بتاريخ 2019/06/29 برحاب جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس، 361 ص.
- التصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة بني ملال-خنيفرة، "تقرير التشخيص الاستراتيجي التراثي، ماي 2019.
- التصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة بني ملال-خنيفرة، "تقرير المرحلة الثالثة "التوجهات الاستراتيجية ومجالات المشاريع"، 2020.
- المندوبية السامية للتخطيط، معطيات الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014.
- مديرية إعداد التراب الوطني، الحوار الوطني حول إعداد التراب، "خلاصات تركيبيّة عن الورشات المحلية حسب الجهات"، 2000.
- A. DESREUMAUX, X. LECOCQ, V. WARNIER, 2006 : « **Stratégie** », Pearson Education, France.
- Charles DE FOUCAULD, 1985: « **Reconnaissance au Maroc (1883-1884)** ». Edition l'Harmattan, coll. « Les introuvables », Paris (292 p).
- Fabrice HATEM, 2007 : « **Le marketing territorial : principes, méthodes et pratiques** ». Editions EMS, management et société, Paris,
- L. JENNAN, Pierre-Antoine LANDEL et Nicolas SENIL, 2007 : « **la patrimoine une ressource pour le développement, Expériences de mise en œuvre de pôles d'Economie du patrimoine au MAROC** », cahiers Géographiques, FLSH Dhar El Mehraz-Fès, N° 314.
- P. LANDEL, 2004 : « **Invention de patrimoine et création de territoire. La notion de ressource territoriale à l'occasion de 10 ans du Cermosen** ». laboratoire territoire, Cermosen, France.
- Rachid EL ANSARI, 2013 : « **Patrimoine et développement régional au Maroc** », Institut National d'Aménagement et d'Urbanisme (INAU) – ASRDLF, [http://www.asrdlf2013.org/IMG/pdf/C - El Ansari - Patrimoine et developpement regional au Maroc.pdf](http://www.asrdlf2013.org/IMG/pdf/C_-_El_Ansari_-_Patrimoine_et_developpement_regional_au_Maroc.pdf).

المخاطر التي يعاني منها التراث الأثري في ولاية قالمة

وآليات مواجهتها

طالبة الدكتوراه نادية بوكرسى

جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة- الجزائر

nadia.boukersi@univ-constantine2.dz

الملخص:

تحتوي ولاية قالمة الجزائرية على تراث أثري هام، يتمثل بشكل خاص في معالم ما قبل التاريخ، ومعالم الحضارة الرومانية كمدينة تبليس والمسرح الروماني، هذه المعالم تعاني من مخاطر مختلفة منها: الظروف الطبيعية والتزيم الخاطئ والسرقة، ولمواجهة هذه المخاطر وُضعت العديد من الآليات، مثل ترميم وإعادة تأهيل موقع تبليس، وإعداد مشروع لترميم وإعادة الاعتبار للمسرح الجهوي محمود تريكي، واستغلال المناسبات للتعريف بهذا التراث. الكلمات المفتاحية: قالمة، التراث الأثري، المخاطر، آليات الحماية.

**The risks faced by the archaeological heritage in the wilaya of Guelma
And mechanisms to counter them**

Nadia Boukersi, PhD student

Abdelhamid Mehri Constantine 2 University- Algeria

nadia.boukersi@univ-constantine2.dz

Abstract:

The Algerian wilaya of Guelma contains an important archaeological heritage, specially the prehistoric monuments, and the roman monuments such as the city of Thibilis and the roman theater, these heritage suffer from various dangers, including: natural factors, wrong restoration and antiquities theft, to address these risks, several mechanisms have been established, such as the restoration and rehabilitation of many historical and archaeological monuments, and exploiting occasions to introduce this heritage.

Key words: Guelma, archaeological heritage, risks, protection mechanisms.

مقدمة

تعتبر قالة من الولايات الجزائرية التي تحتوي على تراث أثري هام بإمكانه أن يجعل منها مقصدا للسياحة الأثرية فضلا عن السياحة الحموية، فالحضارات المختلفة التي مرت عليها جعلتها حبلَى بموروث أثري قلّ نظيره، ما يزال باطن أرضها يخرج من حين لآخر، فهو يخفي الكثير من الكنوز الأثرية، حيث أن المواقع التي أجريت فيها الحفريات لم تكشف بعد عن كل مخزونها الأثري الذي تزخر به المنطقة، والذي يعكس التعاقب الحضاري على قالة باعتبارها إحدى أعرق المناطق الأثرية والتاريخية بالجزائر، غير أن هذا التراث الأثري تهدده مخاطر كثيرة قد تؤدي إلى اندثار معظمه وزواله مع مرور الزمن، ولتفادي هذه التهديدات كان لزاما على السلطات المعنية بذل الجهود للتصدي لهذه المخاطر، ولمعالجة هذا الموضوع نطرح الإشكالية التالية:

- ما هي المخاطر التي تهدد التراث الأثري في ولاية قالة؟ وماهي الآليات والتدابير المتخذة في سبيل حمايته؟

تتفرع عن هذه الاشكالية التساؤلات الفرعية التالية:

- ✓ ما هي أهم المواقع الأثرية التي تزخر بها ولاية قالة؟
- ✓ ما هي المخاطر التي تهدد التراث الأثري بقالة؟
- ✓ كيف تصدت السلطات المعنية لهذه المخاطر؟

أولا/ التراث الأثري بولاية قالة

تحتوي ولاية قالة على آثار تعود لفترات زمنية مختلفة، سنحاول حصرها فيما يلي:

1. التراث الأثري لفترة ما قبل التاريخ

إن استيطان الانسان لمنطقة قالة ضارب في القدم، والشواهد الأثرية الماثلة للعيان إلى يومنا هذا خير دليل على ذلك، فهو بمثابة جزء هام من الإرث الحضاري لولاية قالة، وهذا التراث الما قبل تاريخي يتمثل في مواقع الفن الصخري والمعالم الجنائزية.

1.1 مواقع الفن الصخري: إن أفضل شاهد على تواجد محطات الفن الصخري بولاية قالة، هو موقع خنقة الحجر الواقع ببلدية سلاوة عنونة، جنوب غرب مدينة قالة، والذي اكتشف من طرف الباحث

ديفينرال (Devigneral) سنة 1867، ثم تتالى وصفه من طرف باحثين آخرين أمثال الباحث (Reboud) وجزيل (Gsell) و صولينياك (Slignac)، هذا الأخير الذي تحدث عنه بشيء من التفصيل في كتابه الحجاره المكتوبة بمنطقة الشرق البربرية (Les pierres écrites dans l'est de la berberie)، فقد احتوت هذه المحطة على نقوش صخرية لرجال ونساء ومجموعة من الحيوانات⁽¹⁾، ويعتبر موقع خنقة الحجر من بين أقدم المخططات المعروفة بالشرق الجزائري حيث يبلغ عدد الأشكال المنحوتة في الصخر ما يقارب 200 نقش⁽²⁾.

كما توجد محطة أخرى لا تقل أهمية عن محطة خنقة الحجر وهي محطة عين رقادة التي تقع في بلدية عين رقادة الحالية التي تتبع دائرة وادي زناقي، تم اكتشاف هذا الموقع سنة 1965 من طرف الباحث شوي (Choppy)، وهي تمثل مجموعة من الرسوم والنقوش الصخرية التي تترجم أوجه الأنشطة التي مارسها إنسان ما قبل التاريخ في حياته اليومية⁽³⁾.



صورة رقم 1: نقوش صخرية من موقع عين الحجر

المصدر: مصلحة التراث الثقافي، مديرية الثقافة لولاية قالم

2.1. المعالم الجنائزية: تتواجد هذه المعالم في مقبرة قلعة بوعطفان الواقعة حاليا ضمن إقليم بلدية عين العربي، التي تتبع إداريا دائرة عين مخلوف، على بعد 24 كم جنوب مدينة قالم⁽⁴⁾. كما تتواجد أيضا في مقبرة الركنية التي تقع شمال غرب مدينة قالم، على بعد 35 كم شمال حمام الدباغ على مسافة 12 كم، وممتدة على مساحة تقدر ب 3 كم طولا، وما بين 700 الى 800 م عرضا⁽⁵⁾، هذه المعالم الجنائزية عبارة عن قبور الدولن⁽⁶⁾ والحوانيت وهي إحدى أنواع القبور التي عرفها الإنسان في فترة فجر التاريخ، ويعد

موقع الركنية من المواقع القليلة التي جمعت بين صنفين من المدافن وهي "قبور الدولمن"، و"قبور الحوانيت"، وهذا التواجد الكبير لها بالموقع يدفع إلى ترسيخ فكرة الاستقرار البشري الطويل المدى بهذه المنطقة⁽⁷⁾.



الصورة رقم 3: قبر دولمن من موقع الركنية



الصورة رقم 2: قبر دولمن من موقع بوعطفان



الصورة رقم 5: قبرين متصلين من نوع الحوانيت بالركنية



الصورة رقم 4: قبر من نوع الحوانيت بالركنية

المراجع: عبد المالك سلاطينية، التعمير البشري بمنطقة قلالة من خلال الشواهد الأثرية (منطقة الركنية أتمودجا).

2. آثار الفترة القديمة

توجد بولاية قلالة العديد من الآثار الرومانية، من أبرزها ما يلي:

- 1.2. المدينة الرومانية الأثرية «تيبيليس»: تقع ببلدية سلاوة عنونة غرب ولاية قلالة، بمحاذاة الطريق الوطني رقم 20 الرابط بين ولايتي قلالة وقسنطينة، وهي تحتزن بين ثناياها شواهد أثرية لحضارات مختلفة، يغلب عليها آثار الحضارة الرومانية كالساحة العامة، والمعبد، والسوق، والحمامات، وغيرها من معالم المدينة الرومانية.

- يشهد الموقع الأثري توافد العديد من السياح من طلبة وباحثين ومهتمين بالتراث الأثري لاسيما في فصل الربيع بغية التمتع بالمناظر الطبيعية والتعرف على بقايا الحضارات المتعاقبة عليه.
- 2.2. المسرح الروماني: يقع في الجهة الغربية للمدينة وكان قد بني من طرف الراهبة آنيا إيليار يستيتوتا (Annia Eliar Estituta)، في نهاية القرن الثاني ميلادي، وهو يتسع لأكثر من 4000 متفرج⁽⁸⁾، وقد كان المسرح أهم المرافق الثقافية والترفيهية في المدينة الرومانية، يمتاز بالفخامة والأبهة، فهو مكان لتقديم الأعمال الأدبية تمثيلا وغناء ومنصة للتعبير الحر وتنقيف الشعب⁽⁹⁾. وبالمسرح مجموعة من التماثيل لبعض الآلهة الرومانية، كما يوجد به متحف يحتوي على بقايا أثرية جلبت من مناطق مجاورة للمدينة مثل خميسة وسلاوة عنونة، ويعد هذا المسرح بحق، تحفة فنية في الهندسة المعمارية، وتكمن أهميته في حفاظه على هيكله بالصورة التي كان عليها في القدم رغم أشغال الترميم التي خضع لها.
- 2.2. المسبح الروماني: يقع بقرية حمام البرادع التابعة لبلدية هيليوبوليس بمحاذاة الطريق الوطني 21 الرابط بين ولايتي قلمة وعنابة، وهو عبارة عن حوض مائي كبير، ذو شكل دائري، مبني بالحجارة الكبيرة المنتظمة، أنشئ في العهد الروماني وكان مستغلا خلال الاحتلال الفرنسي.
- 3.2. آثار الحمامات الرومانية: توجد هذه الآثار بوسط مدينة قلمة في محيط سور الثكنة الذي سنتطرق له لاحقا، وهي عبارة عن بقايا حمامات رومانية، حيث كانت هذه الحمامات من الابداعات الرومانية المحضة وقد كانت تتكون من عدة قاعات غاية في الجمال بهندستها المعمارية المتناسقة⁽¹⁰⁾.
- 4.2. موقع عين النشمة: يقع ببلدية بن جراح بمدينة قلمة، هو عبارة عن موقع أثري يشهد على تعاقب عدة حقبة تاريخية وحضارية ليبية، فنيقية، ورومانية، وهذا ما تدل عليه الهياكل السكنية، بالإضافة إلى معصرة الزيتون، والخزان المائي، والمقبرة الفينيقية⁽¹¹⁾.
- 5.2. كاف بوزيون (الكاف اللوطاني): يقع ببلدية بوحشانة التابعة لدائرة لخزارة، وهو عبارة عن بقايا آثار مدينة رومانية المعروفة باسم Municipium Zattarense Provinciae Numidiaie تشهد على ذلك النصب والناقشات اللاتينية التي وجدت هناك⁽¹²⁾.
- 6.2. خزان مياه: يقع ببلدية مجاز الصفاء التابعة لبوشقوف، وهو عبارة عن خزان مياه يعود للفترة الرومانية ضخم الحجم يتوضع فوق مرتفع من الجهة الشمالية الغربية لعين تحميمين⁽¹³⁾.



الصورة رقم 7: جزء من المسبح الروماني



الصورة رقم 6: مدينة تبليس الأثرية

المصدر: مصلحة التراث الثقافي، مديرية الثقافة لقالة



الصور 8، 9، 10: توضح جوانب من المسرح الروماني

من تصوير الباحثة



الصور 11، 12، 13: توضح جوانب من بقايا الحمامات الرومانية

من تصوير الباحثة

3. آثار تعود للعهد العثماني والاحتلال الفرنسي:

- 1.3. المسجد العتيق: لا يعرف على وجه التحديد الفتح الإسلامي لقلمة كما لا تعرف آثار بقالة تعود لهذه الفترة إلا ذلك المعلم التاريخي العام المتمثل في المسجد العتيق، والذي يرجح أنه يعود للعهد العثماني⁽¹⁴⁾، وقد طرأت عليه تعديلات كبيرة طمست معالمه الأصلية ولم يتبق منها إلا مثذنته الباقية إلى اليوم.
- 2.3. سور الثكنة: أنشئ سور الثكنة خلال الاحتلال الفرنسي في موقع الحصن البيزنطي الذي بني بأمر من القائد البيزنطي صولومون (Solomon)⁽¹⁵⁾. وقد أخذ هذا الحصن غداة الاحتلال الفرنسي لقلمة كقاعدة عسكرية في إطار مخططهم لاحتلال مدينة قسنطينة.



الصورة رقم 15: أحد أبواب سور الثكنة



الصورة رقم 14: مثذنة المسجد العتيق

من تصوير الباحثة

- 3.3. زاوية الشيخ الحفناوي: تقع هذه الزاوية بقرية الناظور ببلدية بني مزلين التابعة لقلعة بوضبع، وقد تأسست سنة 1869 من طرف الشيخ عمارة بديار، واضطلعت بأداء الوظائف العلمية، والتربوية، والاجتماعية، والتوعوية⁽¹⁶⁾.

- 4.3. المسرح الجهوي: بني هذا المسرح سنة 1880، وهو يتسع لـ 200 متفرج⁽¹⁷⁾، ويعد بمثابة تحفة نادرة على مستوى الشرق الجزائري، يستمد روعته وقيمته الفنية بشكل أساسي من طريقة بنائه التي تعد آية من آيات الفن المعماري الحديث، حيث اعتمد في بنائه على الحجارة المنحوتة وغير المنحوتة، إضافة إلى الرخام الوردي الذي تم استخراجه من محجرة جبل حلوف ماونة بقلمة⁽¹⁸⁾.

5.3. فرن الجير: يقع بمدينة هيليوبوليس وهو شاهد على همجية المحتل ضد سكان قالمة خلال أحداث 8 ماي 1945.

6.3. المنزل العائلي للرئيس الراحل هواري بومدين: هو المنزل الذي ولد فيه محمد بوعروبة "هواري بومدين" ثاني رئيس للجمهورية الجزائرية المستقلة، فهو بمثابة معلم تاريخي، حُوّل إلى متحف يضم مجموعة من مقتنيات الرئيس هواري بومدين، واليوم يقصده الكثير من السياح.



الصورة رقم 17: المنزل العائلي للرئيس هواري بومدين
من تصوير الباحثة



الصورة رقم 16: المسرح الجهوي

ثانيا/ المخاطر التي تهدد التراث الأثري بقالمة

تتعدد المخاطر التي يعاني منها التراث الأثري بصفة عامة وبولاية قالمة خاصة، ولا يكفي المجال كي نتطرق لها جميعها، لكننا سنقتصر على ذكر أهم هذه المخاطر كما يلي:

1. الظروف الطبيعية: تتعرض بعض الآثار للتلف نتيجة للظروف الطبيعية، فالحرارة مثلا تعتبر عاملا من عوامل التلف للمنشآت المعمارية حيث تتمدد مواد البناء بارتفاع الحرارة وتنكمش بانخفاضها فينتج عن حركة التمدد والتقلص شروخا وشقوقا في العناصر المعمارية مع مرور الوقت، أما الرطوبة فهي تساهم في تسهيل عملية تلف المباني الأثرية بتأثيرها المباشر مثل مياه الأمطار أو غير المباشر كالبرد والصقيع وتنوع مصادر الرطوبة، في حين يعتبر الماء من أكبر المشاكل التي تواجه المباني الأثرية لما يسببه من تلف لها مثل المياه الأرضية الحمضية، التي تعد سببا رئيسيا في تحلل الملاط و الأساسات، وقد يكون مصدرها تحلل بعض الكائنات العضوية أو جراء تلوث الأرض من مصادر أخرى مثلا تسرب مياه شبكات الصرف أو حتى قنوات مياه الشرب⁽¹⁹⁾.

2. العوامل البيولوجية: تتمثل العوامل البيولوجية في الخزانات التي تنمو نموًا سريعًا على مواد الآثار ويتسع انتشارها في الأجواء الرطبة عمومًا وتنتج على الأسطح الخارجية، وفي النباتات والأشجار التي تسبب تمزقًا في مواد البناء لا سيما في المباني المهجورة⁽²⁰⁾. كما تعتبر الطيور من أهم عوامل التلف الحيواني حيث تجثم على المباني الأثرية في جماعات فترمي فضلاتها العضوية التي لها تأثير سلبي على مواد البناء، وهو شأن الفئران والحيوانات الدقيقة المتمثلة في البكتيريا والفطريات⁽²¹⁾، هذه المخاطر البيولوجية هي من المخاطر الرئيسية التي تعاني منها بعض المناطق الأثرية بولاية قلمة لا سيما تلك البعيدة عن التجمعات العمرانية، فهي إن سلمت من خطر الإنسان طالها خطر كائنات أخرى مثل النبات والحيوان.

3. الترميم الخاطئ: هناك نوع آخر من الأخطار التي تهدد المباني الأثرية والتاريخية تتمثل في الأخطاء التي يقع فيها المرممون ذوي الخبرة القليلة عند ترميم هذه المباني، كما قد تؤدي عمليات الترميم غير المدروسة الدراسة الكافية إلى طمس بعض معالم البناء أو إلى تغيير عناصره، وهذا بإزالة أجزاء كانت موجودة أصلاً أو باستحداث عناصر أخرى أو تشويه سيماته المميزة له⁽²²⁾، وهذا ما حدث أثناء عمليات الترميم السابقة للمسرح الروماني بقلمة.

4. ضعف أعمال الصيانة والترميم: كما هو معلوم ليس كل التراث الأثري تناله عمليات الصيانة الدورية ولا عمليات الترميم نظراً للتكلفة المالية، فعمليات الترميم مثلاً قد تفسد آثاراً دون أخرى أو تتأخر عن الشروع في إنجازها، ففي ولاية قلمة تم تجميد بعض المشاريع الخاصة بترميم بعض التراث الأثري بها، كتجميد مشروع إعادة تأهيل المقبرة الميقاليتية بالركنية، وتجميد مشروع ترميم المسرح الروماني، والتأخر في إعادة تأهيل المسرح الجهوي محمود تريكي، الذي تم الانتهاء من دراسة ملفه بنسبة 100% ولحد الآن لم يشرع في إعادة تأهيله.

5. تعرض التراث الأثري للسرقة: تتعرض ولاية قلمة كبقية الولايات الجزائرية المعروفة بوجود مخلفات أثرية معتبرة إلى سرقة آثارها، وتهريبها عبر الحدود التونسية، وهو أكبر خطر يهدد هذا التراث، ويحدث ذلك بطريقة أكبر في المواقع غير المحروسة، حيث تعبت عصابات الآثار فيها باستمرار رغم المجهودات المبذولة من طرف مصالح الأمن للتصدي لها، وقد وقفت مديرية الثقافة بولاية قلمة على العديد من حالات الاتجار بالآثار تورط فيها مواطنون سواء عن جهل أو عن قصد.

ثالثاً/ آليات وتدابير حماية التراث الأثري بقلمة

تتضمن آليات وتدابير حماية التراث الأثري بولاية قلمة ما يلي:

1. تسجيل وتصنيف التراث: لقد نص قانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي على حماية الممتلكات الثقافية العقارية من خلال إخضاعها إلى عملية التسجيل في قائمة الجرد الإضافي، التصنيف، والاستحداث في شكل قطاعات محفوظة، ذلك ما حظيت به الكثير من آثار ولاية قلمة فقد خضعت إلى:

● تصنيف المواقع الأثرية وطنيا

الرقم	البلدية	اسم الموقع الأثري	سنة تصنيف الموقع الأثري
01	قلمة	الحمامات الرومانية	صنف 1990
02	قلمة	المسرح الروماني	صنف 1900
03	قلمة	سور الثكنة	صنف 1999
04	بن جراح	عين النشمة	صنف 1999
05	الركنية	المقبرة الميقاليتية	صنف 1900
06	سلاوة عنونة	مدنة تيبيليس الأثرية	صنف 1952
07	هيلوبوليس	المسيح الروماني	صنف 1954
08	عين العربي	مصاطب منطقة شنيور	صنف 1999
09	عين العربي	قلعة بوعطفان	صنف 1999
10	بوحشانة	كاف بوالزيون	صنف 1999
11	بني مزلين	زاوية الشيخ الحفناوي	صنف 1999
12	سلاوة عنونة	موقع خنقة الحجر	صنف 1999

● التسجيل ضمن قائمة الجرد الاضافي

الرقم	البلدية	اسم الموقع	تاريخ التسجيل
01	قلمة	المسجد العتيق	سجل ضمن الجرد الاضافي بناء على القرار الولائي رقم 1720 المؤرخ في 2009/11/02
02	قلمة	المسرح الجهوي	سجل ضمن الجرد الاضافي بناء على القرار الولائي رقم 461 المؤرخ في 2011/04/07

● المواقع الأثرية المقترحة للتسجيل ضمن الجرد الاضافي

الرقم	البلدية	اسم الموقع	الوصف
01	بجاز الصفا	عين تحميمين	عبارة عن خزان مياه
02	بوحشانة	موقع راس الماء	مقبرة ميغالييتية

● المواقع الأثرية المقترحة للتصنيف وطنيا

الرقم	البلدية	اسم الموقع
01	قلمة	المسجد العتيق
02	قلمة	المسرح الجهوي

2. ترميم وإعادة تأهيل الآثار

يعتبر ترميم المواقع الأثرية و التاريخية من الخطوات الهامة للحفاظ على التراث الإنساني، وشاهدا هاما على مدى تطور الإنسان عبر التاريخ، ونظرا لكثرة المواقع الاثرية والمعالم التاريخية بالجزائر فإنها أخذت بعين الاعتبار الدور الهام الذي يمكن أن تلعبه عملية الترميم في تطوير الجانب السياحي للموقع الأثري⁽²³⁾، وبما أن ولاية قلمة وجهة من الوجهات السياحية الهامة في بلادنا، فإن السلطات المحلية وعلى رأسها مسؤولي القطاع الخاص بالتراث الأثري، يقع على عاتقهم حماية تراث الولاية من خلال تسطير مشاريع خاصة بترميم بعض المباني الأثرية، وإعادة تأهيل البعض منها مثل:

- مشروع ترميم الموقع الأثري "تبيليس" حيث تم تنفيذ المرحلة الأولى من الترميم بنسبة 100%، وهي المرحلة المتعلقة بالدراسة التاريخية والأثرية للموقع، بغية تحديد الطراز المعماري ومواد البناء المستخدمة، وغيرها، بينما المرحلة الثانية فهي مرحلة الأشغال التي تم تقسيمها إلى أجزاء أين تم الشروع في إزالة الأتربة والأعشاب الضارة وقد قدرت نسبة الانحاز بنسبة 33%⁽²⁴⁾. ومن ضمن ما سيتم إنجازه هو بناء سور على محيط الموقع، تزويد الموقع بالإضاءة، وكاميرات مراقبة، ولوحات شمسية وغيرها.
- مشروع ترميم وإعادة الاعتبار للمسرح الجهوي محمود تريكي، حيث تم الانتهاء من مرحلة الدراسة بنسبة 100% ولم يشرع في ترميمه بعد⁽²⁵⁾.
- مشروع ترميم المسرح الروماني الذي سبق وأن رُمّ خلال فترة الاحتلال الفرنسي، ثم أعيد ترميمه سنة 2005، غير أن هذا المشروع قد تم تجميده في الوقت الحالي⁽²⁶⁾.
- مشروع إعادة الاعتبار للمقبرة الميقاليتية بالركنية الذي تم تجميده في الوقت الراهن⁽²⁷⁾.
- ترميم المنزل العائلي للرئيس الراحل هواري بومدين، وتحويله إلى متحف يضم بعض الأشياء الشخصية للرئيس الراحل، وقد أصبح هذا المعلم التاريخي يستقطب الكثير من السياح من داخل وخارج الولاية، وهو يقع تحت مسؤولية وزارة المجاهدين.
- 3. استغلال المناسبات الوطنية والدولية للتعريف بالتراث الأثري: نقصد هنا بالمناسبات الوطنية والدولية تلك المرتبطة بالتراث الثقافي، مثل شهر التراث، اليوم العالمي للسياحة، والمناسبات الخاصة بالتاريخ الوطني وغيرها. فهي فرصة مناسبة للتعريف بالتراث الأثري وأهمية المحافظة عليه وديمومته للأجيال القادمة. وذلك ما تسعى القيام به في ولاية قالمة المؤسسات ذات الصلة بالتراث كمدريات: الثقافة، والسياحة، والمجاهدين، وما يتبعها من مؤسسات مثل: المسرح الروماني، والديوان الوطني للسياحة، ومتحف المجاهد، من خلال إقامة المعارض، والندوات، والملتقيات الخاصة بالتراث، وتنظيم رحلات سياحية إلى المواقع الأثرية والتاريخية وغيرها.
- 4. نشر الوعي الأثري: يتم ذلك من خلال سعي السلطات المعنية إلى توجيه وسائل الاعلام المسموعة والمرئية والمقروءة للتعريف به، ومن خلال الملتقيات والمعارض التي تقام في مناسبات معينة كما تم شرحه سابقا، و توجيه المؤسسات الثقافية والسياحية لتبني الوعي الأثري بين الرواد والأعضاء من خلال الندوات

والمحاضرات بمشاركة المختصين، وكذلك محاولة نشر هذا الوعي بين تلاميذ المدارس وطلبة الجامعات والمعاهد خلال زيارتهم لبعض المواقع والمعالم الأثرية، مثل مدينة تيبليس الأثرية أو المسرح الروماني اللذان يشهدان عددا كبيرا من الزوار لا سيما فئة التلاميذ والطلبة.

خاتمة:

يمكن القول في نهاية بحثنا هذا أن ولاية قلمة على غرار العديد من الولايات الجزائرية تحتضن تراثا أثريا ضخما، بإمكانه أن يجعل منها وجهة سياحية هامة لمحبي السياحة الأثرية من داخل وخارج الوطن، غير أن هذا التراث يعاني من مخاطر كثيرة، سعت السلطات المحلية في ولاية قلمة ببذل إلى جهود معتبرة للحد منها، غير أنها تظل ناقصة، لذلك فإننا من خلال ما وقفنا عليه أثناء قيامنا بهذا البحث توصلنا إلى العديد من النتائج نقدم أهمها في شكل توصيات كالتالي:

- تعزيز الحماية القانونية للتراث، فمجموعة القوانين التي سنّت لحد الآن غير كافية لحماية التراث الثقافي حماية كافية، وإن كان قانون 98-04 المتعلق بحماية التراث قد عُدّ بمثابة ثورة في مجال حماية الآثار إلا أنه يحتاج إلى تدعيمه بنصوص تشريعية أخرى لتعزيز حماية التراث بصفة عامة.
- وجوب تدعيم جهود جهاز الأمن الخاص بحماية الآثار بعدد كاف من المختصين في هذا الميدان، ووضع قاعدة بيانات الكترونية للتراث الأثري المنقول لدى خلية الدرك الوطني والأمن الوطني، وذلك من أجل محاربة الاتجار غير الشرعي بالممتلكات الأثرية، وتسهيل عملهم.
- ضرورة إنشاء متاحف افتراضية للمتاحف والمواقع الأثرية عبر شبكة الانترنت، والقيام بعمل زيارات مباشرة من المتحف إلى المدارس عبر التطبيقات المتوفرة على هذه الشبكة وإنشاء قنوات يوتيوب خاصة بالمواقع الأثرية والمتاحف.
- الحرص على إقامة دورات تدريبية لحدّثي التوظيف في المتاحف والهياكل الثقافية والسياحية وزيادة عدد المرشدين السياحيين والحرص على تكوينهم المستمر، وخلق نشاطات ثقافية على مستوى المتاحف طيلة السنة وليس فقط في شهر التراث.

الهوامش

- (1) محمد الصغير غانم وآخرون، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري، فترة فجر التاريخ، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص.ص. 119، 120.
- (2) مصلحة التراث الثقافي، مديرية الثقافة لولاية قلمة.
- (3) محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص.ص. 139، 141، 142.
- (4) المرجع نفسه، ص. 58.
- (5) المرجع نفسه، ص. 67.
- (6) عبد المالك سلاطين، التعمير البشري بمنطقة قلمة من خلال الشواهد الأثرية (منطقة الركينة أمؤذجا)، مجلة هيروودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد السابع، قلمة، 2018، ص. 62.
- (7) مصطلح الدولن هو مصطلح يتربك من كلمتين: (دل) ويعني المائدة و(من) بمعنى الحجر، وهي عبارة عن نصب جنائزية تتشكل من بلاطات حجرية أفقية قد ارتكزت على دعائم عمودية. انظر: عبد القادر بوعزم، عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران، 2012/2011، ص. 87.
- (8) اسماعيل سامعي، قلمة عبر التاريخ، دار البعث، الجزائر، 1983، ص. 18.
- (9) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص. 262.
- (10) المرجع نفسه، ص. 266.
- (11) مصلحة التراث الثقافي، مديرية الثقافة لولاية قلمة
- (12) المرجع نفسه
- (13) المرجع نفسه.
- (14) اسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص. 22.
- (15) Gsell(s.). Atlas archéologique de l'Algérie, Feuille N°9, 1911, P. 19.
- (16) محمد بن رقطان، زاوية الشيخ اعمارة بدار الرحمانية بلدية بن مزلين، مجلة المعالم، العدد 22، قلمة، 2018، ص.ص. 29-39.
- (17) اسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص. 24.
- (18) مصلحة التراث الثقافي، مديرية الثقافة لولاية قلمة.
- (19) عمر بن محمد زعابة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل.م.د في العلوم تخصص حفظ وتسيير التراث الأثري، آليات وطرق حفظ وتسيير التراث المبنى في وادي مزاب، 2016/2015، ص.ص. 157، 159.
- (20) المرجع نفسه، ص.ص. 155، 156.

- (21) نبيل بوعويوة، طرق حماية المعالم التاريخية من خلال دراسة أثرية لقصر البحر بقلعة بني حماد، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الصيانة والترميم، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص. ص. 97، 99.
- (22) نبيل بوعويوة، المرجع السابق، ص. 78
- (23) مليكة زغيب، سوسن زيرق، دور ترميم المواقع الأثرية في ترقية السياحة الثقافية الداخلية رؤية مستقبلية للمسرح الروماني "روسيكادا" بسكيكدة، ملتقى فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر يومي: 19-20 نوفمبر 2012، باتنة، ص. 7.
- (24) مصلحة التراث الثقافي، مديرية الثقافة لولاية قلمة.
- (25) المرجع نفسه.
- (26) الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية بقلمة (OGEBC)
- (27) مصلحة التراث الثقافي، مديرية الثقافة لولاية قلمة.

قائمة المراجع

● باللغة العربية

1/ الكتب

- اسماعيل سامعي، قلمة عبر التاريخ، دار البعث، الجزائر، 1983.
 - محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
 - محمد الصغير غانم وآخرون، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري، فترة فجر التاريخ، دار الهدى، الجزائر، 2006.
 - محمد الطاهر العدواني، الجزائر في التاريخ- الجزائر منذ نشأة الحضارة (عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- #### 2/ الرسائل الجامعية
- عبد القادر بوعزم، عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران، 2011/2012.
 - عمر بن محمد زعابة، آليات وطرق حفظ وتسيير التراث المبني في وادي مزاب، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل.م.د في العلوم، تخصص حفظ وتسيير التراث الأثري، 2015/2016.
 - لعمى عبد الرحيم، الدور التثقيفي للمتاحف الجزائرية، دراسة نموذجية للمتاحف الوطنية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، 2013/2014.
 - محمد الصالح بوعناقة، فن الرسوم الصخرية في الجزائر بين الدوافع، والتقنية، والمراحل، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة قسنطينة، 2001.

- نبيل بوعويوة، طرق حماية المعالم التاريخية من خلال دراسة أثرية لقصر البحر بقلعة بني حماد، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الصيانة والترميم، جامعة الجزائر، 2007-2008.
- 3/ المجلات والمقتنيات
- عبد المالك سلاطينة، التعمير البشري بمنطقة قالة من خلال الشواهد الأثرية (منطقة الركينة أمودجا)، مجلة هيروودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد السابع، قالة، 2018.
- مليكة زغيب، سوسن زيرق، دور ترميم المواقع الاثرية في ترقية السياحة الثقافية الداخلية رؤية مستقبلية للمسرح الروماني "روسيكادا" بسكيكدة، ملتقى فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر يومي: 19-20 نوفمبر 2012، باتنة.
- 3/ القوانين والوثائق
- قانون 04-98 المتعلق بحماية التراث الثقافي، الجريدة الرسمية، العدد 44، المؤرخ في 15 جوان 1998.
- مصلحة التراث الثقافي، مديرية الثقافة لولاية قالة
- الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية بقالة (OGEBEC)

● باللغة الأجنبية

- Gsell(s.). Atlas archéologique de l'Algérie, Feuille N°9, 1911.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02. بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

فنون الرسم الرقمي، واستراتيجيات تطويرها على المستوى التقني ووسائل الارتقاء بها تطبيقاً في

الجامعات العربية

دراسة توضيحية وتحليلية فنية موسعة

د. ريهام كرم

الأستاذ المساعد بقسم تصميم الوسائط المتعددة

كلية العمارة والتصميم

جامعة عمان الأهلية

الأردن / عمان 2021

riham.karam642@gmail.com

ملخص باللغة العربية :

يدور البحث في فلك التطور التقني المعاصر والملائم لأنظمة الفنون البصرية الرقمية ، وتنفيذها وفق أحدث أساليب تقنيات العصر ، ومن ضمن تلك التقنيات ، كانت وسائل إخراج وإعداد الرسومات التوضيحية والتصويرية ، وفق تقنيات البرامج الرقمية المتطورة ، وإضفاء مخرجات جديدة لعالم الفنون البصرية الواسع والمتطور والمتسارع في خطوات نموه ... وهنا كانت الحاجة ماسة وضرورية ، للفت نظر المختصين لأهمية هذا المجال ، وضرورة توفير التقنيات والمتطلبات والوسائل اللازمة لإنتاجها وفق أحدث وأجود المعايير وأفضلها ، وتناول البحث ذلك الموضوع بإسهاب وتوضيح وافٍ، محلاً لكافة تفاصيل وملايسات هذا الفن المتميز ، وضرورياته ، ووسائله ، وتقنياته ، وأساليبه ، والمجالات والحقول البصرية التي تناولها ، وخدمها ، وأبرز فنانيه العالميين المعاصرين ، إضافة إلى تقديم تجارب فنية خاصة من تنفيذ الباحثين ، كتعزيز بصري لموضوعه .

أهمية وأهداف البحث :

يسعى البحث إلى تسليط الضوء على ضرورة الاهتمام بجزئية التقنيات والوسائل التنفيذية والأدائية المتطورة ، وأهمية استخدامها وممارسة الأداء الفني البصري الرقمي باستخدامها ، للوصول إلى أعلا نتاج من جودة المخرج الفني البصري ، محققاً في مستواه الأثر البصري المنشود ، من قوة الإيجار ، وبالتالي قوة التفاعل، ومن ثم قوة التأثير ، تفعيلاً للدور المحوري والرئيسي لرسالة الفنون السامية بشكل عام .

مشكلة البحث :

مشكلة البحث الوحيدة تكمن في عدم إدراك العديد من الجهات الأكاديمية والتعليمية القائمة على تدريس أنماط تخصصات الفنون الحديثة , لأهمية تطوير الأساليب المستخدمة في تدريس وتعليم مثل هذه الأنواع من الفنون البصرية , مواكبةً لمستويات الفنون العالمية والارتقاء بمستوى المخرجات الفنية لفنانينا من جهة , ولمواكبة أحدث تطورات التقنيات الرقمية التي تخدم مجالات الفنون البصرية المعاصرة , من جهةٍ أخرى ! .

الكلمات المفتاحية: الرسم الرقمي، التصوير الرقمي، الرسم بالأساليب الرقمية، الأعمال الفنية الرقمية، برمجيات التصوير الرقمي، المعالجة البصرية الرقمية.

Digital Drawing Arts, its Strategies to Develop the Technical Level, and Practical Processes to Improve it in Arabian Universities *An Extensive technical and analytical study*

Prepared by :

Dr. Reham Karam

An Assistant Professor, at Multimedia design Department

College of Architecture and Design

Al-Ahliyya Amman University

Jordan / Amman 2019

riham.karam642@gmail.com

Abstract:

The research is taking place in the astronomy of contemporary technical development, inherent in digital visual arts systems, and its implementation in accordance with the latest methods of modern technologies, and among those technologies, were the means of producing and preparing illustrative and graphic painting , according to the techniques of advanced digital programs, and adding new outputs to the world of broad, evolving and accelerating visual arts in steps Its growth...

Here the need was urgent and necessary, to draw the attention of experts for the importance of this field, and the need to provide the techniques and requirements for their reform. , And the visual fields and fields that he addressed and served, and the most prominent contemporary international artists, in addition to providing special artistic experiences by researchers, as a visual enhancement of his subject..

Keywords: Digital drawing, Digital painting, Draw by digital methods, Digital artwork, Painting digital software, Visual digital treatment.

أسس البحث ومكوناته

1. مقدمة الدراسة
2. أهداف وأهمية الدراسة
3. مشكلة الدراسة
4. فروض الدراسة ومسلماتها
5. منهج البحث المستخدم في الدراسة
6. عينات من نماذج الدراسة الفنية
7. حدود الدراسة وإطارها
8. مصطلحات الدراسة
9. تقسيم الدراسة إلى فصول وأجزاء
10. ملخص الدراسة باللغة العربية
11. ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية
12. الكلمات المفتاحية للدراسة
13. قائمة المصادر (المراجع)
14. نتائج وتوصيات الدراسة
15. الخاتمة

الخطة العامة للدراسة :

مقدمة البحث :

لقد باتت الفنون الرقمية حقيقة - في الآونة الأخيرة - , هي محط اهتمام ساحات المشتغلين في حقول وميادين الفنون البصرية , بكافة أنواعها وتخصصاتها وأنماطها , وذلك نظراً لقولها الأخاذة وطرق أدائها وتطبيقها المميزة ,, ولقد تناول هذا البحث وبشكل محدد ودقيق , احد أنماط هذه الفنون الرقمية المعاصرة , ألا وهو (: فن الرسم الرقمي (*Digital drawing*) ودراسة وسائل وأدوات وتقنيات تطبيقها فعلياً والحصول على نتائجها البصرية المبهرة والمرجوة.

ومن الجدير بالذكر ، ان العكوف على الدراسة والإلمام بالتقنيات التنفيذية لأي نمط من أنماط الفنون البصرية ، من المؤكد انه يعزز من الجوانب التنفيذية والأدائية لهذا الفن ، ويضيء الطريق لعدد كبير من المشتغلين في نطاقه ، إن لم يكن لجميعهم ، ولهذا كرس الباحثين في هذا الميدان البحثي ، جزءاً من جهودهم ، لمحاولة الارتقاء بآلية تقدم مثل هذا الفن البصري البديع ، وإنتاجه على المستوى التطبيقي ، وخاصة في جامعاتنا الأردنية .

أسئلة الدراسة :

- 1 - من ناحية أخرى ، تطرح الدراسة عدة أسئلة ترتبط بمحور بحثها ، وهي :
- 2 - ما المقصود بمصطلح : (الفنون الرقمية *Digital Arts*) بشكل عام ؟
- 3 - ما المقصود بمصطلح : (الرسم الرقمي *Digital Drawing*) بشكل خاص ؟
- 4 - ماهي البرمجيات *Software* الخاصة بتنفيذ فن الرسم الرقمي ؟
- 5 - ماهي المعدات *Devices* والأدوات اللازمة لتنفيذ تقنية الرسم الرقمي ؟
- 6 - فيما تكمن أهمية فن الرسم الرقمي باستخدام أحدث التقنيات دوناً عن غيره من تقنيات تنفيذ الرسم وفق الأساليب الكلاسيكية ؟
- 7 - ماهي النتائج أو المخرجات الفنية التي يخدمها فن الرسم الرقمي ؟

فروض الدراسة ومسلماتها :

1. من المفترض أن يقدم هذا البحث ، دراسة شافية وواقعية ، حول كل ما يخص فن الرسم الرقمي وآليات تنفيذه
2. يفترض ايضاً أن يقدم حلولاً مثالية للمؤسسات القائمة على تعليم الفنون البصرية للنهضة بمستوى الفنون البصرية مواكبة للعصر الحديث ، وتطوير آليات تعليم وتدرّس مثل هذا الفن الحيوي والهام
3. يفترض أن يعرض آلية منهجية وفق أسلوب تحليلي معزز ومدعوماً بالنماذج البصرية التطبيقية ، تؤكد على ضرورة الاهتمام بالجانب التقني المعاصر ، حفظاً لفنوننا البصرية من التأخر والتخلف ، عن مواكبة ركب الصدارة على مستوى الفن العالمي
4. يفترض ايضاً أن يفيد هذا البحث كلا طريفي القائمين على إعداد المناهج والموضوعات الفنية من جهة ، والقائمين من جهة أخرى ؛ على تطوير أدواتها ووسائلها ومختبرات تدريسها في الأكاديميات الفنية .

5. يفترض من هذا البحث كذلك ان يقدم انماطاً متنوعة وإصدارات مختلفة لوسائل تنفيذ فن الرسم الرقمي وأكثر من تقنية أدائية لإخراجه إلى نوره ، وإن تشابه في أدائها على حدٍ ما ، إلا أنها من جهة تحري الدقة في التقنية البرمجية ، فإنها تختلف نوعياً في بعض تفاصيلها .

منهج البحث المستخدم في الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة في مجمل نهجها ، على المنهج التوضيحي والتحليلي الفني، لتحليل كل عناصر ومكونات الدراسة من الناحية التقنية ، ومن ثم سيتم تنويع هذه الدراسة في نهاية المطاف بنتائج ومخرجات تجريبية عملية - من تنفيذ الباحثة وبعضاً من أعمال طلابها لتعزيز محتواها الموضوعي ، وبالطبع ؛ اعتمدت هذه المخرجات في تنفيذها على وسائل وأدوات وتقنيات الأداء التنفيذي ، سواء الخاصة بالبرمجيات او بالأجهزة والإعدادات .

عينات من النماذج الفنية التي أكدت موضوع الدراسة :

يحتوي هذا البحث على مجموعة من النماذج الفنية الرائعة والناجحة ، سواء التي تخص الباحثة في مجالها ، أو التي تخص مجموعة كبيرة من الفنانين على المستوى العالمي أو المحلي ، عكست تلك النماذج العديد من تفاصيل وتقنيات وتجارب موضوع هذه الدراسة بشكل واضح وفعال في مجال محور تخصصها واهتمامها ، على كافة أنواعها وأفرعها الرئيسية ، وهذا ما أكد على أهمية هذه الدراسة فعلياً من الناحية البصرية ، والتقنية ، والعملية ، على حدٍ سواء ، علاوةً على أهميتها الأكاديمية بالنسبة لمجالات الفنون البصرية المعاصرة ..

حدود البحث وإطاره :

وفيما يخص حدود البحث المكانية والزمانية أيضاً ، فقد تناول البحث ، الحديث عن تقنية (الرسم الرقمي *Digital drawing*) واستخداماتها وتحليلها بشكل عام كتقنية عالمية حديثة في عالم فنون الجرافيك الرقمي المعاصر منذ فترة الثلاث عقود الأخيرة تحديداً ، وهي الفترة التي تألق فيها وازدهر هذا النوع من التقنيات الإدائية في الإبداع الفني ، وبالأخص في مجال التصوير والرسم الرقمي بأسلوب تقني عالي الجودة ، بغض النظر عن تسليط الضوء على مكانية معينة معينة في ظهور هذا الفن ، على الرغم من انتشاره بشكل كبير وطبيعي في دول شرق آسيا وأوروبا وأميركا ،،، وأمثالاً في تحقيق انتشاره بشكل واسع في جامعاتنا العربية في كافة تخصصات الفنون البصرية بشكل خاص .

مصطلحات الدراسة :

لقد ورد في هذه الدراسة عدداً من المصطلحات : (الفنية والتقنية والرقمية والبرمجية) المختلفة , وسوف يتم سردها وإدراجها متسلسلة في جدول خاص يأتي في نهاية البحث , مفاده تصنيف مصطلحات هذه الدراسة , وإحصائها وتوصيفها في شرح موجز ومختصر قد يفيد الباحثين فيما بعد في هذا المجال.

تقسيم الدراسة إلى فصول وأجزاء :

يقع البحث في 75 صفحة تقريباً , ويتناول موضوعه شرح وتحليل تقنية الرسم الرقمي وأدواته وأهميته وفوائده , ومميزاته , وقيمه من الناحية الرقمية , ومن الناحية البصرية ,, وتحليلها فنياً (جمالياً وتشكيلياً) ومن ثم تقنياً (برمجياً وتنفيذياً) وتوضيح آليات تنفيذه , وبرمجيات تطبيقه وفق أعلا المستويات . وقد تم سرد وتوزيع نقاط البحث في هذه الدراسة في مقدمة , و ثلاثة أجزاء , وخاتمة ,, وكان وتوزيعها على النحو التالي :

- مقدمة البحث : حول ماهية الرسم الرقمي : *Digital drawing* كتنقية من تقنيات الرسم والتصوير المتقدمة في تخصصات مجال الوسائط المتعددة والجرافيك المعاصر , وأهميته , ودوره , واستخداماته , وقيمه البصرية والجمالية , ومدى إثراءه لجانِب (الرسوم التوضيحية , وتأثيره بصرياً على جمهور المشاهدين بدرجة كبيرة .
- الجزء الأول : الفرق بين الرسم الكلاسيكي باستخدام التقنيات الأولية , والرسم الرقمي باستخدام البرمجيات الحديثة , من الناحية التقنية - بوصفه فناً حديثاً معاصراً , وتوضيح بدايات ظهوره , ومراحل تطوره عبر الأجيال المختلفة .
- الجزء الثاني : شرح المكونات الأولية الأساسية لآلية الرسم الرقمي وتقنياته المتطورة والبرامج الرقمية المعدة لاستخدامه , وتوضيح هيكلته توضيحاً مفصلاً معززا برسوم توضيحية وتخطيطية ... مع الشرح والتحليل لنماذج من وسائط الرسم الرقمي الشهيرة
- الجزء الثالث : حول أهمية تطبيق تقنية الرسم الرقمي في أقسام الوسائط المتعددة والفنون الرقمية في الجامعات العربية وآلية تفعيلها .. وتحليل بعضاً من الأعمال الفنية العالمية والعربية

المتميزة في مجال تقنية الرسم الرقمي ، بالإضافة إلى بعضاً من تجارب الباحثة العملية المقدمة والمنفذة بهذه التقنية لتعزيز الجانب التطبيقي من الدراسة.

- **خاتمة البحث :** بلورة الفكرة والغرض من تلك التقنية ، وهو : تقديم قيمة بصرية قوية وجذابة ذات وقع تأثيري عالي على المشاهد .. بصرياً ومن ثم إدراكياً .



تقديم :

(حول ماهية الرسم الرقمي Digital drawing , كتقنية من تقنيات الرسم والتصوير المتقدمة المتفرعة من مظلة الفنون الرقمية الكبرى المعاصرة)



مما لا شك فيه ، أن الفنون البصرية وفي الآونة الأخيرة قد انعطفت وأخذت منحى شديداً المغايرة والاختلاف من حيث التطور والتغير ، وذلك باستحداثات مذهلة في تقنيات إبداعها وآليات تنفيذها ووسائل إخراج إنتاجاتها وتقديم مخرجاتها ونتائجها لجمهور المتذوقين والمشاهدين .. وبالطبع لعبت التقنيات الحديثة ووسائل التكنولوجيا المتقدمة دوراً بارزاً فعالاً في هذا الجانب .. وهنا يتطلب منا الأمر بداية ، الوقوف على معنى : (الفن الرقمي) بشكل عام ، وهو ميدان الفن الأكبر والأعم والاكثر شمولاً أو يمكن أن نصفه بالجدع الرئيس ، والذي انشق منه الغصن الفرعي المعروف بـ (فن الرسم الرقمي) وهو أحد أحدث وأشهر أنماط (فن الرسم) ، فما هو فن الرقمي بشكل عام ؟ ، ثم ماهو فن الرسم الرقمي بشكل خاص ؟

غالباً ما يصنف مؤرخو الفنون الفن الرقمي على أنه مزيج من مجموعة الأعمال الفنية الكائنية والمرئيات العملية ، حيث تعتبر فيه التقنيات الرقمية - في السيناريو الأول - وسيلة لتحقيق هدف معين ، وتعمل كأداة لخلق الأشياء التقليدية كاللوحات والصور والمطبوعات والمنحوتات. بينما تجسد التكنولوجيا - في الحالة الثانية - الهدف المطلوب، إذ يكتشف الفنانون الإمكانيات التي تنطوي عليها هذه التقنية في

جوهرها. وتشير الفئة الأخيرة إلى الفن القابل للحساب الذي يُنشأ ويُخزن ويوزع رقميًا. وبعبارة أخرى يمكننا القول أن بعض الأعمال تعتمد على الأدوات الرقمية لتضخيم عمل وسيلة موجودة سابقًا، في حين يستخدم بعضها الآخر التقنيات الرقمية كعنصرٍ جوهريٍّ لا ينفصل عن بقية العناصر... فما هي الممارسات الفنية إذاً ، والمرتبطة بالفن الرقمي؟؟

الممارسات المرتبطة بالفن الرقمي :

سنقدم بعض ممارسات الفن الرقمي التي تقوم على جوانبٍ متنوعةٍ ومختلفةٍ:

- **الرسم الرقمي: *Digital painting*** : ظهر هذا النوع في تسعينيات القرن الماضي واحتضن تقنيات الرسم التقليدية كالألوان المائية والرسم الزيتي والتنقيط. إذ يستخدم الفنان الحاسب والأجهزة الرقمية المختلفة كالتابلت والقلم الرقمي لصنع لوحةٍ فنيةٍ مشابِهةٍ للواقع باستخدام برامجٍ مختلفةٍ كالفتوشوب.
- **التصوير الرقمي: *Digital photography*** : عملية استخدام الأجهزة الإلكترونية والحاسوبية لالتقاط وإنشاء وتحرير ومشاركة الصور الرقمية والفتوغرافية أو المسح الضوئي وصور الأقمار الصناعية ليقوم الفنان بالتعديل عليها وتغيير ملامحها. وتميز التصوير الرقمي بمجموعة من التقنيات كالكولاج وتجميع العناصر والصور، بالإضافة إلى المزج وغيرهم من التقنيات المعروفة لدى معظمنا بعد انتشار برامج تعديل الصور.
- **النحت الرقمي: *Digital sculpture*** : كما تقوم بالنحت اليدوي يمكنك القيام بهذه العملية باستخدام الحاسب. حيث توفر لك العديد من البرامج هذه الإمكانية للتعامل مع الكائنات الرقمية كعناصرٍ مصنوعةٍ من مادةٍ حقيقيةٍ كالطين، فيمكنك التلاعب بالأشكال والسيطرة على العديد من الأمور الهندسية كما ترغب، فضلاً عن التصوير الثلاثي الأبعاد وتعزيز قدرات التصميم التقليدية. ثم تستطيع استخدام هذه الأشكال والأعمال الفنية كنماذجٍ ماديةٍ أو كصورٍ افتراضيةٍ على الشاشات.
- **الإنشاءات الرقمية: *Digital installations*** : التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمنحوتات بطبيعتها الثلاثية الأبعاد، إلا أنها تقدم تصنيفاً جديداً من حيث علاقتها بالمشهد. حيث يمكن أن تقدم هذه الأعمال الفنية التفاعلية (التي تستجيب لمدخلات الزوار من لمس أو حركة أو غيرها) بيئة مكانية جديدة أو تغييراً في طبيعة المناطق المحيطة بها. وتعتبر تقنيتي الواقع الافتراضي والواقع المعزز أبرز الأمثلة لهذه التقنية. وتكمن صعوبة العامل معها في تكلفتها العالية ومتطلباتها اللوجستية والحسابية والمعمارية. إلا أنها تنتج أشكالاً فنيةً تناسب المتاحف والمؤسسات العامة، كما وتوفر مساحاتٍ شاسعةٍ وبنى تحتيةٍ للناس لتجربة الوسط بالكامل.

● مقاطع الفيديو والصور والرسوم المتحركة *Video, animation and the moving*

image: حيث تشكل هذه التقنية أكثر سابقاتها قرناً منا، وتسمح بالتسجيل الكامل للحدث من حيث الزمان والمكان مع التعامل في نفس الوقت مع المونتاج. تنقسم هذه التقنية إلى نوعين رئيسيين هما العمل الحي من جهة والرسوم المتحركة والعوالم ثلاثية الأبعاد من جهة أخرى. وغالباً ما تكون الصورة المتحركة هي الوسيلة المميزة لتطوير الواقع الافتراضي والبيئات التفاعلية.

● الإنترنت والفن الشبكي *Internet and networked art* : يمثل الكائنات العملية التي

تبحث في الهياكل الحاسوبية والشبكات. وتشمل جميع الأعمال التي يراود توزيعها عبر الشبكة لنشر رسالة سياسية أو اجتماعية مستنداً إلى التفاعلات البشرية.

● فن البرمجيات *Software art* : يركز هذا الفن بشكل دقيق على الهندسة الحاسوبية كأنظمة

الاتصالات والمرئيات التي تنتج من مجموعة الخوارزميات والشفرات. وحتى وإن كانت تترجم في النهاية عبر أشكال فنية جمالية .

● الوسائط المختلطة *Mixed Media*: والتي تعتبر أساساً للوسائط الرقمية، وتنطوي على عناصر

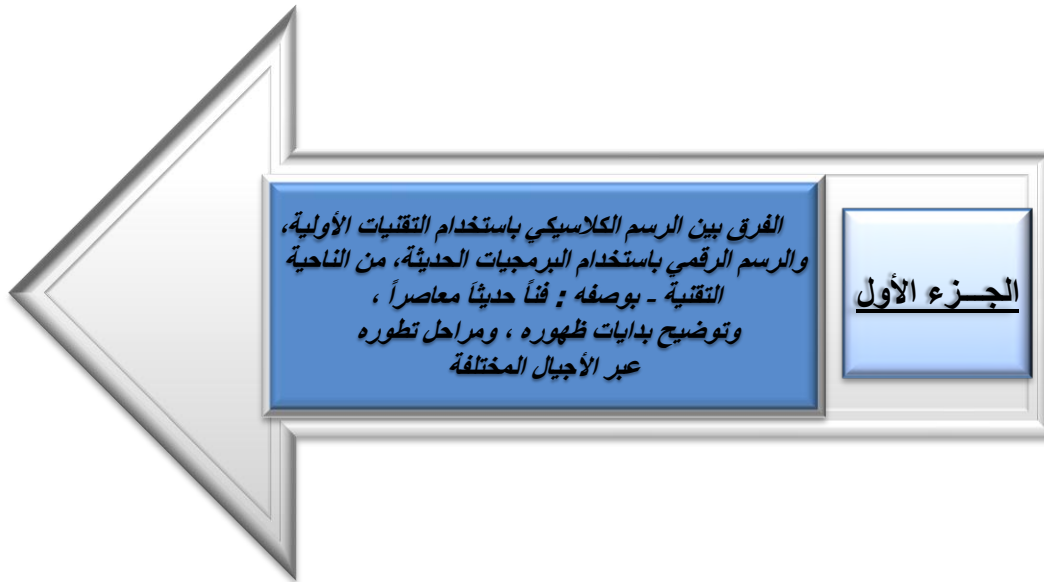
ذات طبيعة مختلفة يمكن ربطها وتنسيقها لخلق تجربة جديدة كاملة. كما يمكن من خلالها الجمع بين الأعمال الفنية كالصوت والصور والواقع المعزز والصور المتحركة وغيرها لإنتاج عمل فني جديد.

أما ما يهمنا هنا ، من ضمن كل هذه القائمة ، فهو (فن الرسم والتصوير الرقمي *Digital drawing* & *painting*) إن الرسم ، بأبسط صوره ، هو عبارة عن : (كل ما ينتجه الإنسان المبدع من رتوش وتأثيرات ، من خلال استخدام وسيط منتج لهذه الرتوش ، ناقلاً إيها إلى وسيط آخر مستقبلاً لهذه الرتوش ، ومتزجماً إيها على شكل إبداعات ذات تأثيرات وتقنيات لونية وشكلية ذات طابع مميز وخاص ، ينقل من خلالها إلى جمهور المشاهدين أفكاراً ، وآراء ، وتجارب وأبعاد إنسانية ، توجه رسالة خطاب بشكل معين) .. فالرسم أو الرسومات لفكرة لا تتطلب عند معظمنا أكثر من قطعة من الورق وقلم رصاص أو من الخبر أو أي خامة أخرى ، للتعبير عما يتأجج في أذهاننا من أفكار وما يختلج في نفوسنا من احساس أو مشاعر ! ، ومن هنا يمكن أن يكون الرسم هو بداية أو منتصف أو نهاية ما للفنانين ، كل حسب رؤيته الخاصة!

ومع مرور الزمن ، جيلاً بعد جيل ، تطورت أكثر فأكثر تقنيات أداء هذه المهارة الفنية ، لتأخذ جانباً مبهراً . جسدهته التكنولوجيا بأسلوب غاية في التقدم والإبداع والاحترافية ؟ إذن ماذا يحدث عندما

يصبح الرسم تقنية ذات آليات جديدة ؟ تقنية تؤدي بوسائل وأدوات مختلفة أكثر تطوراً وحداثة ! , تُستبدل من خلالها السطوح , والوسيط المنتج للرتوش , وكذلك الوسيط المستقبل والممثل لتلك الرتوش ؟؟ كيف تتحول قاعة الدرس الصفية , إلى استوديو رقمي متكامل تتشكل من خلاله المعاني والقيم الجمالية , من خلال لغة برمجية رياضية , وخوارزميات رقمية بحتة ؟؟ ماذا يحدث بالضبط عند برامج الكمبيوتر , ولوحات الرسم الرقمي ؟؟ كيف يمكن لنا تعليم هذه التكنولوجيا للطلاب , حيث يتم خلط المهارات والقدرات مع وسائل الإعلام ووسائل أنظمة الوسائط المتعددة الرقمية المختلفة ؟؟ هنا يجب أن نتعلم مرة أخرى من خلال أدوات جديدة , نصب في قلبها المبتكر ومن خلال إطارها المعاصر , خبراتنا ومستوى احترافنا لهذا الفن الجميل والمعبر .

وتالياً , سيتم الاستفاضة والتوضيح , مراحل تطورات فن الرسم بشكل عام , عبر أزمان التاريخ , بدايةً من الرسم البسيط وصولاً إلى الرسم الرقمي وفق أحدث تقنياته وأساليبه أدائه المبهرة.



البدايات الأولى :

يقول العالم النفسي إلين وينر (1986) : (إن الإنسان هو الرسم في حد ذاته) ، مهارة جمالية أبدعتها يد الخالق والمبدع العظيم ، فكيف لا يكون أحد أسس بناء المجتمعات المتقدمة والحضارية؟؟ (1) ومنذ أكثر من 70000 سنة ، كان الرسم على ما يبدو جزءًا من التجربة الإنسانية منذ بدايتها ، ، منذ ذلك الحين ، ترافق الرسم مع توسع البشرية حول العالم وساعد الحضارة الإنسانية على أن تتقدم من العصر الحجري إلى العصر الرقمي. فمثلاً، باتريك ماينارد (2005) يدعي أنه ، دون رسم في خلال الثورة الصناعية وأنواع التفكير التي تنطوي عليها ، لن يكون هناك ببساطة عهد متقدم وعصري !! الدافع واضح بنفس القدر في التنمية البشرية ونحن نشاهد الأطفال يأتون إلى العالم وهم على استعداد لجعل علاماتهم ورتوشهم متاحة على كل سطح وفي كل مكان !! هذه الحقائق مجتمعة ، تدل على أن غريزة الرسم ، ماهي إلا غريزة فطرية متأصلة في الإنسان منذ بداية خليقته ، ونعومة أظفاره(2).

(1): Seymour Simmons , *Drawing in the Digital Age: Observations and Implications for Education/ Department of Fine Art, Winthrop University, Rock Hill, SC 29733, USA*

في نفس الوقت ، يتطلب الرسم ، مثل كل الإمكانيات الفطرية ، تجهيز الأرضية الخصبة ، وزراعة بذوره لتحقيق نتائجه الفعالة والإيجابية ، ومن هنا ، كان دور (التعليم) البارز والفعال لصقل تلك المهارة وتعزيز كفاءتها . وهكذا ، وعبر السنين ، تم تدريس الرسم ليس فقط لأولئك الذين يستعدون لمهن في الفنون البصرية ، ولكن على قدم المساواة كجزء من التعليم العام. في هذا السياق ، تم الإشادة بفضائل الرسم من الفلاسفة مثل : أرسطو ، لوك ، وروسو ؛ ومعلمون ، مثل : "هوراس مان" و "جون ديوي" ؛ ورجال دولة مثل : "بنيامين فرانكلين" و "توماس جيفرسون" و "إيفلاند" 1990 ؛ و "سيمونز" 1988 .. (2) ويقول ماينارد ، موضحاً أهمية الرسم الفني للعالم الحديث: " إنه بدون مثل هذه الرسومات ، "إنه أمر صعب لنرى كيف سيكون هناك عالم حديث. لأنه لن يكون هناك أنواع من التفكير التكنولوجي ولا أنواع تصنيع يجعل المجتمعات الصناعية وما بعد الصناعة ممكنة ، ولا استخدامها وصيانتها."

تم إنشاء الفن الرقمي لأول مرة من قبل آندي وار هول وهو فنان ومخرج ومنتج أمريكي ، حيث استخدم Commodore Amiga وهي مجموعة من الحواسيب الشخصية التي أنتجتها شركة Commodore لإنتاج أول فن رقمي، وكان هذا الحاسوب معروضاً علناً في مركز لينكولن في مدينة

نيويورك عام 1985، حيث التقط وارهول صورة للمغنية الأمريكية ديبى هاري أحادية اللون بكاميرا فيديو، وعدلها على برنامج غرافيكلي اسمه : *Propaint*، وأضاف وارهول اللون على الصورة باستخدام ميزة *Flood fills*، وبصرف النظر عن وجود مؤيدين ومعارضين لتأثير التكنولوجيا الرقمية على الفن - فيبدو أن هناك إجماعاً واضحاً في مجتمع الفن الرقمي على أنه عمل على زيادة الجانب الإبداعي الفني بشكل كبير، حيث إنه أتاح الكثير من الفرص لإطلاق إبداعات المحترفين وغير المحترفين على حد سواء، ويمكن الآن استعمال الكمبيوتر لإنتاج عمل فني كامل من أوله لآخره، مثل الفن الهندسي وفن ال *fractal*، ويمكن أن يكون له مصدر آخر ومن ثم يتم تعديله باستخدام الحاسوب، وتعد الأعمال الفنية المختلفة رسماً رقمياً عند إنشائها بطريقة مماثلة للوحات اليدوية، لكن عن طريق برمجيات على جهاز الحاسوب ومن ثم طباعتها فتبدو الصورة وكأنها رسماً حقيقياً .

من جيل إلى جيل :

يحلل هذا الجزء وباستفاضة : (المقارنة بين الرسم على الورق ، والرسم الرقمي على القرص الصلب أو الذاكرة الحاسوبية الرقمية) ، كأداة فعالة للفن والتصميم وسوف ، يتم كذلك تحليل (كيف يرى الطلاب الاختلافات بين الطرق التقليدية الكلاسيكية والطرق الرقمية الحديثة) . من خلال دراسة عامة دقيقة لحالة الفصل الدراسي ، وطريقة التسجيل للموضوعات وتجارب مرسومة باليد وكيف ظهرت وسائل جديدة ، لتلهب قرائح إبداعات الفنانين ، وتستفز موهبتهم ، وكأنها تُظهر تحدٍ من نوعٍ خاص في إطار بيئةٍ جديدة خاصة ، أمام الفنانين والمصممين ، من خلال : طلاقة وسلاسة في الاداء ، ودقة في النتائج منقطعة النظير وكأنه خلط بين الرسم ، ووسائل الإعلام المرئية ، إلى حدٍ كبير !! . كما يسلط هذا الجزء أيضاً الضوء ، على كيفية دراسة الحالة التي يحتضن الطلاب فيها للتكنولوجيا الجديدة وكل ما تقدمه لهم في الاستوديو الفني الرقمي ،، أو بمعنى أصح ، وعكسياً : (كيف تحتضنهم التكنولوجيا الحديثة ، وتحتضن إبداعهم ، لتظهره من خلال قوالب وأطر جديدة ، ومدهشة !!) إضافة إلى إظهار مقارنة تحليلية بين استوديو الرسم التقليدي ، *Classic Atelier* واستوديو الرسم الرقمي : *Digital atelier* .

من المهم وضع الأمور في نصابها وتعريف الناس بهذا الفن والفرق بينه وبين الرسم التقليدي كي لا يتسبب ذلك في انتشار أفكار مغلوطة حول الرسم الرقمي، إذ أنني لا أريد أن ينتهي الأمر بهذا الفن ضحية لجهل الناس أو بكل بساطة رفض بعضهم لكل جديد يظهر على الساحة الفنية.

إن الرسامين الرقميين في العالم العربي يعانون من هذا الأمر وفي كثير من الأحيان لا يصدقهم الكثير إذ أن لديهم فكرة مسلم بما أن الحاسوب لا يستخدم في الرسم وأن برامج كالفتوشوب وغيرها هي لتعديل الصور الرقمية فقط ، ولا علاقة لها بالرسم الكامل. كما يعتقد الكثيرون أن اللوحات الرقمية غير جديرة بأن تعتبر فناً لأنها ليست مشغولاً يدوياً كما هي اللوحات التقليدية ! ، وهذا اتهام باطل ، سيتم دحضه بالحجة والبرهان الواضح من خلال هذه الدراسة .

حين يحل الكمبيوتر محل القلم والفرشاة :

من المعروف عن الرسم بشكل عام ، أنه إحداث تأثيرات خطية ولونية وشكلية جمالية باستخدام الأدوات التقليدية التي نعرفها جميعاً لأداء هذه المهارة الاحترافية العالية ، من أقلام وفرشايات ، وأحبار وألوان على المسطحات المرنة الماصة للخامات التأثيرية تلك ، مثل الأوراق ، والكرتون ، والجلود ، والكانفاس ، والأقمشة المختلفة ، أو على المسطحات الصلبة ، كالخشب ، والألواح الصخرية ، والحوائط والجدران المختلفة ، والقرميد ، والفخار والخزف والبورسلين الخ ذلك من وسائط ومسطحات ، يمكن للفنان استخدامها كوسيط للرسم، أنظر (شكل 1) .



(شكل 1)

مجموعة من وسائط وتقنيات الرسم والتلوين الكلاسيكية والمألوفة والمتعارف عليها عبر الأزمان المختلفة، والتي خدمت أغراض تقنية تقليدية، تختلف في خامات أدائها، ما بين الأوراق أو الكانفاس أو المسطحات الصلبة من خزف وفخار وبرسولين وغيره (1)

وتقنياً : فإن الرسم الرقمي هو الرسم بالأدوات الرقمية الحديثة، للحصول على نتائج وتأثيرات مشابهة للرسم التقليدي، مثل ما نراه من رسم زيتي أو مائي أو أكريليك أو إكوالين أو حتى رسم الفحم أو الباستيل أو الخشب والفلوماستر وغير ذلك من أنواع الرسم التقليدية... وتحاول برامج الرسم الرقمية إعطاء إحساس الأدوات التقليدية من خلال تنويع الفرش وتنويع الألوان والملمس. وتتيح بعض البرامج إمكانية الحصول على تأثيرات طبيعية قريبة تماماً من واقع الرسم الزيتي مثلاً. وبعض البرامج الرقمية تتيح للمستخدم إمكانية صنع فرشته الخاصة بما يناسب طريقة استخدامه ورغبته وتسهيل حصوله على نتائج ترضيه. (2)... ولكن، ما هو الفرق إذاً؟ هل يكمن الفرق في ممارسة التقنية نفسها؟ أم في أدوات تنفيذها؟ أم هل يلعب عامل الزمن أو فارق التوقيت والسرعة....

(1),(2): Carol H. Faber. *Digital Drawing Tablet to Traditional Drawing on Paper / A Teaching Studio Comparison- Iowa State University, College of Design, Department of Art and Design, Ames, Iowa, United States*

إن الفرق الجوهرى الرئيسى بين ممارسة المحترفين أو حتى المتعلمين لهذين التقنيتين؟ أم هل أن أسلوب حفظ العمل وأرشفته هو هذا الفارق؟ أم يجوز أنه طريقة إخراج العمل أو الحصول على نتائجه النهائية في كلا التقنيتين هو هذا الفارق الجوهرى؟ كلها أسئلة واستفسارات، سيحجب عليها هذا البحث تفصيلاً بالتأكيد، فيما يلي. وبالتدرج.

استبدال الخامات المادية بخامات رقمية ! :

إن الفن الرقمي (Digital Arts) هو : (هو كل عمل في يتم باستخدام التكنولوجيا الرقمية الحديثة في إنتاجه)، وهو المظلة الواسعة، التي يندرج ضمنياً وتحت لواءها : فن الرسم الرقمي (Digital Drawing) وهو موضوع بحثنا هذا ..

والفن الرقمي هو شكل تعبيرى جديد، يرسّخ اليوم مكانته أكثر فأكثر إلى جانب وسائل التعبير الفنية التقليدية. إنه الفن الذي ننتجه باستخدام الأجهزة الرقمية. والمقصود بالأجهزة الرقمية الكمبيوتر والحواسيب اللوحية وألواح الرسم الرقمية والكاميرات الرقمية والمساحات الضوئية وغيرها. ويندرج في الفن الرقمي التصوير بالكاميرات الرقمية و المسح الضوئي وصناعة الأفلام وإنتاج البرامج التلفزيونية وصناعة الرسوم المتحركة والرسم الرقمي والقص الرقمي والتصميم الرقمي وتصميم المواقع وتأليف الموسيقى وكتابة الأغاني رقمياً وتصميم ألعاب الفيديو... ولضيق المجال، نتوقف هنا أمام الرسم والتلوين الرقميين؛ ونشأتهما وتطورهما، والفرق بينهما وبين الرسم التقليدي (1) ...

والرسم الرقمي هو فن يشبه إلى حد كبير الرسم التقليدي على الأوراق ولكن الاختلاف أنّ الرسم الرقمي يتم من خلال الكمبيوتر والبرامج الرقمية كبرنامجي : الفوتوشوب *Photoshop* والكوريل درو *Corel Draw* ، ويستخدم في الرسم الرقمي التقنيات الحديثة حيث تستبدل الألوان المائية والألوان الصباغية المستخدمة في الرسومات التقليدية بالألوان الرقمية... لنبدأ هاهنا بنظرة تاريخية عامة حول تلك التقنية والوسائل الرقمية ، فقد كان أول برنامج رسم إلكتروني قد *MacPaint* ، وهو أول برنامج رسم رقمي ينتشر انتشاراً تجارياً، وقد أُطلق أول إصدار منه عام 1984 صمّم عام 1963، تحت اسم

(1):<https://qafilah.com/ar/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%82%D9%85%D9%8A/>

“لوح الرسم”. وكان هذا البرنامج حجر الأساس لاختراع فكرة الحاسب اللوحي، الذي ظهر بالشكل البدائي في بداية السبعينيات. وبعدّ برنامج الرسام (. أما برامج “أدوبي” مثل “إليستريتور” و”فوتوشوب” فقد ظهرت في نهاية الثمانينيات، وظلت تتطور حتى باتت تلعب دوراً رئيساً في مجالات فنية عديدة . أنظر (الشكل 2) فيما يلي



(شكل 3)

مقارنة موضوعية واضحة ، بين اثنين من حوامل الرسم . أحدهما (على اليمين) يمثل حاملاً تقليدياً خشبياً كلاسيكياً - Classic Art Stand ، ، والآخر (إلى اليسار) ويمثل حاملاً رقمياً عصرياً Digital Art Stand ، والذي يستخدم لتثبيت جهاز الرسم اللوحي ، في حال إن كان صغير الحجم

وبشكلٍ عام يمكن إدراج الفروق التقنية ، بين كلا من الرسم الرقمي والرسم التقليدي في عدة ، نقاط ، وهي:

- أن الرسم الرقمي يعتمد على استخدام الرسام للحاسوب في إنجاز اللوحات الفنية، لكن لا يجب التسرع هنا في الحكم على معنى هذه الجملة إذ أن استخدام الرسام للحاسوب وبرامجه في رسم لوحاته لا يعني بأي شكل من الأشكال أن الحاسوب هو من يقوم بعمل اللوحة كاملاً، فالرسام يبذل جهداً في الرسم والتلوين قد يتجاوز الجهد الذي يبذله الرسام التقليدي في بعض الأحيان. هذا الأمر هو من بين أكثر المشاكل التي تواجه الرسام الرقمي وخاصة : العربي، وأنا من بينهم، حيث يفترض الكثير من الناس للوهلة الأولى أن الرسام الرقمي لا يفعل شيئاً وأن الحاسوب هو من يقوم برسم اللوحة وتلوينها في دقائق معدودة دون تدخل من الرسام وهذه مشكلة كبيرة تحتاج إلى تقسيم المزيد من الدعم لهذا الفن لكي يحوز على مكانته التي يستحقها في الوسط الفني .
- عدم حاجة الرسام الرقمي إلى شراء الألوان والأدوات (الريشات والأقلام والوسائط والأوراق...إلخ) والتي غالباً ما تكون مكلفة جداً خاصة إذا كانت من صنع شركات رائدة مثل وينسور ونيوتن (Winsor and Newton) وفبركاستل ، وفبريانو ، وكانسون ، وتالانت وغيرها.

- أدوات الرسم الرقمي (جهاز الحاسوب وبرامج وتطبيقات الرسم والقلم الضوئي أو الماوس) توفر للرسم بيئة رسم نظيفة وخالية من الروائح والأوساخ مما يقلل من الوقت الذي سوف يضيعه في تنظيف الأدوات قبل وخلال وبعد الرسم.
- قد تكون بعض أدوات الرسم الرقمي مكلفة بعض الشيء خاصة تلك الأجهزة التي يطلق عليها ألواح الرسم التفاعلية أو شاشات الرسم التفاعلية (*Interactive Pen Tablets/Interactive Pen Displays*) والتي تنتجها شركة *Wacom* اليابانية، لكن فكر في العائد الكبير الذي سوف تقدمه لك هذه الأدوات نظراً لأن اللوحات الرقمية لا تتطلب من الرسام انتظار الألوان لكي تحف كما يفعل الرسام التقليدي. مما يوفر الوقت خاصة إذا كانت الأعمال الفنية الرقمية مخصصة لمجال معين يتطلب السرعة مثل رسم الشخصيات في الأفلام الثلاثية الأبعاد والمؤثرات في الأفلام الحقيقية وألعاب الحاسوب. كما أن الميزات التي تقدمها هذه الأجهزة والأدوات مثل إمكانية الرسم باستخدام القلم الضوئي مباشرة على الشاشة وميزات اللمس المتعدد تجعل من اقتناء هذه الأدوات صفقة رابحة للرسام الرقمي. ورغم سعرها المرتفع نسبياً إلا أنك عزيزي الرسام سوف تلاحظ أن هذه الأجهزة تستحق ما قد تنفقه عليها من مال.
- يتيح الرسم الرقمي للرسام طباعة لوحاته على أي نوع يريد من الورق أو القماش أو المواد الأخرى وبالأحجام التي يريدونها مما يعطيه مرونة استثنائية فيما يتعلق بالإنتاج الواسع. إن مجال الرسم الرقمي منتشر بكثرة في الغرب، وهو يستخدم في العديد من المجالات كصناعة السينما والألعاب الرقمية والبرامج والمواقع الإلكترونية. مثال رائع على استخدام الرسم الرقمي هو توظيفه في مجال الأفلام خاصة تلك التي تتناول مواضيع الخيال العلمي والأحداث التاريخية حيث يمكن لصناع الأفلام الآن الاستعانة بالرسامين الرقميين لكي يقوموا برسم مناظر أو خلفيات للمشاهد التصويرية للفيلم نظراً لاستحالة بناء مشهد معين على أرض الواقع خاصة إن كان مشهداً في الفضاء الخارجي أو مشهداً قديماً لمدينة أو قلعة أو قصر قديم لم يعد موجوداً بعد، أو منظرًا يجسد قصص الخيال والأماكن الأسطورية وهي ميزة لا يمكن تحقيقها باستخدام الرسم التقليدي.

- وأخيراً، فإنني لا أنسى أن أنوه إلى أن حديثي عن ميزات الرسم الرقمي ومستقبله لا يعني “أبدأ” إهمال الرسم التقليدي أو إقصاءه عن الساحة الفنية فلكل فنان مجاله والتعاون والتفاهم يجب أن يكونا السمة الأساسية لجميع الرسامين العرب.

مزايا الرسم الرقمي ! :

- إن أكبر ميزة للأجهزة والبرامج الرقمية هي بيئة العمل النظيفة والمرتبعة جداً للفنان.
- يمنح الفن الرقمي الفنان القدرة على التراجع عن أخطاء تحدث أثناء الرسم في أي وقتٍ يرتكب المستخدم خطأ وبسهولةٍ كبيرةٍ وبضغطة زرٍ واحدة، بالإضافة إلى أن المسح والتعديل على اللوحة في الرسم الرقمي لا يؤثر على جودة اللوحة على عكس الفن التقليدي، حيث لا توجد ورقة رسم تتأثر بعمليات المحي والتعديل.
- استخدام الرسم الرقمي يغني الرسام عن مشاكل استخدام فرش وأدوات رسم تقليدية. وتعمل البرامج على إعطاء الفنان إحساس الاستديو الحقيقي من توفير أنواع الفرش وإمكان مزج الألوان والعمل بجميع الأساليب من الأسلوب الواقعي إلى الانطباعي أو حتى الحصول على تأثير المواد المختلفة كالألوان المائية مثلاً.
- يسمح الفن الرقمي بالتعديل الكامل على عناصر اللوحة التي يتم رسمها، حيث يستطيع المستخدم التعديل على العناصر وتغيير حجمها ونسخها، كما يسمح بإعادة استخدام العديد من هذه العناصر في رسوماتٍ أخرى مما يسهل تطبيق الأفكار المختلفة بالمقارنة مع الرسم التقليدي.
- إمكانية التكبير بشكل تفصيلي لدراسة تفاصيل العمل الفني بدقة شديدة ، تمكن الفنان من الحصول على أكبر درجات المهارة في التعبير عن دقائق وتفاصيل العمل الفني الجزئية ، مما تعطيه واقعية أكبر من الرسم بالطرق التقليدية القديمة .
- يمكن نسخ الفن الرقمي بسهولةٍ وبضغطةٍ واحدةٍ كما يمكن للمستخدم طباعة أكبر عددٍ ممكنٍ من النسخ التي يريدها من عملٍ فنيٍّ واحد ، سواء في المنزل أو في مركز الطباعة، وبتكلفةٍ أقل من إعادة إنتاج الأعمال التقليدية، كما يمكنه نشر أعماله عبر الإنترنت حتى يتسنى لكل شخصٍ أعجبه الحصول على نسخةٍ منه مما يجعل من السهل أيضاً إجراء نسخٍ احتياطيٍّ لكافة الأعمال الفنية، ما يسهل على الفنان حفظ أعماله الفنية من الضياع عن طريق حفظها بشكلٍ إلكترونيٍّ .

من المرسوم الكلاسيكي إلى المرسوم الرقمي ! :

بالطبع ، هناك فروق ضخمة وشاسعة ، بين تجهيز مرسوم بوسائل رسم تقليدية كلاسيكية ، تعارف عليها الفنانون والمصورون والمبدعون منذ فجر التاريخ ، وما بين تجهيز مرسماً ليغدو مناخاً مناسباً للاعدادات لممارسة فن الرسم الرقمي وفق أحدث تقنياته ، فجميعنا بالفعل ، يعلم ماهية احتياجات الفنان والمصور الكلاسيكي والتقليدي في مرسومه ، من : ألواح الرسم الخشبية التقليدية ، حسب مقاسات معينة (الشاسيه الفني *Art Chassis*) .. وحامل هذا الشاسيه : (*Art Stand*) سواء كان خشبياً أو معدنياً ، وبالطبع مقعد الفنان المناسب في ارتفاعه ، لارتفاع حامل اللوحة (*Stoll chair*) ، وبالطبع لا يمكن أن ننسى الوسيط الذي يتم الرسم عليه مباشرةً ، سواء كان ورق بكافة خاماته وألوانه وسماكته ، أو قماش الكنفاس *Canvas* في حال للتصوير الزيتي *Painting* ، أو مسطحات أخشاب الأبلكاش ، المتنوعة في ألوانها ودرجة سماكتها ونعومتها ، أو مسطحات من الزجاج الخ ذلك من مسطحات الرسم ،،، وهناك أيضاً ، الوسيط الأدائي ذاته ، سواء كان : أقلاماً رصاص ، أو أقلام خشبية ، أو أحبار ، أو خامات مختلفة من الألوان ، سواء زيتية ، أو أكريليك *Acrylic* ، أو أكوالين *Aquiline* ، أو جواش *Guash* ، أو ألوان البلاستيك ، أو الزجاج *Glass colors* ، حسب خامات الوسيط المرسوم عليه .. وبالطبع يحتاج الفنان إلى منصة الموضوع المراد رسمه ، سواء أكان طبيعة حية متمثلة في (أشخاص / حيوانات / نباتات) أو كانت طبيعة صامتة قد تتمثل في (أواني / تماثيل / فواكه أو خضراوات / عناصر صناعية / منسوجات / مجسمات هندسية / المجسمات التشريرية والهيكلية الخ) وغيرها من الأمور الوارد التعبير عنها ومعالجتها بالرسم والتصوير في المراسم الفنية ، أنظر (الشكل 3) .

ولا يختلف كثيراً ، المرسوم الكلاسيكي التصميمي أو الهندسي ، عن المرسوم الكلاسيكي للتصوير أو الرسم الحر ، فكلاهما يعتمدان على المنصات الكلاسيكية والطاولات الخشبية أو المعدنية والمقاعد العالية والمخصصة لمادة الرسم ، اللهم إلا في إضافة بعض التفاصيل والمكملات التي تخدم احتياجات ومتطلبات الرسم التصميمي أو الرسم الهندسي ، في إضافة على سبيل المثال تقنية مرونة الحركة واختيار معدلات الميل والارتفاعات المتعددة في طاولة أو منصة التصميم الهندسي ، ومقعد المصمم ذاته القابل لتعديل الوضعية ، أو تعديل الارتفاع حسب المطلوب والمناسب لمساحة ورقة العمل ، وطبيعة المشروع ، ما إذا كان مشروعاً تخطيطياً ، أو مشروعاً ملوناً ... الخ وفي بعض الأحيان يتم إضافة مصباح ضوئي لمنصة العمل)

(*Table Lamb*) لاستخدامه عند الضرورة لزيادة الدقة والتركيز في بعض الأحيان عند الضرورة , أنظر (الشكل 4) .



(شكل 3)

العناصر الأساسية في الرسم الكلاسيكي (للرسم والتصوير الحر) - (حوامل الرسم والتصوير الخشبية **Painting wooden stands**) ... ومقاعد الرسم الخشبية القرصية العالية (**Wooden Stool**) **Chair** .. والوسيط أو الناقل الفني هنا . هو لوح الكانفاس القماشي الكلاسيكي **Canvas board** , والخاص بالتصوير الزيتي المعروف



(شكل 4)

منصات الرسم الهندسية والتصميمية المتطورة **The engineering and design drawing platform** - متعددة الارتفاعات , والقابلة لتغيير زوايا الميل فيها رقمياً لتناسب وطبيعة مشروع الفنان او المصمم , واحتياجاته من الناحية التنفيذية

أما بالنسبة لتجهيزات مرسماً رقمياً , فالموضوع يختلف كامل الاختلاف ... فالوسيط المستخدم للأداء الفني هنا , يختلف جذرياً ! فقد تم استبدال ألواح الكنفاس أو الورق هنا , بالأجهزة اللوحية الرقمية

, من أجهزة (ويكوم Wacom , أو تابلت رسم لوحى Tablet board) , كم تم استبدال الفرشاة , او القلم أو الفحم المألوفين لدى كل فنان , بالأقلام الرقمية أو الأقلام الضوئية ! أما للمقاعد الخشبية (الستول Stool Chair) التي كانت تميز المرسوم الكلاسيكي , فزاهنا هنا قد تبدلت لمقاعد جلدية أكثر عصرية وانسيابية لتناسب الجلوس لفترات أمام جهاز رسم لوحى بدلاً من اللوح الموضوع على حامل خشبي Wooden Stand , كما كان سابقاً .



(شكل 5)

مقارنة موضوعية واضحة , بين مرسمي . أحدهما (على اليمين) مرسماً تقليدياً - Classic atelier , , والآخر إلى اليسار , مرسماً متطوراً رقمياً Digital atelier , والفروق الواضحة جداً في مكونات كل منهما من الناحية التقنية , سواء ظاهرياً أو موضوعياً

ولم تكن الفوارق محصورة فقط في طبيعة تأثيث محتويات كل نوع من أنواع المراسم فحسب , بل أن الفوارق هنا أساساً تشمل وفي المقام الأول طبيعة الإعدادات والتجهيزات والوسائل والخامات اللازمة لتنفيذ كل تقنية من هذه التقنيات , فكما سبق ان ذكرنا ان وسائل الرسم التقليدي أو الكلاسيكي المعروف , انحصرت في الوسائل والأدوات واللوازم المادية الملموسة المتمثلة في الأوراق أو المسطحات القماشية أو الخشبية , إضافة بالطبع على أقلام الرسم والألوان المختلفة على اختلاف أنواعها وخامتها سواء كانت ألوان زيتية أو ألوان زجاجية أو بلاستيكية , أو كانت ألواناً مائية Watercolors على اختلاف أنماطها سواء كانت جواش Gauche أو أكريليك Acrylic , او أحبار ملونة Colored , والمعروفة باسم : Aquiline , , أو الألوان الخشبية Pencil Colors , او الطباشيرية Soft Pastel , أو الألوان الطينية Oil Pastel او الشمعية Wax Color , أو غير ذلك من الألوان اليدوية المتعارف عليها في مجالات الفنون التشكيلية التقليدية . أنظر (الشكل 6) تالياً



(شكل 6)

مجموعة مختلفة ومتنوعة من الخامات اللونية التقليدية الكلاسيكية المتعارف عليها في عالم الفنون التشكيلية المختلفة ، تنوعت ما بين ألوان زيتية ، وألوان زجاج ، وألوان مائية ، وألوان جواش ، أو أكريليك ، أو أحبار ملونة مثل الأكوالين ، إضافة إلى أقلام التلوين الخشبية والطباشيرية والشمعية

تأثيرات عامة للتقنية الحديثة :

عن تجربة شخصية، بإمكانني القول أن غالبية الناس في العالم العربي لم يسمع بالرسم الرقمي اللهم إلا نادراً ما ندر ، من جهة المتخصصين والمحترفين فقط في مجالات الفنون البصرية المعاصرة - ، وكان المجال الأكثر شيوعاً هو التصميم الجرافيكي ومعظم شرائح المجتمع على دراية بمهنية هذا المجال إذ أنه يستخدم في العديد من المجالات التي تمس حياة المواطنين لذا فمن الطبيعي أن يكون شائعاً في حياتنا . إن السبب الذي يجعل من التصميم الجرافيكي معروفاً ودارجاً في سوق العمل أو الدراسة هو المجالات التي يستخدم فيها كالتسويق والدعاية والإعلام والمواقع الإلكترونية والمجلات وغيرها، لذا فإن عامة الناس في معظمهم يعرفون ما هو التصميم الجرافيكي، ويعرفون أن برامج كالفوتوشوب (*Adobe Photoshop*) إليستريتور (*Adobe Illustrator*) ، وهو برنامج يستخدم في التصميم الجرافيكي والرسم الرقمي أيضاً، و إن ديزاين (*Adobe InDesign*) ، برنامج آخر يستخدم في تصميم المجلات والكتب، مصممة خصيصاً لخدمة التصميم الجرافيكي ، لكن ما لا يعرفونه أن برنامج الفوتوشوب والإليستريتور وكوريل بينتر *Corel Painter* هي برامج متخصصة أيضاً في الرسم الرقمي، وأعني بالرسم الرقمي رسم لوحات كاملة أو

شخصيات كرتونية أو مناظر من الخيال العلمي أو اللوحات التجريدية أو التعبيرية أو غيرها (بمعنى آخر، هو رسم تقليدي بنكهة تكنولوجية).

ثمّة علاقة تفاعلية متعددة الجوانب نشأت بين مكونات عالم الفنون بفعل ظهور التقنية الحديثة. فربما أنها أولاً تسهل اتصال الفنانين ببعضهم بعضاً، لتبادل الآراء والخبرة وتسهيل إقامة المعارض المشتركة أو حتى إقامة المعارض الافتراضية. وصحيح أن الرسم الرقمي وبرامجه تعمل على محاكاة الفن التقليدي والواقعي سواء في النتائج أو حتى في بيئة العمل، لكن منذ أن ظهرت التكنولوجيا الرقمية، أثرت برامج الرسم الإلكترونية في الرسم التقليدي والواقعي تأثيراً كبيراً. فقد سهّلت البرامج الرقمية تعلّم الفن من تصوير ورسم وغيره. وبات سهلاً الحصول على المحاضرات والدروس الفنية عبر الإنترنت والوسائل الرقمية. وبات كثير من الفنانين يعمل اليوم على تخطيط لوحته مبدئياً بواسطة الكمبيوتر، ثم ينفذها على اللوحة الحقيقية. وبعضهم يلتقط صوراً للوحته ويعدّلها في برامج الرسم الرقمي قبل أن يعدّلها عملياً على إطار اللوحة. وليس هذا فحسب، بل تأثرت أساليب الرسم التقليدي بأساليب الرسم الرقمي من ناحية اعتماد الألوان والمواضيع وحتى طريقة العمل. ونستطيع القول إن بعض الفنانين اليوم ينتج فناً واقعياً بأسلوب رقمي، وكثير منهم يستخدم التقنية الرقمية لإنتاج فن واقعي أو تقليدي(1).

كان لظهور التقنية الرقمية باداياتها التي تؤشر بأنها بذرة أولى لنشوء هذا الفكر، فقد استلهمت من تقنية سابقة ظهرت على الجانب الطباعي الفني، وهي تقنية الطباعة بالشاشة الحريرية (*silk screen*). إن العلم والتكنولوجيا إنما هما حصيلة جهد مجتمع كامل وثمرته معارفه وأنشطته ولهذا وكما هو معروف من أسلوب عمل الطباعة الحريرية من استخدامه لشاشة دقيقة المسامية كما وهو نفس أسلوب عمل شاشة الحاسوب من استخدامها لشاشة موزايقية نقطية .. والشاشة الحريرية هي قطعة قماش حريرية، تُشد بشكل جيد إلى إطار خشبي، أو معدني، وتُستخدم مقاساً معيناً، كما أن درجة

(1) : "رسل مظفر علي حسن" .. (تقنيات الصورة الرقمية ودورها في تحولات الرسم العالمي المعاصر) .. رسالة دكتوراة مقدمة لمجلس كلية الفنون الجميلة / جامعة بغداد / إشراف الأستاذ الدكتور : " سلام جبار جواد " / 2012 م

مساميتها تختلف وفقاً لنوع الحرير المستخدم، والفكرة في نوع هذه الطباعة، هو سد ثقب النسيج بالأجزاء التي تمثل الأرضية، وفتح مسام في القطعة وفقاً للشكل المراد طباعته .. وتستخدم مواد حساسة

لهذا الغرض ، ويتم كل ذلك يدوياً ، للطباعة على الأقمشة والورق ، أو الملصقات والمواد الدعائية ، والإعلانية الخ

بدأ التطور في الفكر الفني لاسيما منذ الانطباعية (حيث أضحى الرسامين تحفزهم التطورات العلمية والتكنولوجية، وكان هؤلاء يملكون إدراكاً للون والضوء يختلف عن إدراك أسلافهم وتحديدًا في التنقيطية) (*Pointism*) أو ما أطلق على هذا الأسلوب : التقسيمية (*Divisionism*) عند " *Seurat* " و "*Signac*"

في تحليلهم للألوان، حيث استوعبا ظاهرة اللون وعلاقتها بالضوء وفقاً إلى ما توصلت إليه النظريات العلمية التي وضعها الفيزيائيون المعاصرون أمثال : شيفرول، وهومبولتر ، وهود ، ووصلوا إلى اللونية الضوئية وقانون التباين المتزامن وان اللون ليس مادة ملونة ، بل انطباع أو إحساس يتولد في العين من خلال سقوط اشعة من الضوء عليها*.

استفاد التنقيطيون من التقنيات العلمية فقاموا بوضع بقع لونية نقية على قماشة اللوحة من دون مزجها على ملونتهم لتبقى محتفظة بإشراقها ، فهي تمتزج بصرياً في عين الناظر بفضل تجاور هذه البقع اللونية ، فكل نقطة من اللون المضيء كانت تقابلها نقطة من اللون الضد له ... فالبرتقالي يقابل الأزرق مثلاً ، حيث كان الهدف تعزيز الألوان المتضادة . فالنقطة عند "*Seurat*" نعد أساساً في بنائية العمل لديه ، إذ تقوم بنائية العمل على التكوين النقطي شكلاً وأرضية ومن كل ما تقدم ، نجد هناك فهماً مسبقاً لما يعرف في الوقت المعاصر : بالصورة الرقمية .. إذ بدأت العقلية الرقمية في تأكيد نفسها ، وبدأ العلماء يتأثرون على نحو واضح بالعلم كما في حالة "*Seurat*" مثلاً ... ويمكن ملاحظة ذلك من احد أعمال "*Seurat*" ، وأحد أعمال الرسم الرقمي ، (شكل 7).

هذا ومن المعروف إن التكنولوجيا الرقمية في التجارب العالمية المعاصرة قد اعادت الاعتبار للمدرسة التنقيطية التي أنشأها كلاً من : (*Seurat* و *Signac*) مما يجعلنا نزن أن وعي الفنان وإدراكه سابق بتأكيد للتقنية وأن كل أثر فني يستمد جذوره من الاتجاه العام للتطور ومن الطريق التي مهدتها له الآثار السابقة ، وما ظهور (الصورة الرقمية) في الوقت الحاضر إلا نتيجة تطور وعي وإدراك سابق ، كان له بدايات منذ الانطباعية والانطباعية الجديدة .



(شكل 7)

مقارنة بصرية تحليلية .. بين أحد أعمال الفنان : سيورات Seurat التنقيطية المنفذة بتقنية السيلك سكرين - إلى اليمين .. وأحد أعمال الفنون الرقمية المعصرة والمنفذة بتقنية الحاسوب- إلى اليسار .. وإظهار مدى التشابه الأدائي بينهما بشكل عام

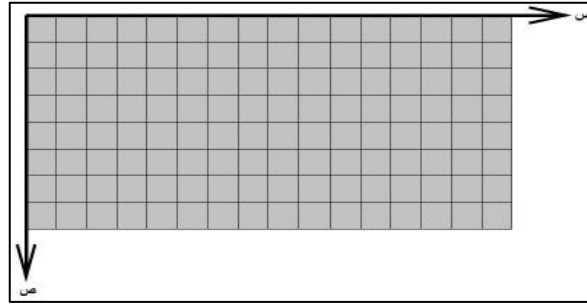
الصورة الرقمية :

يعد مفهوم الصورة (*The Image*) مفهوماً ذا شمولية واسعة، والصورة تحتوي على أنواع عدة تبعاً لتصنيفها ، ومن هذه الأنواع : (الصورة الرقمية) وهي صورة معالجة بجهاز الحاسوب ، وتتكون من وحدات صغيرة ، تصل إلى ملايين عدة من المربعات التي تدعى عناصر الصورة أو : البكسلات (*Pixels*) ، فضلاً عن ان الصورة الرقمية هي دالة منفصلة ثنائية الأبعاد - *two dimensional function* تحدد بشكل مصفوفة بصفوف طولية (س) وعرضية (ص) (1)

يحدد كل عنصر أو (مربع) في المصفوفة على أنه : (بكسل)، وهو أصغر عنصر من الصورة الرقمية، فعندما يبدأ الحاسوب برسم الصورة ، بعدما تكون يد الفنان قد عمدت إليه ، فإنه يقوم بتقسيم الشاشة أو الصفحة المطبوعة مباشرةً إلى شبكة من البكسلات ثم يقوم باستخدام القيم المخزنة للصورة الرقمية ليعطي لكل بكسل لونه وسطوعه، وتدعى هذه الطريقة بتوضيح الخانات *bit mapping* وتدعى الصور : *bit-maps* ...

ولكيفية قياس حجم الصورة الرقمية فإنه يحدد بطريقتين... إما بأبعادها بالبكسلات المكونة لها أو بعدد البكسلات المكونة لها ، مثلاً الصورة نفسها يمكن القول أن حجمها : ١٦٠٠×١٨٠٠ بكسل أو أن حجمها : ٢،٨٨ مليون بكسل، وهي ناتج عملية ضرب الطول في العرض ، وكلما ازدادت عدد

البكسلات في الصورة ازدادت دقتها وجودتها، ويمكن معرفة ذلك من خلال تكبير الصورة إلى درجة عالية مع بقاء وضوحها . للمزيد من التوضيح ، أنظر (شكل 8)



(شكل 8)

شكل يبين بكسلات مصفوفة بصفوف طولية وعرضية

Torsten Seemann, Digital Image Processing using Local Segmentation, PhD. , Monash University, Australia, 2002, p.7.

وعند تخزين الصورة الملونة في الحاسوب بوصفها مصفوفة بكسلات ثنائية البعد، يأخذ كل بكسل ، ثلاث قيم تمثل الألوان الأساسية ياخذ كل بكسل ثلاث قيم تمثل الألوان الأساسية الثلاث (RGB) ، فاللون يعبر عنه بكود رقمي، تغطي باليئة جميع الألوان، وطيف ظلالها ودرجة بريقها أو لمعانها وأن المناطق اللونية المعتادة أو الشائعة في الصور الرقمية هي : وبالطبع فإن عوامل Red, RGB وأن المناطق اللونية المعتادة أو الشائعة في الصور الرقمية هي : وبالطبع فإن عوامل Red, RGB Cyan, Magenta, Yellow) CMYK والأخضر والأزرق و (Green and Blue) الأحمر، الأصفر والأسود (الذي يستخدم في الطباعة) Black, السماوي، الأرجواني، الأصفر والأسود (الذي يستخدم في الطباعة) وتنشأ الصور الرقمية من خلال طرق إدخال عدة ، وهي:

1. الكاميرات الرقمية (Digital Cameras) المتخصصة وهي ذات انواع متعددة ، وغير المتخصصة ، مثل كاميرات الهاتف النقال (الموبايل) .
2. أجهزة المسح الضوئي (السكائر Scanners) .

(1).Torsten Seemann, Digital Image Processing using Local Segmentation, Ph.D., Monash University, Australia, 2002, p.7.

3. الصور الرقمية المنفذة بإحدى برامج الرسم بالحاسوب باستخدام القلم الضوئي (*Light pen*) ولوحة الرسم الرقمي : (*Digitizer Graphic Tablet*) وهي ذات تقنيات متنوعة ، وهذا النوع سيكون لب موضوع بحثنا .

الصورة الرقمية بين العلم والفن ! :

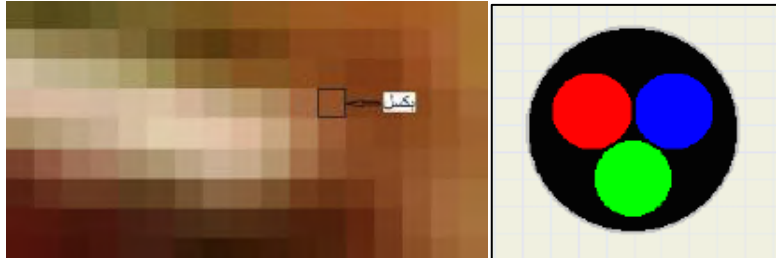
ذكرنا في هذا الفصل أن الصور الرقمية هي صور معززة من خلال جهاز الحاسوب ، والذي أصبح وبكل وضوح أنه لغة العصر الحالي ، وبلا أدنى شك ، وهو نتيجة تطور مراحل في العلم وصل إلينا كما نراه الآن بميئته المعروفة ، ستخدم في كل مفاصل الحياة المهنية والعلمية ، فضلاً عن الفنية ، فيما عرف في الوقت الحاضر بإسم : الرسم الرقمي (*The Digital Painting*) ، مجسداً التحولات التي شهدتها الصورة الرقمية لتصل بالرسم العالمي ، إلى ما وصل إليه اليوم في عصر الديجيتال ، مستغلاً تقنيات جهاز الحاسوب أشد استغلال ... وصولاً إلى نوع من الإبداع في المنتج الفني ، ولمعرفة كيفية نشوء صورة رقمية فنية ، وجب الإحاطة بكل ما يرتبط بها من معرفة علمية ، وهنا تجدر الإشارة إلى بعض المفاهيم والمصطلحات المهمة بهذا الصدد .

البكسلات :

ذكرنا قبلاً : إن البكسل هو اصغر عنصر من عناصر الصورة الرقمية، ولو أرجعنا مفردة (*Pixel*) إلى أصل اشتقاقها نجد إنها تتكون من المقطعين (*Pix*) ويُرَاد به : (*Picture*) و (*el*) ويُرَاد به : (*Element*) فهي اختصار للمصطلح الرئيسي : *Picture Element* .. وكل صورة رقمية تتكون من آلاف بل ملايين من المربعات أو الوحدات الصغيرة المتجاورة جنباً إلى جنب في شكل شبكة ذات محور سيني وصادي .

ويتم تخزين الصورة الملونة في الحاسبة إذ يأخذ كل بكسل ثلاث قيم لتمثيل الألوان الأساسية (*RGB*) - الأحمر والأخضر والأزرق* ... وتتراوح هذه القيم بين (٠ و ٢٥٥) وهو الحد الأقصى للالوان التي يمكن أن يُعمل بها ، و(الشكل 9 - الأيمن) يوضح بكسل موسع جداً يحتوي على قيم الألوان الأساسية الثلاث، وفي حالة الصورة الرمادية (*grayscale images*) تأخذ قيمة واحدة تتراوح بين (٠ و ٢٥٥) مستوى رمادي، أما في حالة الصور الأبيض والأسود، فإنها تأخذ قيمة واحدة (صفر أو واحد)* ، ويحتوي كل بكسل ملون على (*8 bit*)* من البيانات ، لذا فإن الصورة الرقمية تتكون من

عدد كبير من البكسلات ، و(الشكل 9 الأيسر) يوضح هذه البكسلات من مقطع من صورة مكبر (٧٠٠٠ %) ، يرتبط مفهوم البكسل بعدة مصطلحات مهمة بدرجة وضوح شاشة الحاسوب ودرجة وضوح الصورة أو حدودها (Resolution)*** ويقاس بوحدة (dpi) ودرجة وضوح الطباعة ،، وهو عدد البكسلات في الإنش المربع الذي يمكن للطباعة المتصلة بالحاسوب انتاجه، ونوع الورق المستخدم في الطباعة في حالة الإخراج النهائي للعمل الفني . ولما كان وحدة قياس الصور التقليدية : زيتية، مائية ، أكريليك... وغيرها تقاس بوحدة السنتيمتر أو الإنش ، فإن وحدة قياس الصور الرقمية تقاس بوحدة البكسل .



(شكل 9)

شكل يبين مصفوفة بكسلات بصفوف طولية وعرضية

Torsten Seemann, Digital Image Processing using Local Segmentation, Ph.

*: هكذا استقرت الرموز في ذاكرة الكومبيوتر سلاسل من الأصفار والآحاد بعد أن تحولت هذه الرموز إلى أرقام عن

طريق عملية الرقمنة *digitization* وتحولت الأرقام في نظام الأعداد العشري إلى مقابلها في النظام الثنائي

binary system إذ يستخدم في تمثيل الأعداد في هذا النظام رقمين فقط هما: 0 و 1 الذي يمثّل أقصى

درجات التجريد الرياضي، وهذا النظام اكتشفه الصليبيون وأخذته الفيلسوف الرياضي الألماني جوتفريد فون ليبنتز

من خلال المبشرين اليسوعيين في القرن السابع عشر.

***: الـ (bit) هي أصغر وحدة تخزين في الحاسبة الالكترونية.

***: Resolution : درجة وضوح الصورة من خلال عدد البكسلات في البوصة الواحدة (dots per inch)

(dpi)، أو مقدار البيانات في حاف الصورة النقطية. ينظر: زياد عبد الكريم القاضي وآخر ون، معالجة الصور

الرقمية ، ص ٢٤٣ .

عند البحث في الصيغ اللونية يجب أن نعلم بأن : (اللون ليس مادة ملونة) بل إحساس مرئي ينتج عن : وصول أشعة ضوئية على شكل أمواج للعينا البشرية ، ولهذا يتميز كل لون بطول معين لموجاته الضوئية ، وللحاسبة الإلكترونية بصيغ لونية عدة ، يمكن إنشاء الصورة الرقمية من خلالها ، وكل تختص بحالة معينة ، ولكن أكثر هذه الصيغ انتشاراً واستعمالاً ، هي الألوان الضوئية في الصيغة: (RGB) والألوان الصبغية (CMYK) المستخدمة في الطباعة .

لابد من الإشارة بأن هناك أنظمة عديدة وضعت لتحديد مواصفات الألوان ومن هذه النظم :

1. نظام (منسل) لتصنيف الألوان

2. النظام اللوني : (Color Pantone)

3. النظام اللوني : (RGB)

4- النظام اللوني : (CMYK)

5- النظام اللوني : (Lab)

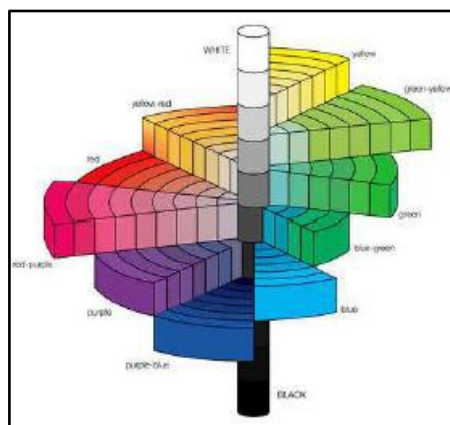
1. نظام (منسل)* لتصنيف الألوان ويقوم على أساس ثلاث خصائص (HSB) (HSV) :

أ- (H) أصل اللون (Hue) : هو الصبغة أو لُسم اللون أو صفته أو كنهه وهو تلك الظاهرة التي يعرف بها اللون فيقال هذا لون أحمر أو أخضر أو أصفر ...) وتترتب الألوان على اختلاف الأطوال الموجية على عجلة الألوان الأساسية بزاوية تتدرج ضمن المدى (٠ - ٣٦٠) درجة، وتختبرنا عن درجة حرارة اللون ، وفقاً لطريقة منسل فقد قسمت الألوان إلى عشرة أصول عظمى (Major Hues) ، خمسة منها رئيسية : (الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق والقرمزي) وبخمس أخرى تنتج من مزج الألوان المتجاورة الرئيسية (Intermediate Hues) ، وتنقسم كل من الأصول العظمى إلى عشرة أقسام إذ تكون دائرة أصول الألوان المكونة من مئة قسم ، و (الشكل 10) أدناه يوضح عجلة ألوان منسل .

(شكل 10)

(عجلة منسل للألوان)

**Torsten Seemann, Digital
Image Processing using Local
Segmentation, Ph.
D. , Monash University,
.Australia, 2002, p.7**



أ - (S) درجة الإشباع (Saturation) أو (C) (Chroma) : يراد بها مقدار الصبغة المعينة للون وصفاتها وغناها وتمثل كمية اللون الرمادي نسبة إلى كنه اللون، وتقاس كنسبة مئوية، إذ أن أقصى كمية إشباع للون تعني النسبة : (١٠٠٪) ، والألوان النقية أكثر صفاءً من الألوان الممزوجة، فالأخضر المصفر يُعدّ أخضراً غير مُشبع مثلاً .

ج - (V) قيمة اللون (Value) : يعبر عنه أيضاً بالنصوع أو اللمعان (B) (Brightness) وهي درجة إضاءة اللون ويعني مقدار عتامة أو استضاءة اللون حسب كمية الضوء المنعكس من السطح الملون ، وهي قابلة للزيادة والنقصان، إذ تقسم إلى (10) أقسام من (٠) أسود إلى (10) أبيض وخاضعة للنسبة المئوية الآتية :

-100% تعني قيمة اللون (بيضاء

(

-50% تعني قيمة (اللون)

رمادية

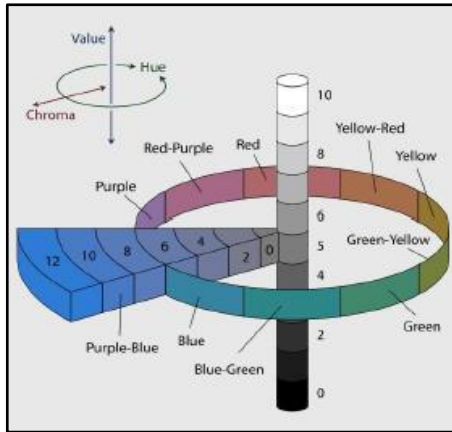
-0% تعني قيمة اللون سوداء

وعلى سبيل المثال يمكن أن نرى اللون الأزرق الأرجواني (purple blue) قائماً أو باهتاً بإضافة الأبيض والأسود إلى اللون، كما في (شكل 11) وهو يبين دائرة أصول الألوان لمنسل .

(شكل 11)

(دائرة أصول الألوان لمنسل تبين تدرج قيم
الألوان)

نظام الألوان مونسل، يظهر دائرة الصبغات عند قيمة اللون 5 و صفاء اللون 6، القيم المحايدة من 0 حتى 10، و صفاء اللون للأزرق الأرجواني (PB5) عند القيمة اللونية 5..



1. النظام اللوني (Color Pantone) :

هو النظام الموحد الذي يُعرف باسم : (نظام المطابقة اللونية) ويحتوي على كتالوج الألوان الخاصة بنظام البانتون (شكل 12) الذي يحتوي بدوره على عدد من العينات يصل إلى مئات عدة من التدرجات اللونية ويستخدم هذا النظام بشكل واسع من قبل مصممي الصور والمطابع و إحدى هذه الاستخدامات هو توحيد الألوان في عملية CMYK باستخدام أربعة أحبار هي cyan, magenta, yellow, and black .

يسمح نظام البانتون بإنتاج الكثير من الألوان الخاصة، في حين إن معظم من ألوان البانتون تتجاوز سلم ألوان CMYK المطبوعة إلا إن شركة بانتون بدأت في عام ٢٠٠١ بتوفير ترجمات نظلمها مع شاشات الألوان الأساسية المستندة إلى استخدام النظام اللوني RGB .

(شكل 12)

(كاتالوج الألوان الخاصة بنظام البانتون)
ويحتوي بدوره على عدد من العينات يصل
إلى مئات عدة من التدريجات اللونية
ويستخدم هذا النظام بشكل واسع من قبل
مصممي الصور والمطابع و إحدى هذه
الاستخدامات هو توحيد الألوان في عملية
CMYK.

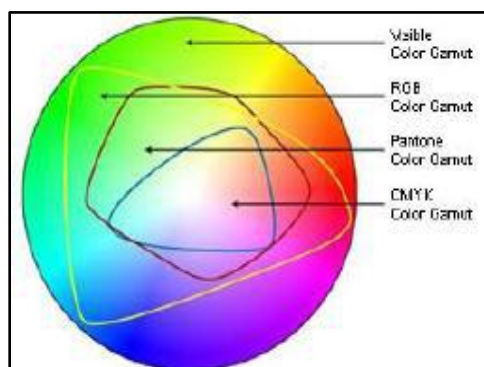


2. النظام اللوني (RGB) :

هي من أكثر ألوان شاشات الحاسوب استخداماً وانتشاراً، وتستخدم هذه الصيغة مع ألوان شاشات التلفاز و الأجهزة الالكترونية الأخرى، وذلك لنطاقه اللوني الواسع المستخدم ضمن الطيف و لأنه يتوافق مع الأنظمة اللونية الأخرى كما في (الشكل 13) فشاشة الحاسبة تستطيع نظرياً إظهار عدد لا متناهي من الألوان ... يعني هذا النمط بالألوان الضوئية الأساسية : (Red, Green and Blue) الأحمر، الأخضر والأزرق ، وتعرف أيضاً : (بالألوان الجمعية) ، إذ عند استخدام الألوان الضوئية في عملية المزج بنفس النسبة ليكون ناتج العملية هو اللون الأبيض وتسمى عندها عملية المزج بالمزج اللوني الجمعي (Additive Color) كما تجدر الإشارة إلى إن إضافة لون ضوئي إلى لون ضوئي آخر ينتج عن ذلك مزيج من لون ضوئي أكثر إضاءة، أكثر صفاءً و (الشكل 14) يبين هذا المزج ، كما يلاحظ ظهور الألوان الطباعية الأسلسية من خلال عملية مزج لونين ضوئيين وهي : (Cyan, Magenta, Yellow and Black) .

(شكل 13)

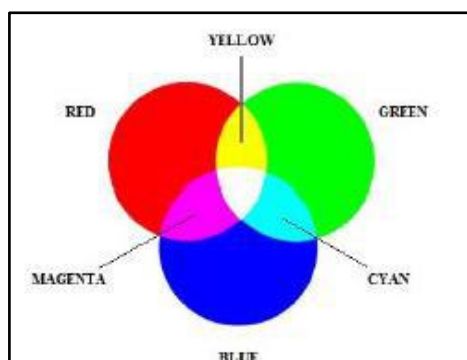
(كاتالوج الألوان الخاصة بنظام البانتون)
ويحتوي بدوره على عدد من العينات يصل
إلى مئات عدة من التدريجات اللونية
ويستخدم هذا النظام بشكل واسع من قبل
مصممي الصور والمطابع و إحدى هذه



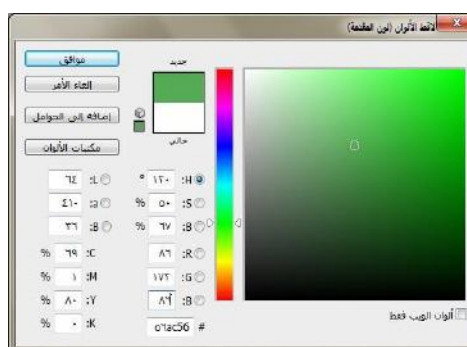
هذه الاستخدامات هو توحيد الألوان في
عملية CMYK.

ويعد النمط (RGB) من ألوان الوظائف الضوئية كما في حالة بعض الأنماط الأخرى
مثل : (LAB) أيضاً، أي إنها في نطاقها اللوني يمكنها بث وتلوين الضوء، وتظهر قيم هذه الصيغ
متزامنة مع بعضها كما نلاحظه في برنامج الرسم : (Photoshop) - (شكل 15) إذ إن اختلاف
أي قيمة من هذه القيم يؤدي من ثم إلى اختلاف القيم الأخرى لأي صيغة من هذه الصيغ ، فضلاً عن
الصيغة (CMYK) - أو الصيغة الطباعة .

(شكل 14)
(النظام اللوني RGB)



(شكل 15)
(نظام مربع البالييت اللوني في برنامج
الرسم ومعالجة الصور : Adobe
Photoshop)



وتعد معرفة الرسام الرقمي لأنظمة الألوان الرقمية من أولويات وأولويات عمله، وكما في نظريات
الألوان التقليدية فإن الانتقال إلى الألوان الرقمية والخوض فيها ، يحسن من أداء الرسام في هذا المجال (
فالرسم و ليس مجرد معرفة كيف نرسم أو كيف ننقل شيئاً كما نراها ؟ أو كيف نلوّنها ؟، بل إن الفنان

الحقيقي يكون ملماً بأسرار المهنة والخوض في تكنولوجيا صناعة المواد الخاصة بها ، سواء كان ألواناً أو فرش أو أدواتاً أخرى يستخدمها في عملية الرسم .

ولهذا ، فإن لانتقاء لون معين في أحد برامج الرسم ... مثل : (كوريل باينتر Corel Painter) كما ترى في (شكل 16) فإن ذلك اللون سيحمل معه قيمة ذلك اللون وتشبعه بأي ظل اللون ودرجات إشباعه باللون الرمادي (ولخلق ظلّ اللون ننقل الدائرة الصغيرة إلى أسفل ضمن مثلث الإشباع / القيمة، ولتعديل إشباع اللون ننتقل إلى اليمين ضمن مثلث الإشباع / القيمة لزيادة الإشباع ، أو إلى اليسار لإنقاصه ، و(الشكل 14) يبين هذه النتيجة : (اللون الأزرق بإشباع كامل ثم درجة اللون ، وظل اللون)



(شكل 16)

درجات الإشباع اللوني للون الأزرق رقمياً ، على نظام المعالجة اللونية في برنامج الرسم العملاق : (كوريل باينتر Corel Painter)

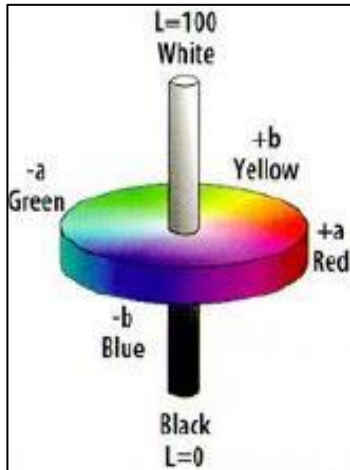
– النظام اللوني CMYK :

هي صبغة الألوان الخاصة بأحبار الطباعة الملونة و تستخدم ألوان (الأزرق السماوي Cyan والأحمر الأرجواني Magenta والأصفر Yellow) ، وهي تختلف عن الألوان الضوئية بأنها صبغية، إذ خلال عملية المزج اللوني ينتج لوناً قاتماً أي إنها تقوم استناداً إلى امتصاص الضوء ولهذا يسمى المزيج اللوني بالمزيج الطرحي (Subtractive Color) وتسمى هذه الألوان بالألوان الكادمة ، ويلاحظ ظهور الألوان الضوئية الأسسلية (الأحمر والأخضر والأزرق) ، في مناطق تقاطع كل لونين لذا فهي تعد ألواناً مكملية للألوان الثلاثة كما مبين في (الشكل 17)

وظهور اللون الأسود نظرياً في منطقة تقاطع الدوائر اللونية الثلاث ، أما عملياً فالنتج هو اللون البني الطيني ويعود ذلك لأن أحبار الطباعة تتضمن مقدراً من عدم النقاء. لذا ينبغي إضافة اللون الأسود إليها لإنتاج اللون الأسود الحقيقي ويرمز له بالحرف (K) ويستعمل الحرف K بدلاً من الحرف (B) لتفادي الالتباس مع اللون الأزرق الذي يبدأ بهذا الحرف) ، ويستخدم هذا النظام في بعض برامج الرسم ، مثل : (Photoshop) ، وعند الحاجة إلى طباعة صورة ما يجب تحويل نمط الصور من الصيغة : RGB الى الصيغة : CMYK ، وذلك لأن صيغة RGB تستخدم الضوء لعرض الألوان وإن سلمها اللوني يتضمن ألوان النيون المشعة. في المقابل تتفوق أحبار الطباعة في إنتاج بعض الألوان التي تقع خارج السلم اللوني لصيغة RGB ، مثل بعض ألوان الباستيل وبما إن الصيغتين RGB و CMYK ينتجان سُلَمين لونيّين مختلفين لهذا فإن الألوان التي نشاهدها على شاشة الحاسوب هي ليست نفسها التي نشاهدها عند الطباعة.

– النظام اللوني Lab :

هو الفضاء اللوني المقترح من قبل الهيئة الدولية للإضاءة عام ١٩٣١ ، وقد عدّل عام ١٩٧٦ ليُسمى : (CIELab) ويصبح نظاماً اقتصادياً عالمياً للألوان ، ويعتمد هذا النظام على نظرية الألوان المتضادة وعلى ثلاثة محاور هي (L) وتعبر عن إضاءة اللون (Luminance) ومحورين هما : (a و b) ويرمزان للألوان المتضادة ، ف (a) يشير إلى الألوان التي تتدرج من (الأخضر إلى الأحمر) و (b) يشير إلى الألوان التي تتدرج من (الأزرق - إلى الأصفر) ، كما في (شكل 18) ، ويلاحظ ازدياد إضاءة اللون من الأسفل إلى الأعلى ، في نظام بُعد ثلاثي الأبعاد .



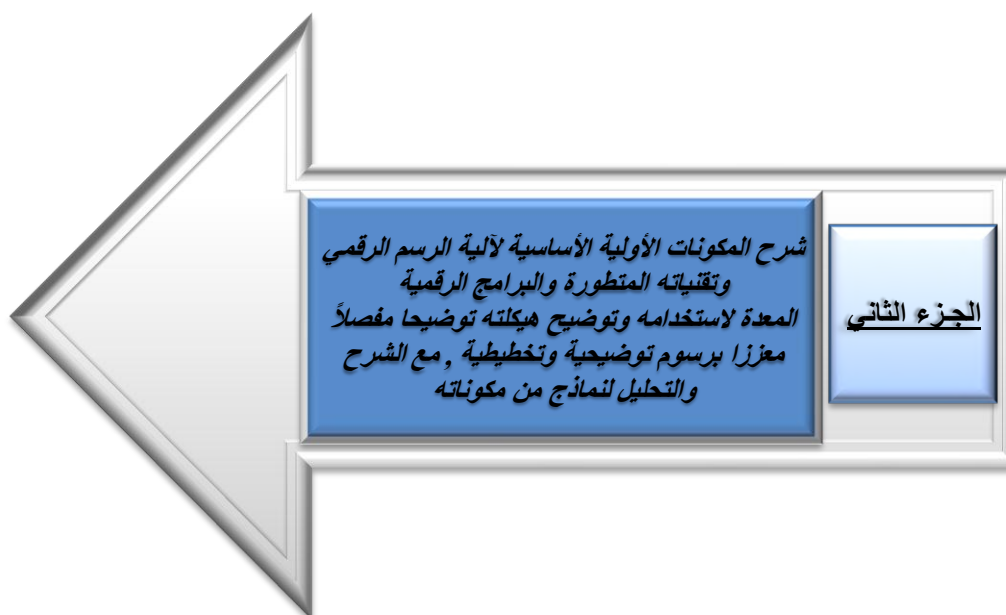
كما مرّ سابقاً يعد نظام الألوان (Lab) من ألوان الوظائف الضوئية ، وهو نظام داخلي يستخدم لتحويل أحد أنظمة الألوان ، فهو يقوم بالحفاظ على الألوان من دون أي تعديل لاسليما عند تحويل الصورة الملونة من نظام إلى آخر ، وإذا ما لاحظنا المجال المستخدم لهذا النظام الذي يحدد

مدى الألوان التي يمكن أن تستخدم أو تطبع نجد إن بعض الألوان لا يمكن عرضها "فمثلاً لا يمكن عرض الألوان Cyan أو Yellow النقيين على شاشة الحاسوب، ويطلق على مثل هذه الألوان اسم الألوان الخارجة عن مجال نظام اللون المستخدم (Out-of-Gamut)* (1) و(الشكل 18 (يبين الألوان الضوئية والطباعية وتلك الخارجة عن الاستخدام .

* : Gamut : ويراد به سلم الألوان أو نطاق الألوان القابل لإعادة الإنتاج على جهاز معين.

ينظر: مازن مغاري، تعلم واحترف الفوتوشوب بالصور التوضيحية، دار الرضوان، حلب، 2005، ص 18 .

(1) : نور الدين أحمد النادي، الطباعة الملونة، مصدر سابق، ص



الشق الأول :
ويتمثل في أجهزة ومعدات ولوازم الإدخال الأساسية
Hardware Input Devices

بالطبع تمثل الأجهزة والمعدات ولوازم العمل ، الوسيط الأساسي والاولي لكيفية إظهار العمل الرقمي وتجسيده شكلاً وموضوعاً ، ولقد تنوعت واختلفت وسائل وأدوات إنتاج العمل ، مابين شاشات رسم مباشر ، وأوراق رسم ذات مجسات حسية مرتبطة بنظام الحاسوب الرقمي ، أو أقلام ضوئية ذات درجة حساسية عالية ، ومزودة بالعديد من المهام والخيارات الأدائية والتنفيذية ، وبالطبع ، فإن أي من برلمج الرسم الرقمي ، لا يممك أن يتحقق العمل من خلاله ، إلا باستخدام ، أدوات وملحقات الإدخال والمعالجة الرقمية ، والمرتبطة بجهاز الحاسوب ، والتي تتلقى من خلالها البرامج الرقمية ، وأمر الرسم أو المعالجة البصرية التنفيذية والأدائية ، ومن أهم هذه الأجهزة والوسائل :

1. لوح الرسم الرقمي (Digitizer Graphic Tablet)

2. قلم الرسم الضوئي الرقمي (Light digital pen)

3. جهاز شاشة الرسم اللوحية المتطورة الذكية (Smart Drawing Screen)

4. الألواح المزودة بأوراق الرسم ذات المجسات الحساسة (Writable Paper-Digital Slates)

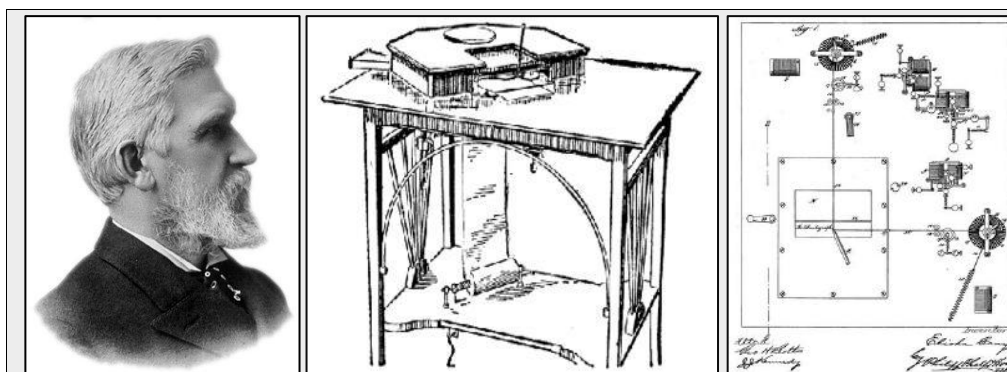
وفيما يلي ، سيتم الاستفاضة بالشرح والتحليل المعزز بالنماذج ، لكل جزء على حدى

1 - لوح الرسم الرقمي (Digitizer Graphic Tablet)

أو الكمبيوتر اللوحي للرسومات (يُعرف أيضاً باسم التحويل الرقمي أو لوحة الرسم أو لوح التخطيط أو لوحة الرسم الرقمية أو لوحة القلم أو لوحة الفن الرقمي) هو جهاز إدخال كمبيوتر يتيح للمستخدم رسم الصور والرسوم المتحركة والرسومات يدوياً ، مع قلم يشبه القلم الكلاسيكي المتعارف عليه ، على غرار الطريقة التي يرسم بها الشخص الصور بقلم رصاص وورقة. يمكن أيضاً استخدام هذه الأجهزة اللوحية لالتقاط البيانات أو التوقيعات المكتوبة بخط اليد. يمكن استخدامه أيضاً لتتبع صورة من قطعة ورق مسجلة أو مثبتة بطريقة أخرى على سطح الجهاز اللوحي. يسمى التقاط البيانات بهذه الطريقة ، عن طريق تتبع أو دخول زوايا الخطوط أو الأشكال الخطية المتعددة ، الرقمنة (1).

نبذة تاريخية عن الجهاز :

كان أول جهاز للكتابة اليدوية هو Telautograph (شكل 19) ، وقد حصل على براءة اختراع من قبل Elisha Gray في عام 1888(2)



(شكل 19)

تخطيط تحليلي يوضح : جهاز للكتابة اليدوية هو **Telautograph** ومخترعه **Elisha Gray** في عام 1888

(1)-*"What is digitizing tablet? Webopedia Definition". www.webopedia.com*
(2) :Gray, Elisha (1888-07-31), Telautograph, United States Patent 386,815

كان الطراز الأول في عام 1957 هو أول لوح رسومي يشبه الأجهزة اللوحية المعاصرة ويستخدم في التعرف على خط اليد بواسطة الكمبيوتر. [1] من المعروف أن (RAND Tablet) المعروف أيضاً باسم : *Grafacon* [2] أو : (محول الرسوم البيانية) ، الذي تم تقديمه في عام 1964 (وغالباً ما يُساء استخدامه كأول قرص رقمي) ، وقد استخدم جهاز RAND اللوحي شبكة من الأسلاك تحت سطح لوحة ترميز الإحداثيات الأفقية والرأسية في إشارة مغناطيسية صغيرة. سيتلقى القلم الإشارة المغناطيسية ، والتي يمكن بعد ذلك فك تشفيرها كمعلومات إحداثية . أنظر (شكلي 20) تالياً



(شكل 20)

صورتين من فترة خمسينيات القرن الماضي ، توضحان شكل جهاز (RAND Tablet) المعروف أيضاً باسم **Grafacon** أو محول الرسوم البيانية ، والذي تم اختراعه في عام 1957 ، ويستخدم في التعرف على خط اليد بواسطة الكمبيوتر

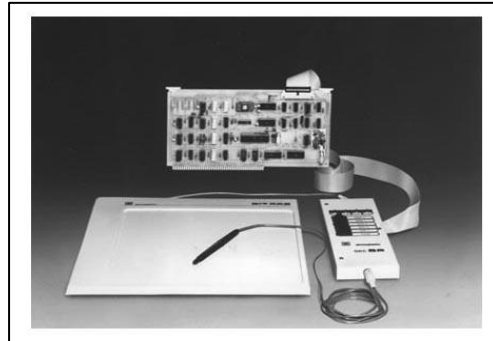
استخدم الجهاز اللوحي الصوتي ، أو قرص الإشعال ، هذا الذي قلماً أدى إلى إنشاء نقرات باستخدام شمعة الإشعال. ثم تم تثليث النقرات بواسطة سلسلة من الميكروفونات لتحديد موقع القلم في الفضاء. كان النظام معقداً ومكلفاً إلى حد ما ، وكانت أجهزة الاستشعار عرضة للتدخل من الضوضاء الخارجية.

(1): Dimond, Tom (1957-12-01), *Devices for reading handwritten characters, Proceedings of Eastern Joint Computer Conference*, pp. 232–237, retrieved 2008-08-23

(2): *An Historical Timeline of Computer Graphics and Animation*". Archived from the original on 2007-06-29. Retrieved 2007-09-19.

تم نشر المحولين في منتصف السبعينيات وأوائل الثمانينيات من خلال النجاح التجاري للمعرف (المحول الذكي) و *BitPad* المصنعة من قبل شركة *Summagraphics Corp.* ، تم بيع و انتاجات *Summagraphics* تحت اسم الشركة ولكن تم أيضاً تصنيفهم بشكل خاص لـ *HP* و *Texttronix* و *Evans* و *Sutherland* والعديد من الشركات المصنعة الأخرى لأنظمة الرسوم البيانية. كان نموذج المعرف أول لوحة رسومية تستخدم ما كان في ذلك الوقت ، تقنية المعالجات الدقيقة الجديدة من *Intel* سمحت قوة المعالجة المدججة لنماذج *ID* بالحصول على ضعف دقة النماذج السابقة مع الاستمرار في استخدام نفس تقنية الأساس. مفتاح تحسين الدقة كان اثنين من براءات الاختراع الأمريكية التي صدرت لستيفن دوميان وروبرت ديفيس وإدوارد سنايدر. كان نموذج *Bit Pad* أول محاولة لقرص رسوميات منخفض التكلفة بسعر بيع مبدئي قدره 555 دولاراً عندما تم بيع أجهزة لوحية رسومية أخرى في النطاق السعري من 2000 إلى 3000 دولار. [1] (شكل 21)

(شكل 21)



جهاز (المحول الذكي) و BitPad ,

والذي تم نشره في منتصف

السبعينيات وأوائل الثمانينيات , من قبل

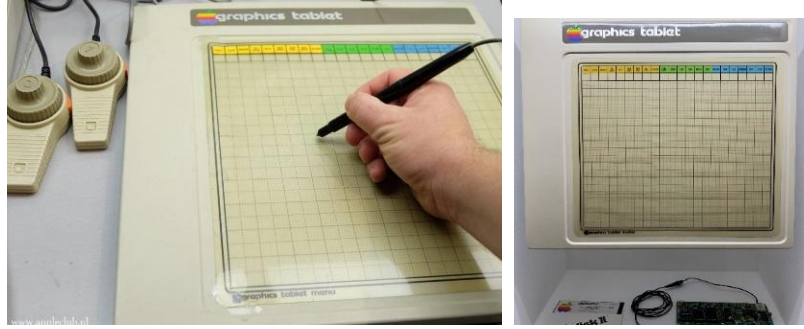
شركة Summagraphics

Corp

فتحت هذه التكلفة المنخفضة الفرص أمام رواد الأعمال ليكونوا قادرين على كتابة برامج الرسومات للعديد من التطبيقات الجديدة. تم استخدام هذه المحولات الرقمية كجهاز إدخال للعديد من أنظمة CAD (التصميم بمساعدة الكمبيوتر) المتطورة بالإضافة إلى حزمها مع أجهزة

(1) : Engelbart, Douglas C. (March 1967), *Display-Selection Techniques for Text Manipulation*, *IEEE Transactions on Human Factors in Electronics*, pp. 5-15, retrieved 2013-03-26

الكمبيوتر وبرامج CAD المستندة إلى الكمبيوتر مثل AutoCAD. ما صنعت Summagraphics إصدارًا OEM من BitPad الخاص به والذي تم بيعه بواسطة Apple Computer باعتباره ملحق Apple Graphic Tablet لجهاز Apple II الخاص بهم. وتستخدم هذه الأجهزة اللوحية تقنية المغناطيس المغناطيسي التي تستخدم أسلاك مصنوعة من سبيكة خاصة ممتدة فوق طبقة صلبة لتحديد موقع رأس القلم أو مركز مؤشر التحويل الرقمي بدقة على سطح الجهاز اللوحي. سمحت هذه التقنية أيضًا بقياس محور التقارب أو "Z" [1] . (شكل 21)



(شكل 22)

صورتين من فترة خمسينيات القرن الماضي ، توضحان شكل جهاز (RAND Tablet) المعروف أيضاً باسم **Grafacon** أو محول الرسوم البيانية ، والذي تم اختراعه في عام 1957 ، ويستخدم في التعرف على خط اليد بواسطة الكمبيوتر

كان "KoalaPad" [2] أول لوح رسم للكمبيوتر المنزلي. على الرغم من كونها مصممة أصلاً لـ *Apple II* ، إلا أن *Koala* وسعت في نهاية المطاف قابلية تطبيقها على جميع أجهزة الكمبيوتر المنزلية تقريباً مع دعم رسومي ، ومن الأمثلة على ذلك الكمبيوتر *TRS-80 Colour* و *Commodore 64* و *Computer* و *Atari 8-bit family*. تم إنتاج أقراص متنافسة في نهاية المطاف ؛ تعتبر الأقراص التي ينتجها *Atari* بشكل عام ذات جودة عالية.

(1) : Gagne, Ken. "Face-off: 1979 Apple Graphics Tablet vs. 2010 Apple iPad"

(2) : "The KoalaPad - The Retroist". 23 January 2012.



(شكل 23)

صورتين من فترة ثمانينيات القرن الماضي ، توضحان شكل جهاز (KoalaPad) ، أول لوح رسم كمبيوتر منزلي ، والمصمم في الأساس لنظام : produced from 1983 by U.S. company Apple II
Koala Technologies for the Apple II

في عام 1981 ، ابتكر الموسيقي Todd Rundgren أول برنامج لוחي رسومي ملون لأجهزة الكمبيوتر الشخصية ، والذي تم ترخيصه لشركة Apple باسم : نظام [1] Utopia Graphic Tablet في الثمانينيات ، بدأ العديد من بائعي الأجهزة اللوحية الرسومية في تضمين وظائف إضافية ، مثل التعرف على الكتابة اليدوية والقوائم على الأجهزة اللوحية. [2] سمات ، ومميزات أجهزة الرسم اللوحي عامة :

عادة ما تتميز الأجهزة اللوحية بحجم الجهاز ، ومنطقة الرسم ، وحجم دقتها ("منطقة عناصر وأدوات الاستخدام" ، والتي تقاس بـ Ipi) ، وحساسية الضغط (مستوى تغيير حجم إشارات تلقي الأوامر بالضغط) ، عدد الأزرار و أنواع وعدد الواجهات ، مميزات إضافية مثل : Bluetooth ، USB ؛ دقة الرسم الفعلية مقيدة بحجم طرف القلم ومستوى جودته .

تصنيفات الأجهزة اللوحية من الناحية التقنية :

كانت هناك محاولات عديدة لتصنيف التقنيات التي تم استخدامها لأجهزة الكمبيوتر اللوحية ، وكان ما توصل اليه العلماء والتقنيين من تصنيفات على النحو التالي :

(1) : Mackintosh, Hamish (18 March 2004). "Talk time: Todd Rundgren". The Guardian.

(2) : Pencept Penpad (TM) Manual, Pencept, Inc., 1983-06-15

• أجهزة لوحية سلبية Passive tablets :

تستخدم الأقراص السلبية تقنية الحث الكهرومغناطيسي ، حيث تعمل الأسلاك الأفقية والرأسية للكمبيوتر اللوحي كملفات إرسال واستقبال على عكس أسلاك جهاز RAND اللوحي الذي ينقل فقط . (يولد اللوح إشارة كهرومغناطيسية ، والتي تستقبلها دائرة LC في القلم. ثم تتغير الأسلاك الموجودة في الجهاز اللوحي إلى وضع الاستلام وقراءة الإشارة التي يولدها القلم. توفر الترتيبات الحديثة أيضًا حساسية الضغط وزرًا واحدًا أو أكثر ، مع وجود الإلكترونيات لهذه المعلومات الموجودة في القلم. على

الأجهزة اللوحية القديمة ، أدى تغيير الضغط على قلم الرسم أو الضغط على زر إلى تغيير خصائص دائرة *LC*، مما يؤثر على الإشارة التي يولدها القلم ، والتي غالبًا ما ترمز الإشارات الحديثة إلى الإشارة كتدفق بيانات رقمي. باستخدام الإشارات الكهرومغناطيسية ، يكون الجهاز اللوحي قادرًا على استشعار وضع القلم دون أن يضطر القلم إلى لمس السطح ، ويعني تشغيل القلم باستخدام هذه الإشارة أن الأجهزة المستخدمة مع الجهاز اللوحي لا تحتاج أبدًا إلى بطاريات *Activslate 50* ، النموذج المستخدم مع ألواح بروميثيان البيضاء ، يستخدم أيضًا مزيجًا من هذه التقنية.

• أجهزة لوحية نشطة *Active tablets* :

تختلف الأجهزة اللوحية النشطة في أن القلم المستخدم يحتوي على إلكترونيات ذاتية التشغيل تولد إشارة إلى الجهاز اللوحي وتنقلها. تعتمد هذه الأقلام على بطارية داخلية بدلاً من الجهاز اللوحي لتزويدها بالطاقة ، مما ينتج عنه قلم أكبر حجمًا. يعني إلغاء الحاجة إلى تشغيل القلم أن هذه الأجهزة اللوحية قد تستمع إلى إشارات القلم باستمرار ، حيث لا يتعين عليها التبديل بين أوضاع الإرسال والاستقبال ، مما قد يؤدي إلى تقليل التشويش.

• أجهزة لوحية بصرية *Optical tablets* :

تعمل الأقراص الضوئية بواسطة كاميرا رقمية صغيرة جدًا في القلم ثم تقوم بعمل مطابقة الأنماط على صورة الورقة. المثال الأكثر نجاحًا ، وهو التكنولوجيا التي طورتها *Anoto* فيما بعد .

• أجهزة لوحية صوتية *Acoustic tablets* :

وُصفت النماذج المبكرة منها : بأنها أقراص شرارة - تم تركيب مولد صوت صغير في القلم ، وتم التقاط الإشارة الصوتية بواسطة ميكروفونين تم وضعهما بالقرب من سطح الكتابة. بعض التصميمات الحديثة قادرة على قراءة المواقع في ثلاثة أبعاد .

• أجهزة لوحية سعوية (ذات سعة عالية) *Capacitive tablets* :

كما تم تصميم هذه الأجهزة اللوحية لاستخدام إشارة كهرباء أو سعوية. تصميمات سكريبتيل هي أحد الأمثلة على جهاز لوحي عالي الأداء يكشف إشارة كهرباء. على عكس نوع التصميم السعوي المستخدم لشاشات اللمس ، فإن تصميم *Scriptel* قادر على اكتشاف موضع القلم أثناء قرينه أو تحوم فوقه فوق الجهاز اللوحي. تستخدم العديد من الأجهزة اللوحية متعددة اللمس الاستشعار بالسعة.

لجميع هذه التقنيات ، يمكن للكمبيوتر اللوحي استخدام الإشارة المستقبلية أيضًا لتحديد مسافة القلم من سطح الجهاز اللوحي ، وإمالة القلم (الزاوية من العمودي) والمعلومات الأخرى بالإضافة إلى المواضع الأفقية والرأسية ، مثل النقر على أزرار القلم أو دوران القلم ... بالمقارنة مع الشاشات اللمسية ، يقدم الكمبيوتر اللوحي بشكل عام دقة أعلى بكثير ، والقدرة على تتبع شيء لا يلمس الجهاز اللوحي ، ويمكنه جمع المزيد من المعلومات حول القلم ، ولكنه عادة ما يكون أكثر تكلفة ، ويمكن استخدامه فقط مع الجهاز الخاص قلم أو ملحقات أخرى.

بعض الأجهزة اللوحية ، وخاصة الأجهزة الرخيصة الثمن التي تستهدف الأطفال الصغار ، تأتي مزودة بقلم سلكي يستخدم تقنية مماثلة لأقراص *RAND* القديمة.

مكونات الأجهزة اللوحية من ناحية الأدوات والمعدات :

1 -مسطح الرسم الرئيسي (الشاشة) (Main Drawing Surface – Screen) :

ويتكون الجهاز في العادة ، من سطح مستوٍ يمكن للمستخدم من خلاله "رسم" صورة أو تتبعها باستخدام القلم المرفق ، وهو جهاز رسم يشبه القلم . يتم عرض الصورة على شاشة الكمبيوتر ، على الرغم من أن بعض الأجهزة اللوحية الرسومية تتضمن الآن شاشة *LCD* للحصول على تجربة أكثر واقعية أو طبيعية وقابلية للاستخدام. وتم تصميم بعض الأجهزة اللوحية كبديل لماوس الكمبيوتر باعتباره جهاز التوجيه والملاحة الأساسي لأجهزة الكمبيوتر المكتبية. تحتوي ألواح الرسومات على سطح رسم بلاستيكي صلب وحساس للمس ينقل حركات القلم أو الماوس إلى الشاشة. يرتبط موضع القلم أو الماوس مباشرة بموضع المؤشر على الشاشة. يستغرق الأمر بعض الوقت لتعتاد على الرسم على سطح الكمبيوتر اللوحي ، ولكن بمجرد أن تتخطى منحنى التعلم ، يكون الأمر طبيعيًا مثل استخدام قلم أو قلم رصاص على الورق. وهناك العديد من أشكال وطرز هذا النوع من الأجهزة ، تختلف فيما بينها في الامكانيات والمهام ، حسب الإصدار ، وحسب الجودة ، وحسب الحداثة وحسب مستوى الشركات المنتجة لها كذلك ، ومدى احترافيتها وأقدميتها في إنتاج هذا النوع من الأجهزة .. أنظر شكلي رقم 24 ، فيما يلي



(شكل 24)

الصورة الأولى : (وايكوم بامبو - Wacom Bamboo Capture Tablet) ، ذو القلم الضوئي المغناطيسي ، والذي يشبه القلم الحقيقي المعروف
الصورة الثانية : (جهاز وايكوم أنتيوس 5 متوسط الحجم - Touch Medium 5Intuos ، واحداً من إصدارات سلسلة أنتيوس لأجهزة الرسم اللوحي الاحترافية ... وتستخدم بشكل أساسي من قبل الفنانين ومصممي الجرافيك وغيرهم من المحترفين المبدعين.... ويأتي عادةً بأربعة أحجام: Touch Small 5Intuos و Touch Medium 5Intuos و Touch Large 5Intuos و Extra Large 4Intuos.

2 - قلم الرسم الضوئي الرقمي (Digitizer Graphic Tablet) :

القلم الضوئي أحد وحدات الإدخال لنظام الحاسوب ، وتعدّ وحدات الإدخال عموداً من أعمدة نظام الحاسوب الكامل ، ويقصد بوحدات الإدخال الأجزاء التي تستخدم لإدخال البيانات والأوامر (مثل لوحة المفاتيح، لوحات اللمس، الكاميرا ، فأرة التحكم (الماوس) ، وأقلام الرسم والكتابة الضوئية والتي نحن بصدد الحديث عنها الان ...). وهو عبارة قلم يشبه القلم العادي متصل بالحاسوب، ويعمل عمل الفأرة ويقوم مقامها لكنه أسهل في التحكم والتحكم بمرونة عالية، ويعتبر خياراً مثالياً للمصممين ولمن يود الرسم على جهاز الحاسوب.

كيف يعمل القلم الضوئي ؟ :

هو عبارة عن قلم ، يشبه في شكله القلم المألوف لدى الجميع والذي نستخدمه في الكتابة التقليدية ، ولكنه يتصل بجهاز الكمبيوتر عن طريق وصلة يو إس بي ، أو قد يكون بلا أي اتصال سلكي (Wireless) والقلم يتم تحريكه على هذا لوح الرسم سابق الذكر - ويستشعر الكمبيوتر حركة القلم بدقة وحساسية كبيرة .. أنظر (شكل 25) .

ومن مميزات قاعدة القلم الضوئي انها مغطاه بطبقة شفافة تستطيع وضع اي صورة أو رزمة تحتها وتستطيع أن تنسخ هذه الرزمة وتنقلها لشاشة الكمبيوتر عن طريق تمرير القلم عليها ورسمها .



(شكل 25)

صورتين توضحان اثنين من أنماط القلم الضوئي أو القلم الالكتروني , أحدهما قلم متصل مع جهاز الحاسوب عن طريق سلك - **Wire ben** , والصورة الثانية إلى اليسار تعرض مجموعة من الأقلام الالكترونية أو الضوئية بلا سلك وتتصل تلقائياً عن طريق شبكة التعريف الالكترونية **Wireless ben**

أنواع القلم الضوئي :

شركة واكم *wacom* تعتبر أكبر شركة وأشهر شركة في إنتاج الأقلام الضوئية.. وتقوم هذه الشركة بإنتاج ثلاثة أنواع من القلم الضوئي وهي :

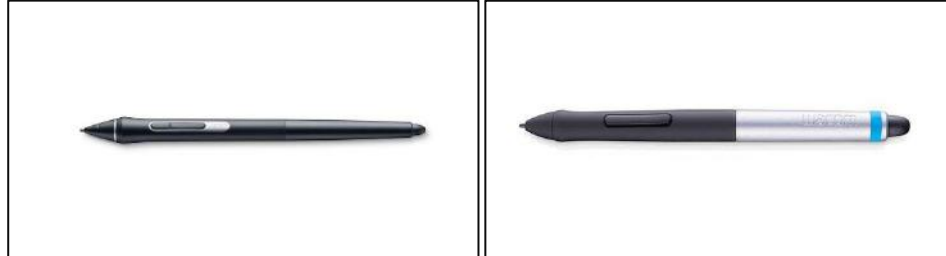
- **Graphire** - جرافير يعتبر هذا النوع للمبتدئين في الرسم , ويحتوي على قلم ضوئي وماوس وقاعدة، حساسية الضغط تصل إلى 512 ويوجد على 3 احجام . (شكل 26)
- **Intuos** - إنتووس ... يعتبر هذا النوع للمحترفين , ويحتوي على قلم ضوئي وماوس وقاعدة بحجم الكمبيوتر تحتوي على عدة ازرار تتحكم بتكبير وتصغير الصور وإضافة بعض الاوامر التي يريدها الفنان المستخدم ، تتميز بحساسية تصل إلى 1024 استجابة للضغط . (شكل 27)
- **HUION** - هويون ... يتيح للفنان سهولة الاستخدام , والقلم الرقمي الخاص القابل لإعادة الشحن للرسم والكتابة بشكل طبيعي ومريح كما تفعل على الورق الحقيقي. يمكن برمجة أزرارها لوظائف محددة مثل النقر بزر الماوس الأيمن أو النقر بزر الماوس الأيسر تمامًا مثل الماوس اللاسلكي ، ويمكنك أيضًا تمرير المستندات وصفحات الويب بالضغط على الزر الأوسط للقلم الرقمي فوق منطقة عمل الجهاز اللوحي ، لذلك يناسب كل من مستخدمي اليد اليمنى واليسرى . كما انه مزود بمحفظة تحتوي سنون قلم اضافية (شكل 28)

- **CINTIQ** - سنتيك ... أكثر ما يميز هذا النوع بأنه لا توجد قاعدة مرفقة للرسم عليها بل أنك ترسم مباشرة على شاشة كمبيوتر مخصصة للرسم كما في الصور (شكل 29) .. أبعاد الشاشة 1600*1200 و 20 بوصة ويتميز بحساسية ضغط القلم تصل إلى 1024 ومن المميزات أيضا إمكانية تبديل رأس القلم لرأس أعرض أو أنحف وكذلك يتميز بالقبضة المريحة للقلم .



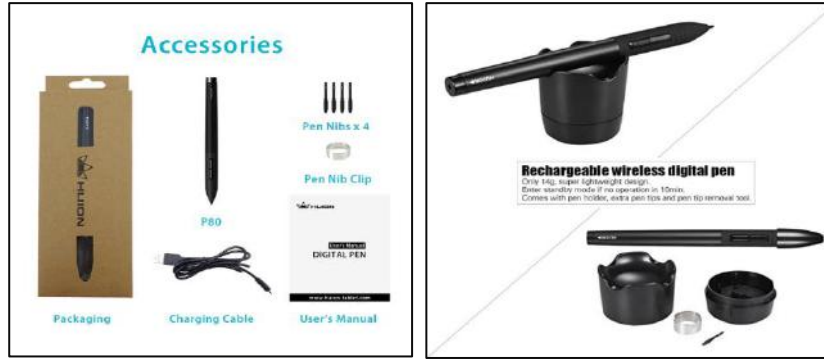
(شكل 26)

صورتين توضحان نموذج قلم جهاز الرسم اللوحي : (**Graphire** - جرافير) , والذي يعتبر للمبتدئين في الرسم , ويحتوي على قلم ضوئي وماوس وقاعدة، حساسية الضغط تصل إلى 512 ويوجد على 3 أحجام



(شكل 27)

صورتين توضحان نموذج قلم جهاز الرسم اللوحي : (**Intuos** - إنتووس) , والذي يعتبر للمحترفين في الرسم والتصوير الرقمي والتصميم , ويحتوي على قلم ضوئي وماوس وقاعدة بحجم الكيبورد , تحتوي على عدة أزرار تتحكم بتكبير وتصغير الصور وإضافة بعض الاوامر التي تريدها



(شكل 28)

صورتين توضحان نموذج قلم جهاز الرسم اللوحي (HUION – هويون) ، والذي يمكن برمجته لتزويد أزراره بمجموعة من الوظائف المحددة ، ليكون أقرب إلى أوامر ماوس التحكم .. مثل النقر بزر الماوس الأيمن أو النقر بزر الماوس الأيسر تمامًا مثل الماوس اللاسلكي .



(شكل 29)

صورتان توضحان نموذج قلم جهاز الرسم اللوحي (CINTIQ – سنتيك) العملاق الاحترافي ، والذي تم إعداده للرسم مباشرة على شاشة كمبيوتر مخصصة للرسم (كما موضح في الصورة إلى اليسار) ويعتبر بحق : جهاز للمحترفين والمختصين في عالم الرسم والتصوير والتصميم الرقمي ، ومن المميزات أيضا الخاصة بهذا القلم : هو إمكانية تبديل رأس القلم لرأس أعرض أو أنحف وكذلك يتميز بالقبضة المريحة للقلم.

3 جهاز شاشة الرسم اللوحية المتطورة – الوايكوم الذكي (Wacom Smart Screen Board) :

وهي أكثر أنظمة وأدوات الرسم الرقمي احترافية وتكاملاً على الإطلاق ،، ويندرج تحت بندها مجموعة من الإصدارات التي تخص هذه التقنية فائقة الجودة ، وعالية التطور ،، ومن أهم الإصدارات التي أصدرتها الشركات المهتمة بهذه التقنيات ... :

-شاشة الرسم الاحترافية : (يوجي) ... *UGEE UG-2150 21.5" IPS Screen P50S Pen Smart Drawing Tablet 5080LPI Resolution Graphic Drawing Tablet 1080P HD Display Monitor* ... كجهاز لوحي احترافي للرسم ، ستتجاوز شاشة القلم التفاعلية *UGEE UG - 2150* توقعاً الفنان المستخدم . باستخدام شاشة *IPS* مقاس *21.5* بوصة ، يمكن أن يمنح الفنان زاوية عرض أوسع. حساسية الضغط العالي بمستوى *2048* تجعل الفنان يرسم بخط أكثر سلاسة. سهل التشغيل ، سواء كنت مبتدئاً أو مخضرمًا ، يتيح لك *UG - 2150* إظهار الأداء الأفضل في الرسم. كما أن الشاشة ، لديها ميزة الحفاظ على الطاقة وتصميم يراعي كافة متطلبات المستخدم ... (شكل 30) أدناه .



(شكل 30)

مجموعة من الصور توضح نموذج شاشة جهاز الرسم اللوحي : (*UGEE UG - يوجي*) الاحترافي ، والذي تم إعداده للرسم مباشرة على شاشة كمبيوتر مخصصة للرسم (كما موضح في كافة الصور) ويعتبر بحق : جهاز يفضلته نخبة من المحترفين والمخضرمين في عالم الرسم والتصوير والتصميم الرقمي .

- *UGEE UG-2150 21.5" IPS Screen P50S Pen Smart Drawing Tablet 5080LPI Resolution*



Graphic Drawing Tablet 1080P HD Display Monitor

-شاشة الرسم الاحترافية الضخمة المساحة من : (دل - Dell) Dell 27-inch screen ... Canvas .. شاشة Dell مقاس 27 بوصة يمكنك الاعتماد عليها مثل إصدار أريخص من Windows , وهو المنافس الرسمي فقط لجهاز : Cintiq 27QHD من Wacom .. في المميزات والخصائص ومساحة العمل , (شكل 31) أدناه .



(شكل 31)

صورتان توضحان نموذج شاشة الرسم الاحترافية الضخمة المساحة من : (دل - Dell) العملاق الاحترافي , وهو المنافس الرسمي فقط لجهاز : Cintiq 27QHD - من Wacom . في المميزات والخصائص ومساحة العمل

-الإنتاج الرائع من Wacom: شاشة الرسم سنتيك العملاقة شديدة الإحترافية (Cintiq 27HD

touch الشاشة متعددة اللمس ، بالإضافة إلى Cintiq 22HD مقاس 24 بوصة) ..

- جهاز ذو إمكانيات فائقة عالية الكفاءة بشكل مذهل , يوفر Cintiq 27QHD ألواناً واقعية على شاشة عالية الدقة تمنحك الوضوح وحساسية الألوان في المجالات الإبداعية مثل تحرير الصور والرسوم المتحركة ثنائية الأبعاد / ثلاثية الأبعاد وتطوير الألعاب والطباعة ومراجعة ما قبل الطباعة والتصميم الجرافيكي. تمنحك شاشة عريضة 16:9 مع أربعة أضعاف كثافة البكسل للتلفزيون عالي الدقة القياسي الدقة (1440 x 2560) للتعامل مع أدق التفاصيل .

- توفر مجموعة أزرار المهام الجانبية على جانبي شاشة جهاز السينيتيك الإحترافي , , سهولة ومرونة في تطبيق المهام التطبيقية المختلفة أثناء أداء العمل الفني , من تكبير وتصغير وتدوير لبقعة العمل , بمنتهى الدقة

والاحترافية ، وهو الشيء الذي يتميز به جهاز الرسم الاحترافي (سينتيك Cintiq) عن غيره من أجهزة الرسم الأخرى

● الجهاز مزود بريموت إنسيابي الشكل، يشجع جهاز RemoteKey® الجديد على سير عمل أسرع وأكثر مرونة من خلال حلقة اللمس التي تساعدك على التمرير والتكبير و التصغير والتدوير بسهولة ،، ويوضع الريموت الصغير على الشاشة ، بجانب لوحة المفاتيح أو في يد الفنان أو المصمم ، ليقض وقتاً أقل في البحث عما يحتاجه ...

● إضافة إلى ذلك ، يوفر حامل Cintiq Ergo الاختياري إمكانيات متعددة مصممة لتمنح الفنان والمصمم الشعور الطبيعي بالعمل على منضدة أو طاولة ثابتة متينة ، مما يوفر مجموعة من الخيارات المريحة. للجلوس أو الوقوف أثناء العمل . ما يقرب من كل موقف وزاوية ممكنة. أنظر الصور التوضيحية في (شكل 32) أدناه





(شكل 32)

مجموعة من الصور توضح إمكانيات ومميزات شاشة الرسم ستيك العملاقة شديدة الإحترافية (Cintiq 27HD touch)

4 - الألواح المزودة بأوراق الرسم ذات المجسات الحساسة (Writable Paper-Digital Slates)

في مناقشة حديثة مع زميل ، ظهر مفهوم الألواح القابلة للكتابة مع تراكب ورقي . أنا بصراحة لست متأكدًا تمامًا مما يُشار إليه عمومًا بهذه الأدوات في السوق . ولكن بشكل عام فماهية مفهومها عبارة عن جهاز رقمي يسمح بتجربة الكتابة الورقية ، أثناء عملية نقل وتخزين النتائج في تنسيق رقمي ... فيما يلي بعض أمثلة الإصدارات على ذلك :

1- لوح الرسم (بامبو) من وايكوم *The Bamboo Slate from Wacom* : وكما نلاحظ في الشكل التوضيحي (رقم 33) أدناه الصورة إلى اليمين - يجمع هذا الجهاز حقًا بين الورق والقلم مع إمكانية النقل والتخزين الرقمي. والذي يمكن المستخدم من الكتابة على أي ورقة ، ويمكن تخزين النتائج رقميًا. " وهو يستخدم تطبيق : (*Wacom InkSpace*) والذي يتيح تنظيم وتعديل ومشاركة الملاحظات والرسومات على الأجهزة التي تعمل بنظام *iOS* أو *Android Bluetooth®* ... و تصنع شركة *Wacom* مجموعة من المنتجات مثل هذه ، بعضها يسمح باستخدام الورق على السطح والبعض الآخر للكتابة / الرسم المباشر على سطح الجهاز الرقمي (1) .

2 - لوح الرسم المزود بورق من (إسكن) *The Slate from iskn* : وهو الجهاز الثاني ، و الآخر الذي يسمح بالكتابة والرسم على الورق في نفس الوقت الى جانب النقل والتخزين الرقمي للبيانات المرسومة او المكتوبة ، أنظر الصورة الى اليسار (شكل 33) أسفل .



(شكل 33)

مجموعة من الصور توضح إمكانيات ومميزات شاشة الرسم سنتيك العملاقة شديدة الإحترافية
Cintiq 27HD touch

(1)- Kelly Walsh : (Exploring Writable Paper-Digital Slates)- April 24, 2018 ..
web Publishing online at : <https://www.emergingedtech.com>

الشق الثاني :
**ويتمثل في البرمجيات والتطبيقات الرقمية الرئيسية المصممة خصيصاً لتنفيذ
هذه التقنية**

Software's & Applications

في هذا الجزء ستم مناقشة وطرح بعضاً من البرمجيات والتطبيقات الاحترافية والمتخصصة في مجال
فنون الرسم والتصوير الرقمي ، والأمثلة عليها كثيرة ومتعددة ، ولكن بالطبع هنا سيتم التطرق إلى أشهرها
وأكثرها انتشاراً وشهرة ... ومن أهمها :

Corel Painter	- كوريل باينتر
Corel Draw	- كوريل درو
Affinity Designer	- أفينيدي ديزاينر
Clip Studio Paint	- كليب استوديو باينت
Procreate	- بروكريت
Graphiter	- جرافيتير
Rebelle	- ريبيل

- أوتوديسك اسكتش بوك Autodesk Sketchbook



كوريل باينتر : *Corel Painter*

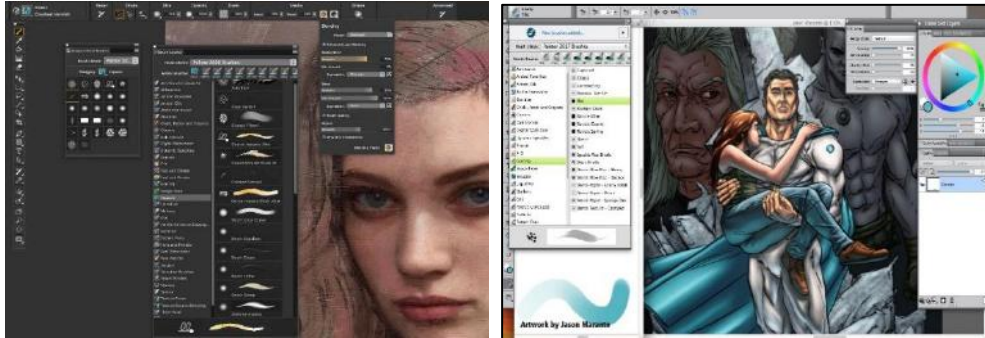
كوريل بانتر برنامج رسم صنع ليحاكي بأكبر قدر ممكن من الدقة متطلبات وسائل الاعلام التقليدية المرتبطة بالرسم، الصور الزيتية، والرسم المطبعي. لتستخدم بواقعية وإبداع احترافيين من طرف الفنان التشكيلي بوصفه أداة فنية إبداعية .

- مطور البرامج : شركة كوريل
- أنظمة التشغيل : مايكروسوفت ويندوز ,ماك أو إس
- المؤلف الأصلي : *Hedges Tom ;Zimmer Mark*

برنامج الرسم بالفرشاة *Corel Painter* وانتاج اللوحات التصويرية على جهاز الحاسب الالى البرنامج المتميز المستخدم من جانب عدد كبير من المستخدمين الذين يحبون فن الرسم ويقضون فيه أوقات طويلة جدا حيث أن هذا البرنامج من أكثر البرامج الاحترافية التي تتميز بالعديد من الإمكانيات التي تساعد في تنفيذ الرسومات بالشكل الجمالي المطلوب وذلك لان هذا البرنامج يجعلك تشعر كأنك أمام لوحة حقيقة وأمامك مجموعة من الألوان والأقلام التي تستخدمها للرسم كما أن برنامج *Corel Painter* يمتلك مجموعة من الأدوات التي يمكن استخدامها للحصول على اللوحة الفنية المطلوبة كما أن هذا البرنامج يساعدك في تحويل صورك إلى لوحات فنية متميزة كما أن برنامج *Corel Painter* يمتلك مجموعة من القوالب الفنية التي يمكن الاختيار فيما بينها للحصول على الشكل الذي يحتاج المستخدم إلى الوصول إليه بالإضافة إلى توفير البرنامج للأدوات اللازمة للحصول على الرسومات مثل الطباشير والفحم وفرش الزيت وغيرها من الوسائل المهمة كما أن هذا البرنامج يدعم القدرة على التعامل مع برنامج الفوتو شوب التي تمكن من تحسين جودة الصور التي يتم رسمها على جهاز الحاسب الآلي بشكل سهل (شكل 34) ،،، ولهذا فأن استخدام هذا البرنامج يتم من خلال ملايين الأشخاص في مختلف دول العالم ويشهد على ذلك عدد التحميلات الكبير لهذا البرنامج المتميز .

مميزات برنامج الرسم بالفرشاة *Corel Painter* :

برنامج الرسم بالفرشاة *Corel Painter* البرنامج الأفضل للرسم المطور من جانب شركة *Corel* والذي يبلغ حجمه 342 ميغا بايت لذلك فإنه يعد من البرامج الكبيرة الحجم نسبياً ولكن مع هذا فإن برنامج *Corel Painter* ليس من البرامج التي تستهلك موارد جهاز الحاسب الآلي كما أنه لا يسبب أي أضرار لجهاز الحاسب كما يعمل هذا البرنامج على أجهزة الحاسب الآلي واللاب توب التي تعمل بنظام التشغيل ويندوز بإصداراته المختلفة مثل *Windows 7- Windows 10* ويمكن للمستخدم أن يقوم برسم الكثير من اللوحات الفنية الرائعة مع إمكانية التخلص من جميع العيوب والمشاكل بشكل سهل.



(شكل 33)

اثنان من الصور لواجهة برنامج كوريل باينتر *Corel Painter* , والتي يستطيع استخدامه التنوع في في الآداء الفني , فإلى اليمين تعرض واجهة البرنامج مجال العمل لأداء كوميك آرت , بينما إلى اليسار فمجال العمل هنا تصوير رقمي لبورتريه يحاكي التصوير الزيتي , في اقترابه من الواقع إلى حد كبير



○ منظومة كوريل دراو العملاقة *Corel Draw* للمحترفين :

هو برنامج احتكاري لتحرير الرسومات المتجهية وضعت شركة كوريل في 1989 , , في البداية كان برنامج الرسومات الموجهة كوريل دراو , ومع مرور الوقت ظهرت برامج أخرى من كوريل , , مثل البرنامج الأنف الذكر : كوريل فوتوبانت , وكوريل ريف ليضافوا للبرنامج فأصبح منظومة متكاملة للرسم الرقمي الإبداعي . ويعتبر برنامج *Corel DRAW* واحداً من البرامج الرسومية المميزة وتتمثل أفضلية هذا البرنامج في مواكبته السريعة للتطورات المستمرة على صعيد أنظمة التشغيل *operating system* والبرنامج *(software)* والطرقيات *(hardware)* . وهو مزودا بتقنيات ومؤثرات جديدة

تزيد من قدرة هذا البرنامج الإبداعية. كما أضاف الإصدار المعرب من النسخة إمكانية التعامل مع كافة الخطوط العربية ذات النوع *TrueType*.

الاسم الأصلي هو كوريل دراو *Corel Draw*، ولكن منذ النسخة رقم 11، أصبحت المنظومة تدعى بكوريل دراو للرسم *Corel Draw for Painting*. ويبدو أن الشركة الأم قررت التوقف عن ترقيم نسخ المنظومة، بما أن النسخة الأخيرة سميت بمنظومة كوريل دراو للرسم اكس 3 بدلا من 13، (*Corel Draw for painting X*)، رغم أنه يبدو جليا أن اكس هو في الحقيقة عشرة بالأعداد الرومانية (اكس=10)، والمنظومة موجهة للمحترفين في مجال الرسم والتصوير الرقمي. أي أن هذه البرامج تعطي خيارات عديدة وبصورة عامة مبتكرة. وتأتي عامة مصحوبة بالعديد من الوثائق الضخمة مزدانة بالنماذج وكليب آرت. في المقابل، أسعار التراخيص مرتفعة جدا مما يجعلها غير متيسرة للأفراد من الهواة (1)، (2)، (3).

ويمكن إحصاء وتعداد برامج منظومة كوريل العملاقة، لمختري الرسم والتصوير الرقمي الابداعي على النحو التالي :

- كوريل دراو - برنامج للرسومات الموجهة.
- كوريل باينت شوب برو *Paint Shop Pro* من أشهر البرامج المعالجة لصور وكان مستقلا قبل شراء شركة كوريل له
- كوريل فوتوبانت - برنامج يستخدم *DAO* بالبيتماب وتنسيق الصور.
- كوريل دريم - الثلاثي الأبعاد - برنامج للنحت الرقمي.
- كوريل رايف - البرامج لتحريك الرسومات الموجهة ويسمح بإنشاء رسوم متحركة لماكروميديا فلاش.
- كوريل بوور تراس - برنامج لتنسيق الموجه للصور.
- كوريل تراس - برنامج مصغر من السالف الذكر كوريل بوور.
- كوريل كابتور - برنامج لالتقاط الشاشة.
- كوريل تاكستير - برنامج إنشاء مساعد للمظهر السطحي قابل للاستعمال لتستخدم في كوريل دراو أو فوتوبانت

- 1 - "CorelDraw .CDR file format and Microsoft Office 2003 SP3" مؤرشف من الأصل في 02 مايو 2014. اطلع عليه بتاريخ 01 ديسمبر 2010.
- 2 - "Corel Presentation Exchange (CMX), CorelDRAW X7 Help" مؤرشف من الأصل في 03 يناير 2018.
- 3 - Link text, additional text. نسخة محفوظة 23 سبتمبر 2017 على موقع واي باك مشين.

مميزات برنامج الرسم Corel Draw :

من أهم مميزات برنامج كوريل دراو أنه يتطور باستمرار . يستخدمه رسامون و مصممون و مطور الويب و كما أنه يستخدم كذلك في ميدان الطباعة , ومن أبرز مميزاته :

1 - واجهة غنية بأدوات رسم احترافية :

يتوفر في Corel Draw كافة الأدوات أساسية لرسم احترافي بالغ الاتقان . حيث يمكن من رسم و تعديل رسومات بجودة عالية و يحتوي هذا البرنامج على أدوات متطورة وثرية بالشكل الكافي لتصميم رسومات متقنة وغنية بالتأثيرات لجعل هذه الرسومات أكثر احترافية وجاذبية أنظر (شكل 34).

2 - ميزات متقدمة :

Corel Draw به مميزات كثيرة و قوية . حيث أنه يعمل بملفات فيكتور التي تعتبر مثالية لتصميم ، و يمكن تغيير حجمها بشكل متكرر (لهذا كل شعارات و اللافتات مصممة بالفكتور) .

3- ثراء في المعالجات البصرية المختلفة :

إضافة المؤثرات والتفاصيل بكافة أنماطها متيسراً في هذا البرنامج الاحترافي من خلال منظومته العملاقة متنوعة المهام , والملحقة في الاصدار الرئيسي لكوريل دراو , والتي سبق ذكرها بالتعداد أنفاً , حيث تمكن المستخدم من إثراء تصميمه بكافة التأثيرات البصرية الاحترافية , لجعلها تحاكي الواقع إلى حد كبير , أنظر (شكل 35)

4 - الحجم :

حجم Corel Draw يعد صغير مقارنة بمنافسيه ، حيث أن حجمه لا يتعدى 600 MB.

5 - متطلبات تشغيل Corel Draw X7 :

- معالج Intel Core 2 Duo 4 أو معالج AMD Athlon 6
- Service Pack 1 مع Windows 7، أو Windows 8.1، Windows 8
- GB2 ذاكرة RAM
- GB1 من المساحة المتوفرة على القرص الصلب .و تصل إلى GB6 اللازمة لتنصيب محتوى إضافي
- الاتصال بشبكة الانترنت و التسجيل لتفعيل البرامج والتحقق من العضوية عند تنبيت . وللوصول إلى بعض الميزات .

6 - إمكانية النقل :

Corel Draw برنامج لا يمكنك تشغيله من USB و لا يمكن التنبيت على أجهزة تخزين محمولة قابلة للإزالة .

7 - صيغة رسمية خاصة و إمكانية فتح ملفات Ai و : Eps

صيغة رسمية ل Corel Draw هي CDR ، و يدعم كثير من إمتدادات و من أهمها AI ، Eps ، PSD، PDF، JPG، PNG، SVG، DWG، DXF، EPS، TIFF، DOCX و التعديليها بسهولة . كما يمكنك تصدير الأعمال على برنامج كورل دراو إلى عدة برامج أخرى من أهمها الاليستراتور و الفوتوشوب

8- اللغات المتعددة :

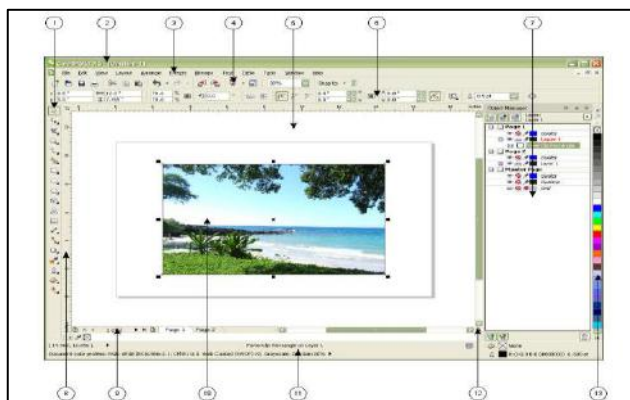
برنامج Corel Draw يدعم 17 لغة ، من أهمها العربية (نسخة الشرق الأوسط)، و اللغات الآسيوية و الانكليزية و الفرنسية

9 - الثمن :

برنامج Corel Draw غير مجاني و هذا راجع الى خيارات الكثير و القوية ، فتمنه حوالي \$129.99 بنسبة لنسخة المنزلية أما النسخة الكامل فتمنها \$499.00

(شكل 34)

مجموعة أزرار وقوائم مهام واجهة كوريل دراو Corel Draw، والذي يتميز -
بواجهة غنية بأدوات رسم وموضوعات
شديدة الاحترافية، تمكن المستخدم
من الإبداع بمهارة وإتقان، ومهام الأزرار
موضحة في الملحق الوصفي المدرج
أسفل صورة الواجهة العامة.

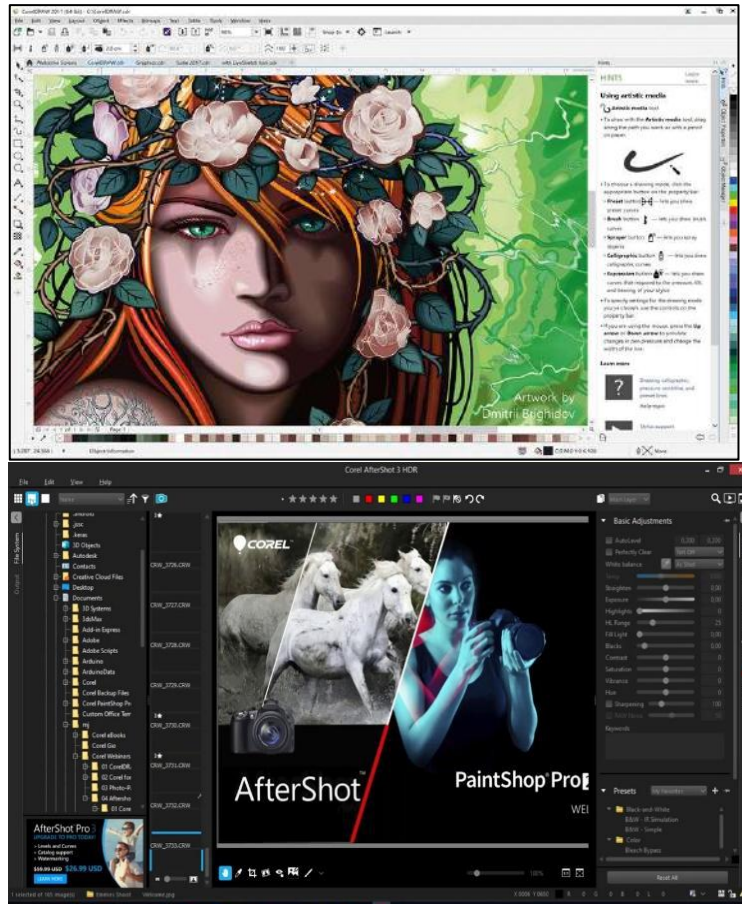


Definitions

- 1) Tool Box - A dockable bar with tools for modifying objects
- 2) Title Bar - The area indicating the title of the currently open drawing
- 3) Menu Bar - The area containing menu commands
- 4) Standard Tool Bar - The dockable bar that contains shortcuts to Windows commands
- 5) Drawing Window - The area outside the drawing page
- 6) Property Bar - The dockable bar that contains commands that relate to the currently selected tool or object
- 7) Docker - A dockable window that contains available commands for the current object
- 8) Ruler - The border that is used to determine size and position of objects in a drawing
- 9) Document Navigator - The area that contains controls for moving between pages and editing pages
- 10) Drawing Page - The printable area in which you create a drawing
- 11) Status Bar - The area that contains tips, as well as information about the currently selected object
- 12) Navigator Button - A button that opens a smaller display to help you locate an object or area of your drawing
- 13) Color Palette - A dockable bar that contains the current color swatches

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02. بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128



(شكل 35)

إثنان من واجهات برامج منظومة كوريل دراو العملاقة متعددة المهام ،،، فالصورة إلى اليمين لتطبيق : **Corel Graphic Suite** والذي يختص بتفاصيل الرسم الرقمي الاحترافي ... أما إلى اليسار فالواجهة لتطبيق : **Corel After Shot** والذي يختص بمعالجة الصور الفوتوغرافية وإضافة الـ retouch الفنية إليها بطريقة إبداعية



تطبيق برنامج *Affinity Designer* المتخصص في تعديل الصور ورسم الصور على الكمبيوتر ، وهو برنامج سريع وبسيط وسهل الاستخدام وهو تقريباً أفضل برنامج لرسم الصور فيكتور *Vector* موجود في الأسواق حتى هذه اللحظة فحتماً سيحتاجه الفنان اذا كان يقوم بإنشاء براند خاص به حيث يساعد هذا البرنامج كثيراً على تصميم الشعارات بأفضل صورة ممكنة وايضاً يُستخدم البرنامج في رسم الصور المختلفة على الكمبيوتر وإخراجها بأدق التفاصيل وفي المشاريع المطبوعة كما ويُستخدم ايضاً في تصميم الايقونات المختلفة وايضاً له عدة استخدامات مع ملفات : *UI, UX, or web mock ups*... ويعطي البرنامج العديد من الافكار المختلفة اثناء تصميم الصور ، وقامت الشركة المنتجة للبرنامج بتطويره على نظامي تشغيل الكمبيوتر ويندوز و الـ *Mac OS* مما يعطي فرصة اكبر في استخدام البرنامج ويزيد شعبية البرنامج بين مُصممي الصور على اجهزة الكمبيوتر.

ينعت المحترفين البرنامج بأنه : وحش تصميم صور الـ *Vector* ، فهو يحتوي على افضل وسائل وادوات تصميم صور الفيكتور بكل بساطة وسلاسة ويعطي البرنامج العديد من الامتيازات والخيارات اثناء القيام بتصميم الصور المختلفة بداية من احتوائه على ابسط اداة مُستخدمة لتصميم صور الفيكتور وهو القلم السحري الصغير نهايةً الى اكثر اداة مُتقدمة في تصميم هذا النوع من الصور وهي : *Super smooth gradient tool* .

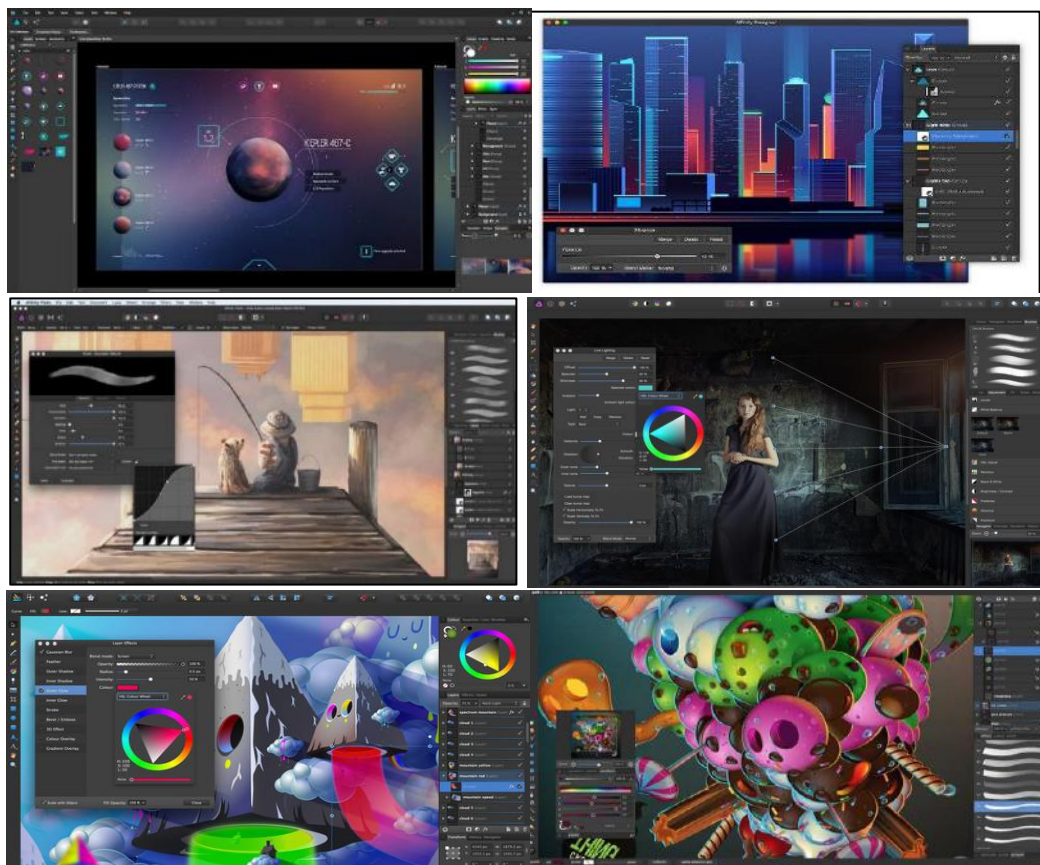
مميزات برنامج الرسم Affinity Designer :

يُعتبر برنامج *Affinity Designer* من البرامج القوية جداً في تصميم الصور والتعديل عليها ، وهو من أفضل برامج الرسم الرقمي المتاحة للمهتمين ، كما أن برنامج *Affinity Designer* هو برنامج تصميم الرسومات المتوفر الأسرع والأدق والأكثر دقة ، والذي يحتوي على العديد من الأدوات التي تُساعد المستخدم على:

- عمل تصميم احترافي من خلال جلب *Pixel Persona* وهي الاداة الإضافية لتحرير البكسل.
- إتاحة استخدام *Export Persona* اختيار المناطق التي تقوم بتصديرها للتعديل على الصور.
- مكافحة ناقلات الرسومات المتاحة في التصميم .
- المساعدة في إحداث ثورة في التصميم الحديث للصور على نظام تشغيل الـ ويندوز و الماك *OS*.

- تقدم مجموعة من الأدوات النقطية و التأثيرات الرسومية وخيارات التعديل وهذا مجرد إختيار المستخدم لبيئة العمل.
- تقدم مجموعة من الأدوات للتحكم في الشفافية ويقدم أشكال وأدوات تقطيع مختلفة وأدوات للتعبة وهذا كله من خلال الضغط على زر صندوق الأدوات مع إمكانية عرض التعليمات من خلال النافذة الرئيسية للبرنامج.
- توفر مجموعة ضخمة من أدوات التنفيذ الفنية من أقلام رصاص، وفرش رسم ومحددات خطوط , وغيرها .
- توفر مجموعة متميزة من التأثيرات لكي تظهر العمل بمظهر جميل مثل توازن الألوان والظلال والسطوع والتباين وتوازن الأبيض وغير ذلك
- التلاعب في الطبقة الأساسية للصورة من خلال ادوات التحكم وهذا يسمح لك بمحاذاة الصورة أو تدويرها أو ترتيبها.
- استخدام التنوع في الضوء من خلال البرنامج وهذا يسمح لك بإعادة لمس الصورة وإنشاء موارد رسومية خاصة بالفنان المستخدم .
- استخدام الفرشاة الطبيعية عن طريق استخدام *Force Touch* وضغط القلم والإمالة وأدوات التحكم الأخرى للعمل الفني ذي المظهر الطبيعي.
- استخدام معاينة البكسل والتصميم في وقت الفعلي بمنتهى الدقة والشفافية.
- عمل لوحات فنية قوية بشكل لا يصدق في *Affinity Designer* .
- إنشاء عدد غير محدود من المتغيرات والأحجام والشاشات المختلفة للتصميم ووضعها في مستند واحد لرؤيتها كلها مرة واحدة.
- إضافة شبكات ثنائية الأبعاد ومتعارف عليها وشكلاً متساوياً للتخطيطات المرنة والعمل على تصاميم متعددة في وقت واحد ويمكنك استخدام ميزات *Windows* مثل *Split Screen* و *Full Screen*.
- يتيح البرنامج للمستخدم دعماً كاملاً لاستخدام الأقنعة وطبقات القطع , و يوفر مصمم التقارب عناصر التحكم في الطبقة الأكثر تقدماً
- إمكانية التحكم بشكل كامل في اللوحات الفنية المراد إنتاجها وبأي إعدادات.
- ضوابط الطباعة المهنية الجديدة يتميز *Affinity Designer* بمخرجات طباعة احترافية كاملة.
- يوفر البرنامج لمستخدميه دعم *Pantone*.
- إمكانية إدارة الألوان *CMYK* و *ICC* من النهاية إلى النهاية ليست سوى جزء من ذلك.
- فتح ملفات *PDF / X* وتحرير الصورة وإخراجها، وتعيين عناصر تحكم الطباعة الفوقية، واستخدام ألوان التركيز، وإضافة منطقة التسييل، والتقليم، وعلامات الاقتصاص.
- إنشاء ملفات جديدة تلقائياً كلما تغير تصميمك، وهذا من خلال تنسيق الملف وبنية المجلد التي تريدها.
- القيام بتحرير ضربات فرشاة المتجهات بشكل نظيف وسهل مثل المنحنيات العادية.
- إضافة فرشاة ناعمة وستقوم من تلقاء نفسها بالرسم أو بفرش متجه.

- إضافة عمق وخصائص مواد عضوية عالية الجودة من الناحية البصرية .
- القيام بتدوير القماش، والقيام بمزج الألوان.
- إتاحة تحرير معلمات الفرشاة بإنشاء الفرش الخاصة بالمستخدم واستيراد أنماط فرش جديدة ومختلفة أنظر (شكل 36)



(شكل 36)

مجموعة صور توضح حقل العمل **Work field** في واجهة برنامج : أفينيدي ديزاينر **Affinity Designer** , , لأنماط أعمال فنية مختلفة التصنيف , مابين رسومات تخطيطية علمية وهندسية , ورسوم تصوير رقمي , تقترب في تقنياتها من محاكاة الواقع , ورسوم توضيحية لكتب أطفال تتميز بزهاء ألوانها وجاذبية تصميمها لتناسب طبيعة ذوق الطفل المتلقي . وبشكل عام , فإن ثراء ملابس السطوح التي زُودت بها مكتبة هذا البرنامج انعكست في الأداء الفني الواضح في هذه الرسوم الرقمية بشكل عام وملاموس

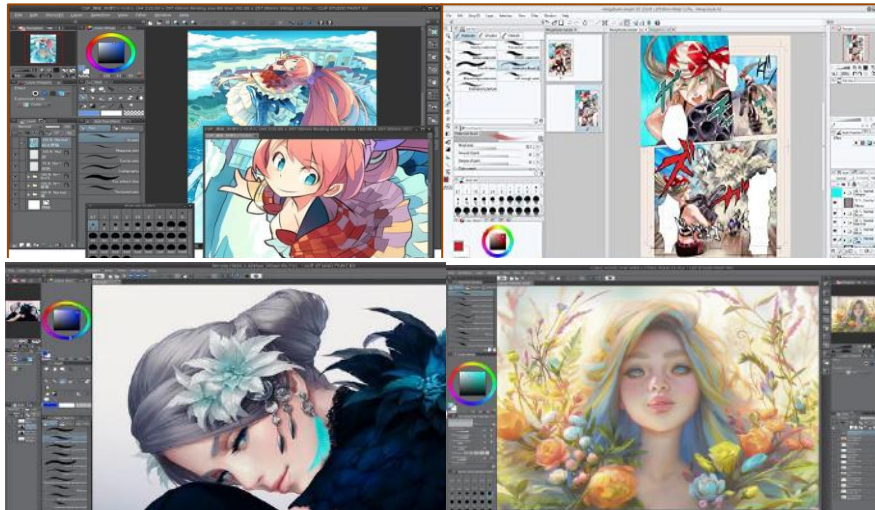


○ كليب استوديو باينت *Clip Studio Paint* :

يعتبر برنامج *Clip Studio Paint* من أفضل أدوات الرسم والتلوين للفنانين الهزليين Comic Strips Artists، حيث يستخدمه أكثر من أربعة ملايين من المبدعين في جميع أنحاء العالم. يتيح البرنامج ميزات متخصصة أفضل لإنشاء الرسوم الكاريكاتيرية والمتحركة، ولديه ميزات محسنة لتلوين الأعمال المرسومة ويمكن إنشاء رسوم كاريكاتيرية بألوان كاملة باستخدام هذا البرنامج أو نسخة التطبيق المتاحة للأجهزة المحمولة.

ويسمح لك *Clip Studio* بالوصول إلى مكتبة ضخمة تضم محتوى مجانياً قابلاً للتنزيل مثل الفرش والنغمات ونماذج ثلاثية الأبعاد والمزيد، مع إضافة محتوى جديد يومياً. كما أن البرنامج متوفر بـ 7 لغات مختلفة هي: اليابانية والكورية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والصينية.

برنامج *Clip Studio Paint* متاح لنظامي التشغيل ويندوز وماك أو إس macOS ، ويعطي فترة تجريبية مدتها 30 يوماً، وبعد انتهاء هذه المدة سيتوفر إصدارين مدفوعين الأول إصدار *PAINT PRO* بسعر 49.99 دولار، والثاني إصدار *PAINT EX* سعر 219 دولاراً حيث يتيح للفنان المستخدم جميع ميزات البرنامج.. أنظر (شكل 37) أدناه والذي يعرض مجموعة صور لحقل العمل *Work field* في واجهة برنامج : أفينتي ديزاينر لأنماط أعمال فنية مختلفة التصنيف، مابين رسومات تخطيطية علمية وهندسية ، ورسوم تصوير رقمي .

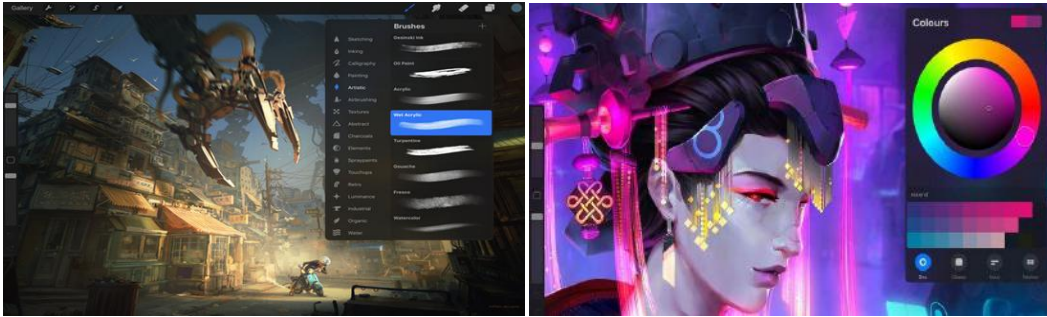




بروكريت Procreate :

هو تطبيق للرسم الرقمي يستخدم لصنع جميع أنواع الرسم وموجود فقط ب متجر ابل , أي أنه منتج حصيصاً لنظام IOS وليس لنظام الأندرويد الشائع الانتشار مع الأسف ! وتطبيق Procreate يعتبر من أشهر التطبيقات، ومُدْرَج كواحد من أفضل 10 تطبيقات في مجال الرسم، حيث يوفر أدوات متعددة للرسم تساعد على الإبداع لمستخدمي آي باد برو , والتطبيق لفن الرسم الرقمي والذي يمكن استخدامه على جهاز الآيباد. كما يُمكن دمج التطبيق على سطح المكتب واستعمال أدواته المعيارية في صناعة الأقنعة بمئات الطبقات، وأوضاع المزج المختلفة. يُمكن الاختيار بين أكثر من 130 فرشاة بروكريت، كما يتيح البرنامج صناعة فرشاة خاصة بالفنان باستخدام محرك الفرش.

ويأتي بروكريت بلمسة من الرقي والتألق، ويشتمل على أدوات عالية الجودة يمكنك من خلالها إنشاء تصميمات ورسوم توضيحية ورسومات وصور متميزة. يمكن استخدام قدر هائل من التأثيرات الممتازة التي تغير شكل الأعمال الفنية تمامًا. أنظر (شكل 38) أدناه



(شكل 38)

إثنان من واجهات برامج منظومة كوريل دراو العملاقة متعددة المهام , , , فالصورة إلى اليمين لتطبيق : Corel Graphic Suite والذي يختص بتفاصيل

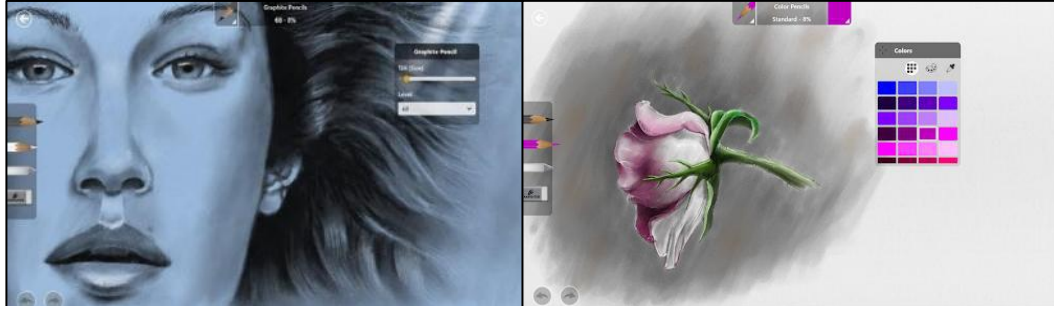


جرافيتير Graphiter :

يُعتبر من أفضل الأدوات التي تتيح إنشاء رسومات غرافيتي واقعية المظهر ورسم Sketches رائعة . كما يتيح برنامج Graphiter للفنان , تجربة رسم واقعية باستخدام أدوات بسيطة مثل أداة

المرج، والممحاة، وأقلام الغرافيت *graphite pencils*، حيث يمكنك استخدام الأدوات التقليدية لإنشاء الرسومات الرقمية. أنظر (شكل 39) أدناه

يمكن تصدير جميع الرسومات الخاصة بالمستخدم إلى ملفات بصغية *PNG* و *JPG*، وفي نفس الوقت يقوم *Graphiter* بحفظ الرسوم تلقائياً حتى يمكن الرجوع إليها لاحقاً. وبرنامج *Graphiter* متاح لنظام التشغيل ويندوز فقط حيث يوجد منه إصداران الأول لنظام ويندوز 8 والثاني لنظام ويندوز 10، ويتضمن التنزيل المجاني 14 قلماً من الغرافيت، تتراوح بين *H4* و *B8*، كما توجد عمليات شراء داخل التطبيق.



(شكل 39)

إثنان من حقول العمل المختلفة في برنامج الرسم الرقمي الاحترافي : (جرافيتير *Graphiter*) ، والتي تبين اقتراب الاداء فيه الى حد كبير لأداء الرسم اليدوي



○ ريبيل *Rebelle* :

هو برنامج رسم في خاص بأجهزة الكمبيوتر بشكل عام .. ويمنح البرنامج المستخدم إمكانية إنشاء أعمال فنية واقعية مائية أو جافة بالألوان المائية والإكريليك. يُحاكي البرنامج طريقة عمل الألوان المائية الحقيقية، حيث يُمكنك التحكم بالطلاء المائي وتحريكه في اتجاهات مختلفة، مع إمكانية تحديد حجم النقطة وكمية المياه المستخدمة، وإمالة اللون في الاتجاه المرغوب. وهو أحد أفضل برامج الرسم للكمبيوتر المعروف بأنه (برنامج تلوين فريد من نوعه)، وقام بتطويره الفنان " بيتر بلاسكوفيتش " خصيصاً

لتصميم الأعمال الفنية الإبداعية القائمة على الألوان المائية والأكريليك والألوان الرطبة والجافة، وأنشأ الفنان بيتر برنامج *Rebelle 3* كجزء من مشاريعه التجريبية للرسم وأراد برنامجاً سهل الاستخدام للوصول إلى أدوات الرسم كأنها طبيعية، ويقوم البرنامج بمزج ألوان واقعية وتُلوّن اللوحة بها وتبدو كأنها رطبة، ويوفّر مجموعة كبيرة من الألوان المائية، والأكريليك، والأحبار، والباستيل، وأقلام الرصاص، ويعمل البرنامج مع الفوتوشوب؛ لِيُتيح للمستخدم الاستفادة من 23 أداة مزج إضافية .. أنظر (شكل 40) أدناه

وبرنامج *Rebelle* متوافق مع أنظمة التشغيل *Windows 7, 8, 10* ونظام التشغيل *MacOS X 10.11*.



(شكل 40)

إثنان من الصور توضح واجهة برنامج ريبيل *Rebelle Interface*، الإحترافي، وتصميم حقل العمل فيه - *Work field Area*، ويوضح الشكل نماذجاً من بعض الأعمال الفنية المفدّة بتقنية هذا البرنامج، ويعكس مدى جمالية تنفيذها، محاكاةً بذلك طرق التنفيذ اليدوية الكلاسيكية تماماً ..

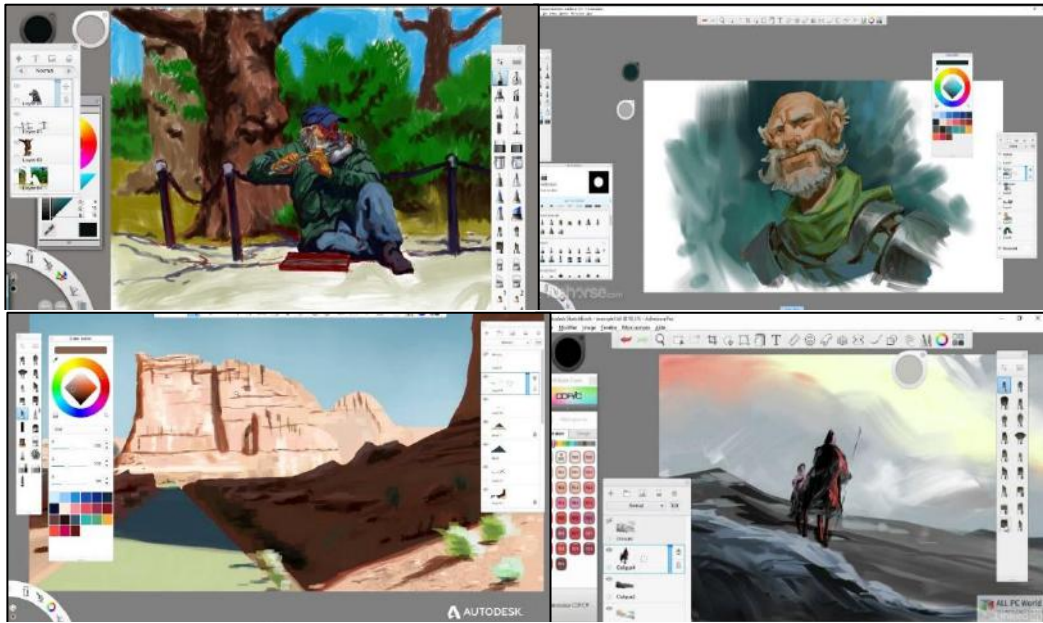


○ أوتوديسك اسكتش بوك *Autodesk Sketchbook*:

هو برنامج من إنتاج شركة أوتوديسك وهو عبارة عن كراسة للرسم والكتابة، وتطبيق رسم للفنانين والمصممين، حيث يحول جهازك الكمبيوتر إلى لوحة رسم وكتابة يدوية. يحتوي البرنامج على أدوات مختلفة للمساعدة في الرسم وجعل الكمبيوتر أقرب إلى الرسم الواقعي يقدم لك البرنامج عدة أدوات منها قلم الرصاص والقلم العادي والفرشاة على الورق. وأدوات المنحنى الفرنسي للمصممين، ويمكنه إنشاء منظور بعدة نقاط ويعتمد أيضاً على خط الأفق.

برنامج : أوتوديسك سكيتش بوك : يقدم مجموعة كبيرة من الادوات للرسم ومنها الفرششي وذلك باختيار الفرشاة المناسبة من مكتبة الفرششي والاقلام والبخاخات وغيرها الكثير من المكتبة , والبرنامج مخصص للهواة والرسامين المحترفين على حدٍ سواء للابداع في رسوماتهم .. وتم التعاون مع فريق شركة أوتوديسك مايا لعمل اطار زمني لسير عمل الرسوم المتحركة.

البرنامج به اساليب جديدة ورائعة للرسم بخلط طبقات الرسم وعمل مزيج من الطبقات وعمل طبقة مجمعة للرسوم , وطبقة مخصصة للخلفية وسهولة في الاختيار ,, ومن الشيء المميز في البرنامج هو عدة ادوات محسنة للرسم ومنها العصا السحرية والرسم ضمن التحديد , وادوات التعبئة والتدرجات أنظر (شكل 41) .



(شكل 41)

أربعة من الصور توضح واجهة برنامج : سكيتش بوك Sketchbook Interface , الإحترافي , وتصميم حقل العمل فيه - Work field Area , ويوضح الشكل نماذجاً من بعض الأعمال الفنية المفيدة بتقنية هذا البرنامج , والذي تم إصدار تطبيقات للعمل على أنظمة الألواح والهواتف الذكية أيضاً

وتعكس الصور مدى جمالية واحترافية تنفيذ تلك الأعمال الفنية , محاكاةً بذلك طرق التنفيذ اليدوية الكلاسيكية تماماً ..

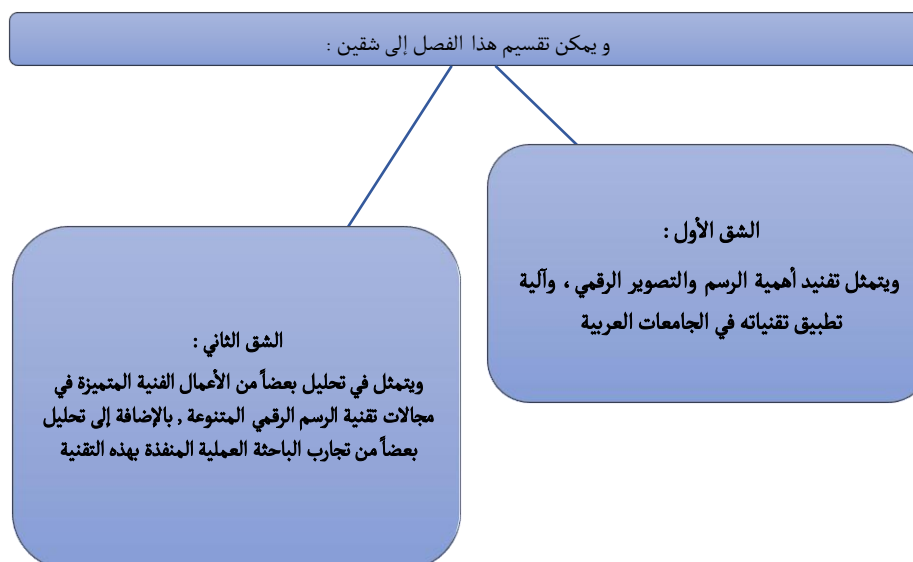
مميزات برنامج الرسم Autodesk Sketchbook :

- ومما يجعل هذا البرنامج , والذي أنتج منه تطبيقات لتدعم كلا نظامي التشغيل : أندرويد , و IOS , متميزاً بحق , احتواءه على كل من :
- أدوات للرسم المتحركة , وعمل رسوم متحركة في خط سير العمل.
 - أداة المنظور .. وهي أداة جديدة لعمل خطوط متماثلة .
 - أكثر من 100 أداة جديدة وفراشي مميزة.
 - دعم قلم الرصاص في الرسم ويعتبر هو أهم جزء في الرسم.
 - تبسيط واجهة العرض للبرنامج لجعله أسهل في البحث عن الأوامر والأدوات وتوفير الوقت والجهد.
 - تخصيص الألوان الخاصة بك وحفظ درجات اللون الخاصة بك.
 - استيراد الصور من أي طبقة من الطبقات تريدها.

(شكل 42)

صورة توضح بعضاً من وسائط الرسم في برنامج سكيتش بوك Sketchbook الرقمي , من فرشايات بأشكال مختلفة , وأقلام تحبير وأقلام رصاص وأدوات لرش الألوان .. وجميعها قابلة لتغيير إعداداتها , من اجام واشكال ودرجة إنتشار أو معدل تركيز ... الى غير ذلك من إعدادات التنفيذ الاحترافية .





الفن الرقمي: مستقبل الفنون ! :



الذكاء الاصطناعي يقتحم أيضا مجال الفن الذي من المفترض أنه خاص بالإنسان لأنه يعتمد على الأحاسيس والإبداع. أعمال فنية بمساعدة الخوارزميات. فهل يعتبر هذا فناً حقاً؟ يجيب أصحاب الاختصاص بأن الفن الرقمي بات اليوم خطوة متسارعة لأخذ موقع في عائلة الفنون الجميلة، وهو ذلك الاشتغال الجمالي بواسطة التقنية الحديثة، التي عرفت المجتمعات العربية وتوسعت في استخدامها في العقود الأخيرة، ولم يعد هذا الاستخدام استخداماً محصوراً في النواحي العملية فقط، بل تعداه إلى توسيع آفاق الإبداع واشتغاله والتعريف به، فمنذ أعوام قلائل ظهر ما سمي بالفن الرقمي كمنافس للفن التشكيلي.

فلم تؤثر التكنولوجيا على الطريقة التي نحيا بها حياتنا فقط؛ بل وغيّرت مفهومنا عن الفن مثل الرسم والنحت والموسيقى. فأصبح استخدامها بالفن من الممارسات المعترف بها في إنتاج الفنون، ليظهر بعدها مصطلح «الفنان الرقمي»

والفن الرقمي من الفنون الحديثة نسبياً؛ فقد بدأ في السبعينيات من القرن الماضي. ويطلق عليه أحياناً «الفن الحاسوبي» والذي يندرج بدوره تحت مظلة «فن الوسائط المتعددة» - بشكل عام، ويعتبر الفن الرقمي إحدى الأدوات الفنية المعاصرة في وسائل الإعلام الرقمي الجديد، وهو فن آخذ في التطور المستمر، ويستخدم التكنولوجيا الرقمية بشكل أساسي خلال العملية الإبداعية أو العرض التقديمي. سواء كان ذلك باستخدام برامج الرسم والتصميم بواسطة الحاسوب المكتبي أو اللوحي، أو كان ذلك بالفأرة أو القلم الضوئي. فليس له قواعد محددة تسيّره؛ وإنما يبتكر كل فنان طريقته الخاصة وفقاً لخيارات البرامج

التي يستخدمها، فلا يكون هناك عائق أمام الفنان سوى مدى تمتعه بالخيال الخصب من عدمه، والقدرة الإبداعية على إضافة الجديد للفن الرقمي ، وهذا النوع من الفن الحديث يعمل على تحويل الخيال إلى معرض رقمي وهو بالطبع فن يعبر عن (السهل الصعب) والذي تكمن صعوبته في كسر حواجز الهيبة من استخدام الآليات الجديدة والتقنيات المعاصرة ، أما سهولته بالنسبة للفنان المحترف فتكمن في يسر استخدام أدواته ، وتوفير قدر كبير من وسائل الإتقان التي سيبدع فيها بالتأكيد كل فنان متمرس ومخضرم! وتعتبر ممارسة الفنون الرقمية من الممارسات المستخدمة في التكنولوجيا الرقمية للعمل الإبداعي إلى أن تكتمل في العالم الحديث ، هي شكل جديد من أشكال الفن.

ومن هنا ، كان لتطبيق تقنيات فن الرسم والتصوير الرقمي ، في جامعاتنا وأكاديمياتنا ومعاهدنا لتعليم الفنون البصرية واعتمادها كوسيلة وتقنية رسمية لانتاج أنماط ومخرجات الفنون البصرية المختلفة ، ضرورة بالغة ، وذلك تطبيقاً لمواكبة تقنيات تطور الفنون العالمية في دول العالم المتقدم ، والنهضة بمستوى أبنائنا طلبة الفنون التشكيلية في مؤسسات التعليم المحلية .

ولأجل تطبيق هذه التقنية بشكل رسمي ، لابد من عمل دراسات جدوى جادة في كافة مؤسساتنا التعليمية التي تشتمل على أقسام تعليم تخصصات الفنون البصرية المختلفة ، وذلك بهدف تجهيز مراسم رقمية كاملة ومتطورة ، يتم تجهيزها بكافة اللوازم والمعدات والأجهزة ، إضافة إلى البرمجيات والتطبيقات اللازمة لتفعيل مثل هذه التقنية الفنية المتقدمة ، ليستفيد أبنائنا طلبة الفنون من تعلمها ومن ثم استخدامها فيما بعد ، فيما يتطلبه سوق العمل الوظيفي ، لاسيما وأن سوق العمل الآن ، يتطلب الإلمام بهذه التقنيات ، وتزكية متعلميها ومحترفيها من الفنانين والمصممين ، والتي بدأت في الانقراض الذين ما زالوا يعتمدون الأساليب والوسائل والتقنيات الكلاسيكية القديمة ، والتي بدأت في الانقراض حقيقةً من ناحية الاستخدام ، مقارنةً مع غيرها من الوسائل والتقنيات الرقمية المتقدمة في انتاج الفنون والمخرجات البصرية.

وقد سبق التطرق إلى الإشارة إلى مزايا الرسم الرقمي في الفصل الأول من هذه الدراسة باختصار ، والفائدة من استخدامها ، كما تم التطرق أيضاً ، إلى الفرق الشاسع بين إعداد مرسوم كلاسيكي ومرسم رقمي في حال اعتماد مثل هذه التقنية المتقدمة في تعليم الفنون البصرية ، وإضافة إلى ما سبق ذكره من مميزات الرسم الرقمي ، يمكن أيضاً إضافة :

- أن الرسم الرقمي يعتمد على استخدام الرسام للحاسوب في إنجاز اللوحات الفنية ، ولكن لا يجب التسرع هنا في الحكم على معنى هذه الجملة إذ أن استخدام الرسام للحاسوب وبرامجه في رسم لوحاته لا يعني بأي شكل من الأشكال أن الحاسوب هو من يقوم بعمل اللوحة كاملاً، فالرسام يبذل جهداً في الرسم والتلوين قد يتجاوز الجهد الذي يبذله الرسام التقليدي في بعض الأحيان. هذا الأمر هو من بين أكثر المشاكل التي تواجه الرسام الرقمي العربي، وأنا من بينهم، حيث يفترض الكثير من الناس للوهلة الأولى أن الرسام الرقمي لا يفعل شيئاً وأن الحاسوب هو من يقوم برسم اللوحة وتلوينها في دقائق معدودة دون تدخل من الرسام وهذه مشكلة كبيرة تحتاج إلى تقديم المزيد من الدعم لهذا الفن لكي يحوز على مكانته التي يستحقها في الوسط الفني.
- عدم حاجة الرسام الرقمي إلى شراء الألوان والأدوات (الريش والأقلام والوسائط والأوراق.... إلخ) والتي غالباً ما تكون مكلفة جداً خاصة إذا كانت من صنع شركات رائدة مثل وينسور ونيوتن وفابر كاسل وروترنج (*Winsor , Newton , Faber Castel , Rotring*) .
- أدوات الرسم الرقمي (جهاز الحاسوب وبرنامج الرسم والقلم الضوئي) توفر للرسام بيئة رسم نظيفة وخالية من الروائح والأوساخ مما يقلل من الوقت الذي سوف يضيعه في تنظيف الأدوات قبل وخلال وبعد الرسم.
- قد تكون بعض أدوات الرسم الرقمي مكلفة بعض الشيء خاصة تلك الأجهزة التي يطلق عليها ألواح الرسم التفاعلية أو شاشات الرسم التفاعلية (*Interactive Pen Tablets/Interactive Pen Displays*) والتي تنتجها شركة *Wacom* اليابانية، ولكن ، لنفكر في العائد الكبير الذي سوف تقدمه هذه الأدوات نظراً لأن اللوحات الرقمية لا تتطلب من الرسام انتظار الألوان لكي تحف كما يفعل الرسام التقليدي. مما يوفر الوقت خاصة إذا كانت الأعمال الفنية الرقمية مخصصة لمجال معين يتطلب السرعة مثل رسم الشخصيات في الأفلام ثلاثية الأبعاد والمؤثرات في الأفلام الحقيقية وألعاب الحاسوب. كما أن الميزات التي تقدمها هذه الأجهزة والأدوات مثل إمكانية الرسم باستخدام القلم الضوئي مباشرة على الشاشة وميزات اللمس المتعدد تجعل من اقتناء هذه الأدوات صفقة رابحة للرسام الرقمي. ورغم سعرها المرتفع نسبياً إلا أنك عزيزي الرسام سوف تلاحظ أن هذه الأجهزة تستحق ما قد تنفقه عليها من مال.

- يتيح الرسم الرقمي للرسم طباعة لوحاته على أي نوع يريد من الورق أو القماش أو المواد الأخرى وبالأحجام التي يريدتها مما يعطيه مرونة استثنائية فيما يتعلق بالإنتاج الواسع. إن مجال الرسم الرقمي منتشر بكثرة في الغرب، وهو يستخدم في العديد من المجالات كصناعة السينما والألعاب الرقمية والبرامج والمواقع الإلكترونية.
- مثال رائع على استخدام الرسم الرقمي هو توظيفه في مجال الأفلام خاصة تلك التي تتناول مواضيع الخيال العلمي والأحداث التاريخية حيث يمكن لصناع الأفلام الآن الاستعانة بالرسامين الرقميين لكي يقوموا برسم مناظر أو خلفيات للمشاهد التصويرية للفيلم نظراً لاستحالة بناء مشهد معين على أرض الواقع خاصة إن كان مشهداً في الفضاء الخارجي أو مشهداً قديماً لمدينة أو قلعة أو قصر قديم لم يعد موجوداً بعد، أو منظرًا يجسد قصص الخيال والأماكن الأسطورية وهي ميزة لا يمكن تحقيقها باستخدام الرسم التقليدي.

أولاً : خطة لتنفيذ الفن الرقمي بشكل محوري في الجامعات العربية !

وبعد ما تم ذكره وتوضيحه من أهمية الرسم والتصوير الرقمي ودوره البارز في إثراء ساحة الفنون البصرية ، بإنتاج عالي الجودة والإتقان والإبحار في آنٍ واحد ، أجد أنه من الضروري إدراجه في قوائم الخطط والمناهج الدراسية في جميع الكليات والأقسام الفنية ، كمادة دراسية تأسيسية رئيسية ، يتعلم الطالب من خلالها ، كيفية الإلمام كل من :

1. المهارة الأدائية في استخدام أدوات الرسم الرقمية المضاهية في نتائجها لأدوات الرسم اليدوية الكلاسيكية
2. الدمج بين المهارة والإتقان الأدائي في الرسم ، وبين إجادة استخدام التقنيات الرقمية المعاصرة والمواكبة لعاصفة التطور التكنولوجي التي اجتاحت كافة مجالات وميادين العالم التخصصية !
3. تعلم إخراج العمل الفني البصري في أبهى صورة وأروع إطار ، يجذب من خلاله الأنظار ويدهش المشاهدين
4. عقد دورات تدريبية لأعضاء الهيئات التدريسية من الأكاديميين القدامى والمهرة والمبدعين في مجال فن التصوير والرسم الكلاسيكي اليدوي ، هدفها تطبيق مهارتهم هذه وعكسها من خلال تقنيات الرسم الرقمي وفقاً لأدواته الحديثة ليكونوا نموذجاً فنياً رفيع المستوى يحتذى به من قبل أبنائنا طلاب الفنون التشكيلية البصرية في الأكاديميات الفنية المختلفة .
5. تجهيز مختبرات فنية رقمية على أعلى مستوى ، مزودة بكافة الأجهزة والمعدات المتطورة واللازمة لإنتاج فن رقمي رفيع المستوى على درجة عالية من الجودة والإتقان ، يضاهي في جودته الإنتاج الفني العالمي .
6. تسليط الضوء في دراسة التاريخ الفني في أكاديمياتنا الفنية ، على تاريخ ظهور وتطور الفنون الرقمية المعاصرة ، وإفراد مساحة لأبأس بما في التطرق إلى أهميته وتقنياته ومميزاته ، لتعليم الطلاب تقنياته عن حبٍ واقتناع وانبهار ، وليس كدراسة فقط وتحصيل حاصل ، ليكون عطاءهم فيه على مستوى عالٍ ومتميز من الإجادة والإتقان .
7. عقد مسابقات تنافسية فنية على المستوى الطلابي في مجال إبداع الرسم والتصوير الرقمي ، هدفها تنمية روح التباري في هذا المضمار وإظهار أفضل المستويات والأماكن الفنية والإبداعية .

وفي هذا الجزء من البحث المقدم ، سيتم تعزيز موضوع هذه الدراسة ، بنماذج بصرية فنية وافية من أعمال الباحثين في مجال هذه الدراسة ، وسيتم تحليلها تحليلاً فنياً وأدائياً دقيقاً ، نرجو من خلالها أن تقدم برهاناً كافياً لأهمية موضوع الدراسة ومحورها الرئيسي . وهنا وفي هذا الجزء تحديداً أيضاً ، سيتضح الهدف الرئيسي من تنفيذ هذا البحث خاصة بعد تحليل التجارب العملية والتطبيقية والمقدمة في مضماره ، وهو : (الإثبات والبرهنة على أهمية توفير أجهزة ومعدات تنفيذ تقنيات الرسم الرقمي في الجامعات الفنية التطبيقية ، وتعليمه للطلاب ، لتحقيق اعلا النتائج وأفضلها في مجال تعليم الطلاب العديد من المناهج الفنية، بطرقاً أكثر فاعلية وتطوراً ودقة وأجراً وسهولة وإتاحة ومواكبة على مستوى العالم)، ومن المناهج التي يمكن تعليمها للطلاب وفق هذه التقنية المتقدمة، كلاً من :

1- تعليم التشريح الفني للفنانين والمصممين في كافة اقسام التصميم بالكليات والناهاد والأكاديميات الفنية ، وفق معايير أكثر دقة وعلماً في الأداء Anatomy for Artists .

2- تعليم الطلاب كيفية دراسة قوانين الظل والنور، وتطبيقها بسلاسة واحترافية في الأعمال التصميمية على اختلاف انماطه Perspective Principles

3- تعليم الطلاب فن الكاريكاتير الساخر Caricature drawing art وكيفية معالجته وتلوينه حسب خطوات ومراحل فنية احترافية باستخدام أكثر التقنيات الرقمية احترافاً على الاطلاق في التنفيذ.

4- تعليم الطلاب فن الكوميكس أو رسوم شرائط القصص المتتابعة Comics Strips Art

5- تعليم طلاب الأقسام التصميمية، قواعد علم إظهار المنظور، Perspective Principles وأسس تطبيقه هندسياً وبصرياً بشكل مثالي وناجح

6- تعليم طلاب الأقسام التصميمية، تقنيات رسم وتصوير المناظر الخلوية والخارجية، وتحسيد طبيعة الأماكن المختلفة ، وتوظيفها باحترافية في تصميم خلفيات الرسوم المتحركة الثنائية والثلاثية الابعاد

Landscaping & Background Design

7- تعليم الطلاب تنفيذ الرسوم التوضيحية المختلفة Different Illustration إضافة إلى تصميم

Book Covers Design أغلفة الكتب والمجلات

8- تعليم الطلاب تنفيذ رسوم الفنتازيا والخيال والمبالغات الفنية المختلفة Fantasy & Fictions Art

ثانياً : أعمال فنية بصرية عالمية منفذة بتقنية الرسم الرقمي .. من تنفيذ مجموعة متنوعة من الفنانين

والمصورين العالميين أو المحليين المعاصرين :

في الآونة الأخيرة ، وعلى صعيدٍ واسع ، ظهرت مجموعة ضخمة من الأنتاجات الخاصة بفن الرسم والتصوير الرقمي ، لاسيما على المستوى العالمي ، وبوفرة وغزارة في كلٍ من دول أوروبا وأمريكا وأستراليا ودول شرق آسيا كاليابان والصين وكوريا ، كما ظهرت مجموعة من الأعمال بهذه التقنية في بعضٍ من الدول العربية ، ولكنها تعتبر محدودة إلى حدٍ كبير بالمقارنة مع إنتاج تلك الدول الأنفة الذكر ! ولا نتعجب من ذلك ، فسياسة الأسبقية دائماً ماتكون لتلك الدول الكبرى بالتأكيد ! ولكن الشيء المرفوض ، هو أن تظل تلك الفنون الحديثة والمتطورة ، غريبة ومستهجنة في بلادنا العربية ! وأن لا يحاول القائمون على تدريس الفنون التشكيلية البصرية في الأكاديميات والمعاهد والكلليات العربية ، طرق أبوابها وانتهاج أساليبها واستخدام وسائلها ! الأمر الذي يجعل طلابنا دائماً هم الأقل خبرة والادنى شأنًا في مجال الفنون البصرية المعاصرة على مستوى العالم ! فلم لانطرق أبواب المنافسة والإبداع في هذا المجال ، خاصةً وأن لدى عددًا لا بأس به من ابناءنا الطلاب ، الموهبة والحرفة الكافية لإنتاج مثل هذه الفنون الإبداعية ، والتي لا تقل شأنًا عن مستوى إنتاج الفنون الغربية في الجودة والتمكن والإبداع ، إن لم تزد في بعض الاحيان ! ولكنهم في حاجة إلى التشجيع على انتهاج أساليب جديدة وتقنيات أكثر سهولةً وأشد إيجاراً في نفس الوقت .. ولقد طرق الفن الرقمي كافة ابواب ميادين الإبداع الفني في مجال إنتاج الفنون البصرية الجرافيكية ، على أختلاف قوالبها وانماطها ، وهنا سيتم سرد هذه الفنون البصرية ، التي تخللتها تقنيات الإبداع الرقمي باستخدام أدوات الرسم الرقمية التي سبق تحليلها تفصيلاً ، وهي عشرة مجالات فنية على الأغلب، كما سيتم إدراج نماذج بصرية لبعض من الإنتاج الفني الخاص بكل مجال على سبيل المثال والتوضيح :

- 1 - في مجال رسم البورتريه Digital Portrait Painting
- 2 - في مجال الكوميكس ورسوم القصص المتتابعة Comix Art
- 3 - في مجال الكاريكاتور : Caricature Art
- 4 - في مجال تعليم رسم المناظر الخلوية Landscaping :
- 5 - في مجال رسوم الفانتازيا ومبالغات عالم الخيال Fantasy & Fictional Art
- 6 - في مجال لوحات السيناريو المصورة Storyboarding
- 7 - في مجال الرسوم التوضيحية Illustration

- 8 - في مجال تصميم أغلفة الكتب والمجلات *Book Covers Design*
- 9 - في مجال تعليم فن التشريح للفنانين *Artistic Anatomy*
- 10 في مجال قواعد إظهار المنظور والظل *Principles of Light & Shade*
- 11 في مجال تصميم شخصيات الرسوم التوضيحية أو أفلام الرسوم المتحركة *Character Design*
- 12 في مجال تصميم الملصقات الدعائية والأفيشات السينمائية *Advertising and cinematic posters*

1- في مجال تصوير البورتريه *Digital Portrait Painting*

أعمال كثيرة جداً لا حصر لها ، ظهرت حول هذا الموضوع ، ألا وهو موضوع رسم البورتريه وتصوير الوجوه المختلفة ، نُفذت من خلال هذه التقنية ، شأنها في ذلك ، شأن التصوير الزيتي الكلاسيكي ، والذي استهدف موضوع رسم الوجوه والبورتريهات المختلفة ، كموضوعاً رئيسياً سائداً في معظم أعماله ، والتي قدمت بهذا الخصوص ! ، ومن هنا نستطيع أن ندرك مدى التشابه بين كلا النوعين من انواع التصوير ، سواء التصوير الكلاسيكي او الرقمي من خلال ما انتجه من موضوعات ، تشابهت فيما بينها على حد كبير ... ولم تختلف النتائج من الناحية البصرية في الأداء بين كلاهما ، وإن اختلفت وسيلة التطبيق أو أدواته ! ويمكن أن نلاحظ ذلك بوضوح في مجموعة البورتريهات الرقمية المدرجة في (شكل 43) تالياً ، والذي ظهرت من خلاله مهارة وتمكن الفنان الرقمي ، في إظهار كافة التفاصيل الخاصة بالوجوه المرسومة ، سواء تشریحياً ، أو فنياً



(شكل 43)

أربعة من الصور توضح بورتريهات فنية لممثلين عالميين ، من إنتاج فنانين مختلفين ، تم تنفيذهم بواسطة استخدام تقنيات الرسم الرقمي على أجهزة الرسم اللوحي وأجهزة الواي كوم ،، ظهرت من خلالها مدى مهارة فنانيتها وتمكنهم في آدائهم الفني والذي يكاد يضاهي الواقع الحقيقي ، مماثلاً في نتائجه ، التصوير اليدوي الكلاسيكي والمتعارف عليه بالطبع في جميع الأكاديميات والكليات والمعاهد الفنية

ولم تقتصر طبيعة رسم البورتريه في الرسم الرقمي على نظام المحاكاة الواقعية للوجه المرسوم فحسب ، وإنما إلى التباري في إظهار بصمة خاصة بكل فنان ، وأسلوب فني مبتكر ، تميز به كل فنان عن غيره من الفنانين الآخرين ، سواء في تقنية توزيع الالوان او توزيع الظلال أو ملامس ضربات الفرشاه أو أليب معالجة الخلفيات خلف البورتريه المرسوم ، أو اساليب القطع في اللوحة نفسها ، كما هو موضع في النموذجين التاليين في (شكل 44) أدناه



(شكل 44)

1- Mark Newman : Eva Green portrait. Digital Oil painting with Procreate.

اللوحة رقم 1 – من اليسار تصوير زيتي رقمي لوجه السيدة (إيفا جرين) من اعمال الفنان " مارك نيومان " ويبدو في العمل مدى تمكن الفنان في وضع بصمته الخاصة وأداءه الفني الخاص في أسلوب التصوير

2- Punit Kalawadia : Digital portrait painting – Digital Oil painting

اللوحة رقم 2 – من اليسار تصوير زيتي رقمي لوجه رجل مسن من اعمال الفنانة " بونيت كالواديا " ويظهر في العمل أيضاً بصمة الفنانة الخاصة وأسلوبها المميز في القطع الجريء المقرب من تفاصيل وجه الشخصية المرسومة ، والأسلوب الملخص القوي في توزيع الالوان

وفي خضم الغزو العالمي للتقنيات الجديدة وأساليب التنفيذ المستحدثة للفنون البصرية ، فإن مجموعة كبيرة من الفنانين العرب المخضرمين أيضاً ، أثبتوا وجودهم على الساحة الفنية في هذا المجال ، وظهر من أكثر من برعو في هذا اللون المتميز من الفنون البصرية المعاصرة ، الفنان المصري الجرافيكى المتميز : (محمد عبدالعزيز تاعب *Mohammed Taeab*) والذي قدم مجموعة لابس بها في هذا المضمار ، والشكل التالي (شكل 45) ، يعرض نموذجاً لأحد أعماله المتميزة في مجال الرسم الرقمي

باستخدام برنامج الرسم والتصوير الرقمي الشهير : (كوريل باينتر *Corel Painter*) ، والذي سبق الحديث عنه في الفصل الثاني بشكل مفصل .



(شكل 45)

الفنان الجرافيكي المصري المخضرم " محمد عبد العزيز تاعب " بورتريه ألوان مائية رقمي ، لبورتريه لشخصية
خال الفنان المنفذ .. إنتاج عام 2014

Mohammed Taeab .. Digital Watercolor Portrait Painting – for face of the Artist Uncle

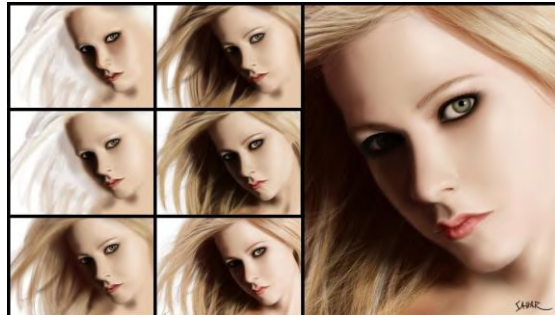
وإلى جانب الفنانين العرب المخضرمين ، فإن مجموعة كبيرة من الفنانين الشباب ، بالأخص ،
إجتاحوا هذا الميدان من الفنون ، ببراعة شديدة وتمكن باهر ، ومن ضمنهم مجموعة كبيرة من طلابي
الفنانين المبدعين من أجيال الشباب الصاعد الواعد في مجال الفنون البصرية من طلاب كلية الفنون
الجميلة / جامعة حلوان بالقاهرة ،, نذكر على سبيل المثال : الفنانة الشابة المصرية المبدعة ، (هناء
مدحت *Hanaa Medhat*) والتي قدمت مجموعة متميزة في مضمار البورتريه الرقمي ، أظهرت من
خلالها بصمة خاصة في التمكن والإبحار في الأداء المميز ،, أنظر مجموعة النماذج في (شكل 46)



(شكل 46)

الفنانة المصرية الجرافيكية الشابة " هناء مدحت Hanaa Medhat " ومجموعة متميزة في مجال تصوير البورتريه الرقمي , لشخصيات مختلفة , تم تنفيذها بتقنية الرسم الرقمي على برنامج " أدوب فوتوشوب Adobe Photoshop " وجسدت جميعها مدى تمكن الفنانة وقوة احترافيتها (1)

وبالطبع , كشأن التصوير الكلاسيكي التقليدي , فإن انتاج البورتريه الرقمي يمر بعدة مراحل حتى يتم إظهاره على شكله الأخير . بدايةً من رسم الاوتلاين , ومن ثم اسكتش العمل السريع , فتحضير تفاصيل اللوحة بشكل مختصر , ومن ثم التعمق درجياً شيئاً فشيئاً في تفاصيل العمل وصولاً إلى انهاء العمل ومراحل الفينيشنج وإضافة الـتوش المتوجة للعمل في شكله وإخراجه الأخير ... أنظر (شكل 47) والذي يوضح مراحل إنجاز البورتريه الرقمي في مجموعة متسلسلة للأشكال والتي تمثل مراحل نفس العمل , وحتى إخراجه في صورته النهائية ,, بأسلوب يحاكي إنجاز التصوير الكلاسيكي اليدوي المؤلف



(شكل 47)

الفنانة المصرية الجرافيكية الشابة " سحر Sahar " ومراحل متسلسلة لإنجاز أحد البورتريهات المصورة تصويراً زيتياً رقمياً باستخدام تقنية برنامج الرسم وتعديل الصور الاحترافي " Adobe Photoshop "

2- في مجال الكوميكس ورسوم القصص المتتابعة Comix Art :

لون في هام جداً لم يغفله الفن الرقمي بدوره ، ولم يسقطه من قائمة اهتماماته ، وهو فن الكوميكس .. أو فن اشرطة القصص المتتابعة .. وظهرت قائمة كبيرة من الفنانين العالمين في هذا المجال ، لمعت اسمائهم في تنفيذ هذا اللون من الفنون باستخدام تقنية الرقم الرقمي . ولقد كان للفنانين العرب وخاصة فئة الشباب منهم نصيباً كبيراً .

ولقد قدمت الباحثة بهذا الصدد إنتاجاً خاصاً ، ومجلة فنية كاملة ... تدور أحداثها حول البطولات التاريخية في فترة الدولة الإسلامية التركمانية المعاصرة للسلاجقة ، والسابقة للفترة العثمانية المجيدة .. انظر (شكل 48) .



(شكل 47)

الباحثة " د.ريهام كرم " : اثنين من الصفحات الداخلية ، من مجلة رسوم القصص المتتابعة (قيامة ارطغرل Diriliş Ertuğrul) تم تنفيذها بواسطة تقنية الرسم الرقمي ، باستخدام شاشة الرسم الرقمي الاحترافية (HUION – هويون) وتطبيق برنامج الرسم ومعالجة الصور Adobe Photoshop .. أنتاج عام 2017

وكان لطلابي المبدعين في هذا المجال أيضاً مساحة لا بأس بها ، وشأننا كبيراً في إنتاج مجموعة كبيرة من اعمال فنون الكوميكس والقصص المتتابعة ، نذكر منهم على سبيل المثال : الفنانة المصرية المعاصرة (حنان حسني الكراجي Hanan Hosney Al -Karargy) والتي أنتجت بدورها مجموعة كبيرة من الأعمال هذا الصدد .. أنظر (شكل 48) تالياً .



(شكل 48)

الفنانة المصرية المعاصرة " حنان حسني الكراجي Hanan Hosney Al-Karargy " : أربعة من الصفحات الداخلية ، من مجلة رسوم القصص المتتابعة في قصة تحت عنوان : (كوكب الامل) ... تم نشرها في : (مجلة باسم Bassem Magazine) الرسوم للفنانة الكراجي .. والتلوين للفنانة : "ميادة مسعد Mayada Mousaad "

انتاج 2009 - المصدر : جاليري الفنانة على مواقع السوشيال ميديا :

<https://www.facebook.com/hanan.alkarargy>

3- في مجال الكاريكاتور *Caricature* والرسوم الهزلية الساخرة :

أُطلق على فن الكاريكاتور : (فن السخرية الجريئة والحيز الممنوع) وهذا لأنه كان وما يزال بدوره يسبب الكثير من الجدل , كما أنه يتجاوز أحياناً بطبيعته , حدود التحفظات والخطوط الحمراء !! سواء كان هذا على الصعيد السياسي , او على الصعيد الاجتماعي والحياتي المؤلف أو حتى على الصعيد الفني !! ,, لأن موضوعات الكاريكاتير إجتاحت بدورها الكثير من الميادين , وإن كان الصعيد السياسي والأيدولوجي , هو أكثر الموضوعات التي أشعلت قريحة فنان هذا اللون الفني المشهور !.. ويرى الفيلسوف الألماني "ثيودور أدورنو" : أن كل عمل فني جريمة لم يتم ارتكابها" ، ويقصد بذلك أن الفن يتحدى الوضع الراهن بطبيعته، فكل عمل فني بظاهره هو سياسي المضمون والرسالة ويخاطب أيدولوجيا معينة، ولذلك لا بد من التعامل معه على محمل الجد، فهو أداة صريحة وقوية كالسلاح، ولا يغيب عن ميادين الثورات السياسية والحركات الاجتماعية التي تتحدى الإجراءات والتقاليد غير العادلة، سواء بأدوات مرئية أم سمعية أم حركية. ولعل فن الكاريكاتير من أبرز هذه الفنون الاحتجاجية الناقدة التي تتكلم حقيقةً مع السلطة بشكل رمزي وبأسلوب جريء وأحياناً لاذع ، ولا يكون بالضرورة مؤذياً أو خادشاً، ولكنه غالباً ما يتعمد لهجة تمكّمية وساخرة، وتحمل بداخلها مضامين قوية عن قضايا إنسانية مثل المرأة والهجرة وتحسين أوضاع المواطنين وقضايا البطالة وغيرها من الحقوق الإنسانية، وتكون قيمته الأساسية في تسجيل الأحداث والوقائع للأجيال القادمة، إضافة إلى إثارة الشك في القرارات المفروضة من تسلسلات السلطة الهرمية بكل أشكالها، بهدف إحداث تأثير على الرأي العام وبالتالي الضغط على السلطات المختلفة ودفعها لتغيير المسار(1) .

ولقد تألق من فنانينا وطلابنا العرب الشباب المبدعين في هذا المجال مجموعة كبيرة .. نذكر من ضمنهم الفنان المبدع المصري : " إسلام فكري *Eslam Fekry* " فنان حقيقةً ذو كاريزما وكفاءة خاصة وإبداع من لون مميز .. فهو فنان امتاز بشخصياته ذات الأسلوب المميز , وقدم لنا العديد من الإنتاجات الرائعة والمتألقة من الفن الهادف المميز , , , والفنان حقيقةً يتميز بحضور وذكاء ملموس في تصميمه لشخصياته وتلخيصه الرائع المتمكن والأحترافي لملاحمها التي عكست بدورها ملامح شخصيات تواجدت في واقعنا , سواء قديماً أو حديثاً , , الأمر الذي ميزه حقيقة على الساحة الفنية في هذا المضمار ... أنظر (شكلي 49 و 50) تالياً .

(1) : <https://www.noonpost.com/content/36639>

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02 بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

(شكل 49)

الفنان المصري المعاصر " إسلام فكري Eslam Fekry : عمل كاريكاتوري سياسي ساخر , تحت عنوان : (قلم أمريكي جديد A New American Pen) ... إنتاج عام 2020 .. تم نشره على صفحة الفنان الخاصة على موقع فيسبوك الرسمي :
<https://www.facebook.com/eslam.fekry.artwork>



(شكل 50)

الفنان المصري المعاصر " إسلام فكري Eslam Fekry :
أثنان من الأعمال الكاريكاتورية الرقمية , على المستوى الاجتماعي
والذي يعبر عن عواقب تدهور الأوضاع الاقتصادية والتي تنعكس
سلباً على المواطن في مجتمعه !! , الأول إلى اليمين تحت عنوان :
(شيك على بياض Check on white) , والثاني إلى اليسار
تحت عنوان : (رغيف الخبز Piece of bread) ... إنتاج عام
2018 وتم نشرهما لي صفحة الفنان الخاصة على موقع فيسبوك
الرسمي :
[/https://www.facebook.com/eslam.fekry.7](https://www.facebook.com/eslam.fekry.7)



أما على الصعيد الفني ، فقد قدم نفس الفنان ، مجموعته الفريدة من نوعها والتي رصدت كثيراً من أحداث بعض من المسرحيات المصرية الشهيرة والخالدة والمؤثرة بدورها في كثير من نفوس أجيال وأجيال ، سواء من المعاصرة لفترة إنتاجها أو ممن تعاقبت فيما بعدها ولفترات طويلة حقيقة ! الأمر الذي جعلها مادة خصبة وغنية من نوعها ، دفعت بالفنان وشجعتة على تناولها فنياً بأسلوبه الكاريكاتوري الرقمي المتميز في تلخيصه القوي الإحترافي والذي لاقى أعجاباً كبيراً لدى الكثير من الجمهور سواء من عامة المشاهدين والمهتمين بشكل عام أو من متذوقي الفنون البصرية والمحترفين في مجالها بشكل خاص أنظر النماذج الثلاث في (شكل 51) تالياً



(شكل 51)

الفنان المصري المعاصر " إسلام فكري Eslam Fekry " : ثلاثة لوحات بانورامية كاريكاتورية رقمية ، تعرض كواليس

ثلاث من المسرحيات المصرية الشهيرة والخالدة ... وترتيبها من الأعلى إلى الأسفل على النحو التالي :

1- (مسرحية : شاهد ماشافش حاجة) بطولة الفنان الكوميدي عادل إمام

2- (مسرحية : العيال كبرت) بطولة الممثلان الكوميديان سعيد صالح ويونس شلبي

3- (مسرحية : المتزوجون) بطولة الممثل الكوميدي سمير غانم

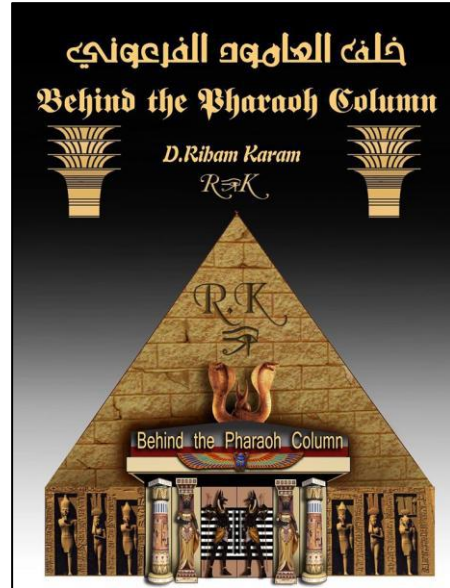
والأعمال تم إنتاجها ما بين عامي 2019 و 2020 ... وتم نشرهما في صفحة الفنان الخاصة على موقع فيس بوك الرسمي
<https://www.facebook.com/eslam.fekry.7/>

وفي نفس المضممار .. قدمت الباحثة مجموعة فنية كوميدية ساخرة ,, تم تنفيذها بتقنية الرسم والتلوين والمعالجة الرقمية على برنامج رسم ومعالجة الصور الاحترافي : *Adobe Photoshop* , وهي بعنوان : (خلف العمود الفرعوني *Behind The Pharaoh Column*) .. أنظر (شكل 52) والذي يعرض الملصق الدعائي لهذه المجموعة الفنية .

(شكل 52)

" د.ريهام كرم " ... الملصق الدعائي للمجموعة الكوميدية الساخرة : (خلف العمود الفرعوني *Behind The Pharaoh Column*) والتي تناولت بشكل هزلي ساخر الحياة في أروقة القصور الفرعونية ... وتم تنفيذ المجموعة المكونة من 20 عملاً فنياً باستخدام أسلوب الرسم والمعالجة الرقمية على برنامج *Adobe Photoshop* ,, أما الأداء التنفيذي كان باستخدام تقنية شاشة الرسم الرقمي الاحترافية (*HUION* - هويون) ... إنتاج عام 2017 / 2018 .. وتم نشر المجموعة في موقع الفنانة الخاص , إضافة إلى معارض على مواقع التواصل الاجتماعي .

<https://rehamkaramart.weebly.com/latest-group--comic-illustration---behind-the-pharaoh-column.html>



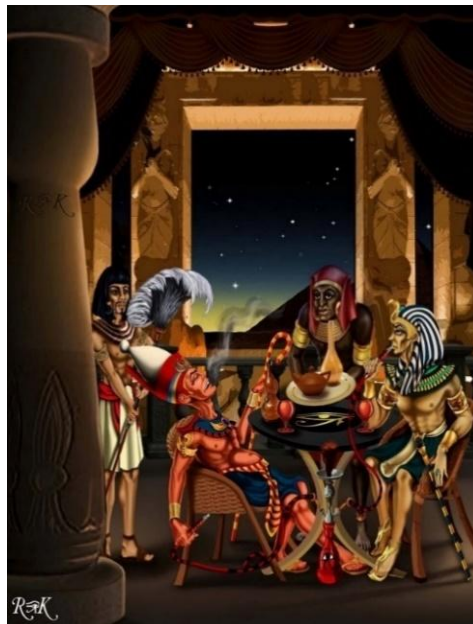
وتناولت المجموعة الفنية , ملامح الحياة في أروقة القصور الفرعونية , ولكنها اعتمدت في تناولها الأسلوب الهزلي والكوميدي الساخر , والذي لم يخلو من إضافة ملامح التهكم بشكل مرح على ملامح هذه الحياة ,, وهذا لجعلها نموذجاً مختلفاً عما تم إنتاجه سابقاً من لوحات جسدت هذه الحياة الفرعونية بأسلوب رصين وواقعي إلى حد كبير , مما جعلها بمثابة توثيق تاريخي لتدوين تفاصيل تلك الحياة عبر أحقاب التاريخ الفرعوني المختلفة ... ولقد تم تنفيذ هذه المجموعة باستخدام تقنية الرسم الرقمي باستخدام برنامج الرسم والمعالجة الرقمية : *Adobe Photoshop* ,, أما الأداء التنفيذي كان باستخدام تقنية

شاشة الرسم الرقمي الإحترافية (*HUION* - هويون) ، وتتكون المجموعة من 20 عملاً فنياً تصويرياً ملوناً ، تم إنتاجها ما بين عامي 2017 و 2018 ، وكان إنتاجها بمثابة تجربة عملية تنفيذية ارتبطت بموضوع دراسة بحثية أخرى ، بعنوان : الرسوم الهزلية والكوميديا، المستوحاه من تاريخ الشعوب في الحضارات القديمة (تجارب فنية من وحي الحضارة الفرعونية ... ، *Comics and Caricature* , *artistic experiences*) .. *inspired by the history of peoples in ancient civilizations* (*inspired by the Pharaonic civilization*). أنظر النماذج الفنية في (شكل 53)



(شكل 53)

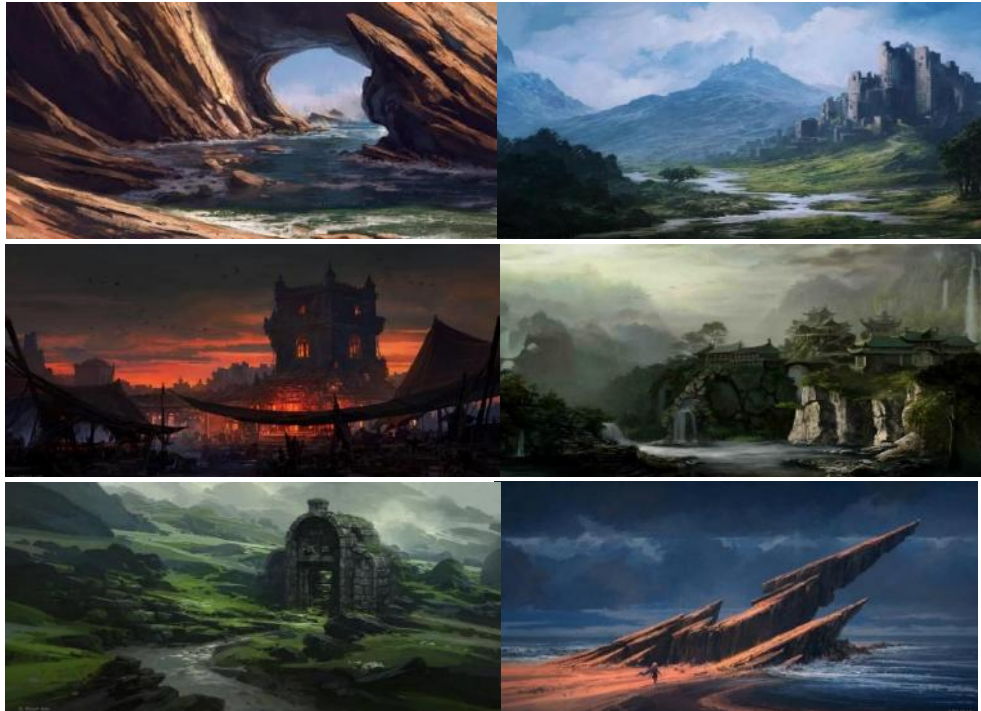
" د.ريهام كرم " ثلاث لوحات فنية من المجموعة الكوميديا الساخرة : (خلف العمود الفرعوني **Behind The Pharaoh Column**) : والتي تناولت بشكل هزلي ساخر ، الحياة في أروقة القصور الفرعونية ... واللوحات على ترتيبها من الأيمن إلى الأيسر : 1- (**A Very Special Dinner**) . 2- (**Checkmate ...** ملك) . 3- (**A Special Royal Evening** - ملكية خاصة) ... وتم تنفيذ المجموعة المكونة من 20 عملاً فنياً باستخدام أسلوب الرسم والمعالجة الرقمية على برنامج **Adobe Photoshop** ، أما الأداء التنفيذي كان



باستخدام تقنية شاشة الرسم الرقمي الاحترافية (HUION - هويون) ... إنتاج عام 2017 / 2018 .. وتم نشر المجموعة في موقع الفنانة الخاص , إضافة إلى معارض على مواقع التواصل الاجتماعي .

4- في مجال تعليم رسم المناظر الخلوية والتعبير عن الطبيعة *Landscaping* :

أحد أهم المجالات الفنية التي تناولتها تقنيات الرسم والمعالجة الرقمية في الأداء والإنتاج الإبداعي , واحترف هذا اللون مجموعة كبيرة من الفنانين , سواء عالمياً أو محلياً , ولاشك في أن إنتاج هذا اللون من الإبداع الفني التصويري يخرج عاية في التألق والجاذبية مما استهوى فئة كبيرة من فناني الرسم الرقمي إلى احترافه والتخصص في أدائه . أنظر (شكل 54)



(شكل 54)

الفنان الرقمي البرتغالي العالمي " أندرياس روشا **Andreas Rocha** " ... وستة لوحات من أعماله العملاقة في مجال الرسم والتصوير الرقمي لموضوع المناظر الخلوية والطبيعة ... وترتيب الأعمال الستة من أعلا اليمين إلى اليسار على النحو التالي :

1 - : (أطلال القلاع Castles ruins)	4- : (البرج The Tower)
2 - : (صخور ساحلية Coastal Rocks)	5- : (قطعة أثرية غريبة Alien Artifact)
3 - : (معابد صينية Chinese temples)	6- : (القبر المنسي Forgotten Crypt) ..
والفنان استخدم في تنفيذ جميع أعماله بشكل عام أسلوب الرسم والمعالجة الرقمية على برنامج Adobe Photoshop	

.. أما الأداء التنفيذي كان باستخدام تقنية شاشة الرسم الرقمي الاحترافية (Cintiq - سنتيك) من شركة : وايكوم ... والاعمال المعروضة تم انتاجها في فترة ما بين 2018 حتى 2021 .. وتم نشر المجموعة على صفحة الفنان في موقع DeviantArt العالمي .. إضافة إلى موقع الفنان التسويقي الخاص به ، <https://www.deviantart.com/andreasrocha/gallery>

ولقد قدمت الباحثة بعضاً من الإنتاجات الفنية المنفذ بتقنية التصوير الزيتي الرقمي ، والتي تم تنفيذها وفق أساليب فنية مختلفة .. أي (اتجاهات فنية أدائية متنوعة) فالبعض كان مزيجاً ما بين الرسم اليدوي الكلاسيكي ومن ثم إضافة بعض المسات والمعالجات الرقمية إليها ، ومن ضمن مثل ذلك من هذه الأعمال ، لوحة : (ساكن القلعة *Castle dweller*) (شكل 55) .. إضافة إلى مجموعات مختلفة من المناظر الخلوية المتنوعة ، والتي أهمها مجموعة : (في عشق البحار *In the passion of the seas*) التي صورت من خلالها لقطات مختلفة لمسطحات بحرية في أوقات متفاوتة ، ومن زوايا كاميرا مختلفة أيضاً ... أنظر (شكل 56)

(شكل 55)

" د.ريهام كرم "... تصوير زيتي رقمي للوحة في أجواء طبيعة خلوية ، واللوحة بعنوان : (ساكن القلعة *Castle dweller*) : (وتعكس اللوحة ضمن تفاصيلها التعبير عن المسطحات المائية والأشجار والجبال البعيدة ، إضافة إلى المعمار القوطي القديم ، الحياة في أروقة القصور الفرعونية . وتم تنفيذ المجموعة المكونة من 20 عملاً فنياً باستخدام أسلوب الرسم والمعالجة الرقمية على برنامج Adobe Photoshop ، أما الأداء التنفيذي كان باستخدام تقنية شاشة الرسم الرقمي الاحترافية (HUION - هويون) ... إنتاج عام 2017 / 2018 .. وتم نشر المجموعة في موقع الفنان الخاص ، إضافة إلى معارض على مواقع التواصل الاجتماعي

<https://rehamkaramart.weebly.com/free-hand-painting.html>





(شكل 56)

"د.ريهام كرم" ثلاثية لوحات فنية تمثل رسم رقمي لمناظر خلوية من مجموعة: (في عشق البحار **In the passion of the seas**): والتي تناولت بشكل محوري موضوع رسم شواطئ البحار والمسطحات المائية المختلفة، وتم تنفيذ المجموعة المكونة من 10 أعمال فنية تصويرية باستخدام أسلوب الرسم والمعالجة الرقمية على برنامجي: **Adobe Photoshop**، وبرنامج: **Autodesk Sketchbook** - أما الأداء التنفيذي كان باستخدام تقنية جهاز التابلت اللوحي **Samsung SM** (سامسونج) إنتاج عام 2014 / 2017 .. وتم نشر المجموعة في موقع الفنانة الخاص، إضافة إلى معارض على مواقع التواصل الاجتماعي.



5- في مجال رسوم الفانتازيا ومبالغات عالم الخيال **Fantasy & Fictional Art**:

لقد كان الخيال جزءاً لا يتجزأ من الفن منذ بداياته، ولكنه كان مهمّاً بشكل خاص في الأداء الفني واختيار الموضوعات الفنية والرسم التخيلي السحري، والفن الرومانسي، والرمزية، والسريالية، والأدب. في اللغة الفرنسية، يُطلق على هذا النوع اسم *le fantastique*، ويشار إليه أحياناً بالفن

الحداصي البصري أو الفن الغريب أو الفن الأسطوري. أو : (فن الفنتازيا *Fantasy Art*) والذي كان له تفاعل عميق ودائري مع الأدب الخيالي .

والفنتازيا هي : (معالجة ابداعية خارجة عن المؤلف للواقع المعاش ، حيث تُعد الفانتازيا نوعاً أدبياً يعتمد على السحر وغيره من الأشياء الخارقة للطبيعة ، ميتافيزيقيا *Metaphysics* - كعنصر أساسي للحبكة الروائية، والفكرة الرئيسية، وأحياناً للإطار الروائي. وتدور أحداث كثير من أعمال هذا النوع في فضاءات وهمية أو كواكب ينتشر بها السحر والغربة والغموض . وتختلف الفنتازيا، بصفة عامة، عن الخيال العلمي والرعب في توقع خلوها من العلم والموت، على التوالي، كفكرة أساسية، على الرغم من وجود قدر كبير من التداخل بين الثلاثة (التي تُعد أنواعاً أدبية مُتفرعة من الخيال التأملية)

وتتلخص الصفات المميزة للفانتازيا في إدراج العناصر الخيالية داخل إطار متماسك ذاتياً (متناسق بالداخل)، حيث يظل الإلهام النابع من الأساطير والفولكلور فكرة أساسية منسقة لهذا النوع من الفن . بدخل هذا الشكل المحبوك ، ويمكن تحديد أي مكان لعنصر الخيال : فقد يكون مُخبأ ، أو قد يتسرب إلى ما قد يبدو إطاراً لعالم حقيقي ، كما يمكن أن ترسم الشخصيات في عالم باستخدام هذه العناصر، أو قد توجد كاملة في إطار لعالم خيالي، حيث تكون هذه العناصر جزءاً من هذا العالم .

وفي الثقافة الشعبية، يسيطر على نوع الفنتازيا الأدبي طابع العصور الوسطى، وخاصة منذ النجاح العالمي الذي حققته رواية : سيد الخواتم *Lord of the Rings* - للكاتب " جيه آر آر تولكن " . ومع ذلك تضم الفانتازيا، بأوسع معانيها، أعمال كثير من الكتاب ، والفنانين ، والسينمائيين، والموسيقيين، من الأساطير والحرفات القديمة إلى كثير من الأعمال الحديثة ذات الشعبية الواسعة اليوم ، كرواية : (هاري بوتر *Harry Potter*) لكاتبتها الإنجليزية الشهيرة : "جي. كي . رولنج *J.K. Rowling*"

ولقد استهوى هذا اللون الشيق من موضوعات الفنون البصرية - بشكل خاص - طائفة كبيرة جداً من الفنانين المعاصرين ، سواء من الذين احترفوا طرائق الفن الكلاسيكي النمطي المؤلف والذي يتم تنفيذه بواسطة أدوات الفن اليدوية المعتادة من فرش وأوراق وألواح كانفاس ، وألوان زيتية أو مائية أو جواش أو أحبار ،، أو من هؤلاء الأكثر حداثة من شباب الفنانين الذين احترفوا طرائق الرسم والتصوير الرقمي .. ومن أشهر فناني هذا اللون الجذاب من الرسم والتصوير الرقمي ، الفنان المحضرم الشهير

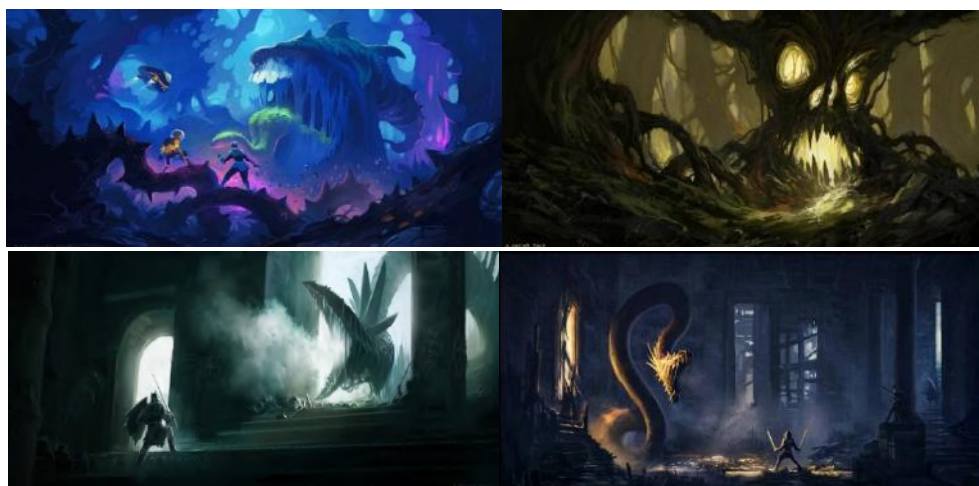
والذائع السيط : " بوريس فالينخو *Boris Vallejo* " , وزوجته الفنانة المبدعة : " جولي بيل *Julie bell* " واللذان أبدعا حقاً بشكلٍ أكثر من رائع في التعبير عن هذا اللون وتناولهم له في مئات المواضيع من خلال أعمالهم المبهرة .. أنظر (شكل 57) .



(شكل 57)

ثلاثة أعمال تصوير زيتي ملون , , دارت موضوعاتهم حول عوالم الفنتازيا والخيال الأسطوري ... واللوحتان الأولى والثانية من اليمين , من أعمال الفنان العالمي الشهير : " بوريس فالينخو *Boris Vallejo* " , أما اللوحة الثالثة من اعمال زوجته الفنانة العالمية : " جولي بيل *Julie bell* " ... ولقد تم تنفيذ الأعمال الثلاث بأداء يدوي تقليدي في أواخر القرن الماضي ... وعكست جميعها مدى قوة وتماكن الفنانين في خوض غمار عوالم الخيال وما وراء الطبيعة

أما على مستوى الفنانين والمصورين الرقميين من فئة الشباب أو الفنانين المعاصرين , فلقد تألق نخبة كبيرة منهم على مستوى عالمي في مجال تناول الموضوعات التي دارت حول محور الفانتازيا والخيال الجامح . أنظر (شكل 58) و (شكل 59) .



(شكل 58)

الفنان الرقمي البرتغالي العالمي " أندرياس روشا **Andreas Rocha** ... وأربعة لوحات من أعماله العملاقة في مجال الرسم والتصوير الرقمي لموضوع عوالم الفانتازيا والخيال وخوارق الطبيعة ... وترتيب الأعمال الأربعة من أعلا اليمين إلى اليسار على النحو التالي :

- 1 - (شجرة الشر **Evil Tree**)
- 2 - (وحش العنقاء **Mint Monster**)
- 3 - (السرداب الخاطيء **Foul Crypt**)
- 4 - (الخطوة الأخيرة **The Final Steps**) .. والفنان استخدم في تنفيذ جميع أعماله بشكل عام أسلوب الرسم والمعالجة الرقمية على برنامج **Adobe Photoshop** أما الأداء التنفيذي كان باستخدام تقنية شاشة الرسم الرقمي الإحترافية - **Cintiq**) سنتيك (من شركة : وايكوم ... والأعمال المعروضة تم إنتاجها في فترة ما بين 2018 حتى 2021 .. وتم نشر المجموعة على صفحة الفنان في موقع **DeviantArt** العالمي .. إضافة إلى موقع الفنان التسويقي الخاص به <https://www.deviantart.com/andreasrocha/gallery> ...

(شكل 59)

اثنين من أعمال التصوير الرقمي ، لاثنتين من الفنانين اليابانيين المعاصرين .. وهي تمثل مواضيع ترتبط بعالم الفانتازيا الخيالي الجامع ...

1 - دراكو شان - **draco chan** : درع النمر الأبيض الخيالي **white tiger fantasy armor**

2 - كوانجيان هاونج - **Guangjian Huang** : ساحرة المساء **Night Witch**

وتم تنفيذ الأعمال الفنية باستخدام أسلوب الرسم والمعالجة الرقمية على برنامج : **Adobe Photoshop** , وبرنامج : أما الأداء التنفيذي كان باستخدام تقنية جهاز وايكوم اللوحي الاحترافي **Wacom** ... إنتاج عام 2010 / 2011 .. وتم نشر الأعمال على صفحات الفنانين الخاصة على موقع



Deviantart الفني العالمي , إضافة إلى معارض
على مواقع التواصل الاجتماعي .

أما على الصعيد العربي , فلقد تألق العديد من الفنانين في هذا الفرع تحديداً , ومن ضمنهم كالعادة مجموعة من طلابي المبدعين في مجال الفنون البصرية , من خريجي كلية الفنون الجميلة / جامعة حلوان بالقاهرة .. ومن أهم من برز في هذا المجال بشكل متألق ورائع , الفنانة المصرية المعاصرة : " نهي إبراهيم شعبان *Noha Ibrahim Shaaban* " والتي تعتبر واحدة من جيل الرواد في هذا المضمار , فأنتجت بدورها مجموعة كبيرة من الأعمال حول هذا الموضوع بشكل خاص , ولها مجموعات متميزة بهذا الخصوص .. أنظر (شكل 60)



(شكل 60)

الفنانة المصرية المعاصرة " نهى إبراهيم *Noha Ibrahim* " ... وثلاثة لوحات من أعمال الأليستريشن الرقمي والتي تناولت قصصاً من عالم الفانتازيا الخيالي العجيب , , , والأعمال رسوم توضيحية لقصة أطفال خيالية بعنوان : (العشبة الشافية *Healing herb*) , , للكاتب الإماراتية : " مريم سعيد المرى " والفنانة

استخدمت تقنية الرسم الرقمي على برنامج **Adobe Photoshop** باستخدام جهاز الرسم اللوحي **Wacom**

كما تألق أيضاً في هذا اللون الجامح من الفنون البصرية ، كثيراً من الفنانون من طائفة الشباب حديثي السن من الأجيال الواعدة ، والذين اشتهروا بجرأة فرشاتهم وأقلامهم في ميادين التصميم وابداعاته المختلفة وبكافة أبعاده الكاسرة لقيود المنطق والواقع المألوف ، كان من ضمنهم : الفنان المصري الشاب المبدع حقيقةً : " يحي حسن *Yahia Hassan* " ، والذي قدم شخصه المميزة جداً وتصاميمه كراكتاته الفتازية الجذابة في نطاق هذا الإطار ، أنظر (شكل 61)



(شكل 61)

الفنان : " يحي حسن *Yahia Hassan* " ... واثنين من تصاميم الشخصيات المجنحة المستوحاة من عالم الفتازيا الأسطوري الخيالي العجيب من الأعلا إلى الأسفل لوحة : (السقوط **Fallen**)، لوحة : (الطيران **Fly**) ، والأعمال تم تنفيذها رقمياً باستخدام تقنيات برنامج : **Adobe Photoshop** وباستخدام جهاز الرسم اللوحي **wacom cintiq** .. وشاشة الرسم : هيون والأعمال معروضة على صفحة الفنان الخاصة على الموقع الفني العالمي : " **Art station** " إضافة إلى صفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة elhaganchovy.artstation.com



(شكل 62)

الفنان : " يحي حسن *Yahia Hassan* " ... وأحد الأعمال الفنية المستوحاة من عالم الخرافة الأسطوري الخيالي ، لوحة رسم رقمي ملون بعنوان : (الفخ **trap**) ، والعمل تم تنفيذه رقمياً على برنامج : **Adobe Photoshop** وباستخدام جهاز الرسم اللوحي **Wacom intuos** ..

والعمل معروض على صفحة الفنان الخاصة على الموقع الفني العالمي : " Art station " إضافة إلى صفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة : elhaganchovy.artstation.com

6- في مجال لوحات السيناريو المصورة *Storyboarding* :

ما هي لوحة السيناريو المصورة *Storyboarding* ؟

كما يعلم جميع الفنانين والسينمائيين المختصين وفناني الرسوم المتحركة ، أن : لوحة القصة *Storyboarding* ، هي ممارسة إنتاج الرسومات للسيناريو / المفهوم. وإنها جزء أساسي من عملية ما قبل الإنتاج لأي رسوم متحركة أو إعلان متحرك أو فيلم سينمائي أو كرتوني . ولوحة القصة : هي عبارة عن سلسلة من الرسومات المتتابعة المرسومة يدويًا أو الصور المرئية التي تدعمها ملاحظات البرنامج النصي أو الحوار ويتم وضعها في تسلسل ، لكي يتخيل المشاهد الرسوم المتحركة قبل الإنتاج . وهي تشبه في أداؤها إلى حد كبير إنتاج فن شرائط القصص المتتابعة *Comic Strips* ، ولكنها تختلف عنها في أسلوب الإخراج ، وخلوها من أداء التشطيطات والإخراج النهائي الذي يتميز به فن الكوميكس عن فن إنتاج لوحات السيناريو المصورة !

ما هو الغرض من إنتاج لوحة السيناريو المصورة *Storyboarding* ؟

تساعد *Storyboarding* فريق الإنتاج على تصور فكرة وتطويرها ، وتصور المفاهيم واختبارها ، وتبسيط الضوء على أي عقبات محتملة في بنية القصة أو تخطيطها قبل أن تتجه إلى الإنتاج . لماذا الحاجة إلى القصة المصورة؟ إنه دليل تفصيلي لعملية الإنتاج ، لذا فهو يساعد في إدارة التوقيت في الإنتاج ويوفر المال . يبيّن اتصالاً مع العارض وبين فرق الإنتاج في المشروع ، بحيث يمكن للجميع التواصل من مصدر مرجعي واحد . يساعد على توصيل رؤية وفهم للقصة . يساعد في اتجاه الإنتاج . الأهم من ذلك ، أنها تستخدم لبيع / عرض الفكرة للعملاء للحصول على تمويل .

من يوجه ويضع لوحة القصة المصورة *Storyboarding* ؟

اعتمادًا على نوع التصوير أو الميزانية ، قد يجلس المخرج مع فنان القصة المصورة لتقديم رؤيته ووضع مداخلاته في عملية لوحة العمل . ومع ذلك ، في معظم الحالات ، لا تتوفر الميزانية ، وستحتاج إلى تقسيم المشاهد والاعتماد على تجربتك الخاصة لتوجيه اللقطات كما تراه مناسبًا . مفتاح القصة المصورة هو الممارسة ، من خلال فهم كيفية عمل الإنتاجات المتحركة . شاهد الكثير من الأفلام أو المسلسلات التلفزيونية أو الإعلانات التجارية ، وحاول أن تدرس من خلال رسم المشاهد أثناء مشاهدتك . ابحث عن

زوايا الكاميرا وكيف يتم قص القصة وسردها بصريًا . ضع في اعتبارك أن القصص المصورة ليست تقسيمًا إطارًا بإطار ، بل هي تطوير مشهد تلو الآخر ، ويجب أن يخدم كل مشهد غرضًا في سرد القصة . أنظر (شكل 63)



(شكل 63)

الفنانة : " MISS CHATZ " ... وأحد أعمال لوحات السيناريو المصورة Story Boarding والمنفذة رقمياً باستخدام برنامج التصميم والابداع الفني : Adobe Illustrator .. واللوحة المصورة لأحد أعمال إنتاج الحلقات التلفزيونية

في هذا المضمار ، كان للباحثة أيضاً مشاركتها الخاصة ، بإنتاج بعضاً من لوحات القصص المصورة الرقمية ، ومن أهم انتاجاتها في هذا المجال ، لوحة السيناريو الخاصة بفيلم التحريك التجريبي ثنائي الأبعاد : (عودة البارون Baron Return) ، والذي دارت كواليسه حول موضوع شائعات الرعب التي انتشرت حول قصر البارون لويس إيمان في القاهرة بمصر .. (شكل 64) ، كما ظهر مجموعة كبيرة من طلاب الباحثة أيضاً .. من خريجي كلية الفنون بالجميلة بالقاهرة ، أبدعوا حقيقةً في هذا المجال بجدارة

واجتهاد , من ضمنهم الفنان المعاصر : محمد سعيد فكري *Mohamed Saeed Fekry* .. (شكل 65)



(شكل 64)

الباحثة : "د.ريهام كرم". مجموعة كادرات متسلسلة منفذة رقمياً باستخدام تقنية برنامج : **Adobe photoshop** وهي جزء من لوحات سيناريو القصة الخاص بفيلم التحريك ثلاثي الأبعاد : (عودة البارون **Baron Return**).
انتاج عام 2008م



(شكل 65)

الفنان المعاصر : محمد سعيد فكري **Mohamed Saeed Fekry** .. مجموعة كادرات متسلسلة وهي جزء من لوحات سيناريو القصة الخاص بفيلم توثيقي تاريخي عن حياة الإمام الهروي ، والتي دارت أحداثه أبان فترة الحروب الصليبية ،، وتم إنتاجه لقناة الجزيرة الوثائقية . انتاج عام 2015م

7- في مجال الرسوم التوضيحية بشكل عام *Illustration* :

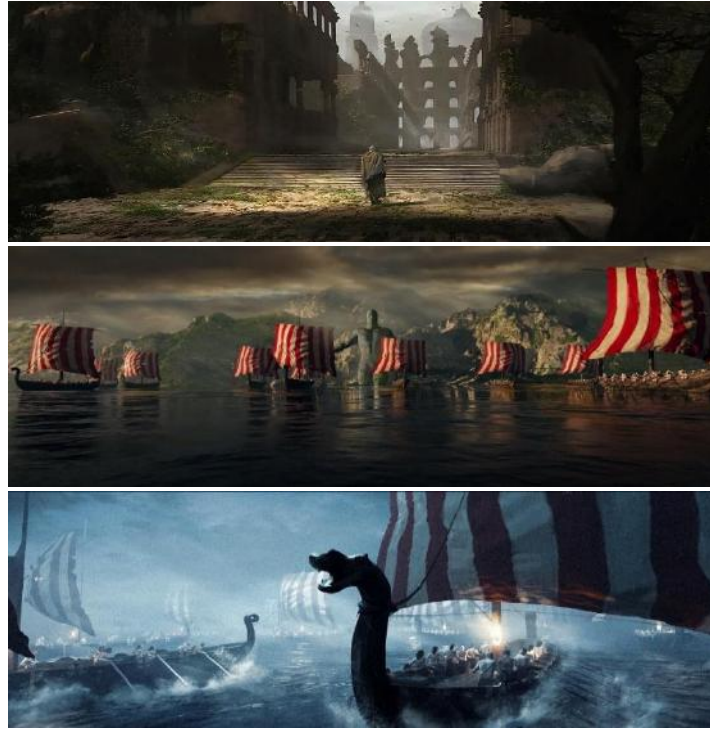
لقد أشعلت تقنيات الفنون الرقمية هذا الميدان بكثافة عالية ،، فأصبح معظم فناني الرسوم التوضيحية المعاصرين ، ينتجون معظم إنتاجاتهم من خلال تقنيات الرسم والتصوير الرقمي . مهما اختلفت وتنوعت أساليبها أو مذاهبها من الناحية الفنية .. فعلى الصعيد العالمي ظهر آلاف الفنانين في هذا المجال ،، أما على المستوى العربي ، فلقد ظهر العشرات من أبناءنا الفنانين الشباب المعاصرين ،، خاصة من خريجي كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، أو معهد السينما ،، وكان من أبرزهم الفنان المبدع : " عمر سامي *Omar Sami* " أحد خريجي معهد السينما المصري ، دفعة 2011 ، والذي تألق بشكل كبير في مجال الرسم والتصوير الرقمي لكثير من المشاهد الدرامية السينمائية أو الرسوم التوضيحية التي تكاد تضاهي وتحاكي الواقع من شدة تمكن منفذها ، وتحريه لكافة التفاصيل البالغة الدقة ، من حيث الاهتمام بسلامة المنظور الهندسي ، وتشريح الشخصيات ، وقوة توزيع الإضاءات والظلال في مساحات العمل وفق المنطق البصري السليم ، إضافة إلى الاهتمام بالنظريات اللونية من تشيع وانعكاس وشفافية ، إلى غير ذلك من التفاصيل الفنية شديدة الأهمية لرفع قيمة العمل الفني بصرياً .. أنظر الإبداعات البانورامية الرائعة (شكل 66) في أربعة لوحات من أجمل ما أنتج الفنان عمر سامي .



(شكل 66)

الفنان : " عمر سامي Omar Samy "... أربعة أعمال فنية تصويرية بانورامية رقمية ملونة تمثل رسوماً توضيحية لمشاهد درامية أو سينمائية ، متقنة التنفيذ ، قوية في آداءها من كافة جوانبها الفنية ، والأعمال تم تنفيذها رقمياً على برنامج : **Adobe Photoshop** وباستخدام جهاز الرسم اللوحي **Wacom intuos** .. وجميعها معروضة على صفحة الفنان الخاصة على الموقع الفني العالمي : " **Art station** " إضافة إلى صفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة ..
<https://www.artstation.com/omarsamy>

ومن أشهر أبناءنا المبدعين من الفنانين الشباب أيضاً في هذا المجال ، ظهر الفنان المصري المتألق : " محمد سعد *Mohamed Saad* " والذي أبدع إبداعاً ملحوظاً في مجال تصميم الرسوم التوضيحية تصويراً رقمياً ، وتحسيد المشهد الدرامي والسينمائي بشكل رائع ومتمكن ، فقد أبدع حقيقةً في مجال استخدام الفنون الرقمية من تصويراً زيتياً ملوناً أو معالجة رقمية باستخدام برامج الرسم والتصوير أو معالجة الصور واللوحات باحترافية كبيرة ، وكان لأعماله مكانة مرموقة تصدرت الكثير من المواقع الفنية ومواقع التواصل الاجتماعي بشكل ملفت ومميز .. أنظر اللوحات البانورامية الثلاث في (شكل 67)



(شكل 67)

الفنان : " محمد سعد Mohamed Saad ... ثلاثة أعمال فنية تصويرية بانورامية رقمية ملونة تمثل رسوماً توضيحية لمشاهد درامية أو سينمائية ، متقنة التنفيذ ، قوية في آداؤها من كافة جوانبها الفنية ، والأعمال تم تنفيذها رقمياً على برنامج : **Adobe Photoshop** ... وباستخدام جهاز الرسم اللوحي **Wacom intuos** .. وجميعها معروضة على صفحة الفنان الخاصة على موقع الإنستغرام العالمي : https://www.instagram.com/mo7amed_s3d ... إضافة إلى صفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة ..

ولقد قدمت الباحثة في هذا النطاق بعضاً من أعمال التصوير الرقمي التوضيحي ، وكان من أهم انتاجاتها في هذا المضمار ، مجموعتها الفنية : (أدعية وسنن مصورة) والمكونة من عشرات اللوحات الفنية ، كان الهدف من إنتاجها ، كرسوماً توضيحية لأدعية وأحاديث نبوية شريفة ، تم التعبير عنها بطريقة بصرية تجسدية مصورة، لتقريب المعنى والمغزى منها إلى عقل وتصور المتلقي أو المشاهد بطريقة أكثر وضوحاً ... أنظر (شكل 67) والذي تحتوي عمل فني لتصوير رقمي بعنوان : سؤال الملكين في القبر ! *Angels asking in Grave* ، والعمل مرسوماً رسماً كلاسيكياً يدوياً على الورق ، ومن ثم تم تلوينه وإنهائه وإخراجه كاملاً باستخدام تقنية الرسم والتلوين والمعالجة الرقمية على برنامج : *Adobe Photoshop* . وتنفيذاً عن طريق شاشة الرسم الاحترافية *HUION* .. انتاج عام 2016



(شكل 68)

الباحثة : د.ريهام كرم **Reham Karam** .. عمل فني لتصوير رقمي بعنوان : سؤال الملكين في القبر ! *Angels asking in Grave* ، والعمل مرسوماً رسماً كلاسيكياً يدوياً على الورق ، ومن ثم تم تلوينه وإنهائه وإخراجه

كاملاً⁹ باستخدام تقنية الرسم والتلوين والمعالجة الرقمية على برنامج : **Adobe Photoshop** . وتنفيذاً عن طريق شاشة الرسم الاحترافية **HUION** .. انتاج عام 2016 ... وهو واحد ضمن المجموعة الفنية : (أدعية وسنن مصورة) والعمل معروض على موقع الباحثة الخاص :

rehamkaramart.weebly.com/index.html إضافة إلى صفحاتها على مواقع التواصل

الاجتماعي المختلفة

فنان عربي مصري شاب آخر , ملع وتألّق بأسلوبه المميز ذو الشخصيات الرقيقة , وألوانه الزاهية والمشرفة , في كثير من إخراج رسومه التوضيحية للعديد من صفحات المجلات وقصص الأطفال والشباب , وكانت له حقيقةً بصمته الخاصة في هذا المضمار , وفق طرازه الخاص وأسلوبه المميز , ولقد دارت معظم موضوعات اعماله حول مواضيع أروقة القصور الملكية وساحات السرايا السلطانية والقلاع الإمبراطورية , معبراً عن فخامتها , إضافة إلى تمحور غالبية اعماله حول حقبة عصور النهضة , وعصري الركوكو والباروك في أوروبا , وما دار خلالها من أحداث وتداعيات إما على المستوى الاجتماعي , او المستوى السياسي الحاكم , هذا الفنان هو " إبراهيم عمرو *Ibrahim Amro* " والذي أنتج مجموعات ضخمة مبهرة وجذابة للغاية منها ما اعد من خلالها صياغات الاعمال الفنية الرومانسية العالمية الحاملة لفناني عصور النهضة في أوروبا مثل : الفنان " جان أونوريه فراجونار " ومنها ما أستلهمه من كواليس سينمائية لأفلام وأحداث واقعية حدثت في حقبة تلك الفترات , كإعدام الإمبراطورة ماري أنطوانيت ... إلى غير ذلك من أحداث مؤثرة وشهيرة .. (شكل 69)



(شكل 69)

- الفنان : " إبراهيم عمرو *Ibrahim Amro* " ... مجموعة من اعمال الرسم الرقمي الخلابه , والمستوحاة من فترات عصور النهضة وعصري الركوكو والباروك في أوروبا واللوحات بحسب ترتيبها من اليمين إلى اليسار على النحو التالي :
- لوحة : اللقاء .. والتي هي إعادة صياغة للوحة الفنان الفرنسي الكلاسيكي : " جان أونوريه فراجونار "

- لوحة مأخوذة من مشاهد الفيلم العالمي : حكاية الحكايات Tale of tales , صور فيه الفنان بأسلوبه المبهج البديع , شخصيات الفيلم المحورية
- لوحة بعنوان : العصور المظلمة Dark Ages والتي دارت حول إعدام الإمبراطورة الفرنسية ماري أنطوانيت بالمقصلة بعد سقوطها .

والأعمال تم تنفيذها رقمياً على برنامج : Adobe Photoshop وباستخدام جهاز الرسم اللوحي Wacom intuos .. والأعمال معروضة على صفحات الفنان الخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة

8- في مجال تصميم أغلفة الكتب والمجلات Book Covers Design :

كشأن باقي الفنون التشكيلية البصرية , استطاعت الفنون الرقمية أن تغطي هذا المجال أيضاً وفق تقنياتها المعاصرة والمتطورة , ولقد لمعت أسماء عالمية شهيرة في عالم تصميم الكثير من اعمال وإنتاجات هذا المجال الهام والرئيسي في ميدان الفنون البصرية , ومن أشهر فناني هذا المجال فنان رسوم الفانتازيا الرقمي المعاصر الشهير : " يوي جارلنج Uwe Jarling " والذي أكتسح بإنتاجه الفني العملاق , ساحات الفنون البصرية الرقمية على نطاق واسع , وكان إتجاهه الفني في الآونة الأخيرة منصباً على تصميم أغلفة الكتب والمجلات , تصميماً رقمياً فريداً من نوعه , منتجاً بذلك عدداً لا بأس به من الإنتاج الفني الرائع والمتميز , لأغلفة كتب ومجلات دارت مواضيعها حول عوالم الفنتازيا والاساطير والسحر والحرفات والرعب والمغامرات المختلفة والتي عبر عن عوالمها وأجواءها الساحرة عن طريق أساليب الرسم الرقمي على برامج احترافية , مثل برنامج ZBrush وبرنامج Corel Painter وغيرها من برامج الرسم الاحترافي . أنظر (شكل 70)





(شكل 70)

الفنان الألماني : " يوي جارلنج Uwe Jarling " ومجموعة بديعة من تصاميم أغلفة الكتب والروايات والمجلات , والمنفذة رسماً رقمياً , باستخدام ZBrush وبرنامج Corel Painter ... ومواضيع معظم أعمال الإغلفة الفنية مستوحاة من عالم الخرافة الأسطوري الخيالي وعوالم الفانتازيا وما وراء الطبيعة , وجميع الاعمال معروضة على موقع الفنان الخاص ,, <http://www.jarling-arts.com/www/artist/artist.html> , إضافة إلى صفحاته الخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة :

https://www.facebook.com/uwe.jarling/about_details

ولقد كان للباحثة بعض التجارب في هذا المضمار أيضاً ,, ومن اهم ما أنتجت في هذا انطاق .. غلاف مجلة رسوم القصص المتتابعة (قيامة ارطغرل Diriliş Ertuğrul) والتي تم تنفيذها بواسطة تقنية الرسم الرقمي , باستخدام شاشة الرسم الرقمي الاحترافية (HUION – هويون) وتطبيق برنامج الرسم ومعالجة الصور Adobe Photoshop .. أنتاج عام 2017 .. أنظر (شكل 71) من أعمال الباحثة

(شكل 71)

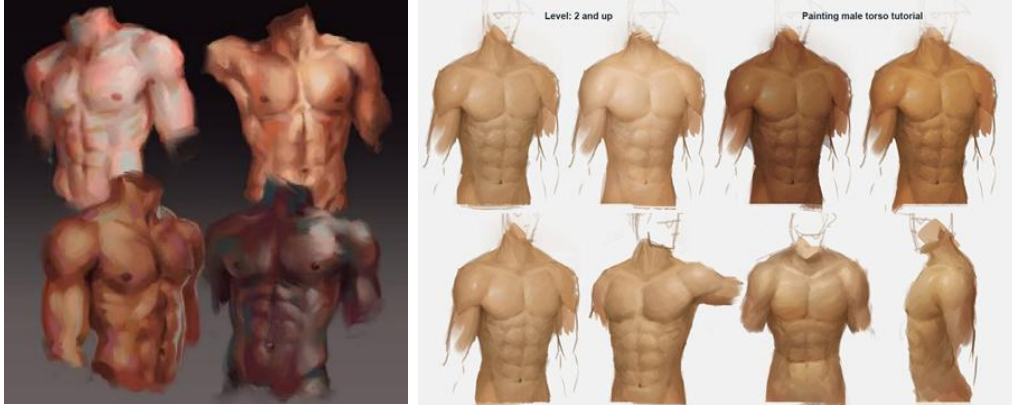
" د.ريهام كرم "... غلاف لمجلة رسوم القصص المتتابعة (قيامة ارطغرل Diriliş Ertuğrul) والتي تم تنفيذها بواسطة تقنية الرسم الرقمي , باستخدام شاشة الرسم الرقمي الاحترافية (HUION - هويون) وبتطبيق برنامج الرسم ومعالجة الصور Adobe Photoshop .. أنتاج عام 2017

<https://www.facebook.com/ComicArtugrul>



9 - في مجال تعليم فن التشريح للفنانين *Artistic Anatomy* :

إن هذا الميدان يعتبر حقيقة العصب والركيزة الرئيسية في تعليم الفنون التشكيلية القوية , وتخرج أفواجا من الفنانين المتمكنين في أدائهم الاحترافي ,, وهو باب أيضاً لاستعراض القوة الفنية والمهارة الفائقة في التطبيق أي من المواضيع الفنية , فكيفية تناول البناء التشريحي لشخصيات العمل الفني , يعتبر أهم المحاور لنجاح العمل البصري المقدم ,, ولقد سهلت وسائل الرسم والتصوير الرقمي هذه المهمة على الفنان , فبعد الكثير من الفنانين المحترفين عن أدائهم الفني المتمكن في هذا المجال الهام جداً ,, وحديثاً وفي وقتنا الحاضر , وفي كثير من الأكاديميات والمعاهد والكليات الفنية العالمية , استخدم الكثير من المدربين الفنانين والقائمين على تعليم أساسيات الفن التشكيلي , طرائق تدريس التشريح الفني للفنانين باستخدام وسائل الرسم الرقمي من أجهزة لوحية وشاشات ذكية ,, كما هو موضح في (شكل 72) و (شكل 73) من نماذج فنية حول هذا الموضوع ..



(شكل 72)

الفنان العالمي : " داجيسي Dagseii " ومجموعة اسكتشات تشريحية ملونة لعنصر جذع الرجل (النصف العلوي) من عدة جهات منظورية , وجميعها منفذة رسماً رقمياً , باستخدام Photoshop وبرنامج Corel Painter ... عن طريق شاشة الرسم اللوحية



(شكل 73)

الفنان العالمي : " داجيسي Dagseii " ومجموعة اسكتشات تشريحية ملونة لعناصر طرفية جسمية مختلفة من جسم الإنسان ... من عدة لقطات منظورية وعدة وضعيات وحركات ديناميكية مختلفة , وجميعها منفذة رسماً رقمياً , باستخدام Photoshop وبرنامج Corel Painter ... عن طريق شاشة الرسم اللوحية
وكالعادة ,, لم يتوقف هذا الميدان حكراً عند فناني أوروبا وأمريكا ودول شرق آسيا , بل كان لفناني الشرق الأوسط أيضاً نصيباً كبيراً فيها , فظهر على سبيل المثال من فنانينا العرب وأبناءنا المبدعين

عددٌ لا بأس به , ومن أشهر من كان له إنتاجاً ملحوظاً في هذا المجال , الفنان المصري الشاب , السابق الذكر : " محمد سعد Mohamed Saad " ... والذي أنتج إنتاجاً وافراً ومتميزاً من الاسكتشات الاحترافية والإبداعية والنمذجية , حقيقةً بهذا الصدد .. أنظر (شكل 74)



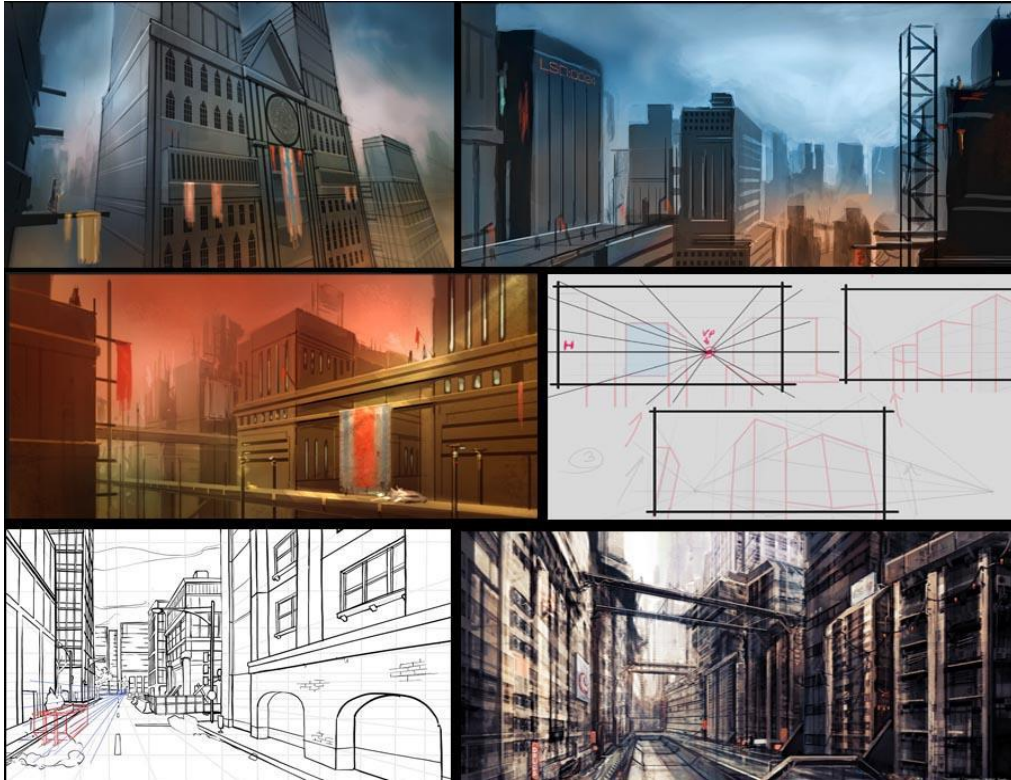
(شكل 74)

الفنان : " محمد سعد Mohamed Saad " ... أربعة أعمال فنية اسكتشية رقمية تمثل رسوماً تشريحية لأوضاع وأجناس مختلفة من جسم الإنسان , استخدمت كدراسات تحضيرية وتدريبية لأعمال فنية مركبة ... والاعمال تم تنفيذها رسماً رقمياً على برنامج : Adobe Photoshop وباستخدام جهاز الرسم اللوحي Wacom intuos ..
وجميعها معروضة على صفحة الفنان الخاصة على موقع الإنستجرام العالمي :
https://www.instagram.com/mo7amed_s3d ... إضافة إلى صفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة ..

10 - في مجال قواعد إظهار المنظور والظل *Principles of Light & Shade* :

كشأن باقي فروع الفنون البصرية , استطاعت الفنون الرقمية أن تغطي هذا الميدان بمجادة أيضاً وفق تقنياتها المعاصرة والمتطورة ,, ولقد تألفت أسماء عالمية أيضاً بشكل كبير في هذا الميدان الهام للغاية , لا سيما أن الإظهار المنظوري في رسم كثير من خلفيات المشيدات والمعمار والبيئات الحضرية , يعتبر أيضاً من ركائز ودعائم البناء التشكيلي السليم , والذي خدم بدوره كثيراً من حقول الفنون التشكيلية ,, مثل بناء خلفيات الرسوم المتحركة , وكواليس الأفلام السينمائية وتصاميم خلفيات ديكورات المسرح ,, والمشاهد الدرامية العملاقة , إضافة إلى خلفيات ومناظر الرسوم التوضيحية .. ناهيك بالتأكيد عن

تدريبات البناء والإظهار المنظوري والتصميم الهندسي التشكيلي والجمالي للمشيدات المعمارية ، وتوضيح
مراحله وطرائقه وتطبيقاته رقمياً بأسلوب يضاهاى التطبيق اليدوي الكلاسيكي المألوف ، بل وقد يتفوق
عليه في كثير من الاحيان . أنظر النماذج المتنوعة المعروضة في (شكل 75) .



(شكل 75)

مجموعة من النماذج الفنية لتخطيطات ومشيدات واسكتشات منظورية ومعمارية مبنية على أساس نظام الإظهار المنظوري
بأسلوب هندسي متقن ، وجميعها منفذة رسماً رقمياً ، باستخدام **Photoshop** وبرنامج **Corel Painter**
... عن طريق شاشة الرسم اللوحية لمجموعة متنوعة من الفنانين العالميين

ولم تنحصر تلك الأعمال المنظورية الرقمية فقط على انتاج مشاريع معمارية بحتة ، ولكن أيضاً كانت
عاملاً رئيسياً هاماً في بناء لوحات تشكيلية متقنة ذات عمق وأبعاد ومناظير مختلفة ، من زوايا كاميرا متنوعة
مابين لقطات منظور عين النملة أو عين الطائر ، إضافة إلى المناظير متعددة نقاط الزوال مابين نقطة واحدة

واثنتين أو ثلاثة ، وصولاً إلى المنظور الخماسي المكور القائم على اساس خمسة نقاط زوال ، لبلورة كافة اطراف العمل المنظوري ومحورته بشكل مركزي في قلب اللوحة .. ومن أشهر الفنانين الرقميين الذين أبدعوا في أعمالهم التشكيلية في تطويع المنظور الهندسي الوصفي وإتقانه بسلاسة وتمكن في لوحات مناظرهم الطبيعية والخلوية ، الفنان الرقمي البرتغالي المعاصر العالمي " أندرياس روشا *Andreas Rocha* " ... والذي قدم مجموعة كبيرة من الأعمال الفنية التي تمحورت حول محور إتقان المنظور الهندسي السليم في تنفيذ العمل الفني الخلوي التصويري ... أنظر النموذجين الفنيين في (شكل 76) من أعمال الفنان المذكور .



(شكل 76)

الفنان الرقمي البرتغالي العالمي " أندرياس روشا *Andreas Rocha* " ... واثنين من اللوحات من أعماله العملاقة في مجال الرسم والتصوير الرقمي لموضوع الخلفيات الخلوية المبنية على أسس وقيم منظورية هندسية سليمة ... وترتيب الأعمال من اليمين إلى اليسار على النحو التالي :

1 - : (البرج *The Tower*)

2 - : (الستائر الكهربائية *Electric hues*)

.. والفنان استخدم في تنفيذ جميع أعماله بشكل عام أسلوب الرسم والمعالجة الرقمية على برنامج *Adobe Photoshop* ، أما الأداء التنفيذي كان باستخدام تقنية شاشة الرسم الرقمي الإحترافية - *Cintiq* (سنيتيك) من شركة : وايبكوم ... والأعمال المعروضة تم انتاجها في فترة ما بين 2018 حتى 2021 .. وتم نشر المجموعة على صفحة الفنان في موقع *DeviantArt* العالمي .. إضافة إلى موقع الفنان التسويقي الخاص به :

<https://www.deviantart.com/andreasrocha/gallery> ...

وفي خضم هذا البحر الواسع المترامي الأطراف ، لم تخلو اعمال فنانينا المبدعين الأعماء من التعبير عن هذا المجال الرائع ، فكانت لأبناءنا الفنانين من خريجي كليات الفنون الجميلة العديد من الإنتاجات المرموقة والمبهرة في هذا المضمار ،، وقدموا لجمهورهم ومتذوقهم الكثير من الأعمال بهذا الصدد ، ونذكر من بينهم

على سبيل المثال : الفنانة المصرية المعاصرة : " نهي إبراهيم شعبان *Noha Ibrahim Shaaban* " والتي سبق الحديث عنها في مجال رسوم الفانتازيا الرقمية -السابق الذكر - إضافة إلى ذلك ، أبدعت فنانتنا المتألقة أيضاً في مجال تطبيق تفاصيل فنيات المنظور الوصفي على الكثير من أعمالها الخلوية التي عبرت بشكل خاص عن تصوير مناظر المشيدات المعمارية والطبيعة الحضرية لكثير من المناطق ، سواء كانت موجودة بشكل فعلي كمعلم مكاني حقيقي ، او كانت خلفيات لمناظر تصويرية من وحي خيال الفنانة وابتكارها الخاص ، وفعلاً أبدعت في التعبير عنها من خلال زوايا ولقطات كاميرا متنوعة ، تفاوتت ما بين زوايا (عين النملة المنظورية *Ant Eye Perspective*) أو (عين الطائر المنظورية *Bird Eye perspective*) .. وهنا تجدر الإشارة : إلى أن الفنانة المتألقة : نهي إبراهيم *Noha Ibrahim* حقيقتاً ، قدمت كثيراً من العطاء الفني الزاخر ، لمكتبة الفنون البصرية الرقمية ، وأثرتنا بكثير من الإنتاج الفني البصري المتميز والراقي ، الذي عبر بحق عن كفاءة الفنانة وتمكنها من صنعها الفنية واحترافها العالي المستوى ، سواء كان على الصعيد التشكيلي الكلاسيكي في تطبيق أساسيات الفنون البصرية الناجحة والقيمة ، او في تطبيق الأداء الرقمي المتطور والمعاصر ، وإجادتها في استخدام أدواتها ضمن هذا النطاق المعاصر ، ولها إنتاج وافر بهذا الخصوص .. أنظر مجموعة البانورامات الخلوية متعددة الزوايا (شكل 75) (1).

صفحة Art Station ... <https://www.artstation.com/nohaibrahim> - (1)

الفنانة الخاصة على الموقع العالمي :



(شكل 77)

الفنانة المصرية المعاصرة " نهى إبراهيم Noha Ibrahim "... وأربعة لوحات بانورامية رقمية ملونة , تمثل مشاهد لمشيدات ومعالم حضارية عالمية مختلفة تم تنفيذها بتقنية الرسم والتلوين الرقمي بأسلوب مبني على مراعاة كامل الأسس والمعايير والقيم المنظورية والبنائية الهندسية , لتحاكي في تنفيذها الواقع بمنتهى الدقة والتمكن ,, وأظهرت الفنانة كعادتها مدى احترافيتها وتمكنها الإبداعي والفنانة استخدمت تقنية الرسم الرقمي على برنامج Adobe Photoshop باستخدام جهاز الرسم اللوحي Wacom

11 مجال تصميم شخصيات الألعاب الإلكترونية والرسوم المتحركة والرسوم التوضيحية *Character Design*

من أشهر وأهم مجالات الفنون بشكل عام , لأنها تخدم قطاعاً كبيراً وشريحة واسعة من ميادين الفنون البصرية وفنون الوسائط المتعددة بشكل عام ,,, وهي من أكبر المجالات التي تعبر عن اهتمامات هذا العصر من ناحية إنتاج الفنون الترفيهية والتي أصبحت محل تركيز كثير من فئة المشاهدين والمستخدمين سواء من طائفة الاطفال أو الشباب أو حتى الكبار وخاصة ميدان الألعاب الإلكترونية , الذي اجتاحت عالم الأطفال والشباب وحتى الكبار بجميع أحناسه ومستويات ثقافته , الأمر الذي دفع بعدد كبير من محترفي الفنون البصرية من التوجه إلى إنتاج متطلبات هذا الميدان بشكل خاص , وكان من أهمها (تصميم الشخصيات المحورية المختلفة *Character Design*) سواء كانت هذه التصميمات تخص ألعاباً إلكترونية أو لأفلام رسوم متحركة ترفيهية أو تعليمية ثنائية أو ثلاثية الأبعاد ... إضافة إلى شخصيات أبطال الرسوم التوضيحية التي تخص فئة الأطفال أو الشباب من أبطال خارقين أو مغامرين أو أسطوريين أو وحوش.... الخ ذلك من الموضوعات التي استهوت هذه الفئة الحديثة السن ... أنظر الأشكال (78 ، 79 ، 80)



(شكل 78)

الفنان : "عمر سامي Omar Samy" : ثلاثة أعمال فنية توضح ثلاث تصاميم لشخصيات محورية في لعبة إلكترونية رقمية ملونة , متقنة التنفيذ , وتم استخدام تقنية (الفوتو مونتاج الرقمي Digital Photomontag) والدمج بين الرسم والتراكيب الحقيقية لبعض اجزاء الصورة الخاصة بالخامات والملابس بشكل خاص , والاعمال تم تنفيذها رقمياً على برنامج : **Adobe Photoshop** وباستخدام جهاز الرسم اللوحي **Wacom intuos** .. وجميعها معروضة على صفحة الفنان الخاصة على الموقع الفني العالمي : " Art station " إضافة إلى صفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة ..
<https://www.artstation.com/omarsamy>

وظهر مجموعة كبيرة من الفنانين الشباب العرب ، ممن أحترفو بتمكن شديد هذا المجال المبهر ، وقدمو لساحة الفنون البصرية إنتاجاً متميزاً ومبهرًا بشكل كبير ، ومن أشهر الأسماء التي لمعت بجدارة في هذا التخصص ، الفنان المصري الشاب عمر سامي *Omar Sami* والذي قدم مجموعة كبيرة من تصميمات شخصيات الألعاب الالكترونية وصلت في مستواها إلى العالمية ، من ناحية الجودة والإبداع المتقن والإحترافية ... راجع (شكل 78) السابق ...

ولم تقل تصاميم شخصيات أفلام التحريك أو الرسوم التوضيحية بالأساليب والتقنيات الرقمية ، إبداعاً وإبداعاً عن شخصيات الألعاب الألكترونية ، فجميعها اتسم بالمهارة والالتقان والاحترافية والجاذبية التي لم تخلو منها أي من هذه الحقول والميادين الممتعة على المستوى البصري والفكري ، ومن أشهر من تألق من فنانين هذا المجال من الفنانين العرب ، الفنانة نهي إبراهيم ، والفنان يحي حسن ، والفنان إسلام فكري ، والفنان عمر سامي والفنان محمد سعد - السابقين الذكر جميعاً ... أنظر (شكل 79) من تصاميم الشخصيات في الرسوم التوضيحية للفنان الرقمي المبدع (إسلام فكري *Eslam Fekry*) .



(شكل 79)

الفنان المصري المعاصر " إسلام فكري *Eslam Fekry* " : ثلاثة من أعمال الرسم التصويري الرقمي الملون ، تعرض ثلاثة من تصاميم الشخصيات الخاصة بأعمال رسوم توضيحية لقصص مختلفة تنوعت ما بين القصص الخرافية والقصص الديني والقصص البطولية . والأعمال تم إنتاجها باستخدام الرسم على شاشة الرسم الاحترافية انتيوس واكوم تنفيذاً من خلال تقنية برنامج ادوب فوتوشوب ... وتم نشرهما في صفحة الفنان الخاصة على موقع فيسبوك الرسمي :

<https://www.facebook.com/eslam.fekry.7>

وإضافة إلى من تم ذكرهم من أسماء لامعة في هذا المجال , تألق أيضاً من طلابي المبدعين :الفنانة الشابة (بسمة إبراهيم . شقيقة الفنانة نهي إبراهيم , والتي سبق الحديث عنها في كثير من محاور الفنون الرقمية المختلفة ... وللفنانة الشابة إنتاج وافر وخصب في مجال تصاميم شخصيات الرسوم التوضيحية , لكثير من الانتاج الروائي والقصصي والأسطوري , واتسمت اعمالها بالجودة والاحترافية والفراة والتميز, كما أن للفنانة بصمتها الخاصة في هذا الميدان , والتي يسهل على المشاهد المتلقي تمييزها بسهولة مؤكدة.. أنظر (شكل 80) من تصاميم شخصيات الرسوم التوضيحية للفنانة الرقمية المبدعة (بسمة إبراهيم *Basma Ibrahim*) .



(شكل 80)

الفنانة المصرية الرقمية الشابة " بسمة ابراهيم *Basma Ibrahim* " : ثلاثة من أعمال الرسم التصويري الرقمي الملون , تعرض ثلاثة من تصاميم الشخصيات الخاصة بأعمال رسوم توضيحية لقصص مختلفة تنوعت ما بين القصص الأسطوري والقصص الروائي .. والقصص الخرافية , والأعمال تم إنتاجها باستخدام شاشة الرسم اللوحية وعن طريق تقنية برنامج : أدوب فوتوشوب ... وتم نشرهما في صفحة الفنانة الخاصة على موقع *Art station* الفني العالمي :

basma_ebraheem_shaaban.artstation.com

ومن أفضل من احترف هذا المجال بحق من أبنائنا الأعزاء الفنانين المبدعين العرب الشباب , وكان له من الإنتاج الشيء الغزير والمتميز في نفس الوقت , الفنان الجرافيكي الشاب , خريج معهد الفنون السينمائية والمسرحية بالقاهرة : (أحمد سليم *Ahmed Selim*) , والذي تميز بإنتاجه الجذاب للغاية ... والذي غطى مجالات وموضوعات كثيرة من خلال تصاميم شخصياته التي خدمت كلا من مجالات

الرسوم التوضيحية ومجالات التحريك , والألعاب الإلكترونية وغيرها ... مستخدماً في إنتاجه تقنيات شاشة وايكوم الرقمية للرسم والتصميم , تنفيذاً على برنامج الرسم ومعالجة الصور الاحترافي الشهير : أدوب فوتوشوب *Adobe Photoshop* .. أنظر (شكل 81) فيما يلي ..



(شكل 80)

الفنان المصري الرقمي " أحمد سليم Ahmed Selim " : ثلاثة من أعمال الرسم التصويري الرقمي الملون , تعرض ثلاثة من تصاميم الشخصيات الخاصة بأعمال رسوم توضيحية لقصص مختلفة تنوعت ما بين القصص الأسطورية والقصص الروائي .. والقصص الكرتوني الخيالي , والأعمال تم إنتاجها باستخدام شاشة الرسم اللوحية وعن طريق تقنية برنامج : أدوب فوتوشوب , وتم نشرهما في صفحة الفنان الخاصة على موقع behance الفني العالمي :

https://www.behance.net/Ahmed_Selim_Art

إضافة إلى ذلك .. اعتمد الفنان مراحل تنفيذ الشخصية بطريقة احترافية , من خلال تصميم ما يسمى فنيا ب: *Character Card* أو كارت توضيح ملامح انطباعات الشخصية المصممة بشكل مفصل ودقيق لخدمة أغراض درامية , وتفاعلية , سواء كانت الشخصية المنتجة , لغرض رسوماً توضيحية أو فيلماً متحركاً , أو لعبة إلكترونية ,, أنظر (شكل 82) أدناه .. والذي يعرض ثلاثة من كروت الشخصيات الفنية المختلفة *Character Cards* , والمصممة رسماً رقمياً باستخدام برنامج أدوب فوتوشوب .



(شكل 80)

الفنان المصري الرقمي " أحمد سليم Ahmed Selim " : اثنين من أعمال كروت الشخصية الرقمية الملونة
Colored Character Digital Card , تعرض اثنين من تصاميم الشخصيات الخاصة بأعمال وسائط
متعددة مختلفة وتنوعة

خاتمة البحث :

وعلى إعتبار أن الفن الرقمي فناً معاصراً واسع الإنتشار بدرجة ظاهرة وملموسة إلى حد كبير ,
وعليه فإن فن الرسم والتصوير الرقمي : *Digital Drawing & Painting* , يعد عملاً فنياً بصرياً
بنسبة كبيرة ... وعليه , وبعد ماتم طرحه في هذا البحث من الدراسة والتحليل لكثير من المعطيات
والعوامل والأبعاد المؤثرة في تأثيرات الفنون الرقمية , ومدى أهميتها , وفعاليتها مقارنةً بالفنون البصرية
الكلاسيكية والتقليدية , فإنه لابد من توليتها أهمية كبرى واهتماماً بالغاً من الناحية التطبيقية والأكاديمية
في مراكز تعليم الفنون البصرية المختلفة وتطبيقها , من أكاديميات فنية ومعاهد وكليات عليا أو كليات
متوسطة , , ولابد من توفير آليات وتقنيات التدريب على إنتاجها بشكلٍ أساسي وليس مجرد ثانوي .

كما أن البحث سلط الضوء على مستويات الإبداع لدى الفنانين العرب الشباب والتي لا تقل
في مستوياتها ومهاراتها واحترافها عن مستوى المهارة والاحتراف لدى فنانين دول أوروبا وأمريكا وشرق آسيا
,, ولكنهم فقط يحتاجون إلى التوجيه والتشجيع والإعداد الملائم لمتطلبات هذا الفن العصري الجديد ,
والذي تحول إلى ركيزة رئيسة ومحور هام من محاور الفن الحديث , , مقدماً خدماته للعديد من ميادين
وحقول فنون الوسائط المتعددة المعاصرة ... فكان بذلك فناً مشتركاً وهمزة وصل ... يمكن تدريسه

وتطبيقه في كل من : اقسام الوسائط المتعددة المرتبطة بعلوم الحاسوب , أو في اقسام الفنون البصرية المرتبطة بالعلوم التشكيلية والجغرافية الإبداعية .

Conclusion of Research

Hence, it is considered from digital painting and digital painting, which is considered a visual art work ... Accordingly, and after what was presented in this research from the study and analysis of many fine arts and the factors and dimensions affecting the applied digital arts, their importance, and their effectiveness compared to traditional and traditional arts, it is necessary Its attachment to a major interest and interest from the practical and academic point of view in fine arts education centers located in fine arts, such as art academies and with higher colleges or intermediate colleges, and training mechanisms and techniques must be mainly used to produce them and not just secondary. In the shadow of a wave in her levels, skills, and professionalism in the skill level in her levels and her skills in skill levels, goodbye and a talk about his judgment, goodbye and a talk about his judgment. After you become able to teach, you can teach with it in: Multilingual departments, or in visual arts departments in creative plastic and graphic sciences.

مصطلحات للدراسة : Terminology for study :	
المصطلح	تعريفه
الرسم الرقمي Digital painting:	هو الرسم الذي يستخدم فيه الفنان تقنيات الحاسب والأجهزة الرقمية المختلفة كالتابلت والقلم الرقمي لصنائه وإبداعه
التصوير الرقمي Digital photography :	عملية استخدام الأجهزة الإلكترونية والحاسوبية لالتقاط وإنشاء وتحرير ومشاركة الصور الرقمية والفوتوغرافية أو المسح الضوئي وصور الأقمار الصناعية ليقوم الفنان بالتعديل عليها وتغيير ملامحها
النحت الرقمي Digital sculpture: :	هو عملية تغير الأشكال والتفنن في تجسيمها بشكل ثلاثي الأبعاد باستخدام الحاسب وبرامجه وتقنياته المتخصصة في ذلك
الإنشاءات الرقمية Digital installations:	التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمنحوتات بطبيعتها الثلاثية الأبعاد، إلا أنها تقدم تصنيفاً جديداً من حيث علاقتها بالمشهد، حيث يمكن أن تقدم هذه الأعمال الفنية التفاعلية (التي تستجيب لمدخلات الزوار من لمس أو حركة أو غيرها) وتسمى أحياناً : Interaction Arts
مقاطع الفيديو والصور والرسوم المتحركة Video, animation and the moving image :	تنقسم هذه التقنية إلى نوعين رئيسيين هما العمل الحي من جهة والرسوم المتحركة والعوالم ثلاثية الأبعاد من جهة أخرى
والفن الشبكي Networked art: :	يمثل الكائنات العملية التي تبحث في الهياكل الحاسوبية والشبكات. وتشمل جميع الأعمال التي يراد توزيعها عبر الشبكة لنشر رسالة سياسية أو اجتماعية مستنداً إلى التفاعلات البشرية
فن البرمجيات Software art :	يركز هذا الفن بشكلٍ دقيقٍ على الهندسة الحاسوبية كأنظمة الاتصالات والمرئيات التي تنتج من مجموعة الخوارزميات والشفرات , حتى وإن كانت تترجم في النهاية عبر أشكال فنية جمالية
الوسائط المختلطة Mixed Media:	تعتبر أساساً للوسائط الرقمية، وتنطوي على عناصر ذات طبيعة مختلفة يمكن ربطها وتنسيقها لخلق تجربة جديدة كاملة. ويمكن من خلالها الجمع بين الأعمال الفنية كالصوت والصور والواقع المعزز والتحريك وغيرها لإنتاج عملٍ فنيٍّ جديدٍ

الوسائط المتعددة Multimedia Art :	هي قوالب العرض ووسائطه للفنون البصرية المختلفة
الفن الهندسي أو فن ال Fractal	هو الفن القائم في إبداعه على أسس هندسية ومعمارية
كمونودور أميجا Commodore Amiga	وهي مجموعة من الحواسيب الشخصية التي أنتجتها شركة Commodore لإنتاج أول فن رقمي
الرسم الرقمي Digital Artist	هو الفنان العاكف على إبداع فنه بتقنيات وآليات رقمية تعتمد في أساسها على مهارات الحاسوب
الرسم التقليدي Classic Art	تعني عملية الرسم اليدوي على وسائط فنية مختلفة , من أوراق أو أسطح قماشية أو حجرية أو زجاجية الخ وذلك تأديةً بالطرق الكلاسيكية التقليدية المتعارف عليها عبر العصور والأحقاب المختلفة
استوديو الرسم التقليدي Classic Atelier	هو مرسوم مجهز بوسائل رسم تقليدية كلاسيكية , تعارف عليها الفنانون والمصورون والمبدعون منذ فجر التاريخ
واستوديو الرسم الرقمي Digital atelier	هو مرسماً مجهزاً وفق أحدث الأساليب والمعدات والتقنيات التكنولوجية الحديثة ليعدو مناخاً مناسباً للاعدادات لممارسة فن الرسم الرقمي وفق أحدث تقنياته
الطباعة بالشاشة الحريرية Silk screen	هي أحد التقنيات الكلاسيكية المستخدمة في الطباعة , قبل إنتاج الطباعة الحاسوبية الرقمية , , , وتتم من خلال استخدام شيلونة الشاشة الحريرية
الإنطباعية	هي مدرسة فنية مخضرة حيث اضحى الرسامين فيها تحفزهم التطورات العلمية والتكنولوجية وتأثيرات التقنيات الحديثة بشكل عام
التقسيمية Divisionism	أسلوب فني ابتكره الفنانون الانطباعيون ويتم من خلاله تقسيم الألوان وتحليلها وفقاً لما توصلت إليه النظريات العلمية التي وضعها الفيزيائيون المعاصرون
الصورة الرقمية Digital Image	هي صورة معالجة بجهاز الحاسوب، وتتكون من وحدات صغيرة تصل إلى ملايين عدة من المربعات التي تدعى البكسلات (Pixels)
البكسلات Pixels	البكسل هو أصغر وادق عنصر من عناصر الصورة الرقمية
التنقيطية Pointism	هو نظام في الأداء الفني يعتمد على تحليل الألوان، واستيعاب ظواهرها وعلاقتها بالضوء المحيط

نتائج وتوصيات الدراسة :

يستخلص البحث في نهايته مجموعة من النتائج يترتب عليها مجموعة هامة من التوصيات , لا بد من النظر إليها بعين الاعتبار , وكانت النتائج على النحو التالي:

أولاً : نتائج البحث :

- فن الرسم والتصوير الرقمي , فرع هام حقيقةً من افرع الفنون البصرية الحديثة , ولا يمكن إغفاله وإهماله وعدم الاهتمام به .
- يجمع الرسم الرقمي *Digital Art* بين أصالة الرسم اليدوي الكلاسيكي باستخدام الأقلام والألوان والأوراق أو مسطحات الكنفاس , وبين عصرية الأداء الرقمي المتطور المتقن والدقيق والمتألق في تقنيته المتطورة .
- تتجسد قوة تقنيات الفنان من خلال أدائه اليدوي معززاً بأساليب أدائية رقمية مساعدة , لتظهر مهارته وقوته في الأداء التنفيذي بأسلوب متقدم .
- الرسم الرقمي فن , يخدم كل من مجالات : الرسوم التوضيحية , *Illustration* و تصميم أغلفة الكتب , *Book Cover Design* ورسوم شرائط القصص المتابعة , *Comic Strips* والرسوم الهزلية الساخرة , *Caricature* والرسوم التخطيطية والتصاميم المختلفة , *Graphic Art Designs* وتصاميم الملصقات والاعلانات المختلفة , *Posters Advertising design* إلى غير ذلك من الرسوم الخاصة بتصوير الوجوه والملامح والمناظر المختلفة *Different Paintings Art* ومن هنا كانت ضرورة تسليط الضوء على أهميته.

- ثانياً : توصيات البحث :

- أما ما أوصت به هذه الدراسة من أمور , تلخصت في البنود التالية :
- ضرورة الاهتمام البالغ بتدريس مواد الرسم حسب تقنياتها الرقمية المتطورة في مختبرات طلابنا الحاسوبية في التخصصات الفنية المختلفة وفق معايير التقنيات الحديثة والمعاصرة والمواكبة لتقنيات الفنون الرقمية العالمية.
- ضرورة توفير ما يلزم من أجهزة ومعدات تقنية في مختبرات أقسام التصميم بكافة فروعها , من تصميم جرافيك , وتصميم وسائط متعددة , وتصميم سينمائي , لتخدم آلية تدريس مناهج الرسم الرقمي المعاصر , وفق أعلا معايير وتقنيات الجودة العالمية.

- ضرورة توفير البرامج الرقمية المعززة لدراسة موضوعات الرسم الرقمي . مثل *Corel Painter* : و *Corel Draw* و *Painter* إضافة إلى برنامج *Adobe Photoshop* والمعتمد بطبيعة الحال في مختبرات معظم الجامعات العربية
- إن طلابنا في بلادنا العربية وجامعاتنا المحلية , لا يقلقوا شأناً عن طلاب الجامعات العالمية , ومن هنا كانت ضرورة المساواة في توفير التقنيات والأجهزة والمعدات اللازمة في مختبراتهم ليتسنى لهم مواكبة ركب فنانين العالم الناشئين , ولا يتأخروا عنهم بسبب تقاعس المعنيين عن توفير ما يلزم لإتمام تعليمهم على النحو المتميز !

References :

قائمة مراجع ومصادر البحث

- [1]- Gong Keli. *Analysis of digital painting digital art features [J]. Silk Road*. 2014 (02)
- [2]- Zhu Dafa. *On the relationship between traditional painting and digital painting[J]. Journal of Hubei University of Finance (Humanities and Social Sciences)*, 2013(10)
- [3] Cai Gongyi. *Digital painting art research and practice [J]. Shanghai Artists*. 2011 (01)
- [4] Meng Xianbo. *Painting art extension and development - Digital Art[J]. Fine Arts*. 2006 (10)
- [5] Jingtao Cui. *Research on Digital Painting Art and Its Diversified Performance. Guangdong Province Zhuhai College of Jilin University, Zhuhai, Guangdong* (10)
- [6] Mumtaz Mokhtar. *A Conceptual and Technical Discussion on Digital Painting as New Media Art. University Teknologi MARA*
- [7] Carol H. Faber. *Digital Drawing Tablet to Traditional Drawing on Paper / A Teaching Studio Comparison- Iowa State University, College of Design, Department of Art and Design, Ames, Iowa, United States*
- [8] Seymour Simmons , *Drawing in the Digital Age: Observations and Implications for Education/ Department of Fine Art, Winthrop University, Rock Hill, SC 29733, USA*
- [9] professor of architecture, William J. Mitchell, an article entitled: "The Death of Drawing" (Mitchell 1989). (CADD) Harvard UNV



تصميم التجربة كروية للتسويق الحضري ميزة تنافسية بين مؤسسات صناعة "أثاث الشارع"

إيمان بنت عبد اللطيف الصكلي

دكتوراه بالمدرسة العليا لعلوم وتكنولوجيا التصميم، جامعة منوبة-تونس / أستاذة في المعهد

العالي للفنون والحرف بالمهدية، جامعة المنستير، تونس

imenimen.sakly@gmail.com

الملخص

منذ أكثر من خمسين سنة، تحتل مؤسسة "جون كلود ديكو" « Jean-Claude Decaux » المرتبة الأولى عالمياً في التواصل بالفضاء الخارجي. أما فيما يتعلق بالعلامات التجارية للأثاث في الفضاءات الحضرية، فإنها تتوزع بين أقطاب وموازن عالمية لا تنفك تطوّر من استراتيجياتها التواصلية المعلنة منها، والخفية بالفضاءات العامة الغربية في علاقتها بالمواطن.

وهي على نفس تلك الوتيرة، تُوظف أدواتها في التصميم لبسط نفوذها الاستراتيجي بالجمال العام، كما خلقت مؤسسات أخرى معاصرة عبر قوة علاماتها التجارية مجالات مفتوحة للتعبير، وللعمل الحر، "التصميم الديمقراطي". علاوة على ذلك، تتقاسم كبرى المؤسسات الصناعية، من خلال تصاميمها المتوافرة بالفضاءات الحضرية العامة، تاريخ علاماتها التجارية. وهي بذلك، تتقاسم مع المثلقي حفريات علامتها وعمليات تطورها، وقيمها التي تروج لها، والتي تسعى من خلالها إلى ترسيخها. وتدار سيناريوهات التقائية عالية الجودة بين المستعمل والعلامة التجارية في هذه الفضاءات الحضرية.

إنّ الرّبح الكبير لهذا الكمّ الهائل من العلامات التجارية بالفضاء الحضري، هو أقوى شاهد على اشتداد التنافس بين المؤسسات الصناعية. وقد تحقّق ذلك من خلال التركيز على مفهوم تجربة التصميم، مجاراً ومسايرة لنضج المستعمل السلوكي والمعرفي، ومراعاه لتطوّر احتياجاته النفسية والاجتماعية والثقافية، وتثميناً لقيمه وقيمه الإنسانية. ويمكن أن تُنتج المؤسسات المصنّعة لأثاث الشارع التجربة وتبتكرها، إذا ما أرادت أن تشتغل على تصميم القيمة المقدّمة للمشروع. وليس ذلك من النواحي الاستعمالية فحسب، بل وأيضاً من النواحي الخصوصية لهويات المدن وصورها. كما يمكنها أن تُثبت أمانة شعاراتها، وأن تعكس مصداقية علاماتها، إذا ما رغبت في التفوّق على منافسيها من نفس القطاع.

الكلمات المفتاحية: تجربة التصميم، تسويق المدن الحضرية، الهوية، العلامة التجارية، إدارة التصميم، المؤسسات الصناعية، المستوى التكتيكي، التنافس.

Experiential Design for urban spaces as a competitive advantage among the "street furniture" industry

**Imen Bint Abdellatif Sakly/Doctor of Design Sciences and Technologies
Tunisia**

imenimen.sakly@gmail.com

Abstract :

For more than fifty years, the Jean-Claude Decaux Foundation has been ranked first in the world, holding the global prominence in communicating with outer space. As for the brands of furniture in urban spaces, it is distributed among global poles and scales that continue to develop its announced communication strategies, and its hidden ones in Western public spaces, while dealing with its relationship with citizens. At this same pace, it exploits its design tools to extend its strategic influence in the public sphere, and has created other contemporary institutions, through the power of its brands, open spaces for expression, free action, and "democratic design". Moreover, the major industrial establishments, throughout their designs available in public urban spaces; share the history of their trademarks, and in this way, they share with the recipient the excavations of their mark, their development processes, and the values they promote, through which they seek to establish them. High-quality automatic scenarios are managed among the user and the brand in this urban space. This great momentum for the availability of this amount of brands in urban space is the strongest evidence of the intensification of competitiveness between industrial enterprises. This is achieved by focusing on the concept of **experiential design** while keeping pace with the user's behavioral and cognitive maturity, as well as the evolution of his psychological, social and cultural needs and appreciating its human values. Enterprises that manufacture street furniture can produce **experiment** if they want to work on designing the value offered for the project (not only in terms of use, but also in terms of the specific aspects of city identities and its illustrations) to prove the honesty of their slogans and reflect the credibility of their signs especially if they want to outperform competitors from the same field.

Key words: Experiential design, urban city marketing, identity, branding, design management, tactical level, industrial enterprises, competitiveness.

I. الجزء النظري: الإطار المنهجي

منهج البحث: المنهج التحليلي الوصفي

أولاً: مشكلة البحث

تتسابق المؤسسات الصناعية المختصة في تصميم "أثاث الشارع" حول تبني مفهوم "تجربة التصميم". فقد حقق مصطلح تجربة التصميم نقلة نوعية من الناحية التكتيكية، إذ خلق المفهوم ديناميكية تسويقية، فأصبح محور اهتمام جلّ أو أغلب المؤسسات التي تطمح إلى التميّز والتفوّق. ومع ذلك، تختلف التوظيفات القائمة للمفهوم من مؤسسة إلى أخرى تبعاً للرؤى والأهداف والمقاصد التسويقية المحددة. فبعض المؤسسات ليس لها من هدف إلاّ الربح والكسب المادي من خلال استثمار التجربة لجذب العملاء وإقناعهم بجدوى منتجاتهم وأهميتها، ممّا يسمح لها بتحقيق أكبر نسبة مبيعات وإغراق الأسواق العالمية بنفس التصميم الهادفة إلى التجربة. في حين يشتغل المصمّمون في بعض المؤسسات الأخرى على القيم (الفكرية، والعاطفية، والاجتماعية، الجمالية...) ويسعون إلى ربطها بهوية المدينة وصورها. وهدفهم من وراء ذلك، هو التأثير في الأفراد إيجابياً، وجذب المواطنين أو الزائرين نحو مدينة ذات خصوصية بعينها. من هذا المنظور، فإنّ خلق التجربة هو حجر الزاوية للتجديد والتفرد الحضري. ويقتضي ذلك، الارتكاز على المضامين والرؤى الفكرية المرسلّة، دون إغفال هامش الربح أيضاً. وفي خضم زخم التجارب، نشير

السؤال الآتي: هل نجحت هذه المؤسسات في تعزيز العملية التسويقية الحضرية؟

ويمكن تلخيص إشكالية هذا المقال في تفاوت مستويات الفهم القائم لتصميم التجربة في المستوى التسويقي بين القيم الصناعية "البراغماتية" للمؤسسة وبين القيم الصناعية الوطنية. يثير هذا المقال إذن، قضية مركزية ألا وهي تعرّث مفهوم التجربة التصميمية في بعض المؤسسات الصناعية المختصة في الأثاث الحضري. فهل يكفي الارتكاز على مفهوم تصميم التجربة كأساس لتسويق الأثاث وخوض تجربته التصميمية فقط... أم ينبغي أن نمتح فضلاً عن ذلك من مفاهيم أخرى أرسخ، تتعلّق بالأثاث كروية تكتيكية لتسويق المدن الحضرية وتمييزها عن غيرها من المدن؟

ثانيا: أهداف البحث

الهدف الرئيس من هذا البحث، هو منهجة الضوابط التسويقية للتجربة التصميمية، من أجل تعزيز هوية المدن، وإبراز مركزاتها، والإلمام بخصائصها المتمثلة في العلامة التجارية والانفتاح على المفاهيم الفلسفية وإعادة التفكير فيها تصميمياً وفق طبيعة المجتمعات وخصوصياتها.

-وأما الهدف الثاني فهو تسليط الضوء على مفهوم التجربة التصميمية في كثير من جوانبها ومدى الحاجة إلى تغيير النظرة الأحادية عنها وتجديدها.

ثالثا: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه:

-يستمد أهميته من كونه يتجاوز الإشكاليات البديهية للعملية التسويقية المتحورة حول تجربة الأثاث في الشارع من أجل التجربة لذاتها، ليعالج إشكاليات أكثر عمقا ترتبط بالتجربة المتفردة وتثمينها والعمل على تطويرها لتكون هدفا لتسويق المدن الحضرية.

-يميز بين مؤسسات "أثاث الشارع" التي تفتقر إلى رؤية وطنية لتطوير المدن وصورها وبين المؤسسات التي تضع العملية التسويقية صلب رؤاها التكتيكية.

-يسهم في فهم القيم المضافة للمشروع التصميمي، والذي يؤثر في تبلور الفكر التصميمي القائم على التجربة في ذهن المصمم الصناعي.

- يؤصل مفهوم التجربة، ويثمنها.

رابعا: حدود البحث:

- **الحدود الموضوعية:** تصميم التجربة كميزة تنافسية بين مؤسسات صناعة "أثاث الشارع"، وأثر المنجز التصميمي في التسويق للمدن.
- **الحدود المكانية:** أمثلة من تصاميم تجربة أثاث المدن الغربية.
- **الحدود الزمانية:** ركز البحث على تصاميم العشرية الأخيرة من القرن الحادي والعشرين، إلا أن توضيح جذور المفهوم "تجربة التصميم" وتوضيح أصوله التسويقية، اقتضى تسليط الضوء على الفترة الممتدة من ثمانينات القرن الفارط إلى اليوم.

خامسا: تحديد المصطلحات

الأصول التسويقية لتجربة التصميم

تُرادف "التجربة" في العلوم الصحيحة معنى التجريب، بغية استخراج نتائج معرفية كونيّة. أمّا بالنسبة إلى العلوم السلوكية المتعلقة بالمستهلك، فالمصطلح يعني المعيش الشخصي، المشبع بالمشاعر والانفعالات التي تتحكّم فيها المثبرات، والتي تتوقّف الاستجابة فيها على خدمة أو منتج هو حامل لها. ومقتضى السياق أن نُعرّج على أنّ مفهوم "تجربة المستهلك" ظهر مع الثمانينات في دراسة سلوك المستهلك. حيث أدّى اجتهاد المفكرين "هولبروك" (Hoolbrook) و"هيرشمان" (Hirshmann) إلى فسح المجال للتعمّق في تحليل تجارب الظواهر الاستهلاكية في علاقتها بـ "نظرية ثقافة المستهلك" (*consumer culture theory*) من ناحية دراسة السلوك الثقافي للمستهلك. ومن ناحية أخرى، "أثرى مفهوم تجربة الاستهلاك المجال التسويقي بداية من التسعينات، نتيجة للأعمال العظيمة التي قدّمها هولبروك سنة 1982"¹. كما أفاد هذا المفهوم أيضا من أعمال "لادواين" (Ladwein) لدراسة أثر علاقة الفضاء الذي يعيش فيه الفرد في التجربة الخدمية. حيث جرّأ "لادواين" الروابط بين ظواهرها (توصيفية؛ استكشافية، وتصنيفية وسببية)، وأثار مجموعة من الأسئلة المرتبطة بالفضاء التجريبي، وقدرته على خلق مفهوم التجربة². والسؤال الذي يثير الجدل هنا، كيف يمكن أن تخلق المؤسسة التجارية القيمة في التجربة الاستعمالية؟

II. الجزء التحليلي: الإطار الإجرائي

1. القيمة المقدمة للمشروع "تجربة أثاث الشارع": إعداد عمليات التسويق للتجربة

التصميمية وإجراءاتها التنافسية:

تنبئ بعض المؤسسات الصناعية انعطاف "الاقتصاد التجريبي"، وذلك بجعل المنتجات والفضاءات المحتوية لها على محورين يتقاربان مع فحوى تصميم التجربة وإثرائها"³.

وعلاوة على ذلك، تختار بعض المؤسسات وجهة "التنمية الاستهلاكية" التي باتت تمتلك الريادة في التعبير عن القيم الإنسانية وإعادة غرسها. وقد ترسّخت هذه الأفكار وتعزّزت بفضل تأثيرات كل من هولبروك وهيرشمان اللذين وضعاً منذ سنة 1982 تحت مجهر البحث والتمحيص والتحليل قيم وعاطفة وحساسية

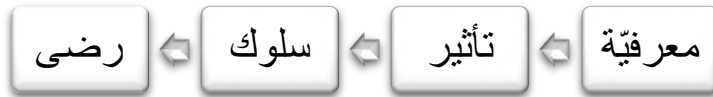
الأفراد تجاه المحيط التجريبي الذي يتواجدون فيه. وقد أوليا أهمية فائقة "للاستهلاك الإيدوي" (consommation hédonique) الشبقي الذي يُقدّس اللذة، لكونه جزءاً لا يتجزأ من السلوك الاستهلاكي المسؤول عن تكوين الارتباطات بين المشيرات الحسية والعاطفية، وإيصالها إلى التجربة الوجودية.

من هذا المنطلق، يعتبر المفكران "هولبروك" و"هيرشمان" (Hirschman, Holbrook) التجربة الاستهلاكية حالة وعي ذاتية أو جمعية تتخللها ممارسات إجرائية واستجابات متعينة تحكمها معايير جماعية، ولذا يمكن إعادة تعريف التجربة على أنها صيغة تقييمية للمسار الاستهلاكي للخدمة أو المنتج.

1.1. نماذج من التجربة الاستهلاكية

بحسب الباحثين "هولبروك" و"هيرشمان" مُنذجت التجربة الاستهلاكية إلى قسمين أساسيين يشرحان مراحل التجربة الاستهلاكية، ويُختصر النموذج الأول بـ «CABS»، وبالمقابل يحتل النموذج الثاني الذي عُدل في فترة لاحقة في الأحرف الآتية «TEAV»

cognition-affect-behavior-satisfaction « CABS »



رسم توضيحي 1 النموذج الأولي الناتج عن البحث في تجربة

المستهلك⁴ (George, 2019, p137)

على الرغم من أنّ مؤسسات كُثر تركز تكتيكياً على هذا النموذج إلى يومنا هذا، فإنّه اعتُبر منذ أوائل ثمانينات القرن الفارط نموذجاً مليئاً بالثغرات ونقاط الضعف. حيث تمت معالجة الحالة العاطفية على أساس أنّها مواقف وتفضيلات، فبدت وكأنّها "مخلفات" النظام المعرفي. ولهذا السبب، انتقده "ماركيس" (Markus) و"زاجونق" (Zajonc)، وبينما ضعف مبررات تموضع الشرط العاطفي ضمن حلقاته التي قد تسبق في حالات عديدة المرحلة المعرفية بحسب رأيهما، هذا بالإضافة إلى أنّ مرحلة الرضى جاءت كنتيجة حتمية للتجربة الاستهلاكية.

في مرحلة لاحقة من تصوّر النموذج الأول، أجرى الباحثان نموذجاً آخر يكمل الأول، ويضبط تموضع جميع المراحل الاستهلاكية ونظامها التجريبي من زاوية نظر مختلفة. ويختصر هذا النموذج المركب في عبارة: «TEAV»، وفيه تبوّأت التجربة منزلة مركزية في تفاعل مرحلة الأفكار، والعاطفة، والنشاط، وقيمة التفاعلات. وتندمج القيمة في هذا النموذج كمعطى أساسي للتجربة، وليس فقط كنتيجة لها.

Thought- Emotion- Activity- Value



رسم توضيحي 2 نمذجة لسلوك المستهلك الناتج عن البحث عن

التجربة⁵

(Morris, Elisabeth. «Op.Cit». p132, 140)

يتألف هذا النموذج من الأفكار (*Thought*) التي تحيل على خيال الفرد وأفكاره وانطباعاته الذهنية. أمّا العاطفة (*Emotion*)، فتشمل التعبيرات السلوكية الإيجابية كالشعور، والأحاسيس، والوجدان، والمتعة، والاستمتاع، والسرور، والرضى، وغيرها من المشاعر. ويبرز النشاط (*Activity*) كمتلازمات للوضعيات الجسدية والذهنية التي تتحقق عن طريق فاعل إجرائي، والتي تشمل الفعل وردّة الفعل. وتحتلّ القيمة (*Value*) مركزاً تقييمياً تضطلع به "الذات المنجزة" عند تفاعلها مع الموضوعية.

جدول 1 ملخص أعمال الاستهلاك التجريبي⁶

الكاتب	المكونات التجريبية غير التجريبية	المكونات التجريبية	التعليقات
Holbrook, Hirshman (1982)	المعرفي، السلوكي	خيالي، إحساس، متعة	تحليل نظام القرار وليس نظام الاستهلاك
Mano, Oliver (1993)	قيمة نفعية	محفز، قيمة متعة	تجربة تقييم عن طريق الرضى

Holbrook (1999)	قيمة نفعية	قيمة مرجية، جمالية خلقية، تقدير روحاني	تحليل النتائج الدائمة لتجربة الاستهلاك
Holbrook (2000)	قيمة نفعية	تجربة، إلهام، غرضي	البحث عن التجربة هي هدف دائم لكل الاستهلاكات
Csikszentmihalyi (2000)	تلبية الحاجات حسب Maslow	الإجابة عن الحاجات التحفيزية	التجربة تمر من خلال الاستهلاك العاطفي

2.1. تصميم الوضعيات كركيزة لتصميم التجربة

تقتضي الإحاطة بموضوع تجربة التصميم التطرق إلى "وضعيات" المستعمل، وذلك بتسليط الضوء على العوامل والأطر الظرفية المرتبطة ضرورة بفترة زمنية الاستهلاك، وبفضاء محدد. ويجزئ بيليك هذه العوامل المؤثرة في سلوك المستهلك إلى خمسة، هي: المحيط المادي، والمحيط الاجتماعي، والحالات الذاتية للأفراد، وتحديد الأدوار، والعامل الزمني. وفي هذا الإطار يقول "بيرنار دي بوا" "لقد دخلنا عصر الوضعيات"⁷، ومنها تجارب متعددة للاستعمال. ويعود الفضل في ازدهار هذا المجال في القطاع التسويقي إلى الأدبيات التي أسسها "بيليك" (Belek)، والتي دُعمت بأعمال كل من "لوتز" (Lutz) و"كاككار"⁸ (Kakkar). وفي حين يحدد بيليك المواقف على أساس موضوعي، يقترح الباحثان كارر ولوتز تأويلا بين-ذاتي لمفهوم الوضعية. فهما يؤيدان فكرة إيجابية الوضعية التعبيرية الداخلية، والتي تُنجز في زمن محدد، وفضاء معلوماتي معرقل، حيث لا يكون هذا الأخير قارًا وثابتًا⁹. ولا يمكن بحسب زعمهما فصل التجربة عن الوضعية لأن هذه الأخيرة هي الأساس الذي تُبنى عليه التجربة وتُقنن عملياتها التصميمية.

2. أثر المصمم المحترف في تجسيد التجربة كهدف للربح وللولاة لصورة المؤسسة

تُعرض مفردات الأثاث على قارعة الطريق وفي الفضاءات العامة، وكأُتاه داخل الفيرينات أو واجهات العرض. فمصمم الأثاث الحضري يكاد يشتغل على نفس المفاهيم التي يشتغل عليها الفاترينيست أو مصمم واجهات المحلات التجارية، ففضاء المدينة هو مكان واجهة العرض¹⁰ وهو شاهد على أثر

"مصمم صامت" في بعض الأحيان، وعلى أثر "مصمم مشهور" في أحيان أخرى. وقد تحمل بعض السلسلات التأثيثية اسم صاحبها لأنها من توقيعه ومن إمضاءه، ولأنّ بعض المؤسسات المختصة في صناعة الأثاث تبني منظوماتها الرجحية على أساس ذبوع صيته وشهرته.



صورة رقم 1 في المنتزه الباريسي « la villette » صمّم فليب ستارك سنة 1984 هذه الكراسي وقد سمّيت بـ « groups of chairs ».

على الرغم من براعة البحوث الخطيّة لم يحقّق التصميم النّتيجة المأمولة لصورة باريس من النّاحية التّسويقيّة¹¹

في هذا الصّدّد، تعاقد فيليب ستارك مع شركة "جون كلود ديكو" لإنجاز أثاث شوارع تعكس هويّته وبراعته الخطيّة في التصميم. وفي شركات أخرى "اشتهرت في نفس هذا الحقل أعمال كلّ من "نورمان فوستر" (Norman Foster)، و"جون ميشال ويلموت" (Jean michel Wilmotte)، حيث صُنّفوا على أنّهم ينتمون إلى الجيل الأوّل من المصمّمين للأثاث. وفي سنة 1992 ظهر جيل ثانٍ

تألف من "سيلفيان دوبيسون" (Sylvian Dubuisson)، و"مارتن سزاكاي" (Martin Szekey)، ثم تعزز هذا الفريق بشراكة جديدة عُقدت مع "ماتيو ليهانير" (Mathieu Lehanneur) في مرحلة لاحقة¹². وتكون مثل هذه السلسلات المصممة من الأثاث في المدينة علامة تجارية متفردة في ذهن العميل المحتمل، لأنها من توقيع مؤسسة صناعية ضخمة أو من إمضاء شخصية بارزة في مجال التصميم. ولعل أثاث مؤسسة "جون كلود ديكو" هو الأشهر والأقوى تجاريًا من بين المؤسسات إلى حدّ اليوم، حيث تعتبر عائداتها المالية الأضخم عالميًا إلى اليوم. ويعود ذلك إلى عراقة علامتها التجارية الاستثنائية وإلى ريادتها في مجال تصنيع أثاث الشارع الموجه إلى التسويق الإعلاني (أنظر الصورة أدناه). لكنّ ما تفتقده مؤسسة "جون كلود ديكو" هو جرأة الخروج عن المألوف، فعلى الرغم من اشتغالها على مفهوم الذكاء الحضري، إلا أنها بقيت أسيرة المرجعية التقليدية التي تعطي الأولوية للإعلانات التجارية، وتركز بالتالي على تجربة المواطن من منظور براغماتي محض. وعليه، فإنّ ترسيخ علامة تجارية راسخة لأثاث المدن في أذهان المتلقين أو الزائرين يستوجب تحديد رسالة متماسكة وتجربة مبتكرة للموضوعة في علاقتها بالمدينة وهويّتها.



صورة رقم 2 واقية حضرية تُسوّق إلى العلامات التجارية للمنتوجات من تصميم شركة جون كلود

ديكو¹³

من هذا المنظور، إنّ "ما تحتاجه المدن لكسب رهان صناعة العلامة التجارية هو التفرد، أي شيء يميزها عن غيرها من المدن. فمن دون خصائص ومميزات تنفرد بها، ستكون المدينة مثل عشرات الآلاف بل ملايين المدن، وبعبارة أخرى من دون المحلية لا توجد العالمية"¹⁴. ولتضمن هذه المدن الفرادة في تصاميم أبنائها، ينبغي عليها تطوير علامتها التجارية، ويمكن أن تعتمد على التجربة الإبداعية كمحرك أساسي لخلق الديناميكية التنافسية وتحفيزها.

3. تجربة تصميم الأثاث بهدف التسويق للمدينة أداة لبسط النفوذ بين المؤسسات

الصناعية: علاقة أثاث الشارع بصورة المدن والتسويق لها:

"بدأت عملية تسويق الأماكن الحضرية منذ القرن التاسع عشر، وكان الاعتماد بالدرجة الأولى على الطرق المختلفة للتسويق. ومع مرور الزمن بدأ التركيز على استراتيجيات إدارة وتخطيط المدن وتسويقها، وبالأستفادة من تطوّر وسائل الإعلام والإعلان والتسويق، ظهر مصطلح الاتصال التسويقي الذي أصبح يعتمد لتسويق المدن وبناء الصورة. وفي الثمانينات، ظهر توجه جديد نحو ما يسمّى بالاتصال التسويقي المتكامل، والذي أصبح يركّز على بناء الصورة. ومع تطوّر العلاقات العامة، أصبح الاهتمام يتّجه نحو إدارة السمعة، ثم تطوّر التركيز نحو العلامة التجارية، فالمدن الأوروبية، على سبيل المثال، أصبحت في السنوات الأخيرة تتنافس في ما بينها لتطبيق ما يسمّى بالصناعة المؤسسية للعلامة التجارية (*Corporate Branding*)،"¹⁵. ومهما كانت وسيلة التسويق المنتهجة حضريًا، وإعلاميًا، أو حتى رقميًا، فإنّ العملية التسويقية الناجحة تبقى رهينة قوة المنتج المادي الملموس وكيفية الخاصة في التصميم. ولما كان "جمال المدن تتحكّم فيه مجموعة من المكونات الأساسية، أهمّها عناصر الفرش الحضري، لكونها من أهمّ العوامل المؤثرة في شخصية الفضاء البصري (*character of urban space*)، تلك العناصر تكتسب أهميتها الكبيرة من خصوصية المكان الذي تتواجد فيه، والذي يُشكّل مكانًا للحركة، واللقاء، والتواصل،"¹⁶؛ فإنّ هدف بعض قادة الحكومات الغربية المحلية (الممثلين عن رؤساء البلديات المنتخبين وقادة المجلس والمدراء التنفيذيين) من تأثيث فضاء الشارع، هو تمكين المدن من علامة تجارية قوية ومؤثرة تضاهي قوة حواضر العالم المتطورة وعراقتها. و"تضمّ تلك المفروشات مجموعة كبيرة ومتنوّعة من العناصر، مثل المقاعد ومواقف حافلات النقل الداخلي والأعمال الفنية التزيينية ولوحات

الإعلانات... إلخ. وهي مجموعها مُوجهة لخدمة كافة أفراد المجتمع بمختلف فئاته الاجتماعية والعمرية، ومُحمل هذه المعطيات ثُكسبها أهمية خاصة في كُلِّ المجتمعات التي تسعى إلى تطويرها وتحديثها كونها تُشكّل الواجهة الحضارية للمُدن المعاصرة¹⁷. وقد قدّمت "التجربة" للمجتمعات التي تتوق وتطلّع نحو التجديد نموذجاً ناجحاً للتسويق للمدن، من خلال تميّز تصاميم أبنائها. وفي ما يلي، سنقوم بإظهار أبرز النماذج العالمية الناجحة بالتحليل طورا وبالوصف طورا آخر.

1.3. صناعة تكتيكات الأثاث الذكي وتجاريه:

فلنلق نظرة على بعض العمليات التنفيذية لمشروعات تكنولوجيا المعلومات المتفرّعة عن تقنية المعلومات أو تكنولوجيا المعلومات، والتي تدمجها بعض مؤسسات صناعة الأثاث الحضري، وعلى رأسها اليوم مؤسسة "جون كلود ديكو"... يصنّف التصميم الذكي إلى ثلاثة أصناف، يُعنى أولها بتطبيق خطوات وإدارة التصميم منذ البداية، ويعتمد هذا الصنف على التكوين والتفاعل الذاتي بين كفاءات المؤسسة الواحدة باعتبارهم أعضاء فاعلة في مجتمع تقنية المعلومات. أمّا فيما يتعلّق بالصنف الثاني، فإنّه يقوم على التكامل والتنسيق بين المؤسستين الصناعية والخدمية، ويظهر ذلك من خلال التعاون المشترك بين المؤسسات العريقة في مجال الاتصالات والخدمات وبين المؤسسات التقليدية المتخصصة في صناعة وتصميم أثاث الشارع، وذلك لتستعين هذه الأخيرة بخبراء من خارج المؤسسة في مجال البرمجة والحوسبة من أجل تطبيق تكنولوجيا وتوظيف أنظمة المعلومات المناسبة للتصميم. على هذا الأساس، ينطبق الصنفان الأول والثاني على التصميم الجديد لكونه مركزاً وقطباً ومحوراً. وفي المقابل، فإنّ الصنف الثالث من الأثاث يعتمد على التركيب والتحويل والتأليف التكنولوجي المبني على أساس قاعدة بيانات سابقة وجاهزة في التصميم القديم، قاعدة يقع بموجبها اقتراح أدوات محتملة للتعديل التقني. إذن، فعبر إضافة التكنولوجيات والتقنيات ذات العلاقة مع التصميم الجاهز مسبقاً، يتسنى للمؤسسة تطوير أهدافها وغاياتها.

إلى جانب ذلك، وبالمثل، يمثّل الفضاء الحضريّ الفيزيائيّ بدوره قاعدة بيانات ومعلومات تقنية مفيدة للمصمّم مستقبلاً. وهو بهذا المعنى يشكّل بنية حضرية جديدة، حيث أصبح من الممكن دمج الفضاءين المادي والافتراضي. ويرتبط الأمر في هذا السياق بإخراج أسلوب مهني احترافي جديد يتحدّد فيه الفضاء الحضريّ المعرفيّ (cybernetic space) مركزاً ثابتاً وهوامش قارة.

في أيّامنا هذه، تحوّل الحديث عن الأثاث في مؤسسات بلدان العالم المتقدّم، إلى حديث عن الأثاث الذكيّ والأثاث الرقميّ، والأثاث الافتراضيّ، والأثاث الذكيّ المستدام، والأثاث المعزّز. ولأنّ الاختصاصات تختلف وتتفاوت، تعتمد كلّ مؤسسة مختصة في صناعة أثاث ذكيّ بعينه، على تقنيات قاعدية أساسية من علوم وتكنولوجيات التصميم والاتّصال والتّواصل. وغالبا ما يكون هدفها هو توفير بنية تصميمية مبتكرة، يتفاعل معها المستعملون على قارعة الطّرق العامة، فيتلمّس من خلالها المصمّم أو (المصمّمون) ردود الأفعال مباشرة. وقد تحقّق ذلك بفضل ازدهار وسائل النقل والمواصلات، واكتساح نظام الاتصالات الرقميّة والكهرباء والإنترنت التي تشكّل حلقات رابطة بين أثاث المدينة وأنظمة الإنترنت.

في إطار الحديث عن شبكات الشّوارع والطّرق وأنظمة النّقل، نورد أحدث ما توصّلت إليه الأبحاث في تصميم تجربة الأثاث الذكيّ الحضري المستدام، والمتمثّل في طرق سيّارة ذكيّة مضيئة واتّصاليّة وتواصلية، تتكوّن من طلاء مشعّ (nocturne peinture fluorescente)، وتظهر على هيئة أشكال فنيّة لمناظر طبيعيّة وأخرى اصطناعيّة (مؤشّرات رسوميّة مثل مؤشّر التّلج ومؤشّر تخفيض السرعة...). وفضلاً عن هذه الأشكال الهندسيّة الثلاثيّة الأبعاد (طول، وعرض، وعمق)، يتمّ إقحام عامل إضافي في تصميم هذا المشروع يتمثّل في البعد الرابع الذي يتدخّل فيه الزّمن. ويتجلّى هذا البعد الرابع من خلال إضفاء خاصيّة تصميميّة مبتكرة تنضاف إلى المحمل الأرضي، وهي خاصيّة الحركة. وليس ذلك فقط لكونها مولّدة للمتعة وللتجربة الاستهلاكيّة، بل وأيضا لاحتلالها مكان اللّوحات الإرشاديّة أو اللافتات المنتصبة حول قارعة الطّريق. وقد تمّ الاستغناء عنها على طول المسافة، ووقع استبدالها برموز إرشاديّة رقميّة تُشحن نهارا أوتوماتيكيا بواسطة الطّاقة الشمسيّة. وتتفاعل هذه الرموز ليلا عند عبور المركبات بإضاءة تتوافق مع السيّاقة الليليّة وتتغيّر بتغيّر الطّقس، لتوافر ظروفًا آمنة تحافظ على مرئادي الطّريق في الأجواء المناخيّة الرديّة، وذلك بتوظيف حسنٍ لعيّ ترفيهيٍّ وجماليٍّ ومُتعيٍّ في آنٍ واحد لمستعملي الطّريق السيّارة.



صورة 3 طريق تفاعلية مستدامة ومولدة للطاقة الكهربائية لشحن السيارات¹⁸

فإلى جانب كونه يقدم حلولاً أمنية تتعلق بسلامة المواطن في الطريق وتجنبيه الانزلاقات ليلاً، يقدم هذا المشروع بالمثل حلولاً اقتصادية، حيث يساهم في تخفيض نسبة الاستهلاك الكهربائي. ولهذا السبب، أقدمت البلديات الحكومية على قطع التيار الكهربائي العمومي الموصول بالمسالك الرقمية ذات الإنارة الذكية بداية من الواحدة ليلاً إلى غاية الخامسة صباحاً.

وتجدر الإشارة إلى أنه تم عرض المشروع لأول مرة في أواخر أشهر سنة 2012، كما عُرض هذا المشروع التصميمي كعمل فني في أحد القصور ضمن مهرجان سكوبيتون (festival scopitone) سنة 2013، وأنجز هذا المشروع الاتصالي فعلياً بأحد الطرق السيارة النيرلندية في منتصف سنة 2013.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المشروع هو من إنجاز الشركتين النيرلنديتين "أستوديو فانروزقارد" و"هيجمانز" (Studio Dann Roosegaarde et Heijmans). وقد اجتمعت هاتان الشركتان لإنشاء "سماط هايواي" (smart Highway)؛ حيث تضافرت جهود الفنان فان روزقارد مع خبرات ومهارات المهندسين المختصين في تصميم الواقع المعزز (Reality Augmented). ويعدّ هذا الأخير أحد أهم الركائز الاستراتيجية للمؤسسات التأثيثية التي تستهدف إنتاج الذكاء في العالم. وفي هذا، يقول محمد إسماعيل "هو من أحد أهم التكنولوجيات التي سوف يكون لها مستقبل واعد ويمكن تعريفه بأنه التكنولوجيا القائمة على إسقاط الأجسام الافتراضية والمعلومات في بيئة المستخدم

الحقيقية لتوفّر معلومات إضافية أو تكون بمثابة موجه له، على التقيض من الواقع الافتراضي القائم على إسقاط الأجسام الحقيقية في بيئة افتراضية¹⁹.



صورة رقم 4 توضّح قوّة تأثير الجمع بين الفنّ والتكنولوجيا (أنظمة الإضاءة الذكية تستشعر عوامل مثل الطقس، والتي يمكن من خلالها تنظيم "حالات الأشياء" وأضواء الشوارع ووضعيّات المستخدمين) في الشارع.

إنّ ابتكار المؤسسات للأثاث الذكيّ يجعلنا حيال وضع مصطلح الذكاء ذاته موضع نقد وشكّ، إذ أنّ أنترنت الأشياء لم يحظَ بالذكاء الكافي للتفكير في تجربة التصميم نشاطاً وأداءً واستشعاراً للقوانين والبرمجيّات. ولم يفكر أيضاً في كميّات التسويق لها حضريّاً، على الرغم من أنّنا نعتقد أنّ هذه الأفكار ذات الصلة بالتكنولوجيات الحديثة هي أفكار سديدة، لأنّ الأجهزة المتصلة لها أيضاً أنظمتها الإنشائية وقدراتها وقوانينها الخاصة في العطاء للتجربة، وهي قوانين لم تُكتشف بعد.

2.3. التكتيكات التسويقية "الأثاث الشارع" وفلسفة استثمار المفاهيم الفلسفية: تجربة الفضاء

الخاص في الفضاء العام:

لاقت النتائج التصميمية التي تولي أهمية قصوى لخصوصيّة الفرد وتقدير حضوره الحضري نجاحاً تسويقياً، وتحقّق ذلك بفضل الاشتغال على مفهوم الفردانية واللاسلطويّة المشتركة، وأيضاً بفضل

الدراسات المعمّقة التي انتهجتها المؤسسات الغربية للاستجابة إلى الميولات النفسانية والروحية والرمزية للفرد كنواة مركزية أولى فاعلة في تشكيل جماعات متماسكة، حيث أنّ الفرد هو الجزء المكوّن للمجموعة وهو مرآة الآخر.

وتروّج بعض المؤسسات بواسطة وحدات الأناث في مدن العالم الغربي إلى مبدأ إلغاء ظاهرة الصراع المتحدّرة بين الفردانية والاشتراكية، هذا الصراع الذي ظلّ قائماً منذ ظهور مصطلح "الفردية" لأول مرة إلى اللغة الانجليزية كصفة تحقير، وذلك في ثلاثينات القرن التاسع عشر على يد الإوينية. فالمبدآن قد يتكاملان من الناحية التصميمية.

وتطرح مسألة الفضاء العام حضور قضية الفردانية والاشتراكية اللتين تتوالدان وتتخارجان في كلّ مرة أثّرت فيها المسألة، لتحليل على جدلية علائقية أخرى من نوع: الخاصّ/ العام، الأنا/ الآخر، والعمومية/الفردانية، والأئية/ الغيرية.

ومن وجهة نظر تصميمية، يمكن أن تلتقي هذه الأقطاب المزدوجة حول نقطة واحدة، وذلك وارد من الناحية التكتيكية التسويقية التي قد تعتمد في جزء منها وفي بعض مرجعياتها على الفلسفة، ويبدو أنّ إمكانية إذابة الفوارق بين الثنائيات منطقية بما أنّه لا يمكن لأحدهما أن يوجد دون الآخر، فهما وجهان لعملة واحدة.

من هذا المنظور، يفكر مصمّم الأثاث المعاصر في كلّ مشروع محدّد لجدلية من الجدليات العلائقية الشائعية التي كنّا قد عرّجنا عليها، ليجسّد من خلال أفكاره سيناريوهات مرسومة أو مكتوبة، عادة ما تعرض أحداث مترابطة، فكلّ فكرة كما هو مفكّر فيها تأوي حدثاً. وكما أنّ تولّد الفكرة أو المفهوم في الذهن فنّ، فإنّ تولّد الفضاء في الفضاء فنّ آخر يحاكي تقنيات الإخراج الذهني وملكاته العملية (ونقصد بالعملية التوالدية في الفضاء تولّد الفضاء الخاصّ ومؤثراته في الفضاء العام).

ويؤوّل الحوار الدائر بين الإنسان والتصميم على أنّه العنصر الرابط الذي يوحد الإنسان والشكل، وأيّ تغيير عن إحدى المعادلتين يحتاج إلى عنصر ثالث موحد تتمّ من خلاله عملية التغيّر وعملية الموازنة بين المفردتين. وبالتالي يركّز الباحثون على تبني الموقف الفلسفي الذي يرى ضرورة رؤية الإثنين معاً كشيء واحد، وليس كعنصرين متقابلين أو منفصلين.

ف" الشيء عندما يكون عامًا، ويكون مرة أخرى خاصًا، ومرة ثالثة شبه عام أو شبه خاص، ومرة رابعة لا عامًا ولا خاصًا، يؤيد وبشكل واضح نسبية مفهومي العام والخاص وارتباطهما بحضارة الإنسان²⁰. إنَّ المفهوم المتجدد (الذي ينفي فكرة إطلاقية المفاهيم) هو ركيزة الحضارات الفردية/ الجمعية المعاصرة، بما أنَّه نتيجة طبيعية لتحزُّر الفرد من قيود مجتمعه. ولا يتموضع التجدد في هذا السياق ضمن مستويات المرونة والتغيُّر، والتحرُّر، فقط وإنما يتحدَّد أيضا في ميدان الممارسة ضمن مستويات الثَّبات والاستمرارية والنَّماء.

1.2.3. المرونة المفاهيمية بين الفضاء العام والفضاء الخاص

إنَّ المرونة في مجال التصميم متأتية من أساس فكريٍّ إجرائيٍّ منظم، تؤثر بشكل أو بآخر في طبيعة العلاقة بين مفهومي الخاص والعام من حيث تقلُّص المسافة الزمنية المكانية بينهما، وتزيد من نسبة كلٍّ منهما باتجاه هيمنة مفهوم الخاص على مفهوم العام. ويعتمد تقبلها بهذا التأثير أيضًا على حضارة الإنسان، ممَّا يؤهلها لتكون فعلاً لاستمرار الناتج التصميمي وازدهاره.

إنَّ تزامنية العام والخاص وارتباطهما يؤكِّدان أنَّ العلاقة بين "الخارج" و"الدَّاخل"، الكلِّ والجزء، الكتلة والفضاء هي علاقة تخارجية. وتتجلَّى هذه المرونة في شرطين أساسيين؛ يحيل أولهما على مرونة الرسائل المدركة القادمة من صميم النَّتاجات التصميمية الدَّاخلية ومحاولة توظيفها في الفضاءات الحضريَّة، أمَّا الشرط الثاني فيشير إلى أنَّ النَّتاجات الحضريَّة المتجددة مطلب مستمر ومتواصل للرجوع للنشأة الأصلية للأثاث. فمرونة المؤثرات الحضريَّة يتم مناقشتها كفعل تفكيريٍّ تصميميٍّ قصديٍّ، يتخذ من جدَّة المواد وحدائتها، ورفاه مؤثرائها الحسية والانفعالية تعبيراً جديداً عن روح حضارة التصميم الحضريِّ والأثاث المهيكل له، والتي تحاكي رفاه الأثاث الموجود بالفضاءات العامة الدَّاخلية (أنظر الصورة رقم 5). هذا بالإضافة إلى أنَّ هذا الفعل التفكيريِّ التصميميِّ يثير مسائل عميقة تتعلَّق بنفسية المواطن ومدى شعوره بتملُّك الفضاءات، ومدى انتمائه لمدينته.



صورة رقم 5 "صالون المدينة" (city lounge) مشروع من تصميم "كارلوس مارتنيز" (Carlos Martinez) و "بيبلوتي ريس" (Pipilotti Rist) في مركز المدينة سان قالن (Saint Gallen) بـ"سويسرا" أنجز المشروع على مرحلتين تخطيطاً وبناءً من سنة 2004 إلى سنة 2011²¹. من هذه الزاوية، يُنظر إلى التصميم المعاصر على أنه رؤية مشتركة لحضارة الفرد، رؤية يشترك الأفراد فيها لبناء تصوّراتٍ لممتلكاتهم وسلوكياتهم وتوجهاتهم وميولاتهم الفكرية. فالخصوصيات الحضارية هي نتاج قيم وأفكار ومبادئ أنتجها الأفراد لتكون شكلاً من أشكال الاتصال بين الأفراد للتعبير عن جوهرهم الوجودي.

الخاتمة:

لقد حققت بعض المؤسسات الصناعية المختصة في صناعة "أثاث الشارع" أرباحاً طائلة من خلال ارتكازها على مفهوم التجربة واستثمار أصولها التسويقية كمصدر أساسي لجني الأموال وتعظيم رؤوس الأموال وإعادة تدويرها. ومع ذلك، لا يمكن اعتبار الربح العالي المؤثر الوحيد على نجاح الرؤية التكتيكية للمؤسسة أو صمود هذه الأخيرة في وجه المنافسة التي تمارسها باقي المؤسسات. فإدارة الأرباح المرتفعة لمؤسسات "جون كلود ديكو" المتأتية من عرض الإعلانات التجارية في الشارع وكيف يمكن لها أن تُدار بطرق أخرى رحيّة أيضاً وتفاعليّة في بيئتها الحضرية، لا يمكن اعتبارها من هذا المنظور النموذج الأمثل أو المعيار الأفضل المحدّد لإنشاء وتصميم التجربة الحضرية وتنميتها. في المقابل، فإنّه ومن خلال النموذجين السابقين اللذين ذكرناهما في متن هذا المقال بالتحليل والتفسير والتفكيك (وهما كالاتي: نموذج الأثاث الذكي المستدام، ونموذج استثمار المفاهيم الفلسفية ولعلّ أبرزها مفهوم الفردانية والجماعية)، استخلصنا

أنّ هذه التصاميم التأثيثية التي ازدهرت والتي لاقت بالمثل اشعاعا عالميا بين المدن قد تشكّلت بالأساس من خلال ما نهلّت من المعارف المفاهيمية وكيفية إعادة صياغتها.
الهوامش:

¹ Morris Holbrook, Elisabeth Hirschman, "The experiential aspects of consumption: consumer fantasies, feeling and fun", *Journal of Consumer Research*, issue 2, (vol 9), (1982).

² Richard Ladwein, *Le comportement du consommateur et de l'acheteur*, France, Edition Dunod, Malakoff, 1999.

³ Joseph Pine, James Glimore, *The experience economy*, Boston, Harvard Business School press, 1998.

⁴ George Load, *Stratégie clients augmentée : La relation client réinventée à l'ère du tout numérique*, London, ISTE, 2019.

⁵ (Morris, Elisabeth. «Op.Cit». p132, 140

⁶ Mounia lachkar, « Les déterminants de la qualité expérientielle comme facteurs de positionnement dans le secteur de l'hôtellerie de luxe », Mémoire de mastère, Université de Québec, Montréal, 2006.

⁷ Bernard Dubois, « Un autre aspect dans l'étude du consommateur : l'approche situationnelle », *Revue Française de Gestion*, issue 4, (vol 129), (1990).

⁸ Christian Derbaix, « Le comportement de l'acheteur : voies d'études pour les années à venir », *Recherche et Applications en Marketing*, issue 2, (vol 2), (1987).

⁹ Russell Belk, «Situational Variables and Consumer Behavior», *Journal of Consumer Research*, issue 2, (vol 3), (1975).

¹⁰ Annie Boyer, Elisabeth Rojat-Lefebvre, *Aménager les espaces publics*, Paris, Le Moniteur, 2001.

¹¹Wright, Parc de la villette, 26 Septembre 2013 :

<https://www.wright20.com/auctions/2013/09/living-contemporary/125>

¹² Pierre Bouvier, *S'asseoir en ville*, Paris, Projet de mémoire en formations Unité de théorie, Ecole cantonale d'art de Lausanne, 2014.

¹³Rapport financier annuel, Document de référence, JCDecaux, 2017 : <https://urlz.fr/fdzQ>

¹⁴ قيراط، محمد، "صناعة العلامة التجارية للمدن: الآليات والتحديات"، (ملتقى دولي الثاني) دور وسائل الإعلام والاتصال في التسويق للمدن ولموروثها الثقافي، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة (3)، الجزائر، 2016.

¹⁵ نفس المرجع، ص 15.

¹⁶ أسعد حسن علي، "دراسة تحليلية نقدية لمفروشات الشارع شوارع مدينة اللاذقية مثالا"، *مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية*، سلسلة العلوم الهندسية، المجلد 37، (العدد 2)، (2015).

¹⁷ المرجع نفسه.

¹⁸ Rodrigo caula, « smart highway by daan roosegaarde wins », Designboom, 2013 : <https://www.designboom.com/technology/smart-highway-by-daan-roosegaarde-wins-index-award-2013/>

¹⁹ محمد إسماعيل، عبد الرؤوف محمد، *المدينة الذكية طموح إيديولوجي عربي، استراتيجية دعم التحول الرقمي وإدارة البنية الذكية لدول المنطقة في تحقيق الازدهار وجودة الحياة نحو مجتمعات متقدمة*، الطبعة 1، مجلد 1، تدمك، روابط للنشر وتقنية المعلومات، 2018.

²⁰ حسام يعقوب النعمان، رضوان الطحلاوي، "مرونة الخاصّ والعامّ في البنية الفضائية المعمارية"، *مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية*، المجلد 25، (العدد 1)، (2009).

²¹ Sophie Barbaux, *Les objets Urbains : Vivre la ville autrement*, Paris, Ici Interface, 2010.

قائمة المراجع باللغة العربية:

1. أسعد حسن علي، "دراسة تحليلية نقدية لمفروشات الشارع شوارع مدينة اللاذقية مثالا"، *مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية*، سلسلة العلوم الهندسية، المجلد 37، (العدد 2)، (2015).

2. حسام يعقوب النعمان، رضوان الطحلاوي، "مرونة الخاصّ والعامّ في البنية الفضائية المعمارية"، *مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية*، المجلد 25، (العدد 1)، (2009).

3. قيراط، محمد، "صناعة العلامة التجارية للمدن: الآليات والتحديات"، (ملتقى دولي الثاني) دور وسائل الإعلام والاتصال في التسويق للمدن ولموارثها الثقافي، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة (3)، الجزائر، 2016.

4. محمد إسماعيل، عبد الرؤوف محمد، *المدينة الذكية طموح إيديولوجي عربي، استراتيجية دعم التحول الرقمي وإدارة البنية الذكية لدول المنطقة في تحقيق الازدهار وجودة الحياة نحو مجتمعات متقدمة*، الطبعة 1، مجلد 1، تدمك، روابط للنشر وتقنية المعلومات، 2018.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

1. Annie Boyer, Elisabeth Rojat-Lefebvre, *Aménager les espaces publics*, Paris, Le Moniteur, 2001.
2. Bernard Dubois, « Un autre aspect dans l'étude du consommateur: l'approche situationnelle », *Revue Française de Gestion*, issue 4, (vol 129), (1990).
3. Christian Derbaix, « Le comportement de l'acheteur: voies d'études pour les années à venir », *Recherche et Applications en Marketing*, issue 2, (vol 2), (1987).
4. George Load, *Stratégie clients augmentée: La relation client réinventée à l'ère du tout numérique*, London, ISTE, 2019.
5. Joseph Pine, James Glimore, *The experience economy*, Boston, Harvard Business School press, 1998.
6. Mounia lachkar, « **Les déterminants de la qualité expérientielle comme facteurs de positionnement dans le secteur de l'hôtellerie de luxe** », Mémoire de mastère, Université de Québec, Montréal, 2006.
7. Morris Holbrook, Elisabeth Hirschman, "The experiential aspects of consumption: consumer fantasies, feeling and fun", *Journal of Consumer Research*, issue 2, (vol 9), (1982).
8. Morris, Elisabeth. «Op.Cit». p132, 140
9. Pierre Bouvier, *S'asseoir en ville*, Paris, Projet de mémoire en formations Unité de théorie, Ecole cantonale d'art de Lausanne, 2014.
10. Richard Ladwein, *Le comportement du consommateur et de l'acheteur*, France, Edition Dunod, Malakoff, 1999.
11. Russell Belk, «Situational Variables and Consumer Behavior», *Journal of Consumer Research*, issue 2, (vol 3), (1975).
12. Sophie Barbaux, *Les objets Urbains: Vivre la ville autrement*, Paris, Ici Interface, 2010.
13. Rapport financier annuel, Document de référence, JCDecaux, 2017 : <https://urlz.fr/fdzQ>
14. Rodrigo caula, « smart highway by daan roosegaarde wins », Designboom, 2013 : <https://www.designboom.com/technology/smart-highway-by-daan-roosegaarde-wins-index-award-2013/>
15. Wright, Parc de la villette, 26 Septembre 2013 : <https://www.wright20.com/auctions/2013/09/living-contemporary/125>